التراث

ألحان السواجع بين البادي والمراجع

تأليف

صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي

٦٩٦ - ٧٦٤ هـ

تحقيق وتقديم

دكتور محمد عبد الحميد سالم

الجزء الثاني

الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله ، ١٢٩٧.

١٣٦٣.

ألحان السواجع بين البادي والمراجع جـ٢/

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي؛ تحقيق

محمد عبد الحميد سالم. - القاهرة: الهيئة

المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧.

٧٦٨ ص ؛ ٢٤ سم .

تدمك . ١٤٢ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١ الشعر العربي - تاريخ - العصر المملوكي.

(أ) سالم، محمد عبد الحميد (محقق)

(ب) العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٧/٢٦١٧٦

I.S.B.N- 978 – 977- 420-142-0

ديوي ٨٢، ٨١١

ألحان السواجع

بين البادي والمراجع

تأليف

صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي

٦٩٦ - ٧٦٤ هـ

تحقيق وتقديم

أ. د. محمد عبد الحميد سالم

الجزء الثاني

الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٧

● الكتاب: «ألحان السواجع بين البادى والمراجع» (ج٢)
● تأليف : صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدى
● تحقيق : دكتور محمد عبدالحميد سالم
● الطبعة الأولى : ٢٠٠٨م

● طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
● الخطوط : أوس الأنصارى
● الغلاف والإخراج الفنى : أميمة على أحمد
● التصحيح والمراجعة : أحمد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام الأتمان الأعمان الأكملان الأطيبان، على سيدنا **محمد عبده** ورسوله، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذا حين الشروع في الجزء الثاني من كتاب ألحان السواجع بين البادي والمراجع، وبالله التوفيق ..

بقية حرف العين

وقد تقدم في الجزء الأول ذكر جماعة من هذا الحرف[١]. والتتمة ترد في هذا الجزء الثاني. إن شاءَ الله تعالى. فمنهم:

علي بنُ عبد الكافي بنِ عليٍّ بن تمام بن يوسفَ، شيخُ الإسلام، قاضي القضاة، أوحدُ المجتهدين علاّمةُ الزمان، أُعْجوبةُ الدهر، نسيجُ وحده، **تقيُّ الدين أبو الحسن الأنصاريُّ الخزرجيُّ السُّبكيُّ**، الشافعيُّ[*] تقدّم نسبُه في ترجمة ولده الشيخ بهاء الدين أحمد[٢].

---

(١) **وهم**: (أ) الإمام زين الدين أبو الحسن، علي بن الحسين بن القاسم، الشافعي ابن شيخ العوينة (١/ ٥٥٥).
(ب) الإمام عز الدين أبو الخير، علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر بن أبي الخير، الحنبلي (١/ ٥٥٨).
(ج) الإمام نجم الدين أبو الحسن، علي بن داود بن يحيى بن ﺑﻦ كامل، القحفازي الحنفي، (١/ ٥٧٣).

(*) المتوفى سنة ٧٥٦ هـ. له ترجمة في: (الدرر الكامنة ٣/ ١٣٤، والبدر الطالع ١/ ٤٦٧، وطبقات الشافعية الكبرى ١٠/ ١٣٩ – ٣٣٨، والدارس: ١/ ١٣٥) وغيرها.

(٢) وهي الترجمة الثانية عشرة بالجزء الأول من هذا الكتاب ص/ ٦٨ (١٥٩).

كتبت إليه سؤالاً فيه مغلطة[1]

(من الوافر)

أيـا قاضـي القُـضاةِ بقيـتَ ذُخرًا
لتـشفي مـا يُعالجـهُ الـضَّميرُ

فأنـتَ إمامُـنا في كـلِّ فـنٍّ
ومِـثلُكَ لا تجِـيءُ بـه الدُّهُـورُ

كأنَّـك للغـوامض قُطْـبُ فَهْـمٍ
علـيك غَـدَتْ رقائقُهـا تـدورُ

بلَغْـتَ بالاجـتهادِ إلى مَـدىً لا
يَخـونُك في مَعَارِفِـه فُـتُورُ

وبابُـك عاصـمٌ مـن كـل جـورٍ
وعلمُـك نافـعٌ، ولـنا كـثيرُ

وقُلْـنا أنـتَ شمـسُ عُـلاً وعلـمٍ
فكـيف بَـنُوك كلُّهـمُ بُـدُورُ؟!

إلـيك الـمُـشتكي مـن سُوءِ فَهْمٍ
يُعَـسِّرُ، إذ يَـسيرُ لـه اليَـسيرُ

بُلِـيتُ بفكـرةٍ قـد أتعبـتني
تَحُـورُ إليَّ كَـسْلَى إذْ تحُـورُ

(١) وردت القصيدة برمتها في : (أعيان العصر: ٦/ ٢٣٨، من النسخة/ ٥٣ (تاريخ) بمعهد إحياء المخطوطات)، و(الوافي: ٢١/ ١٠٧) وبه : «وركبت أنا مغلطة من مغالطات المنطق ...» .

مُقَدَّمَـــتانِ سَـــلَّمتا يقيـــنًا
ولكـــنْ أنْـــتَجَا مـــا لا يَـــصيرُ
تقـــول الـــبَدْرُ في فلـــكٍ صـــغيرٍ
وذلـــك في كَـــبيرٍ يَـــستَديرُ
فَيَلْـــزَمُ أنَّ بـــدْرَ الـــتَّمِّ ثـــاوٍ
بجَانحـــةِ الكـــبيرِ وذاكَ زورُ
فَأَوْضِـــحْ مـــا تَقَـــاعَسَ عَـــنْهُ فَهْمِي
فَأَنْـــتَ بحَلِّـــهِ طَـــبٌّ خـــبيرُ
وفهمُـــك في الـــوَرَى كضياءِ شَمْسٍ
وعلمُـــك للأنـــامِ هُـــدًى ونُـــورُ

فكتب الجواب في ليلته وفرّع عليه ثلاثة أجوبة، وهو:[1]

(من الوافر)

ســـؤالُك أيُّهـــا الحَـــبرُ الكـــبيرُ
سَـــمَتْ في حُـــسْنِ هَالَـــته الـــبُدورُ
وهِمَّـــتُك العَلـــيَّةُ قـــد تعالـــت
فَـــدُونَ طِلابِهـــا الفلـــكُ الأثـــيرُ
وَنَظْمُـــكَ فـــوقَ كـــلِّ الـــنَّظمِ عَالٍ
عَلـــى هَـــذا الـــزَّمانِ لَـــهُ وُفُـــورُ

---

(١) وردت القصيدة كاملة في (أعيان العصر ٦/ ٢٣٨، ٢٣٩، والوافي ٢١/ ١٠٧، ١٠٨).

فَلَــوْ سَــمِحَتْ بِــك الأَيَّــامُ قِــدْمًا
لَقَــــدَّمَك الجَحَاجِحَـــةُ الــــصُّدُورْ
ســألتَ وأنــتَ أذكَــى الــناسِ قلبًا
وعــندك كـــلُّ ذي عُــسرٍ يــسيرُ
وقلــتَ المُــشتكَى مــن سُــوءِ فَهْمٍ
وحَاشَـــا أنَّ فهمَـــك مُـــسْتَطِيرُ
وفكــرتُك الــصحيحةُ لــن تُجارَى
ولم أرَهَـــا تحـــورُ ولا تَخُـــورُ
ولا كَـــسَلٌ بهـــا، كـــلاَّ، وأنَّـــى
ودُونَ نــشَاطِ أوَّلِهَـــا الــسَّعِيرُ
فهــاك جَــوَابُ مــا قَــدْ سَلْتَ عَنْه
وأنـــت بمـــا تــضمَّنه خــبيرُ
مُقدَّمـــتان شَـــرْطُهُما اتِّحـــادٌ
بِأَوْسَـطَ، إن يَفُــتْ فــاتَ السُّرُورُ
وَهَـــذَا مِـــنْهُ فالإِنْــتَاجُ عُقْــمٌ
وأَعْقَـــبَهُ عـــنِ التَّـــصْدِيقِ زُورُ
وذَلـــك أنَّ قـــولَك في صـــغيرٍ
هــو المحمُــولُ، لَــيْسَ هُــو الصَّغِيرُ

وفي الكُبْرى هو الموضوعُ فاعلَمْ
فمِن ذَيَّاكَ للشَّرْطِ الثُّبُورُ
وإن رُمْتَ التَّوصُّلَ باجْترْب
مقدمة بها يقعُ العُثُورُ
على تَحْقيقِ مَظْرُوفٍ وظَرْفٍ
فَمُشْتَرَكٌ عن المَعْنى قَصِيرُ
فَمَعْنَى البدرِ في فَلَكٍ صغيرٍ
يُخالفُ ما تَضَمَّنَهُ الكبيرُ
فَلَمْ يَحْصُلْ لشَرطهما وُجُودٌ
لَذلك أنتجا مالا يَصِيرُ
وفي التَّحقيقِ لا إَنتاجَ، لكنْ
لأجْلِكَ قلتُ قولُك لِي عَذِيرُ
وأمّا إنْ أردْتَ عُمُومَ كَوْنٍ
وذلِك فيهما مَعنيٌّ شهيرُ
فيُنتجُ آمِنًا مِن كُلِّ شَكٍّ
ولَيْسَ عَلَيْهِ إيرادٌ يضيرٌ
فَذَاك جوابُ ما قَدْ سَلْتَ، يامَنْ
غَدَا في العِلم ليس له نَظِيرُ

وما عَنْه تَقَاعَسَ منكَ فَهْمٌ
وكَيْفَ ومِنْكَ تَنحَلُ الصُّخُورُ!

فأنتَ البدرُ حُسنًا وانتقالاً
بأفلاكٍ مُضاعفةٍ تسيرُ

لحامِلِه السريعِ وتَالِيَيْه
دَليلٌ أنَّ خالقَه قَديرُ

يَرى ذو الهيئة النِّحريرُ فيها
عَجَائِبَ، ليس يَحْويها الضَّميرُ

فسُبحانَ الذي أنشاه بَرٌّ
رَحيمٌ، قاهرٌ، ربٌّ، غفورُ

وصَلَّي اللهُ ربٌّ على نبيٍّ
هُوَ الهادِي، به قد تَمَّ نُورُ

وكتبت إليه السؤال الذي تقدم في ترجمة الشيخ زين الدين[1] بن العوينة، وهو:

(من الطويل)

أسَيِّدَنا قاضِي القُضاةِ، ومَنْ إذَا
بَدا وَجْهُه اسْتَحْيَى له القَمَرَانِ[2]

---

(١) علي بن الحسين بن القسم. وقد تقدم في الجزء الأول ص٤١٨ (٤٥٧).

(٢) وردت الأبيات التسع في (الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٧٣، ٧٤) في موضوع: «وضع الظاهر موضع المضمر»، وقد أورد السيوطي هذه الآية شاهدًا -- بقصد قوله تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ﴾ [الكهف: ٧٧] ومما قاله السيوطي ثمة «إن جملة (استطعما) صفة لقرية النكرة، لا لأهل، فلا بد أن يكون فيها =

وَمَـــنْ كَفُّــهُ يَـــوْمَ النَّدَى وَيَرَاعُهُ[1]
علـــى طِرْسِـــهِ بَحْـــرَانِ يَلْــتَقِانِ
وَمَـــنْ إِنْ دَجَتْ فِي الْمُشْكِلات مَسائِلٌ
جَلَاهَـــا بِفِكْـــرٍ دَائِـــمِ اللَّمَعَـــانِ
رأيــتُ كــتابَ اللـــهِ أكْبَرَ مُعْجِزٍ
لأفْــضَلَ مَــنْ يُهْــدَى بــه الــثَّقَلانِ
ومِــن جُملــةِ الإعجازِ كونُ اختصارِهِ
بِإيجَـــازِ أَلْفَـــاظٍ وبَـــسْطِ مَعَـــانِ
ولكــنَّني فِي الكهــفِ أبْــصَرْتُ آيةً
بِهـــا الفِكْــرُ فِي طَــولِ الزَّمانِ عنانِي
ومـــا هـــيَ إلا «استطعما أهْلَها» فَقَدْ
نَــرَى اسْــتَطْعَماهم مــثلَهُ بِبَــيانِ
فمـــا الحكمــةُ الغَرَّاءُ فِي وَضْعِ ظاهِرٍ
مكـــانَ ضـــميرٍ، إنَّ ذاكَ لِــشَانِ؟!

ضمير يعود عليهما، ولا يمكن إلا مع التصريح بالظاهر» ثم قال: «كذا حرره السبكي في جواب سؤال سأله الصلاح الصفدي في ذلك، حيث قال» ثم ذكر الأبيات.
وهذا وقد ذكرت الأبيات الثمانية الأولى في (الطبقات السنية من ٥- ٨ في ٢/ ٧٢٤. ومن ١ ٤ في ٢/ ٧٤١). ومما قاله التميمي ·· صاحب الطبقات — ثمة «... فكأنه أرسلها أولا للتقي السبكي. أو أنه أرسلها للتحفازي أولا، ثم جعل لها هذه الأبيات مقدمة وأرسلها للسبكي.» كما ذكرت الأبيات من ٤ —٨ في (البدر الطالع ١/ ٤٤٣، والدرر ٣/ ١٤) .
(١) «وبراعه» بالطبقات.

فَأَرْشِدْ على عَادَاتِ فَضْلِكَ حَيْرَتِي
فَمَا لِي بِهَا عِنْدَ البَيَانِ يَدَانِ

فكتب الجوابَ عن ذلك نثرًا ونَظما.

فأما النَّثرُ فقد أوْرَدْتُه بكماله في الجزء التاسع والعشرين من التذكرة التي جمعتها[1].

وأما النظم فهو:

(من الطويل)

لأَسْرَارِ آيَاتِ الكِتَابِ مَعَانٍ
تَدِقُّ، فلا تَبْدو لِكُلِّ مُعَانِ

وفيها لِمُرْتَاضٍ لبيبٍ عَجَائِبٌ
سَنَا بَرْقِهَا يَعْنُو لَه القَمَرَانِ

إذا بَارِقٌ منها لقلبيَ قَدْ بَدَا
هَمَمْتُ قَرِيرَ العَيْنِ بالطَّيَرَانِ

سُرُورًا، وإبْهَاجًا، وصَوْلاً على العُلاَ
كأنِّي عَلا فَوْقَ السِّمَاكِ مكانِي

فما المُلْكُ، ما الأكوانُ، ما البيضُ والقَنَا؟
وعِنْدِي وُجُوهٌ أَسْفَرَت بِتَهَانِي

وهاتِيكَ منها قَدْ أَبَحْتُكَ سِرَّهَا
فَشُكْرًا لِمَنْ أَوْلاَدكَ حُسْنَ بَيَانِ

(١) لم أقف على هذا الجزء.

أَرَى استطعما وصْفًا على قريةٍ جرَى
وَلَيس لَهـا، والنحوُ كالميزانِ
صِناعَتُه تَقْضي بأَنَّ استَارَهُ
يَعُودُ عليه لَيْسَ في الإمْكَانِ
ولَيْسَ جوابًا، لا، وَلاَ وَصْفَ أَهْلِها
فلا وَجْهَ للإضْمارِ والكِتمانِ
وهذي ثَلاثٌ ما سِوَاهَا بِمُمْكِنٍ
تَعيَّنَ منها واحدٌ فَسَبَانِي
ورُضْتُ لها فِكْري إلى أنْ تَمَخَّضَتْ
به زُبْدَةُ الأَحْقَابِ مُنْذُ زَمَانِ
وإنَّ حَيَاتِي في تَمَوُّجِ أَبْحُرٍ
من العِلم في قَلْبِي بِمَدِّ لِسَانِي
وكَمْ من كِناسٍ في حِمَايَ لِمُخْدِرٍ
إلى أَنْ أرَى أَهْلاً ذكيٍّ جَنَانِ
فيَصطادُ منِّي ما يُطيقُ اقتناصَهُ
وليس له بالشَّاردات يَدانِ
وفي النَّاسِ مَبْتُورٌ، وآخرُ ذُو يَدٍ
وآخرُ حَازَ الصَّيْدَ منه يَدَانِ

وكلٌّ أخي فهْمٍ على قَدْرِ فهْمِه
يَمُدُّ، ووُدّى مَنْ إليَّ يُدانِي

مُناي سَليمُ الذِّهنِ ريِّضٌ ارتوى
بكلّ عُلومِ الخَلْقِ ذُو إمْعانِ

فَذاك الّذي يُرْجَى لإصْلاحِ مُشْكِلٍ
ويُقْصَدُ للتَّحْرِيرِ والتِّبْيَانِ

وكَمْ لِيَ في الآياتِ حُسْنُ تَدبُّرٍ
مِن الله ذي الفَضلِ العظيمِ حَبَانِي

بجَاهِ رَسُولِ الله قَدْ نلتُ كُلَّ ما
أَتى، وسَيَأْتِي دائمًا بِأَمَانِ

فصلّى عليه الله ما هَبَّت الصَّبَا
وسَلَّم مَا دَامَت لهُ المَلَوَانِ.

وكتبت إليه أيضًا سؤالاً يتعلق بعلم المناظر[1]: (من السريع)

قاضِي قضاةِ الشّام، يَا مَنْ لَهُ
فوائدٌ كالدِّيَمِ .. الهَاطِلَه

ومَنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ قَدْ غَدَتْ
لِكُلِّ عِلْمٍ في الوَرَى شَامِلَه

ومَنْ إذَا حَلَّ بِنَا مُشْكِلٌ
يَلْقَاهُ بالأجْوِبَةِ الفَاصِلَه

(١) وردت الأبيات التالية في (أعيان العصر ٦/ ٢٣٩).

وَهْــوَ إمَــامُ الــناسِ في فَــنِّهِمْ
وفي فُــنُونٍ عِــنْده حَاصِــلَه
مَــنْ كَــذَّبَ الحِــسَّ فمــا عِــندَهُ
بَيِّــنَةٌ تَعْــضِدُهُ عادِلَــه
لكــنَّ هــذَا القطــرَ في جَــوِّه
غَــدَا خُطــوطًا لِلثَّــرَي نَازِلَــه
كَــذلك الــنُّقْطَةُ فَــوْقَ الرَّحَــي
نُبْــصِرُهَا دَائِــرةً جَائِلَــه
فَبَــيِّنِ العِلَّــةَ في صِــدْقِنا
أَوْ لَــا، فَدَعْــوَاكمْ، إذًا بَاطِلَــه
وابْــقَ مَــدَى الأيــامِ في نِعْمَــة
بُــدُورُها مُــشْرِقةٌ كامِلَــه.

فكتب هو الجواب عن ذلك(١):

(من السريع)

إنَّ الهَــوَي المَقْــصُورَ يَــسْبِي النُّهَــي
وَهْــيَ إذَا مُــدَّ لَــهُ مائلَــه
وَنَظْــرَةُ الحُــبِّ لَهــا مَقْــتَلٌ
في الــنَّفْسِ، لا تَخْفَــي عَلَــى شاكِلَه

(١) بأعيان العصر ٦/ ٢٤٠ يقول الصفدي: «وكتب أيضًا رحمه الله تعالى جوابًا مطولاً في ثلاثة وأربعين بيتًا. وقد أثبتها بكمالها في كتابي: ألحان السواجع بين البادي والمراجع».

وَجَوْهَـــرُ الحُـــسْنِ، إذَا مَـــا بَـــدَا
تُـــشْرِقُ مـــنه الأنْفُـــسُ الفَاضِـــلَه
وسُـــرْعَةُ الـــنُّقْلةِ قـــد صَـــيَّرَتْ
مَعالِـــيَ الأشـــياءِ، كالـــسَّافله
والـــوَهْمُ قَـــتَّالٌ، كَـــذَاكَ الخَـــيالُ[1]
(م) طالمـــا ضَـــلاَّ عَـــنِ الـــسَّابِلَه
والعَقْـــلُ قـــاضٍ، حُـــسْنُهُ شـــاهدٌ
صَـــدَّقَ بأحكـــامٍ لَـــهُ عَادِلَـــه
يـــا فاضِـــلاً فكـــرُته قَـــدْ غَـــدَتْ
في كُـــلِّ أفْكـــارِ الـــورَى جائِلَـــه
ســـألت عمَّـــاذا أرســـطو الـــذي[2]
أعْيَـــى، وَجَالِيـــنُوسُ في القَافِلَـــه
وحَـــارَ بَطْلَـــيْمُوسُ فـــيه وأَفْلاطُـــونُ
(م) كُـــلٌّ قَـــدْ رَمَـــى كاهِلَـــه
قالـــوا بـــأن الحِـــسَّ في دَرْكِـــه
يَغْلِـــطُ، كَـــلاَّ إنَّهـــا بَازِلَـــه[3]

---

(١) رواية البيت في (ب):

والوهم قال كذلك الخيا(م) ل طـال، مـا ضلا عن السابله

وبالأصل: «كذلك الخيال وطالما ...» ولا يستقيم الوزن معه.

(٢) بالأصل: «سألت عن ذا أرسطو به» وفي (ز): «أرسطو الذي» واخترت «عماذا» من (ب) وسجلت «الذي» عن (ز).

(٣) «إنما نازله» في (ب). والبازلة: الشجة تبزل الجلد وتسيل الدم.

لم يَغلَـــط الحِـــسُّ، ولكــــنَّهمْ
قَــدْ غَلطُــوا مــن شُــبْهةٍ مَاحِلَــه
مِــنْ صُــحْبَةِ الــوَهْمِ وَقَــدْ جَرَّبُوا
مِـــنْ صُـــحْبَةِ الأَرْذَالِ والـــسَّافلَه
يــا صَــاحِ لا تَــصْحَبْ سِوَى كامِلٍ
تَرْقَــى بِــه فِــى رُتَــبٍ كَامِلَــه
ونَـــزِّه الحِـــسَّ إذَا مَـــا سَـــرَى
عــن صُــحْبَةِ الــوَهْمِ هِــيَ الخَاذِلَه
ســـألتَ في القطـــرة عَـــنْ صَـــيِّبٍ
تَــنْحَطُّ فِــي صَــوْبِ الثَّرَي وَاصِلَه
يقـــولُ مَـــنْ يَجْهَلُهَـــا إِنَّهـــا
خَـــطٌّ قَـــويمٌ ذَاتُـــهُ ناحِلَـــه
مـــا الـــسِّرُّ فى ذاكَ؟ وَمَـــا حَلُّـــهُ
مُحَقِّقًـــا مِـــن فِكْـــرَةٍ وَابِلَـــه؟!
وثالِـــثٌ مـــن فِكْـــرِيَ أَنْـــتَجَتْ
أَرَاهُ في فَهْمِـــي هُـــوَ الفاصِـــلَه
فَفِـــرْقَةٌ قالـــتْ بخَـــطٍّ يُـــرَى
في خـــارِجٍ مِـــنْ ضَـــوْنِهَا[1] سَـــائِلَه

(١) في (ب): «من صونها سايله».

تَـــشَكُّلاً يَحْــدُثُ مـــن فَيْــضِهَا
علـــى هـــويً في حَالـــةٍ عاجلَــه

والفَـــيْضُ لا أُنكِـــرُهُ، بَـــلْ لَـــهُ
عِــنْدي مَــذَاقٌ جَــلَّ عَـــنْ عَادِلَه[1]

لكـــنَّ هَـــذَ القَـــوْلَ تقْرِيــرُهُ
حُجَّـــتُهُ أَضْـــحَتْ هُـــنَا حائلَــه

لــوْ كَــانَ حَقًــا كَان إِذْ مارَست[2]
وَلَم تكـــن أَصْـــلاً بـــه بَاخِلَــه

وفـــرْقَةٌ قَالَـــت بـــلا خَـــارجٍ
لكـــنَّ في الـــنَّفْسِ وَهِـــي قابِلَــه

وذاك مـــن رَسْـــم خَـــيالٍ بِهـــا
نقْـــلاً لَهَـــا عَـــنْ مُقْلَـــةٍ هَامِلَــه

وقَوْلِـــيَ المُخْـــتارُ تَلطِـــيفُ ذا
بـــثالثٍ عَـــنْ دِيمَـــةٍ هَاطِلَــه

الخَـــطُّ ذو جُـــزْأين يَحْـــويهِما
طَـــرْفانِ، مَـــا بَيْـــنَهُمَا فَاصِـــلَه

(١) «عن عاذله» في (ب، ز)

(٢) بالأصل، و (ب): «لو كان حقًا كان مارست» ولا يستقيم على وزن السريع. وعبارة (أ): «كان إد مارست» وفي (ر): «جاز إذ مارست» وفي (م): «... كان إذا مارست» وقد اخترت ما في (م)، بجعل (إذا) (إذ) كي يستقيم الوزن.

تُحَـــــسُّ في آنٍ، وذَا فائِـــــتُ

فِي قَطْـــــرةٍ كائِـــــنَةٍ زَائِلَـــــه

لكـــــنَّها تُـــــشْبِهُهُ إذْ جَـــــرَتْ

فِي جَـــرْيِها[1] سُـــــرعةُ شَـــاغِلَه

والـــــسُّرعَةُ العلَّـــــةُ، أوْ جُـــزْؤُهَا

كَأَنَّهَـــــا أَبْـــــصَارُنَا شَـــامِلَه

والحِـــسُّ لا حُكْـــمَ لَـــهُ، سَـــيِّدِي،

بـــــل مُبْـــصِرٌ للـــصُّورَةِ المَاثِلَـــه

والـــــوَهْمُ لَمَّـــــا أَنْ رَأَى سُـــــرْعَةً

اشْـــتَبَهَتْ خطًّـــا، غَـــدَا خَاتِلَـــه[2]

ظَـــنَّ اتِّحَـــادٌ [في][3] زمـــانٍ لَهَـــا

وعُـــــذْرُه ضَـــــعْفٌ غَـــــدَا قَاتِلَـــــه

وغَـــــرَّهُ فِـــــيه خَـــــيالٌ لَـــــهُ

مَـــــا زَالَ يُلْقِـــــيهِ إلى الـــــسَّافِلَه

تَـــبًّا لـــه، كَـــمْ قَـــدْ أَتَـــى خَادِعًـــا

فِي تُـــــرَّهَاتٍ كلُّهـــــا بَاطِلَـــــه

فابْعِـــدْ عَـــنِ الـــوَهْمِ، فَمـــا أنْ له؟

يَـــا صَـــاح، فِـــي أَحْكَامِـــهِ نَاسِلَه[4]

(١) بالأصل: (جيزيها).
(٢) بالأصل: «خاتله» وختله: خدعة من غفلة.
(٣) زيادة من (ز) لضرورة الوزن
(٤) لعلها من نسل الشيء: فصله عن غيره وأسقطه والناسل: المسرع. ولعل المعنى: فما
=

وانْظُـر إلى حِـسِّك[1] ثُـمَّ اعْتَبِـرْ
بالعَقْـل مـا أَلْفَيْتَنِـي قَائِلَـه

تَلْقَـاه حقًّـا نُـورُهُ بـيِّنٌ
مُغْـطٍ لعُـذرِ [مَـن][2] غدا جَاهِلَه

كـذلك الـشعْلَةُ في سُـرْعَةٍ
تَكْـسُو هَـوَاها هالـةً هائِلَـه

وهَكَـذَا الـنُّقْطَةُ فـوْقَ الرَّحَـى
علَّـتُها سُـرْعَتُهَا الحَامِلَـه

بالـسُّرْعة امْـتَازَتْ لَمـا حَـوْلَهَا
أَدِقَّـةٌ مِـنْ قُطْـبِها كَافِلَـه

هَـذا جَـوَابي لإمـامٍ لَـهُ
في كُـلِّ عِلْـمٍ مُكْـنَةٌ بَاسِلَه

لَـا زَالَ لِلعِلْـم مُفـيدًا، وَلَـا
زَالَـتْ بِـه أَيَّامُـنَا آهلـه

قال أدام الله فوائده. ثم استحضرتها في ثلاثة أبياتٍ، وهي[3]:

أن له في أحكامه فيمة.

(١) بالأصل و ب: «وانظر بحسك ثم اعتبر» ولا يستقيم معه وزن السريع، لذلك اخترت ما في (ز).

(٢) زيادة من (أ. ب. م) يقتضيها الوزن.

(٣) وردت الأبيات في (أعيان العصر ٦/ ٢٣٩، ٢٤٠).

(من السريع)

عِلَّـــتُها الـــسُّرعةُ مَـــعْ وَهْمِـــنَا
وَمِـــنْ خَـــيالٍ لم يَـــزَلْ خَاتِلَـــه
يَقْـــضِي بهـــا الـــوَهْمُ ويـــأْبى الحِجَا
وَهْـــوَ الـــذي أحْكامُـــهُ عادِلَـــه
والحِـــسُّ مَقْـــصُورٌ علـــى رُؤْيَـــةٍ
مُبْـــصِرةٍ للـــصُّورَةِ الحَاصِـــلَه

وقال لي يوما نظمتُ بيتًا مفردًا من ثماني عشرة سنة، وزدتُ عليه الآن بيتًا في هذه السنة، وكانت سنة سبع وأربعين وسبعمائية، وهما[1]:

(من الوافر)

لعَمْـــرُكَ إنَّ لِـــي نَفْـــسًا تَـــسَامَى
إلى مـــا لَـــمْ يَـــنَلْ دَارًا بـــنُ دَارَا[2]
فمِـــن هَـــذَا أَرَى الدُّنـــيَا هَـــبَاءً
ولا أرضَـــى سِـــوى الفِـــرْدَوْسِ دَارَا

فأعجباني، وقلت في مادّهما دون مُدّهما، إلا أن بيته أحسن وأصنع من قولي:

(١) ورد البيتان في (البدر الطالع ١/ ٤٦٨، والدرر ٣/ ١٤٠ وطبقات السبكي ١٠/ ١٧٩، وأعيان العصر ٦/ ٢٤٠ ، والوافي ٢١/ ١٠٨).

(٢) هو دارا الأصغر بن دارا الأكبر، أحد ملوك الفرس العظماء المشهورين (سرح العيون/ ٦٤).

(من الوافر)

لَعَمْــــرُكَ إنَّ للباقـــي الــــسِّفَاني
وَمَالِــيَ نَحْــوَ مَــا يَفْنَــى طَرِيقَه[1]
أرَى الدُّنْــيَا ومَــا فــيها مَجَــازًا
ومــا عِــنْدي سِــوى الأُخرى حقيقَه

وكتبت أنا إليه أطلب منه ما استعين به على وضع ترجمته في تاريخي الكبير، فكتب مسموعاته، وأشياخه. و لم يكتب شعره. فكتبت إليه[2]:

(من السريع)

مَــوْلايَ يــا قَاضِــي القُــضَاةِ الَّذِي
أبــوَابهُ مِــن دَهْــرِنَا حِــرْزُ
أفَــدْتني تَــرْجَمَةً لم تَــزَلْ
بِحُــسْنِ أقْمَــارِ الدُّجَــى تَهْــزُو
لبــستُ مِــنها حُلَّــةً وَشْــيُها
أعْــوَزَهُ مِــن نَظْمِــكَ الطَّــرْزُ[3]

فكتب هو الجواب[4]:

(من السريع)

لله مَــوْلِيَّ فَــضْلُهُ باهِــرٌ
مِــنْ كُــلِّ عِلْــمٍ عِــنْدَهُ كَنْــزُ

---

(١) البيتان في (أعيان ٦/ ٢٤٠، والوافي ٢١/ ١٠٨).
(٢) وردت الأبيات في (أعيان العصر ٦/ ٢٣٦).
(٣) الطرز: الشكل والنمط.
(٤) وردت الرسالة كاملة في (أعيان ٦/ ٢٣٦).

يَـا واحِـدَ الدَّهْـرِ ومَـنْ قَـدْ عَلا
مِـنْه علـى هَـام الـوَرَى الغَـرْزْ
تَـسألُني الـنَّظْمَ، وَمَـنْ لِـي بِـهِ
وَعِـنْدِيَ التَّقْـصِيرُ والعَجْـزُ

قَبْل الداعي طِرسًا، قد سَما نورًا ونقْسا، جمعَ أفانينَ العلومِ، في شبه الوَشْيِ المرْقوم، ما بين خطٍّ إذا رمقته العيون، قالت هذا خطُّ ابنْ مُقْلَه، ونظمٍ لا يطيقُ حبيبٌ أن يُنكر فضله، ونثرٍ يرى عبدُ الرحيم عليه طوْلَه، صدَرَ عمَّن توقَّل ذُروةَ البلاغَة وسَنَامَها، وامتطى غارِبَها وملكَ زمامَها، وكمَّلها من كل علم بأكمل نصيب، ضاربًا فيه بالسَّهم المُصيب، مُشمِّرًا فيه عن ساق الجدِّ والاجتهاد، متوقِّدًا ذكاءً مع ارتياضٍ وارتياد، إلى مَن هو عن ذلك كلِّه بمعزل، ومن قعد به قصورُه إلى حضيض منزل، يطلبُ منه شيئًا مما نظم، ولَعَمري لقد استحسنَ ذا وَرَم[1]، ومن أين لي النظمُ والرسائل، إلا بنُغبَة من المسائل على تبلُّد خاطرٍ وكلالِ قريحه، وتقسُّمِ فكرٍ بين أمور سقيمة وصحيحه؟!. فأنَّى لمثلي شعرٌ ولا شعور، أو يكونُ لي منظومٌ ومنثور؟! غير أني مضَتْ لي أوقاتٌ استخفني فيها إمَّا محبَّةُ التشبُّه بأهل الأدب، وإما ذهولٌ عما يحذرُه العقلاءُ من العطب. وإمَّا حالةٌ تعرِضُ للنفس فتنضَحُ بما فيها[2]، وأقول دَعْها تبلغ

---

(١) مأخوذ من قول المتنبي، (ديوانه ٢/ ٣٦)

أعـيذها نظـرات مـنك صادقة أن تحـسب الشحم فيمن شحمه ...

(٢) مأخوذ من قول ابن عمار يستعطف المعتمد بن عباد، (تمام المتون/ ٩٣):

ولا تلـتفت قول الوشاة وزورهم فكـل إنـاء بالـذي فيه ينضح

ومن أمثال العرب (الميداني ٢/ ١٦٢) : «كل إناء ينضح بما فيه»، ويقول ابن الأثير

من أمانيها. فنظمتُ ما يُستحيى من ذكره، ويستَحقُّ إلى أن أُبالغَ في ستره ... ولكنك أنت الحبيبُ الذي لا يُستَرُ عنه معيب، أذكرُ لك منه حسبما أمرت نُبذًا، وأَقطعُ لك منه فلذا.

وكتب هو إليّ وقد وقع ثلجٌ عظيمٌ بدمشقَ المحروسة في أول شهر رمضان المعظم سنة أربع وأربعين وسبعمائة[1]:

(من الطويل)

نَظَـرْتُ إلي أشْـجَارِ جِلَّـقَ فَـوْقَهَا
ثُلُـوجٌ أرَاهَـا كالبُـروُقِ تَلُـوحُ

فَـشَبَّهتُهَا قُـضْبَانَ فـضَّةِ اكْتَـسَتْ
وَقَابَلَهَـا مِـنَّا الغَـدَاةَ صَـبُوحُ

ومِـن تَحْـتِهَا الأوراقُ خـضرٌ كأنَّها
زُمـرُّدَةٌ تَغْـدُو بِـنا وَتَـرُوحُ

وَمِـنْ بيـنِهَا النَّارنجُ كالذَّهَبِ الذي
هَـوَاهُ بِـه كـلُّ الـنُّفُوسِ تَـبُوحُ

فَقَالَـتْ لَقَـدْ أخطأتَ تَشبيهيَ الَّذي
يَعِـزُّ علـى المُعْتَـزِّ وَهُـوَ فَـصِيحُ

تُـشَبِّهُ يُبْـسًا ذَاوِيًـا بِـرَطِيبَةِ
وَمَيْـتًا بِمَـنْ فـيه الحَـياةُ ورُوحُ

في وصف القلم (المثل السائر ٢/ ٥٧): «ولقد مرح القلم في يدي، وحق له أن يمرح، وأبدع فيما أتي به، وكل إناء بالذي فيه ينضح» .

(١) **وردت الأبيات في**: (أعيان العصر ٦/ ٢٣٧، والتذكرة – المجلد الأخير – الورقة/ ١٢).

فـوَلٌ صــلاحَ الــدِّين هــذا، فإنَّــهُ
إذَا قــالَ تَــشْبِيهًا، أقــولُ صحيحُ.

وبعده[1]:

(من مخلع البسيط)

أقــــول للـــسَّرْو قـــد كَـــسَاه
ثلـــجٌ رُواءً، عَلــــيه نــــورُ
زُمُـــــرُّدٌ أنــــت في لُجَــــيْنٍ
فقــــال: مَـــهْ، إنَّ ذَا قُـــصُورُ
تَـــشْبِيهُ ذَاوٍ بــــلا حَـــياةٍ
بِمَــــنْ لـــه مَنْظَـــرٌ نَـــضِيرُ

وبعده أيضًا[2]: (من مخلع البسيط)

أقـــولُ للـــسَّرْو قـــد كَـــسَاه
ثَلْـــجٌ بَـــدَا نُـــورُهُ وَأَبْهَـــجْ
زُمُـــــرُّدٌ أنــــت في لُجَــــيْنٍ
فَقَـــالَ: أَبْهـــى ســـنًا وَأَبْهَـــجْ
فَهـــل ذَكِـــيٌّ يُطِـــيقُ وَصْـــفِي
أُرِيــــهُ طُـــرْقَ الهُـــدى وَأَنْهَـــجْ؟

(١) الأبيات مذكورة في: (أعيان العصر ٦/ ٢٣٧، والتذكرة – المجلد الأخير – الورقة / ١٣).
(٢) الأبيات مذكورة في: (أعيان العصر ٦/ ٢٣٧، والتذكرة – المجلد الأخير – الورقة / ١٣).

تقـــولُ لي ذائـــبُ المعـــاني
فـــلا تَـــرَاني لِـــذاك أنْهـــج
وأنْـــتَ يـــا واصِـــفي بـــشعرٍ
بِغَيْـــرِ ردفٍ سِـــوَاهُ أنْهَـــج

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك، يقبل الأرض، ويقول[1]:

(من الطويل)

أَتتْنِـــي سُـــطُورٌ كالدّياجـــي مِدادُها
وَفـــيها المَعَانِـــي كالـــنُّجومِ تَلُـــوحُ
يُغَنِّـــي بِهـــا الشّادي إذا ما حَسَا الطِّلاَ
وَيَخْلُـــو بِهـــا عـــانِي الهَـــوَى فَيَنُوحُ
فَكُـــلُّ معَانـــيها غَـــرِيبٌ مُـــصنَّفٌ
كمـــا لَفْظُهـــا بَـــيْنَ الأنـــامِ فَـــصِيحُ
مُلُوكِـــيَّةُ التَّـــشْبِيهِ فـــيمَا تَخَـــيَّلَتْ
كَـــذَلِكَ تَـــشْبِيهُ الملـــوكِ مَلِـــيحُ
فَقَابَلْـــتُ مـــنها نُـــسْخَةً تَقَـــوِيَّةً
علـــى كُـــلِّ سـطْرٍ قد حَوَتْهُ صَحِيحُ
فَأَعْمَلـــتُ فِكْـــرِي فانثَنَـــي مُتَقَاعسًا
وَعَهْـــدِي بِـــهِ عِـــنْدَ القَرِيضِ لَحُوحُ

(1) وردت الأبيات في (أعيان ٦/ ٢٣٧، والتذكرة الأخيرة/ ١٣).

وَعَــادَ فَقِــيرًا فِي زَوَايَــا ضَــمَائِرِي

وَمَــا عِــنْدَهُ فِي نظْــمِ ذَاكَ فُــتُوحُ.

ثم إنَّ المملوك أَغْفَلَهُ بارحَتَه، وصَبّر إلى اليوم حتى رأى نشاطَهُ لما كان عليه وجانحته، وغالطَهُ في نظم شيءٍ من هذه المادّة. وقال ما ضرّك أن يسيرَ جوادُكَ في هذه الجادَّه. فلا بّد له من العرض بين يدي مولانا قاضي القضاة أدمَ اللهُ أيّامَه، وإغضاؤُه مضمون الدُّرك فما كلُّ السَّوَانح غزلانُ رامَه[1]، فانفعل لذلك بعدما استحيي وخجل، وقال وهو ما بينَ الجَذلِ والوَجَل[2]:

(من الكامل)

الــثَّلجُ يَــسقُطُ فَــوقَ أَوْرَاقٍ حَوَتْ

نَــارَنْجَ بُــسْتَانٍ سَــبَي بِــرِوَائِهِ

فَكَأَنَّمَــا تِلْــكَ الــثَّلاثُ سَــرَقْنَ مِنْ

قَاضِــي القُــضَاةِ الحُــسْنَ يَوْمَ لِقَائِهِ

فابْــيَضَّ ذا كَفَــائِهِ، وَاخْــضَرَّ ذَا

مِــنْ جُــودِهِ، وَأَنَــارَ ذَا بِذَكَائِــهِ

فشكرتُ له هذا التخيُّل، وعلمت أنه لطيف التحيُّل، وقلت ما بك ما يعوق، فالحَقْ ببضاعتك السوق. فإذا به قد نظم، واستعمل القلم وقال[3]:

(١) رامه: اسم موضع البادية، وفيه جاء المثل: «تسألني برامتين سلجما» (لسان العرب. روم).

(٢) وردت (بأعيان ٦/ ٢٣٧)، (التذكرة الأخيرة/ ١٣).

(٣) ورد هذا في (أعيان ٦/ ٢٣٨) و(التذكرة/ ١٣).

(من مخلع البسيط)

نَارَنْجُـــنَا فِي الغُـــصُونِ يَحْكِــي
وَالـــثَّلْجُ فِـــي بَعْـــضِهِنَّ رَقْـــمُ
خَـــدًّا تَـــبَدَّي بِـــهِ عِـــذَارٌ
عَاجَلَـــهُ بِالمَـــشِيبِ هَـــمُّ

فقلت له لابّد له من الزيادة، فإنَّ الخير عاده[1]. فقال أزيدك شيئًا من الاستعاره، فإنها لقمر التشبيه داره. وقال[2]:

(من مخلع البسيط)

قَـــدْ سَـــقَطَ الـــثَّلْجُ فَـــوْقَ دَوْحٍ
نَارِنْجُهَـــا يُفْـــرِحُ الحَـــزِينَا
كَـــوَرْدِ خَـــدٍّ، وَآسِ صُـــدْغٍ
لَـــاحَ بِـــهِ الـــشَّيْبُ يَاسَـــمِينَا

فقلت له حسن. ولكن التشبيه الملوكّي فات، وهو من أعظم الآفاتِ. فقال[3]:

(١) مأخوذ من قول أبي نواس وهو في حبسه مخاطبًا الفضل بن الربيع (الشعر والشعراء ١/ ٥٠٧):

أنت يا ابن الربيع علمتني الخير (م)		وعودتـــنـــيه، والخـــير عـــاده.

* وفي المثل: «الخير عادة والشر لجاجة» انظر: (مجمع الأمثال ١/ ٢٥٨، والتمثيل والمحاضرة/ ٣٢٦، وعيون الأخبار ٣/ ١٥٧).

(٢) ورد (بأعيان العصر ٦/ ٢٣٨، والتذكرة المجلد الأخير /١٣).

(٣) ورد بأعيان العصر ٦/ ٢٣٨، والتذكرة/ ١٣).

(من الطويل)

كَـأَنَّ سَـقِيطَ الـثَّلْجِ في الوَرَقِ الَّتي
تَـضَمَّنَتِ الـنَّارَنْجَ عِـنْدَ التَّـضَرُّجِ
لآلي مَـشِيبٍ في زُمُـرُّدِ عَـارِضٍ
تَـبدَّى عَلَـى يَاقُـوتِ خَدٍّ مُضَرَّجِ.

فقلت هذا كاف، فانظم في السَّرْو بلا خلاف. فقال بعدما نضج، ولم يبقَ فيه عرقٌ يختلج[1]:

(من الكامل)

عَايَـنْتُ سَـرْوَةَ دوحـةٍ قد أشْبَهَتْ
والـثَّلْجُ يَـسْقُطُ فَـوْقَهَا مُـتَوَالى
حَـسْنَاءَ زُفَّـتْ لي مُـلاءَةِ مُخْمَـلٍ
خَـضْرَاءَ كلُّهَـا سُـمُوطُ لَـآلي

فكتب هو الجواب عن ذلك[2]:

(من الطويل)

تَرَاقَـصَتِ الأشْـجَارُ عِـنْدَ سَمَاعِهَا
قَرِيـضَكَ واخْـتَالَتْ كَنَشْوَانَ يَطرَبُ
وَقَالَـتْ: أَلَـمْ أُخبِـرْكَ أنَّكَ قَاصِرٌ؟!
فَقُلْـتُ لَهـا: بَـابٌ صَحِيحٌ مُجَرَّبٌ.

(١) مذكرو في (أعيان ٦/ ٢٣٨)، والتذكرة الأخيرة /الورقة/ ١٣).
(٢) ورد الجواب في (أعيان العصر ٦/ ٢٣٨) و(التذكرة المجلد الأخير/ الورقة ١٣).

عليُّ بنُ محمد بنِ سلمانَ بنِ حمائلٍ، الشيخُ الإمامُ البليغُ الكاتبُ الرئيسُ، صدُر الشام، علاءُ الدين بنُ غانمٍ، كاتبُ الإنشاءِ الشريف بالشام المحروس(*).

كتب هو على كتابي جنان الجناسِ في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة[1]:

(من الطويل)

لَقَــدْ ضَــمَّ أجْــنَاسَ الجِنَاسِ فَأَطْرَبَا
وَأعْجَــزَ مَــنْ بَــارَاهُ فِــيهَا فَأتْعَبَا[2]
صَــلَاحٌ لِــدينِ الله أبْــدَى بَــدَائعًا
تَــرُوقُ بِألْفَــاظٍ أرَقُّ مِــن الــصَّبَا
يَــرَاهُ بَلِــيغٌ جــاءَ بالمــدْحِ سَــائلاً
مُجِيــزًا مُجِيــبًا قَــوْلَه، لَا مُخَيِّــبَا
بِإنْــشَادِهِ هَــذَا وإنْــشَائِهِ لَقَــدْ
بِــهِ فَــاتَ مَــنْ فَــاقَ فَضْلاً وَمَنْصِبَا
فَقَــسُّ إِيــادٍ عِــنْدَ ذا الفَــضْلِ بَاقِلُ
وَلَفْظُ امْرِئِ القَيْسِ، البَدِيعُ هُنَا هَبَا[3]

(*) المتوفى سنة ٧٣٧ هـــ. له ترجمة في (الدرر ٣/ ١٧٨، وفوات ٢/ ١٤٥، ودرة الأسلاك ٢/ ٢٨٦، وأعيان العصر ٧/ ٢٣ من النسخة/ ١٩٠١ تاريخ بدار الكتب، والوافي: ٢٢/ ١٢).

(١) **وردت الأبيات في**: (أعيان ٧/ ٢٥ أ، والوافي ٢٢/ ١٤).

(٢) وأتعبا بأعيان العصر.

(٣) بالأصل: «هنا هنا»، والتصويب من باقي النسخ. وأعيان، والوافي.

فكتبت أنا أشكره على ذلك[1]:

(من الطويل)

أَلاَ هَكَـــذا مَـــنْ قَـــالَ شِـــعرًا فَأَطْرَبَا
وَوَشَّـــى بُـــرُودًا باليَـــرَاعِ فَأَعْجَـــبَا

جَبَـــرْتَ انكِسَارِي إذْ أَجَزْتَ مُصنَّفِي
بِأَبْـــيَاتِ شِـــعْرٍ قَـــدْ حَكَتْ رِقَّةَ الصَّبَا

فمـــا كُـــلُّ مَنْ وَافَى بِحُسْنَى يُجِيدُهَا
وَلا كُـــلُّ مَنْ أَوْلَى النَّدَي يُجْزِلُ الحِبَا

فَأُقْـــسِمُ لَـــوْ جَارَاكَ فِي الفَضْلِ فَارِسُ
الْكِـــتَابةِ، أَعْنِـــي الفَاضِلَ بنَ عليٍّ كَبَا

وَمَـــنْ لِلعِمَـــادِ الأصـــفهانيِّ أنْ يُرَى
بِـــبَابِكَ دَهْـــرًا وَاقِفًـــا مُـــتَأَدِّبَا؟!

لَأَنْـــتَ الَّـــذِي أَنْـــسَى بِأَلْفَاظِ نَظْمِه
وَرَوْنَقِهَـــا عَـــصْرَ الـــشَّبِيبَةِ والـــصِّبَا

طَـــرِيقَتُكَ الْمُثْلَـــى الَّتِي اجتَهَدَ الوَرَى
عَلَـــى مِثْلِهَا، واستَحْسَنُوا مِنْكَ مَذْهَبَا

وَلَـــمْ يُـــرَ أَحْلَـــى من يَرَاعِكَ أَحْمَرًا
عَلَـــى دُهْمَةٍ جَارِيَ مِن الطِرْسِ أَشْهَبَا

---

(١) الأبيات مذكورة في (أعيان ٧/ ٢٥).

بَقِـيتَ لـنَا ذُخْـرًا، مآثِـرُ فَـضْله
يَـضُوعُ لهـا فِـي كُـلِّ يَوْمٍ لَنَا نَبَا.

وأنشدني من لفظه لنفسه[1]: (من الطويل)

وَكَـمْ[2] سَرْحَةٍ لي في الرُّبَا زَمَنَ الصِّبَا
أُشَـاهِدُ مَـرْأَي حُـسْنِهَا مُتَمَلِّـيَا
وَيُـسْكِرُنِي عَـرْفُ الشَّذَا مِنْ نَسِيمِهَا
فَأَقْـضِي هَـوًى مِنْ طِيبِه حَتْفَ أَنْفِيَا
وَأَسْـأَلُ فـيها مَبْـسِمَ الرَّوْضِ قُبْلَةً
فَيُبْـرِزُ مِـنْ أَكْمَامِـهِ لِـيَ أَيْـدِيَا!
فَلِلَّـــهِ رَوْضٌ زُرْتُـــهُ مُتَنَـــزِّهًا
فَأَبْـدَي لِعَـيْنِي حُـسْنَ مَرْأَي بِلا رِيَا
غَـدا الغُـصْنُ فـيه راقِصًا، ونَسِيمُهُ
يَكُـرُّ عَلَـى مَـنْ زارَهُ مُـتَعَدِّيَا
تَـرَحَّلت[3] الأشْـجَارُ، والماءُ خَرٌّ، إِذْ
نَـسِيمُ الـصَّبَا أَضْـحَى بِـهِ مُتَمَشِّيَا
تَغَنِّـي[4] لَدَيْهِ الوُرْقُ والغُصْنُ رَاقِصٌ
فَيَغْـرَقُ وَجْـهُ الأَرْضِ مِنْ كَثْرَةِ الحَيَا

(١) الأبيات مذكورة في (أعيان ٧/ ٢٥ ب، والوافي ٢٢/ ١٤، وفوات الوفيات ٢/ ١٥٩).
(٢) «كم سرحة» بالوافي وهو صحيح الوزن مع (الخرْم).
(٣) «تمايلت الأشجار» في فوات.
(٤) «يغني» بأعيان.

فأنشدته أنا لنفسي[1]:

(من الطويل)

حَسَدْتُ نَسِيمَ الرَّوْضَ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَلا سِيَّمَا يَومٌ قَطَعْنَاهُ بالحِمَى

فَكَمْ ضَمَّ عِطْفًا للغُصُونِ مُرَنَّحًا
وَعانَقَ قَدًّا للقَضِيبِ مُقَوَّمَا

وَقَبَّلَ خَدَّ الوَرْدِ وَهْوَ مُضَرَّجٌ
وَثَغْرَ الأَقَاحِي فِي الرُّبَا إِذْ تَبَسَّمَا

وَكَمْ بَاتَ يَسْتَجْلِي عِذَارَ بَنَفْسَجٍ
سَقَتْهُ الغَوَادِي صَوْبَها فَتَنَمْنَمَا

وَلَمَّا أَمَالَ القُضْبَ نَقَّشَ ظِلَّها
وَكَتَّبَ كفًا للغَدِيرِ ومِعْصَمَا

وَفَتَّحَ أجْفانًا مِنَ الزَّهْرِ أغمضَتْ
وَنَبَّهَ قُمْرِيَّ الحِمَى فَتَرَنَّمَا

وَلَمْ أَنْسَ وَجْهَ الرَّوْضِ يُسْفِرُ ضَاحِكًا
بأَزْهَارِهِ كالدُّرِّ لَمَّا تَنَظَّمَا

فَمُذْ فَتَّحَتْ فِيهِ البُرُوقُ جُفُونَها
تَبَرْقَعَ مِنْها بالحَيَا وتَلَثَّمَا.

---

(١) «فأنشدته أنا لنفسي في المعنى» في أعيان ٧/ ٢٥ب. ثم ذكر الأبيات ثمة.

علي بن سالم بن عبد الناصر، الكنانيُّ الغزيُّ القاضي علاءُ الدين أبو الحسن بن سالمٍ[*] موقع غزَّة المحروسة. ومدرس الجراحيّة والصخرة بالقدس الشريف.

كتب هو إلى بدمشق المحروسة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة[١]:

(من الوافر)

غَــدَا حَــالِي بِحَمْــدِ اللهِ حَــالِي
وَبَــالِي قَــدْ تَخَلَّــصَ مِــنْ وَبَــالِ

وَرَاحَ الخَيْــرُ مُــنْحَلّ العَــزَا لِــي
عَلَــي، وَقَــبْلَ ذَا كَــان العــزَا لِــي

وَحُــزْتُ العِــزَّ مُــذْ يَمَّمْــتُ حَبْرًا
كَبَحْــرٍ لَــا يُكَــدَّرُ بالقلَــالِ

فحـــيَّاني، وأحـــياني، وأبـــدى
مكـــارمَ لم يَــشُبْها بـــالقلالى

وَأَرْشَــفَنِي عَلَــى ظمــأٍ زُلالاً
فَكَــانَ أَلَــذَّ مِــنْ نَـبْتِ الدَّوَالِي[٢]

وَدَاوَى مَــا أُكَابِــدُ مِــنْ غَــرَامٍ
بِمَحْــضِ الجُــودِ فاكْــتَمَل الــدَّوَالي

وَشَــنَّفَ مِــسْمَعِي بِــبَدِيعِ لَفْــظٍ
فَقُلْــتُ أَتَــيْتَ بالــسِّحْرِ الحَلَــالِ

(*) المتوفى سنة ٧٤٧ هـ. له ترجمة في (الدرر ٣/ ١٢١)، والوافي ٢١/ ٥٢).

(١) القصيدة مذكورة برمتها في (الوافي ٢١/ ٥٢، ٥٣).

(٢) الدوالي: عنب طائفي أسود يضرب إلى الحمرة.

فَزِدْنِـــي مِـــنْ قَرِيـــضِك يـــا خَلِيلِي
فَـــإنْ بَلـــيغَ لَفْظِـــكَ قَـــدْ حَـــلا لِي

أَبُـــثُّ لَـــدَيْكَ خَطْـــبًا قَـــدْ دَهَانِـــي
نَـــوَائِبَ أَذْهَـــبَتْ جَاهِـــي وَمَالِـــي

وَقَـــدْ فَنِـــيَ اصْـــطِبَارِي واحْتِمَالِـــي
وَقَـــدْ خَـــانَ الْمُنَاصِـــحُ وَالْمُوَالِـــي

فَعَجِّـــلْ يَـــا أخَـــا العَلْـــيَاءِ جَبْـــرِي
وَعَـــامِلْنِي مُعَامَلَـــةَ المُوَالِـــي

فَقَـــدْ ذُقْـــتُ المَـــنَايَا، لَـــا المُنَـــى، يَا
إمَامًـــا قَـــدْ تَفَـــرَّدَ بِالْمَعَالِـــي

وَقَـــدْ قَدَّتْنِـــيَ الأحْـــزَانُ قَـــدًّا
بِوَخْـــزِ البِـــيضِ والـــسُّمْرِ العَـــوَالِي

وَأَنَّتْنِـــي، وَنَيَّبَنِـــي زَمَانِـــي
وَصَـــيَّرَنِي عَلَـــى جَمْـــرِ الْمَقَالِـــي

وَأَنْـــتَ أَبَـــا الـــصَّفَاءِ تُقِـــيمُ عُذْرِي
وتُغْـــضِي عَـــنْ عُـــيُوبٍ فِي مَقَـــالِي

أَيَـــا مَـــنْ عِلْمُـــهُ عَـــمَّ البَـــرَايَا
وَحَـــسْبِي حِلْمُـــهُ فِي كُـــلِّ حَـــالِ[1]

---

(١) بالأصل: «وحشى حلمه...»، وفى (ب): «وحسبي علمه». وفي (أ، ز، م): «وحسبي حكمه».

فَبَلِّغْنِــي وَلَــا تُرْجِــئْ رَجَائِــي
فَــسَفِّ الغَــمَّ يَــا ابْــنَ العَــمِّ خَالِ

رَجَــوتُكَ مِــنْ قَــدِيمٍ، ثُــمَّ لَمَّــا
عَلَــوْتَ مكانَــةً، زادَ الــرَّجَا لِــي

فَلَاحِظْنِــي بِعَــيْنِ الجَبْــرِ، وَاعْطِــفْ
حَمَــاكَ اللهُ مِــن غَلَــبِ الــرِّجَالِ[1]

فكتبت أنا جوابه.

وكتب هو على كتابي جنان الجناس: (من الكامل)

نَــزَّهْتُ فِي نَــوْرِ الجِــنَانِ النَّاضِــرِ
طَــرْفًا يُفدِّيــهِ بِــنُورِ النَّاظِــرِ

خَطَــرتْ بِــهِ، والحُــسْنُ فيه شاهدٌ،
أبْكَــارُ أفْكَــارٍ بَــدَتْ لِلخَاطِــرِ

أكْــرِمْ بِجَــنَّاتِ الجِــنَاسِ وَزَهْــرِهَا
مَــعَ زُهْــرِهَا الزَّاهِــي البَهِــيِّ البَاهِرِ

نَمَّــتْ بِهَــا، لمــا نَمَــتْ رِيحُ الصَّبَا
فَغَــدَتْ تَــضَوَّعُ بالعَــبِيرِ العَاطِــرِ

يَحْيَــى الــصَّرِيعُ بِهَــا إِذَا مَــا جَعْفَرٌ
مِــنْهَا أتَــتْ غُدْرَانُــهُ بِغَدَائِــرِ

---

(١) علق الصفدي في الوافي بقوله: «قلت شعر متوسط. وقد خانته العوالي والمعاني وتكررت معه لفظة لي بلام الجر وياء المتكلم، وهو إبطاء، وبعضهم تسمح في مثل ذلك. وكتب إلي نظمًا ونثرًا كثيرًا. وهذا أنموذج منه يكفي».

وَيَــصِيرُ فِي رَوْضِ المَحَاسِـنِ خَالِـدًا
يأتِـي بفَـضْلِ رَبِـيعِهَا للزَّائِـرِ
فاعْجَـبْ لِـرَوْضٍ زَخْـرَفَتْهُ يَـرَاعَةٌ
فَهِـي الكِـنَاسُ لِكُـلِّ ظَبْـيٍ نَافِـرِ
قَـدْ نَـوَّعَتْ مِـنه الجِـنَاسَ بَـرَاعَةٌ
فِي نَفْـسِ قِـرْطَاسٍ بِـنَفْسِ مَحَابِـرِ
أَضْـحَى بِـهِ دُرُّ الـبَلاَغَةِ زَاهِـيًا
فالـنَّاسُ فِـيهِ نَـاظِمٌ مَـعَ نَاثِـرِ
قَـدْ فَـاقَ مُنْشِـئُهُ بِـهِ مَـنْ قَـبْلَه
فاعْجَـبْ بِـسَبَّاقٍ أَتَـى فِي الآخِـرِ
مَـا قَـدْرُ سَـحْبَانٍ، وَقَـدْرُ قُدَامَـةٍ
إنْ خَـاضَ فِي بَحْـرِ الخَلِيلِ الزَّاخِرِ؟!
فَلَقَـدْ أتَـيتَ أَبَـا الـصَّفَا بِفَضَائِلٍ
كَمُلَـتْ بِـهِ مِـنْ كُـلِّ وَافٍ وَافِرِ
قَلَّـدْتَ أَجْـيَادَ الـزَّمَانِ قَلاَئِـدًا
نَظَمْـتَهَا مِـنْ كُـلِّ زَاهٍ زَاهِـرِ
وَسَـكَنْتَ مَغْنَـى العِزِّ يا ابْنَ العِزِّ إذْ
أَبْـرَزْتَ مَعْنًـى ذَابِهَـاءٍ بَاهِـرِ
فَلَـكَ الفَـصَاحَةُ، والسَّمَاحَةُ، والكِيَا
سَـةُ، والرِّيَاسَـةُ مِـنْ أَقَـلِّ مَفَاخِرِ

قَصَّرْتُ فِي مدْحَيْك فاعْذرْ إِنَّنِي
فَنِّي فُروعُ الفِقْهِ لَسْتُ بِشَاعِرِ
أَصْبَحْتُ مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ نَعامَتِي
(فتخاء تَجْفُلُ من صَفِيرِ الصَّافِرِ)[1]
وَنَظَمْتُ هَذى والهُمُومُ ضَجِيعَتِي
(بَلْ كَانَ قَلْبِي فِي جَنَاحَيْ طائرِ)[2]
فاغْضُضْ عَنِ العِيِّ الَّذِي فِي مَنْطِقِي
وَاحْرِصْ بِجُهْدِكَ أَنْ تُقِيمَ مَعَاذِرِي
واسلم، ودمْ لعرائس أبرزْتَها
وَجَلَيْتَها مِنْ بِكْرِ فكْرٍ طَاهِرِ

فكتبت أنا إليه أشكره على ذلك بديها :-

(من الكامل)

أَسَماءُ نظْمٍ قد زهَتْ بزواهرِ
وحديقةٌ قد أحْدقَتْ بأزَاهرِ؟!

(١) عجز بيت لعمران بن حطان يخاطب الحجاج بن يوسف الثقفي. وقد لجَّ الأخير في طلبه. لكنه تحصّن في قصره حينما دخلت غزالة الحرورية الكوفة، ومعها شبيب، فكتب عمران قائلاً، (التذكرة٢/١٨):

أسد علي وفي الحروب نعامة (فتخاء تجفل من صفير الصافر)
هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك مثل قلب الطائر
صدعت غزالى قلبه بفوارس تركت مدابره كأمس الدابر

(٢) يشير إلى الشطر الرابع من الأبيات السابقة في الهامش رقم (١).

أَمْ غَـــادَةٌ أَهْدَيْـــتَها، في جِـــيدِها
مِـــنْ شِـــعْرِكَ الفَـــتَّانِ، عِقْدَ جَوَاهِرِ؟!

بَكَـــرَتْ إِلَـــيَّ، فَبَاكَرَتْنِـــي نَـــشْوَةٌ
مــا كَـــانَ يَخْطُـــرُ مِثْلُها في خَاطِرِي

في بَاطِنِـــي مِـــنْها بَوَاقِـــي سَـــكْرَةٍ
يَـــبْدُو عَلَـــيَّ بِهَـــا الهَـــنَا في ظَاهِرِي

مَهْـــلاً عـــلاءَ الـــدِّينِ قَـــدْ حَمَّلْـــتَنِي
مِنَـــنًا تَفُـــوقُ عَلَـــى الغمـــامِ الماطِـــرِ

وَجَبَـــرْتَ تَـــصْنِيفِي الكسيرَ فَقَدْ غَدَا
يَـــرْوِي الإِجَـــادَةَ في الوَرَى عَنْ جَابِرِ

مـــا هَـــذِهِ أُولَـــى يَـــدٍ أَوْلَيْتَـــنِي
لَـــكَ يَـــا ابْـــنَ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ النَّاصِرِ

زَهْـــرٌ، ودُرٌّ، ذَاكَ مِـــن رَوْضٍ زَهَـــا
نَبْـــتًا، وَهَـــذَا مِـــنْ خِـــضَمٍّ زَاخِـــرِ

إِنْ كَـــانَ شِـــعرٌ، كُـــنتَ أَفْقَـــهَ عَالِمٍ
أَوْ كَـــانَ فِقْـــهٌ، كُـــنْتَ أَبْدَعَ شَاعِرِ

وكتبت أنا له تقريظًا، وقد خمس البُرْدَةَ، وهي قصيدة البوصيري[1]، مدحًا في سيِّدنا رسولِ الله ﷺ :

(١) هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد، شاعر عربي: ولد في أبو صير سنة ٦٠٨ هـ وتوفي سنة ٦٩٦ هـ. وقيل غير ذلك. (دائرة المعارف الإسلامية : البوصيري).

وقفتُ على هذا التخميسِ الذي طرّزَ طِرسَه، وسقى الفضلُ غِرسَه، وجلا للعين عِرْسَه، ونوّع في البديع جِنْسَه، ونوَّلَ أهلَ الأدب أُنْسَه، وساق إلى طيبةَ بأحمالِ المدائح عَنْسَه. فرأيتُ أسرارَ البلاغة فيه فاشيه، وأبكارَ الفصاحة كيفَ غدت في خُدورِ السّطورِ ناشيه، والبردة كيف اكتستْ بهذه الزِّيادةِ رِقّةَ الحاشية:

(من السريع)

لِلَّـــهِ مَـــنْ جَـــاءَ بِـــهِ أوَّلاً
فَإِنَّـــهُ أَتْعَـــبَ مَـــنْ بَعْـــدَه

عَـــسَّلَ ثَغْـــرَ الزَّهْـــرِ فِي رَوْضِـــهِ
لَمَّـــا رَوَى الإِبْـــدَاعَ مِـــن شُـــهْدِه

وكُـــلُّ ســـطْرٍ غُـــصْنٌ قَـــدْ غَـــدَا
يَحْمِـــلُ مِـــنْ قَافِـــيَةٍ وَرْدَه

أُقْـــسِمُ مَـــا خَمَّـــسَهَا نَاظِمًـــا
لَكِـــنَّهُ قَـــدْ طَـــرَّزَ البُـــرْدَه

فياله من سهمٍ خرجَ من كنانه، وشهمٍ لا يَثْني الإحجامُ عنانَه، وذي فهمٍ ثقّفَ العلمُ رُمحَ قلمه وأرهفَ سنانَه. لقد أصبحتْ غَزَّةُ به ذاتَ عِزَّه، وأمسى كُثَيِّرُ الفضائل وفوائدُهُ تخجل منها عَزّه. يقولُ جارُه البحرُ مالي عجائبُه ولالي لآليه، ويعجزُ بلديُّه[1] أبو إسحاق أن تكون قُوىً فيه لقوافيه، ويرى الخياطُ أنّ البردةَ كانت قبل هذا التفصيلِ سُدَى، ويعترف الرّفاءُ بأنّ إبرةَ قلمه قد لَبِسَتْ من المداد الصَّدى. فالله يُديمُ

---

(١) «ويعجز بلدته» في (ب). وأبو إسحاق هو الشاعر العربي إبراهيم بن يحيى، المولود في غزة سنة ٤٤١هـ، والمتوفى سنة ٥٥٤ هـ (بروكلمان ٥/٣٣).

لبني الآدابِ هذه الفوائد، ويميزُهم من هذه المآدب التي غصونُ أقلامهم في امتداحها موائد. بمنه وكرمه. إن شاءَ الله تعالى.

عليٌّ بنُ محمدِ بنِ فرحون الشيخُ الإمامُ نورُ الدين أبو الحسن اليَعْمُريُّ المدنيّ المالكيّ(١).

كتب هو إليّ ونحن بدمشقَ المحروسة، يطلبُ منّي تمامَ شرحِ اللاّمية الذي وضَعْتُه، ووسَمْتُه (بغيثِ الأدبِ الذي انسجم في شرح لامية العجم)(٢).

(من السريع)

قَدْ طَالَ هَذا الوَعْدُ يا سَيِّدِي
فَانْظُرْ لِمَقْصُودِي وَكُنْ مُسْعِدِي

أَنْتَ صَلاَحُ الدِّينِ حَقًّا فَكُنْ
صَلاحَ دُنْيَايَ الَّتِي تَعْتَدِي(٣)

وَجُدْ(٤) بِغَيْثِ الأَدَبِ الْمُنْتَقَى
وَاسْقِ رَعَاكَ اللهُ قَلْبًا صَدِي

بَدَأْتَ بِالإِحْسَانِ فَاخْتِمْ بِهِ
يَا خَاتَمَ الْخَيْرِ وَيَا مُبْتَدِي

---

(١) المتوفى سنة ٧٤٦هـ. له ترجمة في (الدرر٣/١٩٠، وأعيان العصر ٢٨/٧ من النسخة/١٠٩١ تاريخ والوافي ٢٢/٤٤).

(٢) الكتاب مطبوع دون تحقيق. وهو من مصادري التي اعتمدت عليها. و هذه الأبيات التالية وردت في (الدرر ٣/١٩٠)، وأعيان (٢٨/٧)، والوافي (٤٤/٢٢).

(٣) «التي تغتدي» بالدرر.

(٤) بالأصل «وخذ بغيث» واخترت ما في النسخ، وأعيان، والوافي .

فكتبت أنا الجواب معتذرًا بأنه في العارية[١]:

(من السريع)

أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الَّذِى يَبْتَغِى
عِنْدِىَ لَمْ أَمْنَعْهُ مِنْ سَيِّدِى

يَا مَنْ لَهُ نَظْمٌ عَلاَ ذُرْوَةً
وِهادُهَا تَعْلُو عَلَى الفَرْقَدِ

لَقَدْ تَطَوَّلْتَ وَلَمْ تَقْتَصِرِ
وَمَنْ بَدَا فِى فَضْلِه يَزْدَدِ

وَأَيْنَ مَنْ نَالَ نِهَايَاتِه
مِمَّنْ كَمَا قُلْتَ لَهُ مُبْتَدِى

وأوقفنى على ما نظمَه من الأعجازِ والصُّدورِ لقصيدة الطُّغْرائىّ اللامية[٢].

فكتبت[٣] عليه تقريظًا:

---

(١) وردت الأبيات كاملة في (أعيان: والوافي). وذكرت الثلاثة الأخيرة في (الدرر).

(٢) بالدرر (٣/١٩٠، ١٩١) يقول ابن حجر:

«وكان قد عمد إلى لامية العجم فركب لكل صدر عجزًا، ولكل عجز صدرا. قال أولها:

(إصالة الرأى صانتنى عن الخطل وشـرعه الحزم ذادتنى عن المذل

وحلة العلم أغنتنى ملابسها (وحلية الفضل زادتنى لدى العطل)

والطغرائى هو: مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسن بن على الأصفهاني، من شعراء بغداد والعراق والجزيرة. توفي سنة ٥١٥هـ (بروكلمان: ٥/٥).

(٣) بالأصل: كتبت عليه. والتقريظ مذكور في (أعيان، والوافي).

وقفتُ على هذا النَّمط الغريب، والأُسلوب الذي ما سلَك شُعبَه أديب، [والعبارة التي هي أَشهى من عصْر شباب ما شيبَ بمشيب[١]]، والألفاظ التي تَجيدُ الجيدَ وما تريبُ أنَّها حَلْيُ التَّريب، والنظم الذي شابَ منه الوَليدُ، ونقصَ أبو تمامَ فليس بحبيب.. والمعاني التي هي أوقعُ في النفس[٢] من وَصْلِ حبيب نزَّهَتْهُ اللذةُ عن الرقيب القريب، والسطورِ التي هي جداولُ الروضِ، والهمزُ على ألفها[٣] حمامةٌ على قضيب.

(من الطويل)

(وفي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ ضَوْءَهَا

وَيَــزْعَمُ أنْ يأتِــي لهَــا بِــضَرِيب[٤]

لقد أبدع[٥] ناظمُها – أمتع الله بمحاسنه، وحلىّ جيدَ الزَّمن بدُرِّه التي تثيرُه[٦] المعاني من معادنه – فجعل لآفارقها[٧] مشارقَ ومغارب، ولبيوتها في شعابِ القلوبِ مراكزَ ومضارب، كيف أفادها أعجازًا وصُدورًا؟!. وكيفَ تنوّعَ في الحسن حتى أفادَ الخصُورَ أرْدافًا، وركّبَ على الأرداف خُصورًا؟!. وكيف اقتدر على البلاغة فأطْلَع في أفلاكها شُموسًا وبُدورًا؟!. فلو عاينها الطغرائيُّ – رحمه الله – جعلها لمنشور

---

(١) ما بين الحاصرتين مذكور بعد الجملة التي بعدها في (أعيان، والوافي).

(٢) أوقع في النفوس: بأعيان.

(٣) «والسطور التي هي جداول ... والهمزة فيها على ألفها» في أعيان والوافي.

(٤) البيت للمتنبي بديوانه (٥٦/١) برواية: «يحسد الشمس نورها ويجهد ..» . من قصيدته التي مطلعها:

لا يحــزن الله الأمــير فــإنني لآخــذ مــن حالاته بنصيب

(٥) «لقد أمتع» بأعيان والوافي.

(٦) «بدره الذي تثيره» بأعيان. و«التي يثيره» بالوافي.

(٧) في (ب): «فجعل الله لآوارقها». وفي (ز، والوافي) : «فجعل لآفاقها» .

ديوانه طُغْرَه(١)، وعلمَ أنَّ روضَ نظمه إن كان فيه زَهرةٌ فهذا أُفقٌ أطلع في كل منزلة شمسًا وبدرًا وزُهْرَه. فالله يُعزُّ حمى الأدب منه بفارس الجَوْلَه، ويُديمُ لأيامه بفوائده خيرَ دَوْلَه، ويَلُمُّ شعْثَ بنيه الذين لا صَوْن لهم ولا صَوْلَه، ويمتِّعُهُمْ بمحاسنه التي لا يُذكرُ معها أبياتُ(٢) عزَّة ولا أطلالُ خَوْلَه. بمنه وكرمه إن شاءَ الله تعالى.

عمر بنُ الحسام، زينُ الدين الذهبيّ، أحدُ شعراء العصر(*).

أنشدني لنفسه وأنا متوجِّهٌ إلى الرَّحبة يُودّعني(٣):

(من الطويل)

وَلَمَّـــا اعْتَنَقْـــنَا لِلْـــوَدَاعِ عَـــشِيَّةً
وَفِى القَلْـــبِ نـــيرَانٌ بِفَـــرْطِ غَلـــيلِه
بَكَـــيْتُ وَهَـــلْ يُغْنِـــى البُكَا عِنْدَ هَائِمٍ
وَقَـــدْ غَـــاب عَنْ عَيْنَيْهِ وَجْهُ خَليلِه؟!

فكتبت أنا إليه من الرحبة: (من البسيط)

كَتَبْتُ والدَّمْعُ قَدْ غَطَّى عَلَى بَصَرِى(٤)
وَبِـــتُّ فِـــيكَ نَجِـــيَّ الهَـــمِّ والفِكَرِ

---

(١) الطغرة والطغراء: الطرة تكتب في أعلى الكتب والرسائلى فوق البسملة، تتضمن نعوت الحاكم وألقابه.

(٢) التي لا تذكر: في (ب والواف) . ولعله يقصد بأطلال خولة قول طرفة (ديوانه/١٩).

لخـــولة أطـــلال بـــبرقة ثهمد تلـــوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

(*) المتوفى سنة ٧٤٩هـ. له ترجمة فى (الدرر: ٣/٢٣١، وفوات الوفيات: ٢/٢٠٥).

(٣) البيتان مذكوران في (فوات ٢/٢٠٦).

(٤) لعله مأخوذ من قول ابن أذينة (الأمالى ٢/١١٢): -

ألست تبصر من حولى ؟ فقلت غطـــى هواك وما ألقى على بصرى

وَأشْــتَهِي مِــنْ جَــوَى قَلْبِي وَحُرْقَتِه

لَــوْ أشْــتَرِي سَــاعَةً بِالعُمْرِ مِنْ عُمَرِ

عمرُ بنُ داودَ بنِ هارنَ بنِ يوسفَ القاضي الفاضلُ البليغُ زينُ الدين الصفدىّ، كاتبُ الإنشاء الشريف بالشام المحروس ومصر(١).

كتب هو إلَيَّ من دمشقَ المحروسة في سنة ستٍّ عشرةَ وسبعمائة وأنا بصفد المحروسة(٢). (من الكامل)

أشْــتَاقُ مِــنْ دُونِ الأنَــامِ خَلِــيلاً

فَلِــذَاكَ أصْــبُو بُكْــرَةً وأصِــيلاَ

مَوْلًــى رَحَلْــتُ، وسِرْتُ، عَنْ مَعْرُوفِه

فَعَــدِمْتُ مِــنْ إحْــسَانِهِ التَّــنْوِيلاَ

لَــوْ كَــانَ فِي عَــصْرٍ مَضَى لَمْ نَعْتَمِد

إلاَّ عَلَــى ألْفَاظِــهِ التَّرْسِــيلاَ

هُــوَ فَــارِسٌ فِــي فَنِّهِ كَمْ جَدَّلَ الْــ

أقْــرَانَ فِي مَــيْدَانِهِمْ تَجْــدِيلاَ

لَــيْسَ اليَــرَاعُ بِكَفِّــهِ، فِي طِرْسِــهِ

إلاَّ حُــسَامًا هَــزَّهُ مَــصْقُولاَ

---

(١) المتوفى سنة ٧٤٩هـ. ترجم له ابن حجر في (الدرر ٣/٢٤١)، وابن حبيب في (درة الأسلاك ٢/٤٨٦)، والصفدى في (أعيان العصر ٧/١٦٨- من النسخة‌ة/ ١٠٩١ تاريخ - والوافى ٢٢/١٧٤).

(٢) وردت القصيدة برمتها في (أعيان)، وذكر في (درة الأسلاك) منها ستة أبيات، هى: (١، ٤-٦، ٩، ١١).

فَـإذَا تَرَسَّـلَ خِلْـتَهُ مِـنْ لُطْفِـهِ
أَضْـحَى يُدِيـرُ عَلَـى الأنَامِ شَمُولاَ
نَـبَتِ الكِـتَابَةُ عَـنْ سِوَاه فَلَمْ تَجِدْ
إلاَّ بِـضَافِي الظِّـلِّ مِـنْهُ مَقِـيلاَ
فلـذاك وَجْـهُ الدَّهْـرِ رَاحَ بِفَـضْلِه
لِمَـنِ اجْـتَلاَهُ أوْ رَآهُ جَمِـيلاَ
أَرْجُـو اجْـتماعَ الـشَّمْلِ مِـنْهُ فإنَّهُ
قَـدْ لاَ يَكُـونُ بِـهِ الـزَّمَانُ بَخِـيلاَ
والله مَـا لاَحَـتْ بُـرُوقٌ فِي الدُّجَى
إلا تُجَـدِّدُ لِـي بُكًـا وعَـوِيلاَ
وَلَـرُبَّمَا[1] سَـمَحَ الـزَّمَانُ بِعَوْدَتِي
فَأَبُـلُّ مِـنْ شَـوْقِي إلَـيهِ غَلِـيلاَ

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك [2]:

(من الكامل)

لاَ زالَ جُـودُكَ بالمَـرَامِ كَفِـيلاَ
وَلَطِـيفُ صُـنْعِكَ بالأنَـامِ جَمِـيلاَ
يَـا سَـيِّدًا أَضْـحَى عَظِـيمُ فَخَارِهِ
أَبَـدًا عَلَـى هَـامِ العُـلاَ إكْلِـيلاَ

(١) «ولما سمح» بالتحريف في (درة الأسلاك).
(٢) ورد الجواب برمته في (أعيان العصر).

أنسى قريضك، مذ تطلّع نيّرًا
بسما البديع، كثيرًا وجميلاَ
وكسا جياد[1] النظم من ترصيعه
غرر البيان، وزانها تحجيلاَ
قط اليراع لسانه عن وصفه
مذ مدّ باعًا في البديع طويلاَ
لاحت تباشير الصباح بطرسه
من أسطر أفنيتها تقبيلا
راقت محاسنه ورقّ شمائلاً
فغدا يمجّ من البيان شمولا
أمّا التشوّق والحنين فلا تسل
فالخطب [منه][2] لا يزال جليلاَ
مذ غبت عنّي فالدموع على الولاَ
لو كنّ سيلاً ما وجدن مسيلا
وتلهّب الزفرات في طيّ الحشا
خلّى محلّ الصبر عنك محيلا
فاسعف بقربك إنّه جلّ المنى
لتكيد ضدًا أو تسرّ خليلاَ

(١) «وكسا برود النظم» في (أعيان).
(٢) الزيادة عن النسخ المساعدة وأعيان العصر.

فالجِسْمُ في صَفَدٍ أقامَ، وقَلْبُهُ
بِكَ قَدْ تَشَحَّطَ في دِمَشْقَ قَتيلاَ

وكتبت أنا إليه من صفد المحروسة وقد تأخرت عني مكاتباته وهو بدمشق المحروسة[1].

(من البسيط)

يَا بَارِقًا سالَ في عِطْفِ الدُّجَى ذَهَبَا
أذْكَرْتَنِي زَمَنًا في جِلْقٍ ذَهَبَا
لَئِنْ حَكَيْتَ فُؤَادِي في تَلَهُّبِهِ
فَلَسْتَ تَحْكِيهِ لاَ وَجْدًا ولا حَرَبَا
وَيَا نَسِيمًا سَرَى، وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ
وَهَبَّ وَهْنًا إلى أنْ هَزَّنِي طَرَبَا
أرَاكَ تَنْفُخُ عِطْرًا في صَبَاكَ فهَلْ
تَرَكْتَ ذَيْلاً عَلَى جَيْرُونَ مُنْسَحِبا؟!
أمْ قَدْ تَحَمَّلْتَ مِنْ صَحْبِي تَحِيَّتَهُمْ
فَكَانَ ذَلِكَ في طِيبِ الصَّبَا سَبَبَا؟!
قَوْمٌ عَهِدْتُ الوَفَاءَ المَحْضَ شِيمَتَهُمْ
وإنْ شَكَكْتَ سَلِ العَلْيَاءَ والأدَبَا
صَرَفْتُ إلاَّ عَنَانِي عَنْ مَحَبَّتِهِمْ
وَبِتُّ نِضْوًا حَلِيفَ الشَّوْقِ مُكْتَئِبَا

(١) القصيدة التالية برمتها مذكورة في (أعيان العصر)، و(الوافي ٢٢/١٧٦).

لا الــدَّارُ، تَدْنو، ولا السُّلْوَانُ يُنْجِدُنِى
وَعَـــزَّ ذَلِـــكَ مَطْلُـــوبًا إذَا طُلِـــبَا

أَحْبَابَـــنَا، إِن وَنَـــتْ عَنِّـــى رسائِلُكُمْ
فَلَـــسْتُ أَسْـــأَلُ إلاَّ الفَـــضْلَ وَالحَسَبَا

وَحَـــيَاتِكُمْ مَـــا لِنَفْـــسِى عَنْكُمُ بَدَلٌ
كَـــلاَّ، وَلاَ اتَّخَـــذَتْ فِي غَيْـــرِكُمْ أَرَبَا

أُعِـــيذُ وُدَّكُـــمُ مِـــنْ أَنْ يُغَيِّـــرَهُ
نَـــأْىٌ وَلَـــوْ جُرِّدَتْ مِنْ دُونِ ذَاكَ ظُبَا

لَعَـــلَّ دَهْـــرًا قَـــضَى بالـــبُعْدِ يَجْمَعُنَا
وَقَلَّمَـــا جَـــادَ دَهْـــرٌ بِالَّـــذِى سَـــلَبَا

أَرْضَـــى بِحُكْـــمِ زَمَـــانِى وَهْوَ يَظْلِمُنِى
فِـــيكُمْ وَأَجْنِـــى بِـــبُعْدِى عَنْكُمُ التَّعَبَا

وَلَـــنْ يُظَفِّـــرَنِى إلاَّ بِـــوُدِّكُمُ
يَـــا حَيْرَتِـــى فِـــيكُمُ إِنْ رَدَّ مَـــا وَهَبَا

نَـــسِيتُمونِى، وَلَـــمْ أَعْـــتَدْ سِوَى كَرَمٍ
مِـــنْكُمْ يُبَوِّئُنِـــى مِـــنْ فَـــضْلِكُمْ رُتَبَا

حَاشَـــاكُمُ أَنْ تَـــرَوْا هَجْرِى بلاَ سَبَبٍ
أَوْ تَجْعَلُـــوا البَـــيْنَ فِـــيمَا بَيْنَنا حُجُبَا

عَاقَبْتُمُونِـــي وَلاَ ذَنْــبٌ أَتَــيْتُ بِـــهِ
فَقُــلْ عَنِ الصَّخْرِ إِذْ يَغْشُو وَلاَ عَجَبَا
عُودُوا إلى جَبْرِ كَسْرِي لاَ فُجِعْتُ بِكُمِ
فَقَــدْ لَقِــيتُ بِــبُعْدِي عَــنْكُمُ نَصَبَا

فكتب هو الجاب إلى عن ذلك [١]: (من البسيط)

يَــا خَيْرَ مَنْ خَطَّ فِي الأَوْرَاقِ أَوْ كَتَبَا
وَخَيْــرَ مَــنْ حَــاوَلَ الْعَلْيَاءَ وَالأَدَبَا
وَمَــنْ عَــلا فَغَلَــتْ فِــيهِ مَوَدَّتُــنَا
وَفَــاقَ فَــضْلاً فَفَــاتَ العُجْمَ والعَرَبَا
أَتَــتْ قَــصِيدَتُك الْغَــرَاءُ باســمَةً
مِــنْ نَقْــطِ أَحْــرُفِها لَمَّا حَكَى الْحَبَبَا
فَــرَنَّحَتْ أَنْفُــسًا بالــبُعْدِ قَدْ تَلِفَتْ
وَحَــرَّكَتْ كُــلَّ عِطْفٍ قَدْ قَسَا طَرَبَا
فَهَــلْ بَعَــثْتَ بِعَــتْبٍ جَــاءَ عَنْ قَلَقٍ
أَوْ لُطْــفُ نَظْمِكَ قَدْ أَهْدَى نَسِيمَ صَبَا
حاشــا المــودَّةَ أن يَعْــتادَها مَلَــلٌ
أو أن تكــونَ الــنَّوَى فى مِــثْله سَببا
وَإِنَّمَــا الدَّهْــرُ بِــالأَرْزَاءِ حَارَبَنِــي
وَجَــارَ فِي الْحُكْــمِ لَمَّــا بِــتُّ مُغْتَرِبَا

---

(١) ورد هذا الجواب في (أعيان العصر).

وَمــا تَـرقُّ علــى ذُلّــى عَــوَاطفُهُ
وَلا تمــدُّ إلى الْعَلْــيَاءِ لِــى طُنُــبَا
وَكُلَّمَــا قُلْــتُ قَــدْ لَيّـنتُ شـرَّتَهُ
يَــزِيدُ نــارِى عَلــى تَأجِيجِها حَطَبَا
فاعْــذِرْ فَإِنَّــكَ أوْلَــى النَّاسِ كُلّهِمُ
بِبَــسْطِ عُــذْرِىَ إنْ لَــمْ أَبْعَثِ الكُتُبَا
فَأَنْــتَ تَعْلَــمُ أنِّــى قَــدْ جَعَلْتُكَ مِنْ
دُونِ البَــرِيَّةِ فِي الدُّنْــيا أخَــا وَأبَــا
فَــلا تُــؤَاخِذْ إِذَا مَــا هَفْوَةٌ عَرَضَتْ
مِمَّــنْ يَكُــونُ إلى عَلْــياكَ مُنْتَــسِبَا

وكتب على وجه امتحان الخاطر كتابًا ببشارةِ النِّيل قبلَ دُخوله ديوانَ الإنشاء، وجهَّزَ إليَّ بنُسْخَته[1]، وهو:

أعزَّ اللهُ أنصارَ المقرِّ، ولا أخلاه من أثر رحمة يُشاركه فيها الخلائق، ويُنبِّهُ ذوى البصائرِ على التَّفكر في لطيف صُنعِ الخالق، ويدخُلُ في شمول عمومها، وعمومِ شمولها الصامتُ والناطق ويدلُّ على إقبال الرَّخاء دلالةً البرق المستطير على النَّوْء الصادق.				(من الكامل)

حتَّــى يكــونَ مُــبارَكًا في نفــسه
وعلــى الــورَى فى ســائِر الأقطــارِ

(١) الرسالة مذكورة في أعيان العصر. وعبارة المقدمة لمة : «وكان قد كتب بدمشق قبل دخول الديوان كتابا ببشارة النيل على وجه امتحان الخاطر. وجهز إلى نسخته، وهو».

مُتَقَسِّمُ المَعْرُوفِ أحْلَى مَوْقِعًا
عِنْدَ النُّفُوسِ مِنَ الخَيالِ السَّارِي
يَحْكِيهِ مُشْبِهُ كَفِّهِ، النَّيلُ الّذِي
أغْنَى الثَّرَى عَنْ مِنَّةِ الأمْطَارِ
أرْبَى عَلَيْهَا كَوْنُهُ لَمَّا جَرَى
مَا شَانَهُ الإرْعَادُ بالأكْدَارِ

وهي نعمةٌ يحدِّثُ عن عجائب بحرها على الحقيقة ولا حَرَج، ويتساوى في الانتفاع بها كل نامٍ فضلاً عما دَبَّ ودَرَج. لقد أبرزَتْ كنانَة أرضِ الله في أثوابها القُشُب[1]، وسرى ذكرُها إلى الشام المرتقب، موسمَ الوسْمِيِّ، طليعةَ وفود[2] السُّحب. تضمّن ذلك المثالُ الشريفُ الواردُ بخير وفائه، القائلُ مَن سَمعه هذه عذوبَةٌ ما اكتسبتها الألفاظُ من حلاوة مائة. وإنّ المقياسَ أتى بقياسَ[3] تمامه الثابت على عادة عُدّانه، ونادى وقد سقى البلادَ غيرُ مُفسدها بالأمان مَن طُوفانَه[4]، وإنّ أراقمَ غُدْرانه انسابت في ذلك الإقليم، فابتعلتْ غُدرانَ أراقمه، ومحا سَيْلُه المتدفّقُ معالمَه المجهولةَ فاستعملَ الأقلامَ في إثبات معامله. وإنّه أحاطَ بالقُرى كالمُحاصَر، فضربَ بينها وبين ضائقة المحلِّ بسور، وأخذ الطُّرُقَ على السالكين فلا مراكبَ في البرِّ[5] إلا المراكبُ ولا عاصمَ إلا الجُسور. و لم تنتقصْ قاعدةُ غنائه سوى

(١) مأخوذ من قول أبي تمام في فتح عمورية (ديوانه ١/٤٦) : -
فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القشب.
(٢) «وطليعة السحب» بالحذف في أعيان.
(٣) «المقياس بتمام قياسه» في أعيان.
(٤) مأخوذ من قول طرفة (ديوان/٨٨):-
فسقىً بلادك، غير مفسدها صوب الغمام وديمة تهمي .
(٥) بأعيان: «على السالكين فلا مراكب البر ولا عاصم إلا الجسور» .

في أنّه لم يترك فأرةً تطوف بجدار، إلا وهي طافيةٌ على الماء كأنّها شجرةٌ «**اجْتُثّتْ منْ فَوْق الأرض مالَها منَ قرار**»[1]، على أنّ لله الحفيّ في هذا لُطفًا خفيًّا، وما هُو بالخَفيّ، فنقْصُها جاءَ «تمامًا على الذي أحسن»[2]، ونجاةُ بدنها الهالك للنبات آيةُ المأْمن، وكأنّي بهذا المُخبّر عنه، وقد بلغ الزُّبى من الرُّبا فطار النَّسْرُ مبلولَ الجناحَ، ودنا حين أطلقَ فركضَهُ مَنْ مَشى بالرجل لا أن دَفعَهُ مَنْ قام بالرّاح. ومولانا يأْخذُ من هذه الأنباء بأحسنها، وكلّها حَسَنَه، ومن هذه البشائر المُنتَظر قُدُومُهَا بأيّنها يُمنًا[3]، وكلّها بيّنةٌ مُتيمّنَه. وقد علم أنّ حقَّ نعم الله الشكرُ فيُوَفّيها منه حقّها، ويَتوقّعُ رزقَ بلاده من السّماء كما وَعد[4]، فقد أُخرجَ لتلك من خزائنِ غيْبه رزْقَها. ويُوَفّرُ الرّعايا منَ الجباية ليَتوفّرُوا على الدُّعاء، ويعرفوا نزاهَةَ هذه الدولة القاهرة عن القوة على الضُّعفاء، فإنّ المرسومَ الشريفَ نصٌّ على هذه الخاتمةَ الجليَّه. وطَهَّرَ هذه المواردَ من قذى الأذى لتَنْفىَ القلوبُ من التّسخُّط كما كانت في نفسها نقيّه. ومن دَعا فواضلَ هذا الكرم الطّاهر، فلَيقُل يا مقيلات الجدود العَواثر. والله يجعلُ مولانا من المتوكلين عليه ليزيدَه إيمانًا، ويرزقُه كما رزقَ تلك الديارَ التي غدَتْ من الظماء خماصًا وراحت بالريّ بطانا[5] بمنه وكرمه إن شاءَ الله تعالى.

---

(١) ينظر إلى قوله تعالى: «**ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة، اجتثت من فوق الأرض الأر مالها من قرار**» (الآية/٢٦من سورة إبراهيم).

(٢) من الآية/ ١٥٤ (الأنعام) وهي: «**ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على الذي أحسن، وتفصيلاً لكل شيء، وهدى ورحمة، لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون**» .

(٣) بأعيان: «**قدومها ما بينها يمنا**» .

(٤) لعله يشير إلى قوله تعالى (٢٢/الذاريات) : - «**وفي السماء رزقكم وما توعدون**».

(٥) مأخوذ من الحديث الشريف الذي رواه عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا، وتروح بطانا**» انظر: (رياض الصالحين ص٥٢).

وألزمني القاضي الفاضلُ الكاتبُ شهابُ الدين أبو العباسُ أحمدُ بنُ فضل الله، أن أُنشيءَ أنا كتابًا في المعنى ونحن بالديار المصرية المحروسة في سنة تسع وعشرين وسبعمائة، فكتبت وبالله التوفيق[1]:

ضاعفَ اللهُ نعمةَ الجناب، وسرَّ نَفْسَه بأنْفس بُشرى، وأسْمَعَه من الهناء كلَّ آية[2] أكبرَ من الأُخرى، وأقْدَمَ عليه من المسارِّ ما يتحرَّزُ ناقلُه ويتحرَّى، وساق إليه كلَّ طليعة إذا تنفسَ صُبْحُها تفرّقَ الليلُ[3] وتفرَّى، وأوردَ لديه من أبناء الخِصْب ما يتبرَّمُ به مَحلُ المَحلِ ويتبرَّى. هذه المكاتبةُ إلى الجناب العالي تخصُّه بسلام، يرقُّ كالماء انْسجامًا. ويروقُ كالزَّهرِ ابتساما، وتُتْحفُهُ بثناء جعل المسْكَ له ختَامًا، وضرب له على الرّياضِ النافحة خيامًا. وتَقُصُّ[4] عليه من نبأ النيلِ الذي خصَّ اللهُ الدّيارَ المصريّة بوَفَادَة وَفائه، وأغنى قُطرَها عن القطرِ فلم تحتجْ إلى مدِّ كافه وفائه، ونزَّهه عن منَّة الغمام الذي إن جادَ فلا بُدّ له من شهْقَة رَعْدَه ودَمْعة بُكائه. فهي البَلادُ التي لا يُذَمُّ للأمطار في جوّها مَطار، ولا يُزَمُّ للقطار في بُقْعَتها قطار، ولا تُرْمِدُ الأنواءُ فيها عيون النَّوار. ولا تَشيبُ بالثلوج فيها مفارقُ الطُّرُق ورءوسُ الجبال، ولا تبيتُ البروقُ ساهرةً لمنع العيون من تعهُّد الخيال. ولا تُفْقَدُ فيها حُلَى النجوم لاندراج الليلة تحتَ السُّحب بين اليَوْم وأمْس، ولا يَتَمَسَّكُ المساكينُ في شتائها كما قيل بحبالِ الشمس. وأين أرضٌ يحْمَدُ عَجاجُهَا بالبَحر العَجّاج، وتَزْدَحمُ في ساحاتها أفواجُ الأمْواج، من أرض لا تنالُ السُّقيا إلا بحرب لأنَّ القَطَر سهامٌ، والضَّبابَ عَجاجٌ قد انعقد، ولا يعمُّ الغيثُ بقاعَها،

---

(١) ورد هذا الكتاب في أعيان العصر.

(٢) بعيان: «كل آية هي أكبر ....».

(٣) بأعيان: «تفرّق ليل الهمّ وتفرّى».

(٤) بالأصل: «وتفض».

لأنَّ السحبَ لا تراها إلا بسراجٍ من البرق إذا اتّقد. فلَوْ خاصمَ النِّيلُ مياهَ الأرض لقال: (عندي قُبالة كلِّ عَيْنٍ أصبع[1]) ولو فاخرَها لقال أنت بالجبال أثقل، وأنا بالمَلَق أطْبَع. والنيلُ لهُ الآياتُ الكُبَر، وفيه العجائبُ والعِبَر، منها وجودُ الوفاءِ عند عَدمِ الصَّفاء. وبلوغُ الهرَم إذا احتَدَّ واضْطرَم، وأمنُ كلِّ فريق، إذا قُطعَ الطريق، وفرحُ قُطَّان الأَوْطان، إذا كُسِرَ وهو كما[2] يُقال سُلطان. وهو أكرم مُنتَمى، وأشرفُ مُنْتَدَى، وأعذبُ مُجتَنى، وأعظمُ مُحتَدى، إلى غير ذلك من خصائصه، وبراءَته مع الزِّيادة من نقائصه، وهو أنَّه في هذا[3] العام المبارك جذَبَ البلادَ من الجدْب، وخلَّصها بذراعه، وعَصَمها بخنادقه التي لا تُراعُ من تُراعه، وحصَّنها بسوارِي الصَّوارِي تحت قلُوعه وما هي إلا عُمد قلاعه، وراعى الأدبَ بين أيدينا الشريفة بمطالعتنا في كلِّ يومٍ بجبر[4] قاعه في رقاعه.

حتى إذا أكملَ الستَّةَ عشرَ ذراعا، وأقبلتْ سوابقُ الخير سِراعا، وفتح أبوابَ الرَّحمة بتَغْليقه، وجدَّ في طلب تَخْليقه، تَضَرَّعَ بمدِّ ذراعَيْه إلينا، وسلَّمَ عند الوفاء بأَصابعه علينا، ونشر عَلَم سَتْره، وطلب لكرمِ طباعه جبر العالم بكسْره. فرَسَمْنَا بأن يُخلَّق، ويُعلَّمَ تاريخ هنائه ويُعلَّق. فكُسِر

(١) عجز بيت لمجير الدين بن تميم (خزانة الحموى /٣١٨، والغيث ٢/١٥٨). وصدره مع ما قبله :

مذ لاحظ المثور طرف النرجس (م)	المــزرور قــال، وقــوله لا يدفع
فــتح عــيونك في ســواى فإنني	عــندى قــبالة كــل عين أصبع

(٢) بأعيان: «والماء كما يقال سلطان» .

(٣) بأعيان: «في ذا العام» .

(٤) «بجبر قاعه» بأعيان.

الخليجُ وقد كادَ يعلوه فوجُ مَوْجه، ويَهيلُ كثيبَ سدِّه هوْلُ هَيْجِه، ودخل يدوسُ زرابيَّ الدُّور المبثوثة، ويجوسُ خلالَ الخبايا كأنَّ له فيها خبايا مَوْروثه، ومرَقَ كالسَّهم من قسيِّ قناطره المنكوسه، وعلا زَبَدُ حركته، ولولاه ظهرتْ في باطنه من بُدور أُناسه أشعَّتُهَا المعكوسه. وبشَّرَ برْكةَ الفيلِ ببركة الفَالِ، وجعلَ المجنونةَ من تيَّارِه المتحدِّر في السلاسلِ[١] والأغلال وملأَ أكُفَّ الرَّجاء بأموالِ الأمْواه، وازدحمتْ في عبارة شكره أفواجُ الأفواهُ، وأعْلَم الأقْلامَ بعَجْزِها عمَّا يدخلُ من خراج البلاد، وهنَّأتْ طلائعُهُ بالطوالع التي نزلت بركاتُهَا من الله -- عز وجل -- على العباد، وهذه عوائدُ الألطاف الإلهيَّة بنا التي لم تزلْ نجلسُ على موائدها، ونأخُذُ منها ما نَهَبُه لرعايانا من فوائدها، ونَخُصُّ بالشكر قوادمَها، فهي تدبُّ حولنا وتَدْرُج، ونخصُّ قوادمَها بالثناء والمدح والحمدِ فهي تدخلُ إلينا وتخْرُج، فيأخذ الجنابُ العالى حظَّهُ من هذه البشرى التي جادَتْ بالمنِّ والمِنَح، وانهلَّتْ أياديها الغدقةُ بالسحِّ والسَّفْح، وليتلقَّاها بشكرٍ يضيءُ به في الدُّجى أدمُ الأُفُق، ويتخذُها عقْدًا يحيطُ منه بالعُنُق إلى النُّطُق. وليتقدم الجنابُ العالى بألاَّ يحركَ الميزانُ -- في هذه البشرى بالجباية -- لسانَه، وليُعْطِ كلَّ عاملٍ في بلادنا المحروسة بذلك أمانَه، وليعملْ بمقتضى هذا المرسومِ الشريفِ حتى لا يُرَى في إسقاط الجباية خيانَه. والله يُديم الجنابَ العالى لقَصِّ الأنباء الحسنة عليه، ويمتِّعهُ بجلاء عرائس التَّهانى والأفراحِ لدَيْه. بمنه وكرمه إن شاءَ الله تعالى.

وكتبت أنا إليه من الرَّحبة المحروسة، وهو يومئذ بدمشقَ المحروسة، أُهنئهُ بمولودٍ جاءه في سنة ثلاثين وسبعمائة[٢].

---

(١) انقطع الكلام بأعيان العصر.

(٢) وردت الرسالة في أعيان العصر.

(من الطويل)

هَــنَاءٌ بِــهِ وجْـهُ الـزَّمَانِ تَهَلَّـلاَ
وَبُـشْرَى بِهَـا الإِقْـبَالُ وَافَى وَأَقْبَلاَ
فَهُنِّـئْتَ مَوْلُـودًا أَتَـى إِذْ تَـشَوَّفَتْ
إِلَـيهِ عُـيُونُ الفَـضْلِ وَالْمَجْدِ وَالعُلاَ
فأكْـرِمْ[1] بِـنَجْمٍ لاَحَ فِينَا وَمَنْ يَقُلْ
بِـنَجْلٍ، فَحَـرْفُ الـلامِ بِالمِيمِ بَدَّلاَ
إِذَا ضَـوَّأَ الآفَـاقَ نُـورُ هِلاَلِـهِ
فَكَـيْفَ إِذَا مَـا صَارَ بَدْرًا مُكَمَّلاَ؟!
سَيُرْضِـيكَ فِي أَفْعَالِـهِ وَمَقَالِـهِ
إِذا طَـالَ فِي أَوْجِ العُـلاَ أَوْ تَطَـوَّلاَ
وتُـرْعِفُ أَقْـلاَمَ الـسِّيَادَةِ كَفُّـهُ
ويُـرْعِبُ أَعْـداءً، وَيُـرْعِدُ ذُبَّـلاَ
وَيَـسْتَخْدِمُ البِـيضَ الـرِّقَاقَ يراعُهُ
إِلَـى أَنْ يَـرُدَّ الـصَّعْبَ سَهْلاً مُذَلَّلاَ
وَيَـسْعَى إِلَـى أَبْـوَابِهِ السَّعْدُ صَاغِرًا
وَيَأْتِـي إِلَـيْهِ، وَهُـوَ طِفْـلٌ، تَطَفُّلاَ

يُقَبِّلُ الأرضَ؛ ويُنهي أنه جلس بهذه البُشرى على سُرُر السرور،

(١) «وأكرم» بأعيان.

والتحفَ منها بحبَر الحبُور، وملأ كفّه بالدُّرَر من هذه الأفراحِ، وملّى[1] طرفه بالبدور، ونَطَقَتْهُ هذه المسرّاتُ بالمحامد فارتجل. وارْتجز، وأمْكَنَتْهُ الفرصةُ من الأفراح فانْتهب وانتهز، وقرن الهناءَ بالدُّعَاء فابتهج وابتهل، وتخيّر ساعات الإجابة فانْتقد وانْتقل. وكيف لا يبتهجُ المملوكُ بمخْدومٍ تجدَّد، ويتمسَّكُ بفضلٍ تعدّد، ويُسَرُّ بدَوْحٍ تفرَّعَ وإن كان أصلُه بالمزايا تفرَّد؟!. وهل هذا إلاَّ بيتٌ تُمَدُّ في العلياء أطنابُهُ، وتُرْفَعُ في السيادة أعلامُه وقبابُه، وتَتَّسِعُ لبنى الآمال ساحاتُه ورِحَابُه؟! (من المتقارب)

وَهَـــذا هَدِيَّـــةُ رَبِّ العُــلاَ
فَـــثِقْ بِهَـــدَايَا هَدَايَاتِـــه

وما أقولُ إلا أنّ مولانا لَيْثٌ وقد أشْبَل، وبحرٌ زخرَ لُجُّهُ حتى مُدَّ بجدْوَل. ومن حرْمان المملوك أنه ما شافه[2] السمعَ الكريمَ بالتّهانى، ولا فازَ برَصْد هذا الهلال، كيفَ يترقى إلى الأبْدارِ على الدَّقائق والثّوانى، ولا عاينَ لسلوك المُحبينَ إليه طريقَه، ولا حضرَ لهذه الجوهرة النفيسة يوم عقيقة. وما ضرَّ الأيامَ لو كنت لجوهره عَرضًا أدْنى[3]، أو لو ساعَفَتَ بالقُرب فأكونَ حاضرًا بالصورة إذ قد حضرتُ بالمعنى. والله تعالى يُمتِّعُ عيْنَه الكريمةَ بهذه القُرَّه، ويَهَبُهُ أمثالَها حتى يرى في كل ذَرَّةٍ من الزَّمان دُرَّه. بمنّه وكرمه.

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك[4]: (من الطويل)

أَتَانِـــي كِـــتَابٌ مِـــنْكَ كَالْبَدْرِ يُجتَلى
فَأَصْـــبَحْتُ أَجْلُـــوهُ عَلَـــى سَائِرِ المَلا

(١) بأعيان: «وملأ طرفه».
(٢) بالأصل: «أنه شافه» والزيادة من النسخ المساعدة وأعيان العصر.
(٣) بالأصل: «غرضا أذنى» واخترت ما في أعيان وغيره.
(٤) ورد الجواب في أعيان العصر.

حَكَـــى الرَّوْضَ أَمْسَى بالأزاهِرِ نَاضِرًا
أو العِقْــدَ أَضْــحَى بالجُمَــانِ مُفَصَّلاَ
يُدِيــرُ عَلَــى سَــمْعِ الأَنَــامِ سُلاَفَةً
مِــنَ القَوْلِ فَاقَتْ مِنْكَ مُسْكِرَةَ الطِّلاَ
لَــوَ انَّ أَبَــا تَمَّــامٍ عَــايَنَ حُــسْنَهُ
لَمَــا قَــالَ في عَــصْرٍ تَقَــدَّمَ أَوْ خَلاَ
(تَخَــالُ بِــهِ بُــرْدًا عَلَــيْك مُحَبَّــرًا
وَتَحْــسِبُهُ عِقْــدًا عَلَــيْكَ تَفَصَّلاَ)(١)
تُهَنِّــى بِــهِ عَــبْدًا لِعَــبْدِكَ قَــدْ أَتَى
فَنَاهِــيكَ مِــنْ مَولًــى بِــذَاكَ تَطَوَّلاَ
لَقَــدْ زَادَ عَــبْدٌ في عَبــيدِكَ إِذْ أَتَــى
فَــتَمَّمَ عَــدًّا حِــينَ جَــاءَ تَكَمُّــلاً
وَإِنِّــى لأَرْجُــو أَنْ يَفُــوزَ بِخِدْمَــةٍ
يَفُــوقُ بِهَــا فَــوْقَ السِّمَاكَيْنِ مَنْزِلاً
تُــرَبِّيهِ مَمْلُــوكًا وتُنْشِــيهِ خَادِمًــا
ويَكْفِــيهِ هَــذَا لِلْمَعَــالِى تَوَسُّــلا

---

(١) البيت لأبي تمام (ديوانه ٣/١٠٩) من قصيدة يمدح محمد بن عبد الله الزيات، مطلعها:

لهــان علينـــا أن نقول وتفعلا ونذكــر بعض الفضل عنك تفضّلا

وقبل البيت المذكور قوله:

ووالله لا أنفــك أهدى شواردًا إلــيك يحملــن الثــناء المــنخلا

وكتب هو إليَّ من صفد المحروسة، وأنا مقيمٌ بالديار المصريّة بعدما خرج إليها في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، وقد ظن أن لي في خروجه مدخلاً، وعلْمُ الله كاف[1]: (من الكامل)

إنْ كَـانَ ظَـنُّكَ أنَّنِـي لَـكَ ظَالِمُ
فَـارْحَمْ لأنْ تُـسْمَى بِأنَّـكَ رَاحِـمُ

حَـسْبُ الْمُـسِيءِ مِـن القِصَاصِ بِأنَّهُ
جُـرْحٌ بِجُـرْحٍ، والـسَّعِيدُ مُـسالِمُ

كَـمْ قَدْ حَرَصْتُ على التَّنَصُّلِ عِنْدَمَا
وَقَـعَ العِـتَابُ، فمـا أقَـال الحَاكِمُ

الله يَعْلَـمُ أنَّنِـي لَـكَ عَـاذِرٌ
وَاللـهُ مِنِّـي بالبَـرَاءَةِ عَـالِمُ

هَـا قَـدْ جَرَى لِيَ مَا جَرَى لَكَ قَبْلَهَا
وَوَقَفْـتُ فِي صَـفَدٍ وَأنْفِـيَ رَاغِـمُ

إنْ صَـحَّ لِـي فِـيهَا عَلَـيْكَ جِنَايَةٌ
فَجَـزَاؤُهَا هَـذَا العِقَـابُ الـلاَّزِمُ

فاقْـنَعْ بِـهِ، واذْكُـرْ قَـدِيمَ مَوَدَّتِي
فَالعَهْـدُ فِـيمَا بَيْنَـنَا مُـتَقَادِمُ

أوَ لَـمْ يَكُـنْ ذَنْـبٌ وَحَالِيَ مَا تَرَى
فَامْـدُدْ إليَّ يَـدًا، وَجَاهُـكَ قَـائِمُ

---

(1) الرسالة مذكورة في (أعيان العصر، والوافي ٢٢/١٧٦).

فَلَقَــدْ تَأَتَّــى مَــا تُــرِيدُ فَوَالِنــي
مِــنْكَ الجَمِــيلَ، فَإِنَّــهُ لَــكَ دَائِــمُ
جَــارَ الــزَّمَانُ عَلــى وَلِيِّكَ وَاعْتَدَى
وَإِلَــيْكَ لِلــزَّمَنِ الأَلَــدِّ يُخاصِــمُ
مَــنْ كَــانَ لَــيْسَ بِــنَادِمٍ مُسْتَدْرَكٍ
فَأَنَــا عَلَــيْكَ إِلَــى مَمَاتِــي نَــادِمُ
كانَــتْ هَــنَاةٌ وَانْقَضَتْ، وَمَنِ الَّذي
مِــنَّا وَلَــيْسَ لَــهُ، تُعَــدُّ، جَــرَائِمُ؟
إِنَّ الَّــذِي قَــسَمَ الحُظُــوظَ كَمَا يَشَا
لِلــرِّزْقِ مَــا بَــيْنَ البَــرَايَا قَاسِــمُ
قُــلٌّ وكُثْــرٌ لَــيْسَ تَبْقَــى حَالَــةٌ
والدَّهْــرُ بَــيْنَ الــنَّاسِ بَــانٍ هَــادِمُ
يَــا مَــنْ له أخلصْتُ، كُن لِي مُخْلِصًا
فعلــى مُجازِيــنا كِلانــا قَــادِمُ
أَعْلَــنْتُ بالــشَّكْوَى لِــضُرٍّ مَــسَّنِي
لَكِــنَّ وُدِّيَ في الحَقِــيقَةِ سَــالِمُ
وَلَــكَ الــسِّيَادَةُ حِلْــيَةٌ ومَكَارِمُ الْــ
أَخْــلاَقِ مِــنْهَا في يَــدَيْكَ خَــوَاتِمُ
فَاقْــبَلْ اخُوَّتِــيَ الجَدِيــدَةَ، إِنَّنــي
فِــيهَا لِمَجْــدِكَ أَوْ لِــوُدِّكَ خَــادِمُ

وإلى الرِّضَـــى عُذْبِــي وَلِلْحُسْنَى أَعِدْ
حَتَّـــى تَقُــومَ عَلَـــى الــصَّفَاءِ علائِمُ
والْـــبَسْ رِيَاسَــتَكَ الــسَّنِيَّةَ حُلَّـــةً
أَبَــدًا، لَهــا مِــنْ نَسْجِ سَعْدِكَ رَاقِمُ
واجْعَــلَ لَهَــا شُــكْرًا إِقَالَــةَ عَثْــرَةٍ
مِــنْ صَــاحِبٍ قــدْ صَــدَّ عَنْهُ العَالَمُ
أَنْــتَ الخَلِــيلُ بَــلْ الخَلِيُّ مِنَ الهَوَى
وَأُخُوَّتِــى قَــدْ جَــرَّهَا لَــكَ آدَمُ
فَــأَعِنْ أَخَــاكَ بِحُــسْنِ سَــعْيِكَ مَرَّةً
(إِنَّ المَغَــارِمَ فى الإِخَــاءِ مَغَــانِمُ)[1]

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[2]:		(من الكامل)

يَــامنْ تَعَرَّضَـــنِي وَقَلْبِـــي سَــالِمُ
مِـــنْ إِثْمِـــهِ، وَاللهِ إِنَّــكَ آثِـــمُ
أَتَظُــنُّ أَنِّــي فُهِمْــتُ فِــيكَ بِلَفْظَةٍ
لاَ وَالَّــذِي هُــوَ بِالــسَّرَائِرِ عَــالِمُ؟!
مَــا الأَمْــرُ فِيكَ كَمَا زَعَمْتَ، وإِنَّمَا
أَنْــتَ امْــرُؤٌ فِــيمَا أَهَمَّــكَ وَاهِــمُ

(١) لعله مأخوذ من قول أبي تمام (ديوانه ١٧٩/٣).
ولم أرَ كالمعروف تُدعى حقوقه		مغارمَ في الأقوال وهْيَ مغانم
(٢) الجواب مذكور في (أعيان العصر).

أَنَسِيتَ أَنَّ اللهَ فِي أَحْكَامِهِ
عَدْلٌ، وأَنَّكَ فِي الحَقِيقَةِ ظَالِمُ؟

فَاقْتَصَّ لِي مِنْكَ الغَدَاةَ بِمِثْلِهَا
عَامَلْتَنِي، وَاللهُ عَدْلٌ حَاكِمُ

كَمْ قَدْ قَطَعْتُ اللَّيْلَ مِنْكَ مُسَهَّدًا
والقَلْبُ مُلْتَهِبٌ وَطَرْفِي سَاجِمُ

أَسْتَصْرِخُ الأَنْصارَ فِيك، وكُلُّهُمْ
فِي غَفْلَةٍ عَمَّا دَهَانِي نَائِمُ

وإِذَا طَلَبْتُ الرَّوْحَ مِن نَفَسِ الصَّبَا
مَرَّتْ بِيَ النَّسَمَاتُ وهْيَ سَمَائِمُ

فَأَقَمْتُ فِي صَفَدٍ، وَدَمْعِيَ مُطْلَقٌ
حُزْنًا، وَمَالِيَ فِي البَرِيَّةِ رَاحِمُ

حَتَّى إِذَا عَلِمَ الإِلهُ ضَرُورَتِي
نَجَّى، وَطَرْفُكَ بالغِوَايَةِ حَالِمُ

فَأَنِبْ، وَتُبْ لِلّهِ، وارْضَ بِحُكْمِه
واصْبِرْ، فَحُكْمُ اللهِ أَمْرٌ لازِمُ

لَعَسَاكَ تُؤْجَرُ، أو تَرَى لَك مَخْلَصًا
مِنْ ضِيقِ حَالٍ[1] ضُرُّها مُتَفَاقِمُ

(١) بأعيان: حال ضره.

والله مَـا لِـي في خُـرُوجِكَ مَدْخَلٌ
كَـلاَّ، وَلاَ طَبْعِـي لِـذَاكَ يُلاَئِـمُ
فَعَلَـيْكَ بالـصَّبْرِ الجَمِـيلِ، فَإنَّـهُ
لِجِـرَاحِ نَـابَ النَّائِـبَاتِ مَـرَاهِمُ
مَـا دَامَ بِـي بِخِـلاَفِ قَصْدِكَ شِدَّةٌ
وَكَـذَاكَ مَـا تَخْـشَاهُ مَـا هُوَ دَائِمُ
أَعْـزز عَلَّـى بِـأَنْ يُـسُوءَكَ حَادِثٌ
أَوْ أَنَّ أَنْفَـكَ في الـرَّزِيَّةِ رَاغِـمُ
مَـا احْـتَجْتُ لِلـتِّذْكَارِ مِنْكَ لأَنَّنِي
لَـكَ في الـرَّخَاءِ وفي الـشَّقَاءِ أُقَاسِمُ
فَلأَبْـذُلَنَّ علـيك مَجْهُـودِي إلى
أن تَنْقَـضِي الـبَلْوَى، وبالُـكَ ناعِمُ
فَـتَوَخَّ في الأَسْـحَارِ أَوْقَـاتَ الدُّعا
إنَّ الـدُّعَاءَ لِدَفْـعِ ذَاكَ دَعَـائِمُ
فَكَأَنَّنِـي بِـكَ قَدْ خَلَصْتَ خُلُوصَ بَدْ
رِ الـتِّمِّ حَـيْثُ سَـحَابُهُ مُتَـرَاكِمُ
وَصَـفَوْتَ كالإِبْرِيـزِ يَخْرُجُ مِنْ لَظًى
والـصُّبْحُ أَخْفَـاهُ الظَّـلاَمُ العَاتِمُ(١)

(١) صدر هذا البيت بالأصل: «**وصفوت بالإبريز**». واخترت عبارة النسخ الأخرى. وعجز البيت في أعيان : «**أخفاء ليل عاتم**» .

وَأرَاكَ مَـــسْرُورًا وَوَجْهُـــكَ مُـــسْفِرٌ
بِـــشْرًا، وثَغْـــرُكَ بالأَمَانِـــي بَاسِـــمُ
وَكَأَنَّمَـــا قَـــدْ كَـــانَ مِنْ عَبَثِ الرَّدَى
بِـــك لِـــمْ يَكُـــنْ وَلَكَ الزَّمَانُ مُسَالِمُ

وكتبت إليه وقد أعارني نسخةً من الفلك الدائر على المثل السائر:

(من السريع)

فَـــدَيْتُ مَـــوْلًى خَالَنِـــي مُقْتِـــرًا
فَعَمَّنِـــــي بالـــــنَّائِلِ الغَامِـــــرِ
لَـــمْ يَـــرْضَ بِـــالأَرْضِ عَلَـــى قَـــدْرِهِ
فَجَادَلِـــــي بِالْفَلَـــــكِ الدَّائِـــــرِ
فَـــرَاحَ وَصْـــفِي فِي عُـــلاَ مَجْـــدِهِ
مُـــــشْتَهِرًا كَالْمَـــــثَلِ الـــــسَّائِرِ

وأنشدني لنفسه في ضوءِ البدر إذا لاح بين الغصون[1]:

(من السريع)

نَظَـــرْتُ فِي الـــشُّهْبِ وَقَـــدْ أَحْدَقَتْ
بِالـــبَدْرِ مِـــنْهَا فِي الدَّيَاجِـــي عُـــيُونْ
والـــرَّوْضُ يَـــسْتَجْلِي سَـــنَا نُـــورِهِ
فَتحـــسُدُ الأَرْضُ علـــيه[2] الغُـــصُون

(١) وردت الأبيات الآتية في (الدرر ٣/٢٤٢).

(٢) «وعليها الغصون» بالدرر.

وكُلَّمَا صَانَتْهُ أَوْرَاقُهُ
نَازَعَهَا الرِّيحُ فَلاحَ المَصُون
فَقُلْتُ: حَتَّى البَدْرُ لَمْ يُخْلِه
رَيْبُ اللَّيالِي في السَّمَا مِنْ عُيُون!

فقلتُ له أَحسنتَ. ولكنْ أطلتَ فيه النفسَ في أربعة، ولو كان ذلك في بيتين لكان أحسن.

وأنشدتُه لنفسى فيما بعد ذلك[1]. (من السريع)

كَأَنَّمَا الأَغْصَانُ لَمَّا انْثَنَتْ
أَمَامَ بَدْرِ التِّمِّ في غَيْهَبِه
بِنْتُ مليكٍ خَلْفَ شُبَّاكها
تفَرَّجتْ منه على مَوْكبه[2]

وسيأتى عند ذكر جمال الدين يوسفَ النابلسيِّ الصوفيِّ في شيءٍ من هذا لي أيضًا، في هذا المعنى.

وأنشدتُه لنفسى الأبيات التى أَوْرَدْتُها في ذكر الشيخ نجم الدين حسن بن محمد الخطيب الصفدى[3] وأولها: (من الكامل)

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكُمْ بِحَرْبٍ يَنْثَنِي
عَنْ بَأْسِهَا اللَّيْثُ الهِزَبْرُ الأَغْلَبُ[4]

---

(١) ورد البيتان في: (خزانة الحموى/٢٢٦، و الغيث المنسجم ١/١٤٤).

(٢) مأخوذ من قول ابن قرناص، كما جاء في (مطالع البدور ١/١١٧).

وحديقة غناء ينتظم الندا بفروعها كالدر في الأسلاك
والبدر يشرق من خلال غصونها مثل المليح يطل من شباك

(٣) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب (ص/٢٥٣ (٣٠٣).

(٤) انظر (ص/٢٥٧) من الجزء الأول من هذا الكتاب.

فأنشدني هو لنفسه في المعنى:

(من الكامل)

وَلَقَــدْ ذَكَــرْتُكَ عِــنْدَمَا بَلَــغَ الرُّبَا
عَــرَقُ الجِــيَادِ وَفَــاضَ مَــاءُ النِّيلِ

وَالْبَحْــرُ بَــرٌّ بالوُحُــول، وَقَد طَمَى
بالبَــرِّ بَحْــرُ فَرْسَــخٌ فِي مِــيلِ

والــنَّاسُ قَــدْ خَاضُوا فأغرِقَ بَعْضُهُمْ
وَنَجــا القَلِــيلُ بِــضَجَّةٍ وَعَــوِيلِ

وَقُلُــوبُهُمْ مِــنْ رُوْعِهَــا فِي غَمْــرَةٍ
وَبِطِــيبِ ذِكْــرِكَ بَيْــنَهُمْ تَعْلِيلِــي

عمرُ بن مُظفَّر بنِ عُمرَ بنِ مُحمدَّ بنِ أبي الفوارس، الإمامُ العلاَّمةُ الفاضلُ الفقيهُ النحويُّ الأديبُ الناظمُ الناثرُ. القاضي زينُ الدين المعرّي ابن الوَرْديّ الشافعي(*).

كتبت أنا إليه في سنة أربعين وسبعمائة من دمشقَ المحروسة وهو يومئذ بحلبَ المحروسة[1].
(من المتقارب)

سَــلاَمٌ عَلَــى الْحَــضْرَةِ العَالِــيَه
سَــلاَمُ امْــرِىءٍ نَفْــسُهُ عَانِــيَه

(*) المتوفى سنة ٧٤٩هـ. له ترجمة في: (البدر الطالع: ٥١٤/١، والدّرر: ٢٧٢/٣)، وطبقات الشافعية الكبرى: (٣٧٣/١٠)، وفوات الوفيات (٢٢٩/٢)، وأعيان العصر: (١٠٥/٧) أ من النسخة ١٠٩١ تاريخ، وغيرها.

(١) وردت الرسالة برمتها في: (أعيان ١٠٧/٧أ، والوافي جـ ٥ الورقة ٢٢ وما بعدها من النسخة ١٢١٩ تاريخ).

لأنَّ لَهَا رُتْبَةً في العُلاَ
ذَوَائِبُها في السَّمَا سَامِيَةْ
وَيُونسُ مَنْ قَدْ غَدَا يَجْتَني
قُطُوفَ مَسَرَّاتِهَا دَانيَه[1]
أَيَا عُمَرَ الوقْتِ أَنْتَ الَّذي
كَرَامَاتُهُ في الوَرَى سَارِيَه
وَيَا بَحْرَ عِلْمٍ طَمَى لُجُّه
فَكَمْ جَاءَنَا عَنْهُ مِنْ رَاوِيَه
وَيَا فَاضِلاً أَصْبَحَتْ رَوْضَةُ الْـ
ـعُلُومِ بِتَحْقِيقِهِ زَاهِيَه
لَكَ الخَطُّ[2] كَمْ فِيه من نُقْطَةٍ
لَهَا الحَظُّ بالقَلْبِ في زَاوِيَه
تَقَدَّمْتَ في النَّظْمِ مَنْ قَدْ مَضَى
لأَنَّكَ في الذُّرْوَةِ العَالِيَه
وأَرْخَصْتَ أَسْعَارَ أَشْعَارِهِمْ
كَأَنَّ مِدَادَكَ مِنْ غَالِيَه[3]

(١) يشير إلى قوله تعالى في وصف الجنة: «**قطوفها دانية**» الآية: ٢٣ (الحاقة).
(٢) «**ولك الخط**» في (ب، وأعيان، الواف).
(٣) الغالية: أخلاط الطيب كالمسك والعنبر.

وَكَـــمْ مِـــنْ قَـــصِيد إذَا حُكْـــتَهَا
تكُـــونُ القُلُـــوبُ لَهَـــا قَافـــيَه
وَنَظَّمْـــتَ في مَـــذْهَبِ الـــشَّافعيِّ
كِـــتابًا غَـــدا حَاوِيًـــا حَاوِيَـــه[١]
وَزِدْتَ مَـــــسَائلَهُ جُمْلَـــــةً
بِتَحْقِـــيقِ مَذْهَـــبِهِ وَافِـــيه
فَمَـــا لَـــكَ مِـــن مُـــشْبِهٍ في الـــوَرَى
ويَـــا حُـــسنَ مَـــا هَـــذِهِ نَافـــيه[٢]
لَـــئِنْ كُـــنْتَ أَرْسَـــلْتَ هَذَا القَرِيضَ
فَلِلْبَحْـــرِ قَـــدْ سُـــقْتَه سَـــاقِيَه
وإلاَّ فَأَهْـــدَيتَ نَحْـــوَ الـــرِّيَاضِ
وَقَـــد أيْـــنَعَت زَهْـــرَةً ذَاوِيَـــه
وَسِـــتْرُكَ إِنْ لَـــمْ أكُـــنْ حَاضِـــرًا
يُغَطِّـــي مَـــساوِئَه[٣] الـــبَادِيَه
فَـــلا زِلْـــت في نعمـــة ، وفْـــرُها
يُـــساقُ لَـــه جملـــةٌ باقـــيه

---

(١) قال ابن حجر (الدرر ٢٧٢/٣): «**ونظم** (البهجة الوردية) في خمسة آلاف بيت وثلاث وستين بيتا أتى على الحاوى الصغير بغالب ألفاظه. وأقسم بالله لم ينظم أحد بعده في الفقه إلا وقصر دونه».

(٢) «**ويا حسن ما ها هنا فيه**» بأعيان.

(٣) «**يغطي مساوئها**» بالوافي.

يُقبِّلُ الأَرضَ، ويسأَلُ اللهَ أَن يَمُنَّ عليه بجمع شمْله، وأَن يقرِّبَ اللقاءَ فإن التَّمنِّي قد أطالَ المُدَّة في وضع حمله [وأَن يُخفِّفَ وجْدَهُ الذي أَنْسَى المُتَيَّمَ العُذرىَّ وَجْدَهُ بدَعْده وجُمْله[1]]، وأَن يُرِيَه ذلك الشخصَ الذي يروقُ البدورَ السَّيارَه، ويَرُوعُ الأَسود الزَّآرَه، وأَن يرزقَهُ اجتلاءَ ذلك الروضِ الذي يَجْنى بسمعه أَزهارَه التي تَسْلُبُ النظَّارَةَ بالنَّضارَه، وأَن يُوردَهُ على ظمائه البَرْح تلك الفضائل التى أَبْحُرُها زخَّارَه، وأَمواجُها هدَّارَه، وأَن يُنْزِلَه المحلَّ الذي يخرجُ منه ومعه بَكَارَةُ المعانى التي يَبْرُزُ منها بكارَةَ بعد كارَه، وأَن يُمتِّعَ طرْفَهُ بذلك البدرِ الذي يأْخذُ من فوائده الكواكبُ السيَّارَه، وأَن يُطْلِعَ عليه شمسَ فوائده الَّتى تُشْرِقُ من الطُّلْبَة في[2] الهالة أو الدَّارَه:

(من الوافر)

(لَعَـــلَّ اللهَ يَجْعَلُــــهُ اجْـــتمَاعًا

يُعِـــينُ عَلَـــى الإِقَامَـــةِ في ذَرَاكَـــا[3]

ويُنْهِى أنه لما كَانَ[4] في الدِّيارِ المصرية، حضر من حلبَ المحروسة المولى شمسُ الدين محمدُ بنُ على بن أَيبك السُّروجىُّ[5]، وأَنشد المملوكَ تضمينَ أَعجازِ أَبيات من مُلْحَة الإعراب لمولانا، أدام الله فوائدَه. فأَخذ من المملوك بمجامعِ قلبه، ودخل على لُبِّه بهمزة سَلْبِه؛ وعلِمَ به القدرةَ

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من (أعيان).

(٢) لعلها من الطلبة – بتضعيف الطاء المرفوعة – وهى: السفرة البعيدة.

(٣) البيت للمتنبى (الإبانة/١٤٣) برواية: «لعل الله يجعله رحيلاً». وديوانه (٣٨٨/٢) من قصيدة في مدح أبي شجاع عضد الدولة وتوديعه،مطلعها:-

فــدى لك من يقصر من مداها		فـــلا ملـــك إذن إلا فـــداكا

(٤) بأعيان «لما في الديار» بالحذف.

(٥) كان أديبًا ظريفًا معدودًا في زمرة الحفاظ توفى سنة ٧٤٤هـــ، ترجمته (الدرر ١٧٧/٤).

على التَّصرُّفِ في الكلام، وتحقّق أنَّ نظمَ غيرِه إذا سُمع قُوبل بالملال والَملام. وقال في ذلك الوقت عندما حصل له في كلام مولانا المقةُ وفي كلام غير المقت :

(من السريع)

يــــا سَـــائلاً عَمَّـــنْ غَـــدَا فَـــضْلُهُ

مُــــشْتَهِرًا في القُـــــرْبِ والــــبُعْدِ

الــــنَّاسُ زَهْـــرٌ في الثَّـــرَى نَابِـــتٌ

وَمَـــا تَـــرى أذْكَـــى مِـــنَ الـــوَرْدِى

وكان المملوكُ قد علّقَها. وأدخلها أبوابَ جامعه[١] وأَغلَقَها. فاغتالَتْها يدُ الضَّيا ع، وعدم أُنسَ حُسنِها المُحقّق من بين الَرقاع.

ثم إني سألته أن يجيز لى، فكتب هو إلّي الجواب[٢].

كتب إلَيّ فلانٌ مدّ الله في جاهِه، وجمَّل النوعَ الإنسانيَّ بحياة أَشْباهه، يستحيزُ منى روايةَ مُصنَّفاتى، ومَرْويّاتى، ومُؤلّفاتى. فَفَدَيْته سائلاً، وأَجبتُه قائلا:

«أما[٣] بعدُ حمد الله جابرِ الكسير، والصلاة على نبيه البشيرِ النَّذير. وعلى آله الذين أُعْرِبَتْ أفعالُهم فسكن حُبُّ أسمائهم في مُسْتَكَنِّ الضمير. [وعلى صحبه الذين وجب رفعُهم على الابتداء وسلم جمعهُم من التكسير][٤] فَـــ «إنِّى أُلْقَى إلىّ كتابٌ كريمٌ»، يشتمل. بعد «بسم

(١) «أبواب حاصله» بالوافى.

(٢) بأعيان: «ثم أنى سألته أن يجيز لى رواية ما يجوز له تسميعه، فكتب الجواب ومن خطه نقلت» ثم أورد الجواب. وكذلك وردت الإجازة بالوافى.

(٣) ورد الكلام – من هنا، إلى نهاية الجواب، في ديوان ابن الوردى (١٦١: ١٦٣).

(٤) زيادة من ديوانه. وبعدها فيه: «فإنني ألقى» .

الله الرحمن الرحيم»، على نظم فائقٍ بهيّ، ونثر رائقٍ شهيٍّ[1] غرسَ لى أُصولَه بفضله خليلٌ جليل، فامْتدَّ عليَّ من فُروعه ظلٌّ ظليل. قرأتُه فانتصبتُ له قائمًا على الحال، وتميَّزْتُ به على غيرى فطبْتُ نفسًا بعد الاعتلال، وابْتهلْتُ بالدُّعاء لمُهْديه مُخلصا، ولكن أسأتُ الأدبَ إذ وازنتُ جواهرَ نظمه بالحَصى[2]. حيث قلتُ:

(من المتقارب)

سَـلامٌ عَلَـى نَفْـسِك الـزَّاكيَهْ
وَشُـكْرًا لِهِمَّـتِكَ العَالـيَهْ
أزَهْـرًا أمِ الزُّهْـرَ أهْدَيْـتَهَا
لِعَـبْدٍ مَدَامِعُـهُ جَارِيَـهْ؟!
بَـلِ الأمْـنَ أرْسَـلْتَه مُحْـسِنًا
أمِـنْتُ بِـهِ كَـيْدَ أعْدَائـيَه
كِـتَابٌ يَفُـوحُ شَـذَا نَـشْرِه
فَلِـي مِـنْهُ رائِحَـةٌ جَانِـيَه
وَسَـعْدٌ مغاديـه[3] عن مَركز السَّـ
ـعَـادةِ يُلْجَـى إلى زاوِيَـه

وفي العبارة اقتباس من الآيتين: ٢٩-٣٠ من سورة النمل. «قالت يا أيها الملأ إنّى ألقي إليّ كتاب كريم، إنه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم»

(١) عبارة الديوان: «على نظم بهى فائق، ونثر شهى رائق».

(٢) يشير إلى قول المعرى (سقط الزند/ ٩٨):-

قـد أجبـنا قول الشريف بقولٍ ... فأتيـنا الحـصى عـن المـرجان

(٣) في الديوان: «وسعد أعاديه». وفي (ب): «وسعد مجاريه».

إذا حَمَلَ[1] الجَدْىُ في نَطْحه ... فَفَأْسٌ إلى رَأْسِه دانيه
وقابَلَني حينَ قَبَّلْتُهُ ... من الطِّيبِ ما أرْخَص الغاليَه
وَفكَّهَني في جَنَى غَرْسِه ... وَلاَ سِيَّمَا بَيتُ مَا النَّافيه
مُقَرَّبُ إيضَاحه عُمْدَةٌ ... مَعَانيه شَافيَةٌ كَافيَةٌ[2]
تَرِدُّدُ عَيني به لا سُدَى ... آياديه رَائقَةٌ رَاقيَه
لَعَلَّ الخَليلَ يُدَاني به ... ليَجْعَلَها كِلْمَةٌ بَاقيَه
فَيَا جابِرًا دُمْ مَعَاذًا فَكَمْ ... بَعَثْتَ لِمَحْلِيَ مِنْ سَارِيَه[3]
لأقلامك الرُّفْعُ تَبنى بها ... على الفتح أفعالُها الماضيه[4]

---

(١) «إذا عمل» . بديوانه.
(٢) البيت ساقط من أعيان العصر.
(٣) بديوانه: فيا جابرًا دم معاذًا وها ... أنا عمر وهي لي ساريه
(٤) نهاية الشطر في الديوان: «يبنى بها». ونهاية الثاني في (ب، والديوان): أفعالك الماضية.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ سَبَا نُورُهَا
لَمَا حَمَلِ الحَاسِدُ الغَاشِيَه
فَإنْ أهْلَكَ النَّاسَ جَهْلٌ بِهِمْ
فَأَنْتَ مِنَ الفِرْقَةِ النَّاجِيَه
فَكَمْ بَابُ نَصْرٍ تَبَوَّأتَهُ
فَأذْهَانُنَا مِنْهُ كالْجَابِيَه
رَضِي بِكَ عَنْ دَهْرِهِ سَاخِطٌ
فَلاَ زِلْتَ في عِيشَةٍ راضِيَه
وإنِّي لَفِي خَجَلٍ مِنْكَ، إذْ
أجَبْتُكَ في الوَزْنِ والقَافِيَه
فَعَفْوًا وَصَفْحًا ولا تَنْتَقِدْ[1]
وَيَا بَحْرُ مَالَكَ والسَّاقِيَه
لِيَهْنِكَ أنَّكَ عَيْنُ الزَّمَانِ
فَلَيْتَ عَلَى عَيْنِهِ الوَاقِيَه

ولما انتهيتُ إلى استجازته التي انتظمَتْ في سلوك الحُسن بحُسن السّلوك، واسْتَعْظَمْتُ فلولا حُسْنُ الظنِّ لأوْهَمَتْ تَمكُّمَ المالك بالمملوك؛ أحجمتُ عن إجازة من شَمَّر في العقل والنَّقل لتحقيق[2] القديم والحديث، وتبحَّرَ في إغراب الإعراب، حتى كأنَّ النحاة إياه عَنَوْا بمسألة «سيرُكَ السيرَ الحثيثَ»، وقلتُ ماذا أصف؟! وبأيِّ عبارةٍ أنْتَصِف، في

(١) «فلا تنتقد» بديوانه.

(٢) بالديوان: «والنقل لمعرفة القديم».

إجازة مَنْ إذا كتبَ طرَّزَ بالليلِ رداءَ نهاره، وإذا نَثر فالأنجمُ الزُّهرُ بعضُ نَثاره، وإذا نظمَ لم يَقنَعْ من الدُّرِّ إلا بكبَاره[١]، ولم يرضَ من المعاني إلا بدقيقٍ من بين حَجَريْه الثمينين بل أحْجاره، إنْ أعرَبَ فوَيْه على سيبويْه، وإن نحا فهو الخليلُ غيرَ مكذوب عليه. يأتي بما يَفترُّ عنه المُبرِّد، ويشقُّ [له][٢] الكسائي كساءه ويُحرِّد، ويقول الزَّجاجي[٣]: أيها الشابُّ؛ لقد أحملَتْ جواهرُك [قوارير] صرحى المُمَرَّد، [وينادي ابنُ أبي الحديد: يا ويلتي حتى الحديد سطا عليه المبرد][٤]، ويستخدمُ ملكَ النّحاةِ في جُنده، ويُرفرفُ ابنُ عصفور عليه بجناحَيْه، ويَحْلف أنه الخليفةُ من بعده، بتعمّقٍ يُزْحفُ حُروفَ الحُرُوف، ويُنْصفُ حتى لا يعدو ثعلبٌ، ولا أكبرُ منه على ابن خروف. ويَصْدُقُ حتى لا يُقالُ ضربَ زيدٌ عمرا، ويَعدلُ حتى لا يَشتُمَ خالدٌ بكرا، مع بساتين فنون أُخر تهتزُّ بنسمات[٥] السَّحر عَذَباتُ أفنانها، ويقول حاسدُها: آه فتشبُّه في العظَم[٦] ألفهُ قدودَ نخْلها، وهاؤه ثمرَ رُمّانها.

---

(١) مأخوذ من قول المتنبي (ديوانه ٢/٩٦).

ومن كنت بحرًا له يا عليُّ فلم يقبل الدُّرُّ إلا كبارا

(٢) بالديوان: «**ويشق له .. ويحرد**» والحرد: الغضب، وتحرد - بتضعيف الراء - تنحى.

(٣) بالدويان: «**أيها الشاب قد أحملت**». والزجاجي: هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي — نسب إلى الزجاج، لملازمته إياه — ولد في نهاوند، وأخذ عن الزجاج ببغداد، وصار معلمًا في دمشق وغيرها وكان إمامًا في النحو. من أشهر مؤلفاته: كتاب «**الجمل في النحو**» توفي سنة ٣٣٧هـ. وقيل غير ذلك انظر (تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ٢/١٧٣)، و(وفيات الأعيان٢/٣١٧).

(٤) الزيادة في الموضعين عن الديوان. وعبارة (أعيان) بالزبارة أيضًا هكذا: «**وينادي ابن أبي الحديد سطا عليك لسانك المبرد**».

وهو هنا يصدر عن قول الشاعر:

ولكل شيءٍ آفةٌ من جنسه حتى الحديد سطا عليه المبردُ

(٥) «**تهزأ بنسمات**» بالديوان.

(٦) بالديوان: «**فتسبه ألفها قدود**».

ثم فكرتُ في أنَّ كتَابَه الشريفَ آمنني النُّوَب[1]، وخصّني بالنَّوْبة الجليلة من بين النُّوب، وكفاني مُواثبةَ العكس والطَّرْد، وأوْلاني مُناسبةَ الغَرْسِ للورْد؛ فترددتُ هل أفعلُ أوْ لا؟، ثم ظهر لى أنَّ امتثال المرسوم أوْلى، وجَسَّرَني على ذلك مرسومُ شيخ الأدب ورُحْلته، وركنه الأعظم وقبلَته؛ شيخنا[2] الفذّ جمال الدين بن نُباته - فسح الله في مُدّته وأبقى حياته - الذي إن نثر جعل اللُّجينَ إبريزًا بحسن السَّبْك، وإنْ نَظم قال نظمُه لقرينَتيه[3] الحُسْنُ والقبولُ: قفَا نَضْحَك من قفانَبْك[4]، لا جرَم أنّا من بحره الحُلو نغترف [وبالتقاط جواهره التي ألقاها على مفارق طرق البلاغة نعترف][5]. فأطعتُ إذًا أمرَه طالبًا صفحَهُ وستْرَه.

وقلتُ [لعمرى][6] لقد بدأتني - أعزك الله - بما كنت أنا به أحرى[7]، وكلَّفتَني شططًا فتلَوْتُ: «**ستجدُني إنْ شاءَ الله صابرًا ولا أعْصي لك أمْرًا**»[8]. وها قد أجزت لك مُتطفّلاً عليك، وأذنْتُ لك[9] متوَسّلاً إليك، أنْ تروىَ عني ما يجوزُ لى روايتُه وإسماعُه، ليتّصل بك[10]،

---

(١) كتاب مولانا أمنني بالديوان.

(٢) «**وقبلته القاضى الفاضل جمال الدين**» بالديوان.

(٣) «**لقرينيه**» بالديوان .

(٤) يشير إلى قول امرئ القيس :

قفــا نــبك من ذكرى حبيب بـــسقط اللوى بين الدخول فحَوْمل

(٥) الزيادة من الديوان، وأعيان العصر. والعبارة في الأخير: «**جواهره التي زان بها مفارق**».

(٦) الزياة عن أعيان والديوان. والعبارة قبلها في الأخير: «**وأطعت إذا أمرك طالبًا صفحك وسترك**».

(٧) بأعيان «**بما كنت به أنا**» .

(٨) من الآية / ٦٩ من سورة (الكهف).

(٩) «**وإن كنت بك متوسلا إليك**» بالديوان.

(١٠) بالديوان : «**ما تجوز لى روايته.. ليصل بك**» .

فما اتَّصل بك أُمِنَ انْقطَاعُه، من منقولٍ ومَقولٍ[1] وفُروعٍ وأُصول، ونثرٍ ونظم، وأدبٍ وعلْم، وشرحٍ وتأْليف، وبسطٍ وتصْنيف، [بشرطهِ المضبُوط، وضبطه المشروط][2].

أمّا مُصنَّفَاتي الشاهدةُ عليَّ بقصُور الباع، ومؤلفاتي المشيرةُ إليَّ بقلَّة الاطلاع. وسرد هاهنا أسماءَ مُصنَّفَاته[3]. ثم قال: وما لا يحضرني الآن ذكْرُه، وكان الأوْلى بي ستْرُه. أجزتُ لك - أيَّدك الله - روايةً[4] الجميع عني بإفضالك، وروايةَ ما أُدوِّنه، وأجمعُه بعد ذلك؛ حسبما اقترحه خاطرُك العزيز، واستوْجَبْتَ به مَدْحي فأنا المادح وأنا المُجيز. [كتبه عمر بن المظفر في العشر الأُول من شعبان المبارك سنة أربعين وسبعمائة][5].

ولما سمع قولي[6]:

(من السريع)

أَتْـرُكْ هَـوَى الأَتْـرَاكِ إِنْ شِئْتَ أَنْ
لاَ تُبْتَلَـى فِـيهِمْ بِهَـمٍّ وَضَـيْر
ولا تُـرَجِّ الجُـودَ مِـنْ وَصْـلِهِمْ
مَـا ضَـاقَتِ الأَعْـيُنُ مِـنْهُمْ لِخَير

---

(١) «من منقول ومعقول» بالديوان

(٢) مع تقديم وتأخير، في الديوان. وبعدها فيه: «فأما مصنفاتي».

(٣) سرد أسماء مصنفاته بالديوان (١١٣) وبأعيان العصر (٧/١١٠)أ.

(٤) «أن تروى عنى الجميع» بالديوان.

(٥) زيادة من (أعيان).

(٦) ورد البيتان في : (الغيث٢/١٢)، وأعيان (٧/١١٢)، والبدر الطالع ١/٥١٥، والدرر ٣/٢٧٣).

قال هو مختصرًا[1]:

(من المتقارب)

سَـلِ اللـهَ ربَّـكَ مِـنْ فَـضْله
إذَا عَرَضَـتْ حَاجَـةٌ مُقْلِقَـه

وَلاَ تقـصدِ التُّـرْكَ في حَاجَـةٍ
فَأَعْـيُهُمْ أعْـيُنٌ ضَـيِّقَه

ولمَّا سَمِع قَوْلي[2]: (من البسيط)

رَكِـبْتُ في البَحْرِ يَوْمًا مَعْ أخِي أَدَبٍ
فَقَـالَ: دَعْنِـيَ مِـنْ قَـالٍ وَمِنْ قِيلِ

شَـرَحْتَ يا بَحْرُ صَدْرِي اليَوْمَ قُلْتُ لَهُ
لاَ تُنْكِـرِ الـشَّرْحَ يَاأخُـوِيُّ لِلنِّـيلِ

قال هو وزاد[3]: (من البسيط)

دِيَـارُ مِـصْرٍ هِـيَ الدُّنْيَا، وسَاكِنُها
هُـمُ الأنَـامُ، فَقَـابِلْهُمْ بِتَقْبِـيلِ

يَـامَنْ يُبَاهِـي بِـبَغْدَادٍ ودِجْلَـتِهَا
مِـصْرٌ مُقَدَّمَـةٌ والـشَّرْحُ لِلنِّـيلِ

---

(١) البيتان بديوانه (٢٣٩، ٢٤٠)، وخزانة الحموي (٣٧٦)، وأعيان العصر (١١٢/٧)، ودرة الأسلاك (٤٨٣/٢)، ومجموعة الدر (٩٧٤).

(٢) البيتان في (حسن المحاضرة ١٩٠/٢)، وأعيان العصر (١١٢/٧)، وفض الختام (٤٤).

(٣) البيتان (بديوانه/٢٥٢، ومطالع البدور (٧٥/٢)، وخزانة الحموي (٣٨٠)، وأعيان العصر، والمنهل الصافي (٤٨٩)، والتعبير في الأخير: «فقابلها بتقبيل».

ولما سمع قولي[١]: (من المتقارب)

كُــؤوسُ المُــدَامِ تُحِـبُّ الـصَّفَا
فَكُــنْ لِتَــصَاوِيرِهَا مُــبْطِلاَ

وَدَعْهَــا ســواذج مِــنْ نَقْــشِهَا
فَأَحْــسَنُ مَــا ذُهِّــبَتْ بــالطِّلاَ

قال هو[٢]:

(من السريع)

أَحْــسَنَ مَــا كَانَــتْ كُــؤوسُ الطِّلاَ
سَــوَاذِجًا يَــبْدُو بِهَــا الخَافِــي

فالــنَّقْشُ نَقْــصٌ، ومِــنَ الــرَّأْيِ أَنْ
تَرْتَــشِفَ الــصَّافِي مِــنَ الــصَّافِي

وقال أيضًا مختصرًا[٣]: (من مجزوءِ المتقارب)

دَعِ الكَــأْسَ مِــنْ نَقْــشِهَا
فَــصَافٍ بِــصَافٍ أَحَــبْ

(١) البيتان في (مطالع البدور (١/١٣٣)، برواية: «تحت الصفا»، ونصرة الثائر (٢٠١)، وخزانة الحموى (٣٧٠)، والنجوم الزاهرة (١١/٢٠)، وأعيان العصر، وتأهيل الغريب (٣٠٧)، وبهجة الناظر (٢٠٨) ب والرواية في الأخير: «ودعها سواذجًا من نقشها».

(٢) البيتان (بديوانه/١٤٤، وأعيان العصر).

(٣) البيتان (بديوانه/١٤٤، ومطالع البدور: ١/١٣٧، وأعيان العصر، وبهجة الناظر/ ٢٠٨، ورواية الأول فيه : «دع الكاسات ... فصاف بصاف من لونها أحمر» . والوزن يرفضه.

إِذَا ذُهِّبَتْ بِالطِّلاَ
فَقَدْ طُلِيَتْ بِالذَّهَبْ

ولما سمع قولي[1]: (من السريع)

تَزَوَّجَ الشَّيْخُ بِتُرْكِيَّةٍ
تَضُمُّ في الغُرْبَةِ أطْرَافَه
كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا شَمْعَةٌ
وَهْيَ على العُشَّاقِ طَوَّافَه

وقولي أيضًا في مخيله[2]:

(من السريع)

نَقَّطَ دَمْعِي الخَدَّ عِشْقًا وَقَدْ
قَامَتْ إلى الرَّقْصِ خَيَالِيَّه
فَمَا رَأَتْ عَيْنِي لَهَا مُشْبِهًا
مِصْرِيَّةٌ في ضَوْءِ شَامِيَّه

جمع هو المقصدين في مقطوع واحد وقال[3]:

(من السريع)

جَاءَتْكَ فِي طَيْفِ خَيَالٍ حَكَتْ
خَيَالَ طَيْفٍ هَزَّ أعْطَافَه

---

(١) البيتان بأعيان العصر.

(٢) البيتان: بأعيان العصر برواية: «**نقط خدى الدمع عشقا**».

(٣) البيتان بديوانه (١٤٣) برواية: «**يا حين ذى الشمعة طوافة**»، كما وردا في أعيان العصر، برواية «**مصرية في نور شامية**».

مِـــصْرِيَّةٌ مِـــنْ نُـــورِ شَـــامِيَّةٍ
يَـــا حِـــينَ ذَا الـــشَّمعَةِ طَـــوَّافَه

ولما سمع قولي[1]: (من الخفيف)

وَمَلِـــيحٍ طِـــرَازُ كُمَّـــيْه أضْـــحَى
مِـــثْلَ خَـــطِّ العِـــذَارِ فِي حُـــسْنِ رُقْمِ
قَـــالَ قُلْـــتُ الظِّـــبَاءَ مِثْلِـــي، وَما عَا
زَتْ ظِـــبَاءُ الفَـــلاَ سِـــوَى طِرْزِ كُمِّي

وقولي أيضًا وفيه تضمين[2]: (من الوافر)

ضَـــمَمْتُ مُعَذِّبِـــي لَمَّـــا أتَانِـــي
ورُقْـــمُ طِـــرَازِهِ قَـــدْ رَاقَ عَيْنِـــي
فَـــيَا طِـــرْزَيْهِ هَـــلْ يُـــدْنِي زَمَـــانِي
(لَـــيَالِي وَصْـــلَنَا بالـــرُّقْمَتَيْنِ)؟!

جمعهما في بحرٍ أقصر من ذلك وقال[3]:

(من مجزوء الرّجز)

طِـــرْزُ قِـــبَاءِ مِحْنَتِـــي
كَخَـــدِّهِ وَرُقْمِـــهِ

(١) البيتان وردا في: (أعيان العصر، والحسن الصريح/١٠).

(٢) البيتان في (الحسن الصريح/١٠)، والشطر الأخير من البيت الثاني تضمين من قول الشاعر، (الكشكول للعاملي/١٤١):-

رأت قمر السماء فأذكرتني لـــيالي وصـــلها بالـــرقمتين
كلانـــا ناظـــر قمرا، ولكن رأيـــت بعيـــنها، ورأت بعيني

(٣) البيتان في (ديوانه/١٤٣، وأعيان العصر).

مَـــا أَغْـــوَزَتْ مِــنْهُ الظِّـــبَا
ءُ إِلَّا طِـــــــرَازَ كُمِّــــــهِ

ولما سمع قولي[1]:

(من السريع)

انْهَـــضْ إِلى الـــرَّبْوَةِ مُـــسْتَمْتِعًا
تَجِــدْ مِــنَ اللَّـــذَّاتِ مَـــا يَكْفِـــي
فَالطَّيْـــرُ قَـــدْ غَنَّـــى عَلَـــى عُـــودِهِ
فِـــي الـــرَّوْضِ بَيْنَ الجُنْكِ[2] والدُّفِّ

قال هو[3]:

(من السريع)

دِمَـــشْقُ قُـــلْ مَـــا شِـــئْتَ فِي حُسْنِهَا
وَاحْـــكِ عَـــنِ الـــرَّبْوةِ مَـــا تَحْكِـــي
فَالطَّيْـــرُ قَـــدْ غَنَّـــى عَلَـــى عُـــودِهِ
فِي الـــرَّوْضِ بَـــيْنَ الـــدُّفِّ والجُـــنْكِ

---

(١) البيتان في: (خزانة الحموي/٣٤٢، وفض الختام ١٣٢، وأعيان العصر، والبرق المتألق في في محاسن جلق).

(٢) الجنك: الطنبور: وهو آلة من آلات الطرب.

(٣) البيتان بديوانه ٢٨٥، وخزانة الحموي٣٤٢، وأعيان العصر)، ورواية الشطر الأول في الأولين: «دمشق قل ما شئت في وصفها». ورواية الشطر الرابع في (ألحان السواجع): «وزفها بالدف والجنك» واخترت عبارة الديوان وخزانة. أما رواية أعيان فهي: «ودقها بالدف». ثم علق الصفدي هناك بقوله: «قلت: كذا وجدته. قال: وفيه فساد، وهو أنه أضاف الدف إلى الربوة، والمشهور بين الناس إضافة الجنك إلى الربوة... وإن كان هناك دفوف كثيرة؛ فإن المشهور ما قلته. وقد أخذ المعنى بكماله ونصف البيت الأول من الثاني بلفظه، وهذه مصالته. عفا الله عنه».

ولما سمع قولي[1]:

(من الكامل)

عَجَبًا لِزَهْرِ اللَّوزِ حِينَ يَلُوحُ وَالْـ
أوراقُ إذْ تُجْلَى عَلَى نُظَّارِهِ
عَكَسَ القَضِيَّةَ في الوَرَى، فَمَشِيبُهُ
يَبْيَضُّ مِنْ قَبْلِ اخْضِرارِ عِذارِهِ

قال هو[2] ولكنه اختصر، وقولي أكمل:

(من المجتث)

أشْجَارُ لَوْزٍ تُنَادِي
أمْرِي عَلَى الخُلْفِ جَارِ
بعد اشْتِعالِي مَشِيًا
يَخْضَرُّ مِنِّي عِذَارِي

فلما سمع قولي[3]:

(من الطويل)

أُسَائِلُ عَنْ أرْضٍ أَلِفْتُ رُبُوعَهَا
وَفِيها حَبِيبٌ نِلْتُ مِنْهُ مُرَادِي
فَقَالُوا: مَتى تُظْلِم جلاها بِوَجْهِهِ؟
فَقُلْتُ: أنَا أدْرَى بِشَمْسِ بِلادِي

(١) البيتان وردا في: (أعيان العصر).
(٢) البيتان وردا بأعيان العصر (وقد علق الصفدي هناك بقوله: «قلت: قوله أخصر، لكنه أبتر. وقولي أنا أكمل وأجمل، وقولي عكس القضية أكثر في الاستعمال. من قوله: أمري على الخلف جار».
(٣) البيتان وردا في (أعيان العصر).

قال هو مختصرا[1]: (من المجتث)

مَا الشَّمْسُ عِنْدِي عَلَى مَا زَعَمْتُمْ يَا أعَادِي
دَعُوهُ عَنكُمْ فَإنِّي أدْرَى بِشَمْسِ بِلاَدِي

ولما سمع قولي في مليحٍ أمير[2].

(من المجتث)

هَذَا الأميرُ المُفَدَّى قَلْبُ الْمُعَنَّى أسِيرُهْ
يَقُولُ مَنْ بَاتَ ضَيْفِي عِشْقًا فَإنِّي أمِيرُه

قال هو[3]: (من الطويل)

أَقُولُ لِبَدْرٍ سَائِرٍ بَيْنَ أنْجُمٍ أنْتَ أمِيرُ الْمِصْرِ. قَالَ: أمِيرُه
فَقُلْتُ إذا مَاتَ الكِرَامُ بِأسْرِهِمْ أأنْتَ[4] تَمِيرُ الوَفْدَ؟ قال: أمِيرُه

ولما سمع قولي في مليح فقير[5]:

(١) ورد البيتان (بأعيان العصر) وليسا بديوانه المطبوع.

(٢) البيتان في (أعيان العصر)، والحسن الصريح (٣).

(٣) البيتان بديوانه (٣٣٧)، وأعيان العصر.

(٤) بالألحان، «أنت تمير الوقد» والتصويب من الديوان. وأميره – في هذا البيت-: أقدم لهم الميرة، أي الطعام يجمع للسفر ونحوه.

(٥) البيتان بأعيان العصر.

(من المتقارب)

فَقِـــيرٌ غَنِـــيتُ بِـــهِ فِي الهَـــوَى
إِذَا مَـــا بَـــدَا عَـــنْ مُحَـــيًّا الـــبُدُورِ
وَأَصْـــبَحَ وَجْـــدِي كَـــثِيرًا بِـــهِ
عَلَـــى أَنَّـــهُ قَـــدْ غَـــدَا بِـــالفَقِيرِ

قال هو(١):　　　　(من مجزوء الرمل)

بِـــــي فَقِـــــيرٌ كَفَـــــنِيٌّ
لِـــــسَنَا وَجْـــــهٍ مُـــــنِيرِ
لاَ تَلُمْنِـــــي فِي افْتِـــــضَاحِي
فَغَرَامِـــــي بِـــــالفَقِيرِ

ولما سمع قولي في مليح ناسخ(٢):

(من الوافر)

بُلِـــيتُ بِنَاسِـــخٍ كَالـــبَدْرِ حُـــسْنًا
لَـــهُ خَـــصْرٌ طَفَـــا، والـــرِّدْفُ رَاسِخْ
يَـــرَى جِـــسْمِي ضَـــنًى إِذْ قَطَّ قَلْبِي
وَأَصْـــبَحَ بِالجَفَـــا لِلْوَصْـــلِ نَاسِـــخْ

قال هو(٣):

---

(١) البيتان: بأعيان، وديوانه ٢٨٦ والرواية فيه: «**بي فقير بل غني بسنها...**» .

(٢) البيتان: بأعيان، والحسن الصريح (٧)، ومجموعة الدر (٣٣٢).

(٣) بأعيان: قال هو مختصرا. ثم أورد البيتين، وكذلك وردا في ديوانه (٢٨٨)، وروض الآداب (١٥٨ب). وعلق الصفدي بأعيان على هذين البيتين بقوله: «**قلت: أخذ المعنى واللفظ بعينهما، واختصره لكنه محقه؛ فإنه ما ذكر بالقط وهذا ظاهر**» .

(من مجزوء الخفيف).

نَاسِـــخٌ رَاسِـــخُ الـــرِّوا
دِفِ وَالخَـــصْرُ قَـــدْ طَفَـــا
قَـــدْ بَـــرَى الجِـــسْمَ عِـــنْدَمَا
نَـــسَخَ الوَصْـــلَ بالجَفَـــا

ولما سمع قولي في مليح قَيِّم في حمام[1]:

(من المنسرح)

بَـــلاَّنُ حَمَّـــا مِـــنَا لَـــهُ نَظَـــرٌ
تَحَـــارُ في وَصْـــفِ حُـــسْنِهِ الفِكَـــرُ
عَيْـــنَاهُ مُوسَـــى، ونَـــبْتُ عَارِضِـــهِ
لَـــهُ مُـــسٌ، وَقَلْـــبُهُ حَجَـــرُ

قال هو موَاليا[2]:

حَمَّـــامُكُمْ فِـــيهِ قَـــيِّمٌ مَنْظَـــرُهُ يَسْبِي
غَـــسَّلَنِي باللَّمْـــعِ ثُمَّ أَنْشَدَ كَذَا صَبِّي
جَعَـــلَ مَـــسَّه ومُوسَه والحَجَرَ يُصْبِي
قَـــالَ: ذَا عِذَارِي، وَذَا طَرْفي وَذَا قَلْبِي

ولما سمع قولي[3]:

(١) ورد البيتان في أعيان. والبلاّن: من يخدم في الحمام.

(٢) البيتان بالديوان (٢٨٦) والرواية في البيت الأول: «حمامكم... ننظر ويسبي ... غسلن ...» وروايته — وكذا رواية أعيان العصر، وقد وردا فيه - للبيت الثاني: «جعل مستو موسو والحجر نصبي .. قل» .

(٣) ورد البيتان في (النجوم الزاهرة: ١١/٢٠)، وخزانة الحموى (٣٢٨)، والمنهل =

(من السريع)

الْمُقْلَــــةُ الــــسَّوْدَاءُ أَجْفَانُهَــــا
تَرْشُــقُ فِي وسْــطِ فُــؤَادِي النِّبَــالْ

وَتَقَطَــعُ الطُّــرْقَ عَلَــى سَــلْوتِي
(حَتَّــى حَــسِبْنَا فِي الــسُّوَيْدَا رِجَالْ)

[قال هو ولكنه حوّل معناه:[1] —

(من السريع)

مَــنْ قَــالَ بِالْمُــرْدِ فَإِنِّــي امْــرُؤٌ
إِلَى النِّــسَا، مَيْلِــي، ذَوَاتِ الجَمَــالْ

مَــا فِــي سُــوَيْدَائِي إِلاَّ النِّــسا
مــا حِيلَتِــي؟ مَــافِي السُّوَيْدَا رِجَالْ]

ولما سمع قولي مُضمِّنًا[2]: (من المتقارب)

مَلِــيحٌ يَخَــافُ عَلَــى حُــسْنِه
فَيَنْــتِفُ مِــنْهُ عِــذَارًا سَــرَحْ

الصافي (٢/٧٢)، وفض الختام (١٤٣)، وصرف العين (١٢١) والرواية فيها جميعًا: «ومقلته... نبال»، وأعيان العصر، وجلوة المذاكرة (٨٢) برواية (المقلة الكحلاء)، وتأهيل الغريب (١١٧) برواية: «مقلته .. ترشق وسط قلبي» .

(١) البيتان ساقطان من ألحان السواجع. والزيادة من ديوانه (٢٤٣)، وأعيان العصر، وخزانة الحموي (٣٦٩) برواية : «ميلي إلى النشوة ذات الجمال»، «ما في سويدا القلب غير النسا».

(٢) البيتان في : (أعيان العصر)، و(روض الآداب/ ١٦٠ب)، والشطر الرابع تضمين من قول الحريري) المقامات: المقامة الثانية عشرة الدمشقية ١١٧، وخزانة الحموي ٤٧: «وفارق أباك. إذا ما أباك. ومد الشباك. وصد من سنح» .

فَقُلْــتُ لَــهُ: خَــلِّ هَــا الخَــيَالَ
(ومُــدَّ الــشَّبَاكَ وَصِــدْ مَــنْ سَنَحْ)

قال هو ونقل المعنى إلى وصف صياد[1]:

(من المتقارب)

لِوَجْــنَةِ صَــيَّادِكُمْ نُــسْخَةٌ
حَرِيــرِيَّةٌ مُلْحَــةٌ في المُلَــحْ

تَقُــولُ لِنَــبْتِ العِــذار اجْــتَهِدْ
(وَمُــدَّ الــشِّبَاكَ وصِــدْ مــنْ سَنَحَ)

ولما سمع قولي[2]: (من المنسرح)

بِتْــنَا وَمَــا نُقْلُــنَا سِــوَى قُــبَلٍ
وَرِيــقُ فِــيها الــسُّلَافُ مَــشْرُوبِي
نِمْــنَا، وَمَــا نَمَّــتِ الوُشَــاةُ بِــنَا
لَــوْلَا فُــضُولُ الحُلِــيِّ والطِّــيبِ

قال هو[3]: (من الكامل)

زَارَتْ عَلَــى يَــأْسٍ لطَــيْفِ خَــيَالِهَا
يَــا دَهْــرُ مَــا بَقِــيَتْ عَلَيْكَ ذُنُوبُ

---

(١) البيتان ليسا بديوانه. وهما في (معاهد التنصيص (١٧٩/٤)، وخزانة الحموي (٤٧٨)، والكشكول للعاملي (٣٨)، وأعيان العصر، ومجموعة الدر (٣٢٣)، وروض الآداب/ ١٦٠ب)؛ برواية: «**بوجنة صيادكم...**»، «**يقول لنبت العذار ...**» .

(٢) البيتان في : (أعيان العصر (١١٥/٧أ)، وتمام المتون (٢٢٤) برواية: «**ووريق فيه سلاف مشروبي**».

(٣) البيتان (بديوانه/٢٥٣)، وأعيان العصر، ومجموع الدر (١١٥).

فَــرِكِبْتُ أَخْطَــارَ الهَــوَى في وَصْلِهَا
والطِّـــيبُ وَاشٍ، والحُلِـــيُّ رقِـــيبُ

ولما سمع قولي[1]:

(من السريع)

يَقُــولُ لَمَّــا قُلْــتُ هَــذَا الْلمَــى
أَسْــكَرَنِى لَمَّــا تَرَشَّــفْتُ فَــاكْ
سِــوَاكَ مَــا ذَاقَ لَمَــى مَبْــسِمِى
أَسْــتَغفِرُ اللهَ ذَكَــرْتُ الــسِّوَاكْ

قال هو[2]: (من مخلع البسيط)

قَالَــتْ وَنَاوَلْــتُهَا سِــوَاكَا
سَــادَ بِفِـــيهَا عَلَــى الأَرَاكِ
سِــوَاىَ مَــا ذَاقَ طعــمَ رِيقِــى
قُلْــت: بَلَــى، ذَاقَــهُ سِــوَاكِى

ولما سمع قولي[3]: (من السريع)

مــرَّ علــى حِــيٍّ نــسيمُ الــصَّبا
فقــالَ لى في بعــضِ أقــوالهِ:
مالِــىَ فِــي زَهْــرِ الــرُّبَا عَثْــرَةٌ
مُــنْذُ تَمَــسَّكْتُ بِأَذيالِــهِ

فقال هو[1]:

(١) البيتان بأعيان العصر.
(٢) البيتان ليسا بديوانه المطبوع، وهما بأعيان العصر.
(٣) البيتان في: (أعيان العصر).

(من السريع)

ضَـــمَمْتُها عِــــنْدَ اللِّقَـــا ضَـــمَّةً
مُنْعِــــشَةً لِلْكَلِـــــفِ الْهَالِـــــكِ
قَالَـــتْ: تَمَـــسَّكْتَ، وإلاَّ فَمَـــا
هَـــذَا الـــشَّذَا، قلـــتُ: بأذْيَالِـــكِ

فكتبتُ أنا لما أكثر من هذهِ السَّرقات الفاحشة[٢]:

(من الطويل)

أغَــرْتَ عَلَــى أبْكَــارِ فِكْرِي ولَمْ أُغِرْ
عَلَــيْهَا فَــلاَ تَجْــزَعْ فَمَــا أنَا وَاجِدُ
وَلَــوْ غَــيرُ مَــوْلاَى اسْتَبَاحَ حِجَابَهَا
أَتَــتْهُ مِــن العَــتْبِ الأَلِــيمِ قَــصَائدُ
قَوَاطِــعُ لاَ تَحْمِــيهِ دِرْعُ اعْــتِذَارِهَا
وَأَلْــسُنُها عِــنْدَ الخِــصَامِ مَــبَارِدُ
وَلَكِــنَّهُ لاَ فَــرْقَ بَيْنِــي وَبَيْــنَهُ
يَــبِينُ، لأَنَّــا فِــي الْحَقِــيقَةِ وَاحِــدُ

فكتب هو إليَّ الجواب[٣]:

(١) البيتان في (ديوانه/٢٤٣)، وخزانة الحموى (٣٧٦)، وأعيان العصر، ودرة الأسلام (٤٨٣)، وروض الآداب (١٧٢ب)، والمنهل الصافى (٢/٤٨٩أ)، والهول المعجب (٣٩ب)، والحجة (٤٦أ).

(٢) بأعيان: «ولما وقفت على كتابه: «**الكلام على مائة غلام**» ... وجدت غالبه من نظمى في «**الحسن الصريح في مائة مليح**» ... ثم وقفت على أشياء في غير ما نوع اغتصبها واختلسها فكتبت إليه رحمة الله ثم ذكر الأبيات الأربعة.

(٣) الأبيات بديوانه (٢٣٣)، والرواية في الأول: «وأسرق ما استطعت..» وفي الثانى: «**وإن ساويت من قبلى فحسبى**». وفي الثالث: «**فذلك مبلغى ...**» وفي الرابع: =

(من الوافر)

وَأَسْرِقُ مَا أَرَدْتُ مِنَ الْمَعَانِي
فَإِنْ فُقْتُ القَدِيمَ حَمَدْتُ سَيْرِي
وَإِنْ سَاوَيْتُهُ نَظْمًا فَحَسْبِي
مُسَاوَاةُ القَدِيمِ وَذَا لِخَيْرِي
وإِنْ كَانَ القَدِيمُ أَتَمَّ مَعْنًى
فَهَذَا مَبْلَغِي وَمَطَارُ طَيْرِي
فَإِنَّ الدِّرْهَمَ المَضْرُوبَ باسْمِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دِينَارِ غَيْرِي

ولما وقفتُ أنا على قوله[1]: (من المجتث)

أَخَذْتَ عَنِّي بَدِيلاً
وَذَا دَلِيلٌ بِأَنَّكْ
تَمُرُّ بِي لَسْتَ تَلْوِي
عَلَيَّ حَتَّى كَأَنَّكْ
فَلَسْتَ تُخْمِنُ هَجْرِي
وَلَسْتُ أَهْجُرُ حُسْنَكْ
وَلَيْسَ يُوزَنُ وَجْدِي
وَلَيْسَ يُوجَدُ وَزْنُكْ

«وإن الدرهم المضروب...» . وكذلك ذكرت الأبيات في: الدرر (٢٧٣/٣)، والبدر الطالع (٥١٤/١)، والرواية في البيت الرابع: «وإن الدرهم» والتذكرة: (١٤/ ٣٧، وأعيان العصر (١١٥/٧ب)؛ وفيه: فكتب هو الجواب إلى وأجاد» .

(١) الأبيات بديوانه (٢٤٦)، وأعيان العصر (١١٥/٧ب).

قلتُ[1] الذي يسلُكُ هذه الطريقَ السَّهلةَ العَذبةَ المنسجمةَ التي ليس فيها غريبُ لغة، ولا غريبُ إعراب ولا تقديمٌ ولا تأخيرٌ، ولا حذفٌ ولا تقديرٌ، ما يأتي بهذا الإعرابِ الذي يحتاجُ[2] أنْ يُقدَّرَ له نيابةُ المصدر المحذوف. وهو يتشبَّهُ بطريقِ البهاء زُهير[3] – رحمه الله تعالى – وذاك ليس في شعره تكلُّفٌ، بل قولٌ مطبوعٌ غيرُ مُتطبِّع، ولا تكلُّفَ عنده في إعراب ولا في حُوشيِّ لُغَة.

وقلت أنا[4]:

(من مجزوءِ الوافر)

لَقَــدْ أضْـــعَفَنِي حُزْنِــي
وَضَــاعَفَ خَالقِــي حُــسْنَكْ
فَهَــا أنَــا لَــمْ أزِنْ وَجْــدِي
لأنِّــي لَــمْ أجِــدْ وَزْنَــكْ

وصاحبُ الذّوق السَّليم، يحكمُ بيني وبينه[5] – أعزَّهُ الله تعالى.

عيسى بنُ المحبِّ، الفاضلُ شرفُ الدِّين الناسخُ الرَّمْلي(*).

قدمتُ إلى الديار المصرية وهو في سجن قلعة الجبل، فكتب هو إليَّ من السِّجن في سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة.

(١) هذا التعليق ذكر في: أعيان العصر.

(٢) «الذي نحتاج أن نقدر» بأعيان.

(٣) بهاء الدين زهير بن محمد بن علي... المهلبي ، شاعر عربي مشهور من العصر الأيوبي توفى سنة ٦٥٦هـ. ترجمة: (وفيات (٣٤٥/١-ط بولاق).

(٤) البيتان والتعليق عليهما إلى نهاية الترجمة وارد في (أعيان العصر).

(٥) «... وبينه في هذا رحمه الله تعالى» بأعيان.

(*) ترجم له الصفدي في (أعيان العصر ١٢٩/٧أ) بالنسخة ١٠٩١ تاريخ)، و(الوافي بالوفيات جـ٥ ق:١١٩/٣، ١٢٠)، كما ترجم له ابن حجر في (الدرر (٣/ ٢٨٧، ٢٨٨) وسجل وفاته سنة ٧٣٢هـ وقيل سنة ٧٣٣هـ.

(من الطويل)

يَعِــزُّ عَلَــى عيــسَى وُجُــودُ خَليله
بمصْرَ وَعِيسَى بَاتَ في قَبْضة السِّجْنِ[1]

فــيا نــارَ أشــواقٍ تلظَّتْ بها الحَشا
ولم يُطفهــا مــن مُقْلَــق واكِفُ المُزْنِ

وَيَــا حَسْرَتَا لَوْ فُزْتُ يَوْمًا برُؤْيَة الْـ
مُحَيَّا الَّذي أزْرَى على البَدْر في الدَّجْنِ

أمــولاىَ إنّــي قــد سمعــتُ فضائلاً
ظهــرتَ بهــا في مصرَ في غاية الحُسنِ

فَــسَارَتْ بِهــا الرُّكْبَانُ في سَاحَة الفَلا
وَغَنّــى بها الملاّحُ إنْ سارَ[2] في السُّفْنِ

لَقَــدْ فُقْــتَ فُرْسَــانَ البَلاَغَة كُلَّهُمْ
وَمَــا أحَــدًا فِي مِصْرَ عَنْ ذاكَ أسْتَثْني

عَــسَى نَفْــثَةٌ مِــنْ دُرِّ شِــعْرٍ نَظَمْتَهُ
أُحَلّــيَّ بهــا جِــيدِى إذَا شَنَّفَتْ أُذْني

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[3]:

(من الطويل)

خَلِــيلٌ أَتَــى مِصْرًا وعِيسَى مُحَجَّبٌ
مِــنَ الدَّهْرِ في سِجْنٍ فَلاَ كَانَ من كِنّ

(١) وردت الرسالة في: (أعيان العصر (١٢٩/٧ب،) والوافي (١٢٠/٥).

(٢) «إن صاد» بالوافي.

(٣) ورد الجواب في: (أعيان العصر: ١٠٦/٧م، والوافي: جـ/٥، ق/٣ اللوحة/١٢٠).

لَـئِنْ كَـانَ فِي سِـجْنٍ فَكُـلُّ مُهَنَّدٍ
إِذَا ادَّخَـرُوهُ لِلـرَّدَى بَـاتَ فِي جَفْنِ
فَـيَا زَهْـرَ رَوْضٍ حَجَّـبَتهُ كِمَامَـةٌ
عَـسَى تَتَفَـرَّى عَنه فِي ذِرْوَةِ الغُصْنِ
حَنَانَـيْكَ إِنِّـي فِيكَ من شِدَّةِ الأَسَى
نَقَمْتُ الرِّضَى حَتَّى عَلَى ضَاحِكِ المزْنِ
فَـصَبرًا علـى قـد مُنـيتَ فإنما
الـزمانُ على الأحرار مِثْلكَ ذو ضِغْنِ
فَقَدْ يَخرُجُ الإِصْبَاحُ مِن ظُلْمَةِ الدُّجَى
وَقَـدْ تُطْلَـقُ الصَّهْبَاءُ من حَرَجِ الدَّنِّ
كَأَنِّـي بِـذَاكَ الـوَجْهِ يَنْدَى نَضَارَةً
وَقَـدْ بَـرْقَعَتْهُ بالحَـيَا رَاحَـةُ الحُسْنِ
وَقَالَـتْ لَـهُ الأَيَّـامُ وَهْـيَ جَدِيرَةٌ
بِكُـلِّ قَبِـيحٍ أَنْ تَخُونَ وَأَنْ تُخْنِي[١]
أَعِيسَى لَقَدْ شَارَكْتَ فِي الحُسْنِ يُوسُفًا
فَشَارِكْهُ أَيْضًا فِي الدُّخُولِ إِلَى السِّجْنِ

وأنشدته يومًا لنفسي بعد خروجه من السجن[٢].

(من المجتث)

يَـا قَلْـبُ إنْ رقَّ خَـدُّ الْـ
ـحَبِـيبِ أَوْ لاَنَ عِطْفُـهْ

(١) تخني، من أخنى: أفسد، وأهلك.
(٢) ورد البيتان الآتيان في: (أعيان العصر).

فِـــــشَعْرُهُ كَـــــمْ تَجَافَـــــى
وَكَـــــمْ تَـــــثَاقَلَ رِدْفُـــــهْ

فأنشدني لنفسه، وفي كل بيتٍ منهما نظرٌ[1]:

(من الطويل)

شَـــكَوْتُ الْـــذِي أَلْقَى سُهَادًا وَعَبْرَةً
فَـــوَكُلَ جَفْنِـــي إِنَّـــهُ قَـــطُّ لاَ يَغْفُـــو
فَلاَنَتْ لِيَ الأَعْطَافُ، وَالخَصْرُ رَقَّ[2] لِي
وَلَكِـــنْ تَجافَـــى الشَّعْرُ وأَثَاقَلَ الرِّدْفُ

(١) ورد البيتان الآتيان في : (الدرر ٣/٢٨٨)، و(الغيث/١٧٦)، والعبارة في الأول:

شـــكوت إلى ذاك الجمـــال صـــبابةً تكلـــف جفـــني إنـــه قـــط لا يغفـــو

وعلق الصفدى قائلاً: «قلت لا أعرف يغفو. وإنما هو غفى يغفى. وإن كان فهى لغة رديئة غير فصيحة». هذا ، كما ورد البيتان أيضًا في: (أعيان العصر)، و(مجموعة الدر/٨٩٧)، وعبارة البيت الأول كرواية (الغيث) ما عدا قوله: «شكوت إلى ذاك الغزال...».

(٢) «والخصر دق» بالأصل. واخترت عبارة (ب، والدرر، والغيث، وأعيان).

حرف الميم

محمدُ بنُ إبراهيم بنِ محمود، القاضي كمالُ الدِّينِ بنُ القاضي جمالِ الدِّين بنِ العلامة المرحوم الشيخِ شهابِ الدِّين، مُوقِّعُ الدَّسْتِ الشريفِ بحلبَ المحروسة(١).

كتبَ إليَّ وأنا بالقاهرة المحروسة في سنة خمسٍ وأربعين وسبعمائة، وقد نظمتُ أنا قصيدةً في هذا الوزن بهذا الروى، وامتدحت بها المخدوم القاضي علاءَ الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف.

(من البسيط)

قَلْبِــي مِــن الصَّدِّ وَالْهِجْرَانِ قَدْ فطرَهْ
طَبْــيٌ مِــنَ الغِيدِ يَسْبِي جَلَّ مَنْ فَطَرَه(٢)

مُــورَّدُ الخَــدِّ، مَمَــشوقُ القوامِ، له
خــالٌ علــى كلِّ مَن يهواه قد نَصَره

أسْكَنْتُهُ فِي سَوَادِ القَلْبِ مِنْ حَذَرِى(٣)
لاَ فِــي عُيُونِــى فَتُــبْدِيه لِمَــنْ نَظَرَه

قَدْ فَاقَ فِي كَسْرِ مَنْ يَهْواه أُسْدَ شَرَى
بمُقْلَــة قَــدْ غَــدَتْ بالنَّصْرِ مُنْكَسِرَه

مِــنْ أَيْــنَ للــرِّيمِ جِــيدٌ حَــازَ لَفْتَتَهُ
أَمْ أَيْــنَ لِلظَّبْيِ طَرْفٌ قَدْ حَوَى حَوَرَه؟

---

(١) المتوفى سنة ٧٦٩هـــ. ترجم له ابن حجر في (الدرر ٣/٣٨٤).

(٢) وردت القصيدة برمتها في (مجموعة الدر: ٥١٢، ٥١٣) (منسوبة إلى شهاب الدين محمود. وقد ورد البيت الأول، والثاني في الورقة (٦٠٤) من مجموعة الدر، منسوبان إلى شهاب الدين محمود أيضًا.

(٣) بالدر: «أسكنته في سويدا القلب من صدرى».

قــد أطْلــقَ الدّمعَ فوق الخدِّ من خزَن
علــى فــؤادٍ بقــيدِ الحُــبِّ قد أسرَه

لَــهُ عَلــى الْخَــالِ لاَمٌ عِطْفُهــا أبدًا
مَــعْ أنَّهــا لَمْ تَكُنْ بالعَطْفِ مُشْتَهِرَه

قَــدْ بَلْــبَلَ القَلْبَ سِحْرٌ مِنْ لَوَاحظه
لأنَّــهُ قَــدْ رَوَتْ عَــنْ نَفْثَةِ السَّحَرَه

قَــدْ بَــاتَ طَرْفِــيَ سَــهْرانًا بناعسه
وَالْقَلْــبُ مُحْتَــرِقًا بالــرِّيقَةِ الْعَطِــرَه

كالغُــصْنِ مَــا مَالَ عُجْبًا وَانْثَنى مَيَدًا
إلاّ وَأخْجَــلَ عِطْــفَ[1] الْبَانَةِ النَّضِرَه

إِذَا تَجَنَّــى عَلَــى عُــشَّاقِه تَــرَكُوا
مَــا قَــدْ جَنَى إِذْ ذُنُوبُ الحُبِّ مُغْتَفِرَه

بِــهِ قَــد افْتَخَــرَ الْحُسْنُ البَديعُ كَمَا
أنَّ العُــلاَ بِــصَلاحِ الــدِّينِ مُفْتَخِرَه

نَــدْبٌ أتَــتْهُ الْمَعَانِــى طَــوْعَ فِكْرَتِه
فَــإنْ يُــرِدْ سَــارَعَتْ للأمْــرِ مُبْتَدِرَه

قَــدْ فَــاقَ فِي نَظْمِــهِ الْطائِيَّ مُفْتَخِرًا
كَــذَاكَ فِــي نَثْــرِهِ قُــسًّا وَمَا نَشَرَه

لَــهُ مَعَــانٍ أتَــى الحُسْنُ الصَّرِيحُ بِهَا
وَلَــمْ يُعَــرِّضْ بِهَــا يَوْمًا لِمَنْ ذَكَرَه

---

(١) غصن البانة: في مجموعة الدر.

وَرَوْضُــــهُ بَاسِـــمٌ تَـــبْدُو مَحَاســـنُهُ
لِلْقَاصِــدِينَ بِعَــرْفٍ بَاسِــمِ[1] الزَّهَرَهْ
مَوْلًـــى أَتَــى بَــابَ مَخْــدُومٍ لَنَاوَلَهُ
بِفَــضْلِهِ تَــشْهَدُ الأَبْــرَارُ وَالفَجَــرَهْ
قَــدْ سَنَّ فِي النَّاسِ كُلَّ المَكْرُمَاتِ وَقَدْ
أَضْــحَتْ مَكَارِمُــهُ بِالفَــضْلِ مُقْتَدِرَهْ
حَــوَى فَــصَاحَةَ نُطْــقٍ فِي مُخَاطَبَةٍ
مَــعْ حُــسْنِ خَلْقٍ وَخُلْقٍ كَمَّلَتْ قَمَرَهْ
مَــا فِــيهِ حَــيْفٌ وَلاَ جَوْرٌ عَلَى أَحَدٍ
وَلاَ تَجَــنٍّ[2] وَلاَ عَــيْبٌ وَلاَ نَكِــرَهْ
لَــهُ يَــرَاعٌ بِبَحْرِ الفِكْرِ غَاصَ[3] وَقَدْ
أَبْــدَى عَلَــى طِرْسِــهِ مِنْ لَفْظِهِ دُرَرَهْ
هَــذَا اليَــرَاعُ بَــدَا يَــشْدُو وَيُطْرِبُنَا
وَلَــمْ تُحَــرِّكْ لَــهُ أَيْدِي الهَوَى وَتَرَهْ
مَــنْ قَــدْرُهُ قَدْ عَلاَ فَوْقَ السُّهَا فَلِذَا
أَضْــحَتْ بِــهِ الرُّتَبُ الْعَلْيَاءُ مُنْتَصِرَهْ
وَوَجْهُــهُ فَضَحَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ فَهْــ
ــيَ الآنَ فِي[4] خَجَلٍ بِالسُّحْبِ مُسْتَتِرَهْ

(١) بالدر: «ناسم الزهرة».

(٢) «ولا تحن» بالدر.

(٣) في غير (ز) والدر: عاض.

(٤) «من خجل» في (ز)، والدر.

وَكُتْــبُهُ قَــدْ أَبَادَتْ كُلَّ مَنْ قَصَدَتْ
مِــنَ العِــدَى وَقَضَتْ مِنْ فِعْلِها وَطَرَه
وَجُــودُهُ لَــمْ يَكُنْ فِي الأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ
إِلاَّ جَنَــى مِــنْ تَــوَالى بِــرِّهِ ثَمَــرَه
مِــنْ مَعْــشَرٍ مَــلأَ الآفَــاقَ فَضْلُهُمُ
قَــوْمٌ وِسَــامُ المُحَــيَّا سَــادَةٌ بَــرَرَه
مِــنْ كُــلِّ مَنْ قَدْ أَتى بِالفَضْلِ مُنْفَرِدًا
وَكُــلِّ مَــنْ قَــدْ قَفَا فِي فَضْلِه عُمَرَه
لاَ زَالَ فِــي دَعَــهٍ تَبْقَــى مُخَلَّــدَةً
وَنِعْمَــةٍ مَــا شَدَتْ وُرْقٌ عَلَى شَجَرَه

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك:

(من البسيط)

زَكُــى قَرِيضكَ مَا جَاءَتْ بِهِ السَّحَرَه
فَلَــوْ تَقَــدَّمَ فِــيهِمْ لاقْــتَفَوْا أَثَــرَه
أَخْجَلْــتَ مِــنْهُ الدَّرَارِى فَهْيَ كَاسِفَةٌ
وَلاَ تَــسَلْ كَيْفَ حَالُ الرَّوْضَةِ النَّضِرَه
مَــا فِــيهِ مِــنْ لَفْظَةٍ إِلاَّ وَقَدْ رَجَعَتْ
عَلَــى اخْــتِلاَبِ ذَوِى الأَلْبَابِ مُقْتَدِره
مِــنْ كُــلِّ سَطْرٍ دَجَا مِنْهُ المِدَادُ فَقُلْ
لَــيْلٌ، وَقَــدْ ضَــمَّ مَعْــنَاهُ بِــهِ قَمَرَه

[أَوْ لا فَقُـــل نَهَــرٌ لِلطِّرْسِ شَفَّ وَقَدْ
فَـــاتَ عَلَـــى مَتْنِه مِنْ سَطْرِهِ شَجَره[1]]
مَهْـــلاً أَبَا الْفَضْلِ مَهْلاً قَدْ بَلَغْتَ مَدًى
فِي الْمُبْـــتدا رَفَعَـــتْ رَايَاتُـــهُ خَبَـــره
فَلْـــيَهْنِ أَهْلَ النُّهىَ يا ابنًا[2] لِخَيْرِ أَبٍ
كُـــلُّ الْمَحَامِـــدِ فِي عَلْـــيَاهُ مُخْتَـــصَرَه
هَـــذَا كَمَـــالُ جَمَـــالٍ مَا أَرَى أَحَدًا
مِـــنَ الْبَـــرِيَّةِ إِلاَّ وَهْـــوَ قَـــدْ شَـــكَرَه
جَمَـــالُ دَسْـــتٍ تَـــوَلاَّهُ تَـــبَارَكَ مَنْ
عَلَـــى الْعُلاَ وَالنَّدَى وَالفَضْلِ قَدْ فَطَرَه
لَقَـــدْ تَوَاضَـــعَ مَـــعْ فَرْطِ الْعُلُوِّ، وَمَا
أَحْلَـــى الـــبُدورِ بِذَيْلِ الأُفْقِ مُنْحَدِرَه
يَكْفِـــيهِ أَنَّـــكَ فَـــرْعٌ زِنْـــتَ دَوْحَتَهُ
وَكُـــلُّ فَائِـــدَةٍ حَـــصَّلْتَها زَهَـــرَه
وَمَـــنْ يَكُـــنْ أَصْـــلُهُ قَـــدْ طَابَ مَنْبَتُهُ
فَمَـــا لَـــهُ غَيْـــرُ إِحْـــرَازِ الْعُلاَ ثَمَرَه
فَازْدَدْ مِنَ الْحِرْصِ فِي الإِنْشَاءِ تَرْقَ إِلَى
مَحَـــلِّ جَـــدِّكَ مَحْمُـــودِ الَّذِي عَمَرَه

(١) ساقط من الأصل والزيادة عن: أ، ب، ز، م.
(٢) بابنا: كذا في الأصل بدون نقط.

وَلاَ تَكُـــنْ سَـــالِكًا إلاَّ طَـــرِيقَتَهُ
فَمَـا أضَـلَّ امْـرأً لاَ يَقْتَفِـى أثَرَه[1]
فإنَّــهُ كَــان ذَا فَهْــمٍ، مَقَاصِــدُهُ
عَلَـى اقْتِـنَاص الْمَعَانِى الغرّ مُقْتَدِرَه

وكنت قد كتبت لغزًا في عيد إلى القاضي [ناصر الدين بن النشّاى وسيأتي في ترجمته. فكتب إلى القاضى][2] كمال الدين جوابًا عنه، وهو:

(من مجزوء الرجز)

يَــــا مَــــنْ زَكَــــا وِلاَدَةً
وَطَــــابَ مِــــنْهُ الْمَحْــــتِدُ
وَمَــــنْ أيَادِيــــهِ بِهَــــا
كُــــلُّ الْبَــــرَايَا تَــــشْهَدُ
وَمَــــنْ غَــــدَا نَــــوَالُهُ
كَالْبَحْــــرِ فِــــيهِ مَــــدَدُ
ألْغَــــزْتَ فِي شَــــيْءٍ غَــــدَا
يَأتِــــى، وَفِــــيهِ غِــــيَدُ
وَالْعَــــبْدُ قَــــدْ صَــــحَّفَهُ
فَاقْــــنَعْ بِــــهِ يَــــا سَــــيِّدُ
واقْــــبَلْهُ مِــــنْ مُقَــــصِّرٍ
لِطَــــوْلِكُمْ لاَ يَجْحَــــدُ

(١) بالأصل: «فما ضل امرأ ألا يقتفى أثره» واخترت ما في النسخ الأخرى.
(٢) الزيادة من النسخ الأخرى.

[وَدُمْ مُعافَـــــــى أَبَــــــدًا
مَـــــا صَـــــحِبَ الـــزَّنْدَيْدُ][1]

وكنتُ قد كتبتُ أيضًا إلى القاضى ناصرِ الدين المشار إليه مُلْغزًا في سالفٍ. فكتب إلىَّ المولى القاضى كمال الدينِّ جوابًا عن ذلكَ، وهو:

(من مجزوء الرجز)

يَـــــامَنْ غَـــــدَا مُفْتَـــــرِقُ الْـــــ
ـعُلُـــــوم فِـــــيهِ يَأْتَلِـــــفْ
وَمَـــــنْ لَـــــه فَـــــضَائِلٌ
كَالْبَحْـــــرِ مِـــــنْهَا نَغْتَـــــرِفْ
قَلْبِـــــي بِمَـــــا أَلْغَـــــزْتَهُ
دُون سِـــــوَاهُ قَـــــدْ شُـــــغِفْ
وَذَاكَ إِنْ صَـــــــــــــحَّفْتَهُ
فَإِنَّـــــهُ نَـــــبْتٌ أُلِـــــفْ
فَـــــاللهُ يُبْقِـــــيكَ لَـــــنَا
مَـــــا عَانَقَـــــتْ لاَ مَـــــا أَلِـــــفْ

محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ ساعد الأنصاريُّ السِّنْجَاريُّ الحكيمُ الفاضلُ الأديبُ الإمامُ المحقّقُ المُفَنَّنُ شمسُ الدين بنُ الشيخِ بُرْهَانِ الدين، المعروفُ بابنِ الأَكْفَانِي[2].

كتبتُ إليه من الرَّحبة المحروسة في سنة ثلاثين وسبعمائة[3].

---

(١) الزيادة عن (أ، ز، م).

(٢) له ترجمة في: (الدرر ٣/٣٦٦)، و(البدر الطالع٢/٧٩)، (الوافي ٢/٢٥)، وأعيان العصر (٨/١٢٦). وفاته سنة ٧٤٩هـ.

(٣) بأعيان العصر قوله: «وكنت قد كتبت أنا إليه من الرحبة .....» ثم ذكر البيتين الآتيين.

(من الطويل)

أَمَــوْلاَى شَــمْسَ الدِّينِ قَدْ كُنْتَ أَوَّلاً
تَحُــلُّ مَحَــلَّ النورِ في الْعَيْنِ بِالأَمْسِ

فَــلاَ بِــدْعَ أَنْ يَــسْوَدَّ يَوْمِي وَلَيْلَتِي
وَقَدْ حُجِبَتْ عَيْنَاىَ عَنْ طَلْعَةِ الشَّمْسِ

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك[1]:

(من الطويل)

طَبِيــبُكَ في مِــصْرٍ مَرِيضٌ مِنَ الْجَوَى
وَقَــدْ قُــصَّ مِــنْهُ بِالْــبِعَادِ جَــنَاحُهُ

فَــيَامَنْ[2] لِــذِى سُــقْمٍ تَمَكَّنَ دَاؤُهُ
وَأَفْــسَدَهُ مُــذْ غَــابَ عَــنْهُ صَلاَحُهُ

وكتبت أنا إليه أيضًا من الرحبة المحروسة[3]. (من الوافر)

سَــلاَمٌ فُــضَّ مِــنْ مِــسْكٍ خِــتَامًا
وَفُـــتِّقَ زَهْــرُهُ مِــنْه كِمَامَــا

وَوَصْـــفُ مَحَـــبَّةٍ وحِفَـــاظُ وُدٍّ
وَشَــوْقٌ سَــلَّ فِــي كَــبِدِى حُسَامَا

وَكَــمْ لِــىَ في النَّــسِيمِ إِلَيْك شَكْوَى
أُضَـــمِّنُها اشْـــتِيَاقِي وَالْغَـــرَامَا

(١) ذكر الجواب في (أعيان العصر).
(٢) «فيالمن» بالأصل. والتصحيح من النسخ وأعيان العصر.
(٣) ذكرت الرسالة في (أعيان العصر).

وَكَــمْ فــيها تَحِــيَّاتٍ لِطَــاف
حَكَــتْ أَنْفَاسُــهَا رِيــحَ الخُزَامَــى
تَجَــانَسَ فِعْــلُ أَجْفَانِــي وَقَلْبِــي
فَــتِلْكَ هَمَــتْ، وَهَــذَا فِــيكَ هَامَا
فَــنَارُ الْقَلْــبِ[1] لَــيْس لَهَــا خُمُودٌ
وَدَمْــعُ الْعَــيْنِ قَــد فَــاقَ الغَمَامَــا
وَأَمَّــا الحَــالُ لَــسْتُ أُطِــيلُ فِــيهَا
شُــرُوحًا، مَــلَّ سَــامِعُها الكَلاَمَــا
بُلِــيتُ بِعَكْــسِ آمَالِــي وَظَنِّــي
وَحَــظٍّ عِــنْدَه يُنْــسِى[2] الظَّلاَمَــا
وَعَــيْشٍ ضَــاقَ فَاتَّــسَعَتْ هُمُومِــي
وَكَــانَ فِــرَاقُ مَــوْلاَنَا خِــتَامَا[3]

يُقَبِّلُ الأَرْضَ، ويُنْهِى بعد وَلاَءٍ اتَّسَمَ برقِّه، وارْتسم برقِّه، وشوقٍ منَعَ طرْفَهُ القريحَ لَذةَ الهجوعِ، ووَحْشَةٍ علَّمتْ جَفْنَهُ كيف تجرى الدموعُ، وأَسفٍ خيَّمَ بين المُنْحَنَى من الضُّلوعِ، ووجدٍ يُشَبُّ له نارُ[4] الفؤاد كلّما أضاءَ البَرْقُ اللّموع – وُرُودَ المثالِ العالى فقبَّلَ كلَّ حرْفٍ منه أَلْفا، وصاغ منه[5] لجيده ورأسه وأذنه عقدًا وتاجًا وشنْفا. ياله من أُفُقِ فضلٍ كلّما غابَ بدْرٌ أطلعَ شُموسًا، وبحرِ أدبٍ إن أعطى سائلَه لُؤلؤًا رَطْبًا، قَذفَ بعده دُرًّا

(١) «فنار الشوق» في (ز).
(٢) «تنسى الظلاما»: بأعيان.
(٣) «مولانا تمامًا» بأعيان.
(٤) «جمر الفؤاد» : بأعيان.
(٥) «وصاغ لجيده» بالحذف في: أعيان.

نفيسًا، وغادةِ فضحَ الغَزالَةَ نورُها، وتحيةٍ فضحَ قلائدَ العقيان مَنْثُورُها.

(من البسيط)

غَـــرِيبَةٌ تُـــؤْنِسُ الآدَابَ وَحْـــشَتُهَا

فَمَـــا تَمُـــرُّ عَلَـــى سَمْعٍ فَتَرْتَحِلُ[1]

محمدُ بنُ إبراهيم بنِ أبي الكرم محمد بن القاضي الفاضل الرئيسِ، نجم الدين بن القاضي عماد الدين بنِ القاضي جمالِ الدين بنِ الشهيد، كاتبُ الإنشاء الشريف بالشام المحروس[2]:

كتب هو إلى عتابًا، وقد قَدِم من سفرٍ فلم أتوجَّهْ إليه:

(من الطويل)

بِنَفْـــسِي خَلِـــيلاً لَـــمْ يَزَلْ زَائِرِى وَلِي

نَـــصِيبٌ مِـــنَ الدُّنْـــيَا وَفِيٌّ لَهُ رَجْوَى

فَلَمَّـــا رَأى أنْ لَـــيْسَ لِـــى مِـــنْ بَقِيَّةٍ

جَفَانِـــى، وَقَـــاهُ اللهُ مِنْ طَارِقِ الأَسْوَا

دَعَـــوْتُ لَعَـــلَّ اللهُ يَـــسْمَعُ دَعْوَتِـــى

فَأَبْقَـــى، فَيَبْقَـــى لِـــى، فَإِنِّى لَهُ أَهْوَى

إِذَا مَـــا أَطَـــاقَ الـــصَّبْرَ عَنِّى، فَإِنَّنِى

بِهِجْـــرَانِهِ لَـــي سَـــاعَةً قَطُّ لاَ أَقْوَى

---

(١) البيت لأبي تمام (بديوانه٣/٢٠) والرواية فيه: «فما تحل على قوم». من قصيدة في مدح المعتصم مطلعها:

فحـــواك عـــين علـــى نجواك يا مذل حـــتام لا يتقـــضّى قـــولك الخطـــل

(٢) المتوفى سنة ٧٩٣هـــ. له ترجمة في (إنباء الغمر ٤٢٧/١، وتاريخ ابن الفرات (٩/ ٢٨٨)، ودرة الأسلاك (٤٥٧/٣)، والمنهل الصافى (٨٩/٣ب).

فكتبت أنا الجواب إليه: (من الطويل)

وَحَقِّكَ لَمْ أعلمْ بِمَا بِكَ مِنْ أَذَى
وَحَاشَاكَ يَا مَنْ حُبُّهُ الغايَةُ القُصْوَى

فَسَامِحْ فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ قَدْ سَتَرْتَهَا
وَبَدَّلْتَهَا حُسْنَى، وَأَهْدَيْتَ لِي عَفْوَا

يَمِينًا لَقَدْ بَدَّلْتَ أُنْسِيَ وَحْشَةً
وَكَدَّرْتَ مِنْ عَيْشِيَ مَا يَشْتَكِي صَفْوَا

عَسَى يَسْتَجِيبُ اللهُ لِي فِيكَ دَعْوَةً
فَإِنِّيَ فِي صِدْقِ الْوَفَا صَادِقُ الدَّعْوَى

وكتب هو إلى أيضًا، وقد ضعف فلم يتفق لى أن أعوده:
(من الوافر)

عَجِبْتُ لِوُدِّكَ الصَّافِي خَلِيلِي
إِذًا، وَالنَّفْسُ مِنِّي فِي التَّرَاقِي

بِأَنْ لَمْ تَرْعَ حَقِّي، أَوْ لِكَوْنِي
إِذَا لَمْ أُبْقِ مَا حَقِّي بِبَاقِ

وَلَمْ أُخْصُصْ بِعَتْبِي فِي البَرَايَا
سِوَاكَ مِنَ المَخَادِيمِ الرِّفَاقِ

سِوَى أَنِّي اتَّخَذْتُكَ لِي خَلِيلاً
وَغَيْرُكَ مَا شَدَدْتُ بِهِ وَثَاقِي

محمدُ بنُ إبراهيمَ هو الفاضلُ فَتْحُ الدِّين بنُ الشَّهيد[1]، أخو القاضي نجمِ الدِّين المُقَدَّم ذِكْرُه.

---

(١) المتوفى سنة ٧٩٣هـ. له ترجمة في (الدرر ٣/٣٨٣)، ودرة الأسلاك (٣/٤٥٥)، والمنهل الصافي (٣/٨٨ب)، وإنباء الغمر (١/٤٢٦)، وتاريخ ابن الفرات (٩/٢٨٦).

كتبَ هو إليّ وقد وقف على كتابي جنان الجناس، ورأى ما تفضّل به الجماعةُ - أحسن الله إليهم- من تقريظ الكتاب المذكور.. ويُنْهي أنه اقْتدى بالسادة الأعيان [الأكياس][1] واصفى كتابَ سيّدنا جنانَ الجناس. ونظمَ في ذلك قصيدةً سرَى فيها بنُور قرائحهم فما حادَ عن طريقهم، وإن حطّهُ مَسْراهُ دون فَريقهم، واسْتجدى لها من سُلاف فَضْلهم، فحصلَ ولكن على فُضَالات رحيقهم. و لم يرَ نفسَه أهلاً لأنْ يَضُمَّها إلى قصائدهم؛ إذ كان جزْعُهَا لا يُشاكلُ دُرَّ قَلاَئدهم، وهيهاتَ أنْ ألحَقَ بغُبَارهم، أو أنْ أجُولَ في مضمارِهم، وإنْ أطْمَعني المشْيُ في آثارهم. وأين البليغُ من البليد، والوليُّ من الوليد، والحقُّ من الباطل، والحالي من العاطل؟!. وبعيدٌ ما بين الثُريا والثرى[2]، وما هي «إلاَّ حاجةٌ في نفس يعْقُوبَ قَضَاها»[3] وهي: (من مجزوء الرمل)

أجِـــنَاسٌ في جِـــنَان
أمْ عُقُـــودٌ مِـــنْ جُمَـــان؟!
أصْـــبحَتْ تُزهَـــى وَتُبْهَـــى
في طُـــلاَ الغِـــيدِ الحِـــسَان
أوْ قِـــيَانٌ يَتَـــرنّمْنَ (م)
بألحَـــانِ الأغَانِـــي
مُـــورِقَاتٌ مُـــونِقَاتٌ
رَائِقَـــاتٌ في عَـــيَان

---

(١) الزيادة عن: (ز).

(٢) للبهاء زهير (بديوانه/٥٧) ضمن أبيات:

بين قلبي وسُلوِّي في الهوى مثل ما بين الثريا والثرى

(٣) من الآية (٦٨:يوسف).

يَالَـــــهُ لَفْظَـــــا رَقِـــيقًا
قَـــدْ حَـــوَى حُـــرَّ الْمَعَانِـــي
فِي كِـــتَابٍ مِـــنْهُ فُـــزْنا
بِفُـــــنُونِ الإِفْتِـــــنَانِ
جُمَـــــلُ الآدَابِ حَلَّـــــتْ
مِـــنْهُ فِـــي أَعْلَـــى مَكَـــانِ
مَـــا ابْـــنُ أَبِي الإِصْـــبعِ مُـــنْشٍ (م)
مِـــثْلَه وَابْـــنُ سِـــنَانِ(١)
لاَ، وَلاَ الْبُـــــسْتِيُّ أَيْـــــضًا
مِـــنْهُ فِـــي التَجْنِـــيسِ دَانِ
فَـــإِذَا ضَـــاعَ شَـــذَاهُ
ضَـــاعَ فِـــيهِ الأَرْجَانِـــي
يَـــا أَدِيـــبَ الْعَـــصْرِ يَـــامَنْ
مَـــا لَـــهُ فِي الْمَجْـــدِ ثَـــانِ
قَـــسَمًا أَنَّـــكَ أَصْـــبَحْـــ
ـــتَ فَـــرِيدًا فِي الـــزَّمَانِ
وَلَـــكَ التَّبْرِيـــزُ والـــسَّبْـــ
ـــقُ غَـــدًا يَـــوْمَ الـــرِّهَانِ
يَـــا لَـــكَ اللـــهُ إِمَامًـــا
فِي الْمَعَانِـــي وَالْبَـــيَانِ

(١) هو أبو محمد بن سعيد بن سنان، الخفاجي الحلبي، الشاعر المشهور، المتوفى سنة ٤٦٦هـ ترجمة (النجوم الزاهرة: ٩٦/٥).

جَـــلَّ فَـــضْلاً أَنْ يُـــبَارَى
أَوْ يُبَاهَـــــى فِي مَعَانِـــــى
مَـــا رَأَيْـــنَا قَـــبْلَهُ مَـــنْ
صَـــاغَ تِبْـــرًا[1] بِلِـــسَانِ
مَـــا الْـــبَدِيعُ الهَمَذَانِـــى
لَـــكَ فِي قَـــوْلٍ مُـــدَانِ
فَتَهَنَّـــــى بِـــــبَدِيعٍ
مَاتَهَـــنَّاهُ ابْـــنُ هَـــانِى
وَكَـــذَا قَـــسٌّ وَعمْـــرٌو[2]
عَـــنْ مَـــدَاهُ قَاصِـــرَانِ
حُـــرُّ قَـــوْلٍ مِـــنْهُ يُدْعَـــى
بِحَرِيـــــرِىِّ الأَوَانِـــــى
شَـــدَتَ لِلطُّـــلاَّبِ فِـــيهِ
مِـــنْ مَعَانِـــيكَ مَبَانِـــى
مُفْـــرَدَاتٍ مُـــذ تَلَـــوْهَا
عَـــوَّذُوهَا بِالْمَثَانِـــــى
كُـــلُّ بِكْـــرٍ بِـــنْتُ فِكْـــرٍ
أَشْـــبَهَتْ بِـــنْتَ دِنَـــانِ

(١) صاع تبرا: كذا في الأصل.
(٢) لعله يقصد عمرو بن كلثوم الجشمى التغلبى، صاحب المعلقة المشهورة. عاصر عمرو بن هند ملك الحيرة (٥٥٤-٥٦٨م).

فَابْــقَ وَاسْـلَمْ فِي أَمَــانٍ
مِــنْ صُــرُوفِ الحَــدَثَانِ
مَــا شَــدَتْ فِي الأَيْــكِ وُرْقٌ
وَأَضَــاءَ القَمَــرَانِ

فكتبت أنا جوابه:

(من مجزوء الرمل)

أَسَــنَا الْبَــرْقِ اليَمَانِــي
أَمْ حُلَــى الْغِــيدِ الحِسَــانِ؟!
أَمْ حَمَــامٌ يَتَغَنَّــى
طَــرَبًا فِي غُــصْنِ بَــانِ؟!
أَمْ قَــرِيضٌ جَــاءَ يَهْــدِي
لِــيَ فِــي الطِّــرْسِ افْتِنَانِــي؟!
فَــسَبَى عَقْلِــي وَلُبِّــي
ثُــمَّ مِــنْ بَعْــدُ ازْدَهَانِــي
غَيْــرَ أَنِّــي مِــنْ جَوَابِــي
فِي حَــيَاءٍ قَــدْ عَرَانِــي
فَــبِهِ أَنْكَــرْتُ كَفِّــي
وَضَــمِيرِي وَلِــسَانِي
خَــرَسَ اللهُ كَــرِيمًا
بِلآلِــيهِ حَبَانِــي
مَــا رَأَى الــنَّاسُ لَــهُ يَــا
وَاحِــدَ الآدَابِ ثَانِــي

كُــلُّ بـيْتٍ مِـثْلُ قَـصْرٍ
أُحْكِمَـتْ مِـنه الْمَبَانِـي
جَـنَّةٌ ذَاتُ ثِمَـارٍ
لَـمْ تَـنَلْهَا كَـفُّ جَانِ
مَـا أرَى تِلْـكَ القَوَافِـي الْـ
ـغُـرَّ إلاَّ بِـنْتَ حَـانِ
كُلْمَـا طَالَعْـتُ بَيْـتًا
حَـسْتُ كَأْسًا وَسَـقَانِي
فَتَـنَاوَلْتُ كُئُوسًـا
أَسْـكَرَتْنِي بالْمعَانِـي
لَـكَ فَـتْحَ الـدِّين ذِهْـنٌ
فِـيهِ نُـورٌ شَعْـشَعَانِ
يَـا هَـنَا الأَيَّـامِ لَمَّـا
جِئْـتَهَا فِـي العُـنْفُوَانِ
فَلَهَـا مِـنْك وَمِمَّـا
تَتَوخَّـى فَـرْحَتَانِ
وَأَصِـيلُ الأُفْـقِ بَـادٍ
كَخَلُـوقِ الزَّعْفَـرَانِ
لاَ تَـصُغْ لَفْظَـكَ شِـعْرًا
دَعْـهُ حَلْـيًا لِلْغَوَانِـي

أَوْ فَـــضَعَهُ تَـــاجَ فَــرْقٍ
مَـــا حَـــوَاهُ الْفَـــرْقَدَانِ
أَوْ فَرَصِّـــــغَهُ نُجُـــــومًا
وَسْـــطَ أَمْــلاكِ الْبَــيَانِ
أو فَـــــرُوقُه سُــــلافًا
قهْقهـــتْ مـــنها القَـــنانى
قَـــدْ أَبَـــانَ الْحُـــسْنُ فــيه
مُـــذْ بَـــدَا عَجْـــزُ أَبَـــانِ
[فَنَـــسِينَا ابــــنَ مُـــنِيرٍ
وَكَـــذَا ابْـــنَ القَيْـــسَرَانِى][(١)]
وَرَجَعْــــنَا عَــــنْ حَبِـــيبٍ
عِـــنْدَمَا هَـــانَ ابْـــنُ هَانِـــى
فَـــاحَ طِيـــبًا عَنْبَـــرِيًّا
مِـــنْ شَـــذَاهُ الخَافِقَـــانِ
لَـــو بَـــدَا حُـــسْنُ حُـــلاَهُ
أَوْ رَآهُ الأَصْـــــــفَهَانِى[(٢)]

(١) ابن منير هو: أبو الحسن أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح، مهذب الدين الطرابلسي الرفاء. من أعظم شعراء سوريا. توفى في حلب: سنة ٥٤٨هـ. انظر (وفيات ١/١٣٩) أما ابن القيسراني فهو أشرف الدين أبو عبد الله محمد بن نصر ابن صغير بن داغرا بن محمد بن خالد بن القيسراني. كان من أهم شعراء سوريا في عصر نور الدين بن زنكي، وكان منافسًا لابن منير السابق الذكر، كثير التخاصم معه. توفى سنة ٥٤٨هـ (وفيات ٤/٨٢).

(٢) هو أبو الفرج على بن الحسين، الكاتب الأصبهانى، صاحب كتابى الأغانى. المتوفى سنة ٣٥٦هـ في بغداد. ترجمته: (مقدمة الأغانى (١/٢٧-٤٤).

لَـــمْ يُفَارِقْـــهُ إِلَـــى أَنْ
زَفَّـــهُ لِي فِــي الأَغَانِـــي

وكتب هو إلى ملغزًا: (من الخفيف)

أَيُّهَــا الرَّاسِــخُ العُــلاَ وَالنُّهَــى إِنْ
زَاغَ ذُو اللُّــبِّ فِي الأُمُــورِ وَطَاشَــا
إِنَّ قَــوْمًا أَتَــوْا بِلُغْــزٍ وَقَالُــوا
لِــيَقُلْ فِــيهِ ذُو الــبَلاَغَةِ ماشَــا
قُلْــتُ: خَيَّــرْتُمُ فَخَيِّــرْتُمُونِي[1]
كُــلَّ شَــخْصٍ عَمَّــى الحَدِيثَ وَمَاشَا
قِــيلَ: قَــدْ قُلْــتَهُ صَــرِيحًا، وَقُلْــنَا
هُ صَــرِيحًا، فَقُــلْ وَلاَ تَتَحَاشَـــى
قُلْــتُ: فَاسْــمٌ أَوْلاَهُ لاَمٌ، فَقَالُــوا
عَــدِّ عَــنْ ذَا لاَ تَحْــسَبِ اللُّغْزَلاَشَا
هُــوَ شَــخْصٌ مُبَارَكُ الْقَلْبِ قَالَ الــ
ــمُـصْطَفَى نَـسْتَطِيبُ فِـيهِ المَعَاشَا
لَــيْسَ يَــدْرِي الْحَــيَاةَ، وَهْوَ صَحِيحٌ
فَــإِذَا شَــقَّ رَأْسَــهُ قِــيلَ عَاشَــا
وَهْــوَ اسْــمٌ إِنْ رَأْسُــهُ ذَنَــبًا صَــا
رَ وَصَــحَّفْتَ ذِكْــرَهُ مَــا تَلاَشَــى

---

(1) في (ب): «قلت خيرتم فخيرتموني».

وَهْــوَ فِعْـلٌ مِـنْ قُـبْحِهِ لَـوْ رَأَيْنَا
ه بِعَـــيْنٍ لَكَـــانَ فِـــيهِ عُمَاشَـــا
فَلْـتَكُنْ مُـنْجِدِي بِحُـسْنِ بَـيَانٍ
مُـنْجِدٍ مَـنْ دَعَـاهُ أَنَّـى اسْتَجَاشَا

فكتبت أنا الجوبا وهو في ماش:		(من الخفيف)

أَيُّهَـا الفَاضِـلُ الَّـذِي لَـمْ أَجِدْ لِي
قَـطُّ إِلاَّ عَمَّـنْ سِـوَاهُ انْكِمَاشَـا
والأَدِيـبُ الَّـذِي يَكَـادُ لِهَـذَا الْـ
ـفَنِّ يَفْنَـى، فَـنَالَ مِـنْهُ انتِعَاشَا
أَنْـتَ أَتْحَفْـتَنِي بِلُغْـزٍ بَدِيـعٍ
قَـرَّ فِكْـرِي بِـهِ، وَقَـدْ كَانَ طَاشَا
وَهْـوَ[1] شَـيْءٌ مِـنَ الحُبُوبِ وَلَكِنْ
إِنْ تَـزِدْهُ حَـرْفًا تَجِـدْهُ قُمَاشَـا[2]
لاَ عَجِـيبٌ فَإِنَّـهُ إِنْ تَـسَاوَى
طَـرَفَاهُ يَكُـنْ بِـذَلِكَ[3] شَاشَـا
كَـيْفَ لاَ يَعْـرِفُ[4] البَـرِيَّةُ هَـذَا
وَتَـرَاهُ بِالْعَـيْنِ فِـيهَا مَعَاشَـا؟!

---

(١) في الأصل: «هو شيء» ولا يستقيم على وزن الخفيف، والزيادة من النسخ.
(٢) ورد هذا البيت، والأبيات الأربعة التي بعده في (صرف العين/٢٨). ورواية البيت فيه:
وهـو شـيء مـن الحـبوب ولكـن		إن تــزده ..
(٣) «لذلك»: في صرف العين.
(٤) «لا تعرف البرية»، في صرف العين.

وَهْــوَ بالــتَّاءِ آخِــرًا[1] مَاتَ. لَكِنْ
هُــوَ بالعَــيْنِ أوَّلاً فِــيهِ عَاشَــا
وَإِذَا مَــا اللَّبِــيبُ جَــاوَبَ عَــنْهُ
قَــالَ فِــيهُ كَمِــثْلِ مَــوْلاَى مَاشَــا
دُمْــتَ تُحْــيِي الآداب في كُــلِّ فَــنٍّ
فَلَقَــدْ كَــادَ أَمْــرُهَا يَتَلاشَــى

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ [عثمان[2] بن] قايماز الشيخُ الإمامُ الحافظُ الرُّحْلَةُ الفريدُ المؤرِّخُ شمسُ الدين الذَّهَبِيُّ[3] أنشدنى من لفظه لنفسه[4]:

(من الوافر)

إِذَا قَــرَأَ الحَــدِيثَ عَلَــيَّ شَــخْصٌ
وَأَخْلَــى مَوْضِــعًا لِــوَفَاةِ مِثْلِــى
فَمَــا جَــازَى بِإِحْــسَانٍ[5] لأَنِّــى
(أُرِيــدُ حَــيَاتَهُ ويُــرِيدُ قَتْلِــى)

فنظمت أنا وأنشدته لنفسي[6]: (من الوافر)

(١) «وهو بالتاء آخر» في صرف العين.
(٢) الزيادة عن البدر الطالع (١١٠/٢)، ونكت الهميان، وغيرهما.
(٣) له ترجمة في الدرر (٤٢٦/٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (١٠٠/٩)، ونكت الهميان ٢٤١)، والوافى (١٦٣/٢). وغيرها، وفاته سنة ٧٤٨هـ.
(٤) (بالوافى ١٦٥/٢) «لنفسه مضمنا وهو تخيل جيد إلى الغاية، ثم ذكر البيتين. وقد وردا أيضًا في: البدر (١١٢/٢)، والدرر (٤٢٧/٣)، وتمام المتون ٢٠٢، ٢٠٣، ونكت الهميان ٢٤٣)، والنجوم الزاهرة (١٨٣/١٠)، وفوات الوفيات (٣٧٢/٢)، ودرة الأسلاك (٤٦٢/٢)، والمنهل الصافى (١٠٩/٣).
(٥) «بإحسانى» بالدرر.
(٦) بتمام المتون: «فغبت عنه وجئته فأنشدته لنفسى» ثم ذكر البيتين. وكذلك وردا في المصادر السابقة (الحاشية/٨) عدا الوافى ونكت، والنجوم، وفوات.

خَلِيلُكَ مَالَهُ فِي ذَا مُرَادٌ
فَدُمْ كَالشَّمْسِ فِي عُلْيا[1] مَحَلٌّ
وَحَظِّي[2] أَنْ تَعِيشَ مَدَى اللَّيَالِي
وَأَنَّكَ لاَ تَمَلُّ وَأَنْتَ تُمْلِي

فَأَعْجبه قولي (خَلِيلُكَ مَالَهُ فِي ذَا مُرَادٌ) كثيرًا، لأنه بقيّة البيتِ الذي [ضمنه[3] وهو]:

(أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي
عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ)

ولما قرأتُ عليه كتابه: طبقاتِ القرّاءِ[4].. وتناولته منه، وأجازني روايته عنه — كتبت عليه وهو سبع عشرة طبقة: (من الوافر)

عَلَيْكَ بِهَذِهِ الطَّبَقَاتِ فَاصْعَدْ
إِلَيْهَا بِالثَّنَا إِنْ كُنْتَ رَاقِي
تَجِدْهَا سَبْعَةً مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ
كَنَظْمِ الدُّرِّ فِي حُسْنِ اتِّفَاقِ[5]
تُجَلِّي عَنْكَ ظُلْمَةَ كُلِّ جَهْلٍ
بِهِ أَضْحَى مَقَالُكَ فِي وَثَاقِ

---

(١) «في أعلى» بالبدر، والدرر.

(٢) «وقصدي أن تعيش» بتمام المتون.

(٣) الزيادة عن (ب)، وعبارة (تمام المتون): «لأن تمام البيت الذي ضمنه». والبيت المضمن لعمرو ابن معد يكرب، من قصيدة له في توعد أبي المرادي. وقيل في توعد غيره (الأغاني ١٥/٢٢٧) برواية: «أريد حباءه». وانظر كذلك (العمدة: ٢/٨٧)، و(الشعور بالعور/١٨٠).

(٤) سماه «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» كما ذكر الصفدي في كتابيه: (الوافي: ٢/١٦٣، ونكت الهميان/٢٤٢) اللذين ورد فيهما الأبيات الأربعة الآتية.

(٥) بالوافي: «في حسن اتساق».

فَــنُورُ الــشَّمْسِ أَحْــسَنُ مَــا تَرَاهُ

إِذَ مَــالاَحَ في الــسَّبْعِ الطِّــبَاقِ

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ جابرٍ، الهوّاريُّ الأندلسيُّ المرّيُّ أبو عبدِ اللهِ الفاضلُ الأديبُ، الشاعرُ الضَّرِيرُ[1].

كتب هو إلي بدمشق المحروسة [يستجيزني[2]]:- (من البسيط)

إِنَّ البَــرَاعَةَ لَفْــظٌ أَنْــتَ مَعْــنَاهُ

وَكُــلُّ شَــيءٍ بَديــعٍ أَنْــتَ مَغْنَاهُ[3]

إِنْــشَادُ نَظْمِــكَ أَشْــهَى عِنْدَ سَامِعِهِ

مِــنْ نَظْــمِ غَيْــرِكَ لَــوْ إِسْحَاقُ غَنَّاهُ

تَحَجَّــبَ الشِّعْرُ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ جَهِدُوا

وَعِــنْدَمَا جِئْــتَهُ أَبْــدَى مُحَــيَّاهُ

أَتَــيْتَ مِــنْهُ بِمِــثْلِ الرَّوْضِ مُبْتَسِمًا

فَلَــوْ تَكَلَّــمَ زَهْــرُ الــرَّوْضِ حَــيَّاهُ

حَجَــرْتَ بَعْدَ ابْنِ حُجْرٍ أَنْ يَحُوزَ فَتًى

مَحَاسِــنَ الــشِّعْرِ إِلا كُــنْتَ إِيَّــاهُ

وَهَــلْ خَلِــيلٌ إِذَا عُــدَّتْ مَحَاسِــنُهُ

إِلا حَبِــيبٌ إِذَا عُــدَّتْ مَــزَايَاهُ؟!

---

(١) المتوفى سنة ٧٨٠هـ. له ترجمة في (الدرر (٣/٤٢٩)، ونكت الهميان (٢٤٤)، والوافي (٢/١٥٧)، ونفح الطيب (٢/٦٦٤). وغيرها.

(٢) الزيادة عن نكت الهميان، والوافي.

(٣) وردت القصيدة في: (نكت الهميان، والوافي) والرواية في الأخير: «وكل شيء بديع أنت معناه».

إِذَا المَعَرِّيُّ رَامَتْ ذِكْرَهُ بَلَدٌ
قُلْنَا لَهَا: الصَّفَدِيُّ اليَوْمَ أَنْسَاهُ؟!
أعلامُ كلِّ بديعٍ راق سامعَه
أَعْلَامُ فَخْرٍ[1] تَلَقَّتْهُنَّ كفَّاهُ
مَا لَذَّةُ السَّمْعِ إِلاَّ مِنْ فَوَائِده
وَلاَ لِفَضٍّ خِتَامِ العِلْمِ إِلاَّ هُو
يَا مُشْبِهَ البَحْرِ فيمَا حَازَ مِنْ دُرَرٍ
لكنَّ وِرْدَك عَذْبٌ إِنْ وَرَدْنَاهُ
حَلَّيْتَ أَسْمَاعَنَا بالدُّرِّ منْكَ وَمَا
كمَالُ ذَلِكَ إِلاَّ أَنْ رَوَيْنَاهُ
تِلْكَ الذَّخَائِرُ أَوْلَى مَا نسيرُ بهَا
للغَرْبِ مُغْرِبَةٌ فِيمَا سَمِعْنَاهُ
كذا الكواكبُ شرقُ الأرض مطلَعُها
وكلُّها أَبدًا للغَرْب مَسْرَاهُ
إِنَّ ابنَ جَابرٍ إِنْ تَسْأَلْهُ مَعْرِفَةً
مُحَمَّدٌ عندَ مَنْ نَادَى فَسَمَّاهُ
لَمَّا عَمَرْتَ مَجَالَ السَّمْعِ منْهُ بمَا
لَوْ جَالَ في سَمْعٍ مَلْحُودٍ لأَحْيَاهُ
وَافَاكُمْ مُسْتَجِيزًا، والإِجَازَةُ مِنْ
أَمْثَالكَ اليَوْمَ أَحْرَى مَا سَأَلْنَاهُ

---

(1) صدر البيت: «إعلام» بنكت. والشطر الثاني بالوافي: «أعلام فجر».

فــالفُظْ مُجيــزًا لنا ما صُغْتَ مِن كَلِمٍ
يُــنازِعُ الــرَّوْضَ مَــرْآهُ وَرَيَّـــاهُ
نَظْـــمٌ ونَثْـــرٌ يَهُـــزُّ الــسَّامعينَ لَـــهُ
لَــوْ صِــيغَ لِلــدُّرِّ حَلْيٌ كانَ حلاَّهُ[1]
إجَــازَةٌ شَــمِلَتْ مــا قد رَوَيْتَ، وَمَا
أَلَّفْــتَ، يانُخْـــبَةٌ فِــيمَنْ رَأَيْــنَاهُ
فَعِــشْ لِــنَظْمِ الْمَعَانِي فِي مَوَاقِعِها[2]
وَدُمْ لِـــوَارِفِ عِــزٍّ طَــابَ مَجْــنَاهُ

فكتبت له إجازة صدّرتها بقولي[3]:		(من البسيط)

يَـــا فَاضِـــلاً كَـــرُمَتْ فِيــنَا سَجَايَاهُ
وَخَــصَّنَا بِالْلآلِــي فِــي[4] هَــدَايَاهُ
خَصَــصْتَنِي بِقَــرِيضٍ شَــفَّ جَوْهَرُهُ
لَمَّـــا تَأَلَّـــقَ مِـــنْهُ نُـــورُ مَعْـــنَاهُ
مِـــنْ كُـــلِّ بَـــيْتٍ مَبَانِـــيهِ مُـــشَيَّدَةٌ
كَـــمْ مِـــنْ خَـــبَايَا مَعَـــانٍ فِي زَوَايَاهُ
إِذَا أُدِيــرَتْ قَوَافِــيهِ وَقَدْ ثَمِلَ النَّدِيمُ
(م) أَغْنَـــتْهُ عَـــنْ رَاحٍ تَعَاطَـــاهُ

(١) «كان إياه» بنكت، والوافي.
(٢) «في مواضعها» بنكت.
(٣) وردت القصيدة برمتها في (نكت الهميان/٢٤٦، والوافي ٢/١٥٨).
(٤) «من هداياه» بالوافي.

وَغَيْــرُ مُــسْتَنْكَرٍ مِــنْ أَهْــلِ أَنْدَلُسٍ
لُطْــفٌ إِذَا هَــبَّ مِــنْ رَوْضٍ عَرَفْنَاهُ

هُــمُ فَــوارِسُ مَــيْدَانِ الــبَلاَغَةِ فِي
يَــوْمِ الفَــصَاحَةِ إِنْ خَطُّوا وإِنْ فَاهُو

[إِيِــهِ تَفَــضَّلْتَ بالــنَّظْمِ البَدِيعِ فَمَا
أَغْــلاَهُ عِنْدِى - مِنْ عِقْدٍ وَأَغْلاَهُ][1]

أُقْــسِمُ لَــو سِمِعَــتهُ أُذْنُ ذِى حَزَنٍ
فِي الدَّهْــرِ أَلْــزَمَهُ[2] البُشْرَى وَأَلْهَاهُ

أَشَــرْتَ فِــيهِ بِأَمْــرٍ مَــا أُقَابِلُــهُ
إِلاَّ بِطَاعَــةِ عَــبْدٍ خَــافَ مَــوْلاَهُ

وَلَــسْتَ أَهــلاً لأَنْ تَزْوِى فَضَائِحَ مَا
عِــنْدِى لأَنِّــى مِــنَ التَّقْصِيرِ أَخْشَاهُ

[وَلَــيسَ إِلاَّ الَّــذِى تَرْضَاهُ فَازْوِ عَنِ
(م) الْمَمْلُوكِ مَا رُحْتَ تَهْوَاهُ وَتَرْضَاهُ[3]]

وكتب إلى من إلبيرة[4] المحروسة، وأنا بحلب المحروسة سنة ٧٥٩[5].

---

(١) البت ساقط من الأصل، والزيادة عن النسخ المساعدة، ونكت الهميان، والوافى.
(٢) «في الدهر ألهمه» بالوافى.
(٣) البيت زيادة عن: نكت الهميان، والوافى.
(٤) إلبيرة، هى : كورة كبيرة من الأندلس بينها وبين قرطبة تسعون ميلا، وفيها عدة مدن قسطيلية وغرناطة. انظر: (معجم البلدان: ١/٣٢١).
(٥) من هنا إلى آخر الترجمة ساقط من الأصل. والزيادة عن: أ ، ب ، ز ، م . واتخذت (ب) أصلا.

(من الرمل)

وَصَـلَتْ، فَلْيَهـنَنِي لَـيْلُ الوِصَـالِ
وَصْـلُهَا الْعَالِـي بِنَفْـسِي غَيْرَ غَالِ

قُـلْ لِمَـنْ بَـشَّرَنِي لَمَّـا أَتَـتْ
هَـذِهِ نَفْـسِي[1] فِي الْبُـشْرَى وَمَالِي

أَقْـبَلَتْ وَالـوَقْتُ مُحْـتَاجٌ لَهَـا
حَاجَـةَ الظمـآنِ لِلْمَـاءِ الـزُّلاَلِ

وَإِذَا الـشَّيْءُ أَتَـى فِـي وَقْـتِهِ
زَادَ فِـي العَـيْنِ جَمَـالاً بِجَمَـالِ

كَلَّمَتْـنَا فَحَـسِبْنَا[2] أَنَّهَـا
نَثَـرَتْ مَـا فِـي حُلاَهَـا مِـنْ لآلِ

بَـيْنَ فَـرْعَيْهَا، تَـبَدَّتْ، والدُّجَـى
فَـرَأَيْنَا قَمَـرًا بَـيْنَ لَـيَالِ

قَـدْ حَـلاَ لِـي فِي هَـوَاهَا مَا جَنَى
لَحْظُهَـا الـنَّافِثُ بالـسِّحْرِ الحَـلاَلِ

قُلْـتَ: ذا لَحْـظُ غَـزالٍ، فَـدَعَتْ
هُـوَ مَـا قُلْـتَ،وَكَمْ لَـيْثٍ غَزَالِي

إِنْ تَـبَدَّتْ عَـاطِلاً تَـسْبِي النُّهَـى
[كَـيْفَ حَالِي فِي الْهَوَى والجِيدُ حَالِي

---

(١) في (ب) : «**هذه روحي**» واخترت ما في النسخ الأخرى.

(٢) في (ب): «**فحسبنا**» واخترت ما في النسخ الثلاثة.

يَلْعَبُ الحُبُّ بأَرْبَابِ النُّهَى[1]]

وَيُدِيرُ المرْءَ مِن حَالٍ لِحَالِ

كَمْ نَوالِى مِنْ نَوالٍ حَسَنٍ

فِى هَوَاهَا كَمْ خَبَالى مِنْ خَبالِ

لاَ أُبَالِى إنْ سَلاَهَا خَاطِرى

وَإذَا تَاهَتْ فإِنِّى لاَ أُبَالِى

بِكَمَالِ الحُسْنِ عمّتْنَا هَوًى

فَلِعُذَّالى مِنَ الْوَجْدِ كَمَالِى

غُصُنٌ في القَدِّ، رَوْضٌ فِى الشَّذا،

شَادِنٌ في اللّحْظِ، بَدْرٌ في كَمَالِ

طُوِيَتْ في الخِدْرِ مِنها فِتَنٌ

نَشْرُها[2] يَسْلُبُ أَلْبَابَ الرِّجَالِ

وَجْهُهَا، والشَّعْرُ، والقَدُّ عَلَى

رِدْفِهَا، والخَدُّ فَوْقَ الجِيدِ عَالِ

قَمَرٌ، في غَسَقٍ، في غُصُنٍ

في كَثِيبٍ، في رِيَاضٍ، فِى غَزَالِ

مَلَكَتْ رِقِّى فَرَقَّتْ رَحْمَةً

فَجَرَى مَا لَمْ يَكُنْ يَجْرِى بِبَالِى

قَالَتِ آنْ الوَقْتَ خَالٍ فاغْتَنِمْ

لَثْمَ خَالِى آمِنًا عَمِّى وَخَالِى

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من (ب) والزيادة عن: أ، ز ، م .

(٢) في (أ) : «قدها يسلب» .

قَــدُّهَا يَجْعَلُهَـــا مِــنْ مَـــازن
وَيَقُــولُ الــوَجْهُ لاَ بَــلْ مِــنْ هلالِ
قُــلْ لِمَــنْ حَــلَّ بِأكْــنَافِ الحِمَــى
إنَّمــا قَلْبِــىَ فِــي تِلْــك الحِــلالِ
وَإذا جُـــزْتَ بِمَغْـــنَاهُمْ فَـــسَلْ
عَــنْ فُــؤادى، وَتَلَطَّــفْ فِي السُّؤالِ
وَإذَا هُـــمْ سَـــألُوا عَـــنْ خَبَــرِى
أكِّــدِ الأيْمَــانَ إنِّــى غــيرُ سَــالِ
كَــمْ غَــرَامٍ أوْدَعُــوا إذْ وَدَّعُــوا
كَــمْ جَمَــالٍ حَمَّلُــوا فَــوْقَ الجِمالِ
أعْمَلُــوا كُــلَّ خَفِــيفٍ فِي الــسُّرى
وَسَــرِيعُ الدَّمْــعِ عِــنْدِى فِى الهِمَالِ
يَــا رُمَــاةَ الحَــيِّ كُفُّــوا نَــبْلَكُمْ
فَــلأَلْحــاظكمْ فِعْــلُ النِّــبَالِ
لا أخَــافُ الــسُّمْرَ لكِــنْ خِيفَتِــى
مِــن قُــدُودٍ هُــنَّ كالــسُّمْرِ العَوَالِى
فَمَعَانِــى الحُــسْنِ فِــيها، مِــثْلَ مَــا
فِــى صَــلاحِ الدِّين مَجْمُوعُ المَعَالِى
كَاتِـــبُ الــــسِّرِّ الَّـــذِى أقْلامُـــهُ
لِلــــوَرَى أعــــلامُ عِلْــــمٍ وَنَــــوَالِ

كَـمْ أَجَـادَتْ إذْ أَجَابَـتْ سَـائلاً
كَـمْ أَفَـادَتْ إذْ أَفَاضَـتْ غَيْثَ مَالِ
فَلِـــرَاوٍ، وَلِـــرَاجٍ، كُلْمَـــا
شَـــاءَ مِـــنْ دُرٍّ وَدَرٍّ مُتَوَالِـــي
زَيَّـــنَ المُلْـــكَ بِـــهِ مِـــنْ كَاتِـــبٍ
كَـاتِمٍ لِلْـــسِّرِّ مَحْمُـــودِ الخِـصَالِ
لاَ تَقُـــلْ مَـــثِّلْ لَـــنَا أوْصَـــافَهُ
فَهْـــوَ بَـيْنَ الـنَّاسِ مَعْـدُومُ المِـثَالِ
مُفْـرَدٌ قَـدْ حَـازَ مَجْمُـوعَ العُـلاَ
مُفْـــرِدٌ كُـــلَّ مَقَـــامٍ بِمَقَـــالِ
مُغْـرِبٌ فِـي كُـلِّ فَـنٍّ مُغْـرِبٍ
عَـنْ جَمَـالِ القَـوْلِ فِي كُلِّ مَجَالِ
شَـــرَّفَ الأَسْـــمَاعَ إذْ شَـــنَّفَهَا
بِكَـلاَمٍ قَـدْ حَـوَى كُـلَّ كَمَـالِ
لِلْقِـــصَارِ الحُمْـــرِ[١] فِي قِرْطَاسِـــهِ
حِـينَ تَجْـرِي، صَوْلَةُ السُّمْرِ الطِّوَالِ
إنْ نَهَـــى، أوْ أَمَـــرَ الأَمْـــرَ بِهَـــا
إنَّهَـــا أَفْعَـــلُ مِـــنْ زُرْقِ النِّـــصَالِ
فَعَلَـــتْ كُـــلَّ جَمِـــيلٍ، فَعَلَـــتْ
وَكَفَـــتْ إذْ وَكَفَـــتْ كُـــلَّ نَـــوَالِ

(١) كذا في (ب). «للقضا والخمر».

وَقَفَتْ سُبْلَ ذَوِى الفَضْلِ [وما][1]
وَقَفَتْ كُلَّ اخْتِفَاءٍ وَاحْتِفَالِ
وَسَمَتْ عِزًّا بِمَا قَدْ وَسَمَتْ
فحَوَتْ كُلَّ احتفاءٍ واحتفالِ
تُنبِتُ الزَّهْرَ، وَلَيْسَتْ سُحُبًا
لَكِنِ السُّحْبُ بِهَا ذاتُ اتِّصَالِ
زيَّنَ الشهْبَاءَ لَمَّا حَلَّهَا
زِينَةَ الحَلْىِ لِربَّاتِ الحِجَالِ
فَهُنَا حَقٌّ لها حُسْنُ الهَنَا
فَلَقَدْ نَالَتْ بِهِ أَعْلَى مِثَالِ
مَدَّ فيها ظِلَّهُ حَتَّى غَدَتْ
جنَّةً يَرْفُلُ مِنْهَا في ظِلاَلِ
رُحْلَةُ الوَقْتِ هو اليومَ فَمُذْ
حَلَّهَا صَارَت مَحَطًّا للرِّحال
كانَتِ الرِّحْلَةُ لِلشَّامِ، وَقَدْ
صَارَتِ اليَوْمَ إلى أَرْضِ الشَّمَالِ
كُلُّ مَنْ فيها لَقَدْ سُرَّ بِه
مِثْلَما سُرَّ بِبُرْءٍ ذو اعْتِلالِ
فالهَناءُ اليومَ فيها شَامِلٌ
غَيْرَ أَنَّا فيه أولى باشْتِمالِ

---

(١) ساقطة من (ب)، والزيادة عن: (أ، ز، م).

فَعَلَيْـــنَا مِـــنْ أيَـــادِي بِـــرِّه
مِـــنَنٌ، قَـــلَّ لهـــا[1] لَـــثْمُ الـــنِّعَالِ
فَلَقَـــدْ وَفَّـــى وَوَالَى كَـــرَمًا
عِـــنْدَمَا قَـــلَّ المُوافِـــي والمُـــوالِي
هُـــوَ بالـــشَّامِ لَـــنَا أوَّلُ مَـــنْ
قَـــدْ عَـــرَفْنَا مِـــنه مَحْمُـــودَ الفِعَـــالِ
صَـــادَفَتْ حُـــسْنَاهُ مِـــنَّا مَـــوْقِعًا
فَـــثَوتْ في الـــصَّدْرِ مِـــنْ غَيْرِ انْتِقَالِ
فَنَظَمْـــنا مِـــنْ لآلِـــي شُـــكْرِهِ
أحْـــسَنَ الحَلْـــيِ عَلَـــى جِيدِ اللَّيَالِي
سَـــاقَهُ اللـــهُ إِلَيْـــنَا نِعْمَـــةً
أوْجَـــبَتْ أوْجُـــهَ شُـــكْرٍ وَابْـــتِهَالِ
دَامَ لِلأقْـــلامِ زَيْـــنًا فِـــيهِ
كُـــسِيَتْ حَلْـــيُ المَعَانِـــي والمَعَالِـــي

فكتبت أنا الجواب إليه أشكره على ذلك [ارتجالا][2]:

(من الرمل)

هَـــذِهِ الخَـــودُ الـــتي جَهَّـــزْتَهَا
مَـــا لَهَـــا بَـــيْنَ البَـــرَايَا مِـــن مِـــثَالِ
أسُـــلافٌ لَفْظُهَـــا، أمْ زَهَـــرٌ
أمْ لآلٍ، أمْ نُجُـــومٌ في لَـــيَالٍ؟!

---

(١) في (ب): «قل لنا»، واخترت ما في (أ،م)، والكلمة في (ز): «قل بها».
(٢) ساقطة من (ب)، والزيادة عن : (ز، م).

[بياض][1].

محمدُ بنُ جَنْكَلي الأميرُ الفاضلُ الفقيهُ المحدِّثُ، ناصرُ الدين بنُ الأميرِ الكبيرِ بركةِ الدُّوَل، **بدرِ الدين بنِ البابا**[2].

كَتب إليَّ بعدَ خروجي من القاهرة المحروسة في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، وأنا بصفد المحروسة: «**إنَّ الذي فرض عليك القرآنَ لرادُّك إلى معاد**»[3].

(من البسيط)

يَـــا رَاحِــلاً وَجَمِــيلُ الــصَّبْرِ يَتْبعُهُ
هَــلْ مِــنْ سَــبِيلٍ إلى لُقْــيَاكَ يَتَّفِقُ؟!
مَــا أنْــصَفَتْكَ دُمُوعِــي وهْيَ دَامِيَةٌ
إلاَّ وَفَــي لَــكَ قَلْبِــي وَهْــوَ يَحْتَرِقُ

يا مولانا تذكَّرْ قولَه ﷺ : «**ما قضى اللــهُ لامْرِىءٍ مؤمنٍ من قضاء إلاَّ وكان الخيرَةُ له، فيما قَضي من ذلك، إنْ أَصَابَتْه ضَرَّاء فصَبَرَ، كانَ خيرًا له، وإن أصابَتْهُ سَرَّاء فشكرَ؛ كانَ خيْرا له، وليس ذلك إلاَّ للمُؤْمن**» [4]. وفي الأثر: (المؤمنُ مُلْقَى)[5]. وفي حديث سُويد

---

(١) ساقطة من (ب)، وهي هكذا في (ز).

(٢) المتوفى سنة ٧٤١هـ، له ترجمة في (الدرر ٣٦/٤)، والوافي (٣١٠/٢)، ودره الأسلاك (٣٥٣/٢)، والمنهل الصافي (٦٤٠/٣) (ب) وغيرها.

(٣) من الآية: (٨٥: القصص).

(٤) الحديث كما نقله الإمام النووي في كتابه: (رياض الصالحين/٢٥).

(عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له**»، رواه مسلم.

(٥) بمجمع الأمثال (١٧٣/٢): «**الكافر موقى والمؤمن ملقى**» . أي لا يزال يلقاه =

الحارثيّ الأزْديّ وقومه حين قدُومهم على سيِّد البشر، أنّه فسَّر إيمانهم بخَمْسَ عشْرَةَ خصلةً، وفيها الصَّبْرُ عند البلاء، والرِّضا بمواقع القضاء[١].

وبالجملة الحمدُ والشكر لله أوَّلاً وآخرًا، والله معك حيثُ كُنتَ والسلام [على الدوام][٢].　　(من الرجز)

أَوْحَشْتَ مِصْرَ فَاذْلَهَمَّ رَبْعُهَا
شَوْقًا إلى ذَاكَ المُحَيَّا الزَّاهِرِ[٣]
أَفَضْتَ في فَضَائِهَا فَضَائِلاً
مِنْ بَحْرِ عِلْمٍ قَدْ حَوَيْتَ زَاخِرِ
نَشْرٌ إِذَا نَظَرْتَهُ كَأَنَّهُ الْـ
ـمَنْشُورُ لاحَ وَسْطَ رَوْضٍ نَاضِرِ

مكروه (لسان: (لقا).

(١) قال سويد بن الحارث الأزدى (أسد الغابة الترجمة/٢٣٤٣).

«وفدت على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي، فأعجبه ما رأى من سمتنا وزيّنا، فقال: ما أنتم؟ قلنا: مؤمنون. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانكم؟ قال سويد: قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئًا. فقال رسول الله ﷺ ما الخمس التي أمركم رسلي أن تؤمنوا بها؟ قلنا: أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت. قال: وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تعلموا بها؟ قلنا: لا إله إلا الله ومحمد رسول الله، ونقيم الصلاة، ونؤتى الزكاة، ونحج البيت، ونصوم رمضان. قال: وما الخمس التي تخلّقتُم بها في الجاهلية؟ قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصبر في مواطن اللقاء، والرضا بمر القضاء، والصبر عند شماتة الأعداء. فقال النبي ﷺ حلماء علماء، كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء».

(٢) الزيادة عن (ز)، وفي (م): «والسلام والحمد لله وحده».

(٣) ورد من هذه القصيدة ستة أبيات في : (درة الأسلاك ٢/٣٥٤) وهي: (١ ٥ ٤، ٦، ١١).

وَنَظْـــمُ شِـــعْرٍ رَاقَ فِي تَأْلِــيفِه
فَأَخْجَــلَ العُقُــودَ فِــي الْجَوَاهِــرِ
وَحُــسْنُ خَــطٍّ قَــدْ جَعَلْــتَ طِرْسَه
مُـــدَبَّجًا كالـــرَّوْضِ بِالأَزَاهِـــرِ
يَــا فَخْــرَ دَهْــرٍ أَنْــتَ مِــنْ كُتَّابِه
تُخْجِــلُ كُــلَّ نَــاظِمٍ وَنَاثِــرِ
وَعِــزَّ مُلْــكٍ كُــنْتَ فِــي دِيــوَانِه
تُنْــشِيءُ مَــا يَلْعَــبُ بِالــضَّمَائِرِ
إِذَا تَرَسَّـــــلْتَ إِلَى أَعْدَائِـــــه
أَغْنَيْـــتَهُ عَـــنِ الْحُـــسَامِ البَاتِـــرِ
يَــا فَاضِــلاً أَخْنَــى عَلَــيْهِ دَهْــرُه
لاَ تَخْــضَعَنَّ لِنَكْــبَةٍ فِي الظَّاهِــرِ
وَاصْــبِرْ وَلاَ تَقْلَــقْ لأَهْــوَالِ الرَّدَى
فَــإِنْ تَــبِتَّ نِلــتَ أَجْــرَ الــصَّابِرِ
أَرْجُــو لَــكَ العَــوْدَ لِمِصْرَ سُــرْعَةً
مُظَفَّـــرًا كَمَـــا يَظُـــنُّ خَاطِـــرِي

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[1]:			(من الرجز)
يَــا بَــرْقُ هَــلْ تَرْثِي لِصَبٍّ سَاهِرٍ؟!
وَهَــلْ تَــرَى لِكَــسْرِه مِــنْ جَابِرٍ؟!

(١) ورد من هذه القصيدة سبعة أبيات في (درة الأسلاك/٢/٣٥٤)، وهي: (١٠-١٣، ١٥، ٢٥، ٢٦).

وَهَـلْ لِمَـا قَـدْ نَابَـهُ مِـنْ رَاحِمٍ
أوْ لَـمْ يَكُـنْ، فَهَـلْ لَهُ مِنْ عَاذِرِ؟!
أَبِـيتُ لاَ أَنِـيسَ لِى إِلاَّ الَّـذِى
يَـدُورُ مِـنْ شَـكْوَاىَ فِي ضَـمَائِرِى
أَخْرَجَنِـى كالسَّهْمِ مِـنْ كِـنَانَةٍ
حُكْـمُ زَمَـانٍ فِي القَـضَاءِ جَائِـرِ
وَابْتَزَّنِـى صَـبْرِى، وَمـا رَأْىُ الوَرَى
عَلَـى الَّـذِى قَـدْ نَالَنِـى مِنْ صَابِرِ
فأَضْـلُعِى تُحْنَـى عَلَـى جَمْرِ الغَضَا
وَمَـا الـشَّرَارُ غَيْـرَ قَلْبِـى الطَّائِـرِ
وَمَـنْ غَـدَا بَاطِـنُهُ مُـشْتَغِلاً
لَـمْ يُغْـنِه تَجَلُّـدٌ فِي الظَّاهِـرِ
وَمُقْلَتِـى تَعَثَّـرَتْ دُمُـوعُها
لأَنَّهَـا تَجْـرِى عَلَـى مَحَاجِـرِى
وَالـنَّوْمُ لاَ أَعْـرِفُ مِـنْهُ سِـنَةً
فِي سَـنَةٍ إِلاَّ بِحُكْـمِ الـنَّادِرِ
يَـا دَهْـرُ قَـدْ رَمَيْتَنِـى بِنَكْـبَةٍ
عَـدِمْتُ فِـيها قُوَّتِـى وَنَاصِـرِى
القَاتِـلُ المَحْـلَ بِجُـودِ كَفِّـهِ
وَصَـاحِبُ الإِبْـدَاعِ فِي المَفَاخِـرِ

كَـــمْ حَدَّثَتْنِـي رَاحَـــتَاهُ عَــنْ عَطَـا
وَكَـــمْ رَوَى لِــي لُطْفُـــهُ عَــنْ جَابرِ
يَــا قَاطِـــعَ البِـــيدِ إلى أَبْـــوَابِه[1]
ظَفِــرْتَ مِـــنْ جَـــدْوَاهُ بالجَوَاهِـــرِ
لاَ تَـــشْكُ فِي الفَقْـــرِ ظَمَـــا، فَكَفُّـــهُ
أَطْـــبَقَهَا عَلَـــى الخِــضَمِّ الزَّاخِـــرِ
وَيَـــا مُجَارِيـــهِ لِغَايَـــاتِ العُـــلاَ
قِــفْ وَاسْـتَرِحْ مِـــن هَــذِهِ الخَوَاطِرِ
كَــمْ قَــدْ جَــرَى البَــرْقُ عَلَى آثَارِه
فَلَـــمْ يَفُـــزْ إلاَّ بِجَــــدٍّ عَاثِــــرِ
وَيَـــا مُـــنَادِي بَأْسَـــهُ إلى الوَغَـــى
جَهِلْـــتَ مَـــا تَبْغِـــي فَـــلاَ تُخَاطِـــرِ
هَـــلْ حَـــدَّثَ الـــثَّعْلَبُ يَـــوْمًا نَفْسَهُ
أَنْ يَلْتَقِـــي بَطْـــشَ الهِزَبْـــرِ الخَادِرِ؟!
وَيَـــا مُـــبَارِي فَـــضْلَهُ فِي عِلْمِـــهِ
مَـــا أَنْـــتَ مِـــن أَقْـــرَانِهِ فَكَاسِـــرِ
أَمَـــا تَـــرَى مَـــا حَـــازَ مِـــنْ فَضَائِلٍ
فَاقَـــتْ عَلَـــى قَطْـــرِ الغَمَامِ الهَامِرِ؟!
الـــسَّيْفُ وَالْيَـــرَاعُ فِي بَـــنَانِه
مَـــا اجْـــتَمَعَا إلاَّ عَلَـــى الْمَآثِـــرِ

(١) إلى أربعة: بدرة الأسلاك.

سِـــيَادَةٌ فِي بَيْـــتِهِ مَـــشْهُورَةٌ
تُعَـدُّهَا فِـى كَابِـرٍ عَـنْ كَابِـرِ[1]
آهِ عَلَـى مَـا فَـاتَ مِـنْ نَـوَالِه
وَفَـضْلِهِ وَجَبْـرِهِ لِخَاطِـرِى
وَلُطْفُـهُ ذَاكَ الَّـذِى حَدِيـثُهُ
تَعْـرِفُهُ فِـي كُـلِّ رَوْضٍ زَاهِـرِ
أَبْعَدَنِـى دَهْـرِىَ عَـنْ أَبْـوَابِه
يَـا وَيْـحَ دهْـرٍ بالْفِـرَاقِ ضَائِرِى
وَرُبَّمَـا يَـسْمَحُ لِـى بِعَـوْدَةٍ
فَيُغْفَـرُ الأَوَّلُ عِـنْدَ الآخِـرِ

وكتبتُ له منشورًا شريفًا بإقطاعِ أحدٍ وأربعين رُمْحًا في أيام السلْطان الملكِ الناصرِ محمد بنِ المَلكِ المنصورِ سيفِ الدين قلاوون — رحمهم الله تعالى — في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة:

الحمدُ لله الذي نصرَ جيشَ الإسلامِ بمُحَمَّده، وجعلَ مفارقَ العدى من إغْمادِ مُهَنَّدِه، وأطفأَ بوَبْلِ نَبْلِه حَرَّ الوغى إذا زادَ في تَوَقُّدِه، وجمع له بين فضلِ السَّيفِ والقلمِ فكان هذا الجمعُ من مزايا تَفرُّدِه. نحمدُه على نعمه التي منَحتْ دوْلَتَنا القاهرةَ، وليًّا تُعْقَدُ عليه الخناصر، وخصّتْ أيَّامَنا الزاهرةَ بماجد طالتْ منه الأُصولُ كما طابَتْ العناصر، وزانتْ مَواكبَنا الوافرةَ بفَارسٍ يُصْبِحُ النَّجْمُ عن مَداه وَهْوَ قاصٍ، والبرق [وهو][2] قاصر، وأعزَّتْ جيوشَنا الباهرةَ منه ببطلٍ من لم يكنْ له وَسْمه

(1) لعل هذا البيت مأخوذ من قول الأعشى (ديوانه/93) يمدح عامر بن الطفيل:
ساد وألفى قومه سادة   وكابرًا سادوك عن كابر
(2) الزيادة عن (ب).

واسمُه «فما لهُ من قُوة ولا نَاصر»[١]. ونشهد أن لا إلّه إلى الله وحده لا شريك له شهادةً تُرْغِمُ معاطِسَ الكُفر والضلال، ونُعْلى بها كلمةَ الإيمان بصُدورِ البيضِ البُتر، وكُعوب السُّمْرِ الطوال، ونُطْلِعُ بها في ليل العجاجِ المُظْلِم أسنَّةَ الذَّوابلِ تَتَّقدُ كالذُّبال، وننال بإخلاصها النَّصرَ إذا تَبَّتْ يدُ الكافرِ يومَ الفتحْ في القتال. ونشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبْدُه ورسولُه الذي جاهَد في الله حقَّ جهادِه. ونصرَ الدّينَ الحنيفَ بأنواعِ أعوانه وأجناسِ أجناده، وخَضَّبَ بدم أَهل الشِّرْك أناملَ عوامله وأجْيادَ جياده، وأتْعَبَ السيوفَ في راحته حتَّى لَقِيَ الشِّرْكَ وأُلوفَهُ بالتَّوحيد وآحاده. صلّى الله عليه وعلى آله وصحْبه الذينَ دَعاهم إلى هُدَاهم فَثَنَوْا إليه الأعِنَّه، ورَأوْا أَفْعالَه فروَوْا عنه السُّنَّة، وجالدُوا أعداءَه فروَّوْا منهم الأسنَّه، واستَبْشَروا ببيْعهم الذي بايَعَهَمُ بأنَّ لهم الجنَّة[٢] — صلاةً تَبْتَلِجُ بها نُجومُ الظُّلَم، وتتأرَّجُ بها نَسَماتُ الضَّالِ والسَّلَم، ما خَفَقَتْ عَذَباتُ علَم، وثلَّ الإيمانُ عرْشَ البُهتان وثَلَم، وسلم تسليما كثيرا. وبعد:

فإن أحقَّ الأولياء بمُوالاة النِّعم، ومُغالاة القيم، ومُضاعفة الآلاء[٣] عليه حتى تَخجلَ الدِّيم، مَنْ تُزاحمُ النّجوم عُلْياهُ بالمناكب، ويَغْدُوا بَدْرُ الجُيوش في هالة المواكب، ويَمتَشقُ الصوارمَ بيمناه، فتركبُ من شوقٍ إلى كل راكب، ويَعتَقِلُ الذّوابلَ فتلجُ في عُلوٍّ كأنّما (تُحاوِلُ ثأرًا عند بَعْضِ الكواكب)[٤].

---

(١) الآية: (١٠: الطارق).

(٢) يقتبس قوله تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم» : (١١١: التوبة).

(٣) بالأصل: (ومضاعفة الآء).

(٤) عجز بيت لأبي تمام (بديوانه ١/٢١٠) وتمامه:

مكارم لجت في علو كأنما   تحاول ثأرًا عند بعض الكواكب

وكان المجلسُ السامي الأميري وألقابُه الناصري، ونعوتُه محمدُ بنُ الجناب العالي الأميري البدري جنكلي بن بابا النّاصري – أدام الله عزَّه – من قوم ندعُوهم فيُلَبّون إلى طاعتنا الشَّريفة مُسْرعين، ونرجو لفَتَاهم كمالَ المائة فقد تجاوزَ بهذا الإقطاعِ حدَّ الأربعين[١]. فهُمْ أبطالٌ تَفرقُ الأُسودُ الغُلبُ من وَثباتها وَثَبَاتِها، وفرسانٌ قوائمُ خيلهم صَوالجُ تلعبُ من رءُوس العدى بكَرَّاهما في كرَّاتها، وشجعانٌ ألفُوا مقاعدَ الخيل، فكأنَّهم وُلدوا على صَهَواتها[٢]، وأُمراءُ زانوا مواكبَنا السعيدةَ التي (لا تَخرُجُ الأقْمارُ عَنْ هَالاتها[٣]) قد احتكم إلى يمينه السَّيفُ والقَلَم، وانطوى على نَشْرِ العلْم والعَلَم، ونقصَ عند إقدامه زيدُ الخيل[٤]، وشابَ من شجاعته عامرُ بنُ الطُّفَيْل[٥]، وعجز ابنُ عساكرٍ عن حفظه، وغرقَ ابْنُ نُقطةَ في بحرِ لفظه، فهو من المناضلة إلى المُفاصلَه، ومن تدبير العوالي إلى تسْطير الأمالي، ومن جلاد الفوارس إلى جدالِ المدارس، ومن ظهور السابقةِ العراب إلى بطُون النَّاطقَة بالصَّواب، عمَلاً بقول الأوّل[٦].

---

(١) من قول سحيم بن وثيل الرياحي:

وماذا يدرى الشعراء منى وقد جاوزت حد الأربعين

(٢) يشير إلى قول المتنبي:

وكأنها نتجت قيامًا (تحتهم) وكأنهم خلقوا من هالاتها

(٣) عجز بيت للمتنبى (بديوانه ٢٣٣/١) وتمامه:

أعيا زوالك عن محل نلته لا تخرج الأقمار من هالاتها

(٤) زيد الخيل بن زيد بن منهب فارس جاهلي مشهور. أثنى عليه النبي ﷺ وسماه زيد الخير. انظر ترجمته (جمهرة أنساب العرب/٤٠٣).

(٥) من بنى عامر بن صعصعة، قاد قومه في غارات كثيرة في الجاهلية (جمهرة أنساب العرب/٢٨٥).

(٦) هو المتنبى. والبيت بديوانه (١٩٣/١). من قصيدته في مدح كافور، مطلعها:-

(من الطويل)

(أعَزُّ مَكَانٍ في الدُّنَا سَرْجُ سَابِحٍ

وَخَيْرُ جَلِيسٍ في الزَّمَانِ كِتَابُ)

لأنَّه نَجْلُ والده الذي ما رفَعْنَا رايةَ رأيه في أَمر فَفَسدَ، وفرعُ أصْله الذي نشأ في خدمتنا الشريفة. والشِّبْلُ في المَخْبر مثْلُ الأَسَد. كم لوالده من يوم حرْب أذْكَرَ النَّاسَ ببدر، وكم له من ليلة علا فيها قَدْرُهُ «**وما أدْرَاكَ ما لَيلَةُ القَدْرِ**»[1]. وقد اقْتَضَتْ آراؤُنا الشريفةُ تغييرَ إقطاعه ليَقْوَى حزبُهُ على الحرْب، ويَنْتَقي مَنْ يكونُ أمَامَه من أبناء الطَّعْنِ والضَّرْب، وتمرحُ به كُمْتُ الجياد في الأرْسان، وتُشاهدُ من مقامات حَرْبه مقاتلَ الفرْسان، وتَنْظمُ في صفاته صحاحَ الجوهريّ إذا نثر من الدِّماء قلائدُ العقيان، والفتوحُ تَيَسَّر للدِّين القَيِّم بالحُتوف، و«**الجَنَّةُ - كما قال ﷺ تَحتَ ظلاَلِ السُّيوف**»[2]، والبطلُ إذا صدَقَ النِّيَّةَ في الله تعالى هزَم الصُّفوف [و: [من السريع]

لَيسَ على الله بمُستنكرٍ

أن يجمعَ العالمَ في واحدِ

يفوق الألوف][3]، فلذلك خرج الأمرُ الشريفُ العالى المؤلوى

متى كن لى أن البياض خضاب	فيخفى بتبييض القرون شباب

(١) الآية: (٢: القدر).

(٢) في (صحيح البخاري ٢٧/٤) بباب فضل الجهاد والسير: قال عمر للنبي ﷺ أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى. واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف».

(٣) الزيادة عن (أ، ب، ز، م)، والبيت لأبي نواس في مدح الفضل بن الربيع (أبو نواس، لابن منظور/١٠٩) وهو مع ما قبله:

أوجده الله فما مثله	لطالب ذاك ولا واجد

ليس على الله بمستنكر	أن يجمع العالم في واحد

السُّلطانِ الملَكيِّ النَّاصريّ – أعلاهُ الله وشرَّفه – أن يُجرى في إقطاعه.

فلما جُهِّزَ إليه المنشورُ الشريفُ، كتب هو إلى قرينِ تشريف جهّزه والدُه المشارُ إليه:

يا مولانا ما هذا منشور، إنْ هذا إلا لُؤْلؤٌ مَنْثور، كلُّ سطرٍ منه جَنَّةٌ قد حُفَّتْ بالثِّمار، وكلُّ شطرٍ من سطره لو يُباعُ اشْتُرِيَ بألفِ دينار، تلَعَّبَ فيه قلَمُ مولانا بالعقول، وأدارَ بكلامه على الأسماعِ كئوسَ الشَّمول، وعَلَّمَ كلَّ بليغٍ ما يقول. وتصدّق على المملوك بأوصاف استَعارها له بيانُه، ورَصَّعَ جواهرَها بَنانُه. وقد وقف عليه مُحبُّكُم الوَالد، وقال بمثل هذا الفضل يَحْيى الذِّكْرُ الخالد. وقد سَيَّر لكم شيئًا من تمام الإحسان قبولُه، وهو يعتذرُ رُبَّما إذا حضر المملوك يُذكِّرُهُ ويقولُه. والله تعالى يُعْلي لمولانا المكانه، ويُديمُ لهذه الدولةِ الشَّريفة بيانَه. بمنِّه وكرمه، إن شاءَ الله تعالى.

وكتبت أنا إليه بالقاهرة المحروسة في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة[1].

(من البسيط)

لِــي في الجَــوَانِحِ مِنْ حُزْنِي حَزَازَاتُ
كَمَــا لــبردِ اللَّمَــى فــيهَا حَرَارَاتُ

وَلِلْــبَوَارِقِ إنْ لاَحَــتْ أَوِ اعْتَرَضَتْ
فِــى الْجَوِّمن ثَغرِكَ الضَّاحِي إشَاراتُ

وَلِلْغُــصُونِ إذَا وُرْق الحَمَــامِ تَلَــتْ
آيَــاتُ عِطْفَيْكَ فِي الأسْحَارِ سَجْدَاتُ

(١) وردت هذه القصيدة في (مجموعة الدر/١٧٤) منسوبة، خطأ، للشيخ نجم الدين بن إسرائيل.

أشــكو ظَلاَم ذُؤابات دَجَتْ، فَغَدَتْ
وَمَــا لَهَــا غَيْــرُ نُورِ الفَرْقِ مِشْكَاةُ
خــيَالُكَ الــبَدْرُ في جَــوِّ اسمَاءِ إِذَا
نَظَــرْتَ فِــيهَا لأنَّ الأُفُــقَ مِــرْآةُ
وَمَــنْ يَــسُقْ نَفْسَهُ لِلْوَجْدِ فِيكَ فَفِي
لِعْــبِ الغَــرَامِ عَلَــى خَدَّيْكَ شَامَاتُ
يــا بــدْرَ حُــسْنٍ لــه دون البريَّة فى
أَهلَّــةِ اللَّــثْم لا في الــسُّحْب هالاتُ
ديــنارُ خَدِّكَ وافٍ في الجَمَالِ فَكَمْ[1]
زِيــدتْ بِــهِ مِنْ سَوَادِ القَلْبِ حَبَّاتُ
لَــوْلاَ تَجَنِّــيكَ لَــمْ يَعْذُبْ جَنَاكَ وَلاَ
طَابَــتْ عَلَــيْكَ لِذَاتِ الصَّبِّ لَذَّاتُ
لِــمْ لاَ سَمِعْتَ دَعَاوَى الصَّبِّ فِيكَ عَلَى
هَــوَاكَ إِنَّ دَعَاوِيــه صَــحِيحاتُ؟!
وَأَنْــتَ يَــامَنْ أُدَاجِــيهِ عَلَــى شغَفِي
بِــهِ وَهَــيْهَاتَ أَنْ تُخْفَــى الصَّبَابَاتُ
لاَ تَقْــبَلَنَّ شَــهاداتِ الدُّمُــوعِ، وَمِنْ
تَعْــدِيل عِطْفَيْهِ[2] فِي جَفْنِي جراحَاتُ

(١) فكم: بالدر. ورواية الألحان «فلم».
(٢) عطفيك: بالدر.

حَلَبْتُ شَطْرَىْ زَمَانِي وارْتَضَيْتُ بِهَا
لِي وَحْشَةٌ[1] عن أنيسٍ فيه إعْنَاتُ
فَكَمْ مَجالِس لَهْوٍ خَمْرُهَا غَزَلِي
وَشَمْعُهَا فِكْرةٌ[2] فِيهَا شَرَارَاتُ
وَلَيْسِ لِي طَرَبٌ[3] إلاَّ إذَا تُلِيَتْ
عَنْ نَاصِرِ الدِّينِ أخْبَارٌ وَآيَاتُ
فَتَى إذَا فِكْرَتِي صَاغَتْ لَهُ مِدَحًا
شَنَّتْ عَلى الوَصْلِ فِي عُلْيَاه[4] غَارَاتُ
وسَابقَ اللَّفْظَ في نَظْمِي مَدَايِحَه
الدُّرُّ والزَّهْرُ والزُّهْرُ[5] المُنِيراتُ
حَوَى الفَضَائِلَ مِنْ سَيْفٍ ومِنْ قَلَمٍ
فَلَيْسَ عِنْدَ الوَرَى إلاَّ فُضَالاتُ
لَهُ مَحَارِيبُ حَرْبٍ كُلَّمَا رَكَعَتْ
سُيُوفُهُ، سَجَدَتْ إذْ ذَاكَ هَامَاتُ
فَالأَرْضُ[6] طِرْسٌ وَغىً، والخيلُ أسْطُرُه
والسَّمْهرِي أَلِفٌ، والـلاَّمُ لاَمَات

(١) من أنيس: بالدر.
(٢) فكرت: بالدر.
(٣) طلب: بالدر.
(٤) بالأصل: من علياه، واخترت ما في النسخ الأخرى، والدر.
(٥) الشطر الأول بالدر: «وسابق اللفظ في معنى مدائحه، والشطر الثاني: «الزهر والزهر» مع تقديم وتأخير.
(٦) فالروض: في (ب). «والأرض»: في مجموعة الدر.

وَكَمْ أَدَارَ كُئُوسَ المَوْتِ حِينَ شَدا[1] (م)

الحُـــسامُ، وَارْتَقَـــصَتْ للسُّمْرِ قَامَاتُ

لَـــيْثٌ، فَرائِـــسُهُ الفُرْسَـــانُ يَوْمَ وَغًى

وَمَـــا البَـــرَاثِنُ[2] إلاَّ المَـــشْرَفِيَّاتُ

إِنْ أَظْلَـــمَ الجَوُّ مِنْ جَوْنِ[3] العِجَاجِ فَمِنْ

خِرْصَـــانِ ذُبّلِـــهِ فِـــيه ذُبَـــالاتُ

وإن دجـــا الـــبحثُ في تحقـــيق مسألة

جَلَـــتْ جَنَادِسَـــهُ مِـــنْهُ الـــدّلاَلاَتُ

وَأَوْضَـــحَ الحَـــقَّ بِالبُرْهَانِ وازْدَحَمَتْ

فِـــيمَا يَـــرى نَـــصْرَهُ مِـــنه العِبَارَاتُ

وإِنْ أَتَـــاكَ بِـــنَقْلٍ فالـــبحُورُ طَمَـــتْ

وَيَعْـــضُدُ الـــرَّأْىَ مَا تُهْدِى الرِّوَايَاتُ

وَإِنْ تَمَـــسَّك في قَـــوْلٍ بِظَاهِـــرِه

تَخْـــضَعُ لَـــهُ الـــشُّبُهَاتُ الفَلْسفِيَّاتُ

تَقُـــولُ إِلاَّ إِذَا مَـــا كَـــانَ حَاضِـــرَنَا

فَهْـــوَ الخَطِـــيبُ، وَمِـــنَّا نَحْنُ إِنْصَاتُ

وَإِنْ أَدَارَ[4] علـــى قِرْطَاسِـــه قَلَمًـــا

فَـــبَاطِنُ الطِّـــرْسِ أَنْهَـــارٌ وَجَـــنَّاتُ

---

(١) «شذا... وارتفعت ...» : بالدر

(٢) البراين بالدر.

(٣) «في يوم العجاج» : بالدر.

(٤) «أنار» : بالدر.

مِـــنْ كُـــلِّ هَمْـــزٍ سَمَا فِي سَطْرِهِ أَلِفَا
فَقُـــلْ غُـــصُونٌ بِأَعْلاَهَـــا حَمَامَـــاتُ
يَكَـــادُ مَعْنَـــى عِـــبَارَاتٍ يُـــسَطِّرُهَا
تَـــبْدُو لَـــهُ مِـــنْ حَمَـــامِ الهَمْزِ رَنَّاتُ
نَظْـــمٌ يَـــرُوقُ، وَمَعْـــنَاهُ يَـــرِقُّ لَـــنَا
فَـــاللَّفْظُ كَـــأْسٌ لَـــهُ الْمَعْنَى سُلاَفَاتُ
يَاشَـــاكِيَ ا لزَّمَنِ الجَانِي اسْتَجِرْ كَرَمًا
بِـــهِ، فَلِلدَّهْـــرِ مِـــنْ نَعْمَـــاهُ رَدَّاتُ[1]
وَسَـــوفَ تَغْفِـــرُ لِلأَيَـــامِ زَلَّـــتَها
وَتَنْجَلِـــي ظُلُمـــاتٌ أَوْ ظُلاَمَـــاتُ
فَمَـــا سَـــمِيُّ الـــنَّبِيِّ الهَاشِـــمِيِّ لَـــهُ
بِـــدْعٌ إِذَا انْكَـــشَفَتْ عَنْكَ الغَيَابَاتُ
لَقَـــدْ سَـــمَا وَالـــوَرَى مِنْ دُونِ رُتْبَتِهِ
وَلَـــمْ تَـــزَلْ تَفْضُلِ الأَرْضَ السَّمَوَاتُ
خَلاَئِـــقٌ مِـــثْلُ أَنفَـــاسِ الـــرِّيَاضِ إِذَا
مَـــرَّتْ بِأَزْهَارِهَـــا لَـــيْلاً نُـــسَيْمَاتُ
وَجُـــودُ كَـــفٍّ كَـــأَنَّ الفَقْرَ قَفْرٌ فَلا
تَهمِـــي عَلَـــى عَطَـــشٍ مِنْهُ غَمَامَاتُ
مِـــنْ مَعْـــشَرٍ قَدَسَهَا طَرْفُ السُّهَا لَهُمُ
عَلَـــيْهِ مِـــنْ مَجْدِهِمْ تُرْخَى الذُّؤَابَاتُ

(١) رنات: بالدر.

لاَ زَالَ في نِعَـــمٍ أنْفَـــاسُ لَـــذَّتِهَا
فِـــى كُـــلِّ نَـــادٍ لَهَـــا بِالنَّدِّ نَفْحَاتُ

فكتب هو الجواب عن ذلك: (من البسيط)

أوْرَاقُ نَظْمِـــكَ لِلأَبْـــصَارِ رَوْضَـــاتُ
فِـــيها لِغُـــرِّ المَعَانِـــى مِـــنْكَ زَهَرَاتُ
يَـــا نَاظِمًـــا نَـــزَلَتْ زُهْـــرُ السَّمَاءِ لَهُ
كَانَـــتْ بُـــرُوجًا فَأَضْحَتْ وهْيَ أبياتُ
وَفَاضِـــلاً لاَ يَفُـــضُّ اللهُ خَالِقُـــنَا
لَـــهُ فَمًـــا، مِـــنْهُ لِلدُّنْـــيَا كَمَـــا لاَتٌ
تَرحَّلَتْ لَكَ فُرْسَانُ القَرِيضِ وَوَلَّـــ(م)
ـــوْا مِـــنْكَ خَوْفًا كأَنَّ القَوْمَ أمْوَاتُ
كُـــلٌّ بِفَـــضْلِكَ أمْـــسَى وَهْوَ مُعْتَرِفٌ
فَلَـــيْسَ يَقْـــوَى لِضَعفِ الرِّيحِ نَسْمَاتُ
يَرْوِى الأَنَامُ حَدِيثَ الفَضْلِ عَنْكَ وَقَدْ
عَلَـــتْ لَهُـــمْ مِنْكَ فِي ذَاكَ الإِجَازَاتُ
وَمَـــنْ يُعَانِـــدُ فِـــيمَا رُحْـــتُ أَذْكُرُهُ
عَمَّـــا حَوِيتَ مِن العُلْيَا. فَقُلْ: هَاتُوا[1]

وكتبت أنا إليه أهنئه بالقدوم من الحجاز في شهر الله المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة: (من الطويل)

قَـــدِمْتَ قُـــدومَ البَدْرِ وَاللَّيْلُ قَدْ دَجَا
فَأَشْـــرَقَتِ الآفَـــاقُ مِـــنْ سَائِرِ الأَرْجَا

(١) أي: فقل هاتوا برهانكم على ادعائكم وعنادكم.

وَكَانَــتْ رُبَــا مِصْرٍ رِيَاضًا تَصَوَّحَتْ
فَجِــئْتَ إِلَــيْهَا كَالغَمَــامِ إِذَا ثَجَّــا
إِذَا الــنُّوقُ أَعْــيَاهَا الَمــسِيرُ فَإِنَّهَــا
بِطِيــيبِ الثَّنَا وَالذِكْرِ عَنْك غَدَتْ تُزْجَى
أَيَــامَنْ سَرَى وَالأَنْجُمُ الزُّهْرُفى الدُّجَى
لــيُهْدَى بِهَا فِي القَفْرِ، قَدْ عُلِّقَتْ سُرْجَا
وَأَمْــسَى هِــلاَلُ الأُفْــقِ كُورًا لِنُجْبِه
وَإِلاَّ عَلَــى ظَهْــرِ الجِــيَادِ لَــهُ سَرْجَا
قَطَعْــتَ الفَــيَافِى نَحْــوَ مَكَّةَ مُحْرِمًا
وَلَــمْ تَــتَّخِذْ إِلاَّ التُّقَى فِي الفَلاَ نَهْجَا
وَجُــرِّدْتَ مِــنْ ثَوْبٍ مَخِيطٍ وَلَمْ تَزَلْ
بُرُودُ النَّدَى وَالبَأْسُ تُحْكِمُهَا نَسْجَا
وَلَبَّــيْتَ، لَــبَّاكَ الإِلَــهُ، لأَنَّــهُ
رَأَى خَيْــرَ مَــنْ لَبَّى بِرَكْبِكَ أَوْ عَجَّا
وَطُفْــتَ بِبَــيْتٍ لَــم يَرَ البَابَ مُرْتَجًا
مَتَــى جِئْــتَهُ تَدْعُو، ولا الرُّكْنَ مُرْتَجًا
تَــرَى الحَجَــرَ المُــسوَدَّ أَحْسَنَ مَوْقِعًا
بِقَلْــبِكَ مِــنْ خَــالٍ عَلَى وَجْنَةٍ بُلْجَا
فَتُوسِــعُهُ لَــثْمًا بِأَبْــيَضَ وَاضِــحٍ
إِذَا قَــالَ، قُلْنَا: السِّحْرُ مِنْ لَفْظِهِ مَجَّا

وَفِـي عَـرَفَاتِ كَـانَ عُـرْفُكَ ذَائعًا
تَـضَوَّعَ عَـرْفًا، نَـشْرُهُ مَـلأَ الفجَّا
وَحَلَّقْـتَ حَتَّـى لا تَكُـونَ مُقَـصِّرًا
وَذَلِـكَ أَنْجَـى فِي العِبَادَاتِ بَلْ أَرْجَى
وَسُـقْتَ مَطَايَـا الهَدْى تَنْحَرُ كُومَهَا
وَقَـدْ نَضِجَتْ أَكْبَادُهَا بالسُّرَى نَضْجَا
فَـبَخَّلْتَ حَتَّى السُّحْبَ فِي جُودِ وَبْلِهَا
وَزِدْتَ إِلى أن كِـدْتَ أَنْ تُغْرِقَا اللُّجَّا
وَجِـئْتَ إِلى قَبْـرٍ حَـوَى خَيْرَ مُرسَلٍ
ومَـن حُـبُّه الزُّخْـرُ المُـؤَمَّلُ والمَلْجا
تجَـادِلُ عَـنه أو تُجالِـدُ فِـيه مَـن
يُعَـالِجُ مِـنه المُـسلمونَ فَتًـى عِلْجَا
إِذَا أَنْـتَ رَفَّعْـتَ الـرِّمَاحَ مَـرَاوِدًا
فَـشُقَّ بِهَـا مِـنْ نَقْعِه مُقْلَةَ دَعْجَا[1]
وإِنْ ظَمِـئَتْ يَوْمَ الوَغَى أَنْفُسُ العِدَى
سَـلَلْتَ لَهَا فِي الرَّوعِ بِيضَ الظُّبَى خَلْجَا
أَيَـا مَـنْ غَـدتْ أعلامُـهُ وَعلُومُهُ
تُـنيرُ لَـنَا مِـثلَ الـشِّهَابِ إِذَا أَجَّا
قَطَعْـتَ الـوَرَى بَحْثًا، وَطُفْتَ بمَكَّةَ
فَأَصْـبَحْتَ فِي الحَالَيْنِ أَفْضَلَ مَنْ حَجَّا

(١) البيت ساقط من الأصل. والزيادة عن جميع النسخ المساعدة، والشطر الأول في غير (ب): «إذا أنت رفعت الرياح».

بَقِــيتَ مَلِــيكًا في الفَــضَائِلِ والعُلاَ
مَتَــى هَــاجَ خَطْــبٌ والتَفتَ لَهُ هَجًا
وَلا زِلْــتَ مَحْروسَ الجَنَابِ مِن العِدَى
يَــسُلُّ لَها غِمْدَ الدُّجَى فجْرُهُ نُمْجَا[1]

وكتبتُ إليه من الرحبة المحروسة في سنة تسع وعشرين وسبعمائة[2].

(من الرجز)

لِــي حَالَــةٌ بَعْدَ الأميرِ نَاصِرِ الدِّ (م)
يــنِ لَهَــا كُــلُّ الأنَــامِ عَــاذِرُ
ضَــنِيتُ بالــبُعدِ فَمَــا لِي قُــوَّةٌ
وَغَــابَ عَــنْ عَيْنِــي فَمَــا لِي نَاصِرُ

وكتبتُ إليه أيضًا[3]. (من السريع)

يَــا غَائِــبًا عَنِّــي بِحُكْــمِ الــنَّوَى
وَذِكْــرُهُ مَــا زَالَ فِــي خَاطِــرِي
قَــدْ جَــارَ في الحُكْــمِ زَمَانِــي وَلاَ
بِــدْعٌ إذا اشْــتَقْتُ إلى نَاصِــرِي

محمدُ بنُ حسنِ بنِ مُحمد، البليغُ الخطيبُ الفصيحُ البارعُ كمالُ الدِّين بنُ الشيخِ نجمِ الدِّين بنِ الإمامِ كمالِ الدِّين، الخطيبُ القرشيُّ الأمويُّ العُثْمَانيُّ القُرْطُبيُّ – خطيبُ صَفَد المحروسة، وابنُ خطيبِها[4].

كتب هو إليَّ مع ياسَمين أهداه، وأنا وهو بصفد المحروسة سنة

(١) هكذا بألحان. ولعلها بلجا.
(٢) البيتان مذكوران في (درة الأسلاك ٢/٣٥٤).
(٣) البيتان مذكوران في (التذكرة ١٤/٨ب).
(٤) المتوفى سنة ٧٥٩هـ. له ترجمة في (الدرر ٤/٤٤)، و(الوافي: ٢/٣٦٦)، وفيهما: محمد بن الحسن بن محمد ......).

ثلاث وثلاثين وسبعمائة[١].

(من مجزوء الكامل)

مَــولاىَ صَـبَّحَكَ السُّرُورُ وَدُمْتَ في
حِفْــظِ الإِلَــهِ مِــنَ الــنَّوَائِبْ
مَــالِي مُـنِعْتُ مِــنَ اللِّقَــا، وَالوُدُّ مَا
لَــكَ مُهْجَتِــى، وَالــشَّوْقُ غالــبْ
يَــا شَــمْلُ[٢] أُنْــسٍ مَــا ظَهَــرْ
تَ وَمَــا لِعَيْنِــى عَــنْكَ حَاجِــبْ
لَمَّــا احْتَجَــبْتَ وَلَــمْ أَجِــدْ
بَــدْرَ الــسَّمَا لِــى عَــنْكَ نَائِبْ[٣]
حَمَّلْــتُ بَعْــضَ تَحِيَّتِــى لِلْيَاسَمِيــ
ــنِ[٤]، وَسُــقْتُهُ يَحْكِي الكَوَاكِب

فكتبت أنا الجواب إليه[٥]:

(من مجزوء الكامل)

بِالــرَّغْمِ مِنِّــى أَنْ يَكُــو
نَ لِــنُورِ عَيْنِــى عَــنْكَ حَاجِــبْ

(١) وردت الأبيات في (الواف ٢/٣٦٨). والشطر الأول من البيت الأول، والثاني، والخامس في الأبيات على وزن الكامل لا مجزوء الكامل.

(٢) «يا شمس» بالوافي. ولعلها أفضل.

(٣) «بدر السما عنك بنايب» بالوافي.

(٤) «تحيق الياسمين» بالوافي.

(٥) القصيدة مذكورة في (الوافي: ٢/٣٦٨-٣٦٩).

لَكِــــنْ خَــــشِيتُ مِـــنَ الْمَهَـــا
لِــــكَ أَنْ تُعَـــارِضَ فِي المَطَالِـــبْ
مِـــنْ قَـــبْلِ تَحْجُبَنِــــي الـــنَّوَى
وَالآنَ، تَمْنَعُنِـــــي الــــنَّوَائِبْ
أَتُـــرَى سِـــوَايَ تَـــرَى لَـــهُ
صَـــبْرًا عَلَـــى هَـــذِي المَــصَائِبْ؟!
يَـــابْنَ الكِـــرَامِ الـــسَّالِفِيـ
ـــنَ سَـــقَاهُمُ صَـــوْبُ الـــسحائبْ
يَـــا مَـــنْ غَـــدا كالبحـــرْ عَـــنـ
ـــهُ تَحَـــدَّثَ الـــناسُ العجائـــبْ
وَنِظَامُـــــهُ، وَهِـــــبَاتُهُ
مِـــلْءُ الحَقَائِـــقِ وَالْحَقَائِـــبْ
أَرْسَـــلْتَ شِـــعْرًا، قَـــدْرُهُ
أَرْخَـــى عَلَـــى الـــشِّعْرَى الـــذَّوَائِبْ
وَشَـــــفَعْتَهُ بِهَدِيَّـــــةٍ
هِـــيَ مِـــثْلُ أَنْفَـــاسِ الحَـــبَائِبْ
مِـــثْلُ الــنُّجُومِ الزُّهْـــرِ لَـــ
ـــكِنْ لَـــيس تطْلُـــعُ في الغَـــيَاهِبْ
فَـــنظامُ ذا، ونَـــثارُ تِلْـــ
ـــكَ لِمَـــن تُحقِّقُـــهُ مُناسِـــبْ
لَكِـــنَّ ذَاكَ مِـــنَ التُّـــرَا
بِ، وَذَا تُـــزَانُ بِـــهِ التَّـــرَائِبْ

وَعَلَــى الــصَّحِيحِ فَأَنْــتَ قَــد
مَغْلَطْــتَ في تِلْــكَ المَــوَاهِبْ
إِذْ أَنْــتَ يَــا مَــوْلاَىَ تَعْــ
ـــلَمُ وَالــوَرَى تَدْرِيــهِ[1] غَائِــبْ
إِنَّ الَّـــذِى يَهْـــوَى كَمَـــا
لَ الــبَدْرِ لاَ يرْضَـــىَ الكَــوَاكِبْ

فكتب هو أيضًا الجواب ثانيًا[2]:

(من مجزوءِ الكامل)

يَـــا مَـــنْ مَحَـــلُّ مَقَامـــه
حَـــيْثُ العُـــلاَ أَعْلَـــى الـــذَّوَائِبْ
يَـــا بَحْـــرَ عِلْـــمٍ فِـــي الــوَرَى
عَـــنْهُ المُحَـــدِّثُ لَـــيْسَ كَـــاذِبْ
يَـــا سَـــيِّدًا فِـــيهِ وَعَـــنْـ
ـــهُ لَـــنَا الــرَّغَائِبُ وَالغَــرَائِبْ
وَمَـــنِ انْتَقَـــى حُلْـــوَ الكَـــلاَ
مِ فَـــصَاغَهُ حَلْـــىَ التَّــرَائِبْ
وَمَـــنِ ارْتَقَـــى أَوْجَ الفَخَـــا
رِ، وَغَيْـــرُهُ حَـــلَّ المَغَـــارِبْ
وَمَـــنِ اقْتَنَـــى غُـــرَرَ المَحَـــا
مِـــدِ، واحْـــتَذَى هَـــامَ الكَــوَاكِبْ

---

(١) «والورى يدريه» بالوافى.
(٢) القصيدة مذكورة (الوافى: ٢/٣٦٩، ٣٧٠).

وَلَـــذيْلُ بُـــرْدِ بَـــيَانه
أَبَـــدًا علـــى سَـــحْبَانَ سَـــاحِبْ
يـــا مَـــنْ لِـــسَانُ يَـــرَاعه
أَمْـــضَى مِـــن البِـيضِ القَوَاضِـــبْ
يَـــا أَوْحَـــدًا في عَـــصْرِهِ
يَـــا بَـــدْرَ دَيْجُـــورِ الغَـــيَاهِبْ
قَلَّدْتَنِـــــــي بِجَوَاهِـــــــرٍ
مِـــنْ دُرِّ لَفْظِـــكَ بَـــلْ مَـــوَاهِبْ
رَاقَـــــتْ وَرَقَّ جَمَالُهَـــــا[1]
فَهِـــيَ الْحَـــبَابُ أَوِ الحَـــبَائِبْ
وَافَـــتْ فأَحـــرزتُ الـــسَّنِيَّ (م)
مِـــنَ المُرجَّـــى في المَطَالِـــبْ
وَأَتَـــتْ كَـــرَوْضٍ ضَـــاحِك
لِـــبُكَاءِ أَجْفَـــانِ الـــسَّحَائِبْ
حَـــيَّتْ تَحِـــيَّةَ عَاطِـــفٍ
أَوْ دُمْـــيَةِ لَمْـــيَاءَ كَاعِـــبْ
أَوْلَيْـــتَنِي مِنَـــنًا بِهَـــا
ولأَنْـــتَ في الإِفْـــضَالِ دَائِـــبْ
لَـــمْ يَقْـــضِ شُـــكْرِيَ حَقَّهَـــا
وَأَنَـــا لَـــهُ أَبـــدًا مُـــلازِبْ

(١) بالوافي: «رقت أوراق جمالها».

فَأَنَـــــا الْمُقَــــصِّرُ دَائِمًـــــا
وَعَلَـــى الـــدُّعَا فَأَنَـــا الْمُـــوَاظِبْ[1]
فِـــيكَ التَّـــشَيُّعُ مَذْهَبِـــى
وَسِـــوَاىَ فِي عَلْـــيَاكَ نَاصِـــبْ
فاسْـــــلَمْ وَدُمْ مُتَـــــرَقِّيًا
لِـــذُرَى الـــرَّفِيعِ مِـــنَ الْمَـــرَاتِبْ

وكتبت أنا إليه من القاهرة المحروسة في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة:
(من مخلع البسيط)

شَـــوْقُ الـــبُدُورِ الكَمَـــالِ تَقْـــضِى
أَنْ تُـــدْمِنَ الـــسَّيْرَ فِي اللَّيَالِـــى
فَلَـــيْسَ عِـــنْدِى غَـــرِيبُ أَمْـــرٍ
إِذَا تَـــــشَوَّفْتَ لِلْكَمَـــــالِ

فكتب هو إلى الجواب عن ذلك: (من مخلع البسيط)

يَـــا مُحْـــرِزَ الفَـــضْلِ فِي الخِـــلاَلِ
صَـــيَّرَنِى الـــشَّوْقُ كَـــالخِلاَلِ
وَعَادَنِـــى مِـــنْ جَفَـــا خَلِيلِـــى
مَـــا مِـــنْهُ حَالَـــتْ فِي الْبُعْدِ حَالِى[2]
وَمَـــرَّ بِي مِـــنْ مَـــدَى التَّنَائِـــى
مَـــا مَعَـــهُ الـــشَّهْدُ مَـــا حَـــلاَ لِـــى

(١) «من المواضب» بالوافى.
(٢) الشطر الثاني جاء على وزن: (مستفعلن مستفعل فعولن) وبعض الأشطر في القصيدة جاء على هذا الوزن.

وَصَدَّنِي النَّأْيُ عَنْ لِقَاكُمْ
وعانَدَتْنِي يَدُ اللَّيَالِي
وَحَمَّلَتْنِي مِنَ الْبَلَايَا
مَا ضَاقَ عَنْ بَعْضِهِ احْتِمَالِي
وَخَانَنِي الحَظُّ إِذْ رَمَانِي
بِالْبُعْدِ عَنْكُمْ فَمَا احْتِيَالِي
وَفِي اشْتِغَالِي بِمَا عَرَانِي
مَا خَطَرَ الهَجْرُ لِي بِبَالِ
فَكِدْتُ أَقْضِي واللهِ لَوْلاَ
أَنْ جُدْتُمُ لِي بِذَا[1] المِثَالِ
فَثَابَ أُنْسِي، وَفَازَ قَدْحِي
وَعَادَ قَدْرِي، وَقَدْ سَمَا لِي
وَعَمَّ جَبْرًا قَلْبًا كَسِيرًا
مُضْمَرُهُ مِنْ سِوَاكَ خَالِ
فَضَضْتُهُ عَنْ نِظَامِ نُطْقٍ
قَدْ فَاقَ حُسْنًا سِمْطَ الْلآلِي
جَدَّدْتَ لِي بالسُّرُورِ دَهْرًا
قَدْ مَرَّ بالأَغْصُرِ الخَوَالِي
وهَدَّ مَا قَدْ بَنَى حَسُودِي
وشَادَ عِزِّي علَى العَوالي

(١) «بذا المثال» هكذا بالأصل.

أَلْبَسَنِي حُلَّةَ امْتِنَان
قَصَّرَ عَنْ شُكْرِهَا مَقَالِي
طِرَازُهَا رُقْمُ نَقْسِ طِرْسٍ
فَهِيَ الأَمَالِي عَنْ غَيْرِ قَال
يَا سَيِّدًا لَمْ يَزَلْ مُصِيخًا
مَعَ اقْتِرَاحِي إِلَى سُؤَالِي
عَلِيُّ عِلْمٍ لَدَيْكَ قِدْمًا
يَشْهَدُ لِي فِيكَ بِالتَّوَالِي
وَالخَاطِرُ الطَّاهِرُ المُزَكِّيُّ
يَعْلَمُ أَنِّي مِنَ المَوَالِي
وأَنَّ حُبِّي عَلَيْكَ وَقْفٌ
يَا جَامِعَ الجُودِ وَالمَعَالِي
وأَنَّكَ المَالِكُ المُفَدَّى
وَالسَّمْعُ وَالْعَيْنُ لِلْكَمَالِ
فَاسْلَمْ وَدُمْ فِي مَقَامِ عِزٍّ
سَامِي الذُّرَى فِي الفَخَارِ عَالِ

وكتبت أنا إليه أيضًا:

(من البسيط)

شَوْقِي لِلَثْمِ تُرَابِ أَنْتَ تَعْلُوه
شَوْقَ العَلِيلِ شِفَاءً بَاتَ يَرْجُوهُ
هَذَا فُؤَادِي لَدَيْكُمْ، فَتِّشُوهُ فَإِنْ
وَجَدْتُمْ غَيْرَكُمْ فِيهِ فَلُومُوهُ

وَإنْ وَجَــدتُمْ حِمــاهُ خَافِقَــا، وَبِــه
ذِكْــــراكُمْ، لا تَهُـــدُّوهُ وهَــــدُّوهُ
وَنَــزِّلُوهُ بِدِيــوانَ الــوَفَا، وَعَــدُّوا
عَمَّــنْ سِــوَاهُ وَإنْ شِــئْتُمْ فَعُــدُّوهُ
وَإنْ سَــمَحْتُمْ وَلَــمْ تَبْخَلْ عَوَاطِفُكُمْ
عَلَــى الْمُعَنَّــى بِمَــا يَهْــوَى فَرُدُّوهْ

يُقَبِّلُ الأَرْضَ، ويُنْهِي مَا يَجِدُهُ من لواعجِ الأشواق، والحنينِ الذى جَرَّ الحمائمِ إلى النَّوح بفاضلِ الأَطْواق، والتَّلفتَ إلى ما يردُ من تلقاءِ مولانا – بسط الله ظلَّه، ونصَبَ على فرْقِ الفرقدينِ مَحلَّه – فقد:

(من البسيط)

(قَــنِعْتُ بِالكُتْبِ بَعْدَ البُعْدِ فَانْقَطَعَتْ
حَتَّــى رَضِيتُ سَلامًا في حَواشِيهَا)[1]

لأنَّ المملوكَ أخبره المولى فُلانُ الدين أنَّ كتابَ مولانا الكريم، ورَدَ عليه، يتضمَّنُ ما طلَبَهُ منه، فتألَّم المملوكُ لِكَوْنِ مولانا ما أَهّلَ المملوكَ، ولا جبرَهُ بمُشَرَّف كريم.

(من الطويل)

(أَلَــيْسَ لأَخْـبَارِ الحَـبَائِبِ فَــرْحَةٌ
وَلا فَــرْحَةُ الظَّمآنِ صَادَفَهُ القَطْرِ)[2]؟

والغرضُ أن يكونَ مولانا في خير على الدَّوام، وأن يَسمَعَ المملوكُ

---

(1) البيت غير معزو في (طبقات الشافعية الكبرى ٩/٣٧٦) برواية: «رضيت بالكتب».

(2) البيت غير معزو في (تأهيل الغريب/٤١٠)، (وزهر الآداب ٤/١٠٢٥) - ولعله للميكالى – برواية:

ألــيس لأخــبار الأحــبة فــرحة		ولا فــرحة العطــشان فاجــأه القطــر
يقولــون: قــد أوفى لــوقت كــتابه		فتنتــشر البــشرى وينــشرح الــصدرُ

أخبارَه، فإنها ملاكُ المسرَّة والقوام. وقد زادَ مولانا هذه المرّة دمشقَ المحروسة جفْوَةً ما يستحقّها محاسنُها من إحْسَانه، ولا يُجْرِيها اللبيبُ على ضميره ولا على لسانه. والمملوكُ يُحاشي جمالَها من صداء الوحشة لصدِّ الكمال، ويَهْصِرُ لما عطفَ حُنُوه الذي ما هبَّتْ نَسْمَةٌ إلاّ مَادَلها ومَال، وما ضَرَّه لو تصدّقَ بزَوْرَه، وجَرَّ ذيلَ دُنُوِّه الذي كم غطَّى من البعادِ عَوْرَه، وأطْلعَ بدْرَ وجهه في أفقِهَا الذي كم لفَلَكه على تمامه من دَوْرَه.

(من الوافر)

فقَدْ أوْحَشْتَ أرْضَ الشّامِ حَتّى سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ البَهَاءِ[1]

وبالله يُقْسم المملوكُ أنّه ما يكادُ يقْطعُ لمولانا ذكْرًا، ولا يُرى أحدًا من محاسنِ مَوْلانا «**آيةً إلا وَهيَ أكبَرُ**»[2] من الأُخْرَى، ولا وَصف مخائلَهُ في مجلسٍ إلا وقال النَاسُ هذا الرّوْضُ اليانعُ يَنْفَحُ عِطْرا.

(من المتقارب)

وَهَـا أنـا مـا عِـشْتُ أدْعُو وأُثني
فَمَـا لِـيَ إلاّ الـدُّعَا وَالثّـنَاءُ

فكتب هو إليّ الجواب عن ذلك:

(من البسيط)

لاَ نَـالَ قَلْبِـيَ مَـا يبْغِـي ويَرْجُوهُ
إنْ كُـنْتُ أنْسَى الوَفَا، والحُبَّ أسْلُوهُ

---

(١) البيت للمتنبي (ديوانه/٤٥) برواية. «**وقد أوحشت**» من أبيات أولها:

لقـد نـسبوا الخـيام إلى عـلاء أبـيت قـبوله كـل الإبـاء

(٢) من الآية: «**وما نريهم من آية إلا وهي أكبر من أختها...**» (٤٨: الزخرف).

[يـا سَادَتِي كَيْفَ يَنْسَى القَلْبُ حُبَّكُمُ
... ...][1]
وَشَـاهِدي في ادِّعَـاءِ الرِّقِّ خَاطِرُكُمْ
وَهْـوَ الزَّكِـيُّ فقَوْلِـي لاَ تَـرُدُّوهُ
لا[2] تُسقِطُو العَبْدَ مِنْ أَهْلِ الوَفَاءِ لَكُمْ
وَعَـنْ قِـسِيِّ الـنَّوَى بالغَدْرِ تَرْمُوهُ
كَفَـى لِقَلْبِـيَ[3] مَـا يَلْقَـى لِبُعْدِكُمُ
لاَتَحْـرِقُوهُ بِـنَارِ العَـتْبِ، خَلُّـوهُ
واللـهِ يَامَالِكِـي، عَهْدُ الوَفَاءِ لَكُمْ
عِـنْدِي قَـدِيمٌ وَبالتَّأْكِـيدِ أَنْحُـوهُ
وَلِـي بِكُـلِّ نَهَـارٍ وِرْدُ مَحْمَـدَةٍ
مَـعَ الـصَّبَاحِ وَفِـي الإِمْسَاءِ أَتْلُوهُ

يُقَبِّلُ الأَرضَ شاكيًا أَلَمَ ما عنده من الشَّوْق، الذي شبَّ عُمرُهُ عن وُسع الطَّوْق[4]، وطَعِمَ من صَابِه ما تحلَّى بمُصابه وإن مَرَّ في الذَّوق- ويُنْهِي ورُودَ المثالِ العالي، بل البِرِّ المُتوالي، وعقْد المِنَنِ الذي غدا جيدُه بجواهرِه وهو حال، ونادَى لسانُ سُرُوره التالي يا بُشْرَايَ عادتْ عاداتُ إقبالي، وَحَسُنَتْ بِحُسْنِ العاطفة حالي، ففَضَّهُ المملوكُ فكان الرَّحيقَ

(١) الزيادة عن (أ، ب)، وبهامش (ب) قوله: بياض بالأصل» .
(٢) بالأصل: «ولا تسقطوا» والوزن يرفضه، والتصويب من النسخ الأخرى.
(٣) «كفى بقلبي» بالأصل. واخترت ما في النسخ الأخرى.
(٤) يشير إلى المثل العربي: «شب عمرو عن الطوق». مثل قاله جديمة الأبرش، وعمرو: هو: ابن عدى ابن نصر. ابن أخته. انظر (الحيوان، ٢٠٩/٦)، و(نهاية الأرب (٣٦/٣) برواية: «شب عمرو عن طوقه».

المختُوم، وسرًّ البلاغة الذي هو عن غير مُنْشئه مكتُوم، وطرازَ البراعة الذي هو بنَفْسِ البراعَة مرْقُوم، وشخْصَ الصِّناعَة المختال في حُلْتَيْ المنثورِ والمنظوم. لو شاهَده الصَّابي[1] لَتعبَّدَ لنَيِّراته، أو عاصره أبو عُبادةَ لم يذكرْ مَشْهورَ إجاداته. قد علا مقامُ مُنْشئه الأثيرىَ عمّا سُمِع من المثل السائر، وانحطَّ عنَ أوْج أُفُق صناعَته حضيضُ الفلك الدائر، فما عبدُ الحميد لَدَيْه بحَميد، ولا عبدُ الرحيم إذا عُدَّ إحسانُه بمُجيد. كم أوْدعَ بطونَ القراطيس سحْرَ ألفاظه ما راقَ لسَمْع المُستَعيد، ونَطَّقَ لسانَ الإجماع بالعجز عمَّا حَمَّل منه ظهورَ البريد:

(من مجزوءِ الكامل)

فَـــنِظَامُهُ الـــسِّحْرُ الحَـــلا
لُ وَنَثْـــرُهُ الـــدُّرُّ الفَـــرِيدُ
وَكَلاَمُـــهُ الـــسَّهلُ المَنـــيـ
ـــعُ، مِـــثالهُ الغَـــضّ[2] الجديـــدُ
مَـــنْ رَامَ قُـــرْبَ نَـــسِيبه
كَـــانَ القَـــرِيبُ هُـــوَ البَعِـــيدُ
أوْ قَـــامَ يَمْـــدَحُ فَـــضْلَهُ
وَأَطَـــالَ أقْعَـــدَه المَـــزِيدُ

---

(١) «لو شاهده التصابي» بالأصل، والتصويب من النسخ المساعدة. والمقصود هو: أبو إسحاق الصابئ، إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الحراني صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع. ولد سنة ٣١٣هـ. وكان عز الدولة دعاه للإسلام ليجعله وزيرًا له فأبى وجعل سنة ٣٤٩هـ رئيسًا على ديوان الرسائل. وتوفى سنة ٣٨٤هـ. انظر ترجمته في: (وفيات الأعيان: ٣٤/١: ٣٦).

(٢) «مثاله الغض» بالأصل.

أَوْ ظَــــنَّ حَـــصْرَ صِــــفَاته
فَالعَجْـــزُ يُـــبْدِى مَـــا يُعِـــيدُ
يَــــا مَـــنْ أَديـــنُ بِحُـــبِّه
أَبــــدًا، وَخَاطِـــرُهُ شَـــهِيدُ
وَافَـــى المِـــثَالُ فَــسَرَّنِى
أَبــــدًا، وَخَاطِـــرُهُ شَـــهِيدُ
فالـــسَّعْدُ قَـــارَنَ إِذْ أَتَـــى
وَأَنَـــا بِمَقْدَمِـــه سَـــعِيدُ
يَـــا حُـــسْنَ مَـــا أَهْـــداهُ لَـــوْ
لاَ حَـــدُّ مُعْتَـــبِه حَديـــدُ
وَخِطَـــابُ تَقْـــرِيعٍ، لَظَـــا
هُ تَقْـــشَعِرُ لَهَـــا الجُلُـــودُ
أَلْفَاظُـــه جَمَعَـــتْ مَحَـــا
سِـــنَ مَـــا حَـــوَتْهُنَّ العُقُـــودُ
بَـــسَطَتْ بِـــسَاطَ الجَائِـــرِ يـــ
ـــنَ،وَنَقْـــشُه العَـــتْبُ الـــشَّديدُ
يَـــا مَـــنْ أُقِـــرُّ بِفَـــضْله
عَهْـــدى هُـــوَ العَهْـــدُ الأَكِـــيدْ
مَـــا نَقَـــضَتْهُ يَـــدُ الـــبعا
د، ولم يُغَيِّـــرْهُ الـــصُّدودُ
إِنْ كَـــانَ أَضْـــمَرَ سَـــلْوَةً
قَلْبِـــى فَخَانَـــتْهُ الجُـــدُودُ

وَعَدفْــــتُه وحُـــرِمْتُ مـــنْ
لَحظَـــاتِ عَطْفِــكَ مَـــا أُريـــدُ
بِـــالله عُـــدْ، وَلاَ تَلُمْـــــ
ـــنِـــي فَالـــزَّمَانُ لَـــنَا عَنـــيدُ
أَنَـــا ذَلِـــكَ الـــوَافِي بِمَـــا
عَاهَدْتُـــه، الخِـــلُّ الـــوَدُودُ
الـــصَّادِقُ المِقَـــةَ المُغَـــا
لِـــي فِي مَحَبَّـــتِكَ العَمِـــيدُ
أَنْـــتَ العَزِيـــزُ، وَلاَ أَخُـــو (م)
ةُ[1] لا تُثَـــرِّبْ، بَـــل عَبِـــيدُ
وَلأَنْـــتَ ذُخْـــرِى المُرْتَجَـــى
إِنْ حَالَـــتِ الحَـــالاَتُ سُـــودُ
وَإِذا تَـــــنُوبُ النَّائِـــــبَا
تُ فَـــرَأْيكَ المُنْجِـــى الـــسَّدِيدُ
رِفْقًـــا فَـــلاَ تُـــضِعِ الـــزَّمَا
نَ بِمَـــا يُـــسَرُّ بِـــهِ الحَـــسُودُ
وانْهَـــضْ وسَـــاعِدْ فِي الدُّنُـــوِّ (م)
فَقَـــدْ مَـــضَى العُمْـــرُ الحَمِـــيدُ
وَاجْهَـــدْ وَسَـــعْيُكَ فِي عُـــلاً
وَاللَّـــهُ يَفْعَـــلُ مَـــا يُـــرِيدُ[2]

(١) بالأصل و(ز): «ولا أخوة» بضم الهمزة، وتضعيف الواو.
(٢) من الآية: «إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها =

وأمّا حالُ المملوكِ في طُول غَيْبته عن الباب العالى، فمشوقٌ في كلِّ حينٍ على اللقاء يَعْزِم، ومُوثَقٌ في صفد يدُ الزّمان لعُراهُ لا تَفْصِم، نارُ فؤاده تلْتَهبُ، وجَفْنُه للدّمع يَسْجم. يدْعُوا الله بالإخْلاص في الخَلاص بالإعلان والأسرار، وأَملُه لا تحقّقُه له الأقدار، وإلاّ فَمَنْ يرغبُ في مقام جنَّة ذات مَعين وقرار[1]. وما يجدُ به المملوكُ من الإحسان العميمِ إذا حلَّ بها كالأنهار. كم وصل إليه من مُسيَّر فضله ما حلا إذْ خَلا من المَنّ، وحقَّقَ له من البرِّ ما لم يَخْطُرْ بباله ولا عَنْ، وأنالهُ من الجبرِ ما لم يَلمَحْهُ الوهمُ ولا الظّنّ. وهل يرْغبُ عن ذلك إلا مَنْ عُدم فلاحُه؟. أو هل يروقُ ذا لُبٍّ أن يغيبَ عنه صلاحُه؟. فاقبل عذرَ المعتذر بما يُبْديه.

(من مجزوءِ البسيط)

وارْضَ لِمَــنْ غَــابَ عَــنْكَ غَيْبَــتَهُ

فَــذَاكَ ذَنْــبٌ عِقَابُــهُ فِــيه)[2]

وكتب[3] إليَّ في أواخر سنة أربع وخمسين وسبعمائة:

(من الطويل)

سَــلاَمٌ كَنَــشْرِ المِسْك يَسْرِى وَيَعْبَقُ

عَلَــى مَعْهَــدٍ كالــبَدْرِ يَعْلُو فَيُشْرِقُ

الأنهار، إن الله يفعل ما يريد»: (١٤: الحج).

(١) اقتباس من قوله تعالى: «وجعلنا ابن مريم وأمه آية، وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين»: (٥٠: المؤمنون).

(٢) هذا البيت لابن التلميذ المتوفى ٥٦٠هـ (كتاب المختصر في أخبار البشر: (٤٣/٣) برواية (ارْض لمن) وقبله فيه:

يــا مَــنْ رمانــى عــن قــوس فرقته بســهم هجــر علــى تلافــيه

(٣) من هنا إلى آخر الترجمة ساقط من (أ، ز، م).

وَمَــشْهَدِ أُنْــسٍ حَلَّــهُ مِــنْ أَحبَّتِي
مَــوَالٍ، لَهُــمْ فِي شَاهِدِ الْمَجْدِ مَشرِقُ
وسَــادات عِزٍّ قَيَّدُوا القَلْبَ فِي الهَوَى
عَلَــى حُــبِّهم، والدَّمْعُ فِي الخَدِّ أَطْلَقُوا
يُذَكِّــرُ نِــيهمُ كُــلُّ شَــيْءٍ يَرُوقُنِي
فَلِــي بِهِــمُ فِــي كُــلِّ حُسْنٍ تَعَلُّقُ
وَيُذْكِــي فُــؤَادِي هَجْــرُهُمْ وَبِعَادُهُمْ
وَلِــي نَحْــوُهُمْ فِــي كُلِّ حِينٍ تَشوُّقُ
يُــرَدِّدُهُ سَــارٍ يَــنِمُّ بِــهِ الــشَّذَا
وَيُخْبِــرُ عَــنَ جَــارٍ من الدَّمْعِ يَسْبِقُ
وَيَــتْلُو عَلَــى سَــمْعِ التَّعطُّفِ مِنْهمُ
حَدِيثِــي عَــسَى يَــوْمًا يَرِقُّ وَيُشْفِقُ
وَيَــرْفَعُ حَــالاً نَكَّــرَتْ وَصْفَ لِمَّتِي
بِعَطْــفِ ابْــتِدَاءٍ لِــي عَلَى الوُدِّ يُنسَقُ
وَيَنْــسَخُ أَشْــوَاقِي بِــرِيحَانِ قُــرْبِه
وَيَــرْقُمُهُ حَقًّــا دُنُــوِّي الْمُحَقَّــقُ
أَأَحْبَابَــنَا إِنْ لَــمْ أَفُــزْ بِلقَــاكُمُ
فَمُــنُّوا بِطَــيفٍ لِي الكَــرَى وَتَصَدَّقُوا
فَقَــدْ طَــالَ هَذَا الْبُعْدُ وَالزَّمَنُ انْقضَى
بِــأَحْلاَمِ قُــرْبٍ لاَ تَــتِمُّ فَتَــصْدُقُ

وإنْ كَــانَ معْ بُعْدِى صَحِيحًا وِدَادُكُمْ
أكِــيدٌ، ولَكِــنَّ التَّدانِــيَ أوْفَــقُ
سَــقَى دَوْحَــةً كُــنَّا نَلُــوذُ بِظِلِّهَــا
مِــنَ القُــرْبِ سَــحَّاحُ النَّدَى مُتَدَفِّقُ
وَحَيَّــى زَمَانًــا كَــانَ فِــيهِ بِوَصْلِكُمْ
لِــسَانُ حُــبُورِى بِالْمَــسَرَّاتِ يَــنْطِقُ
فَمَــا كَــانَ أهْنَــى عَيْــشَنَا وَألَــذَّهُ
ومَــا راعَــنا بُعْــدٌ ولاَ شَــابَ مَفْرِقُ
وَلاَ فَــرَّقَتْ أيْــدِى الْحَــوَادِث شَمْلَنَا
وَلاَ بَــاتَ قَلْبِــى مِنْ لَقَى الْبَيْنِ يَخْفِقُ
فَــوَاهًا عَلَــى أوْقَــاتِ قُرْبٍ قَطَعْتُهَا
بِكُــمْ، وَشَــبَابِى مَائِسُ الغُصْنِ مُورِقُ
وَوَصْــلُكُمُ دَانِى الْجَنَــى فِي رُبَا الرِّضَى
وَصَــافِي التَّــصَافِي بَيْنَــنَا يَتَرَقْــرَقُ
مَــضَتْ بِــسَلاَمٍ ثُــمَّ أعْقَبَت الأسَى
فُــؤادًا سِــوَى إعْراضِكُمْ لَيْسَ يَفْرَقُ
فَمَــا ذَاتُ طَــوْقٍ رَاعَهَــا فَقْدُ إلفِهَا
وَأشْــجَى حَــشَاهَا بَيْــنُهُ والتَّفَــرُّقُ
وَأنْطَقَهَــا بِالــنَّوْحِ فِي الدَّوْحِ وَالْبُكَى
غَــرِيمُ غَــرَامٍ شَــفَّهَا وَالتَّحَــرُّقُ

بأشْـــجَى فُــؤادًا أوْ أشَـــدَّ تَـــشَوُّقَا

[وأجْـــرَى لَعبْـــراتٍ بهَا العَيْنُ تَشْرُقُ

وَأبْـــرَحَ مِنِّـــى أوْ بأذْكَـــى تَلهُّـــبًا[1]

عَلَى قُرْبِ إلْفٍ أوْ عَلَى الطَّيْفِ يَطْرُقُ

لَعَمْـــرِي لَـــئِنْ كُـــنْتَ البَعِـــيدَ مَزارُهُ

فَحُـــبُّكَ فِي سَـــوْدَا فُـــؤادى مُلْـــصَقُ

وإنْ تُنْكِـــرِ الأيَّـــامُ مَالِـــىَ عِـــنْدَهَا

فَأنْـــتَ عَلَـــى دَعْوَى وِدَادِى مُصَدِّقُ

فَدَيْـــتُك كُـــنْ لِـــى فِي زَمَانِي مُعَاضِدًا

فَأنْـــتَ بِإسْـــعَادِى أحَـــقُّ وَأخْلَـــقُ

وَرَأيُـــكَ مَـــسْعُودٌ فَكُـــنْ لِي مُسَاعِدًا

فإنَّـــكَ ذُو الـــرَّأى الـــسَّعِيدِ، المُوَفَّقُ

وَإنْ أنْـــتَ لَـــمْ تَسْمَعْ لِقَوْلِ شكَايَتِى

فَعِـــشْ سَـــالِمًا مِمَّـــا يَـــسُوءُ ويُرْهِقُ

فَـــشُكْرِى أيَادِيـــك القَدِيمَـــةَ وَاجِبٌ

أقُـــومُ بِـــه مَـــا دُمْـــتُ أحْيَى وَأُرْزَق

وَأسْـــجَعُ مِـــن مَدْحِـــى بِكُـــلِّ غَرِيبَةٍ

لأنِّـــى بعِقْـــدِ المَـــنِّ مِـــنْكَ مُطَـــوَّقُ

وَدُمْ فِي مَقَـــامٍ يَنْـــبُتُ العِـــزَّ والعُـــلاَ

فَأنْـــتَ لَـــنا الكَنْـــزُ الَّـــذِى مِنْهُ يُنْفَقُ

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من (ب).

يُقبّلُ الأَرضَ التي نسأَلُ الله أَنْ يَحْميَ حماها من الغيَر، ويجعلَها كعبةً تطوفُ بها الآمال والفكَر، وأن يمنَحَ ربَّها من فريد النِّعم «**ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سمعَتْ ولا خَطر علي قلب بشر**»[1]. ويُنْهي أشواقه التي أصبح من حرِّها على خطَر، و تذكُّرَه الذي كم له فيه من وَطَرٍ فلا يخْلو منه أين كانَ ولا أَنَّى نَظر، وصحيحَ وُدِّه الذي هو بنقْلِ الثِّقات مُعْتَبر، وحديثَ حُبِّه المُسْتَطَر، وقديمَ ولائه الذي [هو][2] للسانِ الملاَ سَمَر.

(من البسيط)

وَتِلْــكَ نِــسبَةُ رِقٍّ قَــدْ عُــرِفْتُ بِهَا
حِفْــظُ الــوَلاَ مِــنكُمُ حَقٌّ لَهَا يَجِبُ
يَامَالِكِــي أَيْــنَ إِسْــعَافِي بِمَا طَمَعَتْ
نَفْــسِي بِــهِ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ يَقْتَرِبُ؟!
فَقَــدْ سَــئِمْتُ حَيَاتِــي مَــعْ بِعَادِكُمُ
وَقَــدْ خَــشِيتُ الرَّدَى تَأْتِي به النُّوَبُ
وإِنْ قَــضَيْتُ وَلَــمْ يُقْــضَ اللِّقَاءُ لَنَا
فَكَــمْ مَــضَى بِحَزَازَاتِ الحَشَا وَصَبُ
فَــلاَ تُعِيــنُوا عَلَــى قَلْبِــي بِقَسْوتِكُمْ
فَقَــدْ كَفَــاهُ الجَفَا والشَّوْقُ والنَّصَبُ

---

(١) من الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. واقرءوا إن شئتم: «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين»**»... انظر: (الترغيب والترهيب ٤/١٠٣٣).

(٢) ساقطة من الأصل. والزيادة عن هامش (ب).

وإنْ تَــبَاخَلَ أحْبَابِــى بِقُــرْبِهِمُ
فالرُّسْــلُ والطَّيْفُ تَكْفِى الصَبَّ والكُتُبُ
وَإنْ تَجَــنَّوْا بــرَفْعِ الــوُدِّ مِــنْ خَبَرٍ
فَالعَــبْدُ للحُــبِّ في الحَالَــيْن يَنْتَصِبْ

فكتبتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك ارْتجالاً من رأْسى القَلم:

(من الطويل)

تَحِــيَّةُ ذِى وُدٍّ بــراهُ التَّــشَوقُ
وَأَضْــنَاهُ بَــلْ أَفْــنَاهُ وَجْــدٌ مُــؤَرِّقُ
تَــرُوقُ كمــا رَاقَــتْ مَعَانِى حَديقة
إلَــيْهَا عُــيُونُ النَّاظِــرِينَ تُحــدِّقُ
وَتَأْتِــى بِلُطْــفٍ مَــنْ تَخُــصُّ رُبُوعَهُ
كَدَمْعَــةِ صَــبٍّ وَدْقُهَــا يَترَقْــرَقُ
عَلَــى مَجْدِكَ السَّامِي البِنَا الغامِرِ الثَّنَا
تَــرُوحُ وتَغْــدُو دَائِمًــا تَــتَألَّقُ
بَعَــثْتَ كَمَــالَ الدِّينِ نَحْوِى مُشَرِّفًا
عُقُــودُ لآلــيه بِجِــيدِى تَطَــوَّقُ
تَنَــزَّهْتُ مِــنْهُ فِي رِيَــاضِ بلاَغَــةٍ
بِهَــا أَدبٌ أَنْهَــارُهُ تَــتَدَفَّقُ
كَــأَنَّ قَوَافِــيه كُــئُوسٌ يُدِيــرُهَا
عَلَــى الــسَّمْعِ مِنِّــى البَابلِــيُّ المُعَتَّقُ
قُــوَىَّ فِي قَوَافِــيهِ الَّــتِى تَمَكَّــنَتْ
يَخُــورُ لَهَــا عِــنْدَ البَــيَانِ الخَوَرْنَقُ

بـــه ألفَـــاتٌ كالغُـــصُون تَقَـــوَّمَتْ
مِـــنَ الهَمْـــزِ يَعْلُـــوهَا الحَمَامُ المُطوَّقُ
وَلاَ عَـــيْنَ إلاَّ مِـــثْلُ عَـــيْنٍ مَرِيـــضَة
يَهِـــيمُ بِهَـــا في الـــنَّاسِ مَـــنْ يَتَعَشَّقُ
ولا مِـــيمَ إلاَّ مَبْـــسِمٌ مِـــنْ وَرَائـــه
رُضَـــابٌ، يُحَاكِـــيه المُـــدَامُ المُـــرَوَّقُ
وَأيْـــنَ الـــبَهَا، أعْنِـــى زُهَيْرًا فَلَوْ رَأى
أزَاهِـــرَ هَـــذَا كَـــانَ فِي الحَالِ يُطْرِقُ
وَذَلِـــكَ شِـــعْرٌ، لَـــيْسَ لِلـــنَّاسِ مِثْلُه
وَلَكِـــنَّ ذَا أنْـــدَى وَأحْلَـــى وَأرْشَـــقُ
وَذاكَ قَـــرِيضٌ للـــسَّماءِ سَـــمَا، وَذَا
عَلَـــى أُذْنِ الجَـــوْزَاءِ قِـــرْطٌ مُعَلَّـــقُ
وَذَلِـــكَ سَـــامٍ في الفَـــصَاحَة سَامِكٌ
وَهَـــذَا مُوَشَّـــى بالـــبَدِيعِ مُوَشَّـــقُ
فَأذْكَرْتَنِـــى عَهْـــدَ الـــصِّبَا بقدُومِـــه
وَذَلِـــكَ عَهْـــدٌ في اللَّـــذَاذَة مُعْـــرِقُ
إذَا ذَكَـــرَتْ نَفْـــسِي زَمَانًـــا قَطَعْـــتُهُ
وَغُـــصْنُ الـــصِّبَا رَيَّـــانُ باللَّهْوِ مُورِقُ
تَـــصُوبُ عَلَـــى خَدِّى سحائبُ أدْمُعِي
فَلَـــوْلاَ زَفِـــيرِى كُـــنْتُ بالدَّمْعِ أغْرَقُ
وَلَـــوْ كَـــانَ لِي صَبْرٌ لَقِيتُ به الأسَى
وَلَكِـــنَّ ثَـــوْبَ الـــصَّبْرِ عَنِّـــى مُمَزَّقُ

فَيَازَمَنِــي بَالَغْــتَ فِي عَكْسِ مَقْصِدِي
فَمَــا لِــيَ بالْحِرْمَانِ أُرْزَى وأُرْزَقُ[1]

فَــلاَ وَطَــنِي يَدْنُــو، وَلاَ وَطَرِي أَرَى
وَمِــنْ دُونِ مَــا أَبْغِــيهِ هَــامٌ تَفَلَّــقُ

أَمَــوْلاَيَ مُــدَّتْ بَيْنَــنا حُجُبُ النَّوَى
وَمَــا رُفِعَــتْ والعُمْــرُ مِنْ ذَاكَ ضَيِّقُ

فَــإِنْ كَــانَ مَــوْلاَنا بِهِ صَفَدٌ صَفَتْ
فَإِنَّــكَ قَــدْ جَلَّــتْ بِقُــرْبِكَ جِلَّــقُ

أَدِمْ شَــوْقَ لُــجِّ البَــيْنِ عَنْ عَرَصَاتِهَا
فَكَــمْ مِــنْ أُنَاسٍ أَفْلَحُوا إِذْ تَدَمْشَقُوا

وَجَــدِّدْ لِــبَاسَ العِــزِّ فِي غَيْــرِ رَبْعِهَا
(فَطُــولُ مَقَامِ الحُرِّ فِي الحَيِّ مُخْلِقُ)[2]

وَهَــبْكَ خَطِيــبًا قَــدْ عَلاَ فَوْقَ مِنْبَرٍ
أَمَــا فِــي دِمَــشْقٍ مِنْبَــرٌ بِكَ أَلْيَقُ؟

وَضُــمَّ بِهَــا شَمْــلَ الــتَّآلُفِ واللِّقَــا
بِأَسْــحَمَ دَاجٍ عَــوْضُ لا نَتَفَــرَّقُ

---

(١) في الأصل: «ارزو أو زرق» والتوصيب من (ب).

(٢) صدر بيت لأبي تمم (ديوانه/ ٢/ ٢٣) وتمامه:

وطــول مقــام المــرء في الحيّ مخلق　　　لديباجتـــيه فاغتـــرب تـــتجدّدْ

(فَكُــلُّ مَكَــانٍ يُنْــبِتُ العِزَّ طَيِّبٌ)[1]
وَفي كُــلِّ أفــقٍ للـــسَّعَادَةِ مَـــشْرِقُ

فَلَــوْ وَضَــحَتْ لِــى مِنْ مُرَادِكَ لَمحَةٌ
لَكُــنْتُ لِــوَفْدِ الــرِّيحَ وَالْبَرْقُ أسْبَقُ

فَمَــا أنــا فِــي حِفْــظِ الوَفَا مُتَصَنِّعًا
وَلاَ أنَــا لِلـــزُّورِ القَبِــيحِ مُــنَمِّقُ

وَأنْــتَ فَــتَدْرِى مَــا اقْتَضَتْهُ جِبِلَّتِي
فَمَــا أدَّعِــى إلاَّ وَأنْــتَ تُــصَدِّقُ

وَلكِــنَّ دَهْــرًا قَــدْ بُلِيــنَا بِأهْلِــه
أبَاعُــوا بِــه ثَــوبَ الــنِّفَاقِ وَنَفَّقُوا

أنَــاسٌ تَنَازَلْـــنَا إلَى أنْ تَــرَفَّعُوا
عَلَيْــنَا؛ ألاَ لَيْــتَهُمْ لَــوْ تَــرَفَّقُوا[2]

فَكَانُــوا أُصُــولا فِي صَــحَائِفِ عِزِّهِمْ
وَنَحْــنُ عَلَــى بَعْــضِ الهَوَامِشِ مُلْحَقُ

فَــثِقِ بِقَــضَاءِ اللهِ وارْضَ بِحُكْمِــه
فَلِــى أمَــلٌ لأبَــدَّ فِــيكَ يُحَقَّــقُ

يُقَبِّلُ الأرْضَ، ويُنْهِى وَرُودَ المِثَالَ الكريمَ الذي فضحَ كما لُه القمرَ، وسَلَبَ بسحْره الألبابَ وقمر، وأحْيى رسْمَ البلاغة فسادَ بما شادَ وعمرَ، وهَمى غمامُ فضله وسقى رياضَ الفصاحة وهَمر، وقَسمَ نظمُهُ ونثْرُهُ فهذا

(١) عجز بيت للمتنبي (ديوانه ١٨٣/١) وتمامه:

وكــل امــرئ يُــولى الجميل محبَّبٌ | وكــل مكــان ينبــت العــز طــيِّبُ

(٢) الأبيات الثلاثة ساقطة من الأصل، والزيادة عن (ب).

للنَّدامى غناءٌ، وهذا للمحدِّثين سَمَر. وخالفَ العادَةَ لأنّه جاءَ[1] بُستانا في ورقة إلاّ أنَّه جميعه زهرٌ وثمر، وأَمَرَ وَنَهَى في سُلطان فضله فأذعن الفُصحاء له، وقالوا: السمعَ والطاعة لما نَهى وأمَر، وأطْربَ المسامعَ فَعُلِمَ أنّ مَن أنشأهُ لو شاءَ بالطِّرْس والقلم طَبَّلَ وَزَمَر. فوقفَ المملوكُ على أبياته، وآمنَ بآياته، وعلمَ أنَّه قَصَّر عن مُباراة مُباريه وهو في غاياته. وتصوَّرَ عتْبَه فتضوَّر، وتفكَّرَ في أمره الأمَرَّ فتفكَّر، وتربَّصَ لما يُدبِّرُهُ في معناه فما تصبَّر، وترقّق[2] للحيلة فما رأى لها دليلاً تقرَّر، وتحرّى فيما يعتمدُهُ فما وجدَ فيه بحثًا تَحرَّر.

(من البسيط)

سِـــوَى حُـــضُورِكَ فِي أَمْـــنٍ وفِي دَعَةٍ
لِيَقْـــضِيَ اللهُ مَـــا نَـــرْجُو وَنَـــرْتَقِبُ

أَوْ فَالتَّـــصَبُّرُ أَوْلَى مَـــا ادَّرَعْـــتَ بِـــهِ
فَالـــسُّولُ يُقْـــضَى بِهِ والقَصْدُ والأَرَبُ

فَلِـــي أَمَانِـــيُّ خَيْـــرٍ فِـــيكَ أَرْقُـــبُهَا
أَرَى بَعِـــيدَ مَـــدَاهَا وَهْـــوَ يَقْتَـــرِبُ

فَـــلا يَـــضِقْ لَكَ صَدْرٌ مِنْ أَذَى زَمَنٍ
أَيَّامُـــهُ تَمْـــنَحُ الحُـــسْنَى وَتَـــسْتَلِبُ

وَرُبَّمَـــا كَـــانَ مَكْـــرُوهُ الأُمُـــورِ إِلَى
مَعْـــرُوفِهَا سَـــبَبًا مَـــا مِـــثْلَهُ سَـــبَبُ

محمدُ بنُ حسن بنِ عبدِ الواحد بن عساكر، الشيخُ الفاضلُ الكاتبُ مجْدُ الدِّين ابنُ بدرِ الدين بنِ نجم الدِّين بن عساكرِ الدمَشْقي[3].

---

(١) «لأنه جا» هكذا بالأصل.

(٢) في (ب): «وترفق».

(٣) ترجم له الصفدي في (الوافي: ٢/٣٦٤: ٣٦٦) ولم يذكر تاريخ وفاته.

كتب هو على كتابي (نَكتِ الهمْيان في نُكتِ العُميان) لّما وقف عليه:

(من الكامل)

لله دَرُّكَ مِـــنْ إمَــامٍ جَامِــعٍ

دُرَرًا حَلَــتْ، حَلَّــى بهـا الأنْـبَاءَ

نَـوَّهْتَ بالعُمْـيانِ حتَّـى أصْـبَحُوا

بعُـيونِ مَـا نَوَّلْـتَهُمْ بُـصَرَاءَ

فكتبت أنا الجواب إليه:

(من الكامل)

يَــا سَـيِّدَ الكُـتَّابِ قَـدْ شَرَّفْتَ مَا

صَــنَّفْتُهُ بِمَـدائحٍ تَتَــراءَى

مَـا هَـذِهِ فِـيمَا نَظَمْـتَ بهَمْــزَةٍ

لَكِـنْ علَـى الألِـفِ اغْتَدَتْ وَرْقَاءَ

وكتب هو أيضًا على كتابي (لذّة السّمع في صفَة الدمع)، وقد كتب نُسخةً[1].

(من المتقارب)

وَلَمَّـــا وَقَفْـــتُ عَلَـــى رَوْضَـــةٍ

دُمُـــوعُ المُحِـــبِّينَ أزْهَارُهَـــا

ثَمِلْـــتُ بأكْـــؤُسِ إحْـــسَانِ مَـــنْ

بِـــهِ لَمَعَـــتْ لِـــيَ أنْـــوَارُهَا

فَيَاحُـــسْنَها جَـــنَّةً قَـــدْ جَـــرَتْ

بِـــنَظْمِكَ، وَالنَّثْـــرُ أنْهَارُهَـــا

(١) ذكرت الأبيات في: (الوافي ٢/٣٦٤).

وَأَضْـــحَتْ وَأَذْمُــــعُ حُـــسَّادها
مُــــضَاعِفةٌ بالأَسَـــــى، نَارُهَـــا

وكتب عليه أيضًا[1]: (من مخلع البسيط)

يالَــــذَّةَ الـــسَّمْعِ وَالْقُلُـــوبِ
بِمُطْـــرِبٍ مُـــرْقِصٍ غَـــرِيبِ
مِـــنْ نَظْـــمِ دُرٍّ لِبَحْـــرِ علـــمٍ
أَبِـــى الـــصَّفَا الأَوْحَـــد الأَدِيـــبِ[2]
وَالبَحْـــرُ، لاَشَـــكَّ، كُـــلَّ وقـــتٍ
يَظْهَـــــرُ لِلـــــنَّاسِ بالعَجِـــــيبِ

وكتب على كتابي (كشف الحال في وصف الخال)[3]:

(من الخفيف)

كُلَّمَـــا صَـــنَّفَ الإِمَـــامُ صَـــلاَحُ الدِّ
يـــنِ لا ينتَهِـــى لَـــه [في][4] مَجَـــالِ
أَدَبٌ رَائِـــقٌ وسِـــحْرٌ[5] وطِـــبٌّ
وَحَـــديثٌ، فِقْـــهٌ وأَسْـــمَا رِجَـــالِ
وَلغَـــــاتٌ كَـــــثِيرةٌ وَأُصُـــــولٌ
وَتَـــوَارِيخُ ســـالفاتِ اللَّـــيَالى

(١) الأبيات واردة في (الوافي ٢/٣٦٤).
(٢) «الأريب» بالوافي.
(٣) وردت هذه الأبيات في (الوافي ٢/٣٦٤).
(٤) الكلمة ساقطة من الأصل. والزيادة عن النسخ الأخرى، والعبارة في (الوافي): «لا ينتهي له بحال».
(٥) «ونحو وطب» في: الوافي.

سِيَّمَا كَشْفُ حَالِ وَصْفِ لِخَالِ
فَهُوَ لِلْفَضْلِ خَيْرُ عَمٍّ وَخَالِ

وكتب عليه أيضًا[1]:

(من الكامل)

أَسْعَفْتَنِي بِكِتَابِكَ الْخَالِ الَّذِي
قَدْ عَمَّ خَدَّ الطِّرْسِ بِالإِحْسَانِ

يَا مَنْ غَدَا فِي حُسْنِ وَجْهِ زَمَانِنَا
خَالاً، يُتَمِّمُ بَهْجَةَ الإِنْسَانِ

وَغَدَوْتَ لِلآدَابِ مِنْ دُونِ الوَرَى
خَالاً وعمًّا يَا أَبَا لِلِسَانِ[2]

فَلْتَبْقَ مَا ضَاءَتْ سَمَاءُ مَحَاسِنٍ
بِكَوَاكِبٍ مِنْ عَنْبَرِ الخِيلاَنِ

يَا جَامِعًا لِلنَّاسِ شَمْلَ فَضَائِلٍ
كَانَ الخَطِيبُ بِهَا لِسَانَ بَنَانِ

نَظَمْتَهُ كَعُقُودِ دُرٍّ بَعْدَمَا
كَانَتْ شُرُودًا مِنْ قَدِيمِ زَمَانِ

فَاسْتَأْنَسَتْ بِتَلَطُّفٍ مِنْ فَضْلِكَ الْـ
وَافِي، وَوَافَتْ سَائِرَ البُلْدَانِ

وكتب على كتابي (المثاني والمثالث)[3].

---

(١) الأبيات الآتية واردة في: (الوافي: ٢/٣٦٥).

(٢) «يا أبا لسان» بالأصل.

(٣) الأبيات مذكورة في : (الوافي٢/٣٦٥).

(من المتقارب)

أَيَـا مَـنْ لأَهْـلِ المعَانـى يَـرُوضُ
خُـيُولَ القَـرِيضِ بِمِهْمَـازِهِ
لَقَـدْ فُقْـتَ فِي الأَدَبِ المُجْتَلَـى
بِإِحْـسَانِ أَنْـوَاعِ إِعْجَـازِهِ
وَرُقْـتَ الأَنَـامَ بِـشِعْرٍ حَـلا
سَـحَرْتَ العُقُـولَ بِأَلْغَـازِهِ
يُطِـيلُ الـمُعَجَّبُ إِطْـنَابَهُ[1]
وَيلطُـفُ مَوْقِـعُ إِيجَـازِهِ

وكتب عليه أيضًا[2]: (من الوافر)

لَقَـدْ كَمُلَـتْ مَحَاسِـنُ نَظْـمِ حَبْرٍ
حَـوَى فِي الفَـضْلِ أَشْـتَاتَ الْكَمَالِ
صَـلاحٌ لِلْـتأَدُّبِ فِـى الـبَرَايَا
خَلِـيلٌ لِلْمَفَاخِـرِ وَالمَعَالِـى

وكتب عليه أيضًا[3]: (من الوافر)

تَفَـرَّدَ بِالمَثَانِـى والمَـثَالِثْ
إِمَـامٌ جَـدٌّ، لَـيْسَ تَـرَاهُ عَابِـثْ
لَـهُ فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ بِكْـرُ مَعْنًـى
إِلَى القَلْـبِ الـسُّرورِ الجَـمَّ بَاعِـثْ

(١) «أطنابه» بألحان السواجع. واخترت ما بالواف.
(٢) البيتان مذكوران في : (الوافى ٢/٣٦٥).
(٣) الأبيات واردة (بالواف ٢/٣٦٥، ٣٦٦).

نَسيمٌ في رياضٍ بل رَحيقٌ
نشاطُ المرءِ عنها المرءُ وارثْ
عُيونٌ في الأذانِ تَلَذُّ سَمْعًا
غَدَا خَمَارُهَا بالسِّحْرِ نافثْ
فيا للهِ مِنْ أدَبٍ قَديمٍ
وفَخْرِ كُلِّ يَوْمٍ فيه حَادثْ
وَكَمْ جُلِيَتْ لَهُ بِمُصنَّفاتٍ
عَقَائِلُ ما سِواهُ لها بِطَامِثْ
كأنَّ السَّامعينَ لها نَشاوَى
غُصُونٌ قد تَثَنَّتْ بالمَثَالثْ
تُقادُ لَهُ المَعاني الغُرُّ عَفْوًا
فَدَعْ تَكْلِيفَ هَمَّامٍ وَحَارثْ(١)
فَعَنْهُ إنْ رَوَيْتَ حَديثَ نَظْمٍ
أمِنْتَ بِهِ على الأدَبِ الحَوَادثْ

محمدُ بنُ داودَ القاضي شمسُ الدين بنُ الحافظ ناظرِ الجيش المنصورِ بصفدَ المحروسة، ثم بطرابلس المحروسة، كان قَيِّمًا بحَلِّ المُتَرْجَم، يَحُلُّه بلا فاصلة، وبعلم الإِسْطِرْلاب(٢).

---

(١) لعله يقصد هنا الحريري أبا محمد القاسم بن علي، صاحب المقامات، المتوفى سنة ٥١٦هـ. والذي اتخذ راويًا لمقامات شخصيّة وهمية، اسماها: «الحارث بن همام».

(٢) المتوفى سنة ٧٣٤هـ. له ترجمة في الوافي (٣/٦٤-٦٦)، والطبقات السنية (٣/٢٦٧-٢٧٤)، والدرر (٤/٥٦، ٥٧)، وفيه: «محمد بن داود بن علي بن عمر ابن قزل، القاضي شمس الدين بن الحافظ...».

كتب هو إلى بصفدَ سنة ستَّ عشرةَ وسبعمائة.. وقد بلغه عني كلامٌ لم أقُلْه[1]:

(من الوافر)

أُعِيذُكَ مِنْ ضَمِيرٍ غَيرِ صَافٍ
وَأَنْتَ، كمَا نَرَاكَ، أَبو الصَّفَاءِ
وَغَرْسُ الدِّينِ لا يَذْوَى ثَرَاهُ
فَمُحْتَاجٌ لِشَمْسِ الإِسْتوَاءِ
فَكَيْفَ يَرَى بِعَادًا عَنْ سَنَاهَا
وَيَعْمَلُ فكرهُ[2] طلَبَ الجفَاءِ
أُحَاشِي ذِهْنَكَ الوَقَّادَ تَسْطُو
عَلَيْهِ ظُلْمَةُ الخِلِّ المُرَائِي
وأَنْ تُصْغِي إلى الوَاشِي وأَنْتَ الْـ
ـعَلِيمُ بِصِدْقِ وُدِّي وَانْتِمَائِي
فَلا بِاللهِ لاَ تَسْمَعْ حَدِيثًا
تُنَمِّقُهُ الْحَوَاسِدُ بافْتِرَاءِ
فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ فِي مَمَاتِي
خَلِيلاً أَصْطَفِيهِ وفِي بَقَائِي

فكتبت أنا الجواب إليه[3]:

---

(١) بالطبقات السنية (٣/٢٧٢) قال: «وكتب إلي يومًا وقد بلغه عني كلام لم أقله، واستقالني من العتب فلم أقله». ثم ذكر الأبيات الآتية ثمة.

(٢) «ويعمل فكرة» بألحان السواجع. وبعده في (ب): «طلب الخفاء».

(٣) ورد الجواب (بالطبقات السنية ٣/٢٧٣، ٢٧٤).

(من الوافر)

أَبَــا شَــمْسَ العُلُــومِ لمُجْتَلِــيها
وَيَــا مَــنْ فَــضْلُه بَــادِي الــسَّنَاءِ
وَمَــنْ قَــدْ مَــدَّ ظِــلَّ الفَــضْلِ فينا
وَلَــوْلاَه نُــبِذْنَا بالعَــرَاءِ
أَلَــسْتَ إِذَا ادْلَهمَّــتْ مُــشْكلاَتٌ
جَلاَهَــا بالتَّــرَوِّي والــذَّكَاءِ؟!
فَمَــا يَخْفَــى عَلَــيْه مَقَــالُ غِــشٍّ
لأَن الغِــشَّ يَظْهَــرُ في الــصَّفَاءِ
أُعِــيذُك أنْ تُــصَدِّقَ قَــوْلَ وَاشٍ
وَأنْ تَمْــشِي علــى غَيْــرِ اسْــتِواءِ
أَتَحْــسَبُنِي أَفُــوهُ بِغَيْــرِ شُــكْرٍ
لفَــضْلكَ، لا، وخَــلاَّقِ الــسَّمَاءِ؟!
وَبَابُــكَ مُــنْذُ كــنتُ عرفتُ نَفْسِي
عَقَــدْتُ عَلــيه أَلْــوِيَةَ الــوَلاَءِ
وَمَــا أَهْــدَى النَّــسِيمُ إِلــيك طِيبًا
وَكَــانَ شَــذَاهُ إِلاَّ مِــنْ ثَنائِــي
وَوُدِّي أَنْــتَ تَعْلَمُــه يَقِيــنًا
صَــحِيحٌ لا يُكَــدَّرُ بالجَفَــاءِ
فَــلا تَــسْمَعْ لِمَــا نَقَــل[1] الأَعَادِي
وَمَــا قَــدْ نَمَّقُــوهُ مِــن افْتِــرَاءِ

(١) «لما تقل» في (ب)، والطبقات.

[فإنّي قَدْ جَعَلْتُكَ في مَمَاتي
م م م][1]

فَأَصْلُكَ طَيِّبٌ حَاشَاهُ يَجْفُو
خَلِيلاً دَأْبُهُ رَفْعُ[2] الدُّعَاءِ

(وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيلٌ
أَيَعْمَى العَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ)[3]؟!

محمدُ بن السُّنْبُكيّ الفاضلُ ناصرُ الدين[4].

كتب هو إلى بالقاهرة المحروسة في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة:

(من السريع)

أَيَا صَلاَحَ الدِّين يَا فَاضِلاً
لَفظُكَ مَا أَسْمَى وأَسْنَاهُ

كالدُّرِّ مَنظُومًا وَإِنْ كَانَ مَنْـ
ـثُورًا فَمَا أَعْلَى وَأَغْلاَهُ

إِنْ دَارَ بَينَ الشَّرْبِ فِي أَكْؤُسِ الْـ
أَفْوَاهِ مَا أَجْلَى وَأَحْلاَهُ

مَا الزَّهْرُ مَا الزُّهْرُ إِذَا اسْتَمْتَعُوا
مِنْهُ بِرُؤْيَاهُ وَرَيَّاهُ؟!

(١) هكذا جاءت هذه الزيادة في (ز)، وهو البيت الأخير من الرسالة السابقة.

(٢) «دفع الدعاء» بالطبقات.

(٣) البيت للمتنبي بديوانه (١/١٠)، من قصيدة يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي، مطلعها:

أتنكر يا ابن إسحاق إخائي وتحسب ماء غيري من إنائي

(٤) بالدرر (٤/٧٦): محمد بن شنبكي ناصر الدين... مات بعد الأربعين وسبعمائة.

فَتُطْـــرَبُ الـــسَّمْعُ لأَلْفَاظِـــه
وَيَـــرْقُصُ القَلْـــبُ لِمَعْـــنَاهُ

فكتبت أنا الجواب إليه:

(من السريع)

يَـا نَاصِـرَ الـدِّين الَّـذى نَظْمُـهُ
قَـدْ زَانَ مَعْـنَاهُ بِمَغْـنَاهُ[1]
أَتحَفْتَنِـي مِـنْكَ بِـشِعْرٍ غَـدَا
كَالزَّهْـرِ مَـرْآهُ وَرَيَّـاهُ
فَلَفْظُـهُ إِنْ جَـالَ فِـي مَـنْطِقٍ
جَـلاهُ أَوْفَى الـسَّمْعِ حَـلاهُ
يَحْكِـي مُحَـيَّاكَ الكَـرِيمَ الَّـذِى
حَـيَّاهُ لِـي اللهُ وَأَحْـيَاهُ
كَـذَا يَكُـونُ الـشِّعْرُ يَـا مَالِكِـي
مَـا كُـلُّ مَـنْ أَنْـشَاهُ وَشَّـاهُ

محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ الشيخُ الإِمامُ الأَديبُ الفاضلُ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ العَرُوضِيُّ النَّاظِمُ مُحبُّ الدين أَبو البقاءِ الأَمَوِيُّ **المعروفُ بابن الصَّائِغِ**[2].

كتب هو إِلى وأَنا بالقاهرة المحروسة[3].

---

(1) «قد زاد معناه بمغناه» في (ب).

(2) المتوفى سنة ٧٤٩هـ. ترجم له ابن حجر في (الدرر٤/١٠٥)، والصفدى في (الوافي ٣/٣٧٥: ٣٧٨)، وفي (أعيان العصر ٦/٥٢ - النسخة ١٠٩١ تاريخ).

(3) بأعيان: «وكان قد كتب إلى وأنا بالقاهرة» ثم ذكر البيتين.

(من الوافر)

صَــلاَحَ الــدِّين يــا رَبَّ المَقَــالِ
وَيَــا تِــرْبَ المَعَانِــي وَالمَعَالِــي
تَــصَدَّقْ لِــي بِــصَرْفِ زَكَــاةِ جَاهٍ
فَفِــيهَا إِنْ أَرَدْتَ صَــلاَحُ حَالِــي

فكتبت أنا الجواب مع شيءٍ أهديته[1]:

(من الوافر)

مُحِبُّ الدِّين فِي الآدَابِ شيخٌ نَــوَى لِــي أَنْ يُعَرِّضَ بالنَّوالِ
إِذَا مــا الجَاهُ لَمْ أَكُ فِيه وجْهًا فَمَــا لِي لاَ أَجُودُ بِفَضْلِ مَالِي

محمدُ بنُ عبد البرّ بنِ يَحيى بن عليٍّ بنِ تَمَّام، أَقضى القضاة بهاءُ الدين أَبو البقاء ابنُ القاضي سديدِ الدِّين، السُّبْكِيُّ الشافعيُّ نائبُ الحكم العزيز بالشام المحروس[2].

كتبتُ أنا إليه أطلب شيئًا من نظمه. فكتب هو إليَّ الجواب عن ذلك[3]:

(من الطويل)

أَأَعْــرِضُ أَشْــعَارِي عَلَــيْك وإِنَّهَــا
لَمُخْــتَلَّةُ الأَوْزَانِ نَاقِــصَةُ الْمَعْنَــى؟!

(١) بأعيان: «**فكتبت جوابه مع شيء أهديته إليه**». ثم ذكر البيتين بعده.
(٢) المتوفى سنة ٧٧٧هـ. له ترجمة في (الدرر٤/١٠٩، وبغية الوعاة١/١٥٢)، وإنباء الغمر (١/١٢١)، والوافي (٣/٢١٠)، ودرة الأسلاك (٣/٢٢٠)، والمنهل الصافي (٣/٢٥٣ب) وغيرها.
(٣) بالوافي (٣/٢١٢): «**وطلبت منه شيئًا من نظمه لأثبته فوعد به، فلما عاودته في ذلك أنشدني من لفظه لنفسه**»، وذكر الأبيات الآتية:

وَأَنْــتَ خَلِـيلُ الــوَقْتِ وَارِثُ عِلْمِه
إِلَــيْكَ يُــشيرُ الفَضْلُ إنْ مُشْكِلٌ عَنَّا
وَإِنْ قَرِيــضِي بَــيْنَ أَزْهَــارِ رَوْضِكُمْ
أَخُــو الــبَقْلَةِ الحَمْقَاءِ فِي الرَّوْضَةِ الغَنَّا
فَعَفْــوًا وَتَنْــزِيهًا لِجَمْــعٍ كَأَنَّــهُ
عُقُــودُ الَّلآلِــى فَــوْقَ نَاصِيةِ الحَسْنَا
فَــلاَ زِلْــتَ لِــلآدَابِ تَعْمُــرُ رَبْعَهَا
إِذَا مَــا وَهَــى رُكْــنٌ أَقَمْتَ لَهُ رُكْنَا

وكتبت أنا إليه[1]: (من السريع)

يَــا قَاضِــيًا أَحْكَامُــهُ لَــمْ تَــزَلْ
وَقْفًــا عَلَــى مَــا جَــرَتِ القَاعِــدَه
وَمَــنْ فَــتَاوِيهِ كَــشَمْسِ الــضُّحَى
إِنْ أَظْلَمَــــتْ مَــــسْأَلَةٌ وَارِدَه
وَمَــنْ إِذَا جِئْــنَا بِمَعْنًــى أَتَــتْ
لَــهُ مَعَــانٍ بَعْــدَ ذَا زَائِــدَه
ومَــنْ مَعَانِــيهِ تَحَلَّــتْ بِمَــا
بَهْجَــتُهُ بَــيْنَ الــوَرَى خَالِــدَه
صَــلَّيْتُ خَمْــسًا عِــنْدَ أَوْقَاتِهــا
نَاسِــيَ غَــسْلِ الــوَجْهِ فِي الــوَاحِدَه
فَقَــالَ لِــي مُفْــتٍ تَوَضَّأْ وَصَلِّ (م)
الْخَمْــسَ طُــرًّا تَــصْلُح الفَاسِــدَه

---
(1) وردت القصيدة في (الوافي: ٣/٢١٣).

قُلْـــتُ فَعَلْـــتُ الأَمْـــرَ لَكِـــنَّ وَجْـــ
ـــهِـــي غَـــسْلُهُ رُخْـــتُ إِذًا فَاقِـــدَه

قَـــال: تَوضَّـــأْ ثُم صَـــلِّ العِـــشا
لا غَـــيرُ، واغْـــنَمْ هـــذه الفائِـــدَة

فأَوضَـــحَ العِلَّـــةَ في حُكْـــم مَـــا
قلـــتُ، ونَـــبِّه فكـــريَ الـــراقِده

وَدُمْ قَرِيـــرَ العَـــيْن في نِعْمَـــة
صِـــلاتُها طُـــولَ المَـــدَى عَائِـــدَه

فكتب هو الجواب عن ذلك(١):

(من السريع)

يَـــا فَاضِـــلاً فَـــاقَ جَمِـــيعَ الـــوَرَى
وَمَـــنْ غَـــدَا في عَـــصْرِه وَاحِـــدَه

ومَـــنْ غَـــدَتْ أَلْـــسُنُ أَهْـــلِ النُّهَى
جَمِـــيعُهَا لِفَـــضْلِهِ حَامِـــدَه

وَمَـــنْ إِذَا مَـــا رَامَ فَـــضْلاً(٢) أَتَـــتْ
لَـــهُ القَوَافِـــي كُلُّهَـــا سَـــاجِدَه

سَـــأَلْتَنِي عَـــنْ وَاضِـــحٍ عِـــنْدَكُمْ
وَقُلْـــتَ نَـــبِّهْ فِكْرَتِـــي الـــرَّاقِدَه

حَاشَـــاكَ يَـــامَنْ لَـــمْ يَـــزَلْ سَـــامِيًا
إلى العُـــلاَ بِهِمَّـــةٍ صَـــاعِدَه

(١) ورد الجواب في (الوافي ٣/٢١٣، ٢١٤).
(٢) «رام نظما» بالوافي.

إنَّ الـــذي لِخَمْـــسَةٍ قَـــدْ أتَـــى
نَاسِـــيَ غَـــسْلَ الــوَجْه في الــوَاحِدَه
وَقَـــال مُفْتِـــيه تَوَضَّـــأْ وَصَـــ(م)
ـــلِّ الخَمْـس طُرًّا واسْلُك القَاعِدَه
وَحِـــينَ صَـــلاَّهَا بِـــه نَاقِـــصًا
قَـــالَ العِـــشَا تَكْفِـــي بِـــلاَ زَائِـــدَه
مِـــن شَـــرْطِه أنْ وُضُـــوءَ العِـــشَا
لَـــمْ يَنْـتَقِصْ[1]، ومِــنْ هُــنَا الفَائِدَه
وإنْ يَكُـــنْ نَقْـــصٌ بِـــه حَاصِـــلٌ
كَانَـــتْ صَـــلاتُهُ بِـــه الفَاسِـــدَه
وَهْـــيَ العِـــشَا فَقَـــدْ بَـــدَا أنَّهَـــا
تَكْفِـــيه، يَـــاذَا الفِطْـــرَةِ الــوَاقِدَه
وَعِـــنْدَكَ العِلْـــمُ بِـــذَا مُتْقَـــنًا
فَعَـــنْكَ مَـــا مَـــسْأَلَةٌ شَـــارِدَه
لَكِنَّنِـــي أجِبْـــتُكُمْ طَائِعًـــا
أمْـــرَكُمْ، وَسَـــتْرَكُمْ قَاصِـــدَه
فَابْـسُطْ لِــيَ العُــذْرَ، فَلِــي فِطْرَةٌ
مَــا بَــرِحَتْ طُــولَ المَــدَى خَامِدَه
والله يُبْقِـــي لِلْعُـــلاَ فَـــضْلَكُمْ
فَهْـــوَ بِكُـــمْ فِـــي بَهْجَـــةٍ زَائِـــدَة

(١) «لم ينتقض» بالواو.

محمدُ بنُ عبدِ الرَّحمن بنِ عُمرَ، الشيخُ الإمامُ العلامةُ ذو الفنون الرئيس الكاملُ قاضي القضاة **جلالُ الدين القَزْوِينيُّ الشافعيُّ**، قاضي القضاة بمصر والشام[1].

كتبتُ أنا إليه أُهنِّئُه بالقدوم من الحجاز الشريف في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، وكنَّا بالديار المصرية المحروسة[2].

(من البسيط)

مَـــنْ خَـــصَّ ذَاكَ البَنَانَ الغَضَّ بِالتَّرَفِ
وَزَانَ ذَاكَ القَـــوَامَ اللَّـــدْنَ بِالهَـــيَفِ
وَضَـــمَّ فِي شَـــفَتَيْهَا دُرَّ مَبْـــسِمِهَا
فَـــرَاحَ مِـــنْ أَحْمَرِ المَرْجَانِ فِي صَدَفِ
وَجَلْـــلَ الفَـــرْقَ فَـــرْعًا فِي ذَوَائِـــبِهَا
والـــبَدْرُ أَحْـــسَنُ مَا تَلْقَاهُ فِي السُّدَفِ
عُلِّقْـــتُها مِـــنَ بَـــنَاتِ التُّرْكِ قَدْ غَنِيَتْ
بِدَمْـــعِ عَاشِـــقِهَا عَـــنْ مِـــنَّةِ الشُّنُفِ
يَلْقَـــى المُتَـــيَّمُ مِـــنْ تَثْقِـــيفِ قَامَـــتِهَا
مَـــا لاَ يُلاَقِـــيهِ كُوفِـــيٌّ مِنَ الثَّقَفِي[3]

(١) المتوفى سنة ٧٣٩هـ. له ترجمة في: البدر الطالع (١٨٣/٢)، والدرر (١٢٠/٤)، وطبقات الشافعية (١٥٨/٩)، والوافي (٢٤٢/٣)، وأعيان العصر (١٥/٦)، وغيرها.

(٢) عبارة (أعيان العصر): «**وكتبت أنا إليه أهنية بالديار المصرية لما قدم من الحج سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة بقصيدة فائية، وهي**» ثم ذكر القصيدة الآتية برمتها. وقد ذكر منها السبكي في طبقاته أربعة عشرة بيتًا من قوله: «**هذا الإمام الذي ترضى حكومته**». كما ذكر منها ابن حبيب في (درة الأسلاك ٣١٩/٢) (سبعة أبيات متفرقة سأشير إليها.

(٣) يقصد بالثقفي؛ الحجاج بن يوسف الثقفي السفاك المشهور المشهور المتوفى سنة ٥

في حفظ سالفها للحسن ترجمة
فاقت وما اتفقت للحافظ السلفي
يا للهوى عينها عين، وحاجبها
نون، وتم الغنا من قدها الألفي
يا هذه إن للأشعار معجزة
تبقى عن السلف الماضين للخلف
ضعي بنانك مخضوبًا على جسدي
(م) البالي ليجتمع العناب بالحشف
يا عاذلي في هوى عيني محجبة
خف شر ناظرها فالسر فيه خفي[1]
وذع فؤادي ودعه نصب ناظرها
لا ترم نفسك بين السهم والهدف
إني لأعجب للعذال كيف[2] رأوا
شخصي، وقد رحت ذا روح تردد في
أليس يشغلهم طيب الثناء على
قاضي القضاة جلال الدين عن شغفي؟!
وتستفزهم أفراح مقلعه
من حجه، وهو مثل الشمس في الشرف

هـ ويشير إلى موقفه من أهل الكوفة حينما دخلها وخطب خطبته المشهورة التي يقول فيها: «يا أهل العراق والنفاق، والله لأعصبنكم عصب السلمة...» انظر ترجمته وأخباره في (سرح العيون ١٧٠-١٨٦).

(١) ورد هذا البيت والأبيات الثلاثة بعده في (درة الأسلاك).

(٢) «وحين رأوا» بدرة الأسلاك.

حَــجٌّ غــدا حُجَّــةً في الدهــر ثابتةً
إن ينكــشفْ نُورُها للشمس تنكسِفِ
كَمْ جَابَ في سَيْرِهِ والْعِيسُ قَدْ سَئِمَتْ
جَذْبَ الْبُرَى والسُّرَى في مَهْمَهٍ قَذَفِ[1]
وَالــرَّكْبُ مِــنْ فَضْلِهِ أَوْ مِنْ فَضَائِلِه
مَــا بَــيْنَ مُعْتَــرِفٍ مِــنْهُ وَمُغْتَرِفِ[2]
حَتَّــى نَــضَى طَلَــبَ الإِحْرَامِ مَلْبَسَهُ
عــنِ الْهُدَى والنَّدَى وَالعِلْمِ والصَّلَفِ[3]
وَرَاحَ ذَا جَــسَدٍ قَــدْ طَــابَ عُنْصُرُهُ
عَــارٍ مِــنَ العَــارِ بالإِحْسَانِ مُلْتَحِفِ
مَــا مَــسَّ طِيبًا وَإِنْ كَانَ الْحَجِيجُ بِمَا
أَثْــنَوْا عَلَــيْهِ غَــدًا فِي رَوْضَــةٍ أُنُــفِ
وَأَمَّ أُمَّ القُــرَى ذَاتَ القَــرارِ وَمَــنْ
يَطْلُــبْ رِضَــى اللهِ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ كُفِي
وَطَــافَ بالبَــيتِ فَارْتَــاحَ المَقَــامُ لَهُ
لَمَّــا تَمَــسَّكَ بالأَسْــتَارِ والــسُّجُفِ
فَكُــلُّ رُكْــنٍ إذَا حَــاذَاهُ مَنْكِــبُهُ
يَــوَدُّ لَــوْ كَــانَ عَــنْهُ غَيْــرَ مُنْعَطِفِ

---

(١) «السرى لى مهمه» بأعيان.
(٢) «ما بين مغترف منه ومعترف» بأعيان.
(٣) هكذا ورد البيت. ومعناه مضطرب عندي. ولعله يقصد التجرد من الدنيا خيرها وشرها، ليكون خالصًا لله.

وَراحَ فِي عَــرَفَاتٍ وَاقِفًــا، وَلَــهُ
عُــرْفٌ يَــسِيرٌ بِــهِ عَــرْفٌ وَلَمْ يَقِفِ

وَفِي مِنًــى كَــمْ أَنَــالَ الطَّالِبِينَ مُنًى
أَمْــسَوْا بِهــا عَنْ سُطَا الإِعْدَامِ فِي كُنُفِ

وَجَــاءَ طِيــبَةَ يَقْــضِي حَــقَّ سَاكِنِهَا
ومِــثْلُ ذِمَّــتِهِ تَرْعَــى لَــهُ وتَفِــي

وَزَارَ مَــنْ لَــمْ يَــزَلْ فِي نَــصْرِ مِلَّتِهِ
وَشَــرْعِهِ بالقَــضَايَا خَيْــرَ مُعْــتَكِفِ

هَــذَا الإِمَــامُ الَّــذِي تُرْضَى حُكُومَتُهُ
خِــلاَفَ مَا قَالَهُ النَّحْوِيُّ فِي الصُحُفِ[1]

حَبْــرٌ مَتَــى جَالَ فِي بَحْثٍ وَجَادَ فَلاَ
تَــسْأَلْ عَــنِ البَحْرِ والهَطَّالَة الوُطُفِ

لَــهُ عَلَــى كُــلِّ قَــوْلٍ بَاتَ يَنْصُرُهُ
وَجْــهٌ يُــصَانُ عَنِ التَّكْلِيفِ بالكُلَفِ

قَــدْ ذَبَّ عَــنْ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ ذَبَّ فَتًى
يَحْمِــي الحِمَى بالعَوَالِي السُّمْرِ والزُّعَفِ[2]

ومَــذْهَبُ الــسُّنَّةِ الغَــرَّاءِ قَــامَ بِــهِ
وَثَقَّــفَ الحَــقَّ مِنْ حَيْفٍ وَمِنْ جَنَفِ

---

(١) ورد هذا البيت (بدرة الأسلاك). وهو يشير إلى قول الفرزدق (خزانة البغدادي ١/١٤، وشرح الشوهد للعيني (١/١١١):

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولا ذى الرأى والجدل

(٢) «السمر والرعف» طبقات السبكى؟

يَأْتِــي بِكُــلِّ دَلِــيلٍ قَــدْ حَكَى جَبَلاً
فَلَــيْسَ يَنْــسِفُهُ مَــا مَغْلَطَ النَّسَفِي[١]
وَقَــدْ شَــفَى العِــيَّ لَمَّا بَاتَ مُنْتَصِرًا
لِلــشَّافِعِيِّ بِــرَغْمِ الْمَــذْهَبِ الحَنَفِي
تُحْــيِي دُروسَ ابْــنِ إِدْرِيــسٍ مَبَاحِثُهُ
فَحَــبَّذَا خَلَــفٌ مِــنْهُ عن السَّلَفِ[٢]
فَمَــا أَرَى ابْــنَ سُــرَيجٍ[٣] إِذْ يُنَاظِرُهُ
مِــنْ خَــيْلِ مَــيْدَانِهِ فَلْيَمْضِ أَوْ يَقِفِ
وَلَــوْ أَتَــى مُزَنِــيٌّ[٤] الفِقْــهِ أَغْرَقَهُ
وَلَــمْ يَعُــدْ قَطْــرَةً فِي سُحْبِهِ الذُّرَفِ
وَقَــدْ أَقَــامَ شِــعَارَ الأَشْــعَرِيِّ فَمَا
يُــشَكُّ فِــيهِ[٥] ولا يَشْكُو من الدَّنَفِ

(١) مغلط النسفي: أي أتى بالأغاليط. والنسفي المراد هنا – كما جاء بحاشية الطبقات (٩/ ١٦٠) هو: «**برهان الدين محمد بن محمد الحنفي، من علماء الأحناف وممن صنفوا في الجدل والكلام والخلاف، توفي سنة ٦٨٧هـ**».

(٢) ورد هذا البيت بدرة الأسلاك.

(٣) ابن سريج: هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج من أكبر علماء الشافعية في القرن الثالث الهجرى، توفي في بغداد سنة ٣٠٦هـ (دائرة المعارف الإسلامية: مادة ابن سريج).

(٤) لعله يقصد بالمزنى أبا إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزنى، من أشهر تلاميذ الشافعي الذين أيدوا مذهبه بمصر، توفي سنة ٢٦٤هـ ودفن قريبًا من مقبرة الإمام بالقرافة الصغرى بسفح المقطم. انظر (وفيات ١/١٩٦، ١٩٧).

(٥) «**يشك يومًا ولا** ....» بطبقات السبكي.

وَلَيْسَ للسَّيْفِ حَدٌّ يَسْتَقِيمُ لَهُ[1]
وَلَوْ تَصَدَّى لَهُ أَلْقَاهُ فِي التَّلَفِ
وَالكَاتِبُ غَدَا فِي عَيْنِهِ سَقَمٌ
إِذْ رَاحَ يَنْظُرُ مِنْ طَرْفٍ إليه خَفِي
مِنْ مَعْشَرٍ فَخْرُهُمْ أَبْقَاهُ شاعِرُهُمْ
فِي قَوْلِهِ: إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبو دُلفٍ[2]
هُوَ الْحَفِيُّ بِمَا يُولِيهِ مِنْ كَرَمٍ
فَمَا جَرَى قَلَمٌ فِي مَدْحِهِ فَحَفِي
لَوْ شَاءَ مِنْ رِفْعَةٍ فِي مَجْدِهِ وعُلاً
لَمَدَّ نَحْوَ الثُّرَيَّا كَفَّ مُقْتَطِفِ
قَدْ زَانَ أَيَّامَهُ عَدْلٌ وَمَعْرِفَةٌ
فَسَعْدُهُ فِي دَوَامٍ غَيْرِ مُنْصَرِفِ
يَغْدُوا الضَّعِيفُ على البَاغِينَ مُنْتَصِرًا
وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ مِنْهُمْ بِمُنْتَصِفَ
لو يَشتكي النهرُ مِيْلَ الغُصْنِ عنه مع
(م) الصَّبا إليه رمي عِطْفَيْهِ بالقَصَفِ

---

(١) «حد يستقيم به» بطبقات البكي، و(ز). والمقصود بالسيف هنا هو الآمدى انظر: ١٧٤/١ من هذا الكتاب الحاشية/٤٩٦.

(٢) ورد هذا البيت بدرة الأسلاك. وهو يشير إلى قول على بن جبلة (ديوانه/٦٨) يمدح أبا دلف العجلى:

إنمـا الدنيـا أبـو دلـف ... بيـن مغـزاه ومحتضره
فـإذا ولى أبـو دلـف ... ولـت الدنيـا علـى أثـره

بَـلْ لـو شَكَا الثَّغْرَ خَصْمٌ منْ بنيه غَدَا
مِـنْ خَـوْفِهِ بَـيْنَ مُـرْتَجٍّ وَمُرْتَجِفِ
دَامَـتْ مَآثِـرُهُ اللاتِـي أُنظِّمُهَـا[1]
تُهْـدِى لِـسَمْعِ المَعَالِى أحْسَنَ التُّحَفِ
مَارنَّحَـتْ عَـذَبَاتِ الـبَانِ نافِحَـةٌ
مِـنَ الـصَّبَا، وشَفَتْ صَبًّا مِنَ الأَسَفِ

وكتب هو إلى قرين ما بعث به[2].

يا مولانا [تأملت][3] هذه الأبيات التي تفضَّلْتَ بإرسالها، وأَنْبَطْتَ مَعين زُلاَلها، [و] ما أقولُ فيها إلاّ أنّها ذهبٌ مسبُوك، أو وَشْيٌ محْبُوك، أو سِتْرُ ظلامٍ عن الدَّرَارِيِّ مَهْتُوك، أو دَمعٌ مَسْفوحٌ من صَبٍّ دمُه في الحُبِّ مسْفُوك، قد رَقَّ ورَاع، وأَمَالَ الأَعْطافَ، وشَنَّفَ الأَسْمَاع، وتألَّقَ في دَياجي سُطوره بَرْقُ مَعْنَاهُ اللَّمَّاع. كم قد تلعَّبْتَ فيه بضرُوب الفنون، وخُضْتَ من أنواع العلوم في شجون، أَخْمَلْتَ أَرَجَ الخمائلِ من الأَرْجَانِي، وأَهَنْتَ ما عزَّ من أبكر ابنِ هانِي[4]:

(من الكامل)

(فأخَـذْتَ أطْـرافَ الكَلامِ فَلَمْ تَدَعْ
قَـولاً يُقَـالُ ولا بَـديعًا يُنْتَقَـى)[5]

---

(١) «اللاتى نظمها» في غير (ب)، وأعيان العصر.

(٢) وردت الرسالة في (أعيان العصر ٦/١٧، ١٨).

(٣) الزيادة عن (ز). وزيادة (و) في قوله: «وما أقول فيها» لإحكام الكلام.

(٤) لعله مأخوذ من قول العماد الكاتب: (الوافي ١/١٣٢):

وما عز حتى هان شعر ابن هانئ وللسُّنَّة الغراء عز على الرفض

(٥) في (أعيان): وأخذت أطراف الكلام.. ولا بديعًا يدعى». وللحطيئة يخاطب عمر
=

فكذا فَليكُنْ كلامُ الأفاضلِ، وكذا فليكُنْ من يُناظرُ أو يُناضِل، [لَقَدْ تَفضَّل مولانا بأوْصاف هو أحقُّ بها ممَّن وَصَفه، وأوْلى][1]، بأن يجعلُ إليه مرْجعَه ومصرفَه. ومن تمام الإحسانِ العميم، والبرِّ الجسيم، قبولُ ما جَهَّزَهُ المملوكُ صُحْبَةَ مُحبِّكُم القَاضي ضياء الدين فإنَّهُ نَزْر، وما يُقَابِلُ من هذا مَدُّهُ بهذا الجزْر. واللهُ يُمتِّع الزمانَ وأهْلَه بهذه الكلمات، ويُمدُّهُ بعَوْنه في الحركات والسَّكَنات، إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

محمدُ بنُ عبدِ الرَّحمن الشيخُ شمسُ الدين بنُ الصائغ الحَنَفيُّ المصْريُّ[2].

كتب هو إلَيَّ من القاهرة المحروسةِ. فكتبت أنا الجوابَ إليه عن ذلك في وزنه ورَوِيِّه.

(من السريع)

**يَــا فَاضِــلاً في نَظْمِــه قَــدْ غَــدَا		يَأْتِــي لَــهُ المعْنَــى عَلَــى مَــا أَرادْ**

**وَيَنْــزِلُ الـــنَّظْمُ علـــى حُكْمِــــه		بكُـــلِّ لَفْـــظٍ رَائِـــقٍ مُـــسْتَجَادْ**

**أَبْـــيَاتُكَ الغُــــرُّ أَتَتْنِـــي وَلَــــمْ		أَمْــسَحْ مِــنَ الأَجْفَانِ كُحْلَ السُّهَادْ**

**فَجَـــدَّدَتْ لِـــي سَـــهَرًا ثانِـــيًا		وَزَادَتِ الجَمْـــرَ بِقَلْـــبِي اتِّقَـــادْ**

ابن الخطاب ﷺ (خزانة البغدادي ٣/٢٩٥)، وديوانه/٢١٠: برواية:

**وأخــذت أطــرار الكــلام فلم تدع		شــتمًا يــضر ولا مــديحًا يــنفع**

(١) الزيادة عن، (ب،ز، وأعيان).

(٢) المتوفى سنة ٧٧٦هـ. له ترجمة في : (الدرر ٤/١١٩)، وبغية الوعاة (١/١٥٥)، والوافي (٣/٢٤٤)، ودرة الأسلاك (٣/٢١٤)، والمنهل الصافي: (٣/١٧٧). والطبقات السنية (٣/٣٧٣) وغيرها.

وَأَذْكَـرَتْ، بَـلْ أَكَّـدَتْ رَغْـيَ مَا
فـي ذِمَّتِـي مِـنْ حُـرُمَاتِ الوِدَادْ
جَـادَتْ، فَجَـاءَتْ سَـابِقَات إلى
(م) الْفَـضْلِ، وَمَـا لِلسَّبْقِ غَيْرُ الجِيَادْ
يَـا حُـسْنَ سَـطْرِ الطِّرْسِ مِنْهَا، ومَا
كُـلُّ بـيَاض لائـقٌ بالـسَّوَادْ
أسْـتَغْفِرُ الله بلـى أعـينُ الْـ
ـعِينِ ومِـنْهَا لُطْفُـهُ مُـسْتَفَادْ
زِدْنِـيَ مِـنْ نَظْمِـكَ مَا يُطْفِيءُ النّـ
ـارَ الـتي أضْـرَمْتَها في الفُـؤَادْ
وأجْـلُ علـى طَـرْفِي الـرِّيَاضَ التي
تُمطِـرُهَا الأقـلام صَـوْبَ العِهَـادْ
وَتُـصْبِحُ الأسْـجَاعُ في ضِـمْنِهَا
تُـرْبي عَلَـى زَهْـرِ الـرُّبَا والـوِهَادْ
وَقُـلْ لِمَـنْ خَلَّفْـتُ مِـنْ سَـادَتِي
في مِـصْرَ يَـا كُـلَّ المُنَـى وَالْمُرَادْ
ضَـاعَ وُصُـولُ الوَصْـلِ مِنْ عَبْدِكُمْ
عَـسَاكُمُ أنْ تَكْتُـبُوهُ مُعَـادْ

وكتب هو إلى أيضًا. فكتبت أنا جوابه في الوزن والرويّ:

(من الطويل)

كِـتَابُكَ أمْ وَشْـيٌ بِـرَاحَةِ رَاقِـمِ
وَلَفْظُـكَ أمْ دُرٌّ بأسْـلاَكِ نَـاظِمِ

أتَــانى فَأَغْنَـــى عَــنْ رِيَاضٍ تَرَاقَصَتْ
غُــصُونُ الـــرُّبَا فــيها بِسَجْعِ الحَمَائِمِ
فَكَـــمْ أَلِـــفٍ مِـــنْ تَحْتِ هَمْزٍ كَأَنَّهَا
حَمَــامٌ عَلَـــى غُــصْنٍ مِنَ البَانِ نَاعِمِ
وَنُـــونٍ لهـــا في الحُسْنِ تَقْوِيسُ حَاجِبٍ
وَمِـــيمٍ إِذَا حَقَّقْـــتَها ثَغْـــرَ بَاسِـــمِ
فَأَذْكَرَنِـــى عَهْــدًا بِمِــصْرٍ سَقَى الحَيَا
مَعَـــالِمَ مِــصْرٍ فَهْـــىَ أَبْهَـــى المَعَالِمِ
وَحَيَّـــى زَمَانًـــا في حِمَاهَـــا قَطَعْـــتُهُ
كَـــأَنَّ لَيَالِـــيهِ لَـــيَالِى المَوَاسِـــمِ
فَـــشَوْقِى لمِــصْرٍ شَاغِلٌ عَنْ تَذَكُّرِى
بِــلادًا بهــا عَــقَّ الــشَّبَابُ تَمَائِمِى
فَفِـــى رَبْعِهـــا المَحْـــرُوسِ كُلُّ مُهَذَّبٍ
تَكَـــوَّنَ مِـــنْ لُطْـــفِ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ
سَـــمَا قَـــدْرُهُ إِذْ حَـــازَ كُـــلَّ نَفِيسَةٍ
فَقُـــلْ مَـــا تَشَا في وَصْفِ عَالٍ وَعَالِمِ
يُعَاطِـــيكَ كَاسَـــاتِ الخَلاَعَـــةِ والصِّبَا
فَتَـــسْكَرُ مِـــنْ آدَابِـــهِ وَالمَكَـــارِمِ
وَيُـــسْلِيكَ بالإِحْـــسَانِ عَمَّـــنْ أَلِفْـــتَهُ
فَتُـــصْبِحُ نَـــدْمانًا وَلَـــسْتَ بِـــنَادِمِ
حَلَلْـــتُ علـــى كُرْهٍ مِنَ النَّفْسِ بَيْنَهُمْ
فَأَلْفَيْـــتُهم كَنْـــزَ الغِنَـــى وَالغَـــنَائِمَ

وَكَـادَ سُـرُورى لاَ يَفِـي بِـنَدَامتِي
عَلَـى تَـرْكِهِم فِـي عُمْرِى المُتَقَادِمِ)
وَفَارَقْـتهُمْ قَـسْرًا بِطَـرْفٍ وَخَاطِـرٍ
أَنَـا مِـنْهُمَا مَـا بَـيْنَ هَامٍ[1] وَهَائِمِ
عَـسَى مَن قَضَى بِالبُعْدِ عَنْهُمْ يُعِيدُ لِي
زَمَانًـا بِهِـمْ قَـدْ كَـانَ أَحْلاَمَ نَائِمِ

يُقبِّلُ الأرضَ، ويُنْهِي أنّه لو وَصفَ تلهُّفَه وحنينَه، وتأسُّفَه وأنينَه، لأسْمَعَتْ كلماتُه مَنْ به صَمَم[2]، وقيل هذا هو الوجْدُ لا ما عُدَّ من المُتَيَّمين في الأُمم. ولكنَّه يكتفي بما يَجدُه مولانا من خاطره، ويستَغْني لغائبه بشهادة حاضِره، ويتعلَّلُ بما يُودعُه الأنفاسَ السَّحريّة من التَّحايا، ويُضَمِّنه إشاراتِ البروق اللاّمعة في العَشايا.

(من الوافر)

(فَفَـتِّشْ كُـلَّ سُـحْبٍ عَنْ سَلاَمِي
فَفِـي تِلْـكَ الـزَّوَايَا لِـي خَبَايَا)[3]

والله إنَّ الأيامَ التي سَلَفَتْ بمولانا هي الحياةُ الشَّهيَّة، والأُمْنيةُ التي تَترجَّى النَّفْسُ بُلوغَها قبل المنيَّه، فشكرَ الله أوقاتَها ورَعَاهَا، وحَمَدَ ساعاتِها وسقاها.

---

(١) بالأصل: «ما بين همام وهائم» واخترت ما في (ز) والنسخ الأخرى.

(٢) مأخوذ من قول المتنبي: (ديوانه ٣/٣٦٧):

أنـا الـذي نظـر الأعمى إلى أدبي		وأسمعـت كلماتـي مـن بـه صـمم

(٣) يقول الأرجاني: (حسن التوسل/١٥):

تأمـل مـنه تحـت الـصدغ خالا		لـتعلم كمـا خـبايا في الـزوايا

(من المنسرح)

آهًـــا(١) لأُوَيْقَـــاتٍ تَقَـــضَّتْ آهَـــا

لَــوْ سَـــاعَدَنِي الـــزَّمَانُ فِـــي بُقْيَاهَا

يــا عَلْـــوَةُ، أَيَّـــامُ زَمَانِـــي بِكُـــمْ

لاَ أَذْكُـــــرُ غَيْـــــرَهَا وَلاَ أَنْـــسَاهَا

وقد كان مولانا في وقت أنْعَمَ بأبيات دَاليَّة، لها على الحُسن جَرْأَةٌ وعلى الجمال دَالَّة. فأجابَ المملوكُ عنها في رويِّها ووزنها، لا في فَضْلها وحُسْنها، ولم يحصلْ له علْمٌ بوصولها، ولا ضياعِ وُصُولها. ومولانا المسئولُ في الإتحاف بكُتبه الكريمة، بل أياديه التي هي كالغوادى وإن كانتْ من النِّعم المقيمَه. وله الفضلُ في إبلاغِ المقرِّ العَالى الأميرى الناصرى – أعزَّ الله أنْصارَه، وأعلى منارَه، وأدنى مبارَه – تحيّةَ المملوك على تلك الذاتِ من كُلِّ الجهات: [من الكامل]

وحِمــــىً يُـــداس تُـــرابُه بـــنعاله

منِّــــى بأفـــواه الجفـــون يُـــباسُ

وكنت قد كتبت إلى مولانا القاضي علاء الدين بن فضل الله؛ صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية(٢) – قصيدة عقيب عَوْده من الشام المحروس في سنة ثلاثٍ وخمسين وسبعمائة، وهي:

(من مخلّع البسيط)

تَـــبًّا لَـــهُ عَـــاذِلاً تَـــبًّا لَـــهُ

مَلاَمُـــــهُ أَوْجَـــــبَ المَلاَلَـــــه(٣)

---

(١) بالأصل: (آها).

(٢) هو على بن يحيى بن فضل بن مجلّى العدوى، المتوفى ٧٦٩هـ. انظر ترجمته في (الدرر الكامنة: ٣/٢١٢-٢١٣).

(٣) ورد من هذه القصيدة في مجموعة الدر (١٠٢٦، ١٠٢٧)- أربعة وعشرون بيتًا.

يَلُومُنِي فِي هَوَى غَزَالٍ
مِنْ حُسْنِهِ تَخْجَلُ الغَزَالَه
لَوْ لامَنِي الأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ(١)
قُلْتُ لَهُ: زِدْتَ فِي النَّذَالَه
أَوْ كَانَ كِسْرَى الرَّقِيبَ فِيهِ
نَتَفْتُ مِنْ سَاعَتِي سِبَالَه
أَوْ عَابَهُ عِنْدِيَ ابْنُ سِينَا
لَكَانَ فِي غَايَةِ الجَهَالَه
والشَّمْسُ لَوْ عَايَنَتْ سَنَاهُ
أَضْحَتْ وَفِي عَيْنِها كَلاَلَه
واحْتَقَرَتْ نَفْسَهَا وَكَانَتْ
عِنْدَ سَنَا خَدِّهِ ذُبَالَه
وَلَوْ رَأَى البَدْرُ مِنْهُ وَجْهًا
لَهَالَهُ وَهْوَ وَسْطَ هَالَه
وَظَنَّ لَوْ قَصَّ مِنْهُ ظُفْرٌ
لَفَاقَ مِنْ حُسْنِهِ هِلاَلَه
والظَّبْيُ لَوْ رَامَ أَنْ يُحَاكِي
لَفْتَتَهُ قَطَعُوا قَذَالَه

---

(١) الأحنف بن قيس: هو الأحنف المضروب به المثل في الحلم والسيادة، واسمه الضحاك – وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصن السعدى، ويكنى أبا بحر. توفى سنة ٦٩هـ وخرج مصعب بن الزبير في جنازته ماشيًا بغير إزار. انظر ترجمته وأخباره في (سرح العيون/١٠٤: ١١٢).

أَمَا تَرَاهُ لَمَّا ادَّعَى ذَا
أَوْقَعَهُ اللهُ فِي الحِبَالَه؟
والرُّمحُ لَو قالَ [إنَّ][1] قَدِّي
مِنْ قَدِّه لَمْ تَكُنْ عَدَالَه
وَطَأْطَأَ[2] الرَّأسَ مِنْ حَيَاءٍ
حَتَّى عَلاَه فَخرًا وَطَالَه
وَالآسُ لَوْ قَاسَ مِنهُ صُدْغًا
أَبْصَرْتَ في لَونِه اسْتِحَالَه
وَالوَرْدُ في الرَّوْضِ لَوْ يُحَاكِي
وَجْنَتَهُ عُدَّ في الزُّبَالَه
وأَلِفُ الغُصْنِ لَوْ رَأَتْهُ
مَا جَازَهَا بَعْدَ ذَا إِمَالَه
وَمَالَ عَنْ شَطِّ كُلِّ نَهْرٍ
كَيْ لاَ يُرى وَسْطَهُ خَيَالَه
وَلَوْ رَأى لُطْفَهُ نَسِيمٌ
مَا جَاءَ للصَّبِّ في رِسَالَه
والسُّكَّرُ الحُلْوُ لَوْ يُبَارِي
رِيقَتَهُ صَارَ كالنُّخَالَه
وَالصَّبُّ لَمْ يَلْقَ عَنهُ صَبْرًا
حَلاَلُهُ فِيهِ مَا حَلاَلَه

(١) الزيادة عن (أ، ب، ز، م، ومجموعة الدر).
(٢) بالدر: «فطأطأ».

خَــفَّ عَلَــى قَلْــبِ كُــلِّ صَــبْ
إِذْ رِدْفُــــــهُ زَادَ فِي الـــــثِّقَالَه
دَلاَلُـــــــــهُ زِدْتَ فـــــيه ذُلاً
وهُــــوَ علــــى قِــــتْلَتِي دَلاَلَــــهْ
أطلــــقَ دَمْعِـــى، وغَـــلَّ قلـــبي
فَـــرُحْتُ مَـــا أحْمِـــلُ الغُلاَلَـــهْ
أَمَـــا تَرَانِـــى مِمَّـــا اعْتَرَانِـــى
أَصْـــبَحْتُ فِي الحُـــبِّ كالخُلاَلَـــه[1]
تَغَـــزُّ [لِي][2] فـــيه وَامْتِدَاحِـــي
فِـــيمَنْ تُعِـــيذُ الـــوَرَى خِلاَلَـــه
كاتِـــبُ سِـــرِّ المُلُـــوكِ، سَـــرَّ (م)
القُلُـــوبَ لَمَّـــا رَأَتْ فِعَالِـــه
عَلِـــيُّ بْـــنُ يَحْيَـــى رَبُّ الأيَـــادِى
كَـــمْ رَدَّ كَـــيْدَ العِـــدَا وَغَالَـــه
دِيـــوَانُ الانْـــشَاءِ فِـــي سُـــعُودِ
وَكُـــلُّ ضَـــيْمٍ بِـــهِ أَزَالَـــه
بِـــالعِلْمِ وَالحِلْـــمِ وَالتَّأَنِّـــى
وَالجُـــودِ والـــبَأْسِ والـــشَّكَالَه

(١) آخر ما ذكر في مجموعة الدر. والخلالة: ما يبقى في أصول السعف من التمر الذي ينتثر. وما يلقى من بقية الطعام عند التخلل.
(٢) الزيادة عن: (أ، ب، ز ، م).

وَثـــبَّتَ المُلْـــكَ بالتَّأَنِّـــي
والـــرأي والفِكـــر والإِيالَـــهْ

لَـــوْ أَمَّ مـــصْرًا لَهَـــا عَـــدُوٌّ
خَـــبَالَه في الكَـــرَى خَـــيَالَه

كُـــلُّ عَـــدُوٍّ لَـــهُ أَرَاهُ
يَجُـــرُّ مِـــنْ ذَيْلِـــهِ جلاَلَـــه

ومَـــنْ يُوَالِـــيهِ في نَعِـــيمٍ
نَـــوى لَـــهُ أَنْ يَـــرَى نَـــوَالَه

لَـــوْ أنَّ قُـــسًّا جَـــثَا لَدَيْـــه
أَكْثَـــرَ مِـــنْ عَـــيِّهِ سُـــعَالَه

إِنْ كَـــانَ رأيٌ رأى صَـــوابًا
أَوْ كَـــانَ قَـــولٌ رأى الجَـــزَالَه

وخَطُّـــهُ بالـــرُّقُوم أَزْرَى
لأَنَّهـــا مَـــا رَأَتْ مِـــثَالَه

فَـــلاَ تَقِـــسْهُ بزَهْـــرِ رَوْضٍ
فالـــدُّرُّ عِـــنْدِي عَلَـــى عُلاَلَـــه

تَـــرَى جَـــبِينَ الـــسَّحَابِ يَـــنْدَى
أَنْ جُـــودُه وَاصَـــلَ انْهِمَالَـــه

والـــنَّجْمُ لَـــوْ أَنَّـــهُ يُـــسَامِي
عُـــلاَهُ كانَـــتْ لَـــه سَـــفَالَه

وَجْـهٌ كـأنَّ الـبُدورَ صِيغَتْ
عَلَيْهِ لَمَّا رأتْ كَمَالَه
وَتُبصِرُ الشَّمسُ مِنهُ خِزْيًا
لأنَّهَا مَا حَوَتْ جَمَالَه
أتَى إلى الشَّامِ بعدَ مِصْرٍ
فكَانَ هَذا لَهُ إدَالَه[1]
وقَابَلَ النَّاسَ بانْبِساطٍ
يَبْسُطُ رَبِّي لنا ظِلالَه
ومَدَّ فِيهِمْ رُوَاقَ حِلْمٍ
رَزَانَةً وَازَنَتْ جِبَالَه
وَقَدْ تَلَقَّاهُمُ بِجِلِّقٍ
في النِّيلِ ما تَلْتَقِي زُلالَه
فَكَمْ هَمَتْ كَفُّهُ بِرِزْقٍ
حَتَّى ظَنَنْتُ الوَرَى عِيَالَه
وَهَزَّ عِطْفَيْهِ مِنْ سُرُورٍ
نَغْمَةُ عَافٍ يُبْدِي سُؤَالَه[2]
وَخَصَّنِي دُونَهُمْ بِوَعْدٍ
أنَا لَهُ وَاثِقُ الإنَالَه

---

(1) «إذاله» في: (ب، ز).

(2) الشطر الثاني على وزن (مفتعلن مستفعل فعولن).

فَــإِنْ أَتَــى بعْــدَ ذَا بَــرِيدٌ
تَــوَالَدَ الفِكْــرُ بَــلْ تَــواله
يَــا عُمَــرِيَّ الجُــدُودِ يَــا مَــنْ
جَلَّلَــــهُ رَبُّــــنَا الْجَلاَلَــــه
يَــا مَــنْ غَــدَا جَوْهَــرًا مُــصَفًّى
وَالــنَّاسُ مِــنْ بَعْــدُ في حُــثَالَه[1]
يَــا عَــدَوِيَّ الأُصُــولِ، وَغْــدِى
أَنْــتَ لَــهُ ثَابِــتُ الكَفَالَــه
فَجُــدْ بِإِنْجَــازِهِ لَعَلِــيٌّ
أَكِــيدُ صِــدِّى في كُــلِّ حَالَــه[2]
واغْــنَمْ مَدِيحِــي مَــدَى اللَّــيَالِى
إِجَارَتِــى مَــا بِهَــا بِطَالَــه[3]
إِنْ لَــمْ أُوَفِّ الثَّــنَاءَ حَقًّــا
فَاجْعَــلْ عَلَــى رَبِّــيَ الحَــوَالَه

فكتب هو إليَّ من القاهرة المحروسة في المحرم سنة أربع وخمسين وسبعمائة: (من السريع)

مَــوْلاَىَ مَــا هَــذِى الطَّــرِيقُ الَّتِى
فِــى أَدَبٍ تُــزْرِى بِزَهْــرِ الأَقَــاحْ

---

(١) «من بعد ذا خثاله» في: (ز).

(٢) الشطر الثاني على وزن (مفاعلن مستفعل فعولن).

(٣) «إجارة ما لها بطالة» في: (ز).

طَـــــرِيقَةٌ مُثْلَــــــى فَمَـــــنْ رَامَ أَنْ
يُـــسْعَدَ يَمْـــشِي فِي طَـــرِيقِ الصَّلاَحْ

يُقَبِّلُ كذا، ويُنْهِي وُقوفَه على اسمه في ذَيْلِ أُفُقِ مُطَالَعَةٍ عَلاتِيَّة، أَعْلَى الله في الخافقين من قلوب الأعداء والأولياء محلَّه، وأَسْبَغَ عليَّ من حَرِّ ما أجدُ من فَقْدِ الأخِلاَّءِ ظِلَّه، والشمسُ كما علمتَ خافيةٌ بذيْلِ الأُفق، وفهم الإشارة بالنَّظم على تلك الطريقة، وهيَ وحرمةُ الأدبِ عندى أحْلى الطُّرُق. وقد تردّد المملوكُ في مسألةٍ أُصُوليّةٍ هل الأَوْلى امْتثالُ الأمرِ أَمْ سلُوكُ الأدب، وقوِيَ عند المملوكِ الدخُولُ في هذه الطريقة لأنّها جامعةٌ لامْتثالِ الأمْرِ وسُلوكِ الأدب، وهذا الاتِّفَاقُ من أعْجَبِ العَجَب، فقال:

(من الطويل)

تَمَلَّـــكَ رِقِّـــي بــــدْرُ تِـــمٍّ، جَبِيــــنُهُ
وَحَقِّـــكَ أَبْهَـــى إِنْ رَجَعْـــتَ إِلى الحقِّ

وإِنْ فَـــاهَ تَجْنِـــي مِـــنْهُ صِدْقَ حَلاَوةٍ
وَلَـــمْ تَـــذُقِ الأُذْنَانِ أَحْلَى مِنَ الصِّدْقِ

وَلَكِـــنْ عَلِـــيٌّ إِنْ تَـــنَاوَلَ رِقَّـــهُ
وَسَـــطَّرَهُ، مَـــا غَيْـــرُهُ مَالِـــكُ الرِّقِّ

ثم إنَّه ذكَر هُنا عدَّةَ مقاطيعَ في هذا المعنى، ثم قال: يا مولانا وهذه المقاطيعُ الثلاثُ غارَ المملوكُ فيها وأشالَ المُسامَحَه؛ وهذا لامتثالِ أمْرِك، وإلا فالمملوكُ من قُبَيْلِ الفناء، فنِيَ حاصلُه من الأدب، وأتى الفَناءُ للوالدة والأُخْتِ فرماني بثلاثِ شُعَب. وجاءَني إذْ ذاك من القاضي

الكاتب جمالِ الدينِ بنِ نُباتةَ قصيدةٌ قافيةٌ[1]. بدأْتُ في إجابَته في الوزن على غير الرويّ طمعًا في الوفاءِ بحقّه، فقصَّرَ ابنُ لَبُون فكْرِى عن بازِل فكْرِه في سَبْقه، فعُذْرًا إليكما في التَّقْصير، واللَّهُمَّ غَفْرًا عن هذا النَّزْرِ اليَسير. يا سيِّدى كانَتْ ورَدتْ من مولانا قصيدةٌ لاميةٌ علائيةٌ أولها:

(مخلع البسيط)

تَـبًّا لَـهُ عَـاذلاً تـبًّا لَـهْ
مَلاَلُـه أوْجَـبَ المَلاَلَـهْ

استحلاها المملوكُ ونظم:

(من مخلع البسيط)

مَـا لِعَذُولِـى عَلَـيْهِ مَالَـه
المَـالُ مَالِـى يَـصُونُ مَالَـه
يَلُومُنِـى أنْ بَـذَلْتُ مـالاً
عَلـى غَـزَالٍ سَـبَى الْغَـزَالَه
بِطَلْعَـةٍ أطْلَعَـتْ سَـنَاءً
مَـا الـبَدْرُ إنْ قِـسْتَهُ قُـبَالَه
لاَ كَـيْدَ لِلـشَّمْسِ إنْ تَـبَدَّتْ
تَفْـتِلُ يَـوْمًا لَـهُ حِـبَالَه

---

(١) لعلها قصيدته التي مطلعها؛ (ديوان ابن نباتة/٣٤٠).

بطـيفك يـا بـدر والطـارق ومـسبل شـعرك والغاسـق
وقـدك يـا غـصن واللحـظ مـن رشـيق بحـيس ومـن راشـق
وطلـق جـبين قـضى حـسنه بـبين علـى سـلوتي الطالـق

وَأَبْــــذُلُ المَـــالَ لاَ أُبَالِــــي

مَــن لاَمَ فِـــيه وَلاَ أَبَـــا لَـــه

فالمَـــالُ سَـــهْلٌ لِلَــثْمِ خَــدٌّ

وَالــرُّوحُ مِنِّـــي عَلَـــى عُلاَلَـــه

إنْ لَـمْ يُـرِحْ عَاذِلِـي كَمَـا جـا

أُرِيكُـــمُ فِـــي يَـــدِي سِـــبَالَه

قَـــذَى لَــهُ فِـي العُــيون حَتَّـــى

لَـــمْ يَـــرَهُ قَطُّعُـــوا قَذَالَـــه

إنْ كَـــانَ أَعْمَــــى أَنَـــا أَصَـــمُّ

وَلَيْــــتَهُ أَخْـــرَسُ الْمَقَالَـــه

فَالجَـــوْرُ فِـــي قَـــوْلِهِ، وَعِـــنْدِي

قَـــوْلُ عَلِـــيٍّ هُـــوَ العَدَالَـــه

منها:

سَـــرَى لَـــهُ الـــسِّرُّ مِـــنْ أَبِـــيه

فَلَـــمْ يَـــرِثْ ذَاكَ عَـــنْ كَلاَلَـــه

الكَاتِـــبُ الكَـــاتِمُ الَّـــذِي إنْ

خَـــطَّ فَمَـــا تَلْتَقِـــي مِـــثَالَه

بَـــلْ يُـــودِعُ الـــسِّرَّ ضِـمْنَ كُـــتْبٍ

خَـــطٌّ بَـــرِيدٌ بِهَـــا الحَمَالَـــه

يُرْسِـــلُهُ وَهْـــوَ لَـــيْسَ يَـــدْرِي

وَيَنْقَـــضِي الأَمْـــرُ بالرِّسَـــالَه

فَهْـــيَ بِـــيَوْمِ المَجَـــالِ كَـــتْبٌ
فِـــي فَـــتْحِهَا النَّـــصْرُ لاَ مَحَالَـــه
كَـــم أَكْفَـــأَتْ مِـــنْ حُـــصُونِ عَـــاد
وَكَـــمْ كَفَـــتْ صَـــالِحًا قِـــتَالَه
وَلاِبْـــنِ خَطَّـــابِهِمْ عُلُـــوٌّ
فَـــيَا عَلِـــيٌّ أَرَى أَصَـــالَه
جَلَّلَـــكَ اللهُ ثَـــوْبَ عِـــزٍّ
وَكُـــلُّ هَـــذَا مِـــنَ الجَلاَلَـــه
أَبْقَـــاكَ رَبِّـــي لَـــهُ بَقَـــاءً
يَعُـــولُ مِـــنْ بَعْـــدِهِ عِـــيَالَه

يا سيِّدى ما ذكرتُ هذا إلا كان في نفسى من كلامِ شخْصٍ ذكرَ لى أن مولنا ترْجَمَني في تاريخه بقلة الأدب، وعجبْتُ من ذلكَ كلَّ العَجَب، كيفَ وبيننا من المُولاَة ما إذا انْفصل الماءُ من الشراب لم يَنْفَصِل، ومن الموَدَّة ما حِبَالُه مَمْدودَةٌ وناهيك بالمدِّ المتَّصل. لا قطعَ اللهُ عن العَبْد تعاهُدَ سيِّده، ولا رَدَّهُ ظامئًا رادٌّ عن موْرِده. وكأنِّى بالمخدوم — أحسنَ اللهُ إليه — إذا نظرَ إلى ما سَطَّرَه المملوكُ يتألَّمُ ولا يَتأَمَّل، وعساه أن يَجْرِيَ على عَادَته ويَتحلَّمُ ولا يتحمَّل. إن شاءَ اللهُ تعالى.

فكتبت أنا الجاب إليه عن ذلك:

(من الخفيف)

أَحْمَـــدُ اللهَ إِذْ تَـــزَايَدَ يَوْمِـــي
نِعَمًـــا لَـــمْ يَفُـــزْ بِهـــا قَـــطُّ أَمْـــسِ

كُنْتُ مِنْ قَبْلُ فِي ضَلاَلِ ظَلاَمٍ
وَأَنَا اليَوْمَ فِي هِدَايَةِ شَمْسِ

يُقَبِّلُ الأرضَ، ويُنْهي بعد ولاء يَمْشي على صراطه المُسْتقيم، وثناء يُصْبحُ كهفَ الرِّياض وَهُوَ بأَزْهاره رَقيم، ووصْف شوْق تَهابُ الضُّلوعُ ريحَهُ إذا هَبّتْ وَهْيَ عَقيم، ووِدَاد حاشَا صحة وَاديه أَن يَنْزِلَ الإخلاصُ به وَهُوَ سقيم، ونشْرِ صحائفَ من عَتْب طالَما عَضَّ ناجذَه منها على عظيم، وتجرُّعِ كَأْسٍ من الحضِّ على سُوءِ الحَظِّ، والقلبُ مَع ذلك كظيم، وذمِّ أيامِ نَوًى ما تَمرُّ على حَيٍّ تَذَكّرَ «**إلاَّ جَعَلَتْهُ كالرَّميم**»[1]، وحَمْد عهْد من خليلٍ مُصَاف نزل من رقيق قلبه في الصَّميم، وبعدُ وبعدُ، وبعدُ حتى يكلَّ عطفُ الواو من العَطف ويَمَلَّ من السَّجْع فَمُ الميم.

(من البسيط)

(فمَا تَنَاهَيْتُ فِي شَكْوَى الزَّمَانِ لَكُمْ
إلاَّ وَأَكْثَرُ مِمَّا قُلْتُ مَا أَدَعُ)[2]

ورودَ المشرَّف الكريم يَرْفُلُ في نَضَارَة فصاحَته، وتَنْدَى أَوراقُه من غَضَارةِ بَلاَغتِه، وقد جاءَ من عُجابِه بالشَّيْءِ الفرَيّ، وأتى واديه فطَمَّ

(١) اقتباس قوله تعالى: «**وفي عاد إذا أرسلنا عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم**» (٤١، ٤٢: الذاريات).

البيت لأبي فراس الحمداني وروايته مع قبله (ديوانه/ ١٨٩)

ومَا تعَرض لي يأسٌ سلوتُ به إلاّ تجدّد لي في إثره طمَعُ
ولا تناهيتُ في شكوى محبته إلا وأكثر مما قلتُ ما أدعُ

(٢) هذا، البيت في (نصرة الثائر/٦٣)، دون عزو، وبرواية: «**وما تناهيت في بثي محاسنه**».

على القَرِيّ(١). فوقف منه على أدب طالَ عهدُ الزَّمان بمثله، واسْتَظَلّ بحدائقه الغُلْب بعدما استظل من غيره بخَطْمه وأَثْله، وسرّح ناظره في جنَّات سُطوره الآسيَه، وأشرقَتْ خُدودُ وُرُوده الشَّمسيَّة، وغازَلتْه عيونُه النَّرْجسيَّة، وظلَّلَتْه غدائرُ حُروفه الحنْدسيَّه، ونشرتْ له مُلاءَةَ أماليه السُّنْدسيَّة، وغرَّق رذاذَ فكر المملوكَ في سحِّ وابله الصَّيب، وأذْكرني، وإنْ لم أنْسَ، أيَّامَ مولانا، فكنت كما قال أبو الطيب(٢):

(من الطويل)

حَـــشَايَ عَلَـــى جَمْرٍ ذَكِيٍّ مِنَ النَّوَى
وَعَيْـــنَايَ في رَوْضٍ مِـــنَ الحُسْنِ تَرْتَعُ)

فاسْتَقْبَلَ المملوكُ محرابَهُ بالسُّجود، وقابل منه قِبْلَةً حرمُهَا بوَبْل الإجادَة مَجُود، وخلَوْتُ به أُقَبِّلُه وأُقلِّبُه، وأهذُّ(٣) عَن ظهر قَلْبِ ما يَهْديه من المحاسن ويُهذِّبه.

فأمَّا ما نظمَه مولانا على طريقِ المملوك من تلك المقاطيع الرَّائقَه، وأمرَ به مَلَكُ فضله لرَعَايا الأدب منَ الأقاطيع اللائقه، فذلك خَبَرٌ عَهِدَهُ قديمًا، وفضلٌ يُعرفُ جُودُه دِيَمَةً وجُودِه مُسْتديمًا. ولكن بديعُ مولانا

---

(١) بمجمع الأمثال (١/١٥٩): «جرى الوادى فطم على القرىّ». يضرب عند تجاوز الشر حده. أي جرى الوادى، فطم – أي دفن-. والقرىّ مجرى الماء في الروضة. والمثل عجز بيت لأبي تمام (بديوانه (٣/٣٥٩) وتمامه:

وإن هُـــم لأحـــسانًا ولكـــن جـــرى الـــوادى فطـــم علـــى القـــرىّ

(٢) بديوانه (٢/٢٣٥) برواية: «على جمر ذكى من الهوى». من قصيدة يمدح فيها علي بن أحمد الخراساني مطلعها:

حـــشاشة نفـــس ودعـــت يوم ودعوا فلـــــم أدر أي الظاعـــــنين أشـــــيع

(٣) أهذ: من هذ الشيء هذا – بضم الهاء وفتحها، وتضعيف الذال – قطعه سريعًا. وهذ الكتاب: أسرع في قراءته (المعجم الوسيط: هذ).

بعيد، ونُكتُهُ ما على مزاياها مَزيد، وهو في هذا الفنِّ صاحبُ الآيات، وإذا حاوَلَ فنًّا ما يَرْضَى في مَبادئه إلاّ بالغايات، وإذ غرَّدَتْ حمائمُ نفثاته على غصون أقلامه قال النّاسُ جاءَ من الزَّمْرِ ما بطلَ النّايات، فأينَ الثُّريَّا من يدِ المُتناول[1]؟! وأين مرامى الشمس من باعِ المُتطاوِل؟!.

(من الطويل)

(فَهَـــذَا قَـــرِيضٌ لَـــيْسَ للـــدُّرِّ عِقْدُهُ
وَهَـــذَا بَدِيـــعٌ لَـــيْسَ يَعْـــرِفُهُ شِعْرُ)

وما أغارَ مولانا على شيءٍ لغيره، وإنما المملوكُ غار، ومرَّ وهو خائبٌ، ومولانا الذي عملَ في الأَدب مآدب ومار.

وأمّا ما اعتمده الفَنَاءُ في فناء مولانا المعْمُور، والتقط من ذويه الدُّرَرَ وجعَلَ أصْدافَها القُبور، فذلك أمرٌ ما خلا منه مَزَار، وكأسُ رَدًى طافَ ساقيها على كلِّ دارٍ ودَار، فلقد سلبَ ناقدُهُ بالصَّرف من المملوك جواهر،وأطفأَ ممّن يُحبُّه ويَودُّه أنجمًا زَوَاهِر، والأَجرُ في الصَّبْر على ذلك عند مُقَدِّرِه، ومُقيمِ دَليله ومُقَرِّرِه.

(من الوافر)

وَلَـــوْلاَ كَثْـــرَةُ الـــباكِينَ حَوْلِـــي
عَلَـــى إِخْـــوَانِهِمْ لَقَلْـــتُ نَفْـــسِي[2]

وكان المملوك قد نظم في ذلك عدّة مقاطيع، منها:

---

(١) ورد هذا الاستفهام في باب التكرار بخزانة الحموى (٢٠٦)، وهو ما قصده الشاعر في قوله (ثمار القلوب/٦٥٤).

وأبعَـــدُ مِـــن هذا الـــذي قد أردته   منـــاطُ الثُّريَّا مِـــن يـــدِ المُتنـــاوِل

(٢) البيت للخنساء. (ديوانها/٨٤) من قصيدته مطلعها:

يـــؤرقني التذكـــر حـــين أمـــسي   فأصـــبح قـــد بليـــت بفـــرط نكـــس

(من الكامل)

أمَّــا دِمَــشْقُ فإنَّهَــا قَــدْ أُوحِشَتْ
مِــنْ بَعْــدِ مَا شَهِد الخلائقُ أُنسَها[١]
تَاهَــتْ بِعُجْــبٍ زَائــدٍ حَتَّــى لَقَــدْ
ضَــرَبَتْ بِطَاعُــونٍ عَظِــيمٍ نَفْــسَها

وذكرت هنا عدّة مقاطيعَ، وهذا القدرُ كاف، وأنموذَجُه بالمقصودِ واف.

وأما القصيدةُ اللاّميَّة، فمحاسنُها أُلوفٌ مُؤَلَّفةٌ لاميّه، قد نصبَتْ للنُّجوم الحباله، وقطفتَ زهرَةَ القمرِ وهو في كمامَة الهاله، وأتى بها وكلُّ قافية منها للطَّرب آله، وجاءَ مولانا إلى البديع فأكْتال جَيِّدَه، ولمّا جاءَ غيرُه حَثَا له حُثَالَه، أطفأتْ لاميّةَ المملوك، ولو كانت لاميّةَ العجم[٢] التي تتوقّد، وانسحم غيثُ هذه في الرِّقّة، وتلك في حبائل الرِّكّة تَتَعَقّد. فأدامَ اللهُ أيامَ مَنْ نُظِمُ عِقْدُهما فيه، وأدرنا من المديح على الأسماع كُئوسَ قَوافيه، ومتَّعنا اللهُ بحياته التي تُعدمُ العدَم، وتمزُّ الشاعرَ لمدائحه من الفرْق إلى القَدَم.

وأمّاما بلغ مولانا من أنَّ المملوكَ تَرْجَمَ مولانا في تاريخه بقلّة الأدب، وأنّه عجبَ من ذلك كلَّ العَجَب، فهذا تاريخُ المملوك مَوْجُود، وهو بحمد الله تعالى في دائرة القاهرة مَعْدُود، ومنه نسخةٌ في الخزانة المخدوميَّة العَلائيَّة – عمَّرها الله تعالى – يُطالِعُها مولانا في ذِكْرِ

(١) البيتان مذكوران في: (درة الأسلاك، والسلوك ٢/٧٨٩)، ورحلة الشتاء/١٢٥).
(٢) لامية العجم للطغرائي. ومطلعها:

أصــالة الــرأى صــانتنى عن الخطل ... وحلــية الفــضل زانــتنى لــدى العطل
مجــدى أخيراً ومجــدى أولاً شــرع ... والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

المحمدين، ويرى ما قلتُه في حقه إن كان بالإنصاف يَدين. على أنَّ المملوكَ وضع هذا التاريخَ من ستَّ عشرةَ سنةً، ولم يكنْ إذ ذاك قد طار لمولانا هذا الذّكر، ولا اشتَغَلَ بأعماله المطوَّلة قلبٌ ولا فكْر. ومعاذَ الله تعالى أن يَجْهَلَ المملوكُ قَدْرَ مولانا العالى أو يُرْخِصَ فضلَهُ الغالى، أو يُرَى وَهْو لأماليه قالٍ؛ بل والله ما مولانا عند المملوك إلا من مَشْيخَة الآداب، وممّن إذا ابْتَدَى ابْتَدَه(١)، وإن أجابَ أجاد بالعُجاب. والمملوكُ يُقْسِمُ بالله أنه ما ذكرَ بسُوءٍ فيه أحدًا من أبْناء عصره، ولا ذمَّ شخصًا من أهل شامه ولا مصْره، خلا شَخْصًا واحدًا ما وجدتُ له حَسنةً تُذْكَر، ولا عارفةً تُشْكَر. ولو فعلتُ ذلك لَقيل لى أنتَ تُراجمُ بالتَّراجُم، وتعتَمدُ ما لا يَعْتَمدُهُ غيْرُك في المعاجم.

وقد استأنف المملوكُ كتابًا وسَمه (بألحان السواجع، بين البادى والمراجع) ذكرَ المملوكُ فيه مولانا وغيرَه من أهل العصر، وفيهم مَنْ نزلَ كُوَّةَ الكُوخ ومنهم مَنْ طلعَ أعْلَى القَصْر. وكان مولانا قد كتب إلى المملوك وهو بالرَّحْبَة قصيدتين ميميّة وداليّة ساكنة، والمملوك يسألُ إحسانَ مولانا في تجهيزهما فقد فقَدَهُما، وحلَّ الضَّيَاعُ أمْرَهُمَا وما عَقَدهما.

وأما المدُّ المتَّصلُ فأعوذ بالله من الهمز، ومولانا يعلمُ أنَّ قناةَ المملوك مَا لانَتْ لغَمْز، ولكنَّها نكتَةٌ هَزَّ لها عطفَه، وأذْكَرَت المملوكَ من مولانا ظَرْفَهُ ولُطْفَه، فلا أوْ حَشَ الله من تَنْدير مولانا وتَنْديبه بالباء، وتكريمه المملوك وتعزيزه بالزّاى، ولا أقولُ تعريره(٢) بالرّاى. وقد تألَّمَ المملوكُ لمّا تأمَّل، وتحلَّمَ أديمُه من الحَلْم، بفتح الحاء – وما تَحَمّل تَذكُرًا لأوقات تَقَضَّتْ، ونقدتْنا المرَّةَ ونضَّت، وأرْضتنا أيامُ الاجتماع وإن كانتْ بالفراق لقلوبنا رَضَّتْ:

---

(١) ابتده الخطبة: ارتجلها.

(٢) من عرّ فلانًا عرًّا – بتضعيف الراء – لقبه بما يشينه، وساءه، ورماه بما يكره (الوسيط: عر).

(من الوافر)

(فَلَــيْتَ هَــوَى الأحِــبَّةِ كَــانَ عدْلاً
فَحَمَّــلَ كُــلَّ قَلْــبٍ مَــا أطَاقَا)[1]

فكتب هو الجواب عن ذلك:

(من الخفيف)

يَــا خَليلــي وَيَــا مُجَــدِّدَ أُنْــسِي
أَنْــتَ في مِــصْرَ كُــنْتَ مُنْــيَةَ نَفْسِي
وَتَــــرَحَّلْتَ لِلــــشَّآمِ فَحَظِّــــيِّ
مِــنْكَ وَصْــلٌ وأَيُّ وَصْلٍ بِطِرْسِي؟!
حَــبَّذَا نَــسْمَةٌ شَــامِيَّةٌ كَــا
نَــتْ تُعِــيدُ الْحَــيَاةَ فِي مَيْتِ رَمْسِي
إنْ تَكُــنْ أهْــدَتِ الــسَّلاَمَ لِيَ الْيَوْ
مَ فَكَــمْ أطْلَعَــتْ هِدَايَــةَ شَــمْسِ
وَأرَتْنِــي فِــي يَــوْمِهَا حِــينَ وَافَتْ
رَوْضَــةً قَــدْ جَنَيْــتُها مُــنْذُ أمْــسِ
بِمَقَاطِــيعَ أطْــرَبَتْ كَالْمَواصِــيـ
ـــلِ وَفَاقَــتْ فُــصُولَ قَيْسٍ وَقُسِّ
مَــنْ يَقِــسْ نظْمَهَــا بِنَظْم الفقيسى
فَحَقِــيقٌ فِي مِــصْرَ يُدْعَــى بِفَقْــسِ

---

(١) البيت للمتنبي بديوانه (٢/٢٩٥) من قصيدة مطلعها:

أيــدرى الــربع أي دم أراقــا | وأى قلــوب هــذا الــركب شــاقا؟!

فَالـبَدِيعُ البَعِـيدُ فِـيهَا كَمَـا قَـا
ل (وهَـيْهَاتَ أنْ تُـنَالَ بَلَمْـسِ)
إنَّمَـا هَـذِهِ تَـدُورُ عَلَـى السَّمْـ
ـعِ فَتَكْسُو الأَعْطَافَ نَشْوَةَ كَأْسِ
يَـا خَلِـيلاً مَـا اعْتَـضَتُ عَنْه سِواهُ
إنْ كَـنَسَ الـوِدَادِ شِـيَمَةُ نُكْـسِ
كَـيْفَ أَنْـسَى عَهْـدًا تَوَلَّـى بِأُنْسِ
أَنَـا جِنِّـى إذًا ولَـسْتُ بِإنْـسِي؟!
حِـينَ حَلَّـيْتَ مِـسْمَعِي بِعُقُـودِ
مِـنْ نِظَـامِ فَـرِيدِ نَـوْعٍ وَجِـنْسِ
لَـوْ بِـسَعْيِي يَعُـودُ لِـى كُنْتُ أَبْقَى
كَـبِيرًا عِـي أَسْـعَى لَـهُ فَوْقَ رَأْسِي

يُقَبِّلُ كذا، ويُنْهي بعد ولاء يسيرُ تحت لِوائه المُحَرَّر، وثناء إذا سطَّرَتْهُ أقلامُ المحابرِ فما الوشْيُ المحبَّر؟، ووصفَ شوقٍ إذا تفطّنَتْ له القلوبُ القاسيةُ فإنَّهَا تتفطر، ووداد حاشا لعَينه الصَّافية من وارد تَتَكَدَّر، ونشرِ صحائفَ مُشْتَمَلَة على أعمالٍ صالحة فهي لا تخشى أن تُنْشَر، وتجرُّعِ كأسٍ تَداولنا شُربَهُ، واللهُ أعلمُ أيَّنا كَانَ أصبَر، وذَمِّ أيام هَجْر، وأيَّامُ الهجرِ حقيقةٌ بأن تُشْكَى ولا تُشْكَر، وحَمْدِ عهد من خليل أَحْمَدُهُ ولو أصْغَرَ المملوكَ أوْ أكْبر، وبَعدُ، وبَعدُ،وبعدُ حتى يُعيدَ الزَّمانُ العطفَ كواوِه، والزَّينَ كالرّاءِ المكرّر.

(من الطويل)

(وَلَـيْسَ بِتَـزْوِيقِ اللّـسَانِ وَصَوْغِه
وَلَكِـنَّهُ قَـدْ خَـالَطَ اللَّحْمَ والدَّمَا)[1]

وُرُودَ المشَرَّف الكريم مُتضَوِّعًا بمسْك ختَامه، مُتَوَشِّعًا بدُرِّ كلامه، وقد نَفَثَ مصْدورُه بالسّحر المُفْتَرى، وأتى الوادى فطمَّ على القرَىَ، فرَتَعْتُ منه في أزهارٍ مُتلوِّنه، وارْتَعْتُ من رَشَقَات مالكه المدَوَّنه، وشاهَدْتُ من ألفاظه التي يلَذُّ بها سَمْعِي، وغازلتُ مَن ألفاظه الغزَلَ الذي يضيقُ به ذَرْعي:

(من البسيط)

(وَمَـا تَنَاهَـيْتُ في بَثِّـى مَقَاصِـدَهُ
إلاَّ وَأَكْثَـرُ ممَّـا قُلْـتُ مَـا أدَعُ)[2]

وتلقَّيتُه بعُقودِ القُبَلِ، حتى لقيتُ منه ما يرْنو على الأَمَلِ. وتحلَّيْتُ منه بحُمْرَةِ الوَجَلِ وصُفْرة الخَجَل، وقابلتُ ثُغورَه الضَّاحكَةَ بالابْتسام، وغازلتُ فُتورَ ألحاظِه الفاتكةِ بالاحْتِشَام، وتعلَّقَتْ حبالُ آمالي بسلاسلِ

---

(١) البيت للأحوص الأنصارى بديوانه (٢٢٥). من قصيدة مطلعها:

**أكلـثم فكـى عانيا بك مغرما		وشـدى قـوى حبل لنا قد تصرّما**

وهو منسوب لعمر بن أبي ربيعة في: (محاضرات الأدباء ٤٤/٣)، و(الأغانى١/ ٢٨٩) وهو بديوانه/٢٠٤ طـ الهيئة العامة . ضمن أربعة أبيات أولها:

**كفـى حـزنًا أن تجمـع الـدار شملـنا		وأمـسـى قـريبًا لا أزورك كلـما**

وقيل، (الأغاني): إنه لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان.

(٢) غير معزو، بنصرة الثائر/٦٣. برواية: «في بثي محاسنه» وهو لأبي فراس الحمدانى بديوانه/ ١٨٩ برواية:

**ولا تناهـيتُ في شـكوى محبـته		إلا وأكثـر ممـا قلـتُ مـا أدعُ**

سُطوره الخنْدسيَّة، واسْتحضرتُ عند وُرُوده صُدورَد عن تلك الحضْرَة القُدْسيَّة. فعزمت على ترك الإجابة لعدم الإجادة في سُلوك الطريق العميديَّة، ومتى تبلغ الألفاظُ المذمومَةُ ما بلَغتْهُ الألفاظُ الحَميديَّه؟ وأين يصلُ صاحبُ الزَّمْر كما قيل إلى الدَّقات الخليليّة؟!

ولكنني خشيتُ في ترك الإجابة من توهُّم نقْصٍ ما نَبْنيه من الوداد، ومن انْقطاع البرق الشَّامي الذي هو لبَيْت شرف العُمدةَ والعماد. والله تعالى يُعيدُنا إلى ما كُنا عليه، ويَجمعُ شمْلَ المملوك بما لكه ليُبثَّ شكواه بين يَدَيْه، بمنّه وكرمه. إن شاءَ الله تعالى.

فكتبت أنا الجواب عن ذلك.

محمدُ بنُ عبد القاهرِ بن أبي بكرٍ بنِ عبد الله القاضي الفاضلُ الرئيسُ الكاتبُ ناصرُ الدين بنُ القاضي تقيّ الدين، الأنصاريُّ السُليميُّ **المعروفُ بابْن النَّشَّاىْ**، أحدُ مُوقِّعي الدَّسْتِ الشريف بالقاهرة المحروسة[1].

كتب هو إليّ أوّل ما رآني بديوان الإنشاء الشريف بالقاهرة في سنة خمس وأربعين وسبعمائة: (من السريع)

بُشْراكِ يا مصرُ بمولى ذَكا ... فقد تشرّفتِ به من نزيلْ[2]

وصِرْتِ قُدْسًا بخليلٍ أتى ... فحبّذا القُدْسُ إذًا والخليلْ

فكتبت أنا جوابه ارتجالاً[3].

---

(١) المتوفى سنة ٧٧٠هـ له ترجمة في (الدرر ٤/١٤٠)، والوافي (٤/٢٧١)، ودرة الأسلاك: (٣/١٣٤)، والمنهل الصافي (٣/١٨٣).

(٢) البيتان واردان في (الوافي: ٣/٢٧٢).

(٣) بالوافي: فكتبت جوابه ارتجالا. وأنا بينهم. ثم ذكر البيتين.

(من السريع)

مَــوْلاَىَ قَــدْ شــرَّفْتَ قَــدْرِى بِمَا
نَظَمْــتَهُ مِــنْ حُــسْنِ لَفْــظٍ جَمِــيلْ
وَنُقْطَــةُ الخَــاءِ غَــدَتْ تَحْــتَهَا
فَهَــا أَنَــا، بَعْــدُ، خَلــيلٌ جلــيلْ

وكتبت أنا إليه مُلْغزًا في عيد[1]: (من مجزوء الرجز)

يَــــا كَاتِــــبًا بِفَــــضْله
كُــــلُّ أَدِيــــب يَــــشْهَدُ
مَــــا اسْــــمُ علِــــيلٌ قَلْــــبُهُ
وَفَــــضْلُهُ لاَ يُجْحَــــدُ
لَــــيْسَ بِــــذِي جِــــسْمٍ يُــــرَى
وَفِــــيهِ عَــــيْنٌ وَيَــــدُ

فكتب هو الجواب[2]:

(من مجزوءِ الرجز)

يَــــا عَالِمًــــا لِــــنَحْوِهِ
حُــــسْنُ الْمَعَانِــــى يُــــسْنَدُ
وَمَــــنْ لَــــهُ فَــــضَائِلٌ
بَــــيْنَ الــــوَرَى لاَ تُجْحَــــدُ
أَهْــــدَيْتَ لُغْــــزًا لَفْظُــــهُ
كالــــدُّرِّ إِذْ يُنَــــضَّدُ

(١) وردت أبيات اللغز بالواف (٢٧٢/٣).
(٢) وردت أبيات الجواب بالواف (٢٧٢/٣).

عَجَّــــلَ بُــــشْرَى مَوْسِــــمِ
وَكَـــانَ عِـــيدًا يُـــوجَدُ
فابْـــــــقَ إلى أمْـــــــثَاله
عَلَـــيْكَ ألفَـــا يَـــرِدُ

وكتبت أنا إليه مُلْغِزًا في سالف[1].

(من مجزوء الرجز)

مَـــا اسْـــمٌ رُباعِـــيٌّ غَـــدَا
مِـــنْ حُـــبِّهِ الـــصَّبُّ دَنِـــفْ
تَحْـــــذِفُ مِـــــنْهُ أوَّلاً
فَمَـــا تَـــرى غَيْـــرَ أَلِـــفْ

فكتب هو الجوابَ عن ذلك[2]:

(من مجزوء الرجز)

اسْـــمُ الَّـــذِى ألغَـــزْتَهُ
عَـــنْ حُـــبِّهِ لاَ أنْـــصَرِفْ
سَـــالِفُ صَـــبْرِى خَائِنـــى
فِـــى سَـــالِف الخَـــدِّ التَّـــرِفْ

وكنت قد كتبتُ إلى المولى القاضى جمالِ الدين إبراهيمَ بن شيخنا العلاَّمة شهابِ الدين محمود لُغْزًا في المثقاب. وقد تقدم ذكره[3]. فكتب

(١) بالوافي (٢٧٣/٣): وكتب هو إلى ملغزًا في سالف. ثم ذكر البيتين.

(٢) بالوافي: فكتب أنا الجواب إليه. ثم أورد البيتين.

(٣) بالجزء الأول ص/٤٢. وهو:

مـــا غـــائص في يـــابس كلمـــا		جلدتــــه ســـوطًا أجـــاد العمـــل

=

إلىّ المولى القاضي ناصر الدين بن النشّاى جوابًا عن ذلك:

(من السريع)

بُلّغتَ يَا مَولاَىَ أقْصَى الأمَلْ
وَعِشْتَ في السّعْدِ طَويلَ الأجَلْ

فَأنْتَ ذُو العِلْمِ الّذى إنْ بَدَا
شُكْرُ إمَامٍ فَعَلَيْهِ اشْتَملْ

وَإن سَرَى الذّهْنُ إلى فَاضِلٍ
فَلَمْ يَكُنْ إلاّ إلَيْهِ وَصَلْ

وَمِنْ أمَالِيهِ تَعُمُّ الوَرَى
وَكُلُّ ذى عِلْمٍ فَعَنْهَا نَقَلْ

وَفَضْلُه ذُوَ مَثَلٍ سَائِرٍ
كَمَا بِشُكْرٍ مِنهُ سَارَ المَثَلْ

لُغْزُكَ وَافَى العَبْدَ يَا سَيِّدًا
فَاقَ أخِيرًا مَنْ مَضَى في الأوَلْ

سَألْتُهُ يُرْخِصُ لِى حَلّهُ
فَقَالَ لِى السّمْعُ لِمَنْ قَدْ سَألْ

وَجَاءَ سَهْلاً مُسْرِعًا لاَ كَمَا
يَأتِى إلى الفِكْرِ، وَفِيه مَهَلْ

وَذاكَ فِي المِثْقَابِ شَاهَدْتُه
ذَا مُقْلَةٍ لاَ مِنْ حِسَابِ المُقَلْ

ذو مقلة غاص بها رأسه والرأس في العادة ساوى المقل

إنْ تَحْـذِفِ الخُمْسَيْنِ مِـنْ أوَّلِ
تَجِـدْهُ فِي الْقُـرْآنِ أَعْلَـى مَحَـلْ
خُـصَّ بِـهِ المُخْـتَارُ لَمَّـا سَرَى
لَـيْلاً إلى ربٍّ تَعَالَـى وَجَـلْ
وإنْ تَلَـوْتَ الآتِـيَ مِـنْ بَعْـدِه
فالقَـوْسُ فِـي لُغْـزِكَ أَصْـلُ العَمَلْ
وَصَـحِّفِ الثَّانِـيَ وَامْـحُ الَّـذِي
قُـدِّمَ، يَغْـدُو شَـرْحُهُ قَـدْ حَصَلْ
فَاقْـبَلْ جَـوَابَ قَاصِـرٍ لَـمْ يـزَلْ
يَرْشُـفُ مِـنْ شِـعْرِكَ صَـافِي النَّهَلْ
أنْـتَ خَلِـيلُ الفَـضْلِ فاسْـتُرْ فَتًى
أَصْـبَحَ فِي الـنَّظْمِ كَـثِيرَ الخَلَـلْ
لاَ زِلْـتَ مَوْلَـى إنْ غَـدَا مُنْـشِيًا
نَظْـمٍ دُرًّا مُـسْرِعًا وَارْتَجَـلْ

وكتب هو إليَّ ملغزًا في قلم:

(من الرجز)

يَـا سَـيِّدًا قَـدْ ظَـلَّ يَحْـوِي قَلَمًا
يُجْـرِيهِ فِي الفَـضْلِ وَلاَ يُـوقِفُه
مَـا اسْـمُ ثُلاَثِـيٍّ غَـدَا مَعْكُوسُـه
وَصْـفًا ذَمِـيمًا ذُمَّ مَـنْ يَأْلَفُـه
شَـدِّدْ بِـهِ الثَّانِـيَ وَاحْـذِفْ آخِرًا
تَجِـدْهُ قَـوْلاً قَـلَّ مَـنْ يَعْـرِفُه

أَوْ أَوْلاً لَمْ تَــــرَهُ إِذًا سِــــوَى

حَــرْف، وَقَــدْ تَعَــدَّدتْ أَحْــرُفه

فكتبت أنا الجواب إليه ارتجالاً. (من الرجز)

حَاشَــاكَ مِــنْ قَلْــبَ الَّــذى الْغَزْتَهُ

إِذْ أَنْــــتَ فِي عُـــلاَكَ لاَ تَعْـــرِفه

سُــبْحَانَ مَـــنْ سَــخَّرَهُ للـــسِّحْرِ فِي

طِرْسِــكَ إِذ تَــبْدُو بِــهِ أَحْــرُفه

تَــرَاهُ جَمْعًــا عِــنْدَ قَلْــبِ بَعْــضه

مُفْــــرَدُهُ أَحْـــسَنُهُ أَوْطَفُـــــه

فاسْــلَمْ وَدُمْ فِي ظِــلِّ سَــعْد مَا أَتَى

لُغْـــــزٌ إِلَى ذى أَدَبٍ يَكْــــشِفُه

وَكَتَبَ هُوَ إِلَى مُلْغزًا فِي أَوْس[1]: (من الرجز)

يَــا عَــامِلاً مِــنْ مَنْهَلِ الفَضْلِ ارْتَوَى

وَفاضِــلاً لأَكْمَــلِ الْعِلْــمِ حَــوَى

مَــا اسْــمٌ إِذَا شِــئْتَ غَــدَا قَبِــيلَةً

وَإِنْ تُـــــصَغِّرْهُ صَــــحَابِيٌّ رَوَى

وَذَاكَ إِمَّـــا غَـــامِضٌ أَوْ بَــيِّنٌ

تَــصْحِيفُه لَــنَا وَعَكْــسُه سِــوَى

فكتبت أنا إليه الجواب عن ذلك:

(١) كثير من الصحابة قد سمى بهذا الاسم، منهم: أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصارى شهد العقبة وبدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا. وقيل: شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفي في خلافة عثمان بن عفان بالمدينة -- والأول أرجح. انظر: (الاستيعاب ١/١١٧، وأسد الغابة ١/١٧١).
هذا وقد جاء بهامش (ز): «أوس ﷺ كان من التابعين رضي الله عنهم أجمعين».

(من الرجز)

يَـا فَاضِـلاً رقَّ المعَـانِي قَـدْ حَوَى
وَذِهْنُـهُ الـوَقَّادُ للأعْـدَا كَـوَى
أُوتِيتَ فِي لُغْـزِكَ هَـذَا رُتْـبَةً
مَـا رَامَهَـا سَـامِي الذُّرَى إلاَّ هَوَى
لَـوْ كَـانَ فِـيه أوَّلٌ كآخِـرٍ
لَكَـانَ فِي أصْـلٍ وفِي قَلْـبٍ سِـوَى

وكتبت أنا إليه مُلغزًا في نمر:	(من مجزوء الرمل)

هَـاتِ قُـلْ لِـي مَـا اسْـمُ شَيْءٍ
حَـيَوانٌ فِـيه شَـرٌّ
إن تُـصَحِّفْهُ فَحُلْـوٌ
لَكِـنِ الثُّلْـثَانِ مُـرٌّ

فكتب هو الجوابَ إليَّ.

وكتب إلي أيضًا – وقد كتبتُ إلى المخدوم القاضي علاء الدين على ابنِ فضل الله كاتبِ السرِّ الشريف – قصيدةً على هذا الوزنَ والرويِّ:
(من البسيط)

زَارَتْ كَمَـا شِئْتُ، وَاللَّيْلُ ارتَدَى حِبَرَه
فَخلتُ أنَّ الدُّجَى أهْدَى لَنَا قَمَرَه[١]
وَكَـانَ ظَنِّـي بِـأنَّ اللَّـيْلَ يَسْتُرُهَا
فَـلاَحَ بِالْـوَجْهِ مَـا أبْـدَى به سَتَره

(١) ورد – من هذه القصيدة – بالدرر الكامنة (١٤٠/٤٠) أربعة أبيات متناثرة مع تقديم وتأخير، وهي: (١، ١٢، ١٣، ١٦)، كما ذكر منها في (المنهل ١٨٣/٣) خمسة أبيات، هي: (١، ٢، ٣، ١٢، ١٣)، مع تقديم وتأخير في الأخيرين. وكذلك ذكر منها في (درة الأسلاك ١٣٦/٣)، ستة أبيات هي: (١، ٢، ٣، ١٢، ١٣، ١٦).

ثلاثــةٌ هَــدَتِ الوَاشِــي لِمَنْظَــرِهَا
حُــسْنٌ، وَحَلْيٌ وَشَي، وَالنَّكْهَةُ العَطِرَه
الله أَكْبَــرُ هَــلْ بَــدْرٌ أَضَــاءَ لَــنَا
أَمْ شَــمْسُ أُفْقٍ أَمِ الآتِي مِنَ السَّحَرَه؟!
رَشِــيقَةُ القَــدِّ إِنْ قُلْــنَا قَضِيبُ نَقًى
فَلَــيْسَ لِلْقُــضْبِ حَلْيٌ أَوْ حُلَى فَخِرَه
وَرُبَّ مَــنْ سَــامَنِي التَّــشْبِيهَ قُلْتُ لَه
إِنْ كَــانَ لاَ بُدَّفَهْــيَ الــبَانَةُ النَّضِره
وَإِنْ أَقُــلْ كَــرِمَاحِ الخَطِّ إِنْ خَطَرَتْ
فَلَــسْتُ بِالــرُّمْحِ أَلْقَــى حَالَةً خَطِرَه
أَوْ قُلْــتُ ظَبْــيٌ فَمَــا لِلظَّبْيِ طَلْعَتُهَا
وَلا ظُبْــيٌ نَاظِــرٍ بِالْفَــتْكِ مُــشْتَهِرَه
أَرْسَــلْتُ جَــيْشَ لِحَاظِي نَحْوَ أَعْيُنِهَا
لَمَّــا رَأَيْــتُ بِهَــا الأَجْفَانَ مُنْكَسِرَه
فَمَــا شَــعَرْتُ بِهَــا إِذْ جِئْتُ أَخْلِسُهَا
إِلاَّ غَــدَتْ بِكَمِــينِ اللَّحْــظِ مُنْتَصِرَه
وَآسَــرَتْنِي إِذًا عَــنْ قُــدْرَةٍ وَهَــوًى
وَلَــسْتُ أَوَّلَ مَــنْ جَيْشُ الهَوَى أَسَرَه
وَكَــمْ أُحَــذِّرُ قَلْبِــي نَــبْلَ(١) أَعْيُنِهَا
وَلَــيْسَ يَأْخُــذُ مِــنَ أَلْحَاظِهَا حَذَرَه

(١) بالدرر: «نيل أعينها» .

تَـبَارَكَ اللهُ سَـوَّاهَا لَـنَا بَـشَرًا
نَكَـادُ نَـشرَبُها مِـن رِقَّةِ البَشَرَه[1]

سَـمْرَاءُ تُخْجِـلُ بالأَغْطَافِ سُمْرَقَنَا
مُـسَامِرُ الحَـيِّ أَمْـسَى وَصْفُهُ سَمَرَه

هَـيْفَاءُ بالْحُـسْنِ تُغْنِـي عَنْ تَحَسُّنِهَا
وَلَـمْ تَكُـنْ لافْتِـنَانِ الْحَلْيِ مُقْتَصِرَه

يُرْخِـي الـنِّقَابَ مُحَـيَّاهَا فَيُنـتِجُ لِى
شَـوقًاوَكَمْ حَسْرَةٍ فِي القَلْبِ إنْ حَسِرَه[2]

ولِي عَـذولٌ رآهـا فاغْـتدى كَلِفًـا
مِثلـى، يقـول وقـد هَـنَّا بها بَصَرَه

الخَمْـرُ رِيقَـتهَا، والـسِّحْرُ مُقْلَـتُهَا
وَالـبَدرُ طَلْعَـتُهَا تُـبْدِى لَـنا خَفَرَه

فَقُلْـتُ: هَـذَا مَجَازٌ فَهْيَ إنْ رَجَعَتْ
إِلَى الحَقِـيقَةِ لاَ تَرْضَـى بِمَـا ذَكَرَه

فَالْـبَدْرُ لَـوْ حَازَ جُزْءًا مِنْ مَحَاسِنِهَا
مَـا كَـانَ يَظْهَرُ مِنْ عُجْبٍ لِمَنْ نَظَرَه

ورُبَّ لَـيْلٍ بِـهِ نِلْـنَا تَوَاصُـلَها
وَطَالَمَـا نِلْـتُ مِـنْ هِجْرَانِهَا سَهَرَه

---

(١) بالدرر ذكر الشطر هكذا: «يكاد مر بها من وجهه البشره» وبهامشه ذكر الصواب كما في الألحان.

(٢) ورد هذا البيت بالدرر هكذا:

ترخـي الـنقاب محـياها فـشنى لي
سـوداوكم حـسرة في فـارق حـسرة

وَكَــمْ لَهَــا بالجَفَــا ذَنْــبٌ وَأَغْفِرُهُ
وَالحُــبُّ مِنِّــي ذنــوبٌ غَيْــرُ مُغْتَفِرَه

وَقَائِــلٍ إِذْ رَأَى وَجْــدِي يَــزِيدُ بِهَا
وَلا تَــرِقُّ إِلَيَّ كَــمْ فِي الغَــرَام شَرَه

دَع ذَا وَعُــدْ إِلى أَبْــيَاتِ ذِى أَدَب
أَحْيَــى مَعَــالِمَ بَــيْتِ العِلْمِ إِذْ عَمَرَه

بِــنْتٌ لِفِكْــرِ صَلاَحِ الدِّينِ قَد نَشَأَتْ
تَقَلَّــدَتْ مِــنْ ثَــنَا مَمْــدُوحِهَا دُرَرَه

لا غَرْوَ إِنْ سَحَبَتْ فِي الفَخْرِ ذَيْلَ عُلاً
لَمَّــا غَــدَتْ بِعَلِّــي الدَّهْــرِ مُفْتَخِرَه

بِكْــرٌ زَكَــا أَصْــلُهَا السَّامِي فَطَالِبُهَا
بالاشْــتِغَال تَلَــتْ آصَــالُها بُكَــرَه

رَائِــيَّةٌ قَــدْ تَــرَوَّتْ فِي فَــضَائِلِها
رُوَاتُهــا، وَأَتَــتْ بالفَــضْلِ مُبْــتَدِرَه

أَظَــنُّ وَاصِــلَ[1]، إِجْــلاَلاً لِقَافِــيَة
بِهــا، تَجَــنَّبَ حَرْفَ الرَّاء إِذ هَجَرَه

تَقَــرَّطَتْ جَوْهَــرًا مِــن لَفْظِ نَاظِمِهَا
كَمَــا اكْتَسى طِرْسُها من حِبْرِهِ حِبَرَه

(١) هو: أبو حذيفة واصل بن عطاء، المعتزلى، المعروف بالغزال. كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا؛ ولذلك كان يخلص كلامه من الراء، ولا يفطن لذلك؛ لاقتداره على الكلام، وسهولة ألفاظه. توفى سنة ١٨١هـ انظر ترجمته: (وفيات الأعيان ٥/٦٠: ٦٤).

إمَـامُ عِلْـمٍ تَلَقَّيْـنَا فَـوَائدَه
لَمَّـا اغْـتَدَى تَالِـيًا مِنْ مَجْدِه سُوَرَه
وَغُـصْنُ أقْلاَمِـه يُزْهَـى بِـه وَرَقٌ
أَلْـشَا لَـنَا زَهْـرَه بِـالْخطِّ بل ثمره
إنْ يَـدْعُ أحْـرَارَ لَفْـظٍ قُلْنَ جَارِيَةً
لَبَّـيْكَ لَبَّـيْكَ لاثْنَتَـيْنِ بَـلْ عَشَرَه
وَحَـيْثُ يَرْسُـمُ لِلْمَعْنَـى الْبَدِيعِ بِمَا
يَخْـتَارُهُ، جَـاءَهُ طَـوْعًا كَمَـا أمَرَه
تَـنجَابُ فِكْـرَتُه لِلـنَّظْمِ مُـسْرِعَةً
وَالنَّثْـرِ، فَهْـوَ غُـلاَمٌ طَائِـعٌ فِكَرَه
يَـا رَوْضُ لَـمْ تَكُ ذَا حُسْنٍ فَتُبْهِجُنَا
لَـوْ لَـمْ يُحَاكِيكَ فِي الْمَنْثُورِ مَا نَثَره
وَيَـا صَـبَا نَجْـدِهِم لَوْ لَمْ تَرِقَّ كَمَا
رَقَّـتْ عِـبَارَتُهُ مَـا كُـنْتِ مُعتَبَـره
وَيَـا عُقُـودَ الْغَوَانِي هَلْ غَنِيت سِوَى
لَمَّـا غَـدَوْت لِـنَظْمٍ مِـنْهُ مُفْتَقِرَه؟!
شِـعْرٌ تَـسَامَى عَلَى الشُّعَراءِ مُرْتَفِعًا
بِالأُفْـقِ، قَـدْ خَيَّم الأَبْيَاتَ مَنْ شَعَرَه
وَرِدْتُ بَحْـرِ فُـنونٍ مِـنه ذا عَجَـبٍ
فَـرُحْتُ أحْمَـدَ مِـنْهُ الوِرْدَ أوْصَدَرَه

وَافَــى مِــنَ الــشَّامِ شِمْنَا مِنْ فَضَائله
بَــرْقًا فَوَاضِــلُه تَحْكــى لَــنَا مَطَرَه
أَقَمْــتُ دَهْــرًا وَوَصْفُ الخَيْرِ يَبْلُغُنى
عَــنْهُ، وَهَــا هُــوَ زَكَّــى خُبْرُه خَبَرَه
وَكَــانَ قَلْــبِى بِــنَارِ الشَّوْقِ فِي حُرَقٍ
حَتَّــى أَتَــاهُ خَلِــيلٌ مُطْفِــىءٌ شَرَرَه
نِعْــمَ الخَلِــيلُ صَــفَا فِي الــوُدِّ مَنْهَلُهُ
لاَ زَالَ يَبْقَــى بِدَهْــرٍ آمِــنًا كَــدَرَه
صَــمْتٌ، وَسَــمْتٌ، وثَبْتٌ من خَلاَئِقه
أَوْصَــافُ فَــضْلٍ لَدَيْه غَيْرُ مُنْحَصِرَه
تَبَاشَــرَتْ مِــصْرُ لَمَّــا زَارَهَــا زَمَــنًا
ومَــنْ لَــنَا، وَلَهَــا، لَوْ زَارَهَا عُمُرَه
وَإِنْ أَقَــامَ بِــأَرْضٍ أَوْ نَــأَى فَلَــهُ
مَحَامِــدٌ فِي الــوَرَى قَدْ سَيَّرَت سِيَرَه
فَــلا عَدِمْــنَا الْمُنَــى مِنْ قُرْبِ طَلْعَتِه
وَلاَ حُــرِمْنَا الجَنَــى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَه
وَدَامَ يَــسْتُر مَــا أَهْــدَى إِلَــيه فَكَمْ
عَــيْبٌ بِهَــا سَــتَرَاهُ وَهْــوَ قَدْ سَتَره
وَإِنْ تَفَــضَّلَ يَــوْمًا بِالجَــوَابِ عَسَى
يُنْــشِى ثَلاَثًــا مِــنَ الأَبْيَاتِ مُخْتَصِرَه
فَــشِعْرُهُ التِّبْــرُ مِــنْه البَــيْتُ يَصْرِفُهُ
شِــعْرِى اللُّجَيْنِ بِسَبْعٍ ضُمِّنَتْ عَشَرَه

ولمّا تفضَّل بإحضارها وقرأتُها أقْسَم عليَّ أن لا يَكونَ الجوابُ غيرَ ثلاثة أبيات[1].

فكتبتُ أنا الجواب كما أشار:

(من البسيط)

مِـنْ أطَاعَـةِ الْعَـبْدِ لِلْمَوْلَى إذَا أمَرَه
أنْ لا يُكُـونَ لَـهُ عِـنْدَ الجَوَابِ شَرَه

فَمَـا أقُـولُ بَعَـثْتَ الرَّوْضَ فِي وَرَق
إذْ كـلُّ حَـرْف مَتَـى حَقَقْتَهُ زَهَرَهْ

بَـلْ أنْتَ بَحْرٌ بِمَوْجِ الجُودِ مُضْطَرِبٌ
طَمَـا فَأهْـدَى [إلى[2]] وُرَّادِه دُرَرَه

وكتبت إليه من دمشق المحروسة: (من الخفيف)

مَـا لِفَـنِّ الإنْـشَاءِ غَيْـرُ النَّشَائي
كَاتِـبٌ فِـيه كَابِـتُ الأَعْـدَاء

رَاقِـمٌ فِـي مَـدَارِج الْفَـضْلِ راقٍ
عَـارِفٌ فَـارِعٌ ذُرى الْعَلْـيَاءِ

كَفُّـهُ تَجْعَـلُ الطُـروسَ إذَا مَـا
خَـطَّ فِـيهَا كَالرَّوْضَـةِ الغَـنَّاء

وَقَوَافِـيه مُـذْ تُـدَارُ عَلَيـنَا
مَـا عَلَيْـنَا مِـنْ أكْـؤُسِ الـصَّهْبَاءِ

---

(١) بالوافي (٣/١٧٥) قوله: «ولما أحضرها أقسم على أن لا أكتب جوابها غير ثلاثة أبيات، فكتبت حسبما قصده مني». ثم ذكر ثمة الأبيات الثلاثة التالية.

(٢) الزيادة عن النسخ المساعدة والوافي «وهي لازمة للوزن».

وَمَعَـانٍ تُعِيدُ زُهْرَ الدَّرارى
فِي عُلاَهَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءِ
لِيَ مِنهُ وَعْدٌ فَإِنْ هُوَ وَفَى
فَهُوَ ظَنِّي بِوَاحِدِ الرُّوسَاءِ
وَإِذَا لَمْ يَفِ وَحَشَاهُ لاَ أَعْرِفُ
(م) شَخْصًا يَكُونُ أَهْلَ الْوَفَاء
فَأَغِثْنِي يَا سَيِّدِي نَاصِرَ الدِّينِ
(م) وَحَقِّقْ ظَنِّي وَصَدِّقْ رَجَائِي

محمدُ بنُ عبدِ القاهرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ حسنِ بنِ عبدِ القاهرِ بنِ حسنِ بن عليِ بنِ قاسمِ بن مُظَفَّرِ بنِ عليِّ بنِ قاسمِ بنِ عبدِ اللهِ؛ هو الفاضلُ المحدثُ الأديبُ محيي الدين الشهْرَزُورِى الموْصِلى **المعروفُ بابْنِ قَاضِى المُوصل**[1].

كتب هو إلَيّ يطلب عاريةَ شيءٍ من التذكرةِ التي جمعتُها[2]:

(من السريع)

يَا مَنْ إِذَا أَهْدَيْتُ شُكْرِى لَهُ
لَمْ أَخْشَ فِي ذَلِكَ مِنْ عَاذِلِ
أَعَدْتَ لِلدُّنْيَا فُنُونَ العُلاَ
(إِعَادَةَ الْحَلْيِ إِلَى العَاطِلِ)[3]

---

(١) ترجم له ابن حجر في (الدرر ١٣٩/٤، ١٤٠)، و الصفدى في (الوافى: ٢٧٥/٣-٢٧٧)، و لم يذكر تاريخ وفاته.

(٢) ذكرت الأبيات في (الوافى: ٢٧٧/٣).

(٣) يشير إلى قول المتنبى (ديوانه ٢١/٣).

وعدت إلى حلب ظافرًا		كعوْد الحلىّ إلى العاطل

ظَهَـرْتَ فِـي الفَـضْلِ عَلَـى أَهْلِه
كمُظْهِـرِ الحَـقِّ عَلَـى البَـاطِلِ
قَـدْ جَـاءَكَ الْمَمْلُـوكُ فِي حَاجَـةٍ
لَـيْسَ لَهَـا غَيْـرُك مِـنْ كافِـلِ
رَسَـائِلُ الفَاضِـلِ مَـسْئُولَةٌ
فَجُـدْ بِهَـا فَـضْلاً علـى الـسَّائِلِ
وَمَـا تَعَـدَّى رَجُـلٌ يَبْتَغِـي
فَـضَائِلَ الفَاضِـلِ مِـنْ فَاضِـلِ[1]

فكتبت أنا الجواب مع جزءٍ بعثتُه، و لم ألتزم إلا الوزن دون القافية:

(من السريع)

مَـوْلاَىَ مُحْيِـي الـدِّينِ يَا ذَا العُلاَ
إلَـيْكَ مِمَّـا قَـدْ أَتَـى الْمَعْـذِرَه
فَقَـطِّ مافِـيهِ بِـذَيْلِ الرِّضَـا
وَالْعَفْـوِ، واسْـتُرْ ذَاكَ مَهْمَـا تَـرَه
مَـا كِـدْتُ أنْ أَبْعَـثَهُ عَالِمًـا
أنَّ الْمَـسَاوِىءَ فِـيهِ مُـسْتَكْثَرَه
وَإنَّـهُ مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ غَـافِلاً
يَقْـبُحُ أنْ تُهْـدَى لَـهُ التَّذْكَـرَه

(١) «من الفاضل» بالأصل، والواق. و لم يستو على وزن السريع.

فأعاد الجزءَ وقد كتب عليه:

(من الطويل)

وَقَفْتُ عَلَى هَذَا الكِتَابِ وَمَا حَوَى
مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ العَزِيزِ جَمِيعِهِ
وَنِلْتُ بِقَدْرِ الوُسْعِ مِنْهُ فَوَائِدًا
سَقَتْنِيَ آدَابَ النُّهَى مِن ضُرُوعِهِ
فَمَا الفَضْلُ إِلاَّ مِنْ بَيَانِ اخْتِرَاعِهِ
وَمَا الْحُسْنُ إِلاَّ مِنْ مَعَانِي بَدِيعِهِ
فَلاَ زَالَ مَوْلاَنَا المُؤَلِّفَ لِلْعُلاَ
مُشِيدًا، وَمعْرُوفُ الوَرَى مِنْ صَنِيعِهِ

وكتبت أنا إليه:

(من البسيط)

رَأَيْتُ مَوْلاَىَ مُحْيِي الدِّينِ مُنْفَرِدًا
بِسَبْعَةٍ لَمْ يَكُنْ عَنْهُنَّ مُشْتَغِلاَ
عَقْلٌ، وعِلْمٌ، وعِرْفَانٌ، وعَارِفَةٌ
وَعَزْمَةٌ، وَعَفَافٌ عَاصِمٌ، وعُلاَ

فكتب هو الجواب:

(من البسيط)

سَبْعٌ حَوَاهَا صَلاَحُ الدِّينِ سَيِّدُنَا
مَوْلًى عَلَى كُلِّ أعْلاَمِ الأَنَامِ علاَ
عَزْمٌ وَعَقْلٌ، وَعِلْمٌ زَانَهُ عَمَلٌ
وَعِفَّةٌ، وَعَطَاءٌ وَافِرٌ، وعُلاَ

وكتب هو إليّ أيضًا:

(من الطويل)

ثَمَانِـيَةٌ مِنْ بعْضِ أوْصَافِ أمْجَدِ الْـ
أنـامِ صَـلاَحِ الـدِّينِ تُـدْرَى وَتُعْلَمُ

مَجِـيدٌ، مُجِـيدٌ، مُـسْتَمَاحٌ، مُـؤَيَّدٌ
مُعِـينٌ، مُفِـيدٌ، مُـسْتَجَارٌ، مُعَظَّـمُ

وكتب هو إليّ أيضًا:

(من البسيط)

هَـذَا الإمَـامُ صَـلاَحُ الدِّينِ دَامَ عُلاً
تِـسْعٌ لَـهُ فِـي سِـوَاهُ لَيْسَ تُلْتَمحُ

هـو الـسَّعِيدُ الـسَّدِيدُ السَّيِّدُ السَّنَدُ
(م) السَّهْلُ السَّخِيُّ السَّئوسُ السَّافِرُ السَّمِحُ

وكتب هو إلي أيضًا:

(من البسيط)

عَـشْرٌ أَتَـتْ لِـصَلاحَ الدِّينِ ظَاهِرَةً
لَيْـسَتْ تُـرَى في سِـوَاهُ قَـطُّ تَتفِقُ

رِدْءٌ، رئِـيسٌ، رَشِـيدٌ، وَاثِقٌ، رَضِي
رَحْـبٌ، رَزِيـنٌ، رَءُوفٌ، راحمٌ، رَفِقُ

وكتب هو على كتاب ى(نكت الهميان في نُكت العُميان) لما كتب به نُسخةً[١].

---

(١) ذكرت الأبيات الآتية في (نكت الهميان /٣١٨).

(من الخفيف)

إنَّ نُكْـتَ الْهِمْـيَانِ في نُكَـتِ (م)
العُمْـيَانِ يَجْلُـو الْقَذَى عَنِ الأَبْصارِ

وَمُـزِيلٌ عَمَـى البَـصَائِرِ، فـيه
كُـلُّ مَعْنًـى شَـافٍ لِـذِي اسْتِبْصَارِ

مُعْجِـزٌ لَـمْ يَجِـيءْ كِـتَابٌ بِمَا جَا
ءَ بِـهِ مِـنْ لَطَائِـفِ الأَسْـرَارِ

وَفُـنُونُ الآدَابِ وَالْعِلْـمِ وَالْفَـضْلِ
(م) وَحُـسْنِ المَنْـثُورِ وَالأَشْـعَارِ

مَـا رَأَيْـنَا وَلاَ سَـمِعْنَا بِـسِفْرٍ
قَـبْلَه مِـثْلُهُ مِـنَ الأَسْـفَارِ

رَقَّ لَفْظًـا، ورَاقَ مَعْنًـى، وفـيه
لِمُنَـى الـنَّفْسِ بُغْـيَةُ الأَوْطَـارِ

وَضْـعُهُ يُبْهِـرُ الْعُقُـولَ، ويُـبْدِي
لِـذَوِي الْفَـضْلِ مُعْجِـزَ الاقْـتِدَارِ

كَـيْفَ لاَ وَالْمُـصَنِّفُ العَلَـمُ العَلاَّمَةُ
(م) القُـدْوَةُ العَظِـيمُ الفَخَـارِ

أَوْحَـدُ الدَّهْـرِ في البَـرَايَا صَـلاَحُ
(م) الـدِّينِ فَخْـرُ الأَنَـامِ وَالأَمْصَارِ

حَـسَنٌ جَابِـرٌ، وَسَـهْلٌ جَمِـيلٌ
ذُو عَطَـاءٍ جَـزْلٍ بِـيُمْنٍ يَـسَارِ

وَصْــفُه فَــوْقَ كُــلِّ وَصْــف، وَأَمَّا
قَــدْرُه قَــدْ عَــلاَ علــى الأَقْــدَارِ

دَامَ لِلفَــضْلِ وَالفَــضَائِلِ مَــا
(م) أَعْقَــبَ لَــيْلٌ داجٍ ضِــيَاءَ نَهَارِ

وكتب هوَ أيضًا على الجزء التاسع عشر من التذكرة:

(من الرمل)

إِنَّ ذِي تَذْكَــــرَةٌ مُفْتَخِــــرَه
مَــا رَأَيْــنَا مِــثْلَهَا مِــنْ تَذْكِــرَه

جَمَعَــتْ مِــنْ كُــلِّ لَفْــظٍ تِبْــرَه
وَحَــوَت مِــنْ كُــلِّ مَعْنًــى دُرَرَه

حَــرَسَ اللهُ الَّــذِي أَلَّفَهَــا
فَلَقَــدْ أَبْــدَعَ فِــيمَا حَــرَّرَه

محمدُ بنُ عبد اللطيف بن يحيى بن تمامٍ أقضى القضاة، **تقيُّ الدين أبو الفتح الأنصاريُّ الخزرجيُّ السُّبْكيُّ** الشافعيُّ، نائبُ الحكم العزيزِ بالشام المحروس ومُدرِّسُ المدرسة الرُّكنيّة[(١)].

كتبت أنا إليه في سنة أربع وأربعين وسبعمائة بدمشقَ المحروسة[(٢)].

---

(١) المتوفى سنة ٧٤٤هـ. له ترجمة بالدرر (١١٤/٤)، وطبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٦٧)، والوافي (٢٨٤/٣)، وأعيان العصر (٣٣/٦)ب من النسخة ١٩٠١تاريخ، ودرة الأسلاك (٣٩٧/٢). وغيرها.

والمدرسة الركنية الجوانية الشافعية نسبة إلى واقفها ركن الدين منكورس المتوفى سنة ٦٣١هـ عتيق فلك الدين سليمان العادلي. انظر(الدارس في تاريخ المدارس: ١/ ٢٥٣).

(٢) وردت القصيدة في: (الوافي٣٨٥/٢)، وأعيان العصر (٣٨/٦). وذكر منها =

(من الوافر)

تَقِــيَّ الــدِّينِ يَــا أَقْــضَى الْبَــرَايَا
وَيَــــارَبَّ النُّهَـــــى وَالأَلْمَعِـــــيَّه

وَيَــا مَـــنْ رَاحَ أُثْنِيَتِـــي عَلَـــيْه
تَــضُوعُ كَمِــثْلِ فِطْــرَتِه الذَّكِـــيَّه

أَهُـــزُّ إِلَيَّ مِـــنْكَ بِجِـــذْعِ عِلْـــمٍ
فَـــوَائِدُه تَـــسَاقَطُ لِـــي جَنِـــيَّه(١)

لأَنَّـــــكَ لاَ تُـــسَامَى فِي عُلُـــومٍ
نَـــزَلْتَ بِهَـــا مَـــنَازِلَكَ العَلِـــيَّه

وَنَظْمُـــكَ نَظْـــمُ مِـــصْرِيٍّ طِـــبَاعًا
حَلاَوَتُـــــهُ لِـــــذَلِكَ قَاهِـــرِيَّه

وَدأْبُـــكَ فَـــتْحُ بَـــابِ النَّـــصْرِ حَقًّا
وَغَيْـــرُكَ شُـــغْلُهُ بِالبَاطِلـــيَّه(٢)

أَفِـــدْنَا إِنَّـــنَا فُقَـــرَاءُ فَهْـــمٍ
لِمَـــا تُمْلِـــى فَـــضَائِلُكَ الغَنِـــيَّه

تَقَـــرَّرَ أَنَّ فَعَّـــالا فَعُـــولاً
مُبَالَغَـــتَانِ فِي اسْـــمَ الفَاعِلِـــيَّه

السبكي في طبقاته خمسة أبيات، بدايتها قوله: «تقرر أن فعالاً فعولاً»، كما ذكر ابن حبيب منها خمسة أبيات هي: ١، ٣: ٦.

(١) ينظر إلى قوله تعالى: «وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رُطبا جنيا» الآية/ ٢٥ من سورة مريم.

(٢) لعلها (الباطنيه).

فكَيْفَ تقُولُ فِيما صَحَّ مِنْه
وَمَا اللهُ بِظَلاَّمِ البَرِيَّه؟
أيُعطِى الْقَوْلُ إنْ فَكَّرْتَ فِيه
سِوَى نَفْى المُبَالَغَة القَوِيَّه؟
وَكَيْفَ إذَا تَوَضَّأْنَا بِمَاء
طَهُورٍ، وَهُوَ رَأْىُ الشَّافِعيَّه
أَزَلْنَا الوَصْفَ عَنْهُ بِفَرْدِ فعلٍ
وَذَاكَ خِلافُ رَأْي المالكيَّه
فَأَوْضِحْ مَا اذْلَهَمَّ عَلَيَّ حَتَّى
تُغَادِرُنِى عَلَى بَيْضَا نَقِيَّه
فَإِنْ يَدْجُو ظَلاَمُ الشَّكِّ مِنِّى
فَذِهْنُكَ ذُو قَنَادِيلَ[1] مُضِيَّه
وَدُمْ لِلمُشْكِلاتِ تُمِيطُ عَنْهَا
أذَى فَهْمٍ لأَذْهَانٍ[2] صَدِيَّه

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك[3]:

(من الوافر)

جَلَوْتَ عَلَيَّ أَلْفَاظًا جَلِيَّه
وَسُقْتَ إلَى أبْكَارًا سَنِيَّه

---

(١) بالألحان: «**ذو قناذيل**». واخترت، عبارة الوافي وأعيان.
(٢) «**الأذان صديّه**» بأعيان.
(٣) ورد الجواب في: الوافي (٣/٢٨٦، ٢٨٧)، وأعيان العصر (٦/٣٤). وذكر منها السبكي في طبقاته سبعة أبيات قوله: «**ومن جاء الحروب بلا سلاح**»، «**فظلام كبزاز...**» .

وَنَظَمْتَ الكَواكِبَ في عُقُود
فأَزْرَتْ بِالْعُقُودِ الجَوْهَرِيَّه
وَأَبْدَعْتَ الْمُسَيَّر في[1] نظَام
فَمَا لِمُسَيَّرٍ عِنْدِي مَزِيَّه
لآلٍ مِثْلُ بَدْرِ التِّمِّ نُورًا
وَلَكِنْ في النَّهار لنا مُضِيَّه
حَلاَوَتُها تُخالِطُ كُلَّ قَلْب
وَمِنْ حَشْوٍ وَحُوشِيٍّ نَقِيَّه
أَتَتْ مِنْ حَافِظِ الآدَاب طُرًّا
وَقَلْبِي مُغْرَمٌ بالحَافِظِيَّه
وتُعْزَى للخليلِ[2] فما فُؤَادي
يَمِيل هَوًى لِغَيْرِ السُّكَّرِيَّه
فَهِمْتُ بِمَا فَهِمْتُ مِنَ المَعَاني
وَلَمْ أظفَرْ بِنُكْتَتِها الخَفِيَّه
لأَنَّ العَجْزَ مِنِّي غيرُ خَافٍ
وَمَالِي في العُلُوم يَدٌ قَوِيَّه
تَأَفَّفَ صَاغَةُ الآداب مِنِّي
وَمَالِي لِلإجَابَةِ صَالِحِيَّه
ومَنْ جَاءَ الحُرُوبَ بِلاَ سِلاَحٍ
كَمَنْ عَقَدَ الصَّلاَةَ بِغَيْرِ نِيَّه

---

(١) «المسير من نظام» في (ز)، والوافي.
(٢) «وتعزى الخليل» بأعيان.

فَخُذْ مَا قَدْ ظَفِرْتُ بِهِ جَوَابًا
فَمَا أَنَا قَدْرُ فِطْرَتِكَ الذَّكِيَّه[1]
فَظَلاَّمٌ كَبَزَّازٍ[2] وَأَيْضًا
فَقَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى الظَّالِمِيَّه
وَقَدْ يُنْفَى القليلُ لِعِلَّةٍ[3] في
فَوَائِدِهِ بِنَفْيِ الأَكْثَرِيَّه
وَقَد يُنْحَى بِهِ التَّكْثِيرُ قَصْدًا
لِكَثْرَةِ مَنْ يُضَامُ مِنَ البَرِيَّه
وَأَمَّا قَوْلُه مَاءٌ طَهُورٌ
ونُصْرَتُهُ لِقَوْلِ المالكيَّة
فَجَاءَ عَلَى مُبَالَغَةٍ فَعُولٌ
وَشَاعَ[4] مَجِيئُهُ لِلْفَاعِلِيَّه
وَقَدْ يُنْوَى بِهِ التَّكْثِيرُ قَصْدًا
لِكَثْرَةِ مَنْ يَرُومُ الطَّاهِرِيَّه[5]
وَأَيْضًا فَهْوَ يَغْسِلُ كُلَّ جُزْءٍ
وَلاَءً وَهْوَ رأيُ الشَّافِعِيَّه

---

(١) لم يرد هذا البيت بالطبقات.

(٢) «فظلام كفرار» بالطبقات. والشطر الثاني بالوافي: فقد تأتي ....» .

(٣) «لقلة في» بالطبقات.

(٤) «وساغ» بالطبقات.

(٥) بداية البيت بالطبقات: «وقد ينحى به». ونهايته في (ب، ز، وأعيان): «من يروم الظاهرية» .

فَخُــذْهَا مِــنْ مُحِــبٍّ ذِي دُعَــاءٍ
أَتَــى مِــنْه الــرَّوِيُّ بِــلاَ رَوِيَّــه
لَــهُ فِــيكُمْ مُــوَلاَةٌ خَلَــتْ إِذْ
أُصُــولُ الــوُدِّ مِــنْهُ قَاهِــرِيَّه
فَــإِنْ مَــرَّتْ إِذَا مَــرَّتْ فَعَفْــوًا
فَــإِنَّ الــسَّتْرَ شِــيمَتُكَ العَلِــيَّه
فَمُرسِــلُ شِــعْرِه مَــا فِــيهِ طعــمٌ
تُجَــابُ بِــهِ القَوَافِــي الــسُّكَّرِيَّه

وكنتُ سألتُه أن يكتبَ لي شيئًا أستعين به على ذكْرِ ترجمته في كتابي (الوافي بالوفيات) فكتب هو إليَّ الجواب[١]:

وردتْ الإشارةُ العاليةُ المولويَّةُ الشيخيَّة [الإمامية العالمية العلاَّمية الأوحدية، السيِّدية، البالغية، الأثيرية المخدومية[٢]] الصَّلاحيَّةُ لا زال أمرُ مُرْسِلها مُطاعا، وبِرُّه مُشاعا، وخليلُه مراعَى، وعدوُّه مُراعا، وسماحُه يعمُّ الأنامَ صَفَدا، [وصلاحُه][٣] يزيدُ على ممرِّ الأيام مَدَدا، ولا بَرِحَ راجيه يتفيَّأُ من إحسانه ظلاً ظليلاً، وعافيه يجعلُ قصْدَهُ خليلاً، ويتخذُ معه سبيلاً.

فقابلَها المملوكُ بالاحْتفال، وعاملَها بأتمِّ التَّعْظيمِ والإجْلال، ولم يتأخَّرْ عمّا يجبُ لها من الامْتثال، بعد أن صادفَتْ تصعُّبًا سهَّلَه كريمُ إشارتِه، وتوقُّفًا فيما ندبته إليه جسَّرَته[٤] على الإقدام عليه واجبُ طاعَتِه،

(١) ورد الجواب بالوافي (٣/٢٨٧، ٢٨٨).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الوافي.

(٣) زيادة من الوافي. ومراعا – الأولى – في الجمل قبلها: اسم مفعول من الرعاية. الثانية في قوله: «وعدو مراعا» اسم مفعول من الروع الذي هو الخوف.

(٤) «جسره» بالوافي.

(من الكامل)

مَـاذَا أَقُـولُ وَلَـيْسَ عِـنْد خَصْلَةٌ
تَخْـتار إلاَّ دُنَّـسَـتْ بِمَعَائِـب
أَمْسَى لِـيَ التَّفْـرِيطُ أَمْـرًا لاَزِمًا
وَغَـدَا لِـيَ التَّقْـصِيرُ ضَـرْبَةَ لاَزِبِ
والـسَّتْرُ أَوْلى بِـي، وَلَكِـنْ أَمْرُكُمْ
حَـتْمٌ، وَنَـدْبُكُمْ أَعَـزُّ رَغَائِبِـي[1]
فَاعْـذِرْ كَلاَمًـا نَادِبًـا[2] مِنْ نَادِب
يُعْـزَى لِقَلْـب وَاجِـبِ مِنْ وَاجِب

وما قدْرُ امرئٍ إذ فتشَ عن قدره لا يجدُ إلاَّ نقْصًا، وإذا تصدّى[3] إلى ذكرِه لم يجدْ إلا معائبَ لا تُحْصى. وكتبُ التّواريخِ تَقْصُر عنها الأكابر، ولا توهَّلُ لها إلا مَنْ تُعقَدُ عليه الخناصر.

(من المتقارب)

(ومَـا أَنـا والـسَّيْرَ في مَـتْلَف
يُـبرِّحُ بالذَّكَــرِ الـضَّابِطِ)[4]

هذا مع غَيْبةِ أوراق المملوك [وكتبه][5] بالقاهرة، وعجْز قريحته

---

(١) «وندبكم معزر عابق» بالوافي.

(٢) «كلامًا باديًا» بالوافي.

(٣) «وإذا قصد» بالوافي.

(٤) «بالذكر الضابط» في (ب، ز، والوافي) والبيت لسُهَيْم الهذلي (شرح ديوان المتنبي ٣٦٢/٤) للبرقوقي برواية: «فما أنا» والمتلف - المفازة- والتبريح: المشقة. وأراد بالذكر: جملاً، لأن الذكر أقوى من الناقة والضابط: القوى.

(٥) زيادة من الوافي.

النَّاسيَة، وقوّته الذَّاكرة، ولكن هذه عُجالةُ من ليس له نَبالَه، ودلالةٌ لا تُؤدّى إلى مَلالَه، وعُلالَةٌ تُحتَملُ على البُلاله.

محمدُ بنُ عليِّ بن محمد، الشيخَ الأديبُ الكاتبُ المنجّمُ شمْس الدين المصريُّ **المعروف بالغزّى**[١].

أَنشدتُه بصفد المحروسة في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة لنفسي[٢]:

[من الكامل]

يَـا حُـسنَهُ رَشأً[٣] تَخَلّى اللَّيْثُ عَنْ
وَثَـبَاته وَثَـباته في حَـربه
يَـرْوِى الـسَّقامَ جُفُـونُه عَنْ خَصْره
عَـنْ عَهْـده وَعـنِ الصَّبا عَنْ صَبّه

فأنشدني هو لنفسه[٤]:

(من الكامل)

بأَبِـى غَـزالٌ غَـزْلُ هُـدْب جُفُونه
يَكْـسُو الـضَّنى[٥] صَبًّا أُذيبَ بصدِّه
يَـرْوِى حَـديثَ السُّقْمِ جِسْمٌ مُحبِّه
عَـنْ جَفْـنه، عَنْ خَصْره، عَنْ عَهْده

وأنشدني هو لنفسه في التاريخ[٦]:

---

(١) المتوفى سنة ٧٦٢هـ. له ترجمة في: الدرر (٤/٣٠٦)، والنجوم الزاهرة (١١/٩)، والمنهل الصافي (٣/٢٢٥)أ، وأعيان العصر (٦/١٥٦)، من النسخة (١٠٩١) تاريخ.

(٢) ورد البيتان بأعيان العصر.

(٣) رشأً بتنوين الهمزة المفتوحة.

(٤) بأعيان: وأنشدني هو لنفسه. ثم ذكر البيتين الآتين.

(٥) «يكسو الضبى» بالأخان. واخترت عبارة (ب، ز، وأعيان).

(٦) ورد البيتان في أعيان العصر.

(من الخفيف)

مَــرَّ فِي الفُــسْتُقِيِّ يَجْلُــو عَلَيْــنَا
طَلْعَــةً حُلْــوَةَ الرُّضَــابِ شَــهِيَّه
قُلْــتُ مَــنْ للفقيرِ لَوْ ذَاقَ فِي السَّطْ
لَــةِ[1] مِــنْ ذِى الْحَــلَاوَةِ الفُسْتُقِيَّه

وأنشدته أنا لنفسى[2]:

(من السريع)

فِــى فُــسْتُقِىِّ اللَّــوْنِ لَمَّــا بَــدَا
يَمِــيسُ مِــثْلَ الغُــصُنِ الْمُــورِقِ
مَــنَّ وَقَــد مَــرَّ عَلَــى صَــبِّه
وَمَــا أَلَــذَّ المَــنَّ بِالْفُــسْتُقِ

وأنشدته أنا لنفسى أيضًا[3]:

(من الكامل)

لَمَّــا بَــدَا فِي الْفُــسْتُقِيِّ مُعَذِّبِــى
نَادَيْــتُ مِــنْ وَجْــدِى وَفَرْطِ تَحَرُّقِى
كَانَــتْ لِــوَجْهِكَ فِــى الفُؤَادِ حَلَاوَةٌ
كَمَلَــتَ لِــذُهَا بِهَــذَا الفُــسْتُقِى

---

(١) في (ب): «في السلطة».
(٢) ورد البيتان في: أعيان العصر، والحسن الصريح (١١).
(٣) ذكر البيتان في: أعيان، والحسن الصريح (١١)، والتذكرة (١٤/٥) وفي الأخير قوله: «وقلت في مليح عليه قباء فستقى».

وأنشدته أنا لنفسي[1]:

(من الخفيف)

لاَ تَقِيسُوا إلى الْحَمَامَةِ حُزْنًا
إنْ فَضْلِي تَدْرِي بِهِ الْعُشَّاقُ
أنَا أُمْلِي الغَرَامَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ
وَهْيَ تُمْلِي وَحَوْلَها الأوْرَاقُ

فأنشدني هو لنفسه[2]:

(من الخفيف)

أَتَشَكَّى مَعَ الْبِعَادِ إلَيْكُمْ
بِرَقِيقِ الْعِتَابِ فَرْطَ اشْتِيَاقِي
فَكَأَنِّي الوَرْقَاءُ مِنْ فُرْقَةِ الإلْفِ
(م) تَلَهَّتْ بالسَّجْعِ في الأوْرَاقِ

وكتب هو إلي وقد قدمت من حلب المحروسة إلى حماه لتلقّي النائب الجديد في المحرم سنة ستين وسبعمائة[3].

(من الرجز)

مَمْلَكَةُ الشَّهْبَا على الشُّهْبِ عَلَتْ
فاسْتَبْشَرَتْ بِالخَيْرِ وَالفَلاَحِ
لَمَّا شَكَتْ سِرًّا فَسَادَ حَالِهَا
أَغَاثَهَا السُّلْطَانُ بالصَّلاح

(١) ورد ما أنشده هنا في أعيان للعصر.

(٢) ورد البيتان في أعيان، وبداية الأول فيه: «به أتشكى» وبداية الثاني: «وكأن الورقاء من فوقه».

(٣) ذكرت الرسالة في أعيان العصر.

يقـبل الأرضَ الـتي ابْتهلتْ أول أمرها بعلوِّ قدرها، وابتهجَتْ في سرّها بَمقْدَم كاتب[1] سرِّها، فلله درُّها دولةً اقتضتْ آراؤها الشريفةُ لمملكـتها الحلبية مَنْ صانَها وزانَها، وارتضت آلاؤها المُنيفةُ من أصلح شأنَها الذي شانَها، فجانست أوامرَها العاليةَ بين مقامِ أعلمِ خليل، وبين مقام أكرمِ جليل، وآنست رُشداً بتقديم فاضلِ زمانه، وإن كان الأحقُّ[2] بالـتقديم والتفـضيل، فأقرت عيناً بآيات الفضائلِ الشّيْخية الصلاحيةِ وأقرّت، وألْقتْ في ساحاتها من ساعتها عَصاها واستقرت[3].

ويُنهـي أن المملـوكَ ممّن سرته هذه البُشرى التي ردّت شواردَ[4] الأدب بعـد مفرِّها إلى مقرِّها، ومدّت وارفَ ظلّها ووافرِ فضلها على سر الصناعتين بعد هَجير هجْرها. فلقد دلّت على الهدى، وجلّتَ صدأ الصدى بأنوائها، وحلّت في حَلْبَة المعالي على أبلْقها وشقرائها بشهبائها. فلله الحمد على منة لا تَردُ إلا منه، وله الشكرُ على نعمةٍ لا تصدرُ إلا عنه.

(من الكامل)

زِنْـتُمْ عَلَـى رَغْـمِ الْحَسُودِ مَحلَّهَا
كُنْـتُمْ أحَـقَّ بِهَـا وَكُنْـتُمْ أهْلَهَا[5]

(١) «كتاب سرها» : أعيان. وبعدها في الأصل: «فلله درها ودولة.... بمن صانها».

(٢) بأعيان: «وإن كان الأليق».

(٣) يشير إلى قول معقر بن أوس بن حمار البارقي، واسمه سفيان (الأغاني ١١/١٦٠):

**وألقت عصاها واستقرت بها النوى		كمـا قـر عينـاً بالإياب المسافر**

(٤) «شواهد الأدب» بأعيان.

(٥) جاء في (فوات الوفيات ٢/٣٢٨) لسعد الدين بن محمد بن محمد بن علي بن العربي المتوفى سنة ٦٨٦هـ قوله:

**يـا سـادة ملكـوا الـنفوس لأنهـم		كانـوا أحـق بهـا وكانـوا أهلـها**

والقصدُ أن مولانا يُعفّي خطأها وخَطلَها، ويسامُح بحلمه جَهلَها، ويُسْبِلُ عليها سِتْرَ معروفه[1] لأنه مالكُ الحلِّ والعَقْد، وإليه مرجعُ أمر[2] النقلِ والنقد، لازال جابراً بقبوله وإقباله، ساتراً بخلاله الكريمة ما خَفِيَ عن المملوك من إجلاله[3]، بمحمد وآله. إن شاء الله تعالى.

محمد بنُ علي القاضي الكاتبُ الناظمُ الناثرُ شمسُ الدين **المعروف بابن الخَزَّار**، كاتب الإنشاء الشريف بحلبَ المحروسة(*).

كتبتُ أنا إليه وهو بطرابلس المحروسة. فكتب هو الجواب إلي عن ذلك:

(من الطويل)

أَلاَ يـاَ زَكـيَّ الخَلْقِ وَالْخُلْقِ والنَّفْسِ
ومَـنْ ذِكْـرُهُ في غُرْبَتِي لَمْ يَزَل أُنْسِي
وَمَـنْ مُقْلَتِـي تَـشْتَاقُهُ وَهْـوَ نُورُهَا
وَيَطْلُـبُهُ قَلْبِـي وَلَـمْ يَخلُ مِنْ حِسِّي
ومَـنْ فَـارَقَ العَـبْدَ الصّلاَحَ لبُعْدِه
فَمِـنْ بَعْـدِهِ لم يَجْـنِ مِنْ ثَمر الْغَرْسِ
وَإِنِّـي وَقَـدْ غَابَـتْ جِـنَانُ جِنَاسِه
وَأَنْـوَاعُهَا اللاتِـي تُـرَدُّ إِلى الجِنْسِ

يُقَبِّلُ الأرضَ، ويُنهي وُرودَ المثالِ الشريفِ بعد أن أَوْدَتْ بالمملوك

---

(١) مأخوذ من قول أبي نواس (أبو نواس لابن منظور/ ١٠٥):

فأرخ عليها ستر معروفك الذي		سترت به قدماً علىّ عواري

(٢) بأعيان: «مرجع الثقل» بالحذف.

(٣) «من إخلاله» بالتصحيف في (أعيان).

(*) لم أجد له ترجمة فيما تهيأ لي من مصادر.

غَيْـــتُهُ، وأقفــرت من الصبر عَيْبُتُهُ، وابيضت من انتظار طرْسه عيناه، واســودّت مـــن القلب حَبّتُهُ، ولكنه لم «ييئس من روح[1] الله»، وما بــرحت قريبةٌ منه رحمتُه، فلما أن جاءه الرسولُ به بشيراً، وضعه على مُقْلتيه «فارتد بصيرا [2]»، ولاح له عنوانُ السعادة منذ نظر إلى عنوانه، وفض ختامَه المِسْكيَّ عن رحيقٍ من شعرِ حكمته وسحرِ[3] بيانه. فالشعري تسمو بــشعره، والنثرةُ تعلو بنثره. فلو رآه صاحب القلائد لقلدها به وحلاّها، أو صـــاحبُ الفرائد لاتّخذه من أحسن حُلاها، أو بديعُ الزمان لقال هذا بديعُ الأوان، أو أدركه فاضل بيسان، لتعجّب من تلك الألفاظ الحسان:

(من الوافر)

مِـــثَالٌ مَـــا رَأَيْـــتُ أَجَـــلَّ مِـــنْهُ
وَلاَ أَحْلَـــى وَلاَ أَشْـــهَى إِلَـــيَّا
أَتَانِـــي فَامْـــتَلأْتُ بِـــهِ سُـــرُورًا
فَأَكْـــرِمْ بِالَّـــذِي أَحْيَـــى وَحَـــيَّا
فَمَنْـــثُورٌ كَمَنْـــثُورِ اللَّآلِـــي
وَمَـــنْظُومٌ كَمَـــنْظُومِ الثُّـــرَيَّا
فَمَـــنْ سَـــحْبَانُ وَائِـــلُ مَـــنْ لَبِـــيدٌ
إِذا نَظَـــرَاهُ فَـــرَّا عَـــنْه عِـــيًّا؟!
فَلَـــوْ نَظَـــرَ ابْـــنُ مُقْلَـــةَ مَـــا حَوَاهُ
مِـــنَ الأَوْضَـــاعِ كَـــانَ لَهَـــا وَلِـــيَّا

---

(١) من الآية (٨٧: يوسف): «يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه، ولا تيئسوا من روح الله، إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون».
(٢) من الآية (٩٦: يوسف) «فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً».
(٣) مأخوذ من قول الرسول ﷺ : إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة.

فوقف المملوكُ له قبل الوقوف عليه، وشكر صدقاتِ مولانا التي ما برحت تُقَرِّبه زلفى لديه.

وكتب هو إليّ أيضاً من دمشقَ المحروسةِ، وأنا بحلب المحروسة:

(من الرجز)

يَـا لَهْـفَ نَفْـسٍ فَارَقَـتْ صَلاَحَهَا
وَلَـمْ تَجِـدْ مِـنْ بَعْـدِهِ ارْتِـيَاحَهَا
لَـوْ فَارَقَـتْ وُرْقُ الحِمَـى خَلِيلَها[1]
لَوَاصَـلَتْ مِـنْ حُـزْنِها نُـوَاحَهَا
قَـدْ أَخَذَتْـهُ حَلَـبٌ مِـنْ أُخْـتِها
فَأَنْجَحَـتْ وَحَـصَّلَتْ فَلاَحَهَـا

وكتب هو إليّ قديماً بدمشق المحروسة:

(من الكامل)

أَضِـيَاءُ وَجْهِـكَ فِـي الظَّـلاَمِ أَنَارَا
فَأَطَـارَ نَوْمِـيَ، وَالغَـرَامَ أَثَـارَا؟!
أَمْ بَـدْرُ تَـمٍّ أَمْ صَـبَاحٌ مُـشْرِقٌ
كَـسَحَ الدُّجَـى ثُمَّ اكْتَسَى الأَنْوَارَا؟!
وَبُـرُوقُ نَجْـدٍ قَـدْ بَـدَا لَمَعَانُهَـا
أَمْ دُرُّ ثَغْـرِكَ قَـدْ تَبَـسَّمَ نَـارَا؟!
وَسَـوَادُ شَـعْرِكَ أَمْ ظَـلاَمٌ دَامِـسٌ
أَمْ طَـرْفُكَ الـسَّاجِي المُحِبَّ أَحَارَا؟!

(١) بالأصل: «ورق الحمى خليها»، واخترت ما في النسخ الأخرى.

وَالْغُصْنُ مَالَ بِهِ النَّسِيمُ مُرَنَّحًا
أَمْ قَدُّكَ الْمَيَّاسُ تَاهَ فَخَارًا؟!
وَنُحُولُ خَصْرِكَ أَمْ سِقَامِي فِي الْهَوَى
والرِّيقُ مِنْكَ أَمِ السُّلَافُ مُدَارًا؟!
أَسْكَرْتَنِي بِاللَّحْظِ مِنْكَ وبِاللَّمَى
وَالنُّطْقُ إِسْكَارًا وَلَيْسَ عُقَارًا
تَحْلُو لِقَلْبِيَ فِي هَوَاكَ مَلَامَتِي
حُبًّا لِذِكْرِكَ إِذْ يُدَارُ مِرَارًا[1]

منها:

أَصْبَحْتَ فِي هَذَا الزَّمَانِ صَلَاحَه
دِينًا وعِلْمًا لِلْبِحَارِ أَغَارَا
وَسَخَاءُ كَفِّكَ بِالنَّوَالِ وبِالنَّدَى
غَيْثُ الْغَوَادِي الْهَاطِلَاتِ أَعَارَا
حَاوِي الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ بِمَنْطِقٍ
نَحْوَ الْأُصُولِ بِهِ ذَكَاؤُكَ سَارَا
كَمْ قَدْ وَضَعْتَ مُصَنَّفًا فِي حُسْنِهِ
تَجْلُو بِهِ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَا
كَالرَّوْضِ فِيهِ لِلْعُيُونِ تَنَزُّهٌ
وَالسَّمْعُ لَمَّا أَنْ حَوَى الْأَطْيَارَا

---

(١) مأخوذ من قول أبي الشيص: (الشعر والشعراء ١/٥٣٥، والعمدة ٢/١٠٣، وديوان الصبابة هامش تزيين الأسواق/١٢٣): وهو:

أجد الملامة في هواك لذاذة   حبًا لذكرك فليلمني اللوم

وَالخَـــطُّ أغْـــصَانٌ، وَهَمْـــزُكَ طَيْرُهَا
وَالـــسَّجْعُ مِـــنْها قَـــدْ حَكَى الأَوْتَارَا

منها:

أَقْـــسَمْتُ أَيْمَانًـــا وَلَـــسْتُ بِحَانِـــثٍ
بِـــاللهِ مُنْـــشِي خَلْقِـــهُ أَطْـــوَارَا
أنْ لَـــيْسَ مِـــثْلُكَ فَاضِـــلاً فِي عَصْرِنَا
فِي كُـــلِّ فَـــنٍّ قَـــدْ لَبِـــسْتَ سِـــوَارَا
لَـــوْ أَدْرَكَ البُـــسْتِيُّ[1] عَصْرَكَ لاَنْثَنَى
مُـــتَعَلِّمًا مِـــنْكَ الجِـــنَاسَ جِهَـــارَا
أَوْ كَـــانَ مِهْـــيَارٌ لَجَـــاءَكَ يَبْتَغِـــي
نَظْـــمَ القَـــصَائِدِ مُعْلِـــنًا أَسْـــرَارَا
أَوْ لاِبْـــنِ مُقْلَـــةَ مُقْلَـــةٌ يَـــرْنُو بِهَـــا
مَعْنَـــى كَتَائِـــبِكَ الـــشَّرِيفَةِ حَـــارَا
حُـــزْتَ العُـــلاَ فِي المَعْلُـــوَاتِ بِأَسْرِهَا
لَمَّـــا لَبِـــسْتَ مِـــنَ الـــصَّلاَحِ إِزَارَا

محمد بنُ، علي الكاتبُ أمينُ الصفدي المعروفُ بابن المهتار(*).

---

(١) هو أبو الفتح البستي، علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي. ولد في بست قرب سجستان وإليها نسبته، وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان،وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، وخدم ابنه يمين الدولة، ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريباً في بلدة «أوزجند» ببخاري سنة ٤٠١هـ - ١٠١٠م. له ديوان شعر مطبوع انظر ترجمته في (تاريخ الأدب لبروكلمان ٢٣/٥، ووفيات الأعيان ٨/٣ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد).

(*) المتوفى سنة ٧٤٩هـ. ترجم له ابن حجر في (الدرر ٢٠٩/٤) والصفدي في

كتب هو إلي بالقاهرة في سنة خمس وأربعين وسبعمائة في شهر رمضان[1].

(من الطويل)

تَصُومُ بِخَيْرٍ فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ
وَضِدُّكَ فِي عَكْسِ القَضِيَّةِ خَامِلُ
وَحُكْمُكَ مَاضٍ فِي البَرِيَّةِ نَافِذٌ
وَأَمْرُكَ فِي أَقْصَى الأَقَالِيمِ وَاصِلُ
لأَنْتَ صَلاَحُ الدِّينِ أَفْضَلُ مَنْ وَشَى
وَأَنْشَا إِذَا التَفَّتْ عَلَيْكَ المَحَافِلُ

وكتب إلي، وقد كنت نظمت قصيدة في هذا الوزن إلى مولانا القاضي علاء الدين بن فضل الله:

(من البسيط)

سَرَتْ نَسِيمُ الصَّبَا فِي رَوْضَةٍ حَبِرَه
فَرَنَّحَتْنَا بِأَنْفَاسٍ لَهَا عَطِرَه[2]
وَغَنَّتِ الوُرْقُ فِي الأَغْصَانِ مِنْ طَرَبٍ
عَلَى رِيَاضِ نَبَاتَاتِ اللِّوَى نَضِرَه[3]
وَزَمْجَرَ الرَّعْدُ فِي أَكْنَافِ سَارِيَةٍ
وَأَوْمَضَ البَرْقُ عَانِيًا إِذَا مَطَرَه[4]

(أعيان العصر ١٥٣/٦ – النسخة ١٠٩١ تاريخ).

(١) وردت الأبيات الثلاثة في (أعيان العصر).

(٢) وردت القصيدة في (أعيان العصر).

(٣) «بيانات الحمى عطره» بأعيان.

(٤) «عاينا إذا مطره» في (ب، وأعيان). (٦)

وَصَــفَّقَ النَّهرُ[1] فِي الغُدْرَانِ مِنْ فَرَحٍ
وَالغُــصْنُ أَهْدَى لَنَا، يَا صَاحِبِي، ثَمَرَه
وَنَحْــنُ فِي مَجْلِــسِ اللَّذَّاتِ نَكْرَعُها
مِــنْ كُــلِّ صَــافِيَةٍ صَــفْرَاءَ مُعْتَصَرَه
وَنَغْمــةُ الــشَّيْزِ فِي رَاحَــاتِ غَانــيَةٍ
أَغْــنَتْ بِمَبْــسَمِهَا عَنْ أَنْ تَرَى قَمَرَه
وَحُــسْنُ سَــاقٍ سَقَى صِرْفًا فأَسْكَرَنِي
فَمَــا رَأَيْــتُ لَــهُ عَيْــنًا وَلاَ أَثَــره
دَعْ عَنْكَ ذَلِك وانْظُر فَضْلَ مَنْ وَرَدَتْ
مِــنْهُ الفَــضَائِلُ فِي المَــنْظُوم مُنْتَشِــرَه
صَــلاَحُ دِيــوانِ إِنْــشاء الــشَّآمِ بِهِ
فَمَــا عَلَــى الحَقِّ مَا مَحْمُودُ مَنْ غَبَرَه
مَدَحْــتُهُ وَفْــقَ أَبْــيَاتٍ نَظَــرْتُ لَهَا
فَمــا تَلَعْــثَمْتُ[2] إِنْ وَافَيْتُ بِالعَشَرَه

وكتب إلي كثيراً وهذا القدرُ منه يكفي أنموذجاً[3].

محمــد بــنُ عيسى بنِ محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيب بن مــشرف، الأسديُّ الغاضريُّ الرنائيُّ القاضي البليغُ شمسُ الدين بن القاضي **شرف الدين بن قاضي شهبة**، كاتبُ الإنشاءِ الشريفِ بالشام المحروس(*).

---

(١) «وصفق الماء» في أعيان.

(٢) في الأصل: «فما اتلعثمت» . وفي (ب)، «فما تعلمت»، واخترت ما في النسخ الأخرى.

(٣) بأعيان: «وهذا القدر كاف من أنموذجه».

(*) المتوفى سنة ٧٦٤هـــ. له ترجمة في (الدرر ٤/٢٤٧). وقد ذكره صاحب (النجوم =

كتب هو إليّ في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة:

(من مجزوء الكامل)

جَادَتْـــكَ أَجْفَـــانُ الـــسَّحَاب
بِمَدَامِـــعٍ ذَاتِ انْـــسِكَاب
وَسَـــرَتْ صَـــبا الـــرَّوْضِ الأَرِيـــ
ـــضِ بِنَـــشْرِ هَاتِـــيكَ القِـــبَاب
ونَـــسِيمُهَا الـــرَّطْبُ المَهَـــابُّ
(م) بِحَـــيٍّ نَادِيـــكَ المُهَـــاب
يـــا دارَ أَحْبَابِـــي الَّـــذِيـــ
ـــنَ لِفَقْـــدِهِمْ زَادَ اكْتِئَابِـــي
لَـــم يَـــبْقَ لِـــي[1] بَعْـــدَ الـــصِّبَا
إلاَّ الـــتَّعَلُّلُ بالتَّـــصَابِي
يَـــا مُعْرِضِـــينَ عَـــنِ المُتَـــيَّـــ
ـــمِ فِـــي بِعَـــادٍ وَاقْتِـــرَابِ
بِنْـــتُمْ فَـــنَابَ عَـــنِ الدُّنُـــوِّ
(م) خَـــيَالُكُمْ، وَالـــنَّوْمُ نَـــابِ
والدَّمْـــعُ يَعْثُـــرُ بِالجُفُـــو
نِ وَلَـــيْسَ طَـــرْفُ الطَّـــرْفِ كَـــابِ
فَـــتَلَطَّفُوا بِمُكَاتَـــبَـــب
أَهْـــدَى لَكُـــمْ طَـــيْفَ الكِـــتَابِ

الزاهرة ١١/١١) في وفيات سنة ٧٦٢هـ.

(١) بالأصل: «لم يبق لي من بعد الصبى» وهو غير مستو على وزن مجزوء الكامل.

وَتَعَطَّفُـــــــوا بِجَـــــــوَابِه
فَنَـــسِيمُهُ يُذْكِـــي الجَـــوَى بِــــي
يَـــا مَــــنْ جُفُـــونُ ظِـــبَائِهِمْ
كَـــمْ صَـــرَّعَتْ مِـــنْ أُسْـدِ غَـــابِ
قُولُـــــوا لأَعْيُـــــنِكُمْ فَفِــــي
أَجْفَانِهَـــــا سِـــــحْرُ البَرَابِــــي
لاَ تُــــشْهِرِي سَـــيْفَ الغَـــرَامِ
(م) فَـــشَرُّ شَـــرِّكَ فِـــي القِـــرَابِ
يَـــا هَاتِفَـــاتِ الـــدَّوحِ مَـــا
فِي الـــنَّوْحِ إِطْفَـــاءُ الـــتِهَابِ
أَيْـــنَ المَدَامِـــعُ وَالْحَنِـــيـــــــ
ـــنُ؟ وَأَيْـــنَ أَنَّـــاتُ الْمُـــصَابِ؟
فَـــبِهَا يُـــدِلُّ أَخُـــو الهَـــوَى
لَـــا بِالتَّـــرَنُّمِ وَالْخِـــضَابِ
لَهَفِـــي عَلَـــى زَمَـــنِ الـــشَّبَا
بِ، وَحَـــبَّذَا زَمَـــنُ الـــشَّبَابِ
عُمْـــرٌ عَمَـــرْتُ بِجَاهِـــــه
أَوْطَـــارَ أَوْطَـــانٍ رِحَـــابِ
أَيَّـــامُ أَذْكُـــرُ مَـــنْ أُحِـــــ
(م) ـــبُّ لِمَـــنْ كَـــرِهْتُ وَلَـــا أُحَابِي
وَإِذَا سَـــقَانِي مَـــنْ هَـــوِيـــ
ـــتُ شَـــرَابَه دُونَ الـــشَّرَابِ

وَنَــــأى، وَبِــــتُّ لِـــبُعْدِه

حِلْــفَ انْــتِحَالٍ وَانْــتِحَابِ

نَادَيْــتُ يَـــا حَـــادي الــرِّكَا

بِ وُقِــيتَ مِــنْ حَــادي الــرِّكَابِ

قِــفْ بِــي أُوَدِّعُهُــمْ فَمَــا

فِي كُــلِّ قَلْــبِكَ بَعْــضُ مَــا بِــي

وَارْفُــقْ بِمَــن أغْــرَى بِــه الْــ

أَحْــزَانَ تَــرْجِيعُ الْغُــرَابِ

فَكَأنِّــي[1] لَمَّــا يَعِــنُّ

(م) حَدِيــثُهُمْ بَعْــدَ اغْتِــرَابِ

أشْــدُوا بِمَــدْحِ أَبِــي الــصَّفَا

ءِ خَلِيلِــيَ[2] الــرَّحْبِ الْجَــنَابِ

بَحْــرِ الْعُلُــومِ، وَمَــنْ غَــدَا

مَعْــرُوفُهُ عَــذْبَ الْعُــبَابِ

وَفَتَــى الْحُلُــومِ الــسَّاتِرَا

تِ بِطَلِّهَــا حَــرَّ الْعِــتَابِ

فَــارُوقِ عِلْــمٍ لَــمْ يَــزَلْ

فِــي الــنَّاسِ يَــنْطِقُ بِالــصَّوَابِ

مَــنْ رَأْيُــهُ فِــي حِــنْدِسِ الْــ

ـغَــوْغَاءِ يَلْمَــعُ كَالــشِّهَابِ

---

(١) بالأصل: «فكابي» واخترت ما في النسخ المساعدة.

(٢) بألحان السواجع: «خليل الرحب» ولعل ما صنعته أفضل للوزن.

وذَوَائِبُه كَثَنَانه
حُلْوُ الجَنَى عِطْرُ الإهَابِ
لله رَوْنَقُ خَطِّه
مِنْ زَهْرِ رَوْضَاتٍ رِطَابِ
وبديعُ زُخْرفِ لَفظِه
مِنْ مُسْتَطَالٍ مُسْتَطَابِ
مَوْلَى رَقَى فَضْلاً عَلَى
أنْدَادِهِ وَغُرّ الشَّبَابِ
فَكَأنَّ فَاهُ إِذَا تَبَسَّـ
(م) ـمَ عِنْدَ مُسْتَمَعِ الخِطَابِ
كَأْسُ المُدَامِ حَبَابُهَا
وَحَبَابُهَا شَهْدُ الرُّضَابِ
قَسَمًا بِتَأْثِيرِ الثَّنَا
يَا اللُّؤْلُؤِيَّاتِ العِذَابِ
وَبِسَالِفِ العَيْشِ الَّذِي
أَضْحَى البُكَاءُ عَلَيْهِ دَابِي
مَا الرَّوْضُ دَبَّجَهُ النَّسِيمُ
(م) وَظَلَّهُ صَوْبُ الرَّبَابِ
وَتَطَفَّحَتْ فِيهِ كُئُو
سُ الزَّهْرِ مِنْ دُرَرِ الحَبَابِ
يَوْمًا بِأَلْطَفَ مِنْ خَلاَ
ئِقِكَ الَّتِي غَنِمَتْ ثَوَابِي

وَأَرَتْنِـــي الحُـــسْنَى لَـــدَيْـــ
ـــكَ كَـــرَامَةً دُونَ اكْتِـــسَابِ
يَـــا صَـــاحِبَ الْفَـــضْلِ الَّـــذِي
أَضْـــحَتْ مَـــسَائِلُهُ رَوَابِـــي
وَرَئِـــيسَ إِنْـــشَاءِ المَـــا
لِـــكِ فِي الـــبِدَايَةِ وَالجَـــوَابِ
لاَ تَعْـــتَقِدْ أَنِّـــي سَـــمَوْ
تُ عَلَـــى الأَمَاثِـــلِ مِـــنْ صِـــحَابِي
بِفَـــضِيلَةٍ أُدْلِـــي بِهَـــا
بَـــيْنَ الأَنَـــامِ بِـــلاَ ارْتِـــيَابِ
إِلاَّ بِـــبَرْقٍ ضَـــرَاعَةٍ
أَضْـــحَى إِلَـــيْكَ بِهَـــا انْتِـــسَابِي
كَـــمْ قُلْـــتُ لِلـــسَّاعِي وَرَا
ءَكَ لاَ تَـــرُمْ صَـــعْبَ الطِّـــلاَبِ
أَقْـــصِدْ، فَطَائِـــرُ فَـــضْلِ ذَا الْـــ
ـــكَافِـــي عُقَـــابٌ فِي عُقَـــابِ
وحَـــصِينُ مَعْقِـــلِ رَأْيِـــهِ الْـــ
ـــمَـــيْمُونِ نَجْـــمٌ فِي سَـــحَابِ
فَـــإِذَا جَـــرَيْتَ لِـــشَأْوِهِ
لاَ شَـــكَّ تُجْـــزَى بِالْعَـــذَابِ

مَوْلاَيَ صَفْحًا عَنْ فَتًى
وَافَاكَ مَمْلُوءَ الجِرَابِ
بِفَضَائِحٍ إنْ لَمْ تَفُزْ
مِنْكُمْ بِسَتْرٍ أوْ تَغَابِي
نَبَحَتْ عَلَى آسَادِها
فِي الغِيلِ عَاوِيَةُ الذِّئَابِ
وَلِفَرْطِ حُبِّكَ كَانَ يَا
أَمَلِي إِلَى النَّظْمِ انْتِصَابِي
لاَزِلْتَ تَلْقَى حَاسِدِيْـ
ـكَ مِنَ الرَّدَى رُغْبَ الرِّقَابِ
مَا تَوَّجَتْ هَامَ الرُّبَا
عِنْدَ الصَّبَاحِ يَدُ الضَّبَابِ

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك:

(من مجزوء الكامل)

أَرْسَلْتَ لِي صَوبَ الصَّوَابِ
فَرَفَلْتُ فِي ثَوْبِ الثَّوَابِ
وَفَتَحْتَ لِي إِغْلاَقَ بَا
بِ فِيهِ لِي أَعْلَى قِبَابِ
بِقَصِيدَةٍ قَدْ شَنَّفَتْ
أُذُنِي، وَشَرَّفَتِ انْتِسَابِي
يَا فَاضِلاً أَلْفَاظُهُ
رَاقَتْ كَمُنْهَلِّ السَّحَابِ

والطِّـــرْسُ تَحـــتَ يَميـــنه
كَالزَّهْــرِ مِـــنْ فَـــوْقِ الرَّوَابِـــي
والـــسَّجْعُ فَـــوْقَ طُرُوسِـــه
كالــرَّاح مِـــنْ تَحْـــتِ الحَـبَابِ
وَقَرِيـــــضُه أَزْرَى بِـــــنَظْمِ
(م) العِقْـــدِ فِي جِـــيدِ الْكِعَـــاب
لَـــكَ يَـــابْنَ قَاضِـــي شُـــهبَةٍ
ذِهْـــنٌ تَـــوَقَّدَ كالـــشُّهَابِ
وَبَلاَغَـــــــةٌ قُـــــسيَّةٌ
فُطِـــرَتْ عَلـــى فَـــصْلِ الخِطَـــابِ
وَفَـــصَاحَةٌ مِـــنْ سِـــحْرِهَا
تَأْتِـــي إِلَيْـــنَا بِالعُجَـــابِ
وَتَرَسُّـــلٌ سُـــبْحَانَ مَـــنْ
أَعْطَـــاكَ مِـــنْه بِـــلاَ حِـــسَابِ
وَسِـــيَادَةٌ مَـــا طَـــرْفُهَا
فِي حَلْـــبَةِ الْعَلْـــيَاءِ كَـــابِ
وَأَصَـــالَةٌ فَـــوْقَ الـــسُّهَا
قَـــدْ أَعْلَمَـــتْ خُـــرْصَ الـــرِّكَابِ
وَمَـــوَدَّةٌ جِلْـــبَا بُهَـــا
مَـــا فَـــرَّقَتْهُ يَـــدَا عِـــتَابِ
مِـــنْ مَعْـــشَرٍ أَسْـــيَافُهُمْ
فِي الْحَـــرْبِ تُغْمَـــدُ فِي الـــرِّقَابِ

وَرِمَــاحُهُم إن جُــرَّ ذَيْــ
ــلُ عَجَاجَــةٍ ذَاتِ انْتِــصَابِ
وَلَهُـــمْ قُـــدُورٌ قَـــدْ رَسَــتْ
وَجِفَـــانُهُمْ مِـــثْلُ الجَوَابِـــي
وَذَوَائِـــبُ الـــنِّيرَانِ للـــضَّـ
ـــيفَانِ يَـــسْمُو فِي الـــتِهَابِ (م)
حَتَّـــى تَـــدُلَّ عَلَـــيْهِمُ
مَـــنْ بَـــاتَ فِي أَسْـــرِ اغْتِـــرَابِ
يَـــا سَـــيِّدًا صَـــيَّرْتَ شُـــكْـ
ـــرِيَ وَالثَّـــنَاءَ عَلَـــيْهِ دَابِـــي
فَأَنَـــا كَمَـــا سُـــمِّيتُ فِـــيـ
ـــهِ أَبُـــو الـــصَّفَاءِ بِـــلا ارْتِـــيَابِ
دِيَـــوانُ الانْـــشَاءِ اغْـــتَدَى
بِـــكَ فَخْـــرُهُ عَالِـــي الجَـــنَابِ
فَـــإِذَا حَـــضَرْتَ عَـــرِينَهُ
مَـــا غَـــابَ عَـــنْهُ لَـــيْثُ غَـــابِ
وَغَدِيـــرُ فَـــضْلِكَ فَـــائِضٌ
وَحِجَـــاكَ فِـــيهِ بِـــلاَ حِجَـــابِ
جَمَّلْـــــتَهُ بِفَـــــضَائِلٍ
مِـــثْلَ الغَمَـــائِمِ فِي انْـــسِكَابِ
حَتَّـــى لَقَـــدْ قَـــالَ الـــوَرَى
لاَ رَيْـــبَ فِي فَـــضْلِ الرُّبَابِـــي[1]

(١) في فضل الرباب: في النسخ الأخرى.

فَعَلَـــيْكَ وَقْــــفُ مَحَبَّتِـــي
جَـــارٍ، وَمَـــالِيَ مِـــنْ ذهَـــابِ
فَاعْـــذِر إِذَا قَــصَّرْتُ فِـــي
هَـــذَا الْجَــوابِ مِــنَ الجَــوَى بِي
لَـــكَ أنْ تَقُـــولَ وَمَـــا ظَلَمْــــ
ـــتَ إِذَا وَقَفْـــتَ عَلَـــى جَوَابِـــي
هَـــذِي عُـــيُونُ قَـــصِيدَتِي
بَـــلْ كُـــلُّ هَـــذَا فِي جِرَابِـــي
هَـــيْهَاتَ أَيْـــنَ قُـــصُورُكَ الْـــ
ـعُلْـــيا مِـــنَ القَفْـــرِ اليَـــبَابِ؟!
أَيْـــنَ الـــشَّبَابُ الغَـــضُّ مِـــن
شَـــيْبٍ يُلَفَّـــقُ بالتَّـــصَابِي؟!
أَيْـــنَ الـــزُّلاَلُ الحُلْـــوُ مِـــنْ
مُـــرٍّ كَـــرِيهِ الطَّعْـــمِ صَـــابِ؟!
أَيْـــنَ المَـــرِيسُ وَيُبْـــسُهُ
إِنْ مَـــرَّ مِـــنْ طِـــيبِ الطِّـــيَابِ؟!
مَـــنْ شَـــارَفَ الـــسِّتِّينَ أَشْـــ
ـــرَفَ فِي انْـــتِحَالٍ وانْـــتِحابِ
فَالْـــيَوْمَ رَأْســـي بُـــومَةٌ
بَـــدَلاً عَـــن الـــشَّعرِ الغُرَابِـــي
أَيَّـــام رَأْســـيَ فِي أَمَـــا
نِـــيِّ الغَوَانِـــي لِلْخِـــضَابِ (م)

وَالعُمْــــرُ غَـــضٌّ وَالــــشَّبَا
بُ إلى مَـــشِيبِي مَــا وَشَـــى بِـــي
كَـــانَ الـــصِّبَا سَـــيْفًا فَجَـــرَّ(م)
دَهُ مَـــشِيبِي مِـــن قِرَابِـــي
وَالحِـــبُّ مِـــسْكِيُّ اللَّمَـــى
بَـــدْرِيُّ مَـــا تَحْـــتَ الـــنِّقَابِ
يَغْـــدُوا عَقِيقَـــيَّ الْمُقَـــبَّـــ
(م) ـــلِ خَنْدَرِيـــسِيَّ الرُّضَـــابِ
وَقَـــوَامُه فَـــوْقَ الـــرَّوَا
دِفِ غُـــصْنُ بَـــانٍ في هِـــضَابِ
وَغَرِيـــــــرَةٌ أَجْفَانُهَـــــا
مِـــثْلُ القَوَاضِـــبِ في الـــضِّرَابِ
وَخُـــدُودُهَا الـــتُّفَاحُ حَـــا
شَـــا صَـــوْنِه يُدْعَـــى بِحَابِـــي
فَـــإِذَا أَمَطـــتَ خِمَارَهـــا[1]
فَالـــشَّمْسُ مِـــنْ خَلْـــفِ الـــضَّبَابِ
كَـــمْ لَـــيْلَةٍ نَادَمْـــتُهَا
وَالـــسَّعْدُ يَخْدُمُنِـــي رِكَابِـــي
نَاوَلْـــتُها كَأْسًـــا حَـــوَتْ
خَمْـــرًا مِـــن الـــذَّهَبِ الْمُـــذَابِ

---

(١) بالأصل، و(ب): فإذا تلوث خمارها. وفي (ه): «فإذا تلوث» واخترت ما في (ز). والبيت برمته ساقط من (أ).

وَرَشَـــفْتُ مِـــنها رِيقَــــةً
يَـــشْفَى بِهَـــا أَلَـــمُ الْمُـــصَابِ
قَالَـــتْ بِحَقِّـــكَ أَيُّمَــــا
أَشْـــهَى شَـــرَابُكَ أَمْ شَـــرَابِي؟!
قُلْـــتُ الرُّضَـــابُ أَلَـــذُّ مِـــنْ
كَـــأْسِ الْمُـــدَامَ وَلاَ أُحَابِـــي
فَغَـــدَا زَمَـــانُ صَـــبَابَتِي
زَمَـــنٌ مَحَـــاهُ باغْتِـــصَابِ
وَأَمَـــرُّ مِـــنْ هَـــذَا، ومِـــن
هَـــذَا وَذَا، فَقْـــدُ الـــصِّحَاب
فَارَقْـــتُ مِـــنْهُم سَـــادَةً
أُسْـــدًا، وَصِـــرْتُ إِلَى ضِـــبَاب
وعَـــدِمْتُ أُنْـــسَ أُنَاسِـــهِمْ
وَبَقِـــيتُ فِي صُـــوَرِ الْبَرَابِـــي
مِـــنْ أَيْـــن تَـــسْرِ وَرَوْعَتِـــي
وشَـــرَابُ عُمْـــرِيَ كَالـــشَّرَابِ؟!
بـــالأَمْسِ فِي الأَتْـــرَاب كُـــنْـ
ـــتُ، وَفِـــي غَـــدٍ تَحْـــتَ التُّرَاب
ســـتُّونَ عَامًـــا أَصْـــبَحَتْ
خَلْفِـــي، وَحَـــيْنِي فِـــي طِلاَبِـــي

وَقَـــرِيحَتِي قَـــدْ أُجْـــبِلَتْ
مِنِّـــي، وَنَـــابُ الفِكْـــرِ نَـــابِ[1]

لَكِـــــنَّ حَقَّـــــكَ وَاجِـــــبٌ
فَلِـــذَاكَ لُـــذْتُ بِكُـــلِّ بَـــابِ

فَأَتَـــــيْتُ بالقِـــــشْرِ الَّـــــذِي
هُـــوَ قِـــشْرُ ذَيَّـــاكَ اللُّـــبابِ

أَقْـــسَمْتُ لَـــوْ كَـــانَ ابْـــنُ عَـــبَّـــ
(م) ـــــادٍ رَآكَ لَعَـــادَ صَـــابِي

فاسْـــــلَمْ لِـــــنَظْمِ قَـــــصَائِد
قَـــدْ أَخْجَلَـــتْ نَغَـــمَ الـــرَّبَابِ

إن شاء الله تعالى.

وكـتب هو إلي، وقد رزقني الله تعالى من فضله ولدًا ذكرًا في ليلة الأحد تاسع عشرين صفر سنة ٧٤٣. [وسميته محمدًا، وكنيته أبا بكر، ولقبته تاج الدين[2]] (من السريع)

مَـــوْلَايَ هُنِّـــئْتَ بِهَـــا لَـــيْلَةً
ظَلَامُهَـــا أَطْلَـــعَ بَـــدْرَ الـــتَّمَامِ

وَدُمْـــتَ تَحْظَـــى بِـــبُلُوغِ المُنَـــى
وَالْـــأَمْنِ فِي الدُّنْـــيَا وَنَـــيْلِ المَـــرَامِ

قَـــدْ سَـــرَّ قَلْـــبَ الْعَـــبْدِ يَـــا مَالكِي
قَـــوْلُكَ يَـــا بُـــشْرَايَ هَـــذَا غُلَامٌ[3]

---

(١) هكذا بالأصل: ورواية النسخ الأخرى: «وناب الفكر نابي».

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، و(ب) (والزيادة عن: (أ ، ز ، م).

(٣) مأخوذ من قوله تعالى: «وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم، فأدلى دلوه، قال: يا
=

وكتب هو إلي أيضاً في المعنى:

(من الكامل)

هُنِّئْتَ يَا مَلِكَ الفَضَائِلِ وَالْعُلاَ
وَالْمَكْرُمَاتِ، وَصَاحِبَ النَّادِي النَّدِي

بِأَعَزِّ مَوْلُودٍ لأَنْجَبِ وَالِدِ
نَظَمَ السِّيَادَةَ فِي سُلُوكِ السُّؤْدُدِ

حَيَّتْكَ طَلْعَتُهُ الْمُنِيرَةُ سُحْرَةً
فِي طَالِعٍ وَافَى بِأَسْعَدِ مَوْلِدِ

فَهُوَ الْحَمَامَةُ غَرَّدَتْ فِي صُبْحِهَا
لِتَسُرَّ سَامِعَهَا بِعَيْشٍ أَرْغَدِ

إِذْ لِلْمَلاَئِكِ بِالسَّمَاءِ بَشَائِرٌ
بِالعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ لِلْمُتَجَهِّدِ[1]

وَاللهُ قَدْ نَادَى: عِبَادِيَ مَنْ لَهُ
قَصْدٌ يَقُلْهُ، فَجُودُنَا لِلْمُجْتَدِي

قَمَرٌ تَوَدُّ الشَّمْسُ إِنْ هِيَ دَايَةٌ
لِمِهَادِهِ الأَوْطَا تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

وَتَمَنَّتِ الْجَوْزَاءُ أَنَّ نُجُومَهَا
عِقْدٌ تُقَبِّلُ مِنْهُ جِيدَ الْأَغْيَدِ

وَرَجَتْ ثُرَيَّا الأُفْقِ لو أَضْحَتْ لَهُ
عِوَضَ النِّثَارِ عَلَى سَرِيرِ الفَرْقَدِ

بشرى هذا غلام»، الآية (١٩: يوسف).

(١) «والغفران للمتهجد» في (ب، ر، م). والرسالة برمتها ساقطة من (أ).

هَـــذَا عَلَـــى اسْـــمِ اللهِ واسْـــمِ نَبِيِّه
وَافَـــاكَ يُـــشْعِرُ بالـــبَقَاءِ الـــسَّرْمَدِي

هُـــوَ يَـــا مُـــشِيرَ الخَيْـــرِ باسْمِ مُحَمَّد
فَـــاللهُ يَعْـــضِدُهُ بِجَـــاهِ مُحمَّـــدِ

وَيُـــدِيمُ ظِلَّـــكَ لِلوَلِـــيِ وَلِلْعِـــدَى
لِـــيُغَاثَ مَلْهُـــوفٌ وَيُكْـــبَتَ مُعْـــتَدِي

وَلَـــكَ الفُـــتُوَّةُ إِنْ سَتَرْتَ قُصُورَ مَنْ
آوَى لِـــبَابٍ مِـــنْ حِجَـــاكَ مُـــشَيَّدِ

فَأَجَـــلُّ مَـــا أُدْلِـــي بِـــهِ أَنِّـــي إِذًا
عَـــبْدٌ تُوَدِّبُنِـــي وأَنْـــتَ سَـــيِّدِي

لاَ زِلْـــتَ تَلْقَـــى كُـــلَّ يَـــوْمٍ غُـــرَّةً
غَـــرَّاءَ تُهْـــدَى كَـــيْ بِـــنُورِكَ نَهْتَدِي

يُقبِّلُ الأرضَ معتذراً، ويقومُ من وَظائف عبوديته بما يُصبحُ به على التقــصير مُقتــصراً. ويسألُ اللــهَ تعالى أن يُحْيِيَ مولانا إلى أن يرى الــسرورَ من أولاده، «وكان الله على كل شيء مقتدرا[(١)]»؛ وينهي أنه أحق من جميع غلمان مولانا بالفرح بطلعة مخدومه الجديد، وأولاهم بأن يأخــذَ حظّــه من البشرى قُرنت بعيد غيرِ بَعيد. فأهلاً به من مولود تــشتهي الثُّــريا أن لو كانت قلادةً علَى تَراقيه، وتتمنى الزُّهرة أن لو كانت عِوَضَ دايته التي تُراقيه. دلّ بُزوغُ نجمه على راية الفرح، ورواية الفرج، ودخل بخروجه السرورُ إلى الصدور؛ فنفى ما كانت تحذره من الحرج. فاللــهُ تعالى هو المسئولُ أن لا يُخْلِيَ مسامعَ سيدي من بشائر

(١) اقتباس من الآية: (٤٥: الكهف).

الأنباء، ولا يَحْجُبَ عن بصره الشريف غُررَ نجباء الأبناء، وأن يجعلَ بابَهُ العاليِ بالفضل والفضائل رفيعَ الدعائم، وأن يُمتِّعَ بجوده الذي إذا عزم الوليّ على مجاراته ناداه تَقْصيرُه (علَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِم[1]). بمنه وكرمه، إن شاءالله تعالى.

فكتبت أنا الجوابَ عن ذلك.

وكتب هو إليّ وقد وقف على مديحٍ نظمته في سيدنا محمد رسول الله ﷺ :

(من الرمل)

يَــا إِمَامًــا قَــدْ أَتَــى العِــزُّ إِلَــى
بَابَــــهِ يــــنْقَادُ فِي أَرْسَــــانِهِ
لَــوْ رَآكَ المُــصْطَفَى فِي عَــصْرِهِ
مُثبِــتًا فُقْــتَ عَلَــى حَــسَّانِهِ
بِمَــدِيحٍ فِــيهِ قَــدْ جِــئْتَ بِــهِ
بَعْــدَ مَــا جَــاءَ فَتَــى غَــسَّانِهِ
إِنَّ دَهْــرًا سُــدْتَ فِــيهِ سَــيِّدِي
نَاظِــرٌ أَنْــتَ ضِــيَا إِنْــسَانِهِ
عَــبْدُكَ الــشَّاكِرُ وَافَــى سَــائِلاً
كَــيْفَ مَــوْلاَنَا عَلَــى إِحْــسَانِهِ؟!

وكتب إليّ قرين ماءِ وَرْدٍ أهداه:

(١) صدر بيت للمتنبي – مطلع قصيدته – وتمامه (ديوانه ٣/٣٧٨):

علــى قــدر أهــل العزم تأتي العزائم ... وتــأتي علــى قــدر الكــرام المكــارم

(من الرجز)

يَـا سَـيِّدًا تَجْلُـو ثَـنَايَا فَـضْله
لظَامِـئِ الأَكْـبَادِ بَـرْدًا مِـن بَـرَدْ
ومَـنْ إِذَا (مَـا)[1] لَمَـسَتْ يَمِيـنُهُ
جَمْـرَ الغَـضَا مِـنَ النَّدَى الغَمْرِ بَرَدْ
كَـانَ لَكُمْ عِنْدِيَ فِيمَا (قد)[2] مَضَى
وَعْـدٌ بِمَـاءِ الـوَرْدِ لَكِـنْ مَا وَرَدْ
وَالآنَ قَـدْ وَافَـى فَقَابَـل كَـسْرَهُ
بالجَبْـرِ لاَ يَخْجـلُ إِنْ جَـاءَ وَرَدْ
وَعِـشْ مَـدَى الدَّهرِ صَلاَحًا لِلْوَرَى
تُـصْلِحُ مِـنْ حَـالِ الْأَنَـامِ مَا فَسَدْ
في نِعْمَـــةٍ وَافِـــرةٍ مَدِيـــدَة
تُكْـبتُ فِـيهَا بالـبَقَاءِ مَـنْ حَـسَدْ
يَـا خَيْـرَ رُوحٍ لِلْعُـلا ظَاهِـرَة
كَـمْ أَنْعَـشْتَ لِلْمَكْرُمَاتِ مِن جَسَدْ

وكتب هو إلى قرين جُبن صرخديٍّ أهداه (لي)[3]:

(من الخفيف)

يَـا شُـجَاعَ العُلومِ وَالجُودِ وَالفَضْـ
ـلِ، وَشَـيْخَ الوُجُـودِ فِي كُلِّ فَنِّ

---

(١) زيادة يقتضيها الوزن من (أ، ب، ز، م).

(٢) زيادة يتطلبها وزن الرجز من (أ، ز، م) والرواية في (ب): «كان لي عندكم فيما مضى».

(٣) الزيادة عن الدرر الكامنة: ٢٤٧/٤، وقد ذكر فيها البيتان التاليان.

قَــدْ تَجَاسَــرْتُ فِي الهَدِيةِ فاصْفحْ[1]
بِالتَّغَاضِــي، واسْــتُرْ بِحِلْمِــكَ جُبْنِي

فكتبت أنا الجواب إليه: (من الخفيف)

حَاشَــا للهِ أَنْ يُــرَى مِــنْكَ جُــبْنٌ
وَمَعَالِــيكَ قَــدْ حَــوَتْ كُــلَّ حُسْنِ
وَكَــرِيمُ الأَقْــوَامِ فَهْــوَ شُــجَاعٌ
والْبَخِــيلُ الْــذِي تَــرَدَّى بِجُــبْنِ

محمــدُ بن مُحمد بن محمد بن أَحْمَدَ [بن عبد الله بن محمد[2]] بن يحيى، الشيخُ الإمامُ الحَافظ الرُّحَلَةُ المحدث الأديب الكاتب الناظم الناثر فتح الدين أبو الفتح بن الشيخ الإمام المُقْرى أبي عمرو بن الإمام العلامة **أبي بكر بن سيد الناس اليعمري**[*].

كتبت أنا إليه من دمشق المحروسة سنة تسع وعشرين وسبعمائة[3]:

(من الخفيف)

كَــانَ سَمْعِي فِي مِصْرَ بِالشَّيخ فَتْح الدِّ
يــنِ يَجْنِــي الآدَابَ وَهْــيَ شَــهِيَّه
يَــا لَهَــا غُــرْبَةٌ بِــأَرْضِ دِمَــشْقٍ
أَعْوَزَتْنِــي الفَــوَاكِهَ الفَتْحِــيَّه

---

(١) «فاسمح»: بالدرر.

(٢) الزيادة من (أعيان العصر)، و(الدرر) وغيرهما.

(*) المتوفى سنة ٧٣٤هـ. له ترجمة في: (البدر الطالع ٢/٢٤٩، والدرر: ٤/٣٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٩/٢٦٨، وفوات ٢/٢٤٤، والوافي: ١/٢٨٩، وأعيان العصر: ١١/٢٥ب وما بعدها) إلى غير ذلك من المصادر.

(٣) وردت الرسالة في (الوافي: ١/٣٠٢). وذكر البيتان التاليان في (أعيان ١١/٣٣ب).

يُقبلُ الأرضَ، ويُنهي بعد وصف شوقه، وقلقه الذي شاب منه عمر طاقته (وشب عمرُه عن طوقه)[1]، ودموعه التي جاء طوفانُها من تحت ناظـره ومن فوقه، وفكرِه التي بلّدت ذهَنه فقدم ما كان اكتسبه بمصر من حَلاوة ذوقه.

(من السريع)

وَحَالَتِـي أَنْـتَ بِهَـا شَـاهِدٌ
إِنْ كُـنْتَ فِي الـوُدِّ كَمَـا يَنْبَغِـي

ويذكـرُ محبَّتَهَ التي يشهدُ بها نارُ البرقِ ودمعُ الغمامه، وولاءه الذي تـسجعُ بـه في الغصون الحمامه، وثناءه الذي يجرُّ النسيمُ ذيلَه، ويشقُّ الزَّهـرُ كمامَـه – أنه فارق مصر ومولانا، فعدم البحرين، وفقد ذلك الفضاءَ وحُنُوَّه عن البَرين، ورعى النجوَم فلو رَعَتْ له عهدًا لطار إليك منها بجناح النَّسْرَيْن، وتذكر عُهودَه السالفة فقابل أنهارَ دمشقَ من سائل دمعه بنَهْرين.

(من البسيط)

وَمَـنْ يُفَـارِقْ كَمَا فَارَقْتُ مِنْكَ فَلَمْ
يَعْـدَمْ سِوَى جَلَدِي إِنْ كَانَ لِي جَلَدُ
لاَ صَـبَّرَ اللهُ قَلْبِـي فِي مُـصِيبَتِه
إِنْ حَـلَّ مِثْلُكَ عِنْدِي فِي الوَرَى أَحَدُ

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك.

وكتبت أنا إليه من رحبة مالك بن طوقٍ في سنة ثلاثين وسبعمائة[2]:

---

(١) مأخوذ من المثل العربي: «شب عمرو عن الطوق» . وهو مثل قاله حذيمة الأبرش. وعمرو: هو ابن أخته، وهو عمرو بن عدي بن نصر. انظر (الحيوان: ٢٠٩/٦)، و(نهاية الأرب: ٣٦/٣)، و(مجمع الأمثال: ١٣٧/٢) برواية: «كبر عمرو عن الطوق»

(٢) القصيدة مذكورة في (أعيان العصر: ٣٤/١١).

(من الطويل)

سَـلُوا نَـسْمَةَ الوَادِي إِذَا هِيَ هَبَّتِ
سُـحَيْرًا، وَهَـزَّتْ فِي الرُّبَا كُلَّ أَيْكَةِ

فَكَـمْ لِـيَ فِي أَثْـنَائِهَا مِـنْ رِسَـالَةٍ
أُضَـمِّنُهَا شَـوْقِي إِلَـيْكُمْ وَوَحْشَتِي

وَمَـا طَـابَ رَيَّاهَـا إِلَى أَنْ تَضَمَّنَتْ
ثَنَائِـي عَلَـى عَلْـيَاكُمُ وَتَحِيَّتِـي

إِذَا عَانَقَـتْ فِي الـرَّوْضِ أَغْصَانَ بَانَةٍ
حَكَـتْ خَطَـرَاتِ الغِيدِ لَـمَّا تَثَنَّتِ

وإِنْ نَـبَّهَتْ وُرْقَ الحَمَـائِمِ أَعْلَـنَتْ
وَأَغْـنَتْ عَـنِ الأَوْتَارِ[1] لَـمَّا تَغَنَّتِ

وإِنْ سَـحَبَتْ ذَيْـلاً بِمُنْعَـرِجِ اللِّوى
تَحُـلُّ عُـرَى أَزْهَـارِهِ حَيْثُ حَلَّتِ

وَمَـا صَـافَحَتْ وَجْـهَ الرِّيَاضِ وإِنَّمَا
تُقَـبِّلُ مِـنْ أَوْطَـانِكُمْ كُـلَّ تُـرْبَةِ

فَمُـنُّوا بِإِهْـدَاءِ الـسَّلام علـى فَتًى
تَـرَدَّدُ مِـنه الـرُّوحُ فِي جِسْمِ مَيِّتِ

يُقَـبِّلُ مِـنْ فَـرْطِ الجَـوَى عَتَبَاتِكُمْ
وذَلِـكَ فَـرْضٌ عِـنْدَهُ غَيْـرُ سُـنَّةِ

---

(١) بالأصل: «عن الأوثار» بالتصحيف.

وَيَنْشُرُ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ عَلَيْكُمُ
مَحَاسِنَ يُنْسِي نَشْرُهَا كُلَّ رَوْضَةِ
وَيَبْكِي إِذَا مَا اسْتَخْبَرَ البَرْقُ عَنْكُمُ
وَقَدْ بَسِمَتْ مِنْهُ ثُغُورُ الدُّجُنَّةِ
وإِنْ رتَّلَ[١] الذِّكْرَى تَدَاعَتْ صَبَابَةً
لَهُ الوُرْقُ فَارْتَاحَتْ وَنَاحَتْ وَحَنَّتِ
وَلَمَّا رَأَتْ رِيحُ الصَّبَا مَا تُكِنُّهُ
أَضَالعُه، اعْتَلَّتْ لِذَاكَ ورَقَّتِ
رَعَى اللهُ أَيَّامًا تَقَضَّتْ بِقُرْبِكُمْ
وَحَيَّى مَحَلاً كُنتمُ فِيهِ جِيرتِي
وَلاَ شَكَرَ الرَّحْمَنُ أَيَّامَ بَيْنِنَا
فَلَيْسَتْ سَوَاءً وَالَّتِي قَبْلُ وَلَّتِ
وَلَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ الخَئُونُ الَّذي قَضَتْ
صُرُوفُ لَيَالِيهِ بِبَيْنِي وَفُرْقَتِي
لَمَا سِرْتُ عَنْ ذَاكَ الجَنَابِ الَّذِي حَوَى
مِنَ الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ كُلَّ عَظِيمَةِ
وَلَوْ كَانَ يُشْرَى القُرْبُ بِالنَّفْسِ مَا غَلا
وَمَنْ لِيَ لَوْ نِلْتُ المُنَى بِمَنِيَّتِي
عَسَى الدَّهْرُ أَنْ يُدْنِي إِلى ظِلِّ قُرْبِكُم
مُحِبًّا رَأَى فِي البُعْدِ كُلَّ مَشَقَّةِ

(١) بالأصل: «وإن رتل» بالتصحيف.

وَوَاللهِ مَـا حَالَـتْ عَنِ العَهْدِ مُهْجَتِي
وَكَـمْ مُـرْهِفَاتٍ لَـوْ تَسلَّتْ لَسُلَّتِ

وَمَـا ضَـرَّكُمْ لَوْ زَارَ طَيْفُ خَيَالِكُمْ
فَخَفَّـفَ مِـنْ وَجْـدِي وَنَفَّسَ كُرْبَتِي

وَكَـيْفَ يَخُـوضُ الطَّيْفُ لُجَّ مَدَامِعِي
وَمِـن بَعْـدِكُمْ لم تَعْرِفِ النَّوْمَ مُقْلَتِي

فكتب هو الجواب إليَّ عن ذلك[1]: (من الطويل)

مَنَـنْتَ بِنُعْمَـيَ بَلَّغَـتْ كُـلَّ مُنْـيَةٍ
وَنِلْـتُ بِهَـا الْمَأْمُـولَ قَـبْلَ مَنِيَّتِي

وَأَهْـدَتْ إِلى قَلْبِـي الْجَـرِيحِ قَرَارَهُ
وَجَـادَتْ عَلَـى طَرْفِـي القَرِيحِ بِقُرَّةِ

مُـشَرَّفَةٌ لَـمْ يَـأْتِ عَـصْرٌ بِمِـثْلِهَا
سَـقَتْ دَارَ مُهْـدِيها سَـوَافِحَ عَبْرَتِي

وَصَـلْتَ بِهَـا عَهْـدَ المَسَرَّةِ مُحْسِنًا
وَأَنْعَمْـتَ لِـي مِـنْهَا بِأَحْسَنِ وُصْلَةِ

وَشَـرَّفْتَ مِنْ ذِكْرِي، وَشَنَّفْتَ مِسْمَعِي،
وَأَعْلَيْتَ مِنْ قَدْرِي، وَأَغْلَيْتَ[2] قِيمَتِي،

فَهَـا أَنَـا مِـنْهَا في صُـعُودٍ كَأَنَّمَـا
أُحَـاوِلُ مَـا بَيْنَ الكَوَاكِبِ ثُوْرَتِي[3]

(١) ورد الجواب برمته في (أعيان العصر: ١١/٣٥، ٣٦).
(٢) بالأصل: «وأعليت قيمتي» واخترت عبارة النسخ الأخرى، وأعيان.
(٣) «ثروتي» في: (ز). و«ثورتي» في: (أ ، ب ، م ، وأعيان). والبيت مأخوذ من قول أبي تمام (ديوانه: ١/٢١٠):

وَأَهْدَيْــتُها عَــذْرَاء بِالْحُــسْنِ أُفْرِدَتْ
وَمَــا بَــيْنَ أَغْــصَانِ الْيَــرَاعِ تَثَنَّتِ

جَلَــتْ كُــلَّ مَعْنَــى مِنْ بَديعكَ بَاهِرٍ
وَأَبْــدَتْ فُــنُونًا مِــنْ عُلُومِكَ جَلَّتِ

وَنَــادتْ فَلَبَّــتْهَا المَعَانِــي مُجِيــبَةً
وَلَــوْ غَيْــرُهَا نَــادَى الْمَعَــانِي لَنَدَّتِ

حَــوَتْ قَــصَبَاتِ السَّبْقِ فِي كُلِّ غَايَةٍ
فَلَــمْ تَــكُ فِــيهَا كَالَّتِــي قَبْلُ كَلَّتِ

فَمِــنْ دُرِّ نظــمٍ لاَ يُــسَامُ لِمُفْلِــسٍ
وَمِــنْ نَثْــرِ دُرٍّ لاَ يُــسَامَى بِنَثْــرَةِ

وَمِــنْ وَشْــيِ خَــطٍّ فيه نُزْهَةُ نَاظِرِي
وَمِــنْ سِــحْرِ مَعْنًى فِيهِ أَنْشَأْتُ نَشْأَتِي

إِلَــيْكَ صَــلاَحَ الدِّينِ أَشْكُو صَبَابَتِي
وَأَرْفَــعُ فِــيمَا رَابَــنِي مِــنْكَ قِصَّتِي

أَقُــولُ بِــأَنَّ القَلْــبَ مَــثْوَاكَ دَائِمًا
وَأَشْــكُو إِلَــيْكَ الشَّوْقَ فِي كُلِّ لَحْظَةِ

وَأَشْــكُرُ أَيَّامًــا تَقَــضَّتْ بِقُــرْبِكُمْ
وقَــلَّ لَهَــا شُــكْرِي وإِنْ هِيَ جَلَّتِ

وَأَشْــكُو لَــكَ الأيــامَ تِلْــكَ بِعَيْنِهَا
فَأَعْجَــبُ مِنْ شُكْرِي لَــهَا وَشَكِيَّتِي

مكــارم لجــت في علــو كأنهــا
تحــاول ثــأرًا عــند بعض الكواكب

تَـصَدَّتْ لَـنَا بالوَصْـلِ تُطْعِمُـنَا بِه
فَلَمَّـا أَجَبْـنَاهَا تَجَـنَّتْ وَصَـدَّتِ
وَلَـوْ أَنَّهَـا مَـنَّتْ بِطُـولِ بَقَائِهَـا
جَنَيْـنَا ثِمَـارَ الوَصْلِ مِنْ حَيْثُ مَنَّتِ
لَعَمْـرِيَ أشْـواقي إِلَـيْكَ شَـدِيدَةٌ
فَهَـلْ تُفْـرِجُ الأَيَّـامُ بالقُرْبِ كُرْبَتِي
وإنِّـيَ لَـمَّـا سِـرْتُ عَنِّي وإِنْ أَكُنْ
بِـدَارِي، لِبُعْدِي عَنْكَ، في دَارِ غُرْبَتِي
تَـنَاءَيْتَ عَـنْ طَرْفِي وَأَنْتَ بِمُهْجَتِي
فَهَابَـصَرِي يِـشْكُو إِلَـيْكَ بَصِيرَتِي

يُقَـبِّلُ كذا، ويُنهي ورودَ المشرف فأكرمْ به واردا، وأعززْ به عليّ وافدا، يجلو على الأبصار ما شاء من زَيْن، ويُحلّي عن البصائر ما ساء مـن رَيْن، حائزاً من نظمه ونثره ربحَ الصناعتين، فائزاً من سحر بيانه ودُرِّ بنانه بأمد الشَّرَفَيْن، والسَّبْقِ في الطرفين، والاستيلاءِ على الأمدين، والاستعلاء على الصدفين.

فمدّ المَملوكُ إليه راحتَه، واستمد منه راحته [وألقى لديه انشراحه، ونـال به على الدنيا اقتراحه[1]]، بعد ما وَجَد من فراق من به وَجَد، وقد أضرَمَ بقلبه من نار الخليل لفقد الخليل ما وَقَد، فراح كليمَ اشتياق في أليم احتراق، ينادي بلسان الأشواق: (من المنسرح)

قَـدْ لَـسَعَتْ حَـيَّةُ الـنَّوَى كَبِدي
وَلا طَبِـيـبٌ لَهَـا وَلاَ رَاقِ

---

(١) الزيادة عن (ز).

فوافـــته وقـــد شطّت المزار، وتناءى عنه المزار، تحيةٌ باهى بلطفها الصبا، وباهرَ بحسنها شمسَ الضحى، وبعَرْفها زهرَ الربا، فقال يا بُشرايَ بعهـــدها الـــوفيّ، وجمالها اليُوسفيّ، أَصَدَرَتْ عن بشرٍ أم ملك، أم عن مَلك البلاغةِ الذي مَلك مِن دُرِّ القولِ ما ملك، وترك لغيره من مَخْشَلَبِه ما ترك؟!

وأما فقده – حرسه الله تعالى – وهو بدمشقَ الفواكهَ الفتحَيه، فقد وقـــف المملـــوكُ على ما تضمنته تلك التحية، وهزت منه عطفاً لتلك الأرْيَحَـــية، وإنما يُجتَنَى، كما قال المقر الشهابي – حرسه الله – من غرس بدا صلاحُه، ورَوَّض فلاحه، وتفتّح زهرُه، فراق اختتامُه بالمسك وافتتاحه.

المملوك يلتمس التشريف بخدمه ومراسيمه ومُهماته، والله يُحرسُهُ في حركاته وسكناته، إن شاء الله تعالى.

وكتبت أنا إليه الجواب عن ذلك[1].

(من المنْسرح)

أَهْـــلاً بِهَـــا مِـــنْ تَحِـــيَّةٍ صَـــدَرَتْ
عَـــنْ رَاحَـــةٍ بالفَـــضَائِلِ اشْـــتَهَرَتْ

يَـــا حُـــسْنَ مَـــا سَـــطَّرَتْ أَنامِلُهَـــا
وَلُطْـــفَ مَـــا نَظَمَـــتْ وَمَـــا نَثَـــرَتْ

فَضَـــضْتُ عَـــنْهَا خِـــتَامَهَا فَـــإِذَا
بالـــشَّمْسِ في حَـــضْرَتي وَقَدْ سَفَرَتْ

فَـــشَرَّفَتْنِي، وَشَـــنَّفَتْ أُذُنِـــي
بِـــدُرِّ أَلْفَاظِهَـــا الَّـــتي بَهَـــرَتْ

(١) ذكر الجواب كاملاً في (أعيان العصر: ١١/٣٦-٣٨) وورد مطلع القصيدة فقط (بالدرر: ٤/٤٣٣).

أسْـــتَغْفِرُ اللهَ لَـــو تُقَابِلُهَـــا الـــنُّـ
(م) ـــجُـــومُ خَـــرَّتْ للأَرْضِ وَانْكَدَرَتْ
وَلَـــــوْ دَرَتْ نَـــسْمَةٌ بِـــرِقَّتِها
جَفَّـــتْ غُـــصُونُ الـــرُّبَا إِذَا خَطَرَتْ
فَلَـــيْسَ لِلْمُقْلَـــةِ الكَحِـــيلَةِ مَـــا
تَفْعَـــلُ أَلْفَاظُهَـــا الَّـــتِي سَـــحَرَتْ
وَلاَ لِكَـــأْسِ الْمُـــدَامِ نَـــشْوَتُهَا
فِي أَنْفُـــسٍ مِـــنْ سُـــلاَفِها سَـــكَرَتْ
لِـــلأَدَبِ الْغَـــضِّ فِي حَدِيقَـــتِها
أَزَاهِـــرٌ مِـــنْ نُهَـــاكَ قَـــدْ مُطِـــرَتْ
بِالْغَـــتَ فِي سِـــحْرِكَ الحَلَـــالِ فَقَـــدْ
نَظَّمْـــتَ زُهْـــرَ الدُّجَـــى وَمَا شَعَرَتْ
وَزِدْتَ لُطْفَـــا، فَهَـــلْ بَعَـــثْتَ بِهَـــا
نَفْحَـــةَ رَوْضٍ مَـــعَ الـــصَّبَاحِ سَرَتْ؟!
سُـــبْحَانَ مُعْطِـــيكَ فِطْـــرَةً غَلَـــبَتْ
علـــى بَدِيـــعِ الكَـــلاَمِ واقْـــتَدَرَتْ
وَرَاحَـــةً مَـــا انْطَـــوَتْ عَلَـــى قَلَـــمٍ
إِلاَّ وَوَشَّـــــتْ مَطَارِفَـــــا نُـــشِرَتْ
مَـــنْ ذَا الَّـــذِي فِي العُـــلاَ يُطَاوِلُهَـــا
وَهْـــيَ عَلَـــى ذِي المَحَاسِـــنِ اقْتَصَرَتْ
لا مُـــتِّعَتْ مُقْلَتِـــي بِـــرُؤْيَتِهَا
إِنْ نَظَـــرَتْ مِـــثْلَها أَوِ انْتَظَـــرَتْ

مُـــذْ بَـــرَدَتْ حُرْقَتِـــي تَحيَّـــتُهَا
تَلَـــتْ شِـــفَاهِي الـــدُّعَا وَمَـــا فَتَرَتْ
وَأَصْـــبَحَتْ أَدْمُـــعٌ، أُكَفْكِفُهَـــا
يَـــا جِـــيرَةَ النِّـــيلِ، كالفُرَاتِ جَرَتْ
والـــنَّفْسُ لم تَـــسْتَعِرْ مَحَبَّـــتَكُمْ
لَكِـــنَّهَا بالـــصَّبَابَةِ اسْـــتَعَرَتْ
يَـــا سَـــيِّدَ الـــنَّاس وابْـــنَ سَـــيِّدِهِمْ
دِيَـــارُ مِـــصْرٍ بِفَـــضْلِكَ افْتَخَـــرَتْ
إِذْ أَنْـــتَ فِي رَبْعِهَـــا تَقُـــومُ بِحِفْـــظ
(م) سُـــنَّةِ الْمُـــصْطَفَى إِذَا ذُكِـــرَتْ
هُنِّئْـــتَهَا رُتْـــبَةً ظَفِـــرْتَ بِهَـــا
خُطَـــا بَنِـــي الْعِلْـــمِ دُونَهَـــا قَصُرَتْ

يُقَـــبِّلُ الأرضَ الـــتي مجالسُ العلم بها مشهودة، وبركاتُها مشهورة، وكتبُ السنة الشريفة منصوصة، وكتائبُها منصوره، ونفائسُ الآدابِ بها مسرودة، ونفوسُ أهلِها مسروره.

(من الخفيف)

فَهْـــيَ أَرْضٌ تُطَـــاوِلُ الأُفْـــقَ فَخْـــرًا
إِذْ عَلَـــيْهَا مَـــسْعَاكَ دُونَ الْـــبِقَاعِ

والقدَمَ التي إذا خطَتْ يكاد يسعى إليها المنبر(١)، ويوطئها قدْرُها العليُّ خدَّ مَنْ فسد ومن برّ، ويمسحُ أخمصها إذا سعت في المعالي عن برٍّ عنبر.

(١) من قول البحتري من قصيدة في مدح المتوكل (ديوانه ص/١٠٧٣)، (الوساطة/٣٠٦) والرواية من الأخير:

ولو أن مُشتاقا تكلّف فوق ما   فـــي وُسْعِـــه لسعـــى إليك المِنبرُ

(من الخفيف)

قَـــدَمٌ تَـــسْتَقِلُّ نَعْـــلَ الثُّـــرَيَّا
مُـــذْ تَـــرَقَّتْ فِـــي سَامِيَاتِ المَسَاعِي

والـــيدَ التي لو أرادت لنالت الكواكب، وأخجلت بجُودها الغيوثَ الهوامعَ والسُّحبَ السّواكب، وحملت راياتِ فخارِها التي تزدحمُ تحت ظلِّها في السيادة مناكبُ المواكب: (من الخفيف)

رَاحَـــةٌ تَـــشْرُفُ الـــشِّفَاهُ إذَا مَـــا
قَبَّلَـــتْهَا لِلفَـــضْلِ بِالإجْمَـــاعِ

تقبـــيلَ مُحبٌّ ظفر بوصال حبيبه، وأمكنته الفرصةُ بغفلة كاشحه وغيْـــبةِ رقيبه، فهو يصلُ القُبلةَ بالقُبله ويشفُع النّهلةَ بالعلة. ويستمرُّ[1] علـــى ولائه الذي (يَراه على طول المدى خير صاحب)، ويحافظُ على ولائـــه الـــذي (به تُعرف العُشّاق عند الحبائب)، ويبث من ثنائه الذي (يضوعُ شذاه في الصَّبا والجنائب).

ويـــصفُ أشواقَه التي لا يعلمُ قرارَها إلا الذي أوْجبها وقرَّرها، ولا يـــدري قَدرَها إلا الذي حكم بها وقدّرها، ولا يعرف ألَمها إلا القلبُ الذي لَمَّها، ولا يَخبُرُ ضيمَها إلا الفؤادُ الذي ضمّها، فهي الأشواقُ التي اســـتعارت الجحـــيمُ استعارها، ونفت عن الجفون قرّها وعن الجوانح قرارَها، وأعدمت النفسَ في الصباح صلاحهَا وفي المساء مسارها.

(من الخفيف)

وَحَنِينِـــي إذَا تَـــصَدَّى لِنَفْـــسِي
صَـــدَّ لَهْـــوِي عَـــنِ ارْتِيَادِ ارْتِيَاحِي[2]

---

(١) على هيئة الشعر في الأصل. وسجلت ما في النسخ الأخرى، وأعيان.

(٢) ذكرت الأبيات الخمسة في (جناد الجلس/ ٤٧) والرواية في البيت الأول: «لي حنين».

عَلَّمَ الوُرْقَ حُزْنَهَا فَهْيَ فِي الأَوْ
رَاقِ تَتْلُوهُ فِي نَوَاحِي النُّوَاحِ
لاَ يَرُدُّ الجَوَى اغْتِبَاطَ اغْتِبَاقِ
مِنْ حَنِينِي، وَلاَ اصْطِبَارَ اصْطِبَاحِي
يَا لَهَا هَفْوَةً مَسِيرِيَ عَنْكُمْ
قَذَفَتْ بِي إِلَى اطِّرَادِ اطِّرَاحِي
وَدَرَتْ أَنَّنِي لِيَ الذَّنْبُ فِي البُعْدِ
(م) فَجَازَتْ على اجْتِرَاء اجْتِرَاحِي

فآهاً على الديار المصرية وأوقاتها، وسقياً لمعاهد أُنْسها لنفسها ولذّاتها لذاتها[1]، وَرَعْياً لتلك المنازل التي (لا تَخرجُ الأقمارُ عن هالاتها)[2]، وحفظاً لتلك الوجود التي (للشَّمْسِ أَضْوَاءٌ عَلَى جَبَهَاتِهَا)[3] وشكراً لتلك النفوس التي (المجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى عَلاَّتها)[4]. (من الكامل)

(ذُكِرَ الأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً
كُنْتَ البَدِيعَ الفَرْدَ مِنْ أَبْيَاتِهَا[5])

---

(١) على هيئة الشعر في الأصل. واخترت ما في النسخ الأخرى، وأعيان العصر.

(٢) عجز بيت للمتنبي (ديوانه ١/٢٣٣) وتمامه:

أعيا زوالك عن محل نلته ... لا تخرج الأقمار من هالاتها

(٣) لعله مأخوذ من قول المتنبي (ديوانه ١/٢٢٨):

أقبلتها غرر الجياد كأنما ... أيدي بني عمران في جبهاتها

(٤) عجز بيت للمتنبي بديوانه (١/٢٣٠) وتمامه:

تلك النفوس الغالبات على العلا ... والمجد يغلبها على شهواتها

(٥) بالأصل: «فكن قصيدة، أنت البديع». والتصويب من (ب، وديوان المتنبي) والبيت له من قصيدته التي مطلعها: (ديوانه ١/٢٢٥):

=

وما أقولُ، بل ما أنتظرُ إلا نظرةً شهابيَّة، ولا أترقبُ إلا همَةً عَدَوِّيةً عمرية، تُنقذني من نار هذه الغُربة، وتُعيدني إلى خير عالم وألطف تُربه، وتـــتعطفُ علـــى مَنْ غدرت به أيامهُ ولياليه، وأتى كما حكمت عليه الأقدارُ بذنب عقابه فيه[1].

(من الخفيف)

فَكَأَنّـــي بِهَـــا كَمَـــا عَوَّدَتْنـــي
عَطَفَـــتْها عَلَـــيَّ تِلْـــكَ المَعَاطِـــفْ
ثُـــمَّ قَالَـــتْ دَعْـــوهُ يَحْظَـــى بِوَصْلِي
إذْ لَـــه مُـــدَّةٌ عَلَـــى الـــبَابِ واقِـــفْ

فللـــه عزماتُها التي إذا شاءت جمعت بين الضَّبِّ والنون، وأبْدلَتْ بـــالمنى مواردَ المنون، وما ذلك عليها بمشيئة اللـــه بعزيزٍ ولاعتيد، وما هي إلا كلمةٌ تدخل بالمملوك إلى دار السعادة كما عودت من باب البريد.

وأمـــا المثالُ العالي – أعلاه الله تعالى وجعل القلوبَ في علي قدره علـــى المحـــبة تتوالى – فأعودُ إلى وصفه نثراً، واستعيرُ من كلماته في تقـــريظه دُرّاً، فأقول: إنه اشتمل على المحاسن، وغدا أُنموذجَ الجنة التي خَمـــرُها غـــيرُ مغتال، وماؤها غيرُ آسن[2]، تقطرُ البلاغةُ من كَلمه، وتـــشفُّ الفصاحةُ منْ وراء ما سطر بقلمه، وتُغني رياضُه الناضرةُ عن أراك الحمى وعن سَلَمِه، ويهزُّ الواقفُ على معانيه بالطرب من فَرْعه إلى

ســـرب محاســـنه حـــرمت ذواقـــا		داني الـــصفات بعـــيد موصـــوفاتها

(١) مأخوذ من قول الشاعر:

وأرض لمـــن غـــاب عـــنك غيبـــته		فـــذاك ذنـــب عقابـــه فـــيه

(٢) مأخوذ من قوله تعالى في وصف الجنة: «فيها أنهار من ماء غير آسن» من الآية (١٥ : محمد).

قدمه، يتحيَّرُ الناظرُ فيه لتردده بين روض وأُفق، ويتخَّيرُ الماهرُ من لفظه تاجاً لَفرقٍ أو قلادةً لعنق.

(من الخفيف)

(قُــلْ فكَــمْ مِــنْ جَوَاهِــرٍ بِــنِظَامٍ
وَدُّهَــا أنَّهــا بفِــيكَ كَــلاَمُ)[1]

وأمـــا عُـــبوديةُ المملوك التي تقدمت، فوالله ما توهّم أن سيدي – حرسه الله تعالى – يتكلفُ لها جواباً، ولا يفتحُ من بيوت نظمه المصون لهذه الطارقَة باباً، ولو تحقّق هذا الأمرُ أعطاها حيَلَه وحَيْلَه، وشدّ على شنّ الإغارةَ على المعاني الجامحة خَيْله، وأعمل فكرَه في تهذيب ما يُهديه حـــتى يُقـــالَ هذا كتابُ ليلة وألف ليله. ولما كان هذا مقامَ افتراص، واقتـــناء لجواهـــر كَلِمِ سيدي واقتناص، بعث بهذه العبودية طمعاً في الجواب الثاني، وعوّذها من الشَّأم بعطف مولانا الذي لا يثنيه عن الخير ولا الجبرِ ثان، ولله المعريُّ حيث قال:

(من الخفيف)

(قَــدْ أجَبْــنَا قَــوْلَ الــشَّرِيفِ بِقَوْلٍ
فَأَثَبْــنَا الحَــصَى عَــنِ المَــرْجَانِ)[2]

والله يمتعُ الأنامَ بحياته التي هي جملةُ الأماني، ويديمُ فضائلَه التي لا توجدُ إلا في العقد ولا تُوخَذُ إلا من الأغاني. بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى.

فكتب هو الجواب إلى عن ذلك[3]:

---

(١) البيت للمتنبي من قصيدة في مدح علي بن أحمد المري الخرساني، مطلعها (ديوانه ٤/٩٢).

لا افـــتخار إلا لمـــن لا يـــضام مـــدرك أو محـــارب لا يـــنام

(٢) بديوانه (سقط الزند/ ٩٨) برواية: «أثبنا» وقد سبق هذا البيت في الجزء الأول ١٣٤.

(٣) وردت الرسالة برمتها في (أعيان: ١١/٣٨ب – ٤٠ب). وذكر البيت الأول والثاني من =

(من المنسرح)

حَـيَّتْ فَأَحْـيَتْ فَعِـنْدَمَا حَـسَرَتْ
خمارَهَـا، كُـلُّ مُهْجَـةٍ سَـحَرَتْ
يَـا خَجْلَـةَ الـشَّمْسِ عِنْدَمَا سَفَرَتْ
وغُـصَّةَ الغُـصْنِ كُلَّمَـا خَطَـرَتْ
وَفِتْـنَةَ الظَّبْـيِ عِـنْدَ لَفْتَـتِهَا
وَحَيْـرَةَ الـرِّيمِ كُلَّمَـا نَظَـرَتْ
مَـا كُـنْتُ أَسْـلو جَمَالَهَـا أَبـدًا
لَـوْلاَ الَّـتي بالجَمَـالِ قَـدْ بَهَـرَتْ
عَقِـيلَةٌ تَـسْلُبُ العُقُـولَ، فَهَـا
أَلْبَابُـنَا مِـنْ بَـدِيعِهَا سَـكِرَتْ
جَـاءَتْ فَجَـادَتْ بِكُـلِّ مُطْـرِبَةٍ
تُطْـوَى لَهـا الـبِيدُ كُلَّمـا نُشِرَتْ
سَـمَاءُ مَجْـدٍ سَـمَتْ بِبَهْجَـتِهَا
وَصَـدْرُ[1] أَهْـلِ الزَّمَانِ قَدْ صَدَرَتْ
مُخَمَّـرةُ الحُـسْنِ فِي حُلَـى شَـفَقٍ
تَخْـضرُ فِـي حُـسْنِهَا وَقَدْ حَضَرَتْ
أَبْـيَاتُهَا مِـنْ عُقُـودِهَا نُظِمَـتْ
وَنَثْـرُهَا لِلْكَـوَاكِبِ انْتَـثَرَتْ

مطلع القصيدة في (الدرر الكامنة ٤ ٣٣٤).

(١) بالأصل: «قد صدر أهل الزمان قد صدرت». واخترت ما في النسخ الأخرى لاستقامة المعنى والوزن.

لابْـنِ جَـلاَ مَـا جَلَـتْهُ مِـنْ دُرَرٍ
وَابْـنِ هِـلاَلٍ بَدِيـعُ مَـا سَـطَرَتْ
يَـا حَـبَّذَا لِلـصَّلاَحِ نِـسْبَتُهَا
خَلِيلُهَا مَـنْ بِـهِ العُـلاَ افْتَخَـرَتْ
يَـا رَوْضَ فَـضْلٍ غُـصُونُهُ زَهَـرَتْ
وَحَبْـرَ عِلْـمٍ بِحَـارُهُ زَخَـرَتْ
سَـرَتْ فَعَـيْنُ الـسُّرُورِ مَـا نَظَرَتْ
فِي دَوْحَـةِ الأُنْـسِ أَغْـصُناً نَضَرَتْ
وَلاَ نَـسِيمُ الـصَّبَا سَـرَتْ سَـحَراً
إِلا كَـذَاتِ الهَجِـيرِ إِذْ هَجَـرَتْ
وَلاَ تَغَـنَّتْ فِي الأَيْـكِ سَـاجِعَةٌ
فَأَطْلَقَـتْ مُـوثَقاً وَلاَ أَسَـرَتْ
وَلاَ ثَنَتْـنَا لِلـرَّاحِ غَانِـيَةٌ
أَوْتَارُهَـا وَاللِّحَـاظُ كَـمْ وَتَـرَتْ
وَلاَ سَـمَتْ مُقْلَـةُ المَـشُوقِ إِلَـى
لُقْـيَاكَ نَحْـوَ الْمَـنَامِ مُـذْ سَمَرَتْ
يَـا عَجَـباً مِـنْ بِحَـارِ عَبْـرَتِهِ
مَـا أَخْمَـدَتْ نَـارَهُ الَّتِـي اسْتَعَرَتْ
كَـدَّرْتَ مُـذْ غِـبْتَ عَـنْهُ عِيشَتَهُ
فَـيَا لأُنْـسٍ نُجُـومُهُ انْكَـدَرَتْ
عَلَـى هَـوَاكَ القُلُـوبُ قَـدْ فُطِرَتْ
لَـوْلاَ تَمَنِّـي لِقَائِـكَ انْفَطَـرَتْ

يَـا مُقْلَـةً مُـنْذُ غِبْـتُمُ سَـخُنَتْ
هَـل عيـشَةٌ إنْ حَضَرْتُمُ حَضَرَتْ؟!
وَيَـا حَـيَاةً صَـفَتْ بِقُـرْبِكُمُ
هَـلْ يُرْتَجَـى عَـوْدُهَا وَمَا كَدُرَتْ؟!

يُقَبِّلُ اليدَ العالية الصلاحيَّةَ، لازالت صالحةَ الشِّيَم، سافحةَ الدِّيَم، بل الباسطةَ الكريمةَ لا برحت واسطةَ عِقْدِ الكرَم، بل الأرضَ المُنيفةَ بحلوله لافتتت مواطنَ النعم ومواطئَ أولى الهمم.

(من مجزوء الكامل)

تَقْبِـيلَ مَـلآنِ الجَـنَا
نِ بِـوُدِّهِ دُونَ الأُمَـمْ
مُتَـنَدِّمٌ لِفِـرَاقِه
لَـوْ كَـانَ يَـنْفَعُهُ النَّـدَمْ
يَـشْتَاقُ مِـنْ تِلْقَائِـه
وَلَـوَ انَّـهُ طَـيْفٌ أَلَـمْ
لَـوْ كَـانَ يَطْـرُقُه الكَـرَى
لَكِـنَّهُ لَمَّـا يَـنَمْ
لَهْفِـي عَلَـى عَـصْرٍ بِـه
وَلِيٌّ حَمِـيدًا لَـمْ يُـذَمْ
شَـوْقِي لَـه شَـوْقَ الْعلِـيلِ
(م) لِمَـا شَـفَاهُ مِـنَ السَّـقَمْ
شُـكْرِي لَـهُ شُـكْرَ الـرِّيَا
ضِ السُّحبَ جَـادَتْ بِالـدِّيَمْ

ذكـــرى لأيَّـــامٍ بِـــه
مَـــرَّتْ كمَـــا مَـــرَّ الحُلُـــمْ
وَحَلَـــتْ كمـــا مَـــرَّتْ لَـــيا
لِ للـــشَّرِيفِ بِـــذِي سَـــلَم

وينهـــي ورودَ المُشرِّفَةَ العاليةَ قدراً، الحاليةَ من البدائع الروائع دُرّاً، المـــونقةَ في رياض الفصاحة زَهْراً، المُطلعةَ في سماء البلاغة زُهراً. فكلفَ بها كلفَ عمرو بعَرارِه، والفَرزدق بنوارِه[1]، وأقسم من طِرْسها بحُمرة الـــشّفق، ومن نفسها بالليل وما وَسَق، ومن غُرر معانيها السامية على غير معانيها بالقمر إذا اتّسق، لتليت على أهل البلاغة فظلت أعناقُهم لها خاضعين، وجُليت على أرباب اليراعةِ وألبابِ البراعة فقَالتا أتَيْنا طائعين[2]،

---

(١) عمرو المذكور: هو عمرو بن شأس بن عبيد بن ذؤيبة الأسدي، وقصته مع امرأته أم حسان، حية بنت الحارث بن سعد، وابنه عرار بن عمرو، مشهورة؛ وكانت امرأته تؤذي ابنه وتعيره بسواده (وكان ابن أمة سوداء). فلما أعيت عمراً قال فيها شعراً منه (الأغاني ١١/١٩٤، والأمالي ٢/٢١٠).

أرادت عـــراراً بالهـــوان، ومـــن يرد		عـــرارًا، لعمـــري، بالهـــوان فقـــد ظلم
فـــإن كـــنت مني أو تريدين صحبتي		فكـــوني لـــه كالـــسمن ربّـــتْ له الأدم

وقد تمثل به أبو تمام في قوله (ديوانه ٢/٢٠٥):

ورأى بـــه مـــا لم يكـــن يـــوماً رأى		عمـــرو بـــن شـــأس قـــبله بعـــرار

وعلى ذكر الفرزدق ووجده بامرأته، يقول أبوتمام:

فـــإذا ابـــن كافـــرة يـــسر بكفـــره		وجـــدًا كـــوجد فـــرزدق بـــنوار

(٢) في العبارات السابقة اقتباس قوله تعالى: **﴿فلا أقسم بالشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق...﴾** الأيات (١٦-١٨: الانشقاق)، وقوله تعالى: **﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾** الأية (٤: الشعراء). وقوله تعالى:

انقياداً لطُفَيْل أعنتها، وتبرِّيًا من مُطاعنة أبي بَراء ملاعب أسنّتها[1]، كلٌّ يلمحُهـا بطـرف كلـيل، وشخصٍ ضئيل، ويرجعُ عن مجاراتها بأملٍ حسير، وقلب كسير، فلا تجري في ميدانها خيلُ طراده، ولو قام مقامَ قُسٌّ في إيادِه. وأين حميمُه من حُمّياها؟، أم أين سُهَيْله من ثرياها؟! لشدَّ مـا ارتفعـتْ منها المطالع، وانقطعتْ دونها المطامع، فما الظنُّ بوخيد يحتاج إلى الذمام، وربيط في الرّغام لا عهد له بالتعبير في السرايا، ولا أُنس لـه بالدخول في القَتام، أن يجول في حَلْبة الرِّهان، أو يطولَ إلى مقاتـل الفرسان، أو يسابق بسُكَيْته مُجلّى الميدان، أو يناطقَ بباطل عيِّه من سحب ذيلاً على سَحْبان. وهل يُستفادُ تلك المَواد، من غير ذلك المُـواد؟!، وهل استولى على أمد تلك الجواد غيرُ ذلك الجواد؟!، ولن يكاثـرَ البحارَ الزواخرَ مَنْ وِرْدُه الثّماد، ولن يطاولَ الأنجمَ الزواهرَ من قـرارتُه الـوهاد، فما يفوه السليم الصدق، إلا بالتسليم لذلك السبق، والتعظـيم لذلك الحق، اعترافاً بما حواه رافعُ ذلك المنار، وجامع تلك المبار.

وأما أمرُهُ بالمُسارعة إلى المُراجعة، والمُعاجلة على المُساجله، وما غادر

﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا. قالتا: أتينا طائعين﴾ (١١: فصلت).

(١) ملاعب الأسنة هو: عامر بن مالك بن جعفر، من بني صعصعة. ويكنى أبا البراء. وإنما لقب بملاعب الأسنة، لقول أوس بن حجر فيه:

يلاعب أطراف الأسنة عامر ... فراح له حظ الكتائب أجمع

انظر في ترجمته (نهاية الأرب: ٢٧٥/٧).

أما قوله. انقياداً لطفيل أعنتها، فلعله يقصد هنا عامر بن طفيل، من بني عامر بن صعصعة. قاد قومه في غارات كثيرة على بني غطفان ومذحج، انظر ترجمته في (بروكلمان: ١١٧/١).

لغيره من مُتَرَدَّم[1]، ولو شن على الآداب غارةَ ربيعةَ بنِ مُكَدَّم[2]، فلم يرجع المملوكُ إلى جوابُ ينجدُه، وخطاب يُسعفه بالمراد ويُسعده، إلا التمثل بقول القائل[3]. (من الكامل)

وَأَخَــذْتَ أَطْــرَافَ الكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ
قَــوْلاً يُقَــالُ وَلاَ بَــدِيعًا يُدَّعَـــى

وأمـــا تمـــثُّله ببيت أبي العلاء مع ما هو فيه من علو المكان، وإثابته بـــزعمه الحَصا عن المَرجان، فما مُكاثَرةُ بالأدب، وعيونُه تنسل إليه من كـــلِّ حدب، إلا المُكاثر بياءي أنسيان، بل لعله ــ حرسه الله تعالى ــ (ممـــن[4]) عَنَّ له المرورُ ببلاد ابن عُنَيْن، بلادٍ بها الحصباء دُرٌّ[5]، أو ثنى

---

(١) مأخوذ من قول عنترة (ديوانه/١٥، وشرح المعلقات/ ١٩١):

هــل غــادر الشعراء من متردم
أم هــل عرفت الدار بعد توهم؟!

(٢) ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة؛ أحد فرسان مضر المعدودين، وشجعائهم المشهورين (الأغاني ٥٦/١٦). وللسري الرفاء مخاطباً أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي؛ وقد سمع أن الشاعرين الخالدين يريدان الرجوع إلى بغداد؛ وذلك أيام الوزير المهلبي، قوله (ديوانه/٤١. ومعاهد التنصيص ١١/٤):

ورد العــراق ربــيعة بــن مكــدم
وعتــيبة بــن الحــارث بــن شــهاب

شـــنا علـــى الآداب أقـــبح غـــارة
جـــرحت قلـــوب محاســـن الآداب

(٣) لعله الحطيئة. فمن شعره (ديوانه/ ٢١٠) و(خزانة البغدادي ٢٩٥/٣):

وأخــذت أطــرار الكــلام فلم تدع
شــتما يــضر ولا مــديحاً يــنفع

من قصيدة في مدح عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ مطلعها:

يأيهـــا الملــك الــذي أمــست لــه
بــصرى وعــزة ســهلها والأجــرع

(٤) زيادة من (ر).

(٥) يقصد إلى قول ابن عنين المتوفى سنة ٦٣٠هـــ (نفح الطيب ٩٧/١)، (خزانة الحموي/٢٦٤).

=

عِنانَه إلى منزل ابنِ اللَّبانة[1].

(من الطويل)

نَـــزَلْنَا بِكَافُــورٍ وتِبْــرٍ وجَوْهَــرٍ
يُقَــالُ لَــهُ الحَــصْبَاءُ والرَّمْلُ وَالتُّرْبُ

أو اجتاز بنهر أخي مناز، وحصاه تروعُ حاليةَ العَذارى[2]، فوِرْدُه وأمــواجُه تطَّرد، إما يردّ أو يبترد. لكنه عاكسَهم في التشبيه، ونافسهم في الـــتمويه، فاستعبد كلامَهم كلامُه الحر، وكان ما جاء به من الحصا أنفـــسَ مما جاءوا به من الدر، فتأخروا وإن تقدموا، وتقدم وإن تأخر، وكانت بدائهُهُ لبدائه سواه تَسْحَر، وبدائعهُ من بدائع مَن عداه تَسْخَر.

وأما تشبُّثُهُ بالهمة الشّهابيّة، وتشوفُه إلى العزْمة العدَوية، فلابد بمشيئة الله تعـــالى، أن تُعـــديَ العَدوية قربَه على بعاده، وتَعمُرَ العمريَّةُ أرجاءَ رجائـــه بعوده إلى معَاده، والقَطْرُ يسبقُ الدِّيَمَ السَواجم[3] والزهرُ يَعْبقُ

دمـــشق بـــنا شـــوق إلـــيك مُبَـــرِّحٌ	وإن لج واش أو ألح عـــــــــــذول
بـــلاد بهـــا الحـــصباءُ درٌّ، وتـــربها	عنـــبرٌ، وأنفـــاسُ الـــرياح شـــمول

(١) ابن اللبانة هو: أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد، اللخمي الأندلسي، الشاعر المتوفى سنة ٥٠٧هـ (فوات ٢/٥١٤).

(٢) أخي مناز، هو: أبونصر أحمد بن يوسف السليكي، المنازي الكاتب، المتوفى سنة ٤٣٧هـ (وفيات ١/١٢٦). وابن سيد الناس في رسالته يشير إلى قول المنازي (وفيات الأعيان ١/١٢٦، وخزانة الحموي /٦٣) – وتنسب الأبيات نفسها في (معجم الأدباء: ١٠/٢٧٦) إلى خنساء المغرب: حمدة بنتزياد بن تقي:

وقانـــا لفحـــة الرمـــضاء واد	ســقاه مـــضاعف الغـــيث العمـــيم
تـــروح حـــصاه حالـــية العـــذارى	فـــتلمس جانـــب العقـــد النظـــيم

(٣) مأخوذ من قول البحتري:

وما انشقت عنه الكمائم.

(من الطويل)

وإن رجاء كـامناً فـي جميله   لكالمال في الأكياس تحت الخواتم[1].

والله تعـالى يُعمِّرُ ببقائه أنداءه، ويُيسِّر بلقائه أودّاءه، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى.

وكتـبت أنـا إلـيه مـن دمشق المحروسة في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة[2]:

(من الخفيف)

يَـا عَـذُولاً في لَـوْمِهِ قَـدْ تَفَـصَّحْ
وَيَـرى أَنَّـهُ بِـذَاكَ تَنَـصَّحْ

لَـيْسَ عِـنْدِي مِنَ الجَوَى بِي جَوَابٌ
هَـذِهِ أَدْمُعِـي تَقُـولُ وَتَـشْرَحْ

قِـفْ عَلَى غَيْرِ مِسْمَعِي، واسْأَلِ الصَّبْرَ
(م) فَمَـا عِـنْدَهُ سِوى، اللـهُ يَفْتَحْ

كَـمْ يُـنَادِي الـسُّلُوَّ بِالحَرْبِ أَوْلَى
وَيُـنَادِي الغَـرَامَ بِالـصُّلْحِ أَصْلَحْ

وأزرق الفجـر يـبدو قـبل أبيـضه   وأول الغـيث قطـر ثم ينـسكب

(١) البيت غير معزو في (معاهد التنصيص ٢/١٣٤، والغيث ٢/٩٧) ورواية الشطر الأول فيهما: «وإن رجاء كاملاً في نواله».

(٢) القصيدة مذكورة في (أعيان العصر: ١١/٤٠ب). وورد منها في (جنان الجناس/٤٧، ٤٨) تسعة أبيات من قوله: «إن نقس خطه بروض ندى» إلى قوله: «بل أراها بالحسن أملى وأملح». كما ذكر منها في (درة الأسلاك ٢/٢٥٠) خمسة أبيات من قوله: «كيف صبري على أرض مصر وفيها» والأبيات الأربعة التي تليه. والبيت الأخير من القصيدة.

قِـسْتُ بَـيْنَ الـسُّلُوِّ والوَجْدِ حَتَّى
صَــحَّ أنَّ الغَــرَامَ أرْجَــى وأرجَــحْ
كَـيْفَ صَـبْرِي عَن أرْضِ مِصْرَ وَفِيهَا
لِـيَ قَـوْمٌ أسْـمَى الأنَام وَأسْمَحْ؟!
لَـوْ تَعَاطـى الجِـبَالُ كَـأسَ حَديث
عَـنْهُمُ، مَـالَ عِطْفُهَـا وَتَـرَنَّحْ
هَـاتِ قُـلْ لِي مِنْ أيْنَ تَلْقَى لِفَتْحِ الدِّ
(م) يـنِ مِـثْلاً إنْ كُـنْتَ للحـقِّ تَجْنَحْ
خَـادِمٌ سُـنَّةَ النَّبِـيَّ وَهَـذَا الْـــ
فَـضْلُ[1] ألجَى يَوْمَ الحِسَابِ وأنْجَحْ
كُلَّمَــا خَــطَّ بالْيَــرَاعِ حَدِيـثًا
كَبَّــرَ اللهُ فِي الطُّـــرُوسِ وَسَـبَّحْ
إنْ تَقِــسْ خَطَّــهُ بِـرَوْضٍ نَـدِيٍّ
صَـحَّ هَـذَا، وَجَـفَّ ذَاكَ وَصَـوَّحْ
كُـلُّ عَـيْنٍ كَأنَّهَـا طَـرْفُ حِـبٍّ
مَـا تَوَقَّـى الفُـؤَادُ لَمَّـا تَـوَقَّحْ
أيُّ قَلْـبٍ بِـالهَمِّ والحُـزْنِ يَـصْدَى
وَحَمَـامُ الأسْـجَاعِ مِـنْ فِيهِ يَصْدَحْ
بِــنِظَامٍ كالــدُّرِّ لَمَّـا تَنَقَّــى
وَمَعَــانٍ كالــسِّحْرِ لَمَّـا تَـنَقَّحْ؟!

(١) في درة الأسلاك: خادم ملة النبي وهذاالفعل...".

لَوْ يُجَارِي بَرْقَ الدُّجَى مَا تَنَحَّى
أَوْ يُبَارِي قُسَّ النُّهَى مَا تَنَحْنَحْ

لاَ أُكَفِّرُ قَوْلِي إِذْ قُلْتُ: دَهْرِي
قَدْ تَوَشَّى مِنْ فَضْلِه وَتَوَشَّحْ

مَا رِيَاضٌ قَضِيبُهَا قَدْ تَلَوَّى
فِيهِ زَهْرٌ يُزْهَى بِلَوْنٍ تَلَوَّحْ

جَادَ قَطْرُ النَّدَى بِهَا وَتَفَنَّى
وَغَدَا وَرْدُ نَصْبِهَا قَدْ تَفَتَّحْ

مِثْلُ أَخْلاَقِهِ الَّتِي قَدْ حَوَاهَا
بَلْ أَرَاهَا بِالْحُسْنِ أَمْلَي وَأَمْلَحْ

قُوبِلَتْ نُسْخَةُ المَعَالِي عَلَيْهَا
وَأَجَازَ الْكَمَالُ ذَاكَ وَصَحَّحْ

آهِ وَاوَحْشَتَا لِذَاكَ الْمُحَيَّا
وَالسَّجَايَا الَّتِي أَبَرُّ وَأَوْضَحْ

لاَ أَرَى فِي الأَنَامِ[1] أَسْعَدَ مِمَّنْ
قَدْ تَمَسَّى بِوَجْهِهِ وَتَصَبَّحْ

فكتب هو الجواب عن ذلك[2]:

---

(١) «لا أرى في الوجود»: بدرة الأسلاك.

(٢) القصيدة كاملة مذكورة في (أعيان العصر: ٤١/١١). وورد منها في (درة الأسلاك ٢/٢٠٥) أربعة أبيات، هي ١-٣، ٥.

(من الخفيف)

صَادِحَاتُ الحَمَامِ في الدَّوْحِ تَصْدَحْ
بغرامي فَالعَيْنُ[1] لِلْبَيْنِ تَسْفَحْ
رَجَّعَتْ شَدْوَهَا فَبَرَّحَ بِي شَوْ
قٌ مُقِيمٌ بِظَاعِنٍ لَيْسَ يَبْرَحْ
فَرَّقَتْ بَيْنَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي
فَهَلِ الدَّهْرُ بالتَّوَاصُلِ يَسْمَحُ؟!
فَتُنَادِي بِكَ الْمُنَى مِنْ قَرِيب
بَعْدَ قَفْرٍ مِنَ التَّبَاعُدِ أفْيَحْ
إنَّ لِي مَطْمَعًا بِقُرْبِكَ[2] يأسُو
مَا غَدا الْيأسُ بالتَّبَاعُدِ يَجْرَحْ
كُلْمَا شَامَ بَارِقَ الشَّأْمِ طَرْفِي
قُلْتُ شَوْقًا لِوَصْلِكَ: اللهُ يَفْتَحْ
وَلِقَلْبِي مِنْهُ خُفُوقٌ وَنَارٌ
وبِطَرْفِي مِنْهُ سَحَائِبُ سُيَّحْ
يَا صَلاَحَ الدِّينِ الَّذي فَاقَ أَهْلَ الْـ
ـعَصْرِ حِلْمًا عَنْهُ الرَّوَاسِي تَزَحْزَحْ
وَبَلِيغًا يَأْتِيهِ مَا رَامَ عَفْوًا
وَفَصِيحًا مَا احْتَاجَ أنْ يَتَفَصَّحْ

---

(١) بالأصل: «فاللعين» بالتحريف.

(٢) بدرة الأسلاك: «مطمعاً إلى القرب».

لَـوْ رَآهُ غَـيْلانُ قَـصَّرَ عَـنْ قَصْـ
ـد بلالٍ، وَصَدَّ عن زَجْرِ صَيْدَحْ[1]
وَفِـرَ الـنَّفسَ عَـن مُنَـى كُلِّ وَفْرٍ
وَرَأى العِلْـمَ مِـنْهُ أرْجَـى وَأرْجَـحْ
وغِـذاءُ الأرْوَاحِ أشْـرَفُ مِمَّـا
تَغْـتَذِيهِ الأجْـسَامُ قَـدْرًا وَأصْـلَحْ
سَـبَّحَ اللهُ مَـنْ رَآكَ إمَامًـا
كَـمْ لَـهُ فِي بَحَـارِ عِلْمِـكَ مَسْبَحْ
حَائِـزًا مِـنْ بَدَائِـعِ ابْنَـيْ هِـلاَلٍ
سِـحْرَ نَثْـرٍ بِـدُرِّ خَـطٍّ مُوَشَّـحْ
كَعَلِـي وَضْـعًا، ورقّـة إبـراهيمَ
طَـبْعًا، بَـلْ أنْـتَ أسْـمَى وَأسْمَحْ
يَـا خَلِـيلَ الآدَابِ مَـا اخْـتَلَّ مِنْهَا
فَالـصَّحِيحُ الَّـذِي عَلَـيْكَ يُـصَحَّحْ
كـم علـى الدهـرِ من حُلاها جَمالٌ
مَـا لِمَـسْرَى مُـؤمِّلٍ فـيه مَسْرَحْ
سِـمْطُهَا فائِـزٌ بِـدُرِّ مَعَـانٍ
سِـقْطُهَا مِـنْ زِنَـادِ فِكْـرِكَ يَقْدَحْ

---

(١) غيلان بن عقبة المشهور بذي الرمة، ستأتي ترجمته قريبًا- وبلال المذكور: هو بلال ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. وفيه يقول ذو الرّمة لناقته صيدح: (ديوانه ١٥٣/٣):

رأيـت الـناس ينـتجعون غيـثًا فقلـت لـصيدح: انتجعـي بـلالاً

كُـلُّ عَـذْرَاءَ تَـسْتَبِي كُـلَّ لُـبٍّ
بِـسَنًا عَـنْ سَـنَاءِ عِلْمِـكَ يَلْمَـحْ
زَارَتِ الـصَّبَّ فِي لَـيَالٍ مِـنَ الْبُعْـ
ـدِ فَلَمَّـا دَنَتْ رَأَى الصُّبْحَ أَصْبَحْ
قَلَّـدَتْ بِالْعِقْـيَانِ سِـحْرَ بَـيَانٍ
لَـيْسَ فِـيهِ لِلْفَـتْحِ بَعْـدَكَ مَطْمَـحْ
خَـتَمَ الـنَّظْمَ مِـنْكَ بَحْـرُ قَرِيضٍ
مَـا أَرَاهُ مِـنْ بَعْـدِ خَـتْمِكَ يُفْـتَحْ

وكتب هو إليَّ، وأنا بصفد المحروسة في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة[1]:

(من الطويل)

سُـرِرْتُمْ فَإِنِّـي بَعْـدَكُمْ غَيْرُ مَسْرُورِ
وَكَمْ لِي عَلَى الأَطْلاَلِ[2] وَقْفَةَ مَهْجُورِ
وَلا حِـسَّ إِلا حِسُّ صَائِحَةِ[3] الصَّدَى
وَلاَ أُنْـسَ إِلاَّ أُنْـسُ عَـنْسٍ وَيَعْفُورِ
فَـيَاوَحْدَةَ الدَّاعِـي صَـدَاهُ جَـوَابُهُ
وَيَـا وَحْـشَةَ السَّاعِي إِلَى غَيْرِ مَعْمُورِ
إِذَا قُلْتُ: سِيرَى، قَالَ: سِيرِي مُحَاكِيًا
وَإِنْ قُلْـتُ: زُورِي، قَالَ لِي مِثْلَهَا زُورِي

---

(١) القصيدة برمتها مذكورة في (أعيان العصر: ٤١/١١ب، والوافي ٢٩٣/١)، وقد ورد منها في (المنهل ق٢، ج٣/٢٩٠) تسعة أبيات هي: (١-٧، ١٠، ١١).

(٢) «على الإطلاق» بالوافي.

(٣) «داعية الصدى» في (المنهل، والوافي).

وَمَــا سَــرَّنِي بالقُــرْبِ أنّي اسْتَزَرْتُهَا
وَلاَ سَــاءَنِي بالــبُعْدِ قَوْلِي لَهَا سِيري

فَــيَاوَيْحَ قَلْبِــي كَــمْ تُعَلِّلُــهُ المُنَــى
عُلاَلَــةَ دُنْــيَا اسْتَعْبَدتْ كلَّ مَغْرورِ[1]

تُواصِــلُ وصلَ الطيفِ في سِنَة الكَرَى
ولَــسْتَ إذا اسْتَيْقظْتَ مِنهُ بِمَحْبُورِ[2]

وَتَدْنُــو دُنُــو الآلِ لا يَــنْفَعُ الصَّدَى
وَيَخْلُــبُ آمَــالاً بِخُلّــبِها الــزُّورِ

تُنِــيلُ المُنَــى مَــنْ سَــالَمَتْهُ خَديعَــةً
وتُعْقِــبُ مِــنْ نَيْلِ المُنَى كُلَّ مَحْذُورِ

فَــدَعْهَا، وَثِــقْ بــالله، فَــالله كَافِلٌ
بِــرِزْقِكَ مَــا أَبْقَــاكَ وَارْضَ بِمَقْدُورِ

وَكُــنْ شَــاكِرًا يُسْرًا، وَبِالعُسْرِ رَاضِيًا
فَأَجْــرُ الرِّضَا والشُّكْرِ أَفْضَلُ مَذْخُورِ

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[3]:

(١) صدر البيت في (ب، والمنهل، والوافي): «... يعلله المنى» . وعجزه بالمنهل: «عُلالة دنيا استعبدت» بالتصحيف.

(٢) صدر البيت «يواصل» بالمنهل، وعجزه بالأصل «بمحبور» ، وفي (ز) «بمهجور» وقد اخترت ما في النسخ الأخرى والوافي.

(٣) القصيدة كاملة مذكورة في (أعيان العصر: ٤٢/١١، والوافي ٢٩٣/١، ٢٩٥) وقد ورد من أولها (بالمنهل) ثلاثة عشر بيتاً. وعلق ابن تغري بردي بقوله بعد ذلك: "والقصيدة طويلة جداً، ومن يطيق يكتب ما ينظمه الشيخ صلاح الدين فإنه من المكثرين". هذا، وقد ذكر في (الغيث ٨٠/٢) من هذه القصيدة، ثلاثة أبيات من قوله: «تشفعت للبين المشت بكم عسى» إلى قوله: «ولو كان الدهر أطوع مأمور».

(من الطويل)

هَـــل الْبَرْقُ قَدْ وَشَّى مَطارِفَ دَيْجُورِ
أَوِ الــصُّبْحُ قَدْ غَشَّى دُجَى الأُفْقِ بِالنُّورِ؟!
وَهَـــلْ نَــسْمَةُ الأَسْحَارِ جَرَّتْ ذُيُولَهَا
عَلى زَهْرِ رَوْضٍ طَيِّبِ النَّشْرِ مَمْطُورِ؟!
وَهَــيْهَاتَ بَــلْ جَــاءَتْ تَحِيَّةُ جِيرَةٍ
إلى مُغْــرَمٍ في قَبْــضَةِ الــبُعْدِ مَأْسُــورِ
أَتَــتْهُ وَمَــا فِــيهِ لِعَائِــدِ سُــقْمِهِ
ســوَى أَنَّــةٍ تَنْــبَثُّ مِنْ قَلْبِ مَقْدُورِ
فَلَمَّـــا تَهَـــادَتْ في حُلِــيٍّ فَــصَاحَةٍ
مِـــنَ النَّظْمِ[1] عَنْ سِحْرِ الْبَلاَغَةِ مَأْثُورِ
أَكَــبَّ عَلَـــى تَقْبِــيلِهَا بَعْــدَ ضَمِّهَا
إِلَـــى خَاطِـــرٍ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ مَكْسُورِ
وَأَجْـــرَى لَـــهَا دَمْعَ الأَمَاقِي وَلَمْ يَكُنْ
يُقَابِـــلُ مَـــنْظُومًا ســـوَاهُ بِمَنْـــثُورِ
فَأَرْشَـــفَهُ كَـــأْسَ الــسُّلاَفِ خِطَابُهَـــا
وَغَازَلَـــهُ مِـــنْ لَحْظِهَـــا[2] أَعْيُنُ الحُورِ
فَكَـــمْ حِكْمَةٍ فيها لَها الحُكْمُ في النُّهى
وَكَـــمْ مَـــثَلٍ في غَايَـــةِ الحُسْنِ مَشْهُورِ

---

(١) «عن النظم» بالمنهل.

(٢) «من خطها» بالمنهل.

يَــرَى كُلَّ شَطْرٍ[1] في مَحَاسِنِ وضْعِه
كَمِـسْكِ عِــذَارٍ فَــوْقَ وَجْنَةِ كَافُورِ
فَــلاَ أَلِــفٌ إلاَّ حَكَــتْ غُــصْنَ بَانَةٍ
وَهَمْــزَتُهَا مِــنْ فَــوْقِهَا مِثْلُ شُحْرُورِ
فَأَصْــبَحَ لاَ يَثْنِــي إلى الــرَّوْضِ جِيدَهُ
غَــرَامًا، وَلَمْ يَعْدِلْ بِهَا وَرْدَهُ الجُورِي
وَقَــدْ كَانَــتِ الأَطْمَاعُ نَامَتْ لِيَأْسِهَا
فَلَمَّــا أَتَــتْ قَــالَ الغَرَامُ له ثُورِي[2]
وَزَادَتْ جُفُــونَ الْعَــيْنِ سُهْدًا كَأَنَّمَا
حَبَــتْهَا بِكُحْــلٍ منه في الجَفْنِ مَذْرُورِ
وَكَــانَ الدُّجَــى كالعَامِ فَاحْتَقَرَتْ بِهِ
وَقَالَــتْ (لَــه)[3] مِيعَادُكَ النَّفْخُ في الصُّورِ
وَلَــمْ تَــرْضَ مِنْ نَارِ الْحَشَا بِاتِّقَادِهَا
فَقَــدْ قَــذَفَتْ في كُــلِّ عُــضْوٍ بِتَنُّورِ
وَمَــا شَكَرَتْ عَيْنِي عَلى سَفْحِ عَبْرَتِي
عَلَــى أَنَّ مَحْصُولَ الْبُكَا غَيْرُ مَحْصُورِ
وَقَالَــتْ: أَمَــا تَخْــبَا الدُّمُوعُ لِشِدَّةٍ
فَــدَعْهَا تَفِضْ من زَاخِرِ اللُّجِّ مَسْجُورِ[4]

(١) يرى كل سطر في (المنهل والوافي).
(٢) «لها سوري» بالمنهل.
(٣) زيادة يقتضيها الوزن من النسخ المساعدة، وأعيان، والوافي.
(٤) «اللج مسحور» في الوافي.

وَلَـــوْ كُـــنْتُ أَلْقَى فِي الْبُكَا فَرَجًا لَمَا
مَـــضَى الْيَوْمُ حَتَّى كُنْتُ أَوَّلَ مَسْرُورِ
أَأَحْبَابَـــنَا عُـــذْرِي عَلَـــى الْبُعْدِ وَاضِحٌ
وَمَـــا كُـــلُّ صَبٍّ فِي البِعَادِ بِمَعْذُورِ[1]
وَلَـــوْ كُنْتُ أَلْقَى الصَّبْرَ هَانَتْ مُصِيبَتِي
وَلَكِـــنَّهُ لِلْحَـــظِّ (فِي)[2] غَيْرِ مَقْدُورِي
فَـــإِنْ تَبْعَـــثُوا لِي مِنَ زَكَاةِ اصْطِبَارِكُمْ
فَإِنِّـــي لِمَـــا تُهْدُونَـــهُ جِـــدُّ مَضْرُورِ
سَـــلُو اللَّـــيْلَ هَـــلْ آنسْتُ فِيهِ بِرَقْدَةٍ
فَمَـــا هُـــوَ مِمَّـــنْ رَاحَ يَشْهَدُ بِالزُّورِ
فَكَـــمْ (لِيَ) فِـــيهِ صَـــعْقَةٌ مُوسَـــوِيَّةٌ
وَلِلْقَلْـــبِ مِـــنْ ذِكْـــرَاكُمْ دَكَّةُ الطُّورِ
تَـــشَفَّعْتُ لِلْبَـــيْنِ الْمُـــشِتِّ بِكُمْ عَسَى
يَعُـــودُ هَـــزِيمُ الْقُرْبِ[3] عَوْدَةَ مَنصورِ
عَلَـــى أَنَّ جَـــاهَ الْحَـــظِّ أَكْـــرَمُ شَافِعٍ
وَلَـــوْلاَهُ لَـــمْ يُحْتَجْ إِلَى بِنْتِ مَنْظُورِ[4]

---

(١) صدر البيت في الأصل «أحبابنا» والتصويب من النسخ المساعدة والمصدرين، للوزن. وعجزه بالأصل أيضاً: «في البعاد بمغرور» والتصويب من (ب والوافي).

(٢) الزيادة من النسخ المساعدة، وأعيان، والوافي. وصدر البيت في (الوافي): «فلو كنت».

(٣) «هزيم الوصل» بالغيث.

(٤) هذا الشطر بتقديم وتأخير مع ما بعده بالوافي. وبنت منظور، هي: خولة ابنة -

وَمَـا هُـوَ إلاَّ الحَـظُّ يَعْتَـرِضُ المُنَى
وَلَـوْلاَهُ كَـانَ الدَّهْـرُ أَطْوَعَ مَأْمُورِ
فَكَـمْ فِي البَـرَايَا بَـيْنَ عَانٍ ومُطْلَقٍ
وَسَـالٍ وَمَحْـزُونٍ، ودَانٍ ومَهْجُـورِ
وَلَـيْسَ سِـوَى التَّـسْلِيمِ لِلّهِ والرِّضَا
بِقَلْـبٍ مُنِـيبٍ طَائِـعٍ غَيْـرِ مَقْهُورِ
وَحَـاشَ لِعَـلاَّمِ الخَفِـيَّاتِ فِي الوَرَى
عَلَـى مَـا ابْتِلاَئِي أنْ أُرَى غَيْرَ مَأْجُورِ

فكتب هو الجواب إلى عن ذلك[1]:

وردت المـشرَّفةُ الـسَّاميةُ بحُلاهـا، الزَّاهيةُ بعُلاها، المُشتملةُ على الأبـيات الأبـيَّات، الـصادرَةُ عن السَّجيَّات السَّخيَّات، التي فاقت الكـنديين، وطوت ذكرَ الطائيين، ما شئت من بدائع إيداع، وروائع إبداع، تقفُ الفصاحةُ عندها، وتقفو البلاغةُ حدها. فلله ذلك الفضل الـوافي، بل ذلك السحرُ الحلالُ الشَّافي، بل تلك القوى في القوافي، بل تلك المقاصدُ التي أقصدت المُنى في المنافي، بل تلك المعاني التي حَيرَّت[2] المعُـاني، وفعلـت في الألـباب ما لا تفعله المثالث والمثاني، بل تلك

منظور بن زبان الفزاري، امرأة عبد الله بن الزبير، وإليها يشير الفرزدق في قوله:

أمـا بـنوه فلـم تـنجح شفاعتهم ... وشـفعت بـنت مـنظور بـن زبانـا
لـيس الـشفيع الذي يأتيك مؤتزرًا ... مـثل الـشفيع الـذي يأتـيك عريانا

انظر هذا الشعر وقصته في (الشعر والشعراء ١/٢٩٥ط ليدن)، و(الأغاني ٢١/٢٨٧)، و(بهجة المجالس ٢/٤٠).

(١) الرسالة مذكورة بأعيان العصر ١١/٤٣، والوافي ١/٢٩٥-٢٩٧.

(٢) بالأصل «حيرت». وبالوافي: «حيرت المعاني» ، وفعلت بالألباب.

الأوضاعُ التي حاك الربيعُ وَشْيها، وامتثل القلمُ أمرَها ونَهْيَها، فهو يُصرِّفُها كيف يشاءُ مرسوماً، ثقةً منه أنها لا تخالفُ له مرسوماً، لقد آل فضل الكتاب إليها، وآلى فصلُ الخطاب لا وَقَفَ[1] إلا بين يديها. لقد صدرت عن رياض الأدب فجنَتْ زهْرَه اليانع، ولقد أخذتْ بآفاق سماء الشرف فلها قَمَراها والنَجومُ الطوالع. لقد أفحمت قائلة:

(من الطويل)

(مَـنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ مَاجِدًا[2])
يَمْلَأُ مِنْ آدَابِهِ كُلَّ ذَنُوبُ[3]
لَقَدْ حَسُنَتْ حَتَّى كَأَنَّ مَحَاسنًا
تَقَسَّمَهَا هَذَا الأَنَامُ، عُيُوبُ
هِيَ الشَّمْسُ تَدْنُو وَهْيَ نَاءٍ مَحَلُّهَا
وَمَا كُلُّ دَانٍ لِلْعَيانِ[4] قَرِيبُ
تخطَّتْ إلى الحُضْرِ الجِيادِ نَباهَةً
وَهَيْهَاتَ مِنْ ذَاكَ الجَنَابِ جنيبُ

---

(١) «لا وقف الشرف إلا بين يديه» في (ب).

(٢) صدر بيت منسوب في (نهاية الأرب) إلى عتبة بن أبي لهب. وفي (الكامل - للمبرد - ١٩٣/١) منسوب إلى الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب. وتمام البيت:

من يساجلني يساجل ماجدًا		يملأ الدلو إلى عقد الكرب

(٣) بالأصل «ذنوب» بضم الباء وكسرها. ولم يستقم البيت على وزن الطويل. والشطر الأول منه على الرمل.

(٤) «دان للعيون» بالواقي. ولعل هذا البيت مأخوذ من قول المجنون (ديوانه/ ٩٧):

أقول لأصحابي هي الشمس ضوءها		قريب ولكن في تناولها بعد

وَحَـيَّتْ، فَأَحْـيَتْ بالأَمَانِـي مُتَـيَّمًا
حَبِـيبٌ إِلَـيهِ أَنْ يُلِـمَّ حَبِـيبُ[١]
يُذَكِّـرُنِى ذاكَ الجَمَـالَ جَمَالُهَـا
فَلَيْلِـى كَمَـا شَـاءَ الغَـرَامُ رَحِيبُ
وَمَـا لِـىَ إِلاَّ أَنَّـةٌ بَعْـدَ أَنَّـةٍ
وَمَـا لِـىَ إِلاَّ زَفْـرَةٌ وَنَحِـيبُ
حَنِيـنًا لِعَهْـدٍ غَـادَرَ القَلْـبُ رَهْنَهُ
وَعَلَّـمَ دَمْـعَ العَـيْنِ كَيْفَ يَصُوبُ
وَذِكْـرَى خَلِيلٍ لَمْ يَغِبْ غَيْرُ شَخْصِه
وَفِى كُـلِّ قَلْـبٍ مِـنْ هَـوَاهُ نَصِيبُ
وَلَـوْلاَ حَـدِيثُ الـنَّفْسِ عَنْهُ بِعَوْدِه
[و][٢] أَنَّ المُنَـى تَدْعُـو بِـهِ فَيُجِيبُ
لَمَـا اسْـتَعْذَبَ المـاءَ الـزُّلاَلَ لأَنَّهُ
إِذَا مَـا زَجَ المَـاءَ الـزُّلاَلَ يَطِـيبُ

فَبادَرَها المملوكُ لبنائها مُعْترفا، وبأَرَجِها مُتَعَرِّفًا، وبولائها مُتَمَسِّكا [وبثنائها مُتمسِّكا][٣]، شَوقا إِليها لا يَبِيد، ولو عَمَّرَ عُمرَ لَبِيد[٤]، واقفًا

(١) الشطر الثاني يذكر بقول أبي فراس الحمداني (ديوانه/٣٩).
أســاء فــزادته الإســاءة خطــوةً حبيب علـى مـا كـان منـه حبيب

(٢) الزيادة من النسخ المساعدة، والواو؛ وهى ضرورة للوزن.

(٣) الزيادة عن غير (ب)؛ والوافر.

(٤) المقصود هو: لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى، الشاعر المشهور. مات في أول خلافة معاوية، وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة انظر. (الشعر والشعراء/١٤٩؟).

علـــى آمال اللّقاء وقُوفَ غَيلان[1] بدار مَيَّة، عاكفًا على أرجاء الرَّجاء عُكــوفَ تَــوْبةَ علــى حُبِّ الأخْيَلِيَّة[2]. والله يتولاّهُ في حالَتَيْه ظاعنًا ومُقـيما، ويجعــلُ السَّعْدَ له حيثُ حلَّ خدينًا[3] والنُّجحَ خديمًا، بمنه وكرمه. إن شاءَ الله تعالى.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[4]: (من الطويل)

تَــنُوحُ حَمَامَــاتُ الّلــوى فأُجِــيبُ
وَيَحْــضُرُ عِــنْدِي عَائــدِي فَأَغِــيبُ

وَقَــدْ مَــلَّ فَــرْشُ السُّقْمِ طُولَ تَقَلُّبِي
عَلَــيْهِ بِجَنْبِــي إِذْ تَهُــبُّ جَــنُوبُ

وَلَمَّــا بَكَــتْ عَيْنِــي نَوَاكَ، تَعَلَّمَتْ
دُمُــوعُ الــسَّحَابِ الغُزِّ كَيْفَ تَصُوبُ

أَيَــا بَــرْقُ إِنْ حَاكَيْتَ قَلْبِي فَلَمْ يَكُنْ
لِــنَارِكَ مَــعْ هَــذَا الخُفُــوقِ لَهِيبُ

ويــا غــيثُ إن جَلْــت دموعي فإنه
يفــوتُك مَــعْ ذا أنَّــةٌ ونَحــيبُ

---

(١) هو غيلان بن عقبة من بني عدى الشاعر الأموى المشهور. الملقب بذى الرمة. وقد كان يشبب بمي بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى. (طبقات فحول الشعراء/ ٤٧٥). قيل إنه مات سنة ١١٧هـــ. (بروكلمان ١/ ٢٢٠).

(٢) المقصودهو: توبة بن الحمير العامرى، أحد المتيمين، صاحب ليلى الأخيلية. قتل سنة ٥٨ هـــ في إحدى الغزوات. انظر (فوات/ ١٨٢، والشعر والشعراء ٢٦٩ ط: أوربا) وليلى هي: بنت عبد الله بن الرحال من بنى عامر بن صعصعة شاعرة أموية، شهرت برثائها (بروكلمان ١/ ٤٢٣).

(٣) في الأصل وغير (ب). «حيث حل حديثا». واخترت ما في ب والوافي.

(٤) الجواب مذكور في: (أعيان العصر ١١/ ٤٣، ٤٤) و(الوافي ١/ ٢٩٧ ـ ٣٠٠).

وَيَــا غُــصْنُ إنْ هَزَّتْ مَعَاطَفَكَ الصَّبَا
فَمَــا لَــك قَلْــبٌ عَــادَ وَهْوَ قَلِيبُ
إذا جــفَّ جفــنِي ذاب قلــبِيَ أدمعًا
فللــه قلــبٌ عــادَ وهْــوَ قَلــيبُ
أبِــيتُ بِجَفْــنٍ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا الكَرَى
وَأَيُّ حَــيَاةٍ بالــسُّهادِ تَطِــيبُ؟
وَقَلْــبٍ إذَا مَــا مَــرَّ عَادَتُــهُ لَــوْعَةٌ
فَيَغْــرُوهُ مِــنْ بَعْــدِ القَــرَارِ وَجِيبُ
ألاَ إنَّ دَهْــرًا قَــدْ رَمَانِــي بِــصرْفه
لَدَهْــرٌ إذَا فَكَّــرْتُ فِــيهِ عَجِــيبُ
وَيَكْفِــي بِأَنِّــي، بَيْنَ أَهْلِي وَمَعْشَرِي
وَصَــحْبِي لِــبُعْدِي عَنْ حِمَاكَ، غَرِيبُ

[يُقَــبِّلِ الأرضَ](١)، ويُنْهِــي وُرودَ المثال تصدَّق به مولانا مُنْعِما، وأهداه خميلةً فكم شفى زَهْرُها المنعَّمُ مَنْ عمَى، وبعثه قلادةً فكم أزالَ دُرُّهــا المنظَّمُ مِن ظَمَا، وأقامَهُ حجَّةً على أنَّ مُرْسلَه يكونُ في الإحسان والآداب مالكًــا وَمُتَمِّما. فبَلَلْتُ برُؤْيته غُلَّةَ الظَّمأ البَرْح، وعايَنْتُ ما شادَهُ من بُنيان البيان فقلتُ لبلقيس عينِي ادْخلي الصَّرح(٢)، وقمتُ من حقــوقه الواجبة علَيَّ بما يَطُولُ فيه الشَّرْح، وتلقَّيتُه بالضَّمِّ إلى قلب لاَ يجْبــرُ مِــنه الكَسرَ غيْرُ الفتْح، وسَمْتُ ناظرى من طرسه في روضه(٣)

(١) الجملة ساقطة من الوافي.
(٢) من قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان مع بلقيس: «قيل لها ادخلى الصرح، فلما رأته حسبته لجة، وكشفت عن ساقيها...» (٤٤ : النمل).
(٣) بالوافي: في الروض الانف.

الأُنف، وقَسَمتُ حُلِيَّةَ على أعضائى فللجيد القلائد، وللفرْق التيجان، ولــلأُذن الــشُّنُف. وَوَرَدْتُ مــنهلَه الصَّافى، والتَحَفْتُ بظلّه الصَّافى، واجْتَلَيْتُ من وجهه بشرًا قابله الشكرُ بالقلم الحافى، وعَكَفْتُ منه على كعــبة الفضل، فلله ما نَشَرَ في استيلامى[1] وطوَى في طوافى، وكلّفتُ قلــبىَ الطائرَ جَوابا، فلم تقْوَ القوادمُ وظهرَ الجوى[2] في الخوافى. وقُلتُ هــذا الفَنُّ الفذُّ الذي ماله ضَرِيب، وهذا وصلُ الحبيبِ البعيدِ قد نِلْتُه برغم الرَّقيبِ القريب،

(من الوافر)

فــيَا عَيْنَــىَّ بِيــتَا في اعْتِــنَاق
وَيــا نَوْمِــى قَــدِمْتَ عَلــى السَّلاَمَه

وأُقــسمُ أنَّ البيانَ ما نكَّبَ عمَّا دَبَّجَهُ مولانا ونكَّت، ولا جراه الله على لسانه إلاَّ لَمَّا سَكَّتَ البُلغاءَ وَبكَّت، ولا أتاه هذه النُّقودَ المطبوعةَ إلاَّ وقــد خَلَّــصَ القلوبَ من رِقٍّ غيره وَفكَّت، ولا وَهبَهُ الله هذه الكَلِمَ الجوامعَ إلاَّ أنَّ الأوائلَ أحسُّوا بطول رسائلهم فقطَعوها من حيثُ رقَّتْ، والــصَحيحُ ركَّت. فما كلُّ كاتبٍ يَدُهُ فمٌ ولسانُه فِيه قَلَم[3]، ولا كلُّ

---

(١) كذا في الأصل وفي (ب). وفي الوافى والنسخ الأخرى: «استلامى» .

(٢) بالأصل: مظهر الخوافى الخوافى. وهى مكررة ثمة واخترت ما في (ب) والوافى.

(٣) لعله يشير إلى قول البحترى (ديوانه ٥٤٨/١):-

مــا كــان قلــبك في سواد جوانحى		فأكون ثم، ولا لسانى في يدى

أو لعله مأخوذ من قول أبي جعفر أحمد اللمائى الكاتب (المغرب ٤٤٧/١):

غـــنى وللإبقـــاع فـــو		ق بـــيان مـــنطقه بـــيان
وكأنمـــا يـــده فـــم		وقـــضيه فـــيها لـــسان

مُـتكلِّم حَسَنٍ بيانه تأْتمُّ الهُدَاةُ به كأنَّه عَلَم[1] ولا كلُّ بليغ إذا خاطب الوَلِّي كَلَّا، أو كلَّمَ العدُوَّ كَلَم، لأن مولانا - حرسه الله - لا يتكلَّفُ إذا أنْـشَى[2]، ولا يتخلَّفُ إذَا وَشَى. والسَّجْعُ عنده أهوَنُ من النَّفَس الـذي يَرُدُّدهُ وأخَفّ، والدُّرُّ الذي يقذفُهُ من رأْسه قلمه أكبرُ من الدُرِّ الذي في قعر البحر وأشفّ، وإذا راض قلَمَه روَّضَ الطُّروسَ من وقته، وإذا أفاض كلمَه فوَّض إليها البيانُ[3] أمْرَ مقَته ومَقْته. وما كَلِمُهُ إلاَّ بحرٌ والقوافي أمْواج، وما قلمُه إلاَّ مَلكُ البلاغَة، فإذا امتطى يدَهُ، ركضَتْ به في الطُّروس على حُلَلِ الدِّيَاج؛ فلهذا أخْمَلَتْ رسائلُه الخمائل، وتعلَّمتْ مـنها الـصَّبا لُطْـفَ الشمائل، وأخذتْ بآفاق البلاغة، فلها أقمارُها الطوالـعُ، ولغيرهـا نجومُها الأوافل، وانتقتْ أعالي الفضائل، وتركت للناس فُضالةَ[4] الأسافل.

(من الوافر)

(وَهَـذَا الحَـقُّ لَـيْسَ بِـه خَفَـاءٌ

فَدَعْنِـي مِـنْ بُنَـيَّات الطَّـرِيقِ)

فأمَّا دُرُّهُ الذي خرطه[5] الجناسُ في ذلك السِّلك، فما أحقَّهُ وأوْلاه

(١) يشير إلى قول الخنساء في رثاء أخيها صخرا (خزانة البغدادى ١/٢٠٨).

وإن صـخرا لـتأتم الهـداة بـه كأنـه علـم في رأسـه نـار

(٢) كذا بالألحان وأعيان. وفي الوافي: «إذا أنشا» .

(٣) بالوافي: «فوض البيان إليها».

(٤) فضالات الأسافل: بالوافي. والبيت الآتي منسوب في (الأغاني ١١/٢٦٥)، للأقيشر. برواية «ودعني». وفي (الأغاني: ٢٠/٣٣٣) منسوب ضمن أبيات لأبي الهندى غالب بن عبد القدوس برواية:

فهـذا الديـن ليس بـه خفـاء دعـوني مـن بينـات الطـريـق.

(٥) الذي خلطه الجناس: بالوافي.

بقول ابن سناءِ الملك:

(من الطويل)

(فَــذَا السَّجْعُ سَجْعٌ لَيْسَ فِي النَّثْرِ مِثْلُهُ
وهــذا جنــاسٌ ليس يُحْسِنُهُ الشِّعْرُ)[1]

فلــو رأى الميكالى[2] نمطَهُ الغالى، وتنسَّم شذًا غاليته العزيز الغالى. لقال عَطَّلتْ هذه المحاسنُ حَالِيَ الحالى، وكنتُ قبلها ما أظنُّ اللآلى إلاَّ لى. ولو ظَفر الحَظيرىُّ[3] بتلكَ الدُرر حلَّى بها نصيفَه، وعلم أَنَّ أَربابَ الجناس لو أَنْفق أَحَدُهم من الكلام ملْءَ الأَرض ذَهَبًا، ما بَلغ مُدَّ مولانا ولا نَصِيفَه[4]..

(١) بديوان ابن سناء (١٥٢)، برواية: «وذا السجع» من قصيدته التي يمدح فيها القاضى الفاضل ومطلعها:

ألا فانتــبه مــن أفقهــا طلع الفجر	وحاشــاك ثم مــن وجهــا ضحك الثغر

(٢) الميكالى، هو: أبو الفضل عبد الرحيم عبيد الله بن أحمد بن على الميكالى، من أسرة فارسية شريفة، كان أديبًا شاعرًا محبًا للشعراء والأدباء، ولعب في ذلك دورًا خطيرًا في خراسان. توفى سنة ٤٣٦هـ. انظر (يتيمة الدهر (٢٤٧/٤)، وبروكلمان (١٩٨/٥).

(٣) الحظيرى هو : أبو المعالى سعد بن على بن القاسم الحظيرى الوراق دلال الكتب، من «الحظيرة»، وهى قرية كبيرة في شمال بغداد، قد عاش بها يتاجر في الكتب. وتوفى سنة ٥٦٨هـ. من مؤلفاته كتاب «زينة الدهر وعصرة أهل العصر» الذي جعله ذيلاً على كتاب «دمية القصر» للباخرزى (وفيات/ ١٠٩/٢).

(٤) يشير إلى الحديث الشريف الذي رواه أبو سعيد الخدرى ﷺ قال: قال النبي ﷺ : «لا تسبوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».
انظر (صحيح البخاري) باب مناقب المهاجرين وفضلهم ج٥ص١١من طبعة الشعب).

ولو بلغ العمادُ الكاتبُ هذه النُكتَ رَفعها على عرشه، وعَوَّذَها بآية الكُرسـي، ودخل دارَ صَمْتِه، وأغلق بَابَ الفَتْح القُدْسي[١]. فعَيْنُ الله على هذه الكَلم التي نَفَثَتْ في العُقَد، وأَيقظتْ جَد هذا الفنِّ الذي كان قد رَقَدَ. فقد أَصاب الناسُ بالسِّهام، وأَصبتَ أنت بالقرطاس، وجاءوا في كلامهم بالـذاوى والذابل[٢] وجئتَ أَنت بالغَضِّ اليانع الغراس، وأبْعَـدْتَ أنـت في مرمى هذا الفنِّ وقاربوا، ولكن أين الناس من هذا الجناس؟!، وسـبَقْتَ إلى الغاية ولو وقفتَ (مَا في وُقُوفكَ سَاعَةً منْ بَـاس)[٣]. وقد قيل بُدئَ الشعرُ بأمير وختم بأمير، يريدون امرأ القَيْس وأبَا فراس[٤]، وكذا أَقول: بُدئَ الجَنَاسُ بالبُسْتِيِّ وخُتم بمولانا وكلا كُما أَبُو الفتح فصح القِياس. وقد أثنيتُ على تلك الروضة ولو وُفِّقتُ لانْثنيتُ وما أَثْنَيْت. ووقفتُ عند قدرى فما أَجَبْتُ، ولكن اقتحتُ وما استَحْيَيت، علـى أني لو وَجَدْتُ لسانًا قائلاً لقلتُ فإني قد وَجَـدتُ أوّل البيت[٥]. وقد شَغَلَ وصْفُ مثالِ مولانا عن شكوى حال

---

(١) يشير إلى كتابه المسمى: (كاب الفيح القسى في الفتح القدسى) نشره لاندبرج في ليدن سنة ١٨٨٨م. وطبع بالقاهرة سنة ١٣٢١هـ. ثم سنة ١٣٢٢هـ. انظر (بروكلمان ٦/٦).

(٢) بالذاوى الذابل: في (ب) والواق.

(٣) صدر بيت لأبي تمام يمدح أحمد بن المعتصم، (ديوانه ٢٤٢/٢) وتمامه:

مـا في وقـوفك سـاعة مـن باس ... نقـضي ذمـام الأربـع الأدراس

(٤) هو أبو فراس الحارث بن سعيد الحمداني،الشاعر المشهور. قتل سنة ٣٥٧هـ وكان الصاحب بن عباد يقول: «بدئ الشعر بملك، وختم بملك يعنى امرأ القيس وأبا فراس» انظر: (وفيات ٣٤٩/١- ٣٥٣).

(٥) يشير إلى قول المتنبي (ديوانه ٨١/٣):-

وقـد وجـدت مكان القول ذا سعة ... فـإن وجـدت لـسانًا قـائلاً فقـل

المملــوك[1] الشاقّة، وأرجو أنني أوحيها شِفَاها إمّا في الدنيا، وإمّا يَوْمَ الحاقّة.

(من الخفيف)

إنْ نَعِــشْ نَلتَقِــي وَإلاّ فَمــا أشْــ
ــغَــلَ مَــنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الأنَامِ[2]

وكُنتُ قد كتبتُ قصائدَه التي نظمها في مدح سيدنا رسول الله ﷺ وسماها: (بُشرى اللبيب بذِكْرى الحَبيب)، وسمعتُها من لفظه في جُمادى الأخرةِ سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة، وكتبتُ عليها:

(من البسيط)

بُــشْرى اللبِــيب لُبَابُ النظْم للْبَشَرِ
في مــدح سَــيِّدِنا المُختَارِ مِنْ مُضَرِ[3]

لَمّــا بــدا الــشيخُ فتحُ الدِّين ينظمُه
تأرّجَــتْ نفْحَــةُ الآصــال والبُكَــرِ

بحــرٌ، ولكــنه أهْدَى الدّرارِيَ، والْــ
بحــورُ مــن شــأنها الإتــيانُ بالدُّرَرِ

تَجْلُــو عَلَــيْكَ مَعَانِــيهِ العَرَائِسَ في
بَــيتٍ مــن الشِّعْر لا بَيْتٍ من الشَّعَرِ

فكتب هو على النسخة في طبقة السَّماع:

---

(١) حالي الشاقه: بالوافي.

(٢) هذا البيت منسوب إلى أبي العتاهية في الأغاني (٢٠/٤) وفي (بهجة المجالس ١/ ٢٥٥) برواية: «إن نعش نجتمع» وليس بديوانه. وفي الحاشية ثمة قوله: «وقد نسب إلى زهير السامي في تاريخ بغداد ٣٨٤/٢، ولم أعثر عليه في هذا المصدر» .

(٣) الأبيات بأعيان العصر (٣٤/١١أ).

الحمـــدُ الله سمـــعَ من لفظي جميعَ ما اشتملَ عليه هذا الكتابُ من قـــصائد كتابي المسمّى (بُشرى اللبيب في ذكرى الحبيب) حبيبِ ربِّ العـــالمين، وســـيِّد المرســـلين سيِّدنا ونبيِّنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا- ولا زال مَحلُّ الصلاة عليه من القلوب أثيرًا، وتضعيفُ أجْرها لطلب التَّشْريف ببرِّها مُثيرًا – كاتبُه المولى الصدْرُ الإمامُ الكامـــلُ جامعُ شَتات الفضائل، المُنْسِي بنظمه ذكرى حبيب[1]، والمُنْشي مـــن نَثـــره علـــى منابر بلاغته ما لم يأت به الخَطيب، حاملُ الرايتين، والـــسابقُ إلى فـــضل الغايـــتين، فلانُ الدين ابن فلان الدين بحرُ العلم الزاخر، ومعدنُ الجوهر الفاخر، والذي يقول محاضرُه (كَمْ تَرَكَ الأَولُ للآخر)[2]، لاَ برحَتْ غروسُه في رياض الأدب يانعَه، وشموسُه في سَماء الفضائل طالعَه، وصح وثبتَ في تاريخ كذا.

ثم إني قـــرأت القصائد المذكورة وشرحَها بلفظي عليه، وكتبت في طبقه السماع عليها: (من السريع)

لاَ زَالَـــتِ الـــسُّنَّةُ مَحْفـــوظَةً
مِـــنْهُ بِحَبْـــرٍ يُخجِـــلُ الْبَحْـــرَا
وَفَـــضْلُهُ يُـــبْدِى لِمَـــنْ يَجْتَلـــي
وَيَجْتَنِـــيهِ الزَّهْـــرَ والزُّهْـــرَا

ومما كتبته أنا إليه[3]:

---

(١) يقصد معلقة امرئ القيس التي مطلعها: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ....» ولعله يقصد بحبيب الشاعر أبا تمام.

(٢) عجز بيت لأبي تمام (ديوانه ١٦١/٢) وتمامه:

يقـــول مـــن تقـــرع أسماعـــه كـــم تـــرك الأول للآخـــر

(٣) البيتان مذكوران في : (أعيان العصر ٣٤/١١أ، ودرة الأسلاك (٢/٠٥٢)، والوافي (٣٠٢/١).

(من السريع)

يَـــا حَافِظًـــا كَـــمْ لِـــرِوَايَاتِه
مِـــنْ دَوْحَـــةٍ[1] فِي بَطْـــنِ قِـــرْطَاسِ
وَكَـــمْ شَـــذًا مِـــنْ سُـــنَّةِ المُـــصْطَفَى
قَـــدْ ضَـــاعَ مِـــنْ حِفْظِـــكَ لِلـــنَّاسِ

وكنت كتبت له في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة استدعاءَ إجازة. وهو بعد الحَمْدَ لَهَ والصلاة[2]: المسئولُ من إحسان سيِّدنا الشيخ الإمام العالمِ العلامـــة[3] الحَافظ رُحْلَة المحدِّثين، قِبْلَةِ المتأدبين، جامعِ أَشتاتِ الفضائل، حاوِي محَاسن الأَواخَرِ والأَوائل.

(من الرمل)

حَـــافِظَ الـــسُّنَّةِ حِفْظًـــا لاَ تَـــرَى
مَعَـــهُ أَنْ تُغْمِـــلَ الـــنَّاسُ الأَسِـــنَّه
مَرْكَـــزِ الدائِـــرِ مِـــنْ أَهْـــلِ النُّهَـــى
فَـــإِلَى مَـــا قَـــدْ حَـــوَى تُثْنَى الأَعِنَّه

بديعِ زمانه، نادرَةَ أوانه، ضابطِ الأنساب على اختلافها، فَهو السَّيْلُ المتحدِّرُ لا ابن نُقَطَةَ[4]، ناقلِ العلمِ الشريف عن سَلَفه الذي وافق على

---

(١) من جنة: بأعيان والوافي.

(٢) وردت الرسالة في: (الوافي ١/٣٠٥ وما بعدها، وأعيان ١١/٢٨ب وما بعدها).

(٣) العلامة المتقن: بالوافي.

(٤) المتحدر لابن نقطة: بالوافي، وابن نقطة هو: أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر معين الدين الحنبلي البغدادي، المعروف بابن نقطة، له مؤلفات منها (كتاب التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد) (توفي ببغداد سنة ٦٢٩هـ انظر في ترجمته (وفيات ٤/٢٦) ط. الأولى.

المُرَاد شرْطه، ساحب ذَيْل الفخر الذي لو بلغ السّمْعانيَّ جعله في الحلية قُـرْطَه، صاحب النقَل الذي إذا أتى رأيتَ البحرَ بأَمواجه منه يَلْتَطم، والعـبارةَ تَـسْتَبِقُ في مضْمار لَهَوَاته فتزداد وتزْدَحم، الذي إن ترَسَّلٍ نقَـصَتْ عـنده أَلفاظُ الفاضل، وعجزَ عن مُفاوضته ومُعارضته كلّ مُناظر، أَو نَظم ثَبَتَ الجوهرُ الفردُ خلافًا للنَّظَّام فيما زعَم[1]، وتخَطَّى بما يُـبْدِيه فـرْقَ الفرقدين، وتَرْضى النَجومُ بما حكم، أو أَوْرَدَ مما قد سمع واقعـةً مات التاريخُ في جلْده، ووقف سيفُ كلّ حاك عند حَدِّه، أَو استمد قلمًا كفَّ بصرَه عنه ابنُ مُقلَه، ووقفَ ابنُ البوّابِ بخدمته يطلبُ مـن فـضله فضْلَه. فهو الذي تطيرُ أَقلامُه إلى اقتناص شوارد المعاني، فتكونُ من أنامله «أُولي أجْـنحَة مَثْنَى وَثُلاثَ»، وتنبعثُ فكرَتُهُ في خدمة السُّنة النبويّة، وما يكرهُ اللهُ هذا الانْبعاث. وتبرزُ مُخبّآتُ المعاني بنظمه، ومن السِّحرَ إظهارُ الخبايا، ويَعقدُ الألسنةَ عن مُعارضته، وعَقْدُ اللسان لا يكـونُ بغير السِّحر في البرايا، ويستنزلُ كواكبَ الفصاحة من سماها

(١) الجوهر هو: ما يقوم بذاته، وما ليس مفتقرًا إلى غيره في وجوده، والجوهر الفرد هو: الجزء الذي لا يتجزأ، وهو بالتالي لا يقبل الفساد. (دائرة المعارف الإسلامية (١٣/٧٠ط.دار الشعب).

والنظام هو: إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، المعروف بالنظام، شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم، متقدم في العلوم، شديد الغوص على المعاني. توفي سنة ٢٢١ هـ. انظر في ترجمته (سرح العيون/٢٢٦)، والملل والنحل (١/٥٣ط البابي الحلبي).

والجوهر عنده مؤلف من أعراض اجتمعت. أما موقفه من الجوهر الفرد – وهو الجزء الذي لا يتجزأ – فقد نفاه قائلاً: «لا جزء إلا وله جزء، ولا بعض إلا وله بعض، ولا نصف إلا وله نصف، وأن الجزء جائز تجزئته أبدًا ولا غاية له في باب التجزؤ» انظر (الملل والنحل ١/٥٥، ٥٦) وحاشية هذا الموضع. ومعنى العبارة في الرسالة: إذا نظم ثبت أن شعره سام خالد.

بغير رَصد، ويأتي بألفاظه العَذْبة ونُورُها للشمس وفحولَتُها للأسد، ويحُلُّ من شرف سيادته بيتًا عَمودُه الصبحُ ، وطُنُبُهُ المجرَّة، ويتوقَّل[1] هضبات المنابر، ويَستَجِنُّ حشَا المحاريب، ويطأُ بطُونَ الأسرَّة – فتحِ الدين أبي الفتح محمد بن سيِّد الناس:

(من السريع)

لاَ زَالَ رَوْضُ العِلْمِ مِنْ فَضْلِه
أَنْفَاسُهُ طَيِّبَةُ النَّفْحِ
وَكُلمَا نَظْمَأُ إِلَى نَظْمِهِ
أَبْدَى سَحَابًا دَائِمَ السحِ
وَكَيْفَ مَا حَاوَلَهُ طَالِبٌ
فِي العِلْمِ لا يَنْفَكُّ ذَا نُجْحِ
وإِنْ غَدَا بَابُ النُّهَى مُقْفَلاً
فِي النَاسِ نَادَوْا يَا أَبَا الفَتْحِ

– إجازةَ كاتب هذه الأحرُف جميعَ ما رَواهُ من أنواع العلوم، وما حَمَلَه من تفسيرٍ لكتاب الله تعالى، أو سُنة عن رسول الله ﷺ أو أثرَ عن الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم أجمعين – ومَنْ بعدَهم إلى عصرنَا هذا بسماعٍ من شيوخه، أو بقراءَة من لفظه، أو سماعٍ بقراءَة غيره أو بطريقِ الإجازة خاصةً كانتْ أو عامّةً، أو بإذن أو مُناولة، أو وَصيَّة، كيف ما تأدَّى ذلك إليه، إلى غير ذلك من كُتب الأدب وغيرها؛ وإجازَةَ ما لَه من مَقولٍ نَظَمًا أَو نثرًا[2] وتأليفًا وجمعًا في سائر العلوم؛

(١) التوقل: الصعود.

(٢) نظما ونثرا: بالوافي.

وإثبات ذلك بأجمعه إلى هذا التاريخ بخطه (إجازةً خاصة)[1]؛ وإجازةَ ما لعله يتفقُ بعد ذلك من هذه الأنواع، فإن الرياضَ لا ينقطعُ زهرُها، والبحارَ لا ينْفَدُ دُررُها، إجازةً عامةً على أحد الرأيين عند مَنْ يُجوِّزُه.

فكتب هو الجواب – رحمه الله تعالى –[2]:

بعد حمد الله المجيب مَنْ دَعاه، القريب ممّن نادَى نداه، الذي ابْتعث محمدًا بأنوارِه الساطعة وهُداه، وأيَّده بصَحْبه الذين حَمَوْا حماه، ونصروُه على مَنْ عَدَاه، وحزْبه الذين رَوَوْاسُنَّتَه، وروَّوْا أسنتَهم من عداه، وشفَوْا بإيراد مناهله من كان يشكو صداه، وأجابوا[3] لَمّا دعاهم لمَا يُحْييهم إليه إجابةَ الصارخ صَداه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تُبلِّغُهم من الشرف الرفيعِ غايةَ مداه، وسلم عليه وعليهم تسليمًا يُسوِّغُهُم مَشْرَعَ الرِّضوان عَذْبًا رِيُّهُ، سَهْلا مُنْتَدَاه.

فلما كتبتَ أيها الصَّدرُ الذي يشرحُ الصّدورَ شفاء، والبدرُ الذي يَبْهرُ البْدور سنًا وسناء، والحَبْرُ الذي غَدا في التماس أزهار الأدب رَاغبا، ولاقْتباس أنوارِ العلم طالبا، فحصل على اقْتناء فرائدها، واقْتناصِ شواردِها، وألفى عَقْلَه عقَالَ أوابدِها، ومجالَ مصائدها، وَمطارَ مَطارِدَهَا، مما أَوْدَعَتْ الألمعيَّةُ من المعانِي المبتدعَة ذهْنَه، واستعادتُه على لسانِ قلمِه، وقد أَلْبَسَتْهُ الفصاحَةُ ما أَلْبَسَتْهُ من حُسْنِ تلك الفطْنَه.

(مَن الرمل).

زَهَــرُ الآدَابِ مِـــنْهُ يُجْتَنَــى
حَـسَنُ الإِبْـدَاعِ مَـا أَبْـدَعَ حُسْنَهْ

(١) زيادة من الوافي.

(٢) الجواب مذكور في. (أعيان العصر ٢٩/١١ أ ، والوافي ٣٠٧/١ وما بعدها).

(٣) «وأجابوه لما» بالوافي. وهو يقتبس قوله تعالى:-

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

بَـــارِعٌ فِي كُـــلِ فَـــنٍّ، فَمَتَـــى
قَـــالَ، قَـــالَ الـــناسُ: مَـــا أَبْرعَ فَنَّهْ
وَمَتَـــى مَـــا فَـــاهَ فَـــاضَ السِّحْرُ عَنْ
غَـــامضِ الأفْكَـــارِ مِـــنْهُ المُـــزْ جَحنَّه.

فالآدابُ –حرسه الله– رياضٌ، وهو[1] مُجتَنى غُروسِها، وسماءٌ هو مُجْتلِي أقمارِها وشموسها، وبحرٌ استقدرت لديه جواهرُه، وسحْرٌ حَلالٌ لم تَنْفُثْ في عصره إلا عن قلمه سَوَاحِرُه، فله في فَنَّيْ النظْمِ والنثرِ حَمْلُ الرايَتَيْن، وسَبْقُ الغَايَتَين، وَحوزُ البَراعَتَيْن، وسر الصناعَتَيْن، وهوَ مجمعُ البحرين، فما طَلُّ الغمامه؟ وله النظرُ الثاقبُ في دقائقهما فمَنْ زرقاء اليمامه؟، إنْ سام نظْمًا فمن شاعرُ تِهامه؟، وإن شاءَ إنْشاءً فله التقدمُ على قُدَامَه، وإن وشَّى طرْسًا فما ابن هلالٍ إلا كالقُلاَمه[2] – أنْ أجيز لك ما عندي، فكأنما ألْزَمْتنى أن أتجاوزَ حَدِّي، لولا أن الإقرارَ بأن الرِّواية عن الأقران نهجٌ مَهْيَع، والاعْتراف بأن للكبير من بحر الصغير الاغتراف، وإن لم يكن مَشْرَعُه ذلك المشْرَع.

فَنَعَمْ قد أجزتُ لك ما رَوَيْته من أنواع العلوم، وما حَمَلْتُه على الشرْط المعرْوف والعرف المعلوم، وما تضَمَّنَه الاستدعاء الرقيم بخطك الكريم، مما اقتدحَه زندى الشَّحاح، وجادتْ لي به السَّحايا الشَّحاح[3]، من فنون الأدب التي باعُك فيها من باعِي أمَدّ، وسَهْمُك في مراميها من سَهْمِي أسَدّ، وأذنْتُ لك في إصلاحِ ما تعْثُرُ عليه من الزلل والوَهْم،

(١) ,هو مجتنى بأعيان والواقى.

(٢) يشير إلى قول ابن المعتز (ديوانه ٢١٩ط بيروت):

ولاح ضـــوء هـــلال كـــاد يفضحنا مـــثل القلامـــة قـــد قـــدت من الظفر

(٣) الزند الشحاح – بتضعيف الشين المفتوحة – الذي لا يورى، كأنه يشح بالنار.

والخَلَل الصادرِ عن غَفْلة اعتَرَت النقلَ، أو وَهْلة اعترضتْ الفَهْم، فيما صدَر عن قريحتي القريحةَ من النثر والنظم، وفيماً تراه من استبدال لفظ بغيره مما لعله أنجى من المَرهوب، أو أنْجَعَ في نَيْل المطلوب، أو أجْرى، في سَنَنِ الفصاحة على الأسلوب. وقد أجزتُ لك إجازةً خاصةً، يرى جوازَها بعضُ من لا يرى جوازَ الإجازة العامّة، أن تروىَ عنى مالى من تصنيف أبْقَيْتُه، وفي أيّ معنىً انْتَقَيْتُه، فمن ذلك -وذكر هنا- رحمه الله تعالى- ما له من التصانيف، - قد أجزْتُ لك أيّدك الله - جميعَ ذلك، بشرط التحرِّي، فيما هنا لك، تبرُّكًا بالدخول في هذه الحلْبَة، وتمسّكًا باقتفاء السّلف في ارْتقاء هذه الرُّتْبَة، وإقبالاً من نشرِ السُّنةَ على ما هو أُمْنيةُ المُتمنِّي، وامتثالاً لقوله ﷺ «بَلِّغُوا عَنِّى[١]». ثم ذَكر مولده. وروى أحاديث في هذا المعنى، وروى لي أشعارًا للسّلَف في الروايات. والله المسئولُ أن يُلهمَنَا رُشْدًا يَدُلُّنا عليه، ودلالةً تَهْدينَا إلى ما يُزْلِفُنَا لدَيْه، وهدايةً يسعى نورُها بين أيدينا إذا وقفنا يوم العرْض بين يَدَيْه. بمنه وكرمه (إن شاء الله تعالى)[٢].

محمدُ بنُ محمد بنِ محمد الحسنِ بن أبي الحَسن بنِ صالحِ بن عليٍّ بن يحيى بن ظاهرِ بن محمد بنِ الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم **بنِ نُباتَة الفارقيُّ، ثم المَصريّ** الحُذَاقيّ، الشيخُ الإمامُ الناظمُ الناثرُ جمالُ الدين، أبو بكر بنُ الشيخ الإمامِ المحدِّث شمسِ الدّين[٣].

(١) اقتباس من الحديث الشريف الذي رواه عبد الله بن عمر بن العاص: أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار» انظر (رياض الصالحين/ ٤٨٦ - كتاب العلم).

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الوافي.

(٣) المتوفى سنة ٧٦٨هـ، له ترجمة في: (البدر الطالع ٢٥٢/٢، والدرر ٣٣٩/٤،

كتبت أنا إليه من الديار المصرية المحروسة، سنة تسع وعشرين وسبعمائة:

(من الكامل)

لَـوْ أن قُـربَكَ بالـنُّفوسِ يَكُـونُ
كَـانَ العَزِيـزُ لمِـثْلِ ذَاكَ يَهُـونُ

لَكِـنَّ دَهْـرِيَ أنْـتَ تَعْلَـمُ أنـهُ
بِـنَوَى الحَبِـيبِ مُـوَكَّلٌ مقْـرُون

هَـذَا إذَا عَاهَدْتُـهُ أنْ نَلْتَقِـي
يَنْـسَى، وَلَـوْ انْـصَفْتُ قُلْتُ يَخُونَ

دَهْـرٌ لَـهُ فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ خَصْبَةٌ
بِأصِـيلِهِ مَـا عِـنْدَ ذَاكَ يَمِـينُ.

يُقبِّلُ الأَرْضَ، ويذكرُ حالَه لمولانا وما هو عليه لبُعْده عن فوائده، التي أمْستْ لمُقْلَة هذا العصر إنْسانًا، وما عنده من الوحْشة التي كم أضْرَمَتْ في حَنايا الصدورِ نيرانًا، وما يجدُه لتَذكُرِ عهدِه الذي كنتم به أمس في جَيْرونَ جيرانًا.

وأما شوقُه فيقولُ ما أُمُّ خَشْف(١) صَغير، بطَشُهُ بحكم الضرورةِ حَقير، ترى الحياةَ دُنُوَّهَا منه، والوفاةَ خُلوّها عنه، تتغذى بالنظر الدائم إليه، وتتأذى بمرور النسيمِ عليه، ضَعُفَتْ قُواها لعَدَم مَا يَقُوتُها، وعلمَتْ أنه بدوام ذلك يَذهبُ من بين يَدَيْها ويَفُوتُها، فَزَوَتْهُ في جانب الكِنَاس خوفًا عليه من الناس، وخرَجَتْ تسعى في طلب المرْعى، تتلفتُ بجيدِها، وتوَدُّ لو جَرَتْهُ معها بحبْل وريدِها، وأحْشاؤُها تتقطعُ عليه رِقَّه، وتظنُّ

وطبقات الشافعية الكبرى ٢٧٣/٩، والوافي ٣١١/١، وابن نباتة المصري، أمير شعراء المشرق: لعمر موسى باشا). وغيرها.

(١) الخشف –بتثليث الخاء- ولد الظبية أول ما يولد.

أنها لم تُوفّه من الرحمة حقه. فلما بَعُدَتْ عن مكانه، وأوْدَعَتْهُ خيانَةَ زَمَانه، تَزَحْزح عن كِناسه إلى خارج، ودَرَج، فَيالَه على الحقيقة من دَارِج.

(من الوافر)

أُتِــيحَ لَــهُ عُقَــابٌ قَــدْ بَــرَاهَا
(م) الطَّــوى فَتَجُولُ في طُرقِ الفَضَاءِ
وَيَخْــشَى كــلُّ ذي رُوحٍ إذَا مَــا
سَــطَتْ حَــتى الغَــزَالَةَ في السمَاء.

تنحَطُّ من الجوّ أسْرَعَ من البْرق، وتَسبقُ من الغَرْب مَرامى طرْفها إلى الشرق، تُقصِّرُ الرِّياحُ عنها إذا حلَّقتْ، وتبدُو لها مكامنُ الصيْد إذا حوَّمَتْ وحدَّقتْ، تظهَرُ خَبايا المنايا من خَوافيها في زوَايا، وتَسْكُنُ عواصفُ الرِّياح متأخرةً عن قوادمها في طوَايا، لا يفوتُها قَنْصُ جوّ، ولا تنجو منها فريسةُ دَوّ[1]، لم يَسلمْ منها شيخٌ تحت السماء، إلا ما استَجنّ في حشا الماء، فأهْوَتْ إلى ذلك الخشْف من الفضاء كالقَضاء، وهَبَطَتْ عليه كالبرق في سُرْعَة الإيماضِ والإيماء، فازْدَرَدَتْ لحْمَه، وشربَتْ دمَه، وهَشَّمَتْ عظْمَه، وفصّلَتْ أوْصَالَه وفرّقَتْها، وفصلَتْ أجزاءَه الملتئمَة ومزّقَتْها. فلمَا عادَت أمُّه مَعَ تسرُّعها، وتشوُّفها إليه وتطلُّعها، وهي تودُّ عند رُؤيتها إليه لو أن جميعَ أَعضائها عيونٌ إليه ناظرَه، وتتمنى لو كان لها الأمرُ لتخبّاءه[2] عند النُّجوم الزاهرة.

(من المجتث)

لَـــمْ تَلْـــقَ إلا كُـــرَاعًا
مِمَـــا عَـــرَاهُ مُمَـــزَّقْ

---

(١) الدو — بتضعيف الدال والواو — المفازة.

(٢) كذا في الأصل. ولعلها: (لتخبئه).

أَوْ فَضْلَةٌ مِنْ إِهَابِ
فِيهِ دَمٌ يَتَرَقْرَقْ.

وآثارَ مُعْتَركه في الثرى، ومواطنَ مَصْرَعه الذي وَفرَّ له المنيةَ وفرَى، ورَأَتْهُ على الحالةِ التي أَصْبَحَ عليه، والمصيبةِ التي نَزَلَتْ بها قَبْلَ أن يَصل هو إليها:

(من الطويل)

بِأَعْظَمَ مِنِّي حَسْرةً وَصَبَابَةً
وأَكْثَرَ مِنِّي لَوْعةً وَتَحَرُّقَا
وَلا سِيمَا إنْ جَنَّ لِيلى وَلَمْ أَجِدْ
سَمِيرًا يُمَنِّي النفسَ بالقُرْب واللِّقَا.

فالله يجمعُ الشملَ المُنْبَتَّ نظامُه، ويَشْمَلُ الجمعَ برؤيةِ مولانا الذي هو مَبْدَأُ الفضلِ وختامُه. ولله القاضي الفاضل حيثُ يقول: (اللهُ بَيْني وبَيْن البَيْن، فما أَكْثَرَ فُضولَه ودُخولَه بين المُحبَّين)[1].

وعطفتُ هذا الكتابَ على استدعاءِ لإجازتي منه روايةَ شعره عنه، وجهزتُها إليه طي كتابِ القاضي شهابِ الدين أحمد بن فضل الله.

فكتب هو الجوابَ إلى القاضي شهاب الدين المشار إليه، وجاءَ فيه من ذكرى قولُه:

وأما المُشَرَّفَةُ الغَرْسيَّةُ يا مولانا. ما هذا لقد أتى الوادي فطَمّ[2]، وسال سيلُ الوادي فعَمّ، وزكا الغرسُ فأَثْمرَ، ولكن بحبّاتِ القلوب،

(١) وردت العبارة في (نصرة الثائر / ٩٨)؛ برواية: والله بيننا وبين البين.

(٢) من قول أبي تمام بديوانه ٣/٣٥٩:

وإن هم لإحسانا ولكن		جرى والوادى فطم على القرى

وطلبَتْ عُيونُ الحسان سحرًا تُغالبُ هذه العيونَ، فــ«ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ»(١). وسارَتْ نجومٌ ما كانتْ تطْمَعُ بمثلها الآفاق، ودارتْ عُقودٌ ما كانتْ تمتدُّ إلى مُحاولة شَبَهِهَا الأعْناق، وشدَتْ أسجاعٌ كان قد بَعُدَ بها عهدُ غُصونَ الأقلام في الأوْرَاق، وكنا نقْدرُ في هذه الصّناعة على أمور يُمشّيها الفكرُ فجاءَتْ أُمور لا تُطاق. وزُهيَتْ الألفاظُ وخلقَتْ في القلوب الحَسد، و«تَبّتْ يَدَا أَبي لهب(٢)» كلّ فكر. وشُدّتا بحبلٍ من مَسَد. وطلب المملوكُ الجوابَ فأعْيى عليه ما طلَبَه، وغُلبَ ولكن افتخر في هذا المجال بمَنْ غَلَبَه، وذَكرَ المعنى المُستَحْسَنَ من بيت القائل:

(من الكامل)

يُثْنــي الــرِّجَالُ عَلَــى القَتيلِ بسَيْفه
فكَأنَّمَــا يَحْـيَا بِــه مَــنْ يُقْــتَلُ(٣)

وألقى بيده السَّلم ولكن بعد جَهْده، وأغمد لسانَ المُباراة ووقف الذّهنُ عند حدّه، وأخّرَ الآن قضاءَ الفرضِ الواجب «فعسى اللهُ أَنْ يأْتيَ بالفَتْح أوْ أمْرٍ من عنْده(٤)» ، واحتّج بالتروّي احْتجاجًا لا يَخْفى باطلُه، وتَبرّجتْ هذه المحاسَنُ المُعْجَبةُ وقد (عُرّيَ أفراسُ الصِّبا ورواحلُه)(٥)،

(١) من الآية: (٧٣: الحج).

(٢) من الآية: (١: المسد).

(٣) البيت لأبي تمام في (مطلع الفوائد / ١٧٢) وهو غير موجود بديوانه. وأذكر به قول السرى الرفاء (يتيمة الدهر ٢ / ١٣٦)

ســـيافها يــضرب أعـــناقها وهـــو بـــذاك الفعـــل يحيـــيها

(٤) من الآية: (٥٢: المائدة). وفي الألحان: «عسى الله».

(٥) يشير إلى قول زهير بن أبي سلمى في صدر قصيدته في مدح حصن بن حذيفة بن بدر (الأغاني ١٤/٢٢٤):

وتَمكَّمَ بقدْرِ المملوك سائلُ هذه الإجازةِ المُبْدعَة، فليَتَّقِ اللهَ سائلُه[1].
وعلى الجملة فلا بُدَّ للمملوك من مُقابلة هذه النِّعمِ شكرًا، والقيامِ بما ينالُ به غنيمةً أو يَبْلغُ عُذرا، والاجتهاد فيما تستطيعُه القُدرَة.

فأما المكافأَةُ فذلك تأْويلُ «ما لم تَسْتَطعْ عليه صَبْرًا[2]». ومثلُ هذه الكَلِمِ لا تُطاوِلُها الرَّوِيَّةُ المعجزَةُ فكيف البديهةُ العاجزَة. ولا تماثِلُهَا حسَانُ الفكَرِ المُتحبِّبَة، فكيفَ قَباحَةُ النَّاشزَة. هذا جَنْىُ غرْسٍ لا يشارِكُهُ نَبَات، وهذا أُفُقُ فضلٍ لَا تَدَّعى قُوى النَّسْرِ الطائرِ فيه الثَّبات:

(من البسيط)

هَــذَا كَــلامٌ عَلـى الأمــلاكِ مُمْتَنِعٌ
فَــلا تُذِلْــهُ بِإكْــثَارٍ عَلى السُّوَقِ[3]
إنَّـا بَعَثْــنَاكَ تَبْغِـي القَوْلَ مِنْ كَثَبٍ
فَجِــئْــتَ بالــنَّجْمِ مَصْفودًا مِنْ الأُفُقِ.

وأما الاستدعاءُ الذي كتبتُه أنا إليه من القاهرة المحروسة فهو[4]:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله

(١) من قول عبد الله بن الزبير الأسدى في مدح أسماء بن خارجة (الأغاني ١٤/٢٢٤، وخزانة البغدادي ١/٣٤٥):

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

وقيل: البيت لبكر بن البطاح. (دلائل الإعجاز / ٤٤٣).

(٢) من قول الله عز وجل: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَلَيْهِ صَبْراً ﴾ [الكهف: ٧٨]

(٣) البيتان لأبي العلاء المعري (سقط الزند / ١٧٧) مع تقديم وتأخير. وبرواية: هذا قريض على الأملاك.

(٤) وردت صورة الاستدعاء في (خزانة الحموى / ٣٥١، ٣٥٢)، و(الوافي ١/٣١٢) =

الحمدُ لله على نعمائه (والصلاةُ والسّلامُ على خير أنْبيائه، محمد وآله وصحبه وأصفيائه[1]) - المسئولُ من إحسان سيِّدنا الشيخ الإمامِ العالِم[2] رُحلة أهل الأدب، قبْلَة - ذوي التَّخْصين له[3] في التحصيل والدَّأب، الذي تَبيتُ شواردُ المعَاني صَرْعى لَطَافَة تَخيُّله[4]، وتُمسى الألفاظُ العَذْبَةُ طوعَ تَحَوُّله في التركيب وتَحَيُّله. فأمسى وله النَّسيبُ الذي يضحكُ من العبّاس في وَقْته[5]، ويُقيمُ صَريعَ الغواني إلى مقته بعْد مَقْته، والغزلُ الذي يشيبُ له فَوْدُ الوليد، ويستَرقُ الحُرَّ من كَلام عَبيد. والتشبيهُ الذي لو علمه ابنُ المعتزِّ لم نصبَ الهَلالَ فخًّا لصَيْد النجوم[6]، ولو تعاطاه حَفيدُ[7] جُريجٍ لقيل له ألَمْ تسمعْ «آلم غُلبَتْ الرُّوم». والمديحُ الذي لو بلغَ زُهَيْرًا لقَالَ ما أنا من هذه الحدائق، أوَ اتصل بناؤه

وما بعدها، وفيه: «كتبت إليه من الديار المصرية في سنة تسع وعشرين وسبعمائة استدعاء»

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الحموى.

(٢) بالوافي: «العالم العلامة» .

(٣) «التحصين في التحصيل» بالحذف في الحموى.

(٤) «تخوله للطاقة تخيله» بالوافي والحموى.

(٥) «العباس من رقته» بالوافي، والمقصود: العباس بن الأحنف الشاعر العباسي المطبوع المشهور بالغزل. توفي سنة ١٨٨هـ وقيل غير ذلك. ترجمته (الشعر والشعراء / ٥٢٥ط أوربا).

(٦) يشير إلى قوله (غرائب التنبيهات / ١٢):

قم فاسقني الخمر يا نديمي ... فإنه آفة الهموم
فقد تبدى هلال شهر ... قدومه أيمن القدوم
كأنه في السماء فخ ... ينتظر الصيد للنجوم

(٧) يقصد ابن الرومى. والآيتان بعده هما (١، ٢: الروم).

بالمتنبيّ لا شتغلَ عن ذكْرِ العُذَيْب وبارق[1]، والرثاءُ الذي نقصَ عنده أبو تمّام بعدَ أن رُفعَ له لواءُ الشرفِ والفَخْر، وقال هذه عُذوبَةُ الزُّلَال، لا ما تفجَّر من الخَنْساء على صَخْرٍ. والترسُّلُ الذي سقى الفاضلَ كأسَ الحتُوف لمّا شبَّه الغُمودَ بالكمائم، والسُّيوفَ بالأزهار، وأذهلَه حتى صَحَّتْ له قسمةُ[2] التجنيس في الخيل والخيال من المراقب والمَراقد[3]. وأخطأَت[4] معه في المرابع والمساجد بين الأنواء والأنوار. والكتابةُ التي تغدو الطروسُ بها وكأنها بُرُودٌ مُحَبَّرَه، أو سماءٌ بالنجوم زاهِرةٌ، إن لم ترض أن تكون في الأرض رياضًا مُزَهَّرَه:

(من الكامل)

أدَبُ علــى الحُــصْرِيّ يَعْلُــو تاجُــهُ
وَلَــهُ ابْــنُ بَســّامٍ يَكُــسِى الــوَالا[5]

(١) العذيب وبارق موضعان بالكوفة. وهو يشير إلى قول المتنبي (ديوانه ٢/٣١٧):

تذكــرت مــا بــين العذيب وبارق مجــر عواليــنا ومجــرى الســوابق

والعبارة في الأصل: (أو اتصل بناؤه بالمتنبي). وفي (الوافي، وخزانة الحموي): «لو اتصل نبؤه من» ، والجملة التي بعدها فيهما: «والرثاء الذي نقص عنده أبو تمام» وهو ما اخترته إذ بالألحان: «والذي نقض –بالضاد المعجمة- عنده أبو تمام» .

(٢) وصحت له القسمة في التجنيس في الحموي.

(٣) «بين المراقب» بالوافي.

(٤) «والمرافد فأخطأت» في الحموي.

(٥) وردت الأبيات في (درة الأسلاك ٣/٩٦) ورواية البيت الأول فيه: «أدب على العباس يضحك زهره» . كما وردت الأبيات الثلاثة الأولى، مع تقديم وتأخير في الأخيرين في (فض الختام / ١٥٧، ١٥٨). والحصري هو: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم، المعروف بالحصري القير واني الشاعر والكاتب المشهور صاحب كتاب (زهر

وَتَرَسُّلٌ سُبْحَانَ مَنْ قَدْ زَادَهُ
مِنْهُ وَأَعْطَى الفاضِلَ النُّقْصَانَا
وَكِتَابَةٌ لِعُلُوِّهَا فِي وَضْعِهَا
لَيْسَ ابنُ مُقْلَةَ عِنْدَهَا إِنْسَانَا
فَلَكَمْ أخِي فَضْلٍ رَأَتْ عَيْنَاهُ فِي
(م) الْأَوْرَاقِ لابْنِ نُباتَةِ بُستَانَا.

-جمال الدين أبي بكر بن الشيخ الإمام[1] الحافظ شمس الدين محمد ابن نُباتَةَ- جمع الله به شتَاتَ الأدب في دَوْحَة هذه الدّولة، و لَمَ به شَعْثَ أبنائه الذين لا صَوْن لَهُم ولا صَوْلَه، وأقام به عمادَ أبيات الشعر التي لولاه لما عُرِفتْ دَارُ مَيَّةَ من أَطْلال خَوْلَه[2] [بمنّه وكرمه] -إجازة كاتب هذه الأحرف [ما لَه]- فسح الله في مُدَّته- من رواية المُصَنَّفَات في الأحاديث النَّبويّة، والتأليفات الأدبية، على اختلاف أَوْضاعها، وتبايُن أجْناسها وأنواعِها بحسب مَا تأدّى ذلك إليه[3] واتصل به [من

- الآداب...) الذي جمع فيه كل غريبة. توفي سنة ٤٥٣هـ وقيل قبل ذلك سنة ٤١٣هـ (وفيات ١/٣٧).

(١) بالوافي: «أبي بكر محمد بن الشيخ إمام» . وبالحموى: «جمال الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام» .

(٢) بخزانة الحموى: «الشعر التي لولاها لما عرفت» . وما بين الحاصرتين في الموضعين، بعدهما محذوف منها. ويقصد بدرامية قول النابغة الذبياني (ديوانه / ٣٠).

يا دارمية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

ويقصد بأطلال خولة قول طرفة بن العبد (ديوانه / ١٩):

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

(٣) بالحموى: «ما يؤدي لك إليه» . وما بين الحاصرتين بعدها ساقط منها.

قراءة أو] سماعٍ، أو إجازة، أو وصيَّة أو وُجادة من مشايخ العلم الذين أخَذَ عنهم، وإجازةُ ما له -أحسن الله إليه- من مقُول نظمًا أو نثرًا[1] تأليفًا أو وضْعًا، إجازةً خاصَّةً. وإثباتُ ما له من التَّصانيف إلى هذا التاريخ بخطِّه الكريم. وإجازةُ مَا لعلَّه يقعُ له بعد ذلك إجازةً عامةً على أحد القولين في المسألة؛ فإنَّ الرياضَ لا ينقطِع زهرُها. والبحارَ لا تَنفدُ[2] دُرَرها.-وإثباتُ ما يحسُن إيرادُه في هذه الإجازة من المقاطيع الرّائقة. والأبيات اللائقة. وذكْرَ نسبه ومولده ومكانه، وكتب[3]: (كتبه خليل ابن أيبكَ بن عبد الله الأيبكي بالقاهرة المحروسة، في مستهل شعبان المبارك سنة تسع وعشرين وسبعمائة، وحسبنا الله ونعم الوكيل).

فكتب هو الإجابة لي وهي:[4]

بسم الله الرحمن الرحيم: أمَّا بعدُ حمد الله الذي إذا توجَّه إليه [ذو[5]] السؤال فَاز، وإذا دَعَا كرَمَهُ ذوو الطَّلَب أجابَ وأجاز. والصلاةُ على سيدنا محمد كعبةُ القصد التي ليس بينها وبين النجْحِ حجاز، وعلى آله وصَحبه حقَائقِ الفضل والفصْل ومَنْ[6] بعدهُم مَجَاز — فلو لزم في كلِّ الأحوال تناسُب المخاطبَة، وكان جوابُ السُّؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبَة، لما رضيَ سَجْعُ الحمائم لمطارحَته نوعًا من الأطْيار، ولا قَبل فُصحَاءُ الأُوَل مراجَعَةَ الصَّدى من الدِّيار، ولا قنِعَ غمْزُ حواجب

---

(١) «أو تأليفا» بالحموى.

(٢) «لا ينفد درهما» بخزانة الحموى.

(٣) بألحان قوله: «وكتب فلان» فقط، والزيادة عن خزانة الحموى.

(٤) الإجابة برمتها مذكورة في (خزانة الحموى / ٣٥٢-٣٥٥، والوافي ٣١٤/١ وما بعدها).

(٥) الزيادة عن الوافي والحموى، وفي الأخير بعد ذلك: «وإذا استدعى كرمه».

(٦) «والفضل من بعدهم» بالحموى.

الأحبَّة برْدُ القلوب الهائمة في أوْدية الأفكار، ولكن تقولُ الأكابرُ والأتباع[(١)] تبذلُ من الأجوبة جُهْدَها، وتُنفقُ مِمّا عندها، وتجرّدُ الأماثلُ سُيوفَ النُّطق، ولا تتعدَّى الأولياءُ[(٢)] من الطاعَة حَدَّها.

ولما كنتَ أيُّها الراقمُ بُرودَ هذا السؤال ببيانه، والمُنْشئ روضَ هذا الاستدعاء بآثارِ السُّحب من بنَانه[(٣)] والسائلُ الذي هزتْ الأعطافَ[(٤)] فضائلُه، وسَحَرتْ أرْبابَ العقول عقائلُه، وأقامَ المسئولَ مقامًا ليس من أهله، (فليتق الله سائلُه) — فريدَ فنِّ الأدب الذي لا يُبارَي، وبَحْرَهُ الذي لا يُهدى غائصَ قلمه الدُّرَّ إلّا كبارا،[(٥)] وذا اليد البيضاء فيه الذي طالما آنس من جانب ذهْنه الشريف نارًا[(٦)] وخليلَه الذي اطلَعَ على أسراره الدقيقة، ورئيسَه الذي لو جارى ابنَ المعتز، وتمت ولايتُه لكان خليلَ[(٧)] أمير المؤمنين على الحقيقة، وناظمَه الذي يسرى الطائيَّان تحت عَلَمه المنشور، وكاتبَه الذي يتبجحُ العَبدان[(٨)] بالدخول تحت رِقّه المأثور، طالما شافَه العلم[(٩)] منه وجهًا جميلاً، وقدرًا جليلًا، ولاقى مَنْ لا يندم على صُحبته فيقول: «لَيْتني لَمْ أتخِذْ فُلانًا خَليلاً[(١٠)]»، فهو الغَرسُ الذي تَقصُرُ

---

(١) «تقول الأكابر والأولياء» بالحموى.

(٢) «سيوف المنطق، ولا تتعدى الأتباع» بالحموى.

(٣) بالحموى اختلاف يسير.

(٤) «هزت المعاطف» بالوافي. وبالحموى: «هزت الأفكار فضائله» .

(٥) يشير إلى قول المتنبي:

ومن كنت جارًا له يا علي ... فلا يقبل الدر إلا كبارًا

(٦) «من جانب الذهن نارًا» بالحموى، وفي العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً ... ﴾ [القصص: ٢٩] .

(٧) «لكان أمير المؤمنين» بالحذف، بالحموى.

(٨) «العيدان بالدخول» بالتصحيف في الحموى.

(٩) «شافه منه العلم وجها» بالحموى، والوافي.

(١٠) اقتباس من قول الله تعالى على لسان الظالم ﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ﴾ [الفرقان: ٢٨] .

تَقْصُرُ عن أمالي وَصْفِه الشجري(١)، ويفخرُ العلمُ والدينُ(٢) بشخصه ولفظه فهذا يقولُ غَرْسي وهذا يقولُ ثمري. كم أغني بمُفرد شخصه عن فُضلاءِ جيل، وكم بَدَا للسمع والبصر من بنات فكْره بُثَيْنَةَ ومن وَجهه جميل، وكم تترهَت الأفكارُ من لفظه وخطِّه بين رَيْحَان وَوَرْد لا بَيْن اذْخرِ وجليل(٣)، وكم دام عهدُه ووُدُّه حتى كان يُبْطِلُ قولَ الأوَّل: (دَليلٌ علَى ألا يَدُومَ خَليل(٤)) تودُّ الشُّهُبُ لو كانت حصباءَ غَدير طِرْسِه، ويغَارُ الأُفُقُ إذا طَرَّزَ يراعُ دَرَجه(٥) بالظلماء أُرْدِيةَ شمْسه،

---

(١) والشجري، هو: أبو السعادات هبة الله بن علي. المعروف بابن الشجري. كان إماما في النحو واللغة وأشعار العرب، متضلعًا من الأدب صنف فيه عدةَ تصانيف، منها كتاب الأمالي. توفي سنة ٥٤٢هـ (شذرات الذهب ١٣٢/٤ – ١٣٤).

(٢) «ويفخر الدين والعلم» بالخزانة، والوافي.

(٣) بالخزانة: «تترهت الأفكار من لفظه بين رأس وورد» . وفي العبارة إشارة إلى قول بلال بن أبي بردة (البخاري ٢٢٣/١ط، الأولى بالمطبعة الحسنية):

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة		بواد، وحولي إذخر وجليل

والإذخر: حشيش طيب الرائحة، والجليل: نبت يستعمل في بعض علاجات العين.

(٤) بالخزانة: «دليلا» وهو عجز بيت منسوب للإمام علي (ديوانه / ٩٩، وزهر الآداب ٨٢/١). وهو مما تمثل به الإمام عند قبر فاطمة رضي الله عنها في (الكامل ٣٠/٤) وصدره: (وإن افتقادي فاطما بعد أحمد).

وهو منسوب للإمام علي، وقيل لسفران السلاماني. في (بهجة المجالس ٣٥٩/٢) وتمامه فيه:

وإن افتقادي واحدا بعد واحد		دليل على ألا يدوم خليل

(٥) بالخزانة والوافي: «وتغار ... ... يراع درجه» .

ويتحاسَدُ النثرُ والنظمُ(١) على ما تُنتجُ مقدّماتُ منطقه من النتائج، وينشدُه(٢) كلٌّ منهما إذا حاوَل القول: (خَليلُ الصَّفَا هَلْ أَنْتَ بالدارِ عائِج)؟.

إن كتبَ أَغْضى ابنُ مُقْلَةَ من الحسد على قَذَاه، وحمل ابْنُ البَوّاب لِحَيَته عصا القلم قائلا: ما ظلم مَنْ أشبَه أباه(٣).

وإنْ نحا النَّحو لَبّاه عشْرًا، ولانتْ أعطافُ الحروف قَسْرًا، وتشاجرتْ على(٤) لفظه الأَمثلةُ فلا غَرْوَ أن ضربَ زيدٌ عمرا. يترجّلُ كلامُ الفارسيّ بين يَدَيْه، ويطيرُ لفظ ابنِ عُصفور حَذَرًا من البازيِّ المُطلِّ عَلَيْه.

وإنَ شعَر هَامَتْ الشعراءُ بذكره في كلِّ واد [وحمل ذكْرُها في كل ناد(٥)]، ونُصبتْ بيوتُه على يَفاع الشرف كما تُنصَبُ بيوتُ الأَجْواد. طالما بلَّد لَبيدًا، وولّى منه شعْرُ ابن مُقبل(٦) شريدًا، وقالت الآدابُ لبُحْتريٍّ لفظَه اللطيف «أَلَمْ نُرَبِّكَ فينا وليدا(٧)» .

وإن نَثرَ فما الدرُّ اليتيمُ إلا تَحت حَجْره، ولا الزَّهْرُ النضيرُ إلا ما ارتَضَعَ من أخْلاف قَطْره. ولا المترسلُون إلا مَن تَصرَّفَ في ولاية البلاغة تحت نَهْيه وأَمْره.

---

(١) «النظم والنثر» بالخزانة والوافي.

(٢) «وينشد كل» بالخزانة.

(٣) في المثل العربي (الحيوان ١/٣٣٢، ومجمع الأمثال ٢/٣٠٠): «من أشبه أباه فما ظلم» . يقول كعب بن زهير ضمن أبيات يفتخر بآبائه:

أقول شبيهات بما قال، عالما		بهن، ومن يشبه أباه فما ظلم

(٤) «وتشاجرت الأمثلة على لفظه» بالوافي.

(٥) ساقط من الحموى، وبعده فيه: «ونصبت بيوت نظمه على بقاع الشرف كما نصبت» .

(٦) ابن مقبل، هو: تميم بن أبي بن مقبل، من بني العجلان، كان جاهليا إسلاميًا. وضعه ابن سلام (الطبقات / ١١٩) ضمن الطبقة الخامسة من الجاهليين. ترجمته: (الشعر والشعراء ١ / ٤٥٥).

(٧) من الآية: (١٨: الشعراء)، وعبارة الخزانة والوافي قبلها: «لبحترى لفظه، ألم...» بالحذف.

وإن تكلَّمَ على فنون الأدب روَّى الظمَا، وجلا معاني الألفاظ كالدُّمى، وقال العُروضُ. له ولابْن أحمد[١] (خَليليَّ هُبَّا بَارَكَ اللهُ فيكُمَا).

هذا وكم أثنى قدَمُ علوم[٢] الأوائل على فكْرِه الحكيم، وشهدَت روايةُ الحديث النبويِّ[٣] بفضله، وما أعْلى مَن شهد بفضله الحديثُ والقديم: (من البسيط)

عَلَـتْ بِهِ دَرَجَاتُ الفَضْلِ وَاتَّضَحَتْ
دَقَائِـقٌ مِـنْ مَعَـانِي لَفْظِـهِ البَهِجِ[٤]
هَـذَا وَلَـيْلُ الشَّبَابِ الجَوْنِ مُنْسَدِلٌ
فَكَـيْفَ حِينَ يُضِيءُ الشَّيْبُ بالسُّرُجِ؟
يَـا حَـبذَا أعْـيُنُ الأَوْصَافِ سَاهِرَةً
بَـيْنَ الدقَائِـقِ مِـنْ عُلْـيَاهُ وَالدَّرَجِ

بدأتني -أعزك الله- من الوصف بما قل عنه مكاني [واضمَحَل عياني][٥] وكادَ من الخجل «يضيقُ صدْري ولا ينطلقُ لساني» ، وحمَلتَ

---

(١) «وقالت الأعاريض لابن أحمد وله» بالخزانة، وما بين القوسين بعده صدر بيت منسوب لورد الجعدى، وهو شاعر جاهلي (شرح ديوان الحماسة للمرزوق ٣ / ١٣٣٩) وتمامه:

خليلـي عـوجا بـارك الله فـيكما وإن لم تكـن هـند لأرضـكما قـصدا

ونسب الشطر لذي الرمه في (لسان: رسا) وعجزه: (على دارمى، أو ألما فسلما).

ونسب في (الذخيرة: ٢١٦/١) لابن شهيد، وقيل لزهير بن نمير.

(٢) «قديم علم» بالخزانة.

(٣) «رواية الأحاديث النبوية» بالوافي.

(٤) لم ترد هذه الأبيات في خزانة الحموى.

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من خزانة الحموى، والآية بعده: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ [الشعراء: ١٣]

كاهلي من المنّ[١] ما لم يستطِعْ، وضربْتَ لذكرى نوبةً خليليّةً في الآفاق[٢] لا تَنْقطِع، وسألتَني مع ما عندك من المحاسنِ التي لها طَربٌ من نفسها، وثمرٌ من غرسها؛ أن أُجيبَكَ وأُجيزَك، وأُوَازنَ بمثقال كَلمِي الحديد إبْريزَك، وأُقابلَ لسَنَكَ المطلقَ بلساني المحصور، وأُثْبتَ استدعاءَك الجليلَ على بيت مال نُطقي المكسُور. فتحيّرتُ بين أَمْرَين [أَمَرَّين][٣]، ووقع ذهني السقيمُ بين دَاءَيْن مُضرَّيْن؛ إن فعلتُ ما أمرْتَ فما أنا من أرباب هذا القدر العالي، والصّدْر الحالي، ومَن أنا من أبناء مصر حتى أتقدّمَ لهذا المالك العزيز؟!. وكيف أُطَالَبُ مع اقْتار فَهْمي وعلمي[٤] بأن أمدحَ وأُجيز؟!. وَأَيْنَ[٥] لمُقَيّد خطْوى هذه الوَثَبات؟!. وأنّي تُماثِلُ[٦] قوّةَ هذا الغَرْس ضَعْفُ هذا النبات؟!؛ وإن منعتُ فقد أسأتُ الأدبَ والمطلوبُ حسنُ الأدب منّي. وأهملتُ الطاعة التي أَقْرَعُ بعدها برُمْح القلم سنّي[٧]، وفاتني شرفُ الذّكر الذي امتلأَ به حَوْض الرجاء[٨] وقال قَطْني، ثم ترجحَ عندي أن أُجيبَ السؤال، وأُقابلَ بالامتثال، [وأتحامَلَ على ظَلْع الأقوال[٩]] صابرًا على تهكُّم سائلي، معظمًا قَدري

(١) بالحموى «من المنن» .

(٢) «وضربت لذكرى في الآفاق نوبة» بالوافي، وفي خزانة الحموى سقطت كلمة «الآفاق» .

(٣) الزيادة عن الوافي وخزانة الحموى.

(٤) بالوافي: «علمي وفهمي» . وبالخزانة سقطت كلمة «فهمي» .

(٥) «وأني لمقيد» بخزانة الحموى.

(٦) «وأني يماثل» بالحموى والوافي.

(٧) تضمين المثل العربي: «هو يقرع سن نادم» . (الميداني ٣٤٨/٢).

(٨) بالحموى: «حوض الأفق» . والعبارة مأخوذة من قول الشاعر (لسان العرب: قطن):

امتلأ الحوض وقال قطني ... سلا رويدًا قد ملأت بطني

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من الحموى، وفي الأصل: «وأتحامل...» .

كما قيل بتغافُلي[١]، منقادًا إلى جنة استدعائك من السُّطور بسلاسلي.
وأجَزتُ لك أن تروىَ عنّي جميعَ ما يجوزُ لي روايتُه من مسموعٍ ومأثورٍ، ومنظومٍ ومنثورٍ، وإجازةٍ ومناولة [ومطارحة ومراسلة[٢]]، ونقلٍ وتصنيف، وتنضيد وتفويف، وماضٍ ومُترَدّد، وآتٍ على رأي بعض الرُّواة ومُتحدِّد، وجميعَ ما تضمّنه استدعاؤُك فاجْمَعْ ما يكونُ لفظُهُ المتفرّدُ[٣] كاتبًا بذلك خطّي، مُشْترِطًا عليك الشرطَ المُعْتَبَرَ، فليكن قبولُك يا عَرِبيَّ البيان جوابَ شرطي، ذاكرًا من لُمعِ خَبرى ما أبْطأْتُ بذكره، وأرجو أن أُبْطِي ولا أُخْطِي.

ثم إنه ذكر هنا مولدَهُ، وشيوخَ الحديث الذين رَوَى عنهم، ثم ذكر الفضلاءَ والأُدباءَ الذين رآهم، والذين روى عنهم. ثم ذكر مُصنفَاته..
وأَجزتُ لك -أعزك الله- روايتَها عنّي، وروايةَ ما أُدوِّنُه وأُجمعُه بعدها حسبما اقترحه استدعاؤُك ونمّقه، ونسخه وحقّقَه، وتضمنه سؤالُك الذي تصدقْتَ به عليّ، فمنكَ السؤالُ ومنك الصّدقَه. والله يشكر[٤] عهدَك الجميلِ، وكلماتك الجزلةَ وكرَمك الجزيل، ويمتِّعُ[٥] فنونَ الفضائيل الملتجئة إلى ظلّ قلمك الظليل، ولا يُعْدم الأحبابَ والآدابَ من اسمك وسِمْتك[٦] خيرَ صاحب وخليل [بمنّه وطوْله، إن شاءَ الله تعالى].
وكتبتُ أنا على كتابه (القطر النباتي)[٧]:

(١) «بتعاقلي» في خزانة الحموى.
(٢) ساقط من الحموى.
(٣) «ما يكون من لفظه المتبدد» بالحموى.
(٤) «والله تعالى» بالخزانة والوافي.
(٥) «ويمتع بك» بالخزانة.
(٦) «وسميك» بالخزانة، وما بين الحاصرتين بعد ذلك ساقط منهما ومن الوافي.
(٧) بالوافي ١/٣١٩: «ثم إني سمعت من لفظه (كتاب منتخب الهدية)، و (القطر

(من الوافر)

بِحَقِّــكَ لا تَقُــلْ عَمَّــنْ[1] تَقَـضَّي
وَفَــاتَ لَقَــدْ مَــضَى بالطِّيِّــبَاتِ
وَرَاح وشِــعْرُهُ حُلْــوٌ رَقِــيقٌ
فَمَــا يَــتَكَلَّمُ القَطْــرُ النُّــبَاتِيّ.

ولما سمعتُ هذا الكتابَ من لفظه كتبَ هو عليه:

سمع من لفظي جميعَ هذا المسمَّى (القطر النباتي) المولى فلانُ الدين -أقرَّ الله به عيونَ الآداب، وبنى بقايا القريض من فكره على أنجح أسباب- سماعًا أطربني وأنا الشادي، وساق إليّ الفضلَ، وإن كنتُ أنا الحادي، وعكفَ على الإصغاءِ باديًا بالكرم، فلا عدمَتْ كعبةُ الأدب منه نِعَم العاكف والبادي، وصح وثَبتَ في تاريخ كذا.

وكتبتُ أنا على كتاب: [منتخب][2] الهديّة في المدائح المؤيّدية)، وقد سمعتُه أيضًا من لفظه في سنة تسع وعشرين وسبعمائة:

أما بعدُ حمد الله حقَّ حمده، وصلاته على محمد سيدنا وعبده، وعلى آله وصحبه والتابعين من بعدهم على سَنَن قصْده، وسلامه. فقد سمعتُ هذه القطعةَ الموسومةَ (بمُنْتخب الهدية) من لفظ منشئها الشيخِ الإمامِ

النباتي)، وكنت قد كتبت عليه وأنا بالقاهرة. ثم ذكر البيتين الآتيين. وقد اقتصر ابن نباته في كتابه هذا على مقاطيع شعره. انظر (الدرر الكامنة: ٣٤٠/٤، والبدر الطالع ٢٥٣/٢).

(١) «لا تقل فيمن» بالوافي.

(٢) الزيادة عن النسخ المساعدة. وقد جمع الشاعر في كتابه مدائحه للملك المؤيد لكثرتها فقد بلغ عدد قصائده الأربعين أو يزيد. انظر (ابن نباتة المصري: أمير شعراء الشرق / ٢١٣).

العالِم الأديب الفاضلِ جمالِ الدين محمد بنِ محمد بن نباتة— أدام الله به الإمتاع، كما عقدَ على فضله الإجماع- وهو يقرؤُها فسمعتُ ما لم أسمع، وعلمتُ أنه مَلَكَ أمرَ البلاغةَ أجمع، ورَقَى ذُروةً من البلاغة ليس وراءها مطمحٌ ولا فيها مطمع، ووَرد حياضَ أدبٍ ليس لغيره فيها مشربٌ، وكم له فيها مشرع.

(من الطويل)

فَمَــنْ شَاءَ إنْشَاءَ المَدِيحِ فَدُونَهُ
حُلاهَــا لِيَسْتَجْلِي المَعَانِي وَيَسْتَمْلِي

لَقَــدْ جَادَ مَمْدُوحٌ وَجَوَّدَ مَادِحٌ
عَطَاءٌ جَزِيلٌ، وَالمَدِيحُ مِنَ الجَزْلِ

وَحَــرَّمَتِ الآدَابُ بَعْــدُ نِظَامَهَا
فإياكَ أنْ تَعْقِدْ شِعْرًا من الحِلِّيّ[1]

فَلَوْ فَتَقَتْ سَمْعَ ابْنِ أَرْتق[2] قال ما
(م) الصفيُّ لَنَا منْ بَعْدُ ذَا الْيوْم بِالحِلِّ

(١) الحلي، هو أبو الوفاء راجح بن إسماعيل الحلي، شاعر أبي الفتح غازي الأيوبي. توفي سنة ٦٢٧هـ. ترجمته: (فوات ٢١٨/١). أما الصفي – المذكور في البيت بعده – فلعله عبد العزيز بن سرايا، صفي الدين الحلي، من شعراء الناصر بن قلاوون توفي سنة ٧٥٠هـ ترجمته: (الدرر ٤٧٩/٢) أو لعله غيره.

(٢) لم أهتد إليه. ولعله كان يقصد ملكا من أبناء أرتق بن أكسب –جد الملوك الأرتقية- أصحاب ماردين. وقد انقطع صفي الدين الحلي مدة إليهم وله في مدائحهم الغرر انظر: (وفيات ١٧١/١، مع الدرر ٤٧٩/٢).

وكتب هو على المفاخرة التي له بين السيف والقلم[1]، وقد سمعتُها من لفظه في سنة تسع وعشرين وسبعمائة بالجامع الأموي بدمشق المحروسة:

سمعَ جميعَ رسالتي هذه من لفظي المولى فلانُ الدين - زاد الله في نعمائه، وأحيى مواتَ الكلِم بإنشائه، وعمّر بيوتَ الآداب أبدًا بطول بقائه - سماعًا أرقصني من السرور، وكتب قدري من مطالع السها من ذوي الخصور، وأمدّني بفوائد الحكم، وحكّمني على أهل هذه الصناعة حُكمَ ربِّ السّيف والقلم، وأجزتُه روايتَها عنّي كما أمر وحُكمي منه أن أُجاز، وفُزْتُ بامتثالي بما رسم داخلاً لودّه، ومن "أُدْخِلَ الجنةَ فقد فاز[2]". وذلك في التاريخ الفلاني.

وكتبتُ أنا على جزء أهداه من شعره:

(من الوافر)

أَيَــا ابْـــنَ نُـــبَاتَةٍ أَهْــدَيْتَ شِــعْرًا
نَــصِيبِيَ سُـــكْرٌ مِـــنْهُ وَسُـــكْرٌ[3]

---

(١) ذكرها ابن حجة في خزانته في باب التغاير مقدمًا لها بقوله: وقد عن لي أن أرفع للمتأخرين في التقدم راية، ليعلم المنكر بين البداية والنهاية. فإن الشيخ جمال الدين أظهر في المغايرة بين السيف والقلم ما صدق به قول القائل:

وإني وإن كــنت الأخـــير زمانـــه ... لآت بمــا لم تـــستطعه الأوائـــل

من ذلك قوله في رسالة المفاخرة بينهما... "بسم الله الرحمن الرحيم. ن والقلم وما يسطرون... إلخ".

(٢) من الآية: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

(٣) البيتان مذكوران في (الوافي ١/ ٣٢٠): وبداية الأول في الأصل: "يا ابن نباتة أهديت شعرا". والتصويب من الوافي لضرورة الوزن.

يَفُـوتَ الغَـيْثَ عَـدْوًا وهْـوَ حُلْـوٌ
فَـشِعْرُكَ كَـيْفَ مَاحَاوَلْـتَ قَطْـرُ.

وكتب هو على رجزٍ له وسَمَهُ زبفرائد السلوك في مصائد المُلوك[1]) وقد سمعتُه من لفظه سنة تسع وعشرين وسبعمائة:

سمع من لفظي جميعَ أرجوزتي هذه المولى فلانُ الدين -أعلى الله غرسه، وحفظ على بيُوت القريض أُنسه- سماعًا غبطني رؤبةُ على فخره، وحسدني العجّاج[2] على مشافهة بحره، وصحّ ذلك وثبت في تاريخ كذا.

وكتبت أنا إليه من الرحبة المحروسة سنة ثلاثين وسبعمائة:

يُقبِّلُ الأرضَ، ويُنْهِي بعد وصفِ ولائه الذي لا يزالُ تحت لوائه، ولا يَنتقلُ في البلاد إلَّا بتنقلِ أفيائه، ولا يستمطرُ لفقره في قَفْرِ الأرض غير سَمَاحَةِ سمائِه، ولا يَسْتَدْعي بندائه غيرَ ندائه:

---

(١) «هي أرجوزة في وصف رحلة صيد ممتعة صحب الشاعر فيها الملك الأفضل. وعدد أبياتها سبع وستون ومائة بيت» وهي (بديوانه ٥٨٥ - ٥٩٢) ومطلعها:

أثنى شذا الروض على فضل السحب واشـتملت بالوشـي أرداف الكـثب
مـا بـين نـور مـسفر اللـثام وزهـر يـضحك في الأكمـام

وسماها ابن حجة الحموي في خزانته ص / ٣١٥: «نظم السلوك في فرائد الملوك» ثم أوردها ثمة.

(٢) هو العجاج بن عبد الله بن رؤبة، أحد الذين تم ازدهار فن الرجز على أيديهم مدح الوليد بن عبد الملك بمدائح كثيرة. وتوفي سنة ٩٧هـ وترجمته: (الشعر والشعراء / ٣٧٤).

ورؤبة بن العجاج كان أشعر من أبيه، وأغزر رجزا. توفي سنة ١٤٥هـ، وقيل ١٤٧هـ. ترجمته: (الأغاني -بولاق- ١٤/١٠٢).

(من الطويل)

يُـــشيرُ بِرِقِّـــي البَرْقُ لِلناسِ فِي الدُّجَى
ألَـــمْ تَـــرَهُ يُومِـــي بِـــذَاكَ وَيُومِضُ؟
وَيَـــسْهَرُ فِي رَفْـــعِ الـــدُّعَاءِ مَعِي ألَمْ
تَجِـــدْ طَـــرْفَه فِي جَوِّه لَيْسَ يُغْمِضُ؟!.

وثنائه الذي ما الطِّيبُ موجودًا في غيرِ أثنائه، ولا النسيمُ العليلُ طيبًا ما لم يكُنْ طريقُه على بناءِ أبنائه [ولا الجوهرُ ثمينا ما لم يكن في جملة انتقادهِ وانتقائه][1]، ولا خطيبُ الحمام فصيحًا ما لم يكن يتلوه في أدائه:

(من الطويل)

يَمُـــرُّ ثَنَائِـــي بالْحَمَـــائِمِ فِي الْحِمَـــى
يَحُـــثُّ علـــى أسْـــجَاعِهَا وَيُحَـــرِّضُ
وَتَـــسْرِي بِـــهِ رِيحُ الصَّبَا فَيَطِيبُ مِنْ
سَـــرَاهُ كَـــأنَّ المِسْكَ فِي الجوِّ يُنفَضُ.

وشوقه الذي شق الجوانحَ بشقائه، وألزم القلب من وقت نائه باقتنائه، وعناه بمُكابدةِ مكائده في أَسْره وعَنائه، وأدام جَفْنَهُ القريحَ تنهلُ منه ديمةَ دمائه.

(من الطويل)

فَـــشَوْقِي كَـــسَا الآصَالَ أرْدِيَةَ الضَنَى
ألَـــمْ تَـــرَهَا مُـــصْفَرَّةً حِينَ تَعْرِضُ؟!
وَقَـــسَّمَ بالميزانِ[2] جِسْمِي على البِلَى
ألَـــمْ تَرَ خَدِّي وَهْوَ بالدمْعِ يُغْرَضُ؟!.

---

(١) الزيادة عن النسخ المساعدة.

(٢) بالأصل: «وقسم بالميرات» .

- أن العلمَ الكريمَ محيطٌ منِ المملوك بمُلازمة فوائدها، وجلُوسه متطفلًا على موائد موائدها، وتطلُّعه في سقم ذهنه إلى عوائد عوائدها، وتشوُّفه إلى ما يحصلُ له من فرائض فرائدها، وترجّيه بأن يكونَ له كفايةُ ولاَيَتها، وكفالةُ ولائدها:

(من البسيط)

فَمَـنْ أحَـقُّ بِهـا مِنِّـي إذَا بَرَزَتْ
تُجْلَـى عَلَـى كُـلِّ نَظّـامٍ وَنَـثَّارِ
وَهْـيَ الـتي نَزَلَتْ بالرُّحْبِ في خَلَدي
وَقَـامَ يَخْـدُمُها حِفْظِي وَتِكْرَارِي؟!.

وسؤالُ المملوك من إحسان مولانا، إتحافُ المملوك بما تيسر من ميامنها صُحبةَ البريد، ولا يَخُصُّ جديدَها دون قديمها، فكلاهما على مَرِّ الجديدَيْن جديد. وإذا كان المملوكُ في الصورة بعيدًا فلا يكن في المعنى كذلك، ويعينه بولْدَان رضوانه وحُوره على المقام في رحبة مالك. والله يجعلُ عقائلَ فضله مخطوبه، ونفوسَ عِداه مكبوته، ونفائسَ نُهاه مكتُوبه، بمنّه وكرمه.

فكتب هو إليّ الجواب عن ذلك:

(من الكامل)

خَدَمَـتْكَ خُـدَّامُ الـسعادة حيْـثُما
سـعدتْ لَـديْك مـنَازِلٌ وَمَـسَالِكُ
فَالعَـيْشُ إقْـبَالٌ كَمَـا تَخْـتَارُهُ
والـسَّعْيُ سَـعْدٌ، وَالمَقَـامُ مُـبَارَكُ
يَـا مَـنْ لَـهُ بالـرحْبَةِ الْعُلْيَا حِمىً
وَإلى مَـنَالِ الـنجم قَـدْرٌ سَـامِكُ

طَوَّقْتنِــي فَــضْلَ الــندَى، وَمَلَكْتَنِي
يَــا حَــبذَا طَــوْقٌ هُــنَاكَ وَمَالِــكُ.

يُقَبِّل الأرضَ مُتمسِّكًا من الولاء بحَبْلٍ وثيق. ومن الثناء بصحيح النشْرِ فتيق، ومن الانتماء بما هو بعُهْدَة رِقّه ورقّ عُهدته (ذُو نَسَبٍ في الشائدين عَريق[1])، ومن الأَشواق بما فُتن به القلبُ المؤمنُ إلّا أن له منها نارَ جهنمَ وعذابَ الحريق[2].

ويُنْهي وُرُودَ مشرَّفته الكريمة وتشريفه، وعارفتيه الغنيّ كل منهما في القول عن تعريفه، وأنواعَ نعمه التي ما سمعَ المملوكُ أَبْرعَ منها في القول وتصْنيفه، ولا رأى أَبْدَعَ منها في الفعل وتصريفه، فتقلّد بهما عقُودَ المفاخر، وزارَهُ في شهر المحرّم ربيعٌ أولُ وربيعٌ آخر.

أما الأوّلُ وهو المكاتبةُ التي أَزْهرَ ربيعُها، وأَقْمرَ صديعُها، ومدّ ذراعَ حُسْنه، فطمسَ محاسنَ ابنِ أبي الأصبغ بديعُها، ودخل لفظُها إلى القلب بسلام، وسالت أباطحُ طِرْسها بأعناق الكلام[3]، وجادَ برُّها جَوْدَ الغمام، واحمر لونُها ونفَتِ الهم، ونفحَت فاستوفتْ أوصافَ المدام،

---

(١) يشير إلى قول أبي نواس (نصره الثائر / ١١٦):

وما الناس إلا هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

(٢) من قوله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠]

(٣) مأخوذ من قول كثير (شرح ديوان كثير / ٧٩، والشعر والشعراء ١/٨ط. ليدان)، والمقصود الشطر الأخير:

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح

وشُدّتْ على حدب المهارى رحالنا ... ولا ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح

وأطلع واردُ[ها][1] على المملوك وهو في جُبِّ الشوْق فقال يا بُشْرَايَ هذا غلام. فقبّل المملوكُ من مداد حرفها لَمَى، وصبًا بحسنها الظاهرِ إلى اللثم، ولولا ذاك لَمَا، وشُرِّفَ بمشافهة سُطورِها فما شك أنه اتخذَها إلى سماء الشرف سُلّما، وأُصيبَ القلْبُ بكلماتِها السِّحْرِيّةِ فأنشد الحُسنُ.

(من الرجز)

لَـمْ يَـدْرِ مِـنْ أيْـنَ أصِـيبَ قَلْبُهُ

وَإنَّمـا الرامِـي دَرَى كَـيْفَ رَمَى[2]

وشاهد همزات سجْعِها التي لزَمتْ الخفْض، وملّتْ حمائمُهَا غصونَ الألفات فأخْلَدَتْ راتعةً إلى الأرض، تلتقطُ حَبَ[3] اليانعِ غَرامُه، ويَشْهدُ أن قرطاسَ أدرعِها حرَمٌ لا يُعضَدُ نبتهُ ولا يُصادُ حمامُه. ثم عطف على أبيات شعْرِها الضاديّة مُسْتَجْليا، وعلى هذا البديع من وشيج النظْم والنثر مُسْتحليا، فأقسم أنَ قائلَ قوافيها اليوم أفصَحُ مَنْ نطق بالضاد، وأنجحُ مَنْ فاءَ عَزمُه إلى أوابد الكَلِم وصاد. وفَهم جميعَ ما انطوتْ عليه هذه المشرَّفَةُ من حُسنٍ وحُسْنى، ولفظ ومعنى، ومُعَرب إلا أنه على أساس البلاغة يُبْنَى. وتَمكم باستدعاءِ كَلِم المملوك، وتطأْيَبَ باستهداء حصبانه بعدما ملأت دُرَرُ مولانا المسالكَ فكيف السلوك، وحمل ذلكَ

---

(١) «وأطلع وارد على المملوك» بالأصل. والزيادة عن النسخ المساعدة. وهو في هذه العبارة يقتبس قوله تعالى: (من ١٩: يوسف): «وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام» .

(٢) البيت غير معزّو في (مقامات ابن الجوزي / ٤٠) ضمن أبيات، وقبله:

ظـنَّ غـداة الخـيف أن قـد سلما   لمـا رمـي سـهما ومـا أجـرى دما

فعـاد يـستقري حـشاه فـإذا   فـؤاده مـن بيـنها قـد عـدما

(٣) في (ز): «حب القلب اليانع غرامه» .

منه على مُزاحِ السادات مع غلمانها، وارتياحِ الأفاضل مع مَنْ يُسمّيهم الأدبُ بخدمها، وفنُّ الأَدب بإخوانها.

(من البسيط)

أعِــنْدَكَ الزُّهْــرُ تُزْهَــى فِي مَطَالِعِهَا
وَأَنْــتَ مُــشْتَغِلُ الأفكــارَ بِالْمَدَرِ[١]؟

وأما الربيعُ الآخرُ فهو التشريفُ، فما يقولُ المملوكُ في شرفه الرَّفيع، وحوله الصَّنيع، وظلّه المديد، وإن كان بحرُ كرمه السريع. وشيٌ مرقومٌ لا كما زعم ساكنُ الجزيره، ولواءٌ منشورٌ تَملكُ به معاقلَ الحمد الأثيره، ونسجٌ محبورٌ يكاد ثَغْرُ دمياطَ يتبسمُ عُجبًا بمحاسنه المُستنيره. لو فاز بمثله المتنبيّ لادّعى تظليل الغمامه، ولو عُرِض بياضُ دقته على المتأمِّل لأَعْيى زَرْقاءِ اليمامه. وما هو إلا غَيْمٌ أُخصبَ الظنّ بسقياه، وتنقّلَ إلى لقاء الأنجم بشرف لُقياه، وَبرٌّ جاءَ كما في النفس وأكمل، ووافدُ كرمٍ يُنْشَدُ على الحقيقة، (وَمَهْمَا أَتَى مِنْكُمْ على الرأْس يُحمَلُ[٢]) إن شاءَ المملوك اتخذه في العرب تاجَه الجليل، وإن أراد ارتدى به كيف شاءَ (فكلّ رِدَاء يَرْتَديه جميل[٣]).

وأما غَيرُ ذلك فعند المملوك من الوحشة لأُنْس مولانا في الجامع المعمور، والمُثول بين يدَيْه في ذلك المحلّ المأْثور، والتّذْكارِ معه لعشيّاتِ

---

(١) البيت لأبي تمام (ديوانه ٤/٤٦٤)، برواية:

أعــندك الــشمس قد راقت محاسنها		وأنــت مــشتغل الأحــشاء بالقمــر؟!

(٢) عجز بيت لمجير الدين بن تميم (خزانة الحموى / ٣١٧) وتمامه مع ما قبله:

وعــيرني بالــشيب قــوم أحــبهم		فقلــت وشــأن والعاشــقين الــتحمل

بعثــتم إلى رأســي المــشيب بهجركم		ومهمــا أتــى منكم على الرأس يُحمل

(٣) عجز بيت منسوب للسموءل. (ثمار القلوب / ١٣٢). وتمامه:

إذا المــرء لم يــدنس من اللؤم عرضه		فكــــل رداء يــــرتديه جمــــيل.

ذلك الحمَى، ومُقابلة المحاريب الذي كادت تتصوّرُ ألفاظُ مولانا بها تصويرَ الدُّمَى – ما يكاد ينشدُ معه.

(من البسيط)

لَقَـــدْ عَــــرَفْنَاكَ أيامًـــا وَدَوَامًـــنا

شَـــجْوٌ فيالَـــيْتَ أنَّـــا لا عَـــرَفْنَاكَ.

نَعَمْ وعند المملوك من التطلُّع لأخباره السارّه، واستقرار خواطره البارّه، ما لو علم مولانا موْقعَهُ من المملوك لواصل بذكره الرِّقاع، وملأ البقاع، وسارتْ البُرُدُ بكتبه "أولي أجْنحَة مَثْنَى وَثُلَاثَ ورُبَاع[1]". فليكنْ إنعامُهُ بهذا على هذه المقدّمه، وليجعل كلماته النُّجوميّةَ من إدرارات مَننه المنجّمه. والله تعالى يجدّدُ لَهُ الإمكان، ويجعله مُباركًا حيث كان، ويُنعِشُ بفضله كل دارِ سُكن، وإنما الدارُ بالسّكان[2]. بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى.

فكتبتُ أنا الجواب إليه عن ذلك، وذكرتُ ورقًا ملوّنًا أهداه ومنديلا:

(من الكامل)

وَافَـــي مِـــثَالُكَ وَهْـــوَ فِي أَوْجِ العُلَـــا

سَـــامٍ عَلَـــى فَـــرْقِ الفَـــرَاقِدِ سَامِكُ

أُفُـــقٌ وَبَحْـــرٌ للـــدرَارِي فـــيه بالدُّرِّ

(م) النفِـــيسِ تَـــشَابُكٌ وتَـــشَابُكُ

(١) اقتباس من الآية (١: فاطر).

(٢) يذكر بقول القاضي الفاضل (ديوانه / ٤٧٨):

إنمـــا الـــدار قـــبل الـــسكان		ثم بعـــد الـــسكان بـــالجيران.

وبقول أسامة بن منقذ (المنازل والديار / ٩٤):

ومـــا كـــنت أهـــوى الدار إلا بأهلها		علـــى الـــدار بعـــد الظاعـــنين سلام.

فَلَكٌ مَتى تَسْبَحْ كَواكِبُ لَفْظِه
كَادَتْ تُسَبِّحُ عِنْدَ ذَاكَ مَلائِكُ
لَمْ يُهْدِهِ للرحْبَةِ الفَيْحَا سُدًى
رِضْوانُ جُودِكَ غَيْرَ أنكَ مَالِكُ
تُجْلى على الألْبَاب مِنْهُ عَرَائسٌ
لَائستْ لها في اللفْظِ مِنْهُ عَرَائِكُ
يَجْلُو لَهَا تَحتَ الحُلِيِّ تَرَائبٌ
وَيَرُوق مِنْهَا في الجَمَالِ تَرَائكُ
فَإذا جُلِينَ عَلى المَسَامِع في الْوَرَى
لَمْ تُجْلَ إلا وَالبَدِيعُ أرَائِكُ
قَدْ أبرَزَتْهَا فِكْرَةٌ أضْحَى لَهَا
نَحْوَ المَعَانِي الغُرِّ نَهْجٌ سَالِكُ
إنْ حَاوَلَتْ نَظْمًا ونَثْرًا قَصَّرَتْ
عَنْهَا مَنَاسِمُ سُبَّقٍ وَسَنَابِكُ
أوْ دَبَّجَتْ طِرْسًا فَكَمْ رَوْضٍ به
يَبْدُو لِطَرْفِكَ وَهْوَ ضَاحٍ ضَاحِكُ
أشْعَارُهَا في العَالَمِينَ مَشَاعِرٌ
فِيهَا لأرْبَابِ القَرِيضِ مَنَاسِكُ
بَلَغَتْ مَدًى في الفَضْلِ قَدْ فَاتَ السُّهَا
فَتَراهُ وَهْوَ إلَيْهِ سَاهٍ سَاهِكُ[1]

(١) الساهك: الرمد. ويقال بعينه ساهك: عائر، أي قذى.

فَـــإِذَا سَـــعَى فِي إِثْـــرِها مُتَـــشَبِّهٌ
يَخْفَـــى، وتَقْذِفُـــهُ طَـــرِيقٌ شَـــائِكُ.

يُقَبِّلُ الأَرضَ مُبْتهلاً بالدعاء، مُبْتهجًا بالوفاء، مُتحلِّيًا بدُرَرِ الثناء، مُتملِّيًا بغُرر الولاء؛ ويُنْهِي وُرُودَ ما جهز قَرِينَ المثالِ الكَرِيم مِنَ الإحسان العميم، وهو الورقُ الملوَّنُ، والمنديلُ السَّكندري.

أما الورقُ فقد استغرقَ الحُسْنَ بصفات صفائه، وكاد يشفُّ[1] للنظار عن سمات سمائه، فمن أَزْرقَ كأنه السَماءُ المُصْحِيَه، أو الخمارُ الذي تتجلَّى تحتهَ طلعةُ الكاعبِ المُلْهِيَه؛ ومن أَصْفَرَ كأَنه الشمسُ في الشروق، أو اللمعاتُ التي لا تَكونُ إلا في البروق؛ ومن أَحْمَرَ كأنه تكوّن لما تلوَّن من الشفق، أو الصوارمُ التي عَلِق بظُباها علَق.

(من الوافر)

كَـــأن أديمَـــهُ وَجَـــنَاتُ خَـــوْدٍ
جَـــرَى مَـــاءُ النعِـــيمِ بِهَـــا وجَالَـــا
فَأَضْـــحَتْ كُـــلّ شَـــيءٍ قَابَلَـــتْهُ
تَـــرَى فِـــيها العُـــيونُ لهـــا خَـــيَالا
لَـــهُ لَمْـــعُ الـــسيوف إِذَا انْتَـــضَاهَا
كَمِـــيٌّ عِـــنْدَمَا شَـــهِدَ النِّـــزَالا
إِذا وَقَعَـــتْ لَـــوَاحِظُ ناظِـــرَيْه
عَلَـــيْه يَكَـــادُ يَخْطَفُهَـــا صِـــقَالا
وَإِنْ وافي الدُّجَـــى وَسَـــنَاه عِـــنْدي
كَفَانِـــي أنْ أُعِـــدَّ لَـــهُ ذُبَالَـــا.

(١) بالأصل: «يشف للناظر». واخترت ما في النسخ الأخرى.

فيا لله من هذه اليد العُلْويّة التي رَكبتْ في الإحسان «طبقًا عن طبق[1]» ، وعَلَتْ من الهمم الأرْضية فأَهْدت السماءَ والبرق والشفق.

وأما المنديلُ فإنه بلغ في الحُسْن الغايه، ورفع في الجوْدة والإتقان الرّايه، وسلك فيه الرُّقم أحسنَ طريقه، وأصبحَ نسيجَ وحدَه[2] على الحقيقه، وحُمد منه ما يُذَمُّ في غيره، وشُكر على ما يُعاب سواه إذا كان في سيرته وسَيْره، منها أنه رفيعٌ على الرفيق، وأنه يقابلُ صاحبَه بوجه صفيق، ومنها أن شربَهُ يَشفُّ عما وراءَه وكذا الواشي، وأن حاشيتَهُ غليظةٌ، والناسُ ما مدحوا إلا رقيقَ الحواشي.

(من الكامل)

فَطَفِقْـــتُ أُنْـــشِدُ حــين وافي بعـــدما
قـــد كـــدتُ أمحـــو رُقْمَـــه تقبـــيلا
نلـــتُ الأمـــانَ مـــن الـــزمان لأنني
أهـــدَى مليـــكُ الفـــضل لي منديلا.

فأَكْرِمْ به من قادمٍ هو في حَضْرة الجُلاّس حَضْرَه، وخادمٍ جعل الفمَ والعينَ والرأسَ مقرَّه.

وأما المثالُ الكريمُ فأعودُ إلى وصْفه، وذكرِ مبانيه ورصْفه، فأقولُ إنه انْطوى على الأزهار في الورق، وعُطف على المحاسن عطف البيان والنسق، ولان كالنسيم الرَّطب حتى لَطُفَ في الورق ورقّ، وجمع من خطِّه وخطابه بين زَهْر الحدائق وسحرِ الحدَق، وغدا من طرْسه ونقسه بين نهارٍ سحًا فيه الدُّجى فاندفع واندفق، وبين ليل انْهار فيه النَّهارُ

---

(1) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: 19].

(2) مجمع الأمثال 1/40: «إنه نسيج وحده» . قال ابن الأعرابي: معنى «نسيج وحده» أنه واحد في معناه، ليس له فيه ثان.

فانبث وانبثق. سطورُه فضَحتْ لما وضَحتْ خطَّ العذار المُنَمْنَمْ. وَسَمَتْ لما وُسِمَتْ رُقْمَ البُردِ المُسَّهم، وألفاتُه غصونٌ تحت حمائم الهمز لو أن تلك تترنح أو هذه تترنم. وكلُّ عينٍ فيه جفنٌ ينطقُ بالسحر. ومن جُملة السّحر أن العيونَ تتكلم. وكلُّ ميمٍ عُرْوَةٌ في الفضل وُثْقى، وإن شئتَ قُلْ ثغرَ حبيبٍ تبسم، فلي منه في كلِّ خَلْوةٍ جَلْوَه، وفي كلِّ خَطْوةٍ حُظْوَه.

(من البسيط)

وَمَــا تَنَاهَــيْتُ في بَثِّــي مَحَاسِــنَهُ
إلاَّ وَأَكْثَــرُ ممــا قُلْــتُ مــا أَدَعُ[١]

ولقد ذلّتْ شُجعانُ[٢] السجْعات عن الجواب صُغْرى، وتجرّعتْ من أقدام الأقلام كلَّ كأسٍ أمرَّ من الأُخرى، وقالَ المملوكُ لقلمه أتعرفُ مَنْ تُخاطب، وتدري من تُكاتب؟. لا تُجارِ مَنْ مضماره المجرّة، ولا تَسْرِ بينَ يَدَيْ مَنْ كلماتُه للمَنابر والأسرّة، ولا تعرِضُ هذا الحشَفَ البالي على مَنْ أقلامُه في كلِّ ذَرّةٍ منها دُرّه. والمملوك يعلمُ أنه ما يدْخُلُ من الإنشاء مع مولانا في زُمْرةٍ ولا عُصْبه، ولا يُجاريه في مضْمارٍ إذا نَطَقَ كان سُكَيْتَ الحلْبه، ولا يُدانيه في مقامٍ إذا حضره القاضي الفاضلُ قيل له لا تَنْسلْ من هذا الحَدب، أو العمادُ الكاتبُ قيل له تركُكَ الأدبَ هُنا من الأدب، أو ابْن زيدونَ قيل له أنت ناقصٌ عن هذه الرُّتْبَه، أو ابنُ الصيرفيِّ قيل له إن مثاقيلَكَ المصريّةَ ما تُساوي هَهُنَا حبَّه، أو ابنُ سناءِ الملك علم أن دارَ طِرازه[٣] دِمَنه، أو ابنُ النَقيب تحققَ أنه فاتته

(١) بدون عزو في (نصرة الثائر / ٦٣) والبيت لأبي فراس الحمداني وقد سبق تخريجه.

(٢) بالأصل: «سجعان» بالسين المهملة. واخترت ما في (ب).

(٣) يشير إلى كتاب: (دار الطراز) لابن سناء الملك. ومعظمه موشحات.

هذه الفتنه، أو السَّراجُ قال ما هذه لُمعى، أو الجزارُ قال ما هذه قطَعي، أو الحمَّامي قال ما أنا من فُرسان هذه القَساطِل، أو ابْنُ دانيال قال "جاءَ الحقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ[1]"، أو ابْنُ مقْلَةَ قيل هذا على نظرك فيه دقَّه، أو ابنُ العديم قيل له لا تذكرُ بعدها لحواشيك رقّه. ولله أهلُ الدّيار المصريّة فيما أتوْا أوْ لم يأتوا، فلقد ذكرتُ هُنا من أمثال عَوامِّهم (لو رَقَصُوا حتى ماتوا، ما حَكوا ناتو)، وبالجملةُ فقد تجشَّمَ المملوكُ في جواب مولانا مرْكبًا صعبًا، وما بقي إلا الخُروجُ من هذه اللجة إلى ساحل السّلامة وَثْبًا[2]. انْهى ذلك.

فكتب هو إلى الجوابَ عن ذلك، وأنا بالرحبة المحروسة، في أوّل جُمادي الأولى سنة ثلاثين وسبعمائة:

يُقبِّلُ الأرْضَ تقبيلاً مُنْتَظمَ العقود، ويُوَاظبُ من الثّناء على ما يخفى المسكُ عنده، وأين الضائعُ من الموجود؟. ويُنْهي وُرُودَ المشرَّفَة المشنَّفَه، والعارِفَة التي قضى عَرْفُها الطَّيِّبُ أن تكون مُعَرَّفَه، والسّحابة التي إن أبطأ سَيْرُها، فَلأنَّها حافلةٌ غيرُ مُخلَّفَه. فأهلًا بها جامعةَ الحُسن والإحسان، بارِعةَ الفنون يانعةَ الأفنان، وارِدَةً على حين فَتْرة، لا جَرَمَ أنها تضمَّنتْ مُعجزَات البيان. قبّلَ المملوكُ أَحْرُفَها فكأنَّما قبَّلَ الشهُب، وشافه وَصْلَ أوصالها، فكأنما شافَه السحب، وانتصر بمواقع أقلامها، فكأنما انتصر بمواقع السمْرِ السُّلُب، وقابل وُجوهَ الألفاظ غُرًّا، وطلب مُجاراةَ الجواب، فقال الفكرُ الواقفُ لعلّ له عُذْرًا، ورام رد التَّحيَّة

---

(١) اقتباس من الآية: (الإسراء: ٨١).

(٢) يشير إلى قول المتنبي (ديوانه ١/٥٨):

وكيف التذاذي بالأصائل والضحى إذا لم يعد ذاك النسيم الذي صبا

ذكرت بها وصلا كأن لم أفز به وعيشا كأني كنت أقطعه وثبا.

بأَحْسنَ منها أو مثلها، فقالت له المحاسنُ المتكاثرةُ «إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا[1]». لا جرَم أنّه اقْتصَر على استجلاءَ فُصولِ محاسنها الربيعيّة، كأنما يقْتَطفُ زَهْرًا، بل يَقْتَطفُ زُهْرًا، ومشى على سجيّته في إرسال هذه الألفاظ الفاضحة، طالبًا من الباب الكريم سَتْرًا، علمًا أن مَا غَلَبَهُ غيرُ شجاعٍ[2] إذا بارز أقرانَه فما أكثرَ القتلى، وما أرْخَصَ الأسْرَى. مُتَعَجِّبًا من مولانا كيف سرّهُ تَخْجيلُ عبد وَلائه، وتقصيرُ المنتسب إلى تَهْذيب أفعاله وأسمائه، وكيف رَمَى بهذه السّهام الغالبة قَلْبًا هو ساكنُه؟!.. أتُراهُ لا يخشى على حَوْبائه؟! مُقْسمًا عليه أنْ يَكُفَّ من غُلَواءِ هذه العيون حَذَرًا من إصابة العَيْنِ، وأن يَغُضَّ من هذه الأعنَّة التي إذا جارتْها الأُوَلُ قالت السُّحبُ مَن أين؟ وإلى أين؟. وأن يُنْقبَ بعضَ هذه الوجوه الحسان الصِّباح، وألاَّ يُنَقِّبَ أبدًا عن هذه الدقائق التي تُعشي الصَّباح، وألا يحْملَ نفسَه على هذه الغايات التي حطّ دُونَها البرقُ واستراح. فوالله ما بيْن ولايتيْ وادي الكتابة مَن يُفاخرُه، ولا في أبطال هذا الفنِّ البطَّالِ مَنْ يُساوِرُه، وما منهم إلا مَنْ إذا راقبَتْهُ كلماتُ مولانا الداعية حاشا الرقيبَ فخانَتْهُ ضمائرُه، لاسيما المملوكُ الذي هو في هذا الأمر ليس بمعدود، ولا في محاضر هذا الحكمِ بشاهد ولا مَشْهُود، العاجزُ عن إجْراء هذه الكلمِ فكيف مُجاراتُها، القاصرُ عن تمَنّي مثْلها في الحُلمِ فكيف مُناواتُها، الساكتُ السُّكَيتُ الذي إذا دَعَا الرِّهانُ أقلامَه، فليستْ قوائمهُنَّ من آلاتها، ولاسيما هذه الرِّسَالةُ التي جاءَ الأَدبُ فيها بحذافيره، وأقبل جَيْشُ البيان بمغاويره، وأسْفَرَ أُفُقُ التِّبْيَان وكَنْزُه عن دنانير أنجمه وأنجمِ دنانيره. وفصّلَ النظمَ والنثرَ تفصيلَ

(١) من الآية: (٧٥: الكهف).
(٢) بالأصل «سجاع» بالسين المهملة والجيم المضعفة. واخترت ما في النسخ الأخرى.

القلائد، وحارَ النظرُ والفكرُ بين كُئوسِ الحانات ومَصابيحِ المساجد، وتكاثرتْ على عيون الفطن الساهرة بالعجز أَرْصادُ الفراقد، بينا النظْمُ قد زَأرَ بأَبِي تَمَّامه، ويالَهُ من حبيب، وروي عن مُسْلمه من حديث البلاغة كلّ غريب. لا بل أقْبلَ بمحاسن حَسّانه. ووافى بالنَّابغة في شقيقه ونُعْمانه، وجاء بزُهيره يَرِف بين عَرار لفظه وحَوذانه، إذا بالنثر قد فاضَ بابن بحره(١)، وآض بعبد الحميد في رقيقه وحُرّه، وأهدَى البديعَ في تطبيقه وتَقْسيمه. ونشرَ الحريريُّ في تدْبيجه وتَسْهيمه، وأقبلَ بأبي عبَاده فإذا هُوَ صاحبٌ وخليل، وقَضَى بقاضيه الفاضل على ألسنة كان في حسْبها نعم الوكيل.

فلْيَنْظر مولانا كيف كان حالُ عبده في هذه الزحْمَه، وقدْرُهُ بين أقدار هذه الجماعة التي تركته رَحْمَه، وليُمطرْهُ من الآن على قدر واديه، فربما عادتْ نعمةُ السيْل نقْمَه. ولا يَصِف مولانا هدايا المملوك الحقيرةَ في مَوْضع التقْريع، ولا يُقِمْ منها أصْلاً لبلاغته يكاثرُ بهذا التفريغ. هذا مع تَخَلّي المملوك عن هذا النوعِ الذي حُسِمَ دُونَهُ الغرام، وخَبا الضِّرَام، وأصبحتِ العَيْنُ كما قيل من عَيْنه حرام.

(من الوافر)

وكانــتْ لَــوْعَةٌ ثُــمَّ اطْمَأنَّــتْ
كَــذاكَ لكُــلِّ سَــائلَةٍ قَــرارُ(٢).

وعلى الجُمْلة فما تخلو هذه الرّسائلُ الطّنّانةُ من أمْرَيْن، إما أنْ يُرِيدَ

---

(١) يقصد الجاحظ.

(٢) البيت لأبي تمام (ديوانه ٢/١٥٣) من قصيدته التي يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم ابن شبانة. ومطلعها:

نَــوارٌ في صَــواحيها نَــوارُ ... كمــا فاجــاكَ سِــربٌ أو صِــوارُ.

إظهارَ فضائله فقد أعلاها اللهُ وأَظهرَها وأَيَّدها ونَصرَها، وأَنْبتَ لها في كل أَرْضٍ حدائقَ ذات بهجة، ما كان لأقلام الكُتَّاب أن تُنْبتَ شجرَها؛ وإما أن يُريدَ غلبَ المملوك فقد وقَع في بحر وغيٍّ ما له من قرار، ولزَّتْهُ المَطاردَةُ إلى نزَالٍ كانَ أَحدَّ سلاحه فيه الفرَار. وقد سلَّمَ الأميرُ البلاغةَ في السَبْق وإن كان ما صليّ، وعرّفتهُ مقدارَه هذه الاسجاعُ المتبسِّمَةُ إلى أن[1] «عَبَس، وَتَوَلَّى»، وافتضحنا، والحمد لله شكرا.

وأَما غير ذلك [فقد][2] أشار مولانا في مُشرّفَته إلى إنفاد كتب ربانية[3] طيّها، ولم يجد المملوكُ لها أثرًا، ولا حصَّلَ إلا خبرًا. والظاهر أنها كانت كواكبَ كَلِمٍ فانْضَاعَتْ، ونوافحَ مسْك حملَها الرَّكبُ فضاعَتْ، وأشار إلى كرارِيسَ فكان حالُها كحالِ الكُتب المذكورة لم يُحطْ المملوكُ بها خُبْرًا، ولا لمح شَطرًا ولا سَطْرًا. وبلغه أنها منذ وردَت إلى فلان لم تَصْدُرْ عنه، وما للملوك إلمامٌ بذلك المقام، وكلُّ ما يصح للمولى على العبد حرام. وأشار إلى تحصيل كُتب أدبية يرجو أن يَتفقَ حصولُها، ويتعلّقَ بين يدي مولانا وُصُولُها. وقد جَهزَ جُزْءًا من كلام أبي العلاء المعرِّي رحم في السوق هَوَانه، وراق لزمانه في هذا الوقت وذكَر زَمانَه.

وأَما زهرُ المنثور فقد أَحملَتْهُ من مولانا الخمائل، وأذْبلَتْه؛ فلا مُرادَ للناظر فيه، وما يريد الناضرُ من الذابل، وعلى ذلك فمتى نَحُّزَ جهُز. ووقف المملوكُ على المقاطيعِ الرحيبة فضاق صدْرُه، ولم يُسَر بمعناها الفصيحِ سرُّه، ثم رجا ألا يكونَ لهذه الشكوى حقيقة، وحمل هذا النظمَ على عادة الشعراء الراشقةِ ومُبالغَتهِم الرشيقة.

---

(١) من هنا سقط الكلام في الأصل. وسأنبه على نهايته، والزيادة عن النسخ الأخرى.

(٢) زيادة يحتاجها الكلام.

(٣) كذا في (ب). والرواية في (ز): «أدبية» .

والله تعالى يُضْفي على مولانا مَواردَ إِنْعامه، ويَحرسُ جنابَه الكريمَ من طوارقِ الدهر وسهَامه، ولا يُخْلي الأَولياءَ في البُعْد والقُرْب من سَحابِ كرمه وروضات كلامه، بمنّه وكرَمه إن شاء الله تعالى.

وأهديت إليه من الرحبة المحروسة سمكا من الفرات، وسألته كتمانه، وكتبت معه:[1]

(من البسيط)

أَهْدَيْــتُهُ سَــمَكًا يَــصْطَادُ وُدَّكَ لِــي
وَلَــيْسَ ذا سَــمَكًا لكِــنَّهُ شَــبَكُ
لاَ تُنْكِــرِ التَّمْــرَ إِذْ يُهْــدَى إِلى هَجَرٍ
فَأَنْــتَ بَحْرٌ وَقَدْ أُهْدَى لَكَ السَّمَكُ.

فكتب هو إلي الجواب عن ذلك:

يُقبِّلُ الأَرْضَ، ويُنْهي وُرُودَ الإنعام التي ملأَ الفمَ والعَيْن، وحدَّث ولا حرَجَ عن البحريْن، البحر الذي ورد من فُراته وهو النَّهرُ المعروف، والبحر الذي صدَرَ عن هباته وهو اليدُ ذاتُ المعروف. فآهًا[2] له رِفْدًا لم يكن فيه عيبٌ غيرَ السَّرَفْ، وجودًا لو يُمْكِن[3] المملوك لوصل فيه القولَ ووصف. ولكن أشار مولانا إلى مصلحة كَتْمه, وجرى المملوك في امْتثال الإشارة على رَسْمه، وخشى أن لا يَجْرِيَ له في هذه المطالعة قولاً[4] بحكمُه، ويأْخذَ من أَقمصته اللؤلؤية معنى ينثرُه أَو ينظمُه، فيتوهّم مولانا أن المملوكَ يشيعُ أمرُه طَلَبًا لإشاعة كلامه، وإذاعة نثاره ونظامه، فسكت والأقوالُ تَعْتَلج، وَصَمَتَ وألفاظُ الآثارِ تكادُ في مسامع الأَعيُنِ

(١) البيتان مذكوران في (الغيث ٢/٢٤٩).

(٢) من هنا مذكور (بالغيث ٢/٢٤٩).

(٣) «لو تمكن» بالغيث.

(٤) «ذكرا يحكمه» بالغيث.

تَلج. [وقد علم الله تعالى إيثارَهُ لمصالح مولانا سرًا وجهرًا، واغتباطَهُ بمودّته التي كان بفضلها الغَمْرُ غُمْرًا، وسرورَه بفضائله التي ما تأمل آياتها إلا قال الفضلُ: سنُريك من آياتنا الأُخرى[١]]. على أن المملوكَ إن سكت مَقالُه فقد تكلّمَتْ مُقلاتُه، وجاش غليانُها بشكرِ ما وهبت[٢] به من منن مَولانا وَهبَاتُه، وليست والله كمالِ بعض العرب، مقلاةً نَزور، ولكن ذات نتاج يعاود منه القِرى[٣] ونزور.

(من الطويل)

هـبَاتٌ عَـن البَحْرِ الفُرَات تَحَدثتْ
فَقَـدْ عَظُمَـتْ عَنْ قَوْلِيَ المُتَغَالي[٤]

وَقَدْ أفْصَحَتْ عِنْدي [المقالي][٥] بشكرها
فَلَـمْ تَخْـلُ عِـنْدي من ثَناءِ مَقَالي.

وعلى الجُملة فقد أخجَلَه تكاثُر هذا الإنعام، وشق عليه، والله، سَرَفُ هذا البرِّ العام، وقد صارت له على مولانا كُسْوةٌ وراتبٌ، فليكُن صرفُها إليه في كل عام. أنهى ذلك.

وكتب هو إليّ من دمشق المحروسة أيضًا في جمادي الأولى من السنة المذكورة:

يُقبِّلُ الأرْضَ ويُنْهي مواظبَتَهُ على الدعاءِ الصالح، والثناءِ الذي يتمسكُ بروائح ذكرِه كلُّ غادٍ ورائح، والشوقَ الذي تلا الإنسانُ عينه بين السُّهد والدَّمع: «يأيُّها الإنسان إنك كادِح[٦]» . ويُقْسِمُ بالله تعالى

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الغيث. ثم يعود قائلا: «ومنه: على أن المملوك...» .
(٢) بالغيث: «ما هبت به» .
(٣) «نعاود منه» بالغيث.
(٤) آخر كلام المحذوف من الأصل.
(٥) الكلمة ساقطة من الأصل. والزيادة عن النسخ الأخرى والغيث.
(٦) اقتباس من الآية: (الانشقاق: ٦).

وكفى به، وبحياة مولانا؛ فإنَّها والله من أشْهَى آرَابه، وبفوائده التي طالما جنى من أغصان حروفه ثمرَ [التداني[1]] «مُتَشَابِهًا وغَيْرَ مُتشابه»[2] لقد كان المملوكُ أوّلَ يَوْمٍ يُجَهِّزُ هذه الخدمَة، يُجَهِّزُ جيوشَ العتاب، ويَعْقدُ عليها لواء الكتاب، ويصلُ القولَ في انقطاع أمثلة مولانا العالية، ويُجرِّدُ الفكرَ في مُدافعة أيّام صدودها العاتيه، ويولِّد من معاني المعاتبة ما إذا رَكب مَتْنَ القلم صاحَ العاديةَ العاديةَ. وإذا بالجناب الفلاني، وقد أحضر إلى المملوك كتابَ مولانا إليه، وأوْقفه على الفصلِ المتعلق بذكر انقطاع كُتب المملوكَ عنه فعجب لحظِّه المغلوب، وجدِّه الذي لا يَبْرَحُ داخلًا من القَهْر تحت مكتوب، وسَعْيه الذي لو قطَع طائرُ بطائقه الأُفقَ لما قيل إلاّ أنه للتقصير منسوب. وقالَ للمملوك وعنَى مولانا: هذا رجلٌ قد أُوتي السبقَ في كل الأشياء، واطّلعتْ فطنتُهُ على مواقع الإجابة في النداء، وأُمدَّ ذكاؤه بنصرٍ يكَادُ يرتضعُ من أخْلاف أشعة ابن ذكاء، وخدَمَتْ منه السعادةُ مُستَحقًا، وأبى الله -عز وجل- إلا أن يُملِّكَ مُكاتبَهُ على كلا الوجهين رقًا. ثم نَبذ المملوكُ ألفاظَ العتاب وراءَ ظَهْره، وأقرَّ بالذنب ولو شاءَ لوضَح عُذْرُ حقِّه وَحَقُّ عُذْره.

(كـيما[3] أقـولُ كَمَـا قالَتْ فَنَتفقُ) (ولَـكَ الرِّضَـا وَأَنا المُسِيءُ المُذْنِبُ)

---

(١) ساقطة من الأصل. والزيادة عن النسخ الأخرى.

(٢) من الآية: (الأنعام: ١٤١).

(٣) بالأصل: «كما أقول» . وهذا الشطر عجز بيت منسوب لصريع الغواني (ذيل ديوان مسلم الأنصاري / ٣٢٨) وتمامه مع ما قبله:

إذا التقينـا منعنـا النـوم أعينـنا ... ولا نلائـم نـومًا حـين نفتـرق

أقـر بالـذنب مـني لسـت أعرفه ... كـيما أقـول كمـا قالـت فنـتفق.

(من الطويل)

ظَلَمْـتُمْ وَقُلْـتُمْ أَنْتَ فِي الحُبِّ ظَالِمٌ
صَـدَقْتُمْ كَـذَا كَانَ الحَدِيثُ صَدَقْتُمُ

ومع ذلك فو الله الذي لا إله إلا هو، ما وَرَدَتْ على المملوك من الرحَبَة المحروسة أمثلةُ مولانا إلاَّ وجَهَّزَ جَوَابَها، وقابلَ بالطاعة فضْلَها وخطابَها، ولو حاسبَ لتوفَّرتْ له الجُملة، ولو قاسم لكانَ لكُتب مولانَا الفضلُ ولكتُبه كما يقالُ الفَضْلَه. وإنما أعوزَ صحفَه الوُثوقُ بحامل، وتعلَّق بحبال الشمس أعني ابنَ حماد[1] في إنفاذ مَدَدها المتواصل.وذكرَ المشارُ إليه أنه أنْفذَها مع التجار مَثْنى وفُرَادى، وكاثَرَ بتَجْهيز فصولها الأشهُرَ ربيعًا وجمادي، فلا يحتجَّ مولانا في الملال بهذه الحجج الغير محكمه[2]، ولا يُطلع الهجرانَ من هذه الثنيةِ، فإنما في وجه الشوق غير مُتَبسِّمه، وأُقتل ولا تحتجُّ في قتله.

المملوك يُنْهي أنه قد شرى لمولانا نُسخةً بزهر آداب، وسؤالُه الصدقةُ عليه بإنفاذ من يَحْملُها، ويحمِّلُ المملوكَ بذلك المآنةَ التي لا يَحمِلُها، ولحي الله بلدًا يعجزُ المحبون عن تحملِ الرسائل، وتبليغ الوسائل، وتقطعُ المفاوِزُ طرُقَها حتى على التحايا، وتَخْضَعُ لدَيْها في قياسِ شُقَّةِ البيْن حتى أذرعِ المطايا. أنهى ذلك إن شاء الله تعالى.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك: (من مجزوءِ الكامل)

مَـا كُـلُّ مَـنْ أَخَـذَ القَلَـمْ
وَشَـى الطُّـرُوسَ إذا رَقَـمْ

---

(١) لعله يقصد جمال الدين يوسف بن محمد بن مظفر بن حماد الحموي. مفتي حماة وخطيبها. توفي سنة ٧٣٦هـ. (الدرر ٥/٢٤٩).

(٢) لعل الصحيح: "الغير المحكمه"، أو "غير المحكمة" ؛ لأن كلمة (غير) موغلة في الإبهام؛ فلا تعرف بـ(أل).

وَجَنَـــى الـــوَرَى مِـــن لَفْظِـــه
زَهَـــرَ الـــبَلَاغة والحِكَـــمْ
وَغَـــدَتْ مَحَاسِـــنُ فَـــضْله
نَـــارًا تُـــشَبُّ علـــى عَلَـــمْ[1]
هَـــيْهاتَ هَـــذَا الوَصْـــفُ لابْـــ
ن نُـــبَاتَةٍ مِـــثلُ العَلَـــمْ
أنَـــا لا أقُـــولُ بِمُفْـــرَدي
هَـــذَا بإجْمَـــاعِ الأمَـــمْ
إنْ شِـــئْتَ فاسْـــأَلْ مَـــنْ تَـــرى
عَمَّـــا ذَكَـــرْتُ، يَقُـــلْ نَعَـــمْ
بَحْـــرٌ تَدَفَّـــقَ مَـــوْجُهُ
فَـــضْلاً، وَمَـــا قُلْـــتُ الْـــتَطَمْ
وَخِطَابُـــــهُ فِي خَطِّـــــه
كالـــدُّرِّ في الـــسِّلْكِ انْـــتَظَمْ
أسْـــتَغْفِرُ اللهَ العَظِـــيـــ
ـــمَ غَلَطْـــتُ في التَّـــشْبيهِ ثُـــمْ
بَـــلْ كالـــدَّرَارِي في الـــسَّمَا
وَقَـــدْ احْتَـــرَزْتُ مِـــنَ الظُّلَـــمْ
وَغَـــرِيبُ كُـــلِّ فَـــضِيلَة
فِـــيهِ تَجَمَّـــعَ وَالْـــتَأَمْ

(١) الشطر الثاني مأخوذ من قول الخنساء في أخيها صخر:
وإن صـخرًا لـتأتم الهـداة به كأنـه علـم في رأسـه نـار

وإلى هُـــنَا وَصْــفِي انتَهـــى
خَـــوْفَ المَلالَـــةِ والـــسَّأَمْ
وَعَلـــى الـــصَّحِيحِ فوَصْـــفُهُ
يُرْبِـــى عَلـــى قَطْـــرِ الـــدِّيَمْ.

يُقَبِّلُ الأرضَ، ويُنْهِي وُرُودَ الأَمثلة الكريمة ثلاثًا، وقدومَها عليه مُتواترةً حثاثًا، واستيلاءها على الفصاحة التي كانت لمولانا من جَدِّه الخطيب ميراثًا، واشتمالَها على البلاغة التي قد راح طِيبُها نفّاحًا وسحرُها نفّاثًا.

(من الكامل)

وَثلاثَـــةُ الـــشَّجَرِ الجَنِـــيِّ تَكافَـــأَتْ
أَوْرَاقُهَـــا وَثِمَارُهَـــا وَأُرُومُهَـــا[1]

فعلمت أن هذه الأمثلةَ الكريمةَ هي أثافيُّ الفضائل، ومَنْطقةُ الجوزاء التي هي على عِطْفِها المتمايل، وقلتُ هذه الثلاثُ التي أعْلَتْ للأدب شَرَفَه وشُرُفَه، ورَفَعَتْ إلى النجوم طرَفَه وجرّتْ على الأدب مُطرفَه، وهذه الثّلاثُ التي هُنَّ من حاجة الفتى[2]، لا كما قال طرفه.

---

(١) البيت لأبي تمام (ديوانه ٣/٢٧٤)، برواية: «تكافأت أفنانها» من قصيدة يمدح فيها ثلاثة هم: عبد الحميد بن غالب، والفضل بن منصور، وإبراهيم بن وهب، مطلعها:

لامـــته لام عـــشيرها وحـــميمها ... مـــنها خلائـــق قـــد أبَـــنَّ ذميمها

(٢) يشير إلى قول طرفة (ديوانه / ٣٢، ٣٣):

ولـــولا ثـــلاث هـــن مـــن عيشة الفتى ... وجـــدك لم أحفـــل مـــتى قـــام عودي
فمـــنهن ســـبقى العـــاذلات بـــشربة ... كمـــيت مـــتى مـــا تعـــل بالمـــاء تزبد
وكـــرى، إذا نـــادى المـــضاف، محنـــبا ... كـــسيد الغـــضا، نبهـــته، المـــتورد

=

(من البسيط)

ثَلاثَـةٌ مَارقـى النَّـسْرَانِ حَيْثُ رَقَتْ
وَكُلَّمَـا طَـارَ مِـنْ نَـسْرٍ وَلَمْ يَطِرِ

فلله مرسلها الذي أصبح في البداية آية، وفي الدِّراية رايَه، وبلغ في البلاغة أعلى رُتْبَةٍ وأبْعَدَ غايه، وأحيى سُنَنَ الإنشاء بما أبداه، والإحْيَاءُ لصاحب البدايه. وأوْجَدَ الهدَى لبني الأدب بها، ومن العجب أن يكون مع الثالوث هدايه، لا كما قال تاجُ الدّين الصَّرْخَدي(١):

(من الكامل)

بِـثَلاثَةٍ ضَـلَّيْتُ في ديـنِ الهَـوَى
مَـا لي عَلَـيْهَا فِـي الأَنَـامِ مُغِـيثُ

ولقد ورَد الأولُ يَميسُ به الفصاحة في حُلَّة طرسه، وتُكنُّه البلاغةُ في سُويداء نفسه، فأخذَ بمجامع القلْب، وأتى [إليه](٢) همزة السَّلْب (وَصَادَفَ قَلْبًا خاليًا فتَمَكَّنا)(٣).

وأتي الثاني تتهادى قُدودُ ألفاته من الهَيَف، وتَتبرّجُ محاسنُه التي ليس للبدر منها غيرُ الكلَف، يقول: (كَمْ تَرَكَ الأَوّلُ للآخر)(٤) فوفّيته من

وتقـصير يوم الدجن والدَّجْن معجب ... ببهـنكة تحـت الطـراف المعمـد.

(١) هو محمود بن عابد بن حسين بن محمد بن الشيخ الإمام تاج الدين التميمي الصرخدي، الفقيه النحوي الشاعر المشهور. المتوفي بدمشق سنة ٦٧٤هـ (الطبقات السنية ٣/٨٦٨).

(٢) ساقط من الأصل، والزيادة عن النسخ الأخرى.

(٣) عجز بيت للمجنون (ديوانه / ٢٨٢) و(الحيوان ١/٤٠) وهو منسوب ليزيد بن الطثرية في (العقد ٥/٤١٢، ومحاضرات الأدباء ٣/٥٠)، ومنسوب إلى ديك الجن وهو بديوانه ١٩٤ وقيل لغيرهم. وتمامه:

أتـاني هـواها قبل أن أعرف الهوى ... فـصـادف قلـبا خالـيًا فتمكـنا.

(٤) عجز بيت لأبي تمام (ديوانه / : ٢ / ١٦١) وتمامه:

الصّبابَةِ حَقّه، وملّكته رقَّةَ القلب وَرَقّه. و لم أقل:

مــا الحُـــبُّ إلاّ لِلْحَبِـــيبِ الأوّلِ[١].

ولا اعْتذرتُ بقول الآخر:

منْ أيْنَ لي لِلْهَوَى الثّاني صِبًا ثان[٢]؟!

مع أنّ الذكرى تَهيجُ الغرامَ الأوّل، وتجذبُ القلبَ إليه بزِمامه، كأنه ما حال ولا تحوَّل.

(من الطويل)

تَـسَلّى بِأُخْـرَى غَيْـرَها فإذَا الّذي
تَـسَلّى بِهَا تُغرِي بِلَيْلَى وَلا تُسْلي[٣].

ووافي الثالثُ في مواكب جماله وجمالِ مواكبه، وكواكبِ جُمانه

يقـول مـن تقـرع أسماعـه		كـم تـرك الأول للآخـر.

(١) عجز بيت لأبي تمام (ديوانه ٢٥٣/٤) وتمامه:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى		ما الحب إلا للحبيب الأول.

(٢) عجز بيت لأبي علي محمد بن الحسن الشبلي، المتوفي سنة ٤٧٣هـ (فوات ٢/ ٣٩٦) وتمامه مع ما قبله:

قالوا وقد مات محبوب فجعت به		وبالصبا وأرادوا عنه سلواني

سواه في الحسن موجود فقلت لهم		من أين لي للهوى الثاني صبًا ثاني.

(٣) البيت منسوب لعدة من الشعراء فهو للمجنون (بديوانه / ٢٣١). وقبل هذا البيت:

ولما أبي إلا جماحا فؤاده		ولم يسل عن ليلى بمال ولا أهل.

وهو لدعبل الخزاعي (بديوانه / ٣١٩) برواية: "فإذا التي تسلى...). وفي حاشية؛ منسوب إلى علي بن جبلة كما أشار في (الشهاب في الشيب والشباب / ٣٢). وليس بديوان ابن جبلة. وهو منسوب لكثير عزة في • محاضرات الأدباء ١٢٨/٣).

وجُمانِ كواكبه، فتلقّاه الصّدْرُ بشغفٍ لم أَعْهده، وأظهر كامِنَ وَجْدٍ لم أعرِفْهُ ولم أشْهَدْه، أخذًا بقوله:

إنَّمَا يُوَكَّلُ بالأدْنَى وإنْ جَلَّ[1] ما يَمْضِي

وكلُّ جديد وله لذة[2]. هذا على مراجعةِ ما تقدَّم بالصَّبابَه، وتعهُّدِ بالوجد الذي أصمى الفؤادَ وأصابه، خوفًا من قوله:

فَأَصْـــبَحْنَا كَأَنَّـــا مَـــا اجْتَمَعْـــنَا

وقول الآخر:

وَأَظُـــنُّهَا نَـــسِيَتْ عُهُـــودًا بِالْحِمى

(من الطويل)

وَلا تَحْـــسِبِ الأَقْمَـــارَ خَلْقًا جَدِيدَةً
فَجُمْلَـــتُهَا مِـــنْ نَيِّـــرٍ مُتَـــرَدِّدِ[3]

وَكُـــلُّ شَـــخْص رَآهُ ظَنَّه السَّاقِي[4]

---

(١) رسم الشطر بالأصل هكذا: (إنما نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضى) وهو بقية بيت لأبي خراش الهذلي – خويلد بن مرة- (خزانة البغدادي ٥/٤٠٥، وحماسة أبي تمام ٢/٧٨٦، والبيان والتبيين: ١/١٥٤، وزهر الآداب ٣/٧٩٦، والأمالي ١/ ٢٧٤، والأغاني ٢١/٢٠٤، ٢١٨ – والرواية في الثلاثة الأخيرة ((بلى إنها تعفو)) ...)
وتمام البيت برواية البغدادي:

علـــى أنهـــا تعفـــو الكلـــوم وإنمـــا نـــوكل بـــالأدنى وإن جـــل مـــا يمضي

(٢) يشير إلى قول ضابيء (شرح ديوان الحماسة – التبريزي – ٤ / ٤٥٢):

لكـــل جديـــد لـــذة غـــير أنـــني وجـــدت جديـــد المـــوت غـــير لذيذ.

(٣) البيت لأبي العلاء المعري (سقط الزند /٨٩) من قصيدة مطلعها:

إلـــيك تناهـــي كـــل فخر وسؤدد فأبـــل اللـــيالي، والأنـــام وجـــدد

(٤) عجز بيت لأبي نولس (أبو نولس لابن منظور / ٨٩) وصدره: (فكل كف رآها ظنها قدحا).
وهو منسوب لعبد الله بن العباس الربيعي، في (الأغني ١٩ / ٢٣١) ضمن أبيات:
=

وكُـــلُّ نَجْـــد للعَامـــرِيَّة دَارٌ[1]
وَفِـــي كُـــلِّ وَادٍ بَـــنُو سَـــعْدٍ[2]

وكـــل لامعـــةٍ علـــى أطلالهـــم
وليلـــى وكـــلٌّ كـــان قَـــيْسَ غرامها (من الطويل)
ومـــا ثَـــمَّ إلا حُـــسْنُها وجـــنونُه

وما أظنُّ بمولانا إلا أنه توهم قصورَ مُحبِّه المملوك، فبعثَ بهذه المحاسن الطائلة، وجرَّد له من عيونها المُقلَ الصائدَه، ونبّهني تمامُ السّجع لأن أقول الصائلة:

(من مجزوءِ الرجز)
ترمـــــى وكُلّـــــي مَقْـــــتَلٌ
وكلُّهـــــا سَـــــهْمٌ مُـــــصيبْ[3]

ومـــستطيل علـــى الـــصهباء باكرها في فتـــية باصـــطباح الـــراح حـــذاق
فكـــل شـــيء رآه خالـــه قـــدحا وكـــل شـــخص رآه خالـــه الـــساقي.

(١) عجز بيت غير معزو في (الكشكول: للعاملي / ٣١٩) . ومعزو للمجنون –وليس بديوانه– في (الكشكول: للعاملي / ٤٠) وتمام البيت مع ما بعده:

لا تقـــل دارهـــا بـــشرقي نجـــد كـــل نجـــد للعامـــرية دار
فلـــها مـــنزل علـــى كـــل أرض وعلـــى كـــل دمـــنة آثـــار.

(٢) للأضبط بن قريع في (الحيوان ٣٥٨/١، ١٠٤/٣، ٣٩٤/٤، والبيان والتبيين: ٣/ ٢٩٤ ط الأولى. التأليف والنشر) برواية: «بكل واد...» وكان الأضبط قد تأذى من قومه بني سعد فتحول عنهم إلى آخرين، فآذوه، فقال: «بكل واد بنو سعد» .

(٣) لابن سهل المغربي، في أول موشحه (توشيع التوشيح / ١٥٧، والغيث ١٤/٢، وفوات الوفيات ٤٥/١) وقبله:

يـــا لحظـــات للفـــتن في كـــسرها أو في نـــصب

وهيهات: (من الوافر)

مَلَكْتَ بِبَعْضِ حُسْنِكَ كُلَّ قَلْبي

فإنْ رُمْتَ الزِّيَادَةَ هَاتِ قَلْبَا(١)

بل ما أظن إلا أنه -حرسه الله تعالى- تخيلَ جَلَدَ المملوك على الصبابة، ومُكابرَته على مُكاثَرَة من يُنْفقُ من كنز الأدب الذي أصابَه، وجُحودَه فضلَ رئيس هذه العُصْبة، والأَليقُ أنه رأس هذه العصابَه، فأراد أَن تعرفه أين الجمادُ وهو الثمالُ؟ وأين جلادُ المملوك بالمصابرة من جلال مولانا بالسِّحْر الحلال؟ فإن كان الظن الأوّلُ أصابَ الغرض.

فيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوًى كُلَّ لَيْلَة(٢).

وإن كان الظن الثاني:

فقَتْلُ الَّذِي يَرْمِي السِّلَاحَ حَرَامُ.

---

(١) البيت لأبي الفتح عثمان بن جني، (الشعور بالعور / ١٥٦). ومقدمه شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ٨٦/١ ورواية البيت مع ما قبله:

تحبَّبْ أو تدرَّعْ أو تأبَّى فلا والله لا أزداد حُبَّا

أخذت ببعض حُسنك كل قلبي فإن رمت المزيد فهات قلبا.

(٢) صدر بيت منسوب أبي صخر الهذلي في (الأغاني ١٨٥/٥، ١٠٨/٢٤، وخزانة البغدادي ٢٢٩/٤، والأمالي ١٨٥/١ط الهيئة) والرواية فيها: «ويا حبها» . وفي (العمدة ١٢١/٢) برواية: «فيا حبها» ، وهو من قصيدة صخر التي مطلعها:

لليلى بذات الجيش دار عرفتها وأخرى بذات البين آياتها سطر.

والبيت مذكور في (ديوان المجنون / ١٣٠) من قصيدته التي مطلعها:

أيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر.

وعجز البيت: (ويا سلوة الأيام موعدك الحشر). وفي رواية: «ويا سلوة العشاق» .

(من السريع)

ومـــذْهَبٌ في الحَـــرْبِ مُـــسْتَهْجَنًا
في الحَــرْب [أن][1] يُقْــتَلَ مُسْتَسْلِمُ

والله تعالى يُمتّع الأدبَ وبنيه بمحاسن مولانا التي تجلُّ عرائسُها إذ تُجلى، ويُحلّي جيدَ الزمن بدُرِّ ألفاظه المعسولة حتى يكون في كل حال مُحلّى، بمنّه وكرمه. إن الله تعالى.

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك:

يُقبِّلُ الأرْضَ، ويُنْهي وُرُودَ المثال العالي، لا أصْغَرَ اللهُ مَمْشاه، ولا قَطعَ عن الأولياء رُؤْيَةَ وشْيه إلا برؤْيَة مَنْ وشاه -وهو ذو التِّبْرِ الموزون، والقصيدُ الذي كلُّ امريءٍ بشعْره مفتون، وذو الميم المقفّاة وكادَ لأجل إجلاله يقولُ ذو النونّ. فلَثَمَ المملوك من تلك الميمات مباسمَ لَعَسُها المدَاد، وضمها إلى أن كَاد يطمسُ بياضَها المستديرَ بسُوَيْدَاء الفؤاد. ثم التقط من دارتها الجوهرَ الفرد، واستَمسك منها بعُرَى ما رَضِيَ أَن يُشبه عَرْفُها بأزرار الوَرْد، وحمى بحفظها القلبَ من نصالِ الهموم، فبينا هي ميماتُ دَرْسٍ إذا هي لاماتُ سَرْدٍ. فأحْسنْ بها ميماتَ كأنما تمّ بها لفظُ الكرَم، وكأنما شبّه بها الفمَ من قَالَ لا، فمكتوبٌ على وجهك نعم، وكأنما جاءتْ في حُمْرة قرطاسها لذهْنِ المملوك المحوج بحُمْر النَّعَم. لا غرو فهي حرْفٌ، والحرف من أسماء الإبل، وسُرّةُ غزال مسكيٍّ كأنه بين شكل الطرُوس في أشراك مُحتَبل. لو عاينها أبو الطيب لَذُهل بصفاتها، وقال: (سِرْبٌ مَحاسنُه حُرِمْتَ ذواتها[2])، وأكْبَرَ حُروفَ الميمات فلم يقل لممدوحه (أحْصَى بِحافرِ

---

(١) الكلمة ساقطة من الأصل. والزيادة عن (ب).

(٢) صدر بيت للمتنبي، وهو مطلع قصيدة له في المدح (ديوانه ١/٢٢٥). وتمام البيت:

مُهْرِه مِيمَاتِهَا[١]). ولو أضافَها مولانا إلى حاء لَناسَب أن يعُوّذَ أَدَبُها بحاميم، ولو زادَهما دَالًا لتملّكَ الحمدَ حتى ماً لمِفْتَخرٍ شيءٌ من تلك التقاسيم.

هذا وقد أوْرَدَها في وزْن قصير، فهي المقصوراتِ في الخيام، وبَحْرٍ نفيسٍ إلا أنه نفْسُ دُررِ الكلام، وبيت لطيف إلا أنه على بُيوت الكَلِم سامي الذُّرى والأعلام. لا جرَم أن المملوكَ مدّ فكرَه إلى معارضتها فقالت: إليك عنّي. وتأنى على رَوِّيته، فما أدْرك بعضَ حاجته المتأنّي[٢]، ولام ذِهنَه القاصرَ، فقال: دع اللّومَ اليومَ، فلا أنا منك ولا أنْتَ منِّي، فتأخر عنها وهو في الحُزْن كظيم، ووقف بين البُيوت وهو من الحياء سقيم، وتركها بعد التأملِ إلا أن قريحتَه في أضْيق من حَلقةِ ميم. وقال:

(من الوافر)

إذَا لَــــمْ تَـــستَطعْ شَــيْئًا فَدَعْـــهُ

وَجَـــاوِزْهُ إلى مَـــا تَـــستَطِيعُ[٣].

ثم عَدَلَ عن المنظوم إلى المنثور، ومشى إليه بطرْفه مشْيَةَ المخمور المغمور، وانْتقل إليه انْتقالَ من عَشِيَ نظرُه بين منازل الشموس والبدور،

سرب محاسنه حرمت ذواقها دانِي الصفات بعيد موصوفاتها.

(١) عجز بيت للمتنبي من قصيدته السابقة (ديوانه ٢٣١/١) وتمامه:

لو مر يركض في سطور كتابة أحصى بحافر مهره ميماتها.

(٢) يشير إلى قول القطامي (ديوانه / ٢٥):

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

(٣) البيت لعمرو بن معد يكرب (بالأغاني: ٢٢٥/١٥)، والأصمعية / ٦١، وسرح العيون / ٤٤٣) من قصيدة مطالعها:

يؤرقني وأصحابي هجوع أمن ريحانة الداعي السميع؟!.

فانتقل والله إلى الأمر العريض الطويل، وسبَحَ في البحر الذي لا يَقْطعُ أدنى ثَبجه ذلك الخليل. واستجاش الفكرةَ التي هي بُثينةُ صُحْبَته، فقالت: رُدَّتا إلى الأول بجميل. هذا والله نمطٌ لا تحسنُ أن تنسخ على منواله الفكَر، وهذا أُفقٌ لا تدّعى رِقّة نسماته الآصالُ والبُكر، وهذا أدبٌ قد فنى إلا من هذا الفاضل أربابُ فنّه، وهذا دُر لا يقدرُ أوزانُ الشعراءِ على حبّة من وزْنه

دَعْ ذَا وَعَدِّ القَوْلَ فِي هَرِمٍ(١)

سل في مُكاتبتك عن أخبار سيِّدك وخليلك، وسنَدك القانعِ لإكثار بلاغته بمشافهة قليلك، وخلِّ الأوْصافَ المتفنّنَة لأرْبابها، والمعاني المتعيِّنَة لمن جمع بين سُلافها ورُضابها، والعقائلَ المتزيِّنَةَ لمن يأتي فيعثرُ في سلوك عُقودها، وتعثرُ أنت من فتياتك في أطْنابها. وانظر كيف وصفَ ثُلُثَ صُحُفك بلفظ يحلفُ على تفرده بالثلاث، وقابل كُتُبَكَ بقوْلِ ذكر يرُد ذُكْرانَ العقولَ وهي إناث؟!. وكيف هزَمَ بطلائع كَلِمه جَيْشَك الحاشد؟!. وكيف كساك بعد لُبْسَة الصديق لُبْسَةَ الحاسد؟! وكيف جعَل ماءَ الفصاحة في كُتُبك متغيِّرَ الأوصافَ عيًّا وعجزًا؟!. وكيف جعَلَك من الغيظ على ثلاثتكَ «لا تُكلِّمُ النَاسَ ثَلاثَةَ أيامٍ إلا رَمْزًا(٢)» ؟!. وكيف دلَّك على موادّه بما تمثّلَ به من الشعر النادر؟!. وكيف عرّفك اطلاعَ حفظه على شُرَف البيوت وحفظُك من وراءِ الأبواب دائر؟!. وكيف ؟!. وكيف ؟!. ومن أين لك مثل هذا الذّهنِ يجتبي منه في غِمده السيْف ؟!، وأنى لك مُقاومةُ هذه بسُجَيْعَاتِ محفوظك التي هي «رِحْلَةُ الشِّتَاءِ والصَّيْف(٣)» ؟!.

---

(١) صدر بيت لزهير بن أبي سلمى (مختارات ابن الشجري / ٢١١) وعجزه: (خير الكهول وسيد الحضر).

(٢) من الآية: (٤١: آل عمران): ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا﴾ .

(٣) من الآية: (٢: قريش).

فلما وعي المملوكُ تقريعَ فكْره، وعلم أن الرأىَ والشجاعةَ في الانقياد لأمره، ثنى طرْفَه عن هذا المنال، وأخذَ من الآن في السُّؤال، وسترَ عيَّهُ باسْتخْبارِ الأحوال، لا في اسْتنْباط الأقْوال: كيف حالُ مولانا في الرحبة ومضائقها، والخدْمَة وعلائقها ومزاجِ الماءِ والهواء، وأثر الأرض والسماء، والقلْعَة وأرجو ألا تكون كما قال ابنُ البطريق[1]، والتربةِ التي ما أظنُّها تُزْهِرُ بمواخي ولا شقيق، والوحْشة إلى مصرَ التي كانت قد وجدَت منه عزيزَها، وأمدَّت بمداد كَلِمه إبْريزَها، وبرياض قلمه إبْليزَهَا؟!. وكيف شوقُه إلى الأبواب الشريفة الشهابيّة التي هي مَطلَعُ نجوم الفضائل، ومربَعُ وفودِ الوسائل، ومَنْبَعُ بُحورِ اللفظ والفضل التي لا يشكو عندها النهْرُ سائل. وعلى ذكرها فالمملوك يسْأَلُ لسانَ مولانا شكْرَها عنه في كتبه شكْرَ الثَّرى لنؤيد[2] الثريا، وإبلاغَها أدْعيَتَهُ التي لا تَبْرَحُ تحت ذوائب اللَّيل واضحةَ المُحيا، وإنشادَها: (من الطويل)

أحِبتَــنا لمْ يَـبْقَ مِــنْ طِيبِ وَصْلِكُمْ
عَلَــى الــنَّأي إلّــا أنَنِــي أتَمَناه[3].

نعم وما الذي حَصَّلَهُ مولانا من الكتب العراقيّة؟. فقد قَنَعْنا من النظر بأسمائها، ومن المعرفة بالثناءِ على آلائها، وعَلِمنا أننا عند حُمْرة

(١) هو علي بن يحيى بن بطريق، نجم الدين، أبو الحسن، الحلي، الكاتب، المتوفي ببغداد سنة ٦٤٢هـ (فوات ٢/١٨٧). وأبياته التي قالها في القلعة (فوات ٢/١٨٨) هي:

لي علــى الــريق كــل يوم ركوب ... في غــبار أغــص مــنه بريقــي
أقــصد القلعــة الــسحوق كــأني ... حجــر مــن حجــارة المنجنــيق
فــدوابي تحفــى، وجــسمي يضنى ... هــذه قلعــة علــى التحقــيق.

(٢) كذا بالأصل، وفي (ز): «لنوء الثريا» ولعلها أفضل.

(٣) البيت غير معزو في (الغيث ٢/٦) برواية: «على البعد إلا أننا نتمناه» .

الفضائل معشرٌ ليسوا إذا عدوا بألفائها؟.

وما حالُ مولانا معَ من استجدّه من صاحب وخدين، وأهل رفاء وبنين؟، وما هذه المداجّة لأخباره التي لا يزالُ فعلُ وَعْدها يَسْتصحبُ السّين؟[1]] فقد كان المملوكُ سأل مولانا في عدة كُتب شرْحَهَا، وارْتَقَبَ من ليل المداد صُبْحَها، وأجوبتُه لا تَردُ إلا بوَصْف كلامِ المملوك الذي هو وما لا يَخلُق اللهُ بالسواءِ، ورسائلُه التي هي في الآفاق كالسحب الجهاميّة لا ذات ريٍّ ولا رُوَاء.

وكان المملوكُ قد عَتَبَ على انْقطاعِ بعضِ المشرّفات عَتْبًا يستغْفرُ منه ربه، ويعتبُ عتبَه، لا لإنَّ هذه المشرَّفَةَ الواردَةَ بلّت أشواقَه، ولكن لأنه ظن بجلالِ مولانا تقْصيرًا في توْشيَة بُرْد الصداقة، ويستغْفرُ أيْضًا من تطويل هذه المطالعة في مالا يُعْجب، وتشبيهًا بما لا يُطرب. وقد زاد الأمرْ، وكادت تنشدُ كتبهُ المتقدّمةُ:

(ومَا شَر الثَّلاثَة أم عَمْرو[2])

وعلى أبواب مولانا:

(١) ما بين الحاصرتين مذكور في (الغيث: ٢٣٧/٢).

(٢) صدر بيت لعمرو بن كلثوم – (نقائض جرير والفرزدق: ٨٨٦/٢، وخزانة البغدادي: ١٧٨/٣: وبهجة المجالس ٢١١/١، ٥٤٤). وقيل: لعمرو بن عدى بن اخت جذيمة الأبرش. (العمدة: ٢٨٣/٢، ومروج الذهب ٩٢/٢)وأم عمرو، هي: ليلى بنت مهلهل بن ربيعة. يقول صاحب النقائض: „وكان مهلهل بن ربيعة وكلثوم بن عتاب وعمرو بن كلثوم اجتمعوا في بيت كلثوم على شراب. قال: وليلى أم عمرو تسقيهم، فبدأت بأبيها ثم سقت زوجها كلثوم بن عتاب ثم ردت الكأس على أبيها، وابنها عمرو عن يمينها، فغضب عمرو من صنيعها وقال:

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

(من الطويل)

سَــلامٌ كَمَــا هَبَّتْ عَلَى الزَّهَرِ الصَّبَا
وَفَــاحَ نَــسِيمُ الــوَرْدِ في زَمَنِ الوَرْدِ

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك، وأنا بالرحبة المحروسة:

(من البسيط)

بَــرَّدْتَ نَفْــسًا بِــنَارِ الشَّوْقِ مُحتَرِقَه
وصُــنْتَ قَلْــبًا مَحَاهُ الوَجْدُ بَلْ مَحَقَه
وَنَاظِــرًا كُلَّمَــا خَــاطَ الــرقَادُ لَــهُ
جَفْنًا، أَتَى السُّهْدُ مِنْ غَيْظِ الكَرَى فَتَقَه
لَمَّــا بَعَــثْتَ كِــتَابًا مِــن جَنَابِكَ بَلْ
لَمَّــا بَعَــثْتَ لِــيَ الْبُــسْتَانَ في وَرقه
إنْ قُلْــتُ: رَوْضٌ. فَمَا تَرْضَى أَزَاهِرُهُ
بِــالأَرْض، وهْــيَ الَّتِي قد زَيَّنَتْ أُفُقَه
وَلا سُــطُورٌ غَــدَت فِــيه مَجْدُولَــةً
بِــأَنْ تُعَــدَّ مَــعَ الأَنْهَــارِ مُنْبَــثِقَه
وَلاَ تَــرَى أَلِــفٌ فِــيه قَــد اتَّصَلَتْ
بِــاللاَّمِ أنْ تُــشْبِهَ الأَغْــصَانَ مُعْتَنِقَه
وإنْ أَقُــلْ: فَلَــكٌ تَجْــرِي البَلاغَةُ في
أَرْجَائِــه، والــدَّرارِي فِــيه مُتَّــسِقَه
فَمَــا عَلَــيَّ مَــلامٌ، والدَّلِــيلُ على
مَــا قُلْــتُ مُتَّــضِحٌ فِــيهِ لِمَنْ رَمَقَه

كَـمْ فِـيهِ مِنْ نَجْمِ رَجْمِ لِلْحَسُودِ إذا
مَـا جَاءَ يَبْغِي اسْتماعَ السِّحْرِ واسْتَرَقَه
وَصُـبْحُهُ الطِّرْسُ إنْ كَانَ المِدَادُ دجًى
بـوَارِقُ الفَـضْلِ لَاحَـتْ فِيهِ مُؤْتلقَه
يـا فارِسًا جَالَ فِي الأَقْرَانِ فَانْحَطَمَتْ
عَـنْهُ، وَلَـمْ يَحْمِهِـمْ مِنْ طَعْنِهِ دَرَقَه
بَـارِزْ سِـوَايَ، وَلَـا تَعْـتَدُّ بِي بَطَلًا
تقـيمه في مَقَامَـات الوَغـي الـزَّلقَه
فَلَـسْتُ كُفْـئًا، وَلاَ مِمَّـنْ يَكُونُ إذَا
فَـتَحْتَ بَـابَ الوَغَي فِي هَذِهِ الطَّبَقه
لَكِـنَّهَا صَـدَقَاتٌ مِـنْكَ تَجْبُرُنِـي
لا يُعْـدِمُ اللهُ فَقْـرى هَـذه الصَّدَقَه.

يُقَبِّلُ الأَرضَ، ويُنْهِي ورود المثال العالي، والفضلِ الغالب باللَّفْظ الغالي، والدُّرِّ الحالب بالدُّرِّ الحالي، يشتملُ على تقريظ أَبيات المملوك المتقدِّمَه، ورُبوعِها التي لولا وصْفُ محاسن مولانا كانت مُتهدِّمَه، وسجْعاته التي ما أَحَقَّها بالإلغاء، وأَجْدَرَ المتلفِّظ بها أن يَلفظَهَا لعدم الإصغاء، وسُؤالِ مولانا عن مملوكه، وفقيرِ فضله وصُعْلوكه. فأَقول:

أما الرحبةُ فضيَّقَ اللهُ على من اتَّسع له فيها عُشُّ العَيش، أو رأى فيها غيْرَ وَبْلِ الوبال، وعَدَم طَشِّ الطَّيْش؛ بلدةٌ للسَّعْد عنها صرْفُه، وللقلب فيها قلْبه، وللطرف فيها طرْفَه. ومما اتَّفق للملوك فيها نظمًا:

(من مخلع البسيط)

عَـــدِمْتُ بالـــرُّحْبَةِ اكْتِـــسَابِي
فَلَـــا قَـــرِيضٌ وَلَـــا قُراضَــــه[1]
وَكَـــلَّ طَرْفِـــي بِهَـــا وَفِكْـــرِي
فَلَـــا رِيَـــاضٌ وَلَـــا رِيَاضَـــه.

أَما مزاجُها فلا أَعْرِفُه، ولا أَدْري له كيفيَّةً ولا أَصفُه، يتَنقَّلُ بها في اليوم من الحرِّ إلى البَرْد، ويتلقَّى الجسْمَ بالحزِّ، والعظمَ بالبَرْد. هذا مع فَساد عَرَضَ لجوْهرِ هوائها، وعَفَنِ أَرْضٍ أَلِفَ قيعانَها حتى صادَ وَبالَ وبائها، وسَقَمٍ حصَلَ لصحة فَضَلَتْ لقسْمَةِ مائها، ووَخَمٍ لا يَستقيمُ معه ابْنُ حَزْلَةَ على مَنْهاجه، وحُميَّات تسكِّنُ العروقَ حتى لا تُعرَفَ أَنْباءُ أَنْباضه، ولا اختلاسُ اختلاجه، إلى غَيرِ ذلك من ذُبابِها الذي دونه ذبابُ السَّيْف، وله إليها رحلةُ الشِّتاء والصَّيْف، وعمُومُ الوبال به في كُلِّ ما يُخصُّ منه بالبَلْوى، ووقوعُه على الطعام وغيره، وقْعَ المساطيل على الحلوى، فلا يُمْقَلُ ولا يُنْقل[2]، ولا يُعْلَمُ ولا يُعْقَل. وهوَام ما سمعتُ بها ولا رأَيتُها، ولا نَقَلْتُها عن كتابِ الحيوان ولا رَوَيْتُها، «**ويخلقُ مالا تَعلَمون**[3]».

---

(١) البيتان مذكوران في (جنان الجناس / ٦٢، والغيث ١/٧٠).

(٢) يشير إلى الحديث الشريف الذي ذكره صاحب لسان العرب (مقل) وهو: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه – ثم انقلوه- فإن في أحد جناحيه سما وفي الآخر شفاء، وإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء». هذا وفي صحيح البخاري ٢/١٥١ط الأولى بالمطبعة الحسنية (يذكر هكذا): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء، وفي الآخر شفاء». وفي (النهاية في غريب الحديث الأثر ج٤ مادة: مقل): «إذا وقع الذباب في الطعام فامقلوه» وروى «في الشراب» أي اغمسوه فيه. يقال مقلت الشيء أمقله مقلا، إذا غمسته في الماء ونحوه. اهـ

(٣) من الآية: (٨ من سورة النحل).

وأما حشراتُها فقد رأيت بها أهوالَ الحَشْر، وشاهدتُ بقَبْضِها وَبسْطِها في السَّعي بديعَ الكفِّ والنَّشر، من كُلِّ عقْرب تعُقُّ الرَّبَّ، وتخرجُ من جحرها للدخول في الضرْب، وتسعى لجرِّ الكَرْب، وكرِّ الحرب، وتعطفُ منها حُمَةَ اللَّسْب، إشارة إلى أنها تدْخُلُ إلى الروح بهمزة السَّلْب، وتنْفثُ من عُقَدِها ما تُفرِّقُ به بين المرءِ وتصحيف زَوْجِه، وتنْقلُهُ إلى حَضيض لَحْدِه من شرف أوْجِه.

(من الخفيف)

فَهْــيَ أَسْــعَى فِي الرَّوْعِ مِنْ مَلَكِ المَوْ
تِ وَأَسْــرَى فِــي ظُلْمَــةٍ مِنْ خَيَالِ.

ويُضَافُ إلى هذا كلِّه العَجاجُ الذي يُطنِّبُ على البلد خيامَه، ويَعْجَزُ نفوذُ الأشعّةِ عن أن تفكَّ ختامَه، ويُظَنُّ من هَوْلِ هَيْجه أنه قد قامت القيامه: (من الوافر)

إِذَا شَــمْسُ الــضُّحَى نَظَــرَتْ إِلَــيْهِ
أَقَــرَّتْ أَنْ حُلَّـــتَهَا حِــــدَادُ.

فأيُّ عَيْشٍ يصفُو مع هذه الأكدار؟!, وأيُّ راحةٍ تكونُ لمن هذه الدار نصيبُه من هذه الدار؟!.

[وأما[1] سؤالُ مولانا عما استجدَّ المملوك[2] من صاحب وخدين، وأهلِ رفاء وبنين، فوالله ما رأيتُ في الرَّحْبَة إلى الآن قرينةً إلا من السَّجْع، ولا جاريةً إلا من الدَّمْع، والفراشُ عاطِل، والإمْكَانُ مُمَاطِل، (وَمَطِيَّتي رِجْلي، وَجَارِيَتِي يَدِي) [كما قيل[3]]:

(١) ما بين الحاصرتين مذكور في (الغيث ٢/٢٣٧).
(٢) بالغيث: "عما استجده من المملوك" .
(٣) "كما قيل" زيادة من الغيث. وهو يشير قبل ذلك إلى قول الشاعر ماجنا (الغيث ٢/٢٣٧):

(من الطويل)

مُقِلٌّ مِنَ الأَهْلِينَ يُسْرٍ وأُسْرَةٍ
كَفَى حَزَنًا بَيْنٌ مُشِتٌّ وإقْلالُ[1]

وأما استخْبارُ مولانا عن شوْقِ المملوك ووحشته إلى مصرَ، فلا تسألْ عن «النَّارِ ذاتِ الوقود[2]» ، واللواعِجِ التي ما تُفارِقُ حتى تَعُولَ وتَعُود:

(من الكامل)

شَوْقٌ إذَا بَعَثَ السلُوُّ سَرِيَّةً
تَلْقَى الصَّبَابَةَ رَدَّهَا بِكَمِينِ.

و«ما المَسْئُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ[3]» .. يا مولانا كيف تسألُ من فارق الحياةَ عنْهَا؟!، وكيف تستفهِمُ عن حال مَنْ كان في الجنَّة، وأُخرِجَ إلى النَّارِ منها؟!. وكيف لا تَرْحَمُ من كانتِ السَّعَادَةُ في يَدَيْه، ولم يَصُنْهَا؟!.

رجلي وكفي لا عدمت كليهما ... هما أصول على الزمان وأعتدى

أمشي على هذي، وأنكح هذه ... (فمطيّ رجلي، وجاريتي يدي).

ويقول علي بن حمزة الكسائي (معجم الأدباء ١٣/١٦٧):

ما زلت مذ صار الأمين معي ... عبدي يدي ومطيتي رجلي.

(١) البيت للمعري (سقط الزند / ٢٣٢). من قصيدته التي مطلعها:

مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلال ... وفي النوم مغنى من خيالك محلال.

(٢) الآية: (البروج: ٥).

(٣) من الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: «ما الإيمان .... قال: متى الساعة؟ ، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها....» انظر الحديث في (صحيح البخاري ج١/١٩، ٢٠ طبعة الشعب).

(من الكامل)

عَجَبًا لِمِثْلِي، وَهُوَ يُبْصِرُ رُشْدَهُ
فِي الأَرْضِ، كَيْفَ تَقَلَّبَتْ حَالاتُه؟!

وماذا يقولُ المملوكُ في بلادٍ لَمَّا حَلَلْتُها:

(من الطويل)

وَجَدْتُ بِهَا مَا يَمْلأُ العَيْنَ قُرَّةً
وَيُسْلِي عَنِ الْأَوْطَانِ كُلَّ غَرِيبِ[1].

وأقوامٍ إذا ألقتْ الإنسانَ إليهم مرامى الغُرْبَة:

(من الكامل)

تَخْتَالُ مِنْ قَسَمَاتِهِمْ وَعُلُومِهِمْ
مَا بَيْنَ نُورِ ضُحًى وَنَوْرِ خَمَائِلِ.

وعلى ذكر الدِّيار المصرية فقد كتب المملوك إلى بعض الأَصحاب فيها أبياتًا، لا بأس بعرض بعضِها على مَوْلانا، وهي:

(من مجزوءِ الكامل)

سَقْيًا لِمِصْرَ وَمَا حَوَتْ
مِنْ أُنْسِهَا وَأُنَاسِهَا
وَمَحَاسِنٍ فِي مَقْسِهَا
تَبْدُو وَفِي مِقْيَاسِهَا
وَمَسَرَّةٍ كَاسَاتُها
تُجْلَى عَلَى أَكْيَاسِهَا

---

(١) البيت غير معزو (بنفح الطيب ١/٥٨).

وَسُــطورِ قِــرْطِ خَطِّهَــا الْــــ
ــــبارِي عَلَــى قِرْطَاسِــهَا
وَدُمَــــى كَنَائِــــسِهَا وَلا
تَنْــسَى ظِــباءَ كِنَاسِــهَا
وَلَطَافَــــــةِ بِجَلاَلَــــــة
تَــبْدُو عَلَــى جُلاسِــهَا
وَنَوَاســـم كُـــلُّ الْمُنَـــى
للــــنَّفْسِ فِي أَنْفَاسِــــهَا
وَمَــرَاكِبِ لَعِــبتْ بِهَــا الْــــ
أَمْــوَاجُ فِي وسْوَاسِــــهَا.

ومما نظمه المملوك في أهلها:

(من المجتث)

فِي أَهْــلِ مِــصْرَ مَعَــان
مِــنْ لُطْفِهِــمْ تُــسْتَفَادُ
تَــرْدُ السِّــيادةِ فِــيهِمْ
لَمّــا رَعُــوا الجَــارَ سَــادُوا.

وأما المخدومُ الشهابي —حرس الله ظلالَه التي تفيَّأها بنو الأَدَب، وحفظ عليهم مآثِرَهُ التي نظموا في معاليها شُذورَ الذَّهَب.

(من الطويل)

وَدَانَــتْ لَــهُ الدُّنْــيَا لِيُصْبِحَ جَالِسًا
وَأَيَّامُهَــا فِــيمَا تُــرِيدُ قِــيامُ[1]

---

(١) البيت للمتنبي (ديوانه ٣٩٢/٣) برواية: «فأصبح جالسًا» . من قصيدته التي

- فقد كتب المملوكُ إلى بابه العالي مُطالَعةً، جعل ذِكْرَ مولانا طِرازَها، وتوصَّلَ منه إلى فصولِ كان بيانُه في الحقيقة مجازَها.

(من الطويل)

وَقُلْـــتُ فمـــا أبقَيْتُ في القَوْلِ مُمْكِنًا

وَأَعْطَـــيْتُ عَتْبِـــي فِـــيهِ فَضْلَ عِنَاني

وأما الكتبُ العراقيَّةُ فواللهِ ما رأيتُ منها شيئا، ولا ملكتُ منها غنيمةً ولا فَيْئا، وما تجدَّدَ عند المملوك بالرحبة من المجلَّدات، إلا ما بعثه كرَمُ مولانا، الذي من جُمْلَته زهرُ المنثور، أستغفرُ اللهَ، زَهْرُ الآداب، ولا يُؤاخِذ مولانا بهذه الغلطةِ، فاللسانُ مُولعٌ بذكر الأحباب.

(من الطويل)

وَقَالُـــوا اقْتَـــرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ

فَقُلْـــتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا[١].

والنادرَةُ اللائقةُ بهذا الموطن معلومَة. يا مولانا قد تكرر سؤالُ المملوك لأن يرى زهْرَ المنثور في حضرته، ويتمتَّعَ من خطابه وخطِّه بين نُضارِه ونَضْرَته، ومولانا يتبرَّمُ بهذا السؤال، وينشد:

قَدْ أَفْسدَ القوْلُ حَتَّى أَحْمِدَ الصَّمَمُ[٢]

و[أما] المملوك فقد أمسك هذا إِمساكَ أَعْمَى، وحاشا لأُذن مولانا

مطلعها:

أراع كـــذا كـــل الملـــوك همـــام وســـح لـــه رســـل الملـــوك غمـــام.

(١) هذا البيت ذكره الحموي في خزانته / ٤٣٥، غير معزو ، في باب المشاكله، برواية: "قالوا اقترح" ونسب البيت إلى الرقعمق في (معاهد التنصيص ١/٢٢٥، ٢/٢٥٢).

(٢) عجز بيت للمتنبي (ديوانه ٤/٢٦). وتمامه:

ولا تـــبال بـــشعر بعـــد شـــاعره قـــد أفـــسد القـــول حتى أحمد الصمم.

الكريمة أن تكونَ عن هذه الحسناء صَمًّا. وقد لحقتْ المملوكَ الغفلةُ فلم يذكرْ في هذه الخدمة ما يجدُهُ إلى مولانا من الشوق، وهذه النقيصةُ استْجَدَّها المملوكُ في سَكَنه رحبةِ مالك بن طوق، واللهُ لا يُعْدم الأَولياءَ من حُنوِّه الظِّلَّ الظليل، ولا يقطعُ موادَّ إحسانه عن كُلِّ صفيٍّ وخليل، بمنه وكرمه.

فكتب هو الجوابَ عن ذلك، وكنت قد أهديتُ إليه نصفيّةً وتمرًا، وشيئًا من الخَوخ السّنجاري:

يُقبِّلُ الأرضَ، ويُنْهي وُرُودَ المثال الشريف –زاده اللهُ شرَفًا وعُلوًّا، وزاد جَبْرَه للمملوك وغيرِه سرَفًا وغلوًّ– فقبل المملوكُ الأَرضَ أَمام عُنوانه على العادَه، ونقل باللثم إلى سُوَيْداء القلب سَوَادَه، وتجدّدت عنده أَشواقٌ، يَرْوى فيها القلبُ عن شهاب، والجفنُ عن قَتَادَه. وفضَّه عن محاسنَ زادت على المعهود، بعد أنّ فَضْلَها الجامعَ قد أَغلق بابَ الزِّيادة، من كُلِّ شذْرَةٍ تَهزأُ بقلائد العقيان، وكلِّ زهرةٍ لها من السطور أفنان، وكلِّ حُرةٍ من أَبناء الكَلِم، لم يَطْمِثْها إنسٌ قَبْلَه ولا جان[١]، وكلِّ نعمة يسخرُ فيها الفَضلُ بنوءِ الربيع، وكُلِّ هبَّة ينفخُ نَشرُها، ويحملُ الرَّوضُ، فهذا يضوعُ وهذا يَضيع، وكلِّ منْقَبَة إذا دعا ذكرُها مسامعَ الحفْل، وعَبَقَ، قيل :

(أمنْ رَيْحَانَة الدَّاعي السَّميع)[٢]؟!

وكُلِّ خلْعَة وَدَّ المملوكُ لو وَصَفَ بياضَ كُسْوَتها الجديد، أَضعافَ ما وَصَفَ حُمرةَ كأْسه[٣] الخليع، وكُلِّ عُلْبَة دخل من

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: (٥٦، ٧٤: الرحمن): «لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان» .

(٢) عجز بيت لعمرو بن معد يكرب (الأصمعية / ٦١، وسرح العيون / ٤٤٣) وصدره:

يـــــؤرقني وأصــــحابي هجـــــوع

هذا، وفي (الكامل للمبرد: ١/٢٠١): وضع الشطر الثاني صدرًا.

(٣) من هذا الوصف (شرح ديوان صريع الغواني / ٣٢٩):

=

باب خَوْخَتها إلى السرور سرًّا وجَهْرًا، وناداه الجودُ: خذ اللُّبسَ والأَكْلَ، فقالَ: نعم «كلاهُمَا وتمرًا[1]» . **وكان من لُطف الله** تعالى بلفظ المملوك القاصر، وفكره الذي لا قُوّةَ له ولا ناصر - وُرُودُ هذا المشرّف الكريم ليلةَ سفره إلى حَماه المحروسة، فاحْتَجَّ بوقوع السَّفر عن وَصف محاسنه المُسْفرَه، واعتذر، مع أنه لو أقام لكان قُصاراه التَّقْصيرُ عَن طلب المعذرَه، ولكنه تَعلّل بهذا الأمر، وحَسْبُكَ بأمر معلول، وتشَبَّثَ بقول القَسْريّ، حين أُرْتِج عليه: سأعودُ وأقول[2]. وهيهات البلوغُ إلى هذه الآفاق العالية، والأوصافِ التي غدت دونها الفِكَرُ بالعجز إما وارية أو مُتوارِيَه، والأبياتُ التي سارَتْ

وجـــداول منــــصوبة بجـــداول ... مـــن صـــوب ســـارية ولمـــع بـــروق
باكـــرها قـــبل الـــصباح بـــسحرة ... قـــبل انكـــدار مجـــرة العـــيوق
حمـــراء صـــافية القمـــيص لذيـــذة ... في بـــرد كافـــور ولـــون خلـــوق
مـــن كـــف أحـــور ذي دلال شادن ... يـــسبي العقـــول بقـــده الممـــشوق.

(١) من أمثال العرب في قصة طويلة طريفة؛ موجزها: أن عمرو بن حُمران الجعديّ كان غلامًا مفوّها «فلما أدرك جعله أبوه راعيا يرعى له الإبل. فبينما هو يوما إذ رُفع إليه رجلٌ قد أضرّ به العطش والسّغوب، وعمرو قاعد وبين يديه زُبْدٌ وتمرٌ وتامك (التامك: السنام)، فدنا منه الرجل، فقال : أطعمني من هذا الزّبد والتّامك، فقال عمرو: نعم، كلاهما وتمرًا. فأطعم الرجل حتى انتهى، وسقاه لبنًا حتى روى، وأقام عنده أيامًا، فذهبت كلمته مثلا». (مجمع الأمثال ٢/ ١٥١-١٥٢).

(٢) القسرى هو: خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسرى. ولاه الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩هـ، وولى العراق في عهد هشام بن عبد الملك. وتوفي سنة ١٢٦هـ. وهو يشير إلى قوله حينما أرتج عليه على منبر الكوفة: إن هذا الكلام يجيء أحيانًا ويعزب أحيانًا، ويسهل عند مجيئه، ويفسر عند عزوبه طلبه، وربما طلب فأبى، وكوبر فعصى، فالتأني لمجيئه أيسر من التعاطي لأبيه، وهو يختلج من الجرئ جنانه، وينقطع من الذرب لسانه، فلا ينظره القول إذا اتسع، ولا يكسره النطق إذا امتنع، وسأعود فأقول إن شاء الله. انظر (بهجة المجالس ١/ ٧٤).

خلفها روادُ الفطن، فقال سيْلُها المجتحفُ: (الجَبَلَ يا سَاريه[1])، والسَّجْعاتُ التي عَقُمَتْ الخواطرُ عن توليد مثلها، ولا سيّما توليدُ تلك القرينة والجارية. فعَيْنُ الله على عُيون كَلِمِ مَوْلانا السّحّارَه، ونجُومه السيارَه، وفضائله التي تغدو الأوْصَافُ بذكرها خالدةً، والأسماعُ بدُرِّها مُخلّده، وغرائبه المُتَجدِّدَه، ومكارمه المتودِّده، وسَقْيًا لأرض تَنْمى غَرْسَه الكريم، ولو أنّها أرضُ الرَّحْبَة على ما ذُكرَ من عوائدها المُتَعَدِّدَه، لقد نَعَت من حالها ما أزْعَجَ نَعْتُه، وأسْمَعَ عنها حديثًا، لَيْتَني لا سَمِعْتُه، وذَكرَ من تَغَيُّر عناصرِها ما خرج عن أنوارِ المقاييس، وأرضى عن العيش والبُعد نفوسَ الخاملين المفاليس، ونقل عن ناموسها ما لو تقدَّم وقتُه لرفض قُدماءُ الحكماء ذِكْرَ النّواميس، ورَوَّع طوائفَ الأوْلياء من أمْرِ الأفاعي بكُلِّ طائفَه، ومَن العقارب المُلازمة لها بما تَرْجُفُ منها «الراجفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادفه[2]» ومن تَهافُت الأذيَّة الفَلْسَفيّة في الأذى بما شقَّ خطبُه، فلا حبذا تَهافُتُ الفلاسفة. «واللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ[3]» . ولقد ساءَ السَّمْعَ بما ذكره، واللحظَ بما سطَّرَه، وما هان على بَصره هذا الخطُّ الذي شقَّ منظَرُه على مَنْ نَظَرَه،

وَزَادَ مَا بِكَ فِي غَيْظِي عَلَى الزَّمَنِ[4]

فلاح حول ولا قَوْل، وسُحْقًا لدهر عوّضَ عن أرض الحرمَيْن بأرض كلُّ عَيْشها أبو الهوْل. على أنّها «الأيَّامُ عُوجٌ رواجع[5]» وفي كرم الله

---

(١) انظر : ص/٢٦٧ والحاشية/ ٢١٣ ص/٣١٠، من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) اقتباس قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات: ٦، ٧].

(٣) اقتباس من الآية: (يوسف: ١٨).

(٤) عجز بيت للشريف الرضى (ديوانه ٢/٥٤٤ط يخاطب الصابي، وتمامه:

قد كنت قبلك من دهري على حنقٍ ... فزاد ما بك في غيظي على الزمن.

(٥) من أمثال العرب: «الأيام عوج رواجع» . (مجمع الميداني ٢/٤٢٧، ولسان العرب: عوج)،
=

تعالى إنجازُ ما تُعَدُ به المطامع، وتُشْرِقُ له المطالِع،

وَإِنِّــي لأَرْجُــو اللهَ حَتَّــى كَأَنَّنِــي (من الطويل)

أرى بِجَمِــيلِ الظَّــنِّ مَا اللهُ صَانِعُ[1]

سطَّرَها المملوكُ، وقد زاحَمَ عَصا القلم في يده عَصا المسير، واستقبل جناحَ السَّفر عن دِمَشْقَ ليطير. واعتَذَرَ عن تقصير المقال، وعزَّ عليه أن لم يُسعد النُّطقُ ولا الحالَ[2]، واعترضَتْ عن جَمْع الزَّهرِ المُشارِ إليه أشْغال، مع أنَّ الفِكْرَ المُقيمَ مُقسَّمٌ في هذا الوقت المُتعَب، أكثرَ من تقسُّمه في التَّرْحَال. والذي يشكوه مولانا من الغمِّ في أشْتَى البلاد، يشكَوه المملوكُ في أشهاها، وأزْهَرِها وأزْهَاها، وكلٌّ ذلك مُقْتَضَى الحظِّ الفاسد، وتخالفت الأسبابُ والدَّاءُ واحد[3]. ومولانا في حفظ الله وكلأته. إن شاء اللهُ تعالى.

وتأخرت كتبي عنه مُدَّة، فكتب هو إليَّ وأنا بالرَّحْبَةِ المحروسة:

سَــلامٌ عَلَــى سُــكَّانِ سَلْعَ وإِنْ هُمُ (من الطويل)

تَجَــنَّوْا، وَكَــانَ الغَدْرُ مِنهُمْ وَلامِنَّا.

عوج»، يقال ذلك عند الشماتة، يقولها المشموت به، أو تقال عنه، أو تقال عند الوعيد والتهديد. والعوج: جمع أعوج، يقال: الدهر تارة يعوج عليك، وتارة يرجع إليك» .

(١) هذا البيت غير معزو في (بهجة المجالس ١/٣٨٠، ٢/٢٧٤، والغيث ٢/١٥٦؛ ضمن أبيات في وصف دعوة مظلوم فيهما) وقد نسب البيت في (الكامل للمبرد ١/٢٣١، ٢/٨ إلى محمد بن وهيب الحميري. ونسب في (زهر الآداب ٤/٩١١) إلى محمد بن حازم الباهلي.

(٢) يشير إلى قول المتنبي:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

(٣) لعله ينظر إلى قول الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد

يُقَبِّلُ الأرضَ، ويُنْهِي أنه تكرَّرَتْ منه لأبواب مولانا العالية -أعاد الله على المملوك وُدها، وأعاذَه من أنْ يَتَصَّدى ويشكو صَدها- مُطالعاتٌ تطفَّلَ فيها على عوارفه المعهودَه، وعلى عواطفه التي كانت بالأمس مودةً، فما يسرهُ أن تكونَ اليوم مَوْءودَه. وأَقَامَ ينتظرُ من الأجوبة ما يُبلُّ صداه، وينورُ جَذَاه وجَدَاه، ويحمدُ أبا لهب خاطره التي تبَتْ يَدَاه. فلما طال عليه الانتظار، وأنشد: (هَذَا لَعَمْركُمُ الصَغَّار)[1]، أدركته حَمِيَّةُ المحبِّ المدلِّ، وأخذته أنفةُ المتجلِّد على مُشافهة الهَجْر المذلِّ، وأقامَ يعترضُ على الشوق الباحث إلا أنَه بصيرٌ غيرُ مُسْتَدلٍ. فلمَا طال أَيْضًا غَضَبُه، وبانَ عزاؤُه فعز مَطْلَبُه، أقامَ من مَجْلس صَدْره الوَسْوَاس، وضحك على تصيره عاملاً بقول العبّاس.

(من الكامل)

لاَ تَسْتَعِزْ جَلَدًا عَلَى هِجْرَانِهِمْ[2] فَقُوَاكَ تَضْعُفُ عَنْ صُدُودٍ دَائِمِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمُ طَوْعًا، وإِلاَّ عُدْتَ عَوْدَةَ رَاغِمِ.

وأرسل هذه المطالعةَ تتلفَّعُ بالخجل، وتطمَعُ أن يكونَ لكتابها في الأجْوبة أجَل، وتشكو إليه صدًّا وبَيْنًا، وترجو أن لا تَنْشُدَ لديه بيتَ الأعرابيِّ الذي أولُه (إنَّ حُصَيْنًا). وجهز كذا، وهو يسأَلُ الإعلامَ بوصوله، وتعطيرَ أنفاسِ الصبا بقبوله، وإجراءَ المملوك على عوائد الصدَقة عليه بتلك الألفاظِ التبريَّه، والأَدْراجِ الدريَّه، وزكاة[3] الأقلام

(١) جزء من بيت منسوب لهمام بن مرة في (شعراء النصرانية ٣/٢٥١). وتمامه:

هـذا لعمـركـم الصغار بعينه لا أم لي إن كـان ذاك ولا أب.

(٢) البيتان لأسامة بن منقذ (ديوانه/٤٢)، و(وفيات الأعيان ١/١٩٦)، و(وفيات ٢/١٠٥).

(٣) بالأصل: «وزكوة» .

التي يقول لها رجاؤه: يا أغنياءَ الأدب اذكروا فقيرا، ويا مالكي الرَّقِّ، خذوا الرق إليه، "وَلاَ تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوه صَغِيرًا أو كبيرا"[(١)]. فقد علم الله ظمَأهُ لبِرِّها الوارِد، وارْتياحه من مُواصلَة دُرُجها المكْتتَبَة إلى وَصْل واحِد.

(من الطويل)

مَـــا كُـــنْتُ أَعْلَـــمُ مَا مِقْدَارُ وَصْلِكُمُ
حَتَّـــى هَجَرْتَ، وَبَعْضُ الهَجْرِ تَأْدِيبُ[(٢)]

ولما قدمتُ من الديار المصرية المحروسة، في سنة تسع وعشرين وسبعمائة، متوجها إلى الرحبة، أهدى إلى هو طعامَ بِسِلا. فكتبت أنا إليه[(٣)]:

(من الوافر)

ظَنَـــنْتُ العَـــبْدَ عَـــنْ مِـــصْرٍ تَسَلَّى
فَأَهْـــدَى جُـــودُكَ الْوَافِـــي بِـــسِلًا
نَعَـــمْ قَـــدْ أَذْكَرَتْنِـــي عَيْشَ مِصْرٍ[(٤)]
وإِقْـــبَالا مِـــنَ الدُّنْـــيَا تَوَلَّـــى
طعَـــامٌ فَـــوقه لحـــمٌ شَـــهِيٌّ
إلى كُـــلِّ الـــنفوس فكَـــيف يُقلَـــى

---

(١) بالأصل: "ولا كبيرا" . وهو اقتباس من الآية: (٢٨٢: البقرة).

(٢) البيت لمهيار الديلمي (ديوانه ١ / ٢٤). برواية: "ما كنت أعرف" . من قصيدته التي مطلعها:

أســتجد الــصبر فــيكم وهو مغلوب		وأســأل الــنوم عــنكم وهو مسلوب.

(٣) الرسالة وردت (بالوافي ٣٢٧/١، ومطالع البدور: ٥٨/٢).

(٤) رواية الشطر بالوافي: _نعم أذكرتني عيشا بمصر).

ودُهــنٌ فــوقه قــد كــان صــبًّا
تلظَّــتْ نــارُه حــتى تــسلّى.

وكنت أنا وهو نجتمع في الجامع الأموي في مكان منه، فاتفق أن غبتُ ليلةً عنه، و لم أحضر إليه. فكتب هو إليّ[1]:

(من المتقارب)

أمَــوْلايَ غِــبْتَ وَخَلَّفْتَنِـــي
مِــنَ الْهَــمِّ ذَا فكْــرَةٍ خَاضِــعهْ
فَهَــا أنــا بَعْــدَكَ فِــي جَامِــعٍ
وَلكِــنَّ قَلْبِــيَ في جَامِعَـــه.

فكتبت أنا الجواب إليه[2]:

(من المتقارب)

وَقَفْــتُ عَلَــى نَظْمِــكَ الْمُــشْتَهَى
وَشَــاهَدْتُ[3] رَوْضَــتَهُ الــيَانِعَهْ
فَكَــمْ أَلْــفِ مِــثْلِ غُــصنِ الــنَّقَا
وَهَمْــزَتُها فَــوْقَها[4] سَــاجِعَهْ
أَقَــامَ عَلَــى الــوُدِّ لي حُجــةً
وَلَكِــنْ عَــن الغَــيرِ[5] لِــيَ قَاطِعَــة

(١) وردت الرسالة في: (الغيث ٢/٢٦٨، والوافي ١/٣٢٦؛ مع تغيير يسير في المقدمة فيهما) وكذا ذكرت الرسالة في (درة الأسلاك ٣/٤٤).
(٢) جواب الصفدي مذكور في: (الوافي ١/٣٢٦، ٣٢٧، والغيث ٢/٢٦٨).
(٣) بالوافي: "وعاينت" .
(٤) "وهمزتها فوقه" بالغيث.
(٥) "عن الناس" بالغيث والوافي.

وَقَــدْ سَــمِعَ العَــبْدُ أَلْفَاظَهَــا
فَــيَا حُــسْنَهَا في الحَــشَا وَاقِعَــهْ
وَأَصْــبَحَ شُــكْرِي لَهــا تَالِــيًا
وَجُمْلَــتُهُ لِلثَّــنَا جَامِعَــهْ
وَرُحْــتُ لِــبَابِ الــدُّعَا قَارِعًــا
إلى أَنْ تُــصِيبَ العِــدَا قَارِعَــهْ.

فلما وقف عليها [وانتهى إلى الرابع منها][1] قال: يا مولانا هذا التالي والجَامعَةُ ما كان لي في حساب.

ولما قدمت من الرحبة إلى دمشق المحروسة في سنة إحدى وثلاثين، وسبعمائة، أهدى إِلَيَّ شرائح لحم، وكتب مع ذلك[2]:

(من الخفيف)

شَــبَهُ المَــرْءِ مِــنْ هَــدَايَاهُ يُــدْرَى
في العُلَــا والــسُّقُوطِ حُكْمًــا بِحُكْمِ
وَكَــذَا فِــي هَدِيَّتِــي لِــيَ شِــبْهٌ
حَــيْثُ إِنِّــي وَتِلْــكَ قِطْعَــةُ لَحْــمِ.

وأعطيت أنا يوما لولده الصغير دينارًا، فكتب هو إِلَيَّ[3]:

(من المنسرح)

أَصْــبَحْتَ يَامَالِكــي بِفَــضْلِ نَــدًى
دِيــنَارُهُ مُــنْجِحٌ لِأَوْطَــارِي

---

(١) الزيادة عن الوافي. وفيها بعد ذلك: «قال: هذا التالي» بالحذف. وفي الغيث: «قال: والله هذا التالي» .

(٢) بالوافي: «وكتب إلى مع خونجه شرائح» ثم ذكر البيتين.

(٣) البيتان مذكوران في (ديوانه / ٢٤٧)، والرواية في الأول فيه: «بفيض ندى» .

إذَا رَوَيْــــتُ الثَّــــنَاءَ مُتَّــــصِلاً

أرْوِيــــهِ عَــــنْ مَالِــــكِ بْــــنِ دِيــــنَار.

وكتب هو إلي أيضًا في المعنى:

(من السريع)

وَرَاحَــــةٍ بالتِّبْــــرِ قَــــدْ صَــــبَّحَتْ

تَجْلُــــي إلى أنْ زَالَ عَــــنْهُ القَــــذَى

فَــــسَوفَ يَجْلُــــو مِــــنْ أمَادِيحِــــهِ

مَــــا يَمْــــلأُ الأَرْضَ بِطِــــيبِ الــــشذَا

حَــــتى يَقُــــولَ التِّبْــــرُ مِــــن جُــــودِهَا

مَــــا وَقَعَــــتْ عَيْنِــــي عَلَــــى مِثْلِ ذَا.

وكتب هو إليَّ وقد نُقل إليه عني كلامٌ لم أتفوهْ به:

يُقَبِّلُ الأرْضَ، ويُنْهِي أنَّه يُعْجِبُه من امرِئِ القَيْسِ إظْهَارُ شَجَنِه وحزنه، في معرض تجلُّده وتمدُّده بقوله:

(من الطويل)

[(١)أغَــــرَّكِ مِنِّــــي أنَّ حُــــبَّكِ قَاتِلِــــي

وَأنَّــــكِ مَهْمَــــا تَأْمُــــرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ

ولا يُعجبه بعد ذلك قولُه]: (من الطويل)

فَــــإنْ تَــــكُ قَــــدْ سَاءَتْك مِنِّي خَلِيقَةٌ

فَــــسُلِّي ثِيَابِــــي مِــــنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ(٢)

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والزيادة عن النسخ الأخرى، والبيت بديوان امرئ القيس/ص/١٣.

(٢) البيت بديوان امرئ القيس / ص/١٢، برواية: «وإن كنت قد ساءتك مني خليقة» . =

بل يجذبُ المملوكُ من مَودةِ مولانا الثيابَ حقيقةً واستْعاره، وشارَةَ وإشَارَه، ويدخرها سَفرًا وحَضَرًا، ويرجو من صُحْبتها فوق ذلك مظهرا[1]، ويتأنسُ بما استجملَ من عُهودها حين استَوْحش من الوَرَى. ويسألُ أن يُضَيِّعَ مولانا عليه الوقت بمُساجَلَة العتاب، ولا يَرْفَعُ من إغْضائه السِّتر، ولا يفتحُ من هجرانه الباب، ولا يستوقفُ أعاريضَ القَصْد المنْسرحه، ولا يُضَيِّقُ بالإعراض صدْرًا هو سَاكنُه، فعَهْدي به يتوخى بدمشقَ المساكنَ المنشرحه، ولا يتملَّكُ على بعض القَلوب فيظلم، ولا يُغْرِسُ بمودّات متجدّدة، ولَخواطر قُدماء المودّات تُولم، ولا يَعْتَقدُ بعد الوفاء غَدْرًا، ولَا ينقلُ في الجفاء وَجْهًا، ولا يُضْحكُ للوشاة ثَغْرًا، ولا يَعْكسُ الدَّليلَ على المُطالب بالذَّنْب، حتى يَطلبَ لَدَيْه عُذرًا، ولا يحملُه الإشْفَاقُ على مَودة المملوك إلى أن يُرْهِقَ فكْرَه الكريمَ من أمْرِه عُسْرًا. فوالله لو صَدَّق المملوكُ ما قيل لما تأثّر، ولو صَح ما نُقل لما تغير القلبُ، وإنما الجَسدُ بالأشواق رُبَّما تَغير، ولو وَجد في الأصحاب مَنْدُوحة لما مالَ عنه فكيف وأنَّي، ولو جُرِّدَ على رأسِه السيفُ لما طَمَحَ إلى الغير جَفْنًا.

(من الكامل)

أنفقْـــتُ عُمْـــرِيَ في مَحَبـــتِكُمْ
فَلَـــئِنْ شَـــكَوْتُكُمْ فَوَاعُمُـــرِي[2].

والبيتان من معلقته المشهورة التي مطلعها:

**قفـا نبك من ذكرى حبيب ومنزل		بسـقط اللوى عند الدخول فحومل.**

(١) مأخوذ من قول النابغة الجعدي (ديوانه / ٥١، ودلائل الإعجاز / ٦٩):

**بلغنـا السـماء مجدنا وجدودنا		وإنـا لنـرجو فوق ذلك مظهرا.**

(٢) البيت لأبي الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار المصري (فوات الوفيات / ٦٣٠) =

وقد علم اللـهُ كيف كانَ مبيتُه البارحَةَ في حاله الغير حالي، وتَقسُّم ذهْنه بحلبَة الجامعِ حتى لا يَعْرِفُ ما المصلِّي وما التَّالي، وألَمُ فكرِه لقول مولانا أنْ أُصَحِّحَ الأمْرَ فإنَّه تكذيبٌ لأماليه يأيُّها القَالي. وتعجُّبه كيف صَلَى بحرَ الأسى، وجنَى غَيْرُه الحرب[1]، ولئن خرج مولانا بغيظِ مُوجعٍ ضَرْبه، فيالك من غيظٍ كان في هذه الدَّقَّة خارجَ الضَّرْب.

(من الوافر)

لَـهُ طَـرْفٌ يَقُـولُ الْحَـرْبُ أوْلَى
وَلِي قَلْـبٌ يَقُـولُ الصُّلْحُ أَصْلَحْ[2].

وعلى كلِّ حال من نعيم الوقت وأزْله، وجدِّ القوْل وهزْله، فالأحسنُ بنا ألا نكدِّرَ الصريحَ، ولا نتخيَّلُ غيرَ المليح، ولا تعبثُ بي وبه السوداءُ إلا من العيون، ولا الضَّعفاءُ[3] إلا من الجفون الفواتر، لا من الأوهام والظُّنون. وحاشاه أن يَرُد أملَ الاستعطاف ردا رَديا، وأن يعودَ حاتمُ الكريمُ عَديا، وأنْ يُدْحضَ ألفاظَ عَبْده، الذي هو عَبْدُ ولائه النابغَة، فيصبحُ جُعَيْدِيا، بعد أن كَان جَعْديا. بل يُجْريه على ما عوّدَ من

وروايته ثمة مع ماقبله:

أحبابنـا مـا لليلـي بعـد فـرقتكم كأنمـا هـو مخلـوق بـلا سـحر
أنفقـت أيـام عمـري في محبـتكم وقـد نأيـتم، فـلا أنـتم ولا عمري.

(١) لعله يشير إلى قول الحارث بن عباد البكري في حرب البسوس: (معاهد التنصيص ٤/١٦٧):

لم أكـن مـن جنـاتها علـم الله وإني بحـرها الـيوم صـال.

(٢) البيت لشرف الدين عبد العزيز الأنصاري (خزانة الحموي / ٢٤٩) برواية "... يقول الحرب أحرى" من قصيدة مطلعها:

حديثـي في المحبـة لـيس يـشرح فـدعني مـن حـديث اللـوم واسرح

(٣) بالأصل: "ولا الضعفا" واخترت ما في (ز).

كرم الفعَال والمقال، ويُحصِّلُ عُبوديته، وإن كان تَحْصِيلَ الحاصل من نَفْعِها العاجزِ مُحال. إن شاء الله تعالى.

فكتبت أنا الجواب إليه:

(من الطويل)

سَلَكْتُ مِنَ الأَيامِ حَظًّا تَوَعرَا
فَحِينَئِذٍ لا غَرْوَ أَنْ أَتَعَثَّرَا
وَصَاحَبْتُ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَلَمْ أَجِدْ
مِنَ الناسِ مَنْ لا خَانَنِي وَتَغَيرَا
إذَا طَالَ فِيمَا بَيْنَنَا عَهْدُ صُحْبَةٍ
وَلَمْ يَرَ لِي ذَنْبًا تَقَوَّلَ وافْتَرَى
فَأَطْوِي عَلَى مَا سَاءَ مِنْهُ جَوَانحِي
وَأُغْضِي، وَلا أُبْدِي لِذَاكَ تَضَجرَا
لَعَلِّيَ أَنْ أَلْقَى بِذَلِكَ حُظُوتِي
فَلَمْ أَرَ إِلّا كُلّمَا[1] لِي إِلى ورَا
وَأنْتَ الَّذِي إِنْ جَاءَ دهْرِي مُحَارِبًا
لَجَأْتُ إِلَى حِصْنٍ بِهِ شَامِخِ الذُّرَا
وَإِنْ فَوَّقَ الأَعْدَاءُ نَحْوِيَ أَسْهُمًا
فَحَسْبِي بِهِ رِدُّ الوَشِيجِ مُكَسَّرَا
وَوَاللهِ مَا أَبْصَرْتُ غَيْرَكَ مُنْصِفِي
وَلا لَيْلُ حَظِّي عِنْدَ غَيْرِكَ أَقْمَرَا

(١) هكذا بالأصل. وفي (ز): كلماتي. ولعل صحة العبارة: كلّ مالي.

وَعِـنْدَكَ غُـصْنُ الأُنْسِ أَزْهَرَ بالرِّضَا
وَأَوْرَقَ مِـنْ مَـاءِ الأَمَانِـي وَأَثْمَـرَا
وَإِنْ خَـابَ ظَنِّي فِيكَ مِنْ بَعْدِ صِدْقِه
فَمَـا حِلْتُ عَنْ طَبْعِ اللَّيَالِي وَلا الوَرَى
وَحَاشَـا سَـجَايَاكَ الكَـرِيمَةَ إِنَّهَـا
أَرَقُّ وَأَنْـدَى مِـنْ نَـسِيمٍ إِذَا سَرَى
أَأَنْـسَى سَـمَاحًا مِنْكَ تَنْدَى بِهِ الصَّفَا
وَيُـضْحِي بِـهِ قَفْـرُ المَهَامِـهِ أَخْضَرا
وَفَـضْلَ عُلُـومٍ لَـوْ أَقِـيسُ بِهِ الحَيَا
إِذا بَـاتَ يَهْمِـي، كَانَ ذَلِكَ أَكْثَرَا؟!
وَمُـذْ عَلِقَـتْ نَفْـسِي بِوُدِّكَ لَمْ أَخُنْ
وَلَـوْ أَنَّنِـي قَاطَعْتُ مِنْ أَجلِكَ الكَرَى
وَلا حُلْـتُ يَـوْمًا ثُمَّ عُدْتُ فَلا تَقُلْ:
(سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا)(١)

يُقَبِّلُ الأَرضَ تقبيلا يطلبُ به لقلبه البرُودَه، ويقومُ بين يَدَيْ مولانا مقام المستجيرِ العائذ الذي دَخل تحت ذَيْله وعضَّ بُرُودَه(٢)؛ ويُنْهِي ما يجدُده من نسْبته إلَى ذَنْب هو منه عَرِيّ، وما تَحقَّقَه من الألم في قولهم رَماكَ اللهُ بتُهْمَةَ، وأنت منها برِيّ، فَما المكثُ بَيْن ماضغَيْ الأسد، وذُلّ الأسير إذا شُدَّ عَضدُهُ بحَبْلٍ من مَسَد، بأشقَّ حالة من المملوك ولا أسْوَا،

(١) صدر بيت مطلع قصيدة لامرئ القيس بديوان / ٥٦، وتمامه:

سما لـك شـوق بعد ما كان أقصرا وخلـت سـليمي بطـن قـو فعرعرا.

(٢) في الأصل: «وعض برده» واخترت ما في النسخ الأخرى.

ولا أكثرَ خصوصيّة بعموم الوبال والبلوّى. فما أضيعَ عمري، وأطرَفَ أمري، يُجنى عليَّ وأعتَذر، وتكونُ الأساةُ إليَّ وأغتَفر، وأستعيرُ الاعترافَ وأنا أستَعِر:

(من البسيط)

أُقِــرُّ بالــذّنْبِ مِنّــي كَــيْ أُوَافِقَهَا
فِــيمَا تَقُــولُ، وَأسْــتَعفِي وَأعْــتَذِرُ.

يا مولانا كيف خَفِيَ عن ألمَعيتكَ ما قيل؟! وكيف ترجَّحَ عندك ما ألقاه الكاشِحُ، ولا بِدْعَ فالميزانُ تَساوي لدَيْه الذَّهَبُ والمثاقيل؟. وكيف رجَعْتَ عن الحُكْم بصحّة وُدّي، وأظنُّ هذه في عراقيب الصُّحبة على رأي العوام من بعض العَراقيل؟!. وكيف خَفَّ سمعُك لذلك اللّفْظ المتثاقل؟!. وكيف [تكذّبُ رائدَ رأيكَ فيمن خَبَرْته أكموًا][1] وعساقِل؟!. وكيف قلَّدْتَ وأنتَ المجتهدُ الناقدُ ذلك النَّاقل؟!:

(من الكامل)

وَالْغِــشُّ فِي مِــرْآةِ ذِهْــنِكَ كَيْفَ لاَ
يَــبْدُو وَأَنْــتَ الْجَوْهَــرُ الــشَّفَّافُ؟!

---

(١) ما بين القوسين في الأصل هكذا «تكدبه رائد رأيك فيمن حيرته وحنيته أكموا» واخترت ما في (م). أما في (ب) : «وكيف تكدر رايد.. وحنيته أكموا..» وفي (ز): «وكيف تكذب رائد.. فيمن خيرته....» وفي (أ) حذف.
وقوله: (أكموًا) جمع (الكمْء)، وهي: «فُطر من الفصيلة الكمئيّة، وهي أرضيّة تنتفخ حاملات أبواغها- أي ترابها- فتحنى، و تؤكل مطبوخة، ويختلف حجمها بحسب الأنواع» (المعجم الوسيط: كمأ).
وقوله: (وعساقل) جمع (العسقول)، وهو: «ضرب من الكمأة أبيض اللون... و (في علم الزراعة): جزء من ساق نباتية، أو من جذر نباتي يكون جاسيًا مكتنزًا منتفخًا، محتويًا، على مواد غذائية مختزنة كالبطاطس» (المعجم الوسيط: العقول).

وكيف تَبَرَّمْتَ بُودّي واتخذتَه (سحابَةَ صيف)[1]؟!. وكيف؟! وكيف؟! وكيف؟!. وبأيِّ قرينة صدّقتَ فيَّ ما نقَلَهُ الواشي، فلا أعانه الله فيما أعاده؟!. وبأيِّ طريقٍ فتحتَ له يا جامعَ المحاسن بابَ الزِّيادَه؟!. ولأيِّ ضرورَةٍ قبلتَ قَوْلَ الأسْوَدِ الوجه، ولا أقول: المسوّدُ؛ لأن الأوّلَ من السّواد، والثاني من السِّياده؟!.

(من البسيط)

سَعَى إِلَيْكَ بِيَ الوَاشِي فَلَمْ تَرَنِي
أَهْلاً لِتَكْذِيبِ مَا أَلْقَى مِنَ الخَبَرِ[2]
وَلَوْ سَعَى بِكَ عِنْدِي فِي ألَذِّكَرى
طَيْفُ الخَيَالِ لَبِعْتُ النَّوْمَ بالسَّهَرِ.

والله ما أتيتُ هذا المَنسوبَ إليَّ في الذهن فضلاً عن الخارج، ولا حدَّثَتْنِي به نفسي، ولا عَرَجَتْ بي إليه في هذه المعارج. وما أنا بدارجٍ في هذا لعلمي أنه ليس يُغشَّى، ولا أنا من عاديَّة هذا الطَّعَّان، بل أنا من ولد التنانير والتحشّي[3]. ووالله ما نطقتُ بكَلِمة مما وَشَوْا به وتمالَوْا،

---

(١) من أمثال العرب (ثمار القلوب / ٦٥٣): «سحابة صيف» مثل لمن يقل لبثه ويخف مكثه. أول لعل الصفدي في رسالته يلحظ الشطر الثاني من قول التهامي (الكشكول للعاملي / ١٣)

لك الخير جودي بالجمال فإنه ... سحابة صيف ليس يرجى دوامها.

أو قول الشاعر في الدنيا:

أراها وإن كانت تحب فإنها ... سحابة صيف عن قليل تقشع.

(٢) البيتان مذكوران في (تمام المتون / ٢٣١) بدون عزو. وهما لابن خيران أبي محمد أحمد بن علي الكاتب الشاعر المتوفى في ٤٣١هـ (وفيات ٣/٣٨٢).

(٣) قوله: (من ولد التنانير والتحشي) كناية عن الشدة والقوة. فالتنانير: جمع (التنور)، وهو الفرن الذي يخبز فيه. (الوسيط: التنور). والتحشي، من (الجَشّ) – بفتح الجيم بعدها شينٌ مضعفة – وهو: «الموضع الخشن الحجارة» (الوسيط: الجش).

ولا فاهت به شفتي، وإن أردت ظهور الحقّ «فقُلْ تعالَوْا»[١].

(من الطويل)

وَلَكِـــنَّهُمْ لَمَّـــا رَأَوْكَ قَـــرِيبَةً
إِلَيَّ تَوَاصَـــوْا بِالنَّمِـــيمَةِ وَاحْـــتَالُوا
وَقَـــدْ صِـــرْتِ أُذْنًـــا لِلْوُشَاةِ سَمِيعَةً
يَنَالُونَ مِنْ عِرْضِي، وَلَوْ شِئْتِ ما نَالُوا[٢]

ووالله ما غرّني ما غرَّ محبوبَةَ امرىءِ القَيس، حتى قال: «أَغَرَّكِ مِنِّي» ، ولا ساءَتني منك خَليقةٌ[٣] أتوهَمُ معها الإعراضَ والتجنّي. فلا يُعرض مولانا ولا يعرّض، ولا يُقْلِعُ عن المودّة ولا يُقوِّض.

ومولانا في حلٍ وبلّ، وله الحكمُ في الحالَيْن فهو يُذِلُّ ويُدِلّ، فما هو بأول مَنْ تركَ الزِّيارَةَ واعتَلّ، ورمى بدائه وانْسَلّ.

(من الطويل)

وَإِنْ يَكُـــنِ الفِعْـــلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا
فَأَفْعَالُـــهُ اللَّاتِـــي سَـــرَرْنَ أُلُوفُ[٤].

---

(١) من الآية (٦١: آل عمران).

(٢) البيتان لقاضي دمشق زمن المأمون عمرو بن أبي بكر العدوي القرشي (معجم الشعراء/٣٤) برواية: «لما رأوك سريعة» و(تاريخ الطبري ٨/٦٥٧):

حـرمت مـناي مـنك إن كـان ذا الذي		أتـاك بـه الواشـون عنـي كما قالوا
ولكـــنهم لمـــا رأوكِ ســـريعةً		إليّ تواصَـــوْا بالنمـــيمة واحـــتالوا.

وانظر القصة في المصدر الأخير.

(٣) يشير في هذه الجملة وما قبلها إلى قول امرئ القيس (ديوانه/١٣):

فـإن تـك قـد سـاءتك مني خليقة		فسلي ثيابي مـن ثـيابك تنسـل
أغـــرك مـــني أن حـــبك قاتلـــي		وأنـك مهمـا تأمـري القلب يفعل.

ورواية البيت الأول فيه: «وإن كنت...»

(٤) البيت للمتنبي (ديوانه ٢/٢٩٢)، من مقطوعة أولها:

والله لا يُعْدِمُ المملوكَ من مولانا عاطفةَ حُنُوّ، ولَا يقطعُ من وارداته جالبَ هدايةٍ ولا هُدوّ، بمنّه وكرمه. إن شاءَ الله تعالى.

وكَتب هو إليّ وأنا بالقاهرة المحروسة في سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة[1]:

(من البسيط)

رَضِــيتُ بالكُتْبِ بَعْدَ البُعْدِ فانْقَطَعَتْ
حَتّــى رَضِــيتُ سَلامًا في حَوَاشِيهَا[2]

يُقَبِّلُ الأرضَ، ويُنْهِي أنّه[3] كسيرُ الخاطر، حسيرُ الناظر؛ لانقطاع برِّ مولانا الممتاز، ولامتناع المملوكِ من المكاتبة ظنًّا أنّ بينها وبين القَصْد حجاز. فلما وقفَ الآن على ذكره في حاشيَة مكاتبة جماليّة، استأْنفَ للخاطر سُرورًا، وأقام وزْنَ البيت القلبيِّ، وكان مكسورا، ووضعَ الطِّرْسَ على وجه حظِّه الأعمى **﴿فَارْتَدَّ بصيرًا﴾**[4]. وجمع بين ذلك الخاطرِ واللفظ والقلب. وإنما جمعَ **﴿مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا﴾**[5]. وسرَّه، شهد الله، أن يكونَ معدودَ الذِّكرِ في الحَاشيَه، واستَوْقَفَ ألفاظَ العتاب، وقد كانت إلى درج الأَدْراج ماشيَه.

(من الطويل)

حَــلالٌ لِلَيْلَــى أنْ تَــرُوع فُــؤادَهُ
بِهَجْــرٍ، وَمَغْفُــورٌ لِلَيْلَــى ذُنُوبُها[6]

ومنتــســب عــندي إلى مــن أحــبه وللنــيل حــولي مــن يديــه خفــيف.

(١) الرسالة برمتها مذكورة (بالوافي ١/٣٢٠ وما بعدها).

(٢) ورد البيت غير معزو في: (طبقات السبكي ٩/٣٧٦).

(٣) بالوافي بعد الشعر قوله: «وينهي أنه كان كسير الخاطر» بالحذف والزيادة.

(٤) من الآية (٩٦: يوسف): «**فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا**...».

(٥) من الآية: (٨: الإنسان)، «**ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا**».

(٦) هذا البيت بنفس الرواية غير معزو في (الصناعتين / ٤٨) ضمن أبيات ثلاثة. وهو

(من مجزوءِ الكامل)

لاَ تَقْرَعَنَّ سَمَاعَ مَنْ تَهْوى بِتَعْدَادِ الذُّنُوبْ.
مَا نَاقَشَ الأَحْبَابَ إِلاَّ مَنْ يَعِيشُ بِلاَ حَبِيبْ.

وقد علم اللهُ شوقَ المملوك إلى تلك الخلائق ورَبيعها، والألفاظ وبديعها، وشجوَهُ الذي أخفى الجلَدَ وأبانَه، وَوَحْشَتَه التي أفردته سَهْمًا واحدًا في دمشقَ لا في كِنَانَه.

(من البسيط)

لَـمْ يَتْـرُكِ الدَّهْـرُ لِـي خِلاً أُسَرُّ بِه
إِلاَّ اصْـطَفَاهُ بِـنَاى أَوْ بِهِجْـرَانِ[1]

واللهُ تعالى يحرسُ مولانا حيث كان، ويُمدُّهُ بمعونَتَيْ المكان والإمكان. ويصونُ نفاسَةَ نفْسه، وإن تغيَّرَتْ على أحبابها، وأعرضَتْ عن غلمانها، ويأبى ناموسُ الرُّتبة أن يُقالَ عن أصحابها. ولا يُعدمُ الأولياءَ على البُعْد والقُرْب[2] أن يجتنوا من نظمه ونثره ثمرَ البيان مُتشابها.

المملوكُ يُقبِّلُ يَد الجناب الأخويّ البُرهانيّ، شكرَ اللهُ إحسانه، وأوْضَحَ في استحقاقِ رُتَبِ الفَضْل بُرْهانَه، وَوَد المملوكُ لو رآه عند

منسوب للمجنون في (بهجة المجالس ١/٤٣٤) وهو بديوان المجنون / ٧١، برواية:

حـلال لليلـى شـتمنا وانتقاصنـا ... هنيـئًا، ومغفـور لليلـى ذنوبها.

من مقطوعة مطلعها:

تمر الصبا صفحًا بساكن ذي الغضى ... ويصدع قلبي أن يهب هبوبها

(١) جاء في (ذيل الأمالي / ١٢٦ ط الهيئة) قال. وقال أنشدنا الرياشي قال أنشدني مؤرّج - السلمي شاعر من شعراء الدولة الأموية — لنفسه:

فـزعت بالبين حتى ما يفزعني ... وبالمصائب في أهلي وجيراني

لم يتـرك الدهـر لي علقًا أضنُّ به ... إلا اصطفاه بموت أو بهجران.

(٢) بالوافي: «على القرب والبعد» .

القدوم من حلب، فكان يُوفّى بعضَ قروض فَضْله. وفروض بَذْله، ولكن أبي الحالُ المناسبُ إلا أن تبدأ [هديةُ][1] ذلك المولى بجبنه فيُقابلها المملوك ببُخْله.

[ومنها][2]: يا مولانا بلغ المملوكُ تَقدمَ المقرِّ الزَّيني وتمكنه[3]، وتبيُّنه وتَعيُّنَه، وأراد المملوكُ مطالعَتَه، وعرَض وسائله، ولكنه ذكر حكايةَ بعض جُفاة الأعراب ومُتَعَجْرِ فيهم، وقد اشتّدّ به ضعْفُه، فقال له بعضُ إخوانه: تُبْ إلى الله تعالى. فقالَ: يا أخي إن عافَاني تُبْتُ، فإني لا أَقبل القسر. فإن نظر ذلك المقر الزيني[4] إلى المملوك ونفعه، كتبَ وقال، وأَطابَ وأَطال، ونهضَ في خِدْمَة أيّامه بما لا ينهض [بَه][5] سواه من أَهل المقال. وإلاّ: (من الطويل)

كِلانَـا غَنِـيٌّ عَـنْ أخِـيهِ حَـيَاتَهُ
وَنَحْـنُ إذَا مُتْـنَا أَشَـدُّ تَغانِـيَا.[6]

(١) الزيادة. عن الوافي.
(٢) ساقطة من الوافي.
(٣) بالوافي: "المقر الفلاني وتبينه" .
(٤) بالوافي: "المقر المملوك" بالحذف.
(٥) الزيادة عن الوافي.
(٦) البيت في (ذيل الأمالي /٨٢، ٨٣ ط الهيئة) منسوب لسيار بن هبيرة بن ربيعة بن المنحو. يعاتب خالدا وزيادا أخويه، ويمدح أخاه منحلا. من قصيدة مطلعها:
تناسى هوى عصماء إما نأيتها		وكيف تناسيك الذي لست ناسيًا
وهو في (زهر الأداب ١/١٢٦، وبهجة المجالس ١/٧١٠، وعيون الأخبار ٣/٧٥، والكامل للمبرد ١/١١٣) منسوب إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر. وهو في التذكرة (١/١١٢ب) منسوب إلى المغيرة بن حبناء. كما أنه بديوان الشافعي /١٨٦). في نهاية مقطَعة مطلعها:
وعين الرضا عن كلّ عيب كليلةٌ		ولكنّ عينَ السُّخط تُبدى المساويا

فكتبت أنا الجواب إليه في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة[1]:

يُقَبِّلُ الأرضَ. ويُنْهي وُرُودَ المثال العالي، والفضلِ الذي نَصبَ لي لواء الفخر، لو أنه كما أعهده مُتوالِي، والبرِّ الذي كم تمسكْتُ بحباله فأرسل الحبَالي، والرّوضِ الذي هو لابن الشجريّ نهايةُ الأماني من الأمالي، والأزاهرِ التي أصبَحْتُ من جُناة جَناها، فلا بدْعَ إذا كنتُ لنار عَتْبها اليومَ صالي[2]. (من الطويل)

إذَا لَـمْ يَخُـنْ صَـبٌّ ففـيمَ عتَابُ
وَإنْ لَـمْ يَكُـنْ ذَنْبٌ فَممَّ يُتَابُ[3]؟!

أجَـلْ مَـا لَـنَا إلاّ هَـوَاكُمْ جِـنَايَةٌ
فَهَـلْ عِـنْدَكُمْ غَيْرُ الصُّدُود عقَابُ؟!

فوقف المملوكُ عليه، بعد أن تمثَّل واقفًا لدَيه، وشاهدَ ذلك اللَّفظَ الرَّقيقَ المشتمل على العَتْب الفَظِّ، وتحقَّقَ أن هذا من جُزْئيات ما ساق إليه السُّقْمُ، وحضَّ عليه الحَظّ. (من مخلع البسيط)

وَغَايَتِـــي أنْ ألُـــومَ حَظِّـــي
وَحَظِّـــيَ الحَـــائطُ القَـــصيرُ[4]

ولقد علم المملوكُ عند رؤيته أنه غمامَةٌ يقعقعُ[5] بالعَتْب وَعْدُها

وهو في طبقات ابن المعتز /١٥٦) ، منسوب لنصيب الأصغر، ويعرف بأبي الحجناء).

(١) الجواب مذكور في (الوافي ٣٢١/١). مبتدئًا بقوله: «وينهي ورود المثال» بالحذف.

(٢) يشير إلى قول الحارث بن عباد البكري (وقد سبق):

لم أكـن مـن جـناتها علـم الله		وإني بحـرها الـيوم صـال

(٣) البيتان صدر قصيدة للأرجاني يمدح شهاب الدين أحمد بن أسعد الطغرائي. (مجموعة الدرر / ٢٠، معاهد التنصيص ٢٥٤/٤).

(٤) البيت للسراج الوارق في (الغيث ٧٤/٢، ومعاهد التنصيص ١٥٤/١). وقبله:

يمـنعني باخـلٌ وممـنعٌ		ولـيس لي مـنهما نـصير.

(٥) «تقعقع» . بالوافي.

عند الفضّ، ورسولٌ جاءَ بعد فترة يدعو القلبَ إلى الكسر، والطرفَ إلى الغَضّ، وَخَصْمٌ يروعُ بالعتب، ويَرُوقُ باللُّطف، وكذا جرَى، لأَنَّ الرَّوعَ تعجّلَ في نَقْده النضّ[1]. (من البسيط)

هَـــذا عِـــتَابُكَ إلاّ أنـــهُ مقَـــةٌ
قَـــدْ ضُـــمِّنَ الـــدرَّ إلا أنـــهُ كَلِمُ[2]

فيالَه من عتَاب ما حَاكَ العتَّابي[3] منه لَقْطَةَ لفْظَه، ولا رقِيَ إلى رقّته عتابٌ جرَى بين الزَّمان وجَحْظَه[4]، ولا استحضر مُهديه عند تسطيره من القرآن الكريم، «ولْيَجدوا فيكُمْ غلْظَه»[5]. (من الطويل)

وَأَطْـــيَبُ أيـــامِ الْهَـــوَى يَوْمُكَ الّذي
تُـــرَوعُ بِالْهِجْـــرَانِ فِـــيهِ وَبِالْعَـــتْبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الحُبِّ سُخْطٌ وَلا رِضيً
فَأَيْنَ حَلاوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالْكُتُبِ[6]؟!.

---

(١) بالوافي: «تعجل نقده في النص» والنّض: القليل اليسير.

(٢) البيت للمتنبي بديوانه ٣/٣٧٤) وقد سبق في الجزء الأول ص: /٦٣.

(٣) العتابي: هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد... بن عمرو بن كلثوم. وكنيته العتابي أبو عمرو، وأصله من الشام من أرض قنسرين. صحب البرامكة. وكان حسن الاعتذار في رسائله. وشعره يشبه في المحدثين بالنابغة في الجاهلية (معجم الأدباء: ٢٦/١٧).

(٤) جحظة هو: أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك النديم. فقيه لغوي، وراوية للحديث، ومغنٍّ وموسيقي، وشاعر مشهور. توفي سنة ٣٢٤ هـــ) تاريخ بغداد ٦٥/٤، ونهاية الأرب ١٠٢/٣). وفي العبارة إشارة إلى قوله:

ورق الجـــو حـــتى قـــيل هـــذا		عـــتاب بـــين جحظـــة والـــزمان.

(٥) من الآية الكريمة (١٢٣/التوبة): ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، ولْيجدوا فيكم غلْظةً ، واعلموا أن الله مع المتقين﴾ .

(٦) البيتان للعباس بن الأحنف في ديوانه /٦٢، وزهر الآداب ٤٤/١، برواية: «وأحسن =

ولله مولانا فإنه كبت[١] لما كتَب، وعبَث، لما عتَب، ونفَثَ بعد أنْ لَبث، ولَو احتثّ الوُدّ لاجتَنَب. ولكنْ دلّ بهذا على أن[٢] ليس له إغْراضٌ في الإعراض، وأنه لا يليقُ بوُدِّه الثّابتِ التبذُّلُ في التبدُّلِ، ولا يَعتادُ أن يعتَاض، ولله القائل ما أشرَف همّتَه:

(من مجزوءِ الرمل)

لَستُ سَمْحًا بِوِدَادي
كُلُّ مَنْ نَادَى أجَبْتُهْ

ولعمري إنّ مولانا سبّاقُ غايات، وربُّ آيات، وصاحبُ دهاء، لا بل دهّاشَات، علم أنه نكّبَ عن الوفاء، وظهَرَ عن لُطفه مالا يَليقُ به من الجفاء، وأهملَ المملوكُ هذه المدّة، وطمِعَ في ضَعْفه، وظنّ أنه ليس لذكْره «كَرّةٌ»[٣] بعد الفرار ولا رَدّه، فتلا سورةً من العَتْب، سكّنَتْ ما عَند المملوك من السَّوْرَه، وأمكنته[٤] غفلَةُ الرُّقَباءِ، فاختلس الزَّوْرَة، وسابَقَ حُرّاف المملوك، وقاطع عليه الدَّوْرَه،

أيام الهوى» . وقيل هما لعلية بنت المهدي (خزانة الحموي / ٢٣٦)، برواية: «وأحسن أيام الهوى» ، وفي الأمالي ٢٧٠/١، برواية: «فأحسن أيام» ، وفي (فوات الوفيات ١٩٩/٢، ٢٠٠ط النهضة)، ضمن أبيات أربع، برواية: «وأطيب أيام الفتى يومه الذي يروع» . هذا وقد نسبا في (فوات الوفيات ٢٠٩/٢، ٢١٠) إلى أبي حفض عمر بن عبد العزيز الشطرنجي، «الذي نشأ في دار المهدي، وانقطع — بعد موته إلى علية وكان يقول لها الأشعار» . وكذلك نسب البيت الأول، ضمن أبيات، لأبي حفص الشطرنجي في (الأغاني ٤٥/٢٢).

(١) «كبث» الوافي.

(٢) «على أنه» .

(٣) ساقطة من الأصل. والزيادة عن النسخ الأخرى، والوافي.

(٤) وأمكنه بالوافي.

«من البسيط»

تُشكي المحبَّ، وتَشكُو وَهْيَ ظَالمةٌ
كالقَوسِ تُصمِي الرَّمَايَا وَهْيَ[1] مرنَانُ.

وقد تمثّل المملوكُ بهذا البيت دون غيره من الأمثال، لأنّه أنسبُ بمولانا وأقرَب، وتخيَّلَ ما يعهدهُ من توهّم مولانا، فلَم يقلْ يُلدَغ ويُصبى[2] كالعقرب. على أنَّ المملوكَ أحَقُّ بهذه المعاتبَه، وأحقُّ بأن تُصْدَرَ[3] عنه مثلُ تلك المكاتبَة، وإذ قد فُتح هذا الباب ونُوقش في مثل هذا الحساب.

فَاسْكُبْ دُمُوعَكَ يَا غَمَامُ وَنَسْكُبُ[4]

نُظْهِرُ ما في زَاويا الجوانح من الخَبَايا، ونَتَّبعُ ما في القلب إن كان حُبُّ مولانا ترك منها بقايا. وإن كان مولانا حمّلَ البريدَ هذه البطاقةَ فعند الملوك ما يعجزُ عن حَمْله المطايا. هيهات ما هذا موقفٌ[5] يحصلُ فيه الصَّفَا، ولو كانَ هذا موْضِعَ العَتْبِ لاشتفى.

«من البسيط»

فَمَا يَقُومُ لأَهْلِ الحُبِّ بَيِّنَةٌ
عَلَى بَيَاضِ صَبَاحٍ أوْسَوَادِ دُجَى

(١) البيت لابن الرومي في (تمام المتون/ ٣٣٧، وزهر الآداب ١/ ٣١٧)، براوية: «تشكى المحب وتلفى الدهر شاكية» . والبيت من قصيدته التي يمدح فيها أبا الصقر إسماعيل بن بلبل حينما ولى الوزارة، ومطلعها

أجنيك الورد أغصان وكثبان فيهن نوعان تفاح ورمان

(٢) بالوافي: «ويضى».

(٣) «وأحق أن يصدر» بالوافي.

(٤) عجز بيت لأبي العلا المعرى (سقط الزند/ ٢٢٦) وتمامه:

إن كنت مدعيًا مودة زينب فاسكب دموعك يا غمام ونسكب

(٥) «ما هذا مقام» بالوافى.

«من الطويل»

وإنْ شِـــئْتَ أَلْقَيْـــنَا التفاضُـــلَ بَيْنَــنَا

وَقُلْــنَا جَمِــيلاً وَاقْتَصَرْنا عَلى الوُدِّ.

استطرَدَ المملوكُ إلى هذا[1] الفصل، وهو قبيحٌ بصدْق ولائه، ونُكْتةٌ سوداءُ[2] كأنها الخال، لكنها ما تليق بوَجْنَة صفائه، ولكن الوُدَّ إذا صفا لم يتحمل معه الضميرُ أذى، و لم تُغْمَضْ الجفونُ منه على قَذى:

«من البسيط»

مـــا نَاصَـــحَتْكَ خَـبَايَا الوُدِّ مِنْ رَجُلٍ

مَـــا لَـــمْ تَنَلْكَ بِمَكْرُوهٍ مِن العَذَلِ[3]

مَحَبَّتِـــي فِـــيكَ تَأْبَـــى أَنْ تُـــسَامحَني

بِـــأَنْ أَرَاكَ علـــى شَـــيْءٍ من الزَّلَلِ.

وإن اتَّفق اقتراب، فلكلِّ سؤالٍ جواب[4]. ومن كُلِّ جُرْمٍ مَتَاب، ولكلِّ صَغيرةٍ وكبيرةٍ مناقشةٌ وحِساب، ولكل ظمأٍ إمَّا سُقْيَا رَحْمَةٍ أوْ سُقْيَا عذَاب.

---

(١) «بهذا الفصل» بالوافي.

(٢) «ونكتة سواد» بالوافي.

(٣) بالوافي: ما لم ينلك. والبيتان نسبهما صاحب (الروضتين ١٣٩/١ – مطبعة وادى النيل، ١/ ٣٥٤ طبعة المؤسسة المصرية) – إلى الشريف الرضى، براوية «ما ناصحتك خفايا الود من أحد ما لم يصبك ... مودتى لك ... ...» وهما دون عزو في «ثمار المتون/ ٢٤٣، والغيث ٩٤/١، ووفيات الأعيان: ٢٨٢/٥، وجمع المنثور/ ٦٦» ورواية الشطر الأول فيها جميعًا كما في الروضتين، وهما كذلك غير معزوين في (ديوان الصبابة/ ١٣١) برواية «ما لم ينلك» .

(٤) مأخوذ من قول جميل:

وقلـــنا لهـــا قـــولا فجـــاءت بمـــثله   لكـــــل كـــــلام يابـــثين جـــــواب

«من الوافر»

وإنْ ظَفِـرَتْ بـنا أيـدي المـنايا

فكـم مـن حَـسْرةٍ تحتَ التُّرابِ(١)

وقد اشْتَغَلَ المملُوكُ بهذا الفصل، ولو وُفِّق في هذه الخدمة قطعَ منها هذا الوَصْل، وجرى على عادته في الإغضاء، وطلب النَّصْرَ بالصبر(٢) لا بالنَّصل.

فالعُمْـرُ أقـصرُ مُـدَّةً (مجزوء الكامل)

مـن أن يُـضَيَّعَ في العـتاب(٣)

ويستغفرُ اللهَ المملوكُ من هذا، على أن مولانا عَوَّدَ المملوكَ بالاحتمال إذا آذى.

ويرجعُ إلى وَصْفِ مثال مولانا، فيقول إنَّه الحديقه، [«والفضْلُ الذى صَدَرَ عن أَمْثَل الناسِ طريقه(٤) »] والرَّوْضُ الذي جمعَ الأزاهرَ إلا أنَّه عَدمَ شقيقَه، والقادمُ الذي كأنَّه ولدٌ جاءَ بعد اليأسِ، وإن عُملت(٥) الدُّموعُ عقيقه: «من البسيط»

واللهِ مَـا فَتَـنَتْ عَيْنِـي مَحَاسِـنُهُ

إلا وَقَـدْ سَـحَرَتْ أَلْفَاظُـهُ أُذُني(٦).

---

(١) البيت غير معزو في «الكشكول للعاملي/ ٧٢» وقبله فيه:

لـئن نحـن التقيـنا قـبل مـوت شـفينا الـنفس مـن ألم العقـاب

(٢) «بالبصر» بالوافي.

(٣) «أن يضيع بالعقاب» بالوافي وقد ورد هذا البيت في «العمدة: ٢/ ١٦٧» دون عزو، وبراوية «العمر اقصر مدة من أن يمحق بالعقاب» هذا ولديك الجن (ديوانه، ١٧٠):

خـذ مـن زمانـك مـا صـفا ودع الـذي فـيه الكَـدَر

فالعمـرُ أقـصر مُـدّةً مـن أن يُمحّـصَ بـالغِيَر.

(٤) وردت هذه الجملة بعد التي تليها في الوافي .

(٥) «عملت له» بالوافي.

(٦) البيت لتميم بن المعز في «زهر الآداب ٢/ ٨١٩» : وهو (بديوانه/٤٢٨) من

فمتَّع اللهُ الوجودَ بكَلِمِ مولانا التي هي عُوذَةٌ من الغِيَر، وجمالُ الكُتُب والسِّيَر، ولا أخلى اللهُ من فَوائِده، ولا قطع ما أَجْراه على المملوك من عوائده.

وقد بلَّغ المَمْلوكُ سلامَ مولانا وجبرةَ[1] مملوكَه الأَخَ فدعا وابتهل، وَشبَّ جمْرُ شوقه إلى رُؤيته الكريمة[2] بعد أَنْ اكتَهَل، وقال لأبُدَّ من العَوْد إلى جَنَابه، إن كان في العُمْر مَهَل.

وأما الإشارَةُ العالية[3] في أَمْرِ مَنْ ذَكَرَه مولانا، وأنَّه تمكَّنَ، وتعَيَّن[4]، والنادِرَةُ اللائقةُ بذلك المقام - فيقول المملوكُ إنَّه ما عاملَ كما عُومِل، ولا قابَلَ كما قُوبِل، بل اذْكر رُكودَ الدهر وهَبَّاته، وعَمِل بقول الحيص[5] بيصَ في أبياته، بعد أن كبا سريعًا، وخرَّ لليدين وللفم[6] صريعًا، «من الكامل»

فَعَفَفْتُ عَنْ أثْوَابِهِ ولَوَ انَّنِي
كُنْتُ المُقَطِّرَ بَزَّنِي أثْوابِي[7].

قصيدة قصيرة في الغزل مطلعها:

ترى عذارَيْه ما قاما بمعذرتي عند العذول فيغدو وهْوَ يعذرني

(١) «سلامة وجبره مملوكه» بالوافي.

(٢) «رؤيته بعد أن أكتهل» بالحذف في الوافي.

(٣)«الإشارة الكريمة» بالوافي.

(٤) «وأنه تعين وتمكن» بالوافي.

(٥) الحيص بيص هو: أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفي التميمي شهاب الدين، حيص بيص، من شعراء بغداد والعراق والجزيرة، توفي سنة ٥٧٤هـ. انظر «معجم الأدباء: ١١/١٩» .

(٦) بالوافي: «للفم ولليدين» . وهو يشير إلى قول جابر بن حنى في قتل شرحبيل بن الحارث يوم الكلاب قتله أبو حنش (نقائض جرير والفرزدق ٢/ ٨٨٧):

تناوله بالرمح حتى ثنى له فخر صريعًا لليدين وللفم.

(٧) البيت للإمام علي في «زهر الآداب ١/ ٨٣» براوية: «وعففت عن أثوابه» يقصد عمر بن ود بعد قتله سنة ٥هـ - ويقول الحصري: وبعض الرواة ينفيها عن

وهو الآن عَيْنُ الأعيان، وفاتحةُ الديوان، وجمالُ تلك العُصابَه، وفارسُ الكتيبة في وقت الكتابَة، وكذا فلتكُنْ النفوسُ الأبيّة، والذاتُ الشريفةُ الشرَّفيَّة، وذوو الأحلام إذا قدرُوا كان العفوُ منهم سَجيَّة. وقد حُكيَ عن ابْنِ العَلْقَمِيّ[1] وزيرِ بغداد، لما صَلَبَه التَّتارُ، وداروا به في شوارع بغداد، نادَته امرأةٌ من طاقةٍ: يا ابْنَ العَلْقَمِيِّ رأيناك في أيام أعْدائك، ورأيناك في أيّام أودَّائك.

وأما إشارةُ مولانا له فالـــملوك في إبْلاغه إيَّاهَا بين تقديمٍ وتأخير قيل لبعض الأعراب: ألا تغزُو؟. فقال: والله إنّي أكرهُ الموتَ يأتي إليَّ وأنا على فراشي، فكيف أسعى إليه رَكْضا[2]؟!. والله يمتّعُ القلوبَ بحُبِّ

علي. وهو (بديوان الإمام علي /١٤) براوية. «وعففت» أيضًا من قصيدة جاء في تقديمها: «وبعد أن قفل (ع)» عمرو بن وُدّ، وانكشف، تنحّى عنه، وقال:

عبدَ الحجارة من سفاهة رأيه وعبدْتُ ربَّ محمد بصواب

هذا وبنهاية هذا البيت انقطع الكلام عن هذه الرسالة في الوافي.

(١) هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد آخر وزراء الدولة العباسية، توفي سنة ٦٥٥هـ (دائرة المعارف: ابن العلقمي) وفي (فوات الوفيات ٢/ ٣١٢) سماه ابن شاكر: محمد بن محمد بن علي. وجعل وفاته غمًا وغيظًا أول سنة ٦٥٧هـ. وجاء في كتاب (البداية والنهاية ١٣/ ٢١٣): «وقد رأته امرأة وهو في الذل والهوان، وهو راكب في أيام التتار برذونا، وهو مرسم عليه، وسائق يسوق به ويضرب فرسه، فوقفت إلى جانبه وقالت له: «يا ابن العقلمي هكذا كان بنو العباس يعاملونك فوقعت كلمتها في قلبه، وانقطع في داره إلى أن مات كمدًا.»

(٢) وردت في (بهجة المجالس ١/ ١٠١) هكذا: « قيل لبعضهم: أراك تكره الغزو، وما يكرهه إلا جبان أو متهم؟ فقال: والله إني لأكره أن يأتيني الموت على فراشي، فكيف أسافر إليه مسافة بعيدة؟!» هذا، وفي «عيون الأخبار/ ٦٦ ط الهيئة» وردت هكذا «قيل لأعرابي ألا تغزو فإن الله قد أنذرك؟ قال: والله إني لأبغض الموت على فراشي فكيف أمضي إليه ركضًا؟!» وفي «التذكرة ٢/ ١١» : و«قيل لأعرابي: ألا تغزو فإن الله قد أمر لضبه؟. فقال: والله إني لأبغض الموت على فراش في عافية، فكيف أمضي إليه ركضًا؟!» .

مولانا الذي مازَجَ الأغْصَا. بمنّه وكرمَه إن شاءَ الله تعالى.

وكتب هو إلي ونحن بدمشق المحروسة(١):

«من الرمل»

دُمْـــتَ لـــلآداب تُنْـــشِي رَسْــمَهَا
بِيَــرَاعٍ خَطْــوُهُ خَطْــوٌ فَــسِيحْ
لَــيْتَ شِــعْرِي أَنْــتَ يَــا بَاعِــثَها
بَعْــدَمَا مَاتَــتْ خَلِــيلٌ أَمْ مَسِيحْ؟!.

فكتبت أنا الجواب إليه(٢):

«من الرمل»

إِخْتَلَفْــــنَا لِــــبَدِيعِ الــــنَّظْمِ فِي
كُــلِّ مَــا تُهْدِيــهِ مِــنْ لَفْظٍ فَصِيحْ
قَــالَ غَيْــرِي: هُوَ زَهْرٌ. قُلت(٣): لا
قُلْــتُ: زُهْــرٌ. قَالَ لِي: هذا الصَّحِيح

وكتب هو إلي يطلب منّي عاريةَ كتاب التشبيهات لابن ظافر(٤):

---

(١) البيتان مذكوران (بالوافي ١/٣٢٤، وردة الأسلاك ٣/٤٤، وديوان ابن نباتة/ ١٨)
ورواية البيت الأول في الديوان:
عشت للآداب تحمي سرحها بيــان خطْــوُه خطْــوٌ فــسيح

(٢) البيتان مذكوران في الوافي ١/ ٢٣٤ وفيه: «فأجمعت بقولي».

(٣) بالوافي: قال لا.

(٤) الرسالة مذكورة في «الوافي ١/ ٤٢٣» واسم الكتاب: «غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات» وقد حققه الدكتور/ محمد زغلول سلام، والدكتور/ مصطفى الصاوى الجويني، ونشرته دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١. وابن ظافر، هو علي بن ظافر الأزدي المصري الأديب المؤرخ المتوفى سنة ٦٢٣هـ. انظر ترجمته في «مقدمة كتاب: غرائب التنبيهات / ٧- ١٢»

«من الكامل»

لَفْــظُ ابْــنِ ظَافِــرٍ قَــدْ ظَفِــرْتُ بِهِ
وَفُــؤَادُ حِبِّــي مِــنْهُ غَيْــرُ خَلِــي
فَــبِأحْمَدٍ، وَهُــوَ الــشَّفِيعُ لَــنَا
أمْــتِعْ أبــا بَكْــرٍ بِلَفْــظِ علــي

ويُنْهي أنَّهُ يُحبُّ لَفْظَ عليّ وتثقيله يزيد، ومَنّ مولانا المعهودةُ لا يثقلُ عليها أنْ تفيءَ وتفيد. وقد سمِعَ بكتاب المشار إليه، وسُؤاله مشاهدَةَ ذلك المحبوب، وعاريّةُ هذا الكتاب مُدّةَ «ثلاثة أيّام، ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوب»[1].

فاشتغلت (أنا) عن تجهيزه بالحمّى، ثُم إنني جهزته (إليه). وكتبتُ معه (إليه)[2]:

«من الكامل»

العَــبْدُ مَجْــبُولُ الطِّــبَاعِ عَلَــى
مَــا تَــشْتَهِي فِي القَــوْلِ وَالعَمَــلِ
وَمَــعَ التَّوالِــى فِي وِدادِكَ لَــمْ
أمْــنَعْ أبــا بَكْــرٍ كَــلامَ عِلــى.

فكتب هو إليّ قبل وصول ذلك إليه[3]:

«من الطويل»

عَذِيــرِيَ مِــنْهُ مُعْرِضًــا مُتَجَنِّــيًا
كَأنِّــي لَــهُ نَحْــوَ الــوِدَادِ أُجَاذِبُ

---

(١) من الآية «٦٥: هود» «فعقروها، فقال: تمتّعوا في داركم ثلاثةَ أيام، ذلك وعدٌ غيرُ مكذوب».

(٢) ما بين الحاصرتين في المواضع الثلاثة ساقط من الوافي ١/ ٣٢٥ والبيتان الآتيان مذكوران ثمة.

(٣) البيتان مذكوران في (ديوانه/ ٦٤) والرواية في البيت الثاني: «فلم يجب ندائي» وكذلك ذكر البيتان في «الوافي ١/ ٣٢٥» وفيه: «فكتب إلى قبل وصوله إليه» وروايته في البيت الأول: «عذيري منه معرضًا متجنبًا» وفي الثاني«قسا فوق ما تعتو» .

قَسَا فَوْقَ مَا تَقْسُو الجِبَالُ، فَلَمْ يُجِبْ
نِدَايَ، وَأَصْدَاءُ الجِبَالُ تُجَاوِبُ.

فكتبت أنا الجواب إليه[1] عن ذلك:

«من الطويل»

عَذِيرِيَ مِنْ مَوْلىً يَرَى العُذْرَ وافِرًا
بَسِيطا، وَمَا إِقْبَالُهُ مُتَقَارِبُ.
يَصُدُّ دَلاَلاً عَنْ وِدَادِي وَيَنْثَنِي
وَقَبْلَ صُدُورِ الذَّنْبِ مِنِّي يُعَاتِبُ.

فلما تأخر كتاب التشبيهات المذكور، و لم يجهزه، كتبت أنا إليه[2]:

«من البسيط»

قَدْ قُلْتَ إِنَّ ثلاثًا عُمْرُ غَيْبَتِهِ
عَنِّي و«ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبِ»
وَلَيْسَ وَعْدُكَ شَاةً سَاقَهَا الزَّمَنُ
(م) الْجَانِي، فَعَلَّقَهَا مِنْهُ بِعُرْقُوبِ.

فكتب (هو) الجواب عن ذلك:

(١) بالوافي ١/ ٣٢٥، فكتبت الجواب عن ذلك. ثم أورد البيتين.

(٢) بالوافي ١/ ٣٢٥: «فلما تأخر كتاب التشبيهات .. و لم يرسله، كتبت إليه» ثم ذكر البيتين، ورواية الأول فيه: «قد قلت إن ثلاثًا عمر غيبته» والثاني «وليس وعدك شاها»، وهو يشير في البيت الثاني إلى المثل العربي مواعيد عرقوب «مجمع الأمثال: ٣/ ٣١١»، وعرقوب – كما نقل لميداني – رجل من العماليق وقصته مذكورة موضع المثل ثمة.

«من البسيط»

جَـــاءَتْ ومِنْ طِرْسِهَا سَاقٍ يُدِيرُ عَلَى
سَمْعِي مِنَ اللَّفظِ فيهِ خَيْرَ مَشْرُوبِ[1]

فَحَــبَّذا هُــوَ مِــنْ ســاقٍ نَعِمْتُ به
وَإنْ تَعَــرَّضَ فِــيهِ ذِكْــرُ عُــرْقُوبِ.

وكتب هو إليّ وأنا ضعيف:

«من الطويل»

تُـــثَقَّلُ إذْ نَبْغــي بِلَفْظِــكَ طِبَّـــنا
مِـــنَ الْهَـــمِّ، والجِسْمُ الشَّرِيفُ نَحِيلُ

فَهـــا أنْـــتَ فِـــنا كالنَّـــسِيم بِلُطفه
طَبِـــيبٌ يُـــدَاوِي الـــنَّاسَ وَهْوَ عَلِيلٌ.

وَحَاشَاكَ مِن شَكْوَى اعْتِلالٍ سَيَنْقَضي
قَـــرِيبًا، كمـــا تَخْـــتَارُهُ وَيَـــزُولُ

فَـــلا غيْـــرَ أجْفَـــانِ الْمَلِـــيحِ ســـقيمةٌ
وَلا غَيْـــرَ أرْدَافِ الْمَلِـــيحِ ثقِـــيلُ

فكتبت أنا الجواب عن ذلك:[2]

«من الطويل»

لَحُمَّـــايَ نَـــارٌ جَاءَهَـــا مِـــنْكَ جَـــنَّةٌ
غُـــصُونُ رُبَاهَـــا بالـــبَدِيعِ تَمِـــيلُ

---

(١) البيتان واردان في (الوافي ١/ ٣٢٦) وما بين الحاصرتين في المقدمة ساقط منه.
(٢) الجواب مذكور «بالوافي ١/ ٣٢٦»

تَهَــدَّلَتِ الأَفْــنَانُ مِــنْهَا فَخَاطِــرِي
لَــهُ بَــيْنَ هَاتِــيكَ الطُّلُــولُ[1] مَقِيلُ
فَأَبْــدَعْتَ فَــضْلاً مِــنْكَ بالحَقِّ قَاضِيًا
وَلَــيْسَ لَــهُ عَنِّــى بِــذَاكَ عُــدُولُ
وَأَنْتَ حَبِيبُ الشِّعْرِ أَصْبَحْتَ[2] سَيِّدًا
كمــا أَنَّــي مَوْلَــي، وَالاِسْمُ خَلِيلُ.

وكتبت أنا إليه مُلغِزا في باب[3]:

«في السريع»

قُــلْ لِــيَ: مَــا شَــيْءٌ إذا رُمْتَ أَنْ
تَعْكِــسَهُ لَــمْ تَــسْتَطِعْ ذَلِــكْ
تَــرَاهُ مَــعْ طُــولِ المَــدى وَاقِفًــا
فِي خِدْمَــةِ المَمْلُــوكِ وَالمَالِــكْ
ذُو حَاجِــبٍ مِــنْهُ مُحِــيطٌ بِــهِ
وَرُبَّمَــا اعْــتَاقَ بِأَسْــمَالِكْ
وإنْ حَــوَى أَلِفًــا يَكُــنْ طُــولَهُ
فَاعْجَــبْ لِهَــذَا الأَمْــرِ في حالِــك
كَــمْ صَــاحَ مِــنْ طَارِقَــةٍ رُبَّمَــا
حَلَّــتْ بِــهِ مِــثْلَ الدُّجَــى الحَالِك

---

(١) «هاتيك الظلال» بالوافي

(٢) «أصبحن» بالوافي

(٣) أبيات اللغز مذكورة في الوافي (١/ ٣٢٧، ٣٢٨).

وَلَــم تَــزَلْ تَقْــرَعُهُ في القَفَــا
مِــنْهُ، وَلَــمْ يَــشْعُرْ بِأَفْعَالِــك
وَلَــيْسَ شَــيْخًا وَهْــوَ ذو دَوْرَةٍ
طَــرِيقَهُ يَعْــرِفُها الــسَّالِك
تَأْمَــنْهُ إِن غِــبْتَ دهــرًا علــى
مــا تَــصْطفيه الــنفسُ مِــن مالِــك
مَــبْنٍ عَلــى ضَــمٍّ وَفَــتْحٍ معًــا
يَجُــرُّهُ الــنَّفْعُ لأَشْــغَالِك
والحَــشْوُ مَنْــسوبٌ إلَــيه، وَلا
يَعْــرِفُ (مــا)[1] أَحْمَــدُ مِــنْ مَالِك
وَكَــمْ يُوَلّــى صَــاحِبًا ظَهْــرَهُ
وَمِــثْلُ ذا العَــيْبِ رِضَــا آلِــكْ
بَيِّــنْه لا زِلْــتَ فَــصِيحَ اللَّهَــا
فَإِنَّــهُ لَــمْ يَخْــفَ عَــنْ بَالِــكْ.

فكتب هو إليّ الجواب[2]:

«من السريع»

فَــتَحْتَ لي بَابًــا مِــنَ الــوُدِّ مَــا
عَهِدْتُــهُ يَرْضَــى بِإِهْمَالِــكْ

---

(١) ساقط من الأصل والزيادة عن النسخ الأخرى والوافي لضرورة الوزن

(٢) ورد الجواب (بديوانه ٤٠٩، والوافي ١/ ٣٢٨).

فَحَبَّذَا لُغْزُكْ[١] مِنْ فَاتِحِ
وُدُّكَ لِي مِنْ بَعْدِ إِغْفَالِكْ
أَلْغَزْتَهُ فِي وَاقِفٍ خَاضِعٍ
كَالعَبْدِ فِي تَصْرِيفِ أَفْعَالِك
مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ ويا طَالَمَا
قَدْ رَدَّهُ فِي حُكْمِهِ مَالِكِ
لَكِنْ لَهُ فِي وسْطِهِ غَالِبًا
قَرْعٌ أَعَاذَ[٢] اللهُ مِنْ ذَلِك
يُقَالُ لِلأَمْرَدِ أَوْ غَيْرِه
هَذَا لَعَمْرِي شَرْطُ إِدْخَالِك[٣]
وَرُبَّمَا بَالْوَطْءِ أَزْعَجْتَه[٤]
فِي عُقْبِهِ مَعْ طُهْرِ أَعْمَالِك
لا الشِّعْرَ وَالتَّوْشِيحَ يَدْرِي، وَمَنْ
تَصْرِيفَكَ اسْتَمْلَى وَأَفْعَالِك[٥]
وَكَمْ بَدَا يَحْمِلُ لَوْحًا، وَمَا
خُطَّ عَلَيْهِ بَعْضُ أَقْوَالِك[٦]

(١) بالديوان «فحبذا اللغز»
(٢) «فرع أعاذ» بالديوان وفي الوافي «أعاذه الله»
(٣) لم يرد هذا البيت وما بعده بالديوان.
(٤)«أذعجته» بالوافي.
(٥) بالديوان «لا الشعر والتوشيح أدرى ومن تصريعك» وفي الوافي: تصريفك اسملى وأفعالك.
(٦) البيت ساقط من الديوان.

يُخْـــشَى[1] إِذَا أَبْـــصَرْتَهُ مُـــرْتَجًا
فَاعْجَـــبْ لَـــهُ فِي كُـــلِّ أَحْـــوَالِكْ
وَدَقُّـــهُ الخَـــارِجُ لا يَخْتَفِـــي
وَرُبَّمَـــا يَخْلُـــو لِـــسُوَّالِكْ[2]
أَعْجَبَنِـــي وَاللهِ مَـــعْ نَظْمِـــهِ
رِضْـــوَانُكَ المَعْهُـــودُ يَـــا مَالِـــكْ.

وكتب هو إلى مُلغزا في قلم[3]: «من المنسرح»

يَـــا فاضِـــلاً قَـــدْ عَـــنَى لِـــرُتْبَتِهِ
نَاثِـــرُ دُرِّ الثَّـــنَا ونَاظِمُـــهُ
مَـــا اسْـــمٌ سَـــقِيمٌ بَـــاكٍ كَـــأَنَّ عَلَى
أَحْـــشَائِهِ صَـــبْوَةٌ تُلازِمُـــهُ
يَبْكِـــي عَلَـــى الوَصْـــلِ وَهْوَ وَاجِدُهُ
وَلَـــيْسَ يَبْكِـــيهِ وَهْـــوَ عَادِمُـــهُ
وَهْـــوَ أَلُـــوفٌ وَعِـــنْدَهُ مَلَـــقٌ
لَـــمْ يَـــسْتَطِعْ قَلْـــبُهُ يُكَاتِمُـــهُ
قُـــلْ فِـــيهِ مَـــا شِئْتَ إِنْ حَذَفْتَ وإِنْ
حَـــرَّفْتَ، واشْـــرَحْ مَـــا أَنْتَ عَالِمُهُ
وَقُـــمْ بِفَـــنٍّ بِـــكَ اسْـــتَقَامَ فَمَـــا
ثَـــمَّ لِمَـــوْلايَ مَـــنْ يُقَاوِمُـــهُ

(١) «تخشى» بالديوان.

(٢) بالوفي «لسؤالك» ولم يرد البيت بالديوان.

(٣) اللغز مذكور في (الوافي ١/ ٣٢٨، ٣٢٩).

فكتبت إليه الجواب عن ذلك[1]: «من المنْسَرح»

يَــا مَــنْ بِــهِ الــشِّعْرُ رَاقَ رَاقِمُــهُ
وَباسْـــمِهِ رَاحَ وَهْـــوَ بَاســـمُهُ

ألغــزْتَ فــيمَا إذَا سَــعَى وَسَمَتْ[2]
خُطــاهُ رَوْضًــا تُزْهَــى كَمَائمُــهُ

إنْ طَــابَ في سَــجعه وَطَــالَ فَقُــلْ
بَــانُ الحِمَــى رَجَّعَــتْ حَمَائمُــهُ

وَهْــوَ لَــدَى الــرَّوْعِ صَــارِمٌ ذَكَرٌ
في كَــفِّ أَهْــلِ الإنْــشَاءِ قَائِمُــهُ

أَمْــسَى لِــبَارِيهِ سَــاجِدًا يبكــي
وَعَــزَّ بَــيْنَ الأَنَــامِ رَاحِمُــهُ

وَطَــالَ عُمْــرُ الــبُكَاءِ مِــنْهُ
(م) فَأجْــرَى أَسْــوَدَ المُقْلَتَيْنِ سَاجِمُهُ

يَــدْرِي ضَــمِيرِي وَمَــا أَلَــمَّ بِــهِ
وَهْــوَ عَلَــى سِــرِّهِ يُــزَاحِمُهُ

كُــلُّ حِــسَابِ الأَنَــامِ يَحْمِلُــهُ
فَكَــيْفَ تَقْــوَى بِــهِ قَــوَائمُهُ؟

وَكَــمْ لَــهُ مِــنْ تَــرَاجُمٍ صَدَرَتْ
إِلَى عَــدُوٍّ بِهَــا تُــرَاجِمُهُ[3]

---

(١) ورد الجواب في (الوافي ١/ ٣٢٩).

(٢) «رسمت» بالوافي.

(٣) تزاحمه بالحاء المهملة، في الوافي.

خُوشِيتَ مِنْ عَكْسِهِ فَمَا أحَدٌ
يَرْضَى بِهِ صَاحِبًا يُلازِمُهُ
وَدُمْتَ للبَاهِرَاتِ تُبْدِعُهَا
مَا هَطَلَتْ في الحَمى غَمَائِمُهُ.

وكتب هو إلى مُلغزا في كبّاد[1]:

«من المنسرح»

يَا شَامِلَ البِرِّ زَانَهُ خُلُقٌ
يَشْتَغِلُ المَدحُ في مهُذَّبِهِ
مَا اسْمٌ لِشيءٍ بحُكْمِ هَمِّيَ لا
أقُولُ فِيهِ، وَلَا أقولُ بِهِ
مُشْتَبِهُ الأَمْرِ كَادَ أكْثَرُهُ
يَخْفَى عَلَى الفكْرِ في تَقَلُّبِهِ
لَكِنْ إذا مَا جَعَلْتَ دَأْبَكَ في الْقَلْبِ
(م) فَمَا أَمْرُهُ بِمُشْتَبِهِ

فكتبت أنا الجواب إليه[2]:

«من المنسرح»

يَا مَنْ نَحَا الفَضْلَ فاقتنى جُملا
مَا أبْعَدَ النَّاسَ مِنْ مُقَرَّبِهِ
دَأْبُكَ عَكْسُ الَّذي تُحَاوِلُهُ
مِنِّي بِلُغْزٍ[3] بَعَثْتَ بِهِ

(١) اللغز مذكور في (الوافي ١/ ٣٢٩)، والكباد: الأترج.
(٢) الجواب مذكور في «الوافي ١/ ٣٢٩، ٣٣٠» .
(٣) بالأصل: «مني ملغز» واخترنا ما في (ب)، وبالوافي «مني في ملغز»

أخـــرُفُهُ أَرْبـــعٌ فـــإنْ سَـــقَطَ الأَوَّلُ
(م) بـــادَ البَاقـــي لِمُنْتَبـــهِ
رَأَيْـــتُ مَـــنْ شَـــاءَ قَلْـــبَ أحْـــرُفِه
كَابَـــدَ أشْـــيَاءً فِي تَقَلُّـــبِه
فِي الـــشَّجَرِ الأَخْـــضَرِ النَّـــضِيرِ بَـــدَا
كَأنَّـــهُ الجَمْـــرُ فِي تَلَهُّـــبِه

وكتب هو إلىّ مُعاتبًا[1]:

«من المنسرح»

يَـــا خَليلـــي بـــل سَـــيِّدِي لِمَ ذا[2]
قُلُوبُـــنَا بالفِـــرَاقِ مُنْدَهِـــشَه
وَوَحْـــشَةٌ بَيْنَـــنَا يُحَـــرِّكُهَا
نَحْـــوَ الجَفَـــا فَهْـــيَ هَكَذَا وَحِشَه؟!

فكتبت أنا الجواب إليه[3]:

«من المنسرح»

عَـــبْدُكَ هَـــذا العِـــتَابُ صَـــيَّرَهُ
وَنَفْـــسُهُ بـــالمَلامِ مُنْكَمِـــشَه
وَكَـــانَ مِـــنْ قَـــبْلُ إذْ تُلاطِفُـــهُ
يَقْـــرأُ تَـــصْحِيفَ نَفْـــسِهِ نَقِـــشَه

---

(١) البيتان مذكوران في «الوافي ١/ ٣٣٠» والبيت الثاني ورد ضمن أبيات (بديوانه/ ٢٧٦) براوية «وحشة بيننا يؤكدها»

(٢) لم يستقم هذا الشطر على وزن المنسرح ولعل الصواب: (خليليَ بل يا سيِّدي لِمَ ذا؟).

(٣) البيتان مذكوران في الوافي ١/ ٣٣٠ وعبارة الشطر الأول: «عبدك هذا العتاب صيره» .

وكتب هو إليَّ مع حزامٍ أهداه عند حضوره من القدس الشريف[1]:

«من مخلع البسيط»

بَلْــــدَ بَعْــــدَ الـــذَّكَاء ذِهْنِــــي
تَـــشَتُّتُ الـــرِّزْقِ فِي الـــبِلادِ
وَغَيْـــــرُ مُـــــسْتَنكَرٍ حِمَـــارٌ
أَهْـــــدَى حِـــــزَامًا إلى جَـــوَادِ

فكتبت أنا إليه الجواب[2]:

«من الخفيف»

عُـــرْوَةُ الـــوُدِّ مِـــنْ طِبَاعِـــيَ وُثْقَـــى
قَـــبْلَ تُهْـــدِى الحِـــزَامَ يا ابْنَ الكِرَامِ
فَـــوِدَادِي قَـــدِ اغْـــتَدَى عَـــرَبِيًّا
كَـــوْنُهُ بَـــيْنَ عُـــرْوَةٍ وَحِـــزَامِ

وكتب هو إليَّ معاتبًا على انقطاع المطارحة:

«من الطويل»

إلى اللهِ أَشْـــكُو جِيـــرَةً قَـــدْ تَغَيَّـــرَتْ
عَـــنِ العَهْـــدِ حَتَّى القولِ تُحْسِنُ رَدَّهُ
لَـــئِنْ كُـــنْتَ أَيَّـــامَ الـــبِعَادِ تُبِـــرُّنِي
بِـــوِدٍّ وعِـــنْدَ القُـــرْبِ تَفْعَـــلُ ضِدَّهُ

(١) «بالوافي ١/ ٣٣٠» : ولما حضر من القدس أهدى إلى حزامًا وكتب معه. ثم ذكر البيتين. وعبارة الشطر الأول فيه: «بلد بعد ذكاء ذهني» والبيت الثاني تورية.

(٢) بالوافي ١/٣٣٠: «فكتبت الجواب» ثم أورد البيتين وفي قوله «عروة وحزام» تورية. وعروة بن حزام من عذرة، وهو أحد العشاق الذين قتلهم العشق. وصاحبته عفراء بنت مالك العذرية، انظر: (الشعر والشعراء: ١/ ٣٩٤، وفوات الوفيات ٢ /٧٠، النوادر /١٧٥).

فَكَـــمْ مِـــنْ خَلـــيلٍ مَـــا تَمَنَّيْتُ قُرْبَهُ
فجــــرَّبْتُهُ حَـــتى تَمَنَّـــيتُ بُعْـــدَهُ

فكتبت أنا الجواب إليه:

«من الطويل»

وَحَقِّــكَ لَــمْ يَــبْلُغْ أشُــدَّى أشُدَّهُ
وَحَمَّلْــــتُه إلا وِدَادَكَ وَحْـــــدَهُ
فَـــلا تَـــتَوهَّمْ في خَلِـــيلِكَ جَفْـــوَةً
تُكَـــدِّرُ عَلَـــيْهُ بَعْـــدَ صَـــفْوِكَ وِرْدَهُ
وَعَـــاوِدْ وِدَادًا كُـــنْتُ أعْهَـــدُ نُـــورَهُ
بِـــهِ تُـــشْرِقُ الدُّنْـــيَا وَبِالشَّمْسِ بَعْدَهُ.

وكتـــبت أنا إليه من الرّملة[1] أصف له أمطارًا قاسيناها في الوطاق مع الأمير سيف الدين تنكز:

يُقَـــبِّلُ الأرضَ. ويُنْهِـــي وصْفَ شوقه الذي يُكاثِرُ به رِمَالَ عالجٍ[2]، وحنينَهُ الذي يُعالِجُ مِن لواعجه المُبَرِّحَة ما يُعَالِج، وشجونَه التي يتخيَّلُ معها أنَّ القلبَ كُرَةٌ يتخطَّفُها مِنَ الأشواقِ صَوَالج - أنه سطَّرها بالرملة، وميمُ المطـــر قد اتَّصلت بها الهُبوط، والرياحُ قد عَصَفَتْ حتى كأن[3] السَّقْفَ

(١) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين. وقيل غير ذلك. انظر مادة الرملة في معظم البلدان.

(٢) عالج: يقال هو رملة بالبادية مسماه بهذا الاسم. وقيل: رمال بين فيد والقربات على طريق مكة لا ماء بها (معجم البلدان ٦/ ٩٩).وقال الشماخ (لسان: طرر):

يا رُبَّ ثورٍ برمال عالج كأنه طُرَّةُ نجمٍ خارج
في رَبْرَبٍ مثل ملاء الناسج

(٣) على هامش (ب) مصوبة: «حتى كاد السقف» .

المحفوظَ يَهمُّ بالسُّقوط، والبوارِقَ قد خطفَتْ الأبصارَ بلمعاهًا التي كأنَّ الغَـيْمَ بعضُ الزَّنج، وهي في جسمه مثلُ الشروط، والأرضَ قد ماجَتْ حـتى أشـفقنا مـن الخسف، وإن كانت قد عُلِّقَتْ من القطر النازلِ بخيوط، والقطرَ قد أفْرَطَ إلى أنْ أذكرنا قولَ الأول:

«من الرمل»

مَـا هُـمُ مِـن قَـوْمِ نُـوح يَا سَمَا

أقْلِعِـي عَـنْهُمْ فَهُـمْ مِنْ قَوْمِ لُوط(١)

فكأنَّما نُمْطَرُ من أكُفِّ الأجواد. أو دُموعِ العُشاق. وكأنما الرُّعودُ أُسودٌ تزْأرُ، وما حالُ من تنطبق السَّبْاعُ عليه من السَّبْع الطِّباق. والخيامُ قـد تـبرَّأت الأوتادُ من أطْنَابها، والعُمُدُ قد مالت للتشاور في انقلابها، والـرِّياحُ تستَفِزُّ حلومَ أوتادها الرّاسخه، وتغدو لعقود أطنابها المحكمة فاسِخَه، وتجعلُ في وجه كلِّ حمراءَ بالتمزيق غُرَّةً شادخه

«من المنسرح»

كَـراهبٍ جُـنَّ لِلْهَـوَى طَـرَبًا

فَـشَقَّ جِلْـبابَهُ مِـن الطَّـرَبِ (٢)

يـا عَجَـبًا لهـا كـيف فتَّحتْ جسدَها عيونًا لا تبرحُ بالريح في اختلاج؟!. وكيف غدَتْ في شدَّةٍ من الأطناب مع ما يحصلُ لها في كلِّ

---

(١) البيت لابن لؤلؤ الذهبي في «ريحانة الألبا ٢/ ٩٠» وقبله:

إن أقـام الغـيث شـهرًا هكـذا جـاء بالطـوفان والبحـر المحـيط

(٢) البيت للسرى الرفاء في (معاهد التنصيص ٢/ ١٠٢، وغرائب التنبيهات/ ٥٥، ويتميه الدهر ٢/ ١٣٧) وقبله في الأخير:

انظـر إلى اللـيل كـيف تـصدعه رايـة صـبح مبيـضة العـذب

والبيت ليس بديوان السرى ط القدسي.

وقــتٍ من الانْفراج؟!. وكيف أَضْحَتْ أطنابُها مَمدودَةً، وخامُها على البلاد مقصورا؟!. وكيف أمسى كلٌ منَّا بها واثقًا، وقد رأى سفَّاحَ الغيث علــيها مَنْصورا؟!. فكم أُمْطِرْنا بتلك النواحي من ليلة رَمْلِيّة على الحقيقة لا ساعَه. وكم مرّت بنا أوقاتٌ، قلنا معها: (الدُّنْيا ساعَه، اجْعَلْهَا بالصَّبْرِ طاعَه)، وكــم تفجّرت الأَرْضُ ينابيعَ، فخطَّت الجيادُ بين عُيُونها، وكان البردُ صُلْبا، وكم تعطَّفَت الجَداولُ في جَوانبها فأرتْنا على رَغْم يزيدَ لرمْلَةَ خَلخالاً يَحول وقُلْبًا. اهـــ.

وكتــبت أنا إليه عَتْبًا على أُمور بلغتني عنه، وضمنت ذلك أعجازَ معلقة امرئ القيس:(١)

«من الطويل»

أفي كُــلِّ يَــوْمٍ مِــنْكَ عَتْبٌ يَسُوءُني
(كَجُلْمُــودِ صَــخْرٍ حَطَّــهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ)؟!
وَتَرْمِــي عَلَــى طُــولِ المدَى مُتَجَنِّبًا
(بِــسَهْمَيْكَ في أعْــشَارِ قَلْــبٍ مُقَتَّلِ)
فَأُمْــسِي بِلَــيْلٍ طَــالَ جُــنْحُ ظَلَامِه
(عَلَــيَّ بأَلْــوَاعِ الهُمُــومِ لِيَبْتَلِــي)
وَأَغْــدُو كَأَنَّ القَلْبَ مِنْ وَقْدِه الجَوَى
(إِذا جَــاشَ فيه حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ(٢))

(١) ورد من هذه القصيدة في (معاهد التنصيص ٤/ ١٥٨) سبعة أبيات، وورد فمنها في (نزهة الأبصار ٣/١٦٦، ١٦٧) سبعة عشر بيتًا. وفي (خزانة الحموي/ ٤٧٠) سبعة عشر بيتًا غير مرتبة، وفي (مجموعة الدر/ ١٠٠٩) سبعة عشرة بيتًا هي نفس رواية الحموي في خزانته. وسأنبه على ذلك خلال القصيدة.

(٢) بألحان: «إذا جاش منه»، والتصويب من الديوان ومعاهد التنصيص، ومجموعة الدر، الذي فيه هذا الشطر بعد ما تحته.

تَطِيرُ شَظَايَاهُ بِصَدْرِي كَأَنَّهَا
(بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أَنَابِيشُ عُنْصُلِ)
وَسَالَتْ دُمُوعِي مِنْ هُمُومِي وَلَوْعَتي
(عَلَى النَّحْرِ، حَتَّى بَلَّ دمْعِيَ مَحْمَلِي)
إِذا عَايَنَ الأَصْحَابُ مَا بِي مِنَ الجَوَى[(١)]
(يَقولُون لا تَهْلِكْ أَسىً وَتَجمَّلِ)
تَرَفَّقْ وَلا تَجْزَعْ على فَائتِ الوَفَا
(فَمَا عِنْدَ رسم[(٢)] دَارسٍ مِنْ مُعَوَّلِ)
لَقَدْ طَالَ مَا أَبْلَيْتَ صَبْرَكَ جَاهِدًا
(وَمَا أَنْ نَرَى عَنْكَ الغِوَايَةَ تَنْجَلِي)[(٣)]
وَلِي فِيكَ وُدٌّ طَالَمَا[(٤)] قَدْ شَدَدْتُهُ
(بِأَمْرَاسِ كِتَّانٍ إِلى صُمِّ جَنْدَلِ)
إِذا رَقَّ وَصْفًا، رَاقَ لُطْفًا كَأَنَّهُ
(نَسِيمُ الصَّبا جَاءَتْ بِريَّا القَرَنْفُلِ)[(٥)]
وَلِي خَطَرَاتٌ فِيكَ مِنْهَا جَوَانِحِي
(صُبِحْنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقٍ مُفَلْفَلِ)[(٦)]

(١) بخزانة الحموى: «إذا عاين الإخوان ما بي من الأسى» .
(٢) بديوان امرئ القيس: «وهل عند رسم»
(٣) البيت ساقط من الحموى، ومجموعة الدر، ونزهة الأبصار.
(٤) «ود باقي قد» في «مجموعة الدر» .
(٥) البيت ساقط من الحموى، والدر ، ونزهة.
(٦) بالأصل: من رحيق مسلسل، والتصويب من خزانة الحموى، ومجموعة الدر، وشرح المعلقات السبع للزوزني، وهذا الشطر لم يرد بديوان امرئ القيس، وصدره =

كَـأَنَّ أَمَانِـيهَا كُـئُوسُ مُدَامَـةٍ
(غَـذَاهَا نَمِـيرُ المَـاءِ غَيْرَ المُحَلَّلِ)[(١)]
سَـلَوْتَ غَـوَايَاتِ الـشَّبِيبَةِ والصِّبَا
(وَلَـيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاهَا بِمُنْسَلِ)[(٢)]
وَأَجْلُـو مُحِـبًّا الـوُدَّ فِـيكَ لأَهْلِهِ
(مَـتَى مَـا تَـرَقَّ العَـيْنُ فيه تَسَهَّلِ)
وَقُلْـتُ لَهَـا: كُـونِي سَجِيَّةَ خَاطِرِي
(وَلا تُـبْعِدِينِي مِـنْ جَـنَاكِ المُعَلَّلِ)[(٣)]
فَإِنَّـكِ أَحْلَـى فِي فُـؤَادِي مِـنَ المُنَى
(وأَنَّـكِ مَهْمَـا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ)
وَكَـمْ مِـنْ عَذُولٍ فِيكِ قَدْ رُدَّ خَائِبًا
(فَـصِيحٌ علـى تَعْذَالِـهِ غَيْرَ مُؤْتَلِ)
يَـزِلُّ بِـسَمْعِي عَذْلُـهُ وَمَلامُـهُ
(كَمَـا زَلَّـتِ الـصَّفْوَاءُ بِالمُـتَنَزَّلِ)
وَلَـسْتُ كَمَـا تُصْغِي إلى يَوْمِ مَحْشَرٍ
(عَلَـيَّ حِـرَاصٍ لو يُشِرُّونَ[(٤)] مَقْتَلِي)

كما في (شرح المعلقات السبع)، (كأن مكاكي الجواء غدية).

(١) بألحان: «غير محلل» والتصويب من الديوان، وصدر هذا الشطر في (الحموى، ونزهة): «غذاها» .

(٢) بالديوان «وليس صباى». وفي «مجموعة الدر» : «وليس هواها عن فؤادي بمنجلي».

(٣) بألحان: «ولا تبعدينا» والتصويب من الديوان. وهذا البيت والأبيات الخمسة التي تليه ساقطة من (الحموى، ومجموعة الدر ونزهة الأبصار).

(٤) بألحان: «لو يشيرون مقتلي» والتصويب من الديوان.

وَلاَ إِنْ جَـرَتْ مِـنْ حَاسِدٍ لَكَ غَيْبَةٌ
(تَمــتَّعْتَ مِــن لَهْــوٍ بِهَا غَيْرُ مُعْجَلِ)
فَكَــرَّ علــى جَـيْشِ الخِـيَانَة عَائدًا
(بِمُنْجَــرِدٍ قَـيْدِ الأَوَابِــدِ هَـيْكَلِ)
تَجِــدْ خَفَرَاتِ الأُنسِ مِنّي[1] كَوَاعِبًا
(تَــرَائِبُهَا مَـصْقُولَةٌ كالــسَّجَنْجَلِ)
مَـتى جِئْـتَهَا لَـمْ تَلْقَها قَدْ تَعَرَّضَتْ
(تَعَــرُّضَ أَثْـنَاءِ الوِشَــاحِ المُفَصَّلِ)[2]
يَــرُوقُكَ مِـنْهَا إِن تَثَـنَّتْ وإِنْ رَنَتْ
(بِنَاظِــرَةٍ مِــنْ وَحْــشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ)
وَخَــلِّ الجَفَــا، وَارْجِعْ إلى مَعْهَدِ الوَفَا
وَإِنْ كُــنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمِلِ)
حَلا وُدُّكَ المَاضِي، وإِنْ لَمْ يَعُد[3] أَعُدْ
(لَــدَى سَــمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ).

فكتب هو الجواب عن ذلك[4]:

---

(١) «منها كواعبًا» في «خزانة الحموي» .

(٢) هذا البيت والذي يليه لم يردا في (خزانة الحموي، ومجموعة الدر، ونزهة الأبصار).

(٣) «وإن لم تغد» بخزانة الحموي.

(٤) ورد الجواب بديوان ابن نباتة (٣٩٢، ٣٩٣)، وفيه «وقال مجيبًا للصلاح الصفدي، وقد ضمن أشطار قفا نبك» كما ورد من هذه القصيدة في (خزانة الحموي/ ٤٧٠، ٤٧١)، خمسة وعشرون بيتًا، وفي (مجموعة الدر/ ١٠١٠، ١٠١١) أربعة وعشرون بيتًا. وفي (نزهة الأبصار ٣/ ١٦٧ وما بعدها) واحد وعشرون بيتًا.

«من الطويل»

فَطَمْتَ وَلائِي ثُمَّ أَقْبَلْتَ شَاكِيًا

(أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ)[1]

بِرُوحِي أَلْفَاظٌ تَعَرَّضَ عَتْبُهَا

(تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ)

فَأَحْيَيْتَ فُؤَادًا[2] كَانَ كَالرَّسْمِ عَافِيًا

(بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ)

تُعَفِّي رِيَاحُ العُذْرِ مِنْكَ رُقُومَهُ

(لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ).

نَعَمْ قُوِّضَتْ مِنْكَ المَوَدَّةُ وَانْقَضَتْ

(فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا المُتَحَمَّلِ)

وَنَامَتْ عَنِ البَاكِي وَلَمْ يَجْرِ جَفْنُهَا

(دِرَاكًا[3]، وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ)

فَذَاكَ سُهَادِي فِي الهَوَى مِنْ مَوَدَّةٍ

(نَئُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ[4] عَنْ تَفَضُّلِ)

وفي (معاهد التنصيص ٤/ ١٥٩) تسعة أبيات.

(١) صدر بيت لامرئ القيس (ديوانه/ ١٢) وعجزه: (وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجمل)، ونهاية الشطر الأول في (ديوان ابن نباته، والحموى، والدر)، «ثم أقبلت عاتبًا» .

(٢) «فأحيين ودا» بديوان ابن نباتة. وفي (الحموي، ومعاهد، والدر)، فأحييت ودا.

(٣) بديوان ابن نباتة: «ونامت على الباكي و لم يدر جفنها دراه» . هذا و لم يرد هذا البيت والذي بعده في (خزانة الحموى، ومجموعة الدر).

(٤) بديوان ابن نباتة: «سهادى في الدجى. نؤم الضحى لم تنطبق» وبالأصل: «لم =

أمَــوْلايَ لا تَــسْلُكْ من الظُّلْمِ وَالجَفَا
(بِــنَا بَطْنَ خَبْتٍ ذى قِفَافٍ عَقَنْقَلِ)(١)

وَلا تَــنْسَ مِنِّى صُحْبَةً تَصْدَعُ الدُّجَى
(بِــصُبْحٍ وَمَا الإصْبَاحُ فيكَ بِأمْثَلِ)(٢)

صَــحِبْتُكَ لاَ ألْوى عَلى صَاحِبٍ عطًا
(بجِــيدِ مُعَــمٍّ في العَــشيرة مُخْــوَلِ)

وَجَاذَبْــتُ حتَّى مِنْ هَوَى ابْنِيَ فِكْرَتى
(فَألْهَيْــتُهَا عــن ذِي تمَــائمِ مُغْيَلِ)(٣)

وآنِــسَةٍ أعْرَضْــتُ عَــنْهَا وَقَدْ جَلَتْ
(عَلَــى هَضِيمِ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ)(٤)

وَحَاوَلْــتُ مِــنْ إدْنَــاءِ وُدِّكَ ما نَأى
(فَأنْــزَلَ مِــنْهُ العُصْمَ في كلِّ مَنْزِلِ)(٥)

تنطق» والتصويب من ديوان امرئ القيس.

(١) «ذي عقاف» بمجموعة الدر، «ذي قفاف عنقنقل» بديوان ابن نباتة. وصواب الشطر كما في ديوان امرئ القيس - «بنا بطن حقف ذي ركام عقنقل» .

(٢) وما الإصباح منها بديوان ابن نباتة «وما الإصباح مني» بخزانة الحموي. وبالأصل: «وما الإصباح منه» والتصويب من ديوان امرئ القيس.

(٣) هذا البيت ساقط من (خزانة الحموي، مجموعة الدر)، وعبارة الشطر الأول في ديوان ابن نباتة: «وخافيت حتى من هوي أين مهجتي» وعبارة الشطر الثاني في الأصل: «... عن ذي تمام محول» والتصويب من ديوان امرئ القيس.

(٤) البيت ساقط من «ألحان السواجع» ونقلته عن ديوان ابن نباتة.

(٥) «فأنزلت فيه العصم» بخزانة الحموي، «العصم من كل منزل» بديوان ابن نباته، ورواية الأصل: «فأنزلت منه» واخترت ما في ديوان امرئ القيس.

بقَلْـبِ إلى وَجْـدِي لَهُ شَوْطُ سَابقٍ[1]

(وإرْخَـاءُ سِـرْحَان وَتَقْـرِيبُ تَتْفُل)

فَكَـمْ خِلْمَـةٍ عَجَّلْـتُهَا وَمَحَـبَّةٍ

(تَمَـتَّعْتُ مِـنْ لَهْـوٍ بِهَا غيرَ مُعْجَلِ)

وَكَـمْ[2] أسْـطُرٍ مِنِّـي ومنْكَ كأنَّها

(عَـذارى دَوارٍ في المُـلاء المُذَيَّلِ)[3]

وَكَـمْ نَاصِحٍ كذَّبْتُ دَعْوَاهُ إِذْ غَدَتْ

(عَلَـيَّ وآلَـتْ حِلْفَـةً لم تُحَلَّـلِ)

وَلِحـيَةُ لاحٍ غَاظَهَـا ضَـحِكي عَلَى

(أثِـيثٍ كَقِـنْو الـنَّخلَة المُتَعَـثْكل)

تَـرَى بَعَـرَ الآرَامِ في عَرَصَـاتِهَا

(وَقِـيعَانِها كَأنَّـه[4] حَـبُّ فُلْفُـلِ)

نَـزَعْتُ سُـلُوِّي سَـاحِبًا من صَبَابَتِي

(عَلَـى أثْـرِنَا ذَيْـلَ مِرْطٍ مرحَّل)[5]

وقلْـتُ خَلـيلٌ[6] يَنْـشُدُ الوُدَّ هَمُّهُ

(ألا أيُّهـا اللَّـيْلُ الطَّوِيلُ ألا انْجَلى)

---

(١) بديوان ابن نباته وخزانة الحموي «بقلب لي وجدى به سوط سائق».

(٢)بالحموي: «وكم» وهذا البيت برمته ساقط من (الدر).

(٣)«في ملاء مذيل» بألحان السواجع، والتصويت من ديوان امرئ القيس.

(٤) بديوان ابن نباته: «في عرصاهما .. فكأنه».

(٥) بديوان ابن نباتة: «عن صبابتي على إثرها» «وإثرها» أيضًا، بخزانة الحموي، وقراءة الشطر الأول في (مجموعة الدر)، «نزعت بشكرى ....» وعبارة الشطر الثاني في الأصل: «على أثرنا أذيال مرط مرجل» والتصويب من امرئ القيس بديوانه.

(٦) ورد هذا البيت (بخزانة الحموي)، بعد قوله: وكم أسطر. وبراوية: وقلب خليل.

وَسَــائِرِ[1] تَقْــصِيرِ الْمُكَــافِينَ قَدْ أَبَى
(لَــدَى الــسِّتْرِ إلا لِبْــسَةَ الْمُتَفَضَّلِ)
إلى أَنْ تَــبَدَّى غَــدْرُه[2] مُتَمَطِّــيًا
(وَأَرْدَفَ أَعْجَــازًا وَنَــاءَ بِكَلْكَــلِ)
فَــلا طَفْــتُهُ في حَالَتَــيْه وَلَــمْ أَقُــلْ
(فَــسُلِّي ثِيَابِــي مِــنْ ثِــيَابِكِ تَنْسُلِ)
وَأَقْنَعَنِــي مِــنْهُ الْمُــوَالاةَ أَعرَضَــتْ
(بِــشقٍّ، وَشِــقٌّ عِــنْدَنَا لم يُحَوَّلِ)[3]
مُعَلِّلَــةٌ مَــاذا يُفِــيدُ هِــا الفَتَــى
(تَــتَابُعُ[4] كَفَّــيْهِ بِخَــيْطٍ مُوَصَّــلِ)
تَــضِنُّ[5] بِأَسْــطَارٍ كَــأَنْ يَــرَاعَهَا
(أَسَــارِيعُ ظَبْــيٍ أَوْ مَساوِيكُ إسْحِلِ)
وَتَقْــرَعُ سَــمْعِي مِــنْ مَعَارِيضِ لَفْظِه
(مَــدَاكُ عَــرُوسٍ أَوْ صَلاتُهُ[6] حَنْظَلِ)

---

(١) بديوان ابن نباته: «وساتر» وهذا البيت ساقط من (خزانة الحموي، ومجموعة الدر).
(٢) «تبدى عذره» بالحموي.
(٣) بديوان ابن نباته: «وأقنعني منه المدجاة.. وشق عندنا لم يحول» بالحاء المعجمة التحتية. وهذا البيت والذي يليه لم يردا في (خزانة الحموي، ومجموعة الدر).
(٤) بديوان امرئ القيس: «تقلب كفيه.».
(٥) بابن نباتة: «يضن» وفي «خزانة الحموي، ومجموعة الدر» : «وضن» .
(٦)بديوان ابن نباتة، ومجموعة الدر: «أو صلاية حنظل» وفي (ديوان امرئ القيس)، أو صراية.

وَيَــأبى جُلُوسِــي مِــنْ مَحَافِلِه[1] إلى
(كَــبيرِ أُنَــاسٍ في بِجَــادٍ مُــزَمَّلِ)
كَــأنْ دُمُوعِــي في ثِيابِــي لِهَجْرِهِ [2]
(عُــصَارَةُ حِــنَّاءٍ بِــشَيْبٍ مُــرَجَّلِ)
وَلَمَّــا تَجَاذَبْــنَا العِــتَابَ مُوشَّــعًا
(نُــزُولَ اليَمانِي في الغِيابِ المُحَمَّلِ)[3]
بَنَيْــنَا الوَلا الوَاهِي فَلَمْ نُبْقِ[4] مَعْهَدًا
(وَلا أُطُمًــا إلاَّ مَــشيدًا بِجَــنْدَلِ)
وَعُــدْنَا لِــوُدٍّ يَمْــلأُ القَلْــبَ عَوْدُهُ
(بِــشحْمٍ[5] كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ)
فَأَمْــسَكَ دَمْــعٌ كَــانَ بِالحُزْنِ مُنْذِرًا
(وَبَــاتَ بِعَيْنِــي قَائِمًا غيرَ مُرْسَلِ)[6]

---

(١) بابن نباته: «جلوسي من مراتبه إلى» وهذا البيت والأبيات الثلاثة بعده لم ترد في (خزانة الحموي، ومجموعة الدر).

(٢) «بهجره» بديوان ابن نباته.

(٣) بديوان ابن نباتة: «في الغياب المحمل» . وفي «ديوان امرئ القيس» : «ذي العياب المحول» .

(٤) «لم يبق معهدا» بديوان ابن نباتة.

(٥) «وشحم كهداب» بديوان امرئ القيس.

(٦) البيت ساقط من «ديوان ابن نباته، وخزانة الحموي، ومجموعة الدر» .

أَعَـــدْتَ صَـــلاحَ الـــدِّينِ عَهْدَ مَوَدَّةٍ
(بكُـــلِّ مُغَـــار[1] الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ)
فَـــدُونك عُتْبَـــى اللَّفْظِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ
(إذا هِـــيَ نَـــصَّتْهُ ولا بِمُعَطَّـــلِ)
وَعَـــادَاتُ حُـــبٍّ هُنَّ أَشْهرُ فِيكَ مِنْ
(قِفَـــا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حَبيبٍ ومَنْزِلِ)

وكتب أبياتي وأبياته وحملها إلى القاضي شهاب الدين أحمدَ بنِ فضل الله صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس.

فكتبت أنا إليه مُضمّنا أُعجازَ أبياتِ قصيدة أبي الطَّيِّب[2]:

«من الطويل»

بِرُوحِـــيَ مَـــوْلًى حِينَ رُحْتُ أُحَاكِمُهُ
(رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَتْ لي عَلَاقِمُهْ)
بَلِـــيغٌ كَـــأَنَّ الفَـــضْلَ يَهْـــوَى كَلَامَهُ
(فَآثَـــرَهُ أَوْ جَـــارَ فِي الحُكْمِ[3] قاسِمُهُ)
فَقَلَّـــدَنِي لَمَّـــا أَجَـــابَ بِفَـــضْلِه
(مِـــنَ الـــدُّرِّ سِـــمْطًا لم يُثَقِّبْهُ نَاظِمُه)
وَأَهْـــدَى لِطَـــرْفِي رَوْضَـــةً فِي سُطُورِه
(وَأَغْـــصَانُ دَوْحٍ لَـــمْ تَغَـــنَّ حَمَائِمُه)

(١) «بكل معاد» بمجموعة الدر.

(٢) التي يمدح بها سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبد الله العدوي. ومطلعها، «ديوانه ٣/ ٣٢٥»

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا، والدمع أشفاه ساجمه.

(٣) بديوان المتنبي: «في الحسن قاسمه»

ألا أيّهــــا المُهْـــــدِي صَـــــحَائِفَ وُدِّه
(وَمَـــا عَلَّمْتني[1] غيْرَ ما القَلْبُ عَالِمُه)
وَحَقِّــكَ مَـــا واقَفْـــتُ عَتْبَكَ عَامِدًا
(وَقُوفَ شحيحٍ ضَاعَ في التُّرْبِ خَاتِمُه)
وَلَكِـــنْ جُـــيُوشُ الهَـــمِّ لَمّـــا تَرَادَفَتْ
(وَمَـــلَّ سَـــوَادُ الّـــلَيْلِ مِمَّـــا تُزاحِمُهْ)
نَفَـــثْتُ بَنَاتِ الصَّدْرِ مِنْ حُرْقَةِ الجَوَى
(وَخَاطَـــبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى العِبْرَ عَائِمُهْ)
لأنِّـــي رَأَيْـــتُ الوُدَّ والصِّدْقَ فِي الوَفَا
(بِلا وَاصِفٍ، والشِّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهْ)
ومَـــا زَالَ أَبْـــنَاءُ القَـــرِيضِ الّذي حَلَا
(يُحَـــارِبُ ضِـــدٌّ ضِـــدَّهُ وَيُـــسَالِمُهْ)
لأَخْجَلْتَـــنَا لَمّـــا حَمَلْـــتَ كَلامَـــنَا
(لأَبْـــيَضَ[2] لاتـــيجَانَ إلا عَمَائِمُـــهُ)
وَمَـــا زَالَـــتِ الأَفْـــوَاهُ تَلْـــثَمُ تُـــرْبَهُ
(وَيَكْبُـــرُ عَـــنْهَا كُمُّـــهُ وَبَـــرَاجِمُهْ)
لَـــهُ كُـــتُبٌ فِي كُـــلِّ خَطْبٍ إذا رَمَى
(بِهَـــا عَسْكَرًا لا تَبْقَ[3] إلا جَمَاجِمُهْ)

(١)بديوان المتنبي: «ولا علمتني»
(٢) «لأبلج» بديوان المتنبي.
(٣) «لم يبق » بديوان المتنبي.

فَأَمْــضَى مِـــنَ البَـــتَّارِ آرَاءُ فِكْـــرِه
(وَأَنْفَــذُ مِمَّـــا فِي الجُفُـــونِ عَـــزَائِمُهْ)

فَـــلا تَفْـــضَحَنَّا عِـــنْدَهُ بَعْـــدَ هَـــذِه
(بِثَانِـــيَةٍ، والمُـــتْلِفُ الـــشَيَ غَارِمُـــهُ)

فَمَـــا كُـــلُّ حِـــينٍ يَحْمَـــدُ المرْءُ لَفْظَهُ
(وَيَسْتَـــصْحِبُ الإِنْسَانُ مَنْ لا يُلائِمُهْ)

فكتب هو إليّ الجواب:

«من الطويل»

خَلِيلَـــيَّ مِـــنْ وُدِّ المُعَاتِـــبِ واسْـــمه
(وَفَـــاءُ كُمَا كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طاسِمُهْ)[1]

فَعُـــودَا لِـــرَوْضِ الوُدِّ، لَم يَنْسَ نَوْرَه
(علـــى العِيسِ نَوْرٌ، والخُدُورُ كَمَائِمُهْ)

وَلا تَظْلِمَـــا بالهَجْـــرِ واللَّـــوْمِ مُغْرَمًا
(أَعَـــقُّ خَلِيلَـــيْهِ الـــصَّفِيَّيْنِ لائِمُـــهْ)

فَـــدَيْتُ جَـــوَادًا قَـــد تَوَقَّيتُ سُخْطَهُ
(كمـــا يَتَوَقَّـــى[2] رَيِّضُ الخَيلِ حَازِمُهْ)

عَلَـــى حِـــينِ حَـــالٍ مِـــن تَوَقِّيه آيسٌ
(وَكَـــيْفَ[3] تَوَقِّـــيه، وَبَانِيه هَادِمُهْ)؟!

وَهَجْـــرٍ أَشَابَ الرَّأْسَ مِنِّي فَمَا دَجَتْ
(وَلَـــا حَمَلَـــتْ فيها الغُرَابَ قَوَادِمُهْ)

(١) «وفاؤ كما كالربيع» بالأصل، وهذا الشطر مطلع القصيدة كما سبق.
(٢) «كما يترقى» بديوان المتنبي.
(٣) بديوان المتنبي «فكيف».

فَآمَنَنِـــي مِـــنْ ذَلِـــكَ السُّخْطِ مَعْرِكًا
(تَجُـــولُ[1] مَذَاكِيهِ وتَدْأَى ضَرَاغِمُهْ)
وَلاطَـــفَ آمَالِـــي بِـــسُقْيَا زُلالِــــهِ
(سَحَابٌ إِذا اسْتَسْقَى[2] سَقَتْهَا صَوارِمُهْ)
فَتَـــى المَجـــدِ والأَشْعَارِ تَلْقَى ضُرُوبَهَا
(فَـــلا المَجْد مُخْفِيهِ وَلا الضَّرْبُ ثالِمُهْ)
يَقُـــولُ[3] لَـــنَا بالـــنَّظْمِ جَـــبَّارُ فِكْرِهِ
(وَفِي يَـــدِ جَـــبَّارِ الـــسَّمٰوَاتِ قَائِمُه)
فَـــتَعْطِفُهُ مِـــنْ بَعْـــدِمَا مَلَّـــتِ الوَغَى
(ومَـــلَّ حَديـــدُ الهِـــنْدِ مِمَّا تُلاطِمُهْ)[4]
لَـــكَ اللهُ نَظْمًـــا يَـــسْبَرُ السَّمعُ رَاحَهُ
(وَتُـــسْبَي[5] لهُ من كُلِّ حيٍّ كَرَائِمُهْ)
رَكِـــبْتَ إِلى أَوْصَـــافِ أَحْمَـــدَ فِكْرَةً
(أَثَـــابَ بِهَـــا مُعْـــيِي المَطِـــيِّ ورَازِمُهْ)
وَنَاجَـــيْتَ بي مِـــنْ كُـــلِّ سَمْعٍ بَدِيعَهُ
(ومِـــنْ بَيْنَ أُذْنَيْ كُلِّ قَرْمٍ مَنَاسِمُه)[6]

(١) بألحان السواجع: «تحول» بالحاء المهملة. والتصويب من الديوان.
(٢) «إذا استسقت» بديوان المتنبي.
(٣) بالأصل: «يقوم» واخترت ما في النسخ الأخرى.
(٤) بألحان: «مما يلاطمه» والتصويب من الديوان.
(٥) بالديوان: «ويسبى له» .
(٦) «كل قرم مواسمه» بالديوان.

وَمَـنْ لِمَذَاكـي بأسِهِ الطِّرْسُ مَرْكَضٌ
(وَمَوطِـئُهَا مِـن كُـلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهْ)
لَـهُ قَلَـمٌ سَـمَّاهُ ذُو العَـدْلِ كَوْكَبًا
(وَإنَّ الَّـذي سَـمَّاهُ سَـيْفًا لَظَالِمُهْ)
وَمَـا كُـلُّ سَـيْفٍ يَقْطَعُ الهَامَ مُغْمَدًا
(وَتَقْطَـعُ لَـزْبَاتِ الـزَّمَانِ مَكَارِمُهْ)
أَمُنْـصِبَهُ حَـيْثُ الـشَّبِيبَةُ نِعْـمَ مَا
(سَـرِيْتَ فَكنتَ[1] السِّرَّ، واللَّيْلُ كاتِمُهْ)
وَمَـا الـشَّعَرُ المُبْيَضُّ في شَائدِى العُلا
(قَبِـيحٌ، وَلكنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُه)
حَمَـى المُلْـكَ في أقوالِهِ الشَّيخُ والفَتى
(وَغَائِـبُ لَـوْنِ العَارِضَـيْنِ وَقَادِمُه)
وَمَـا حَاجَـةُ الآفَـاقِ يَـا فَـسَمَائه
(إلى قَمـرٍ، مَـا وَاجِـدٌ لَكَ عَادِمُه).

وكنا نَجتَمعُ أنا وهو في صلاة الجمعة بمكان تَخلَّفَ هو عنه من كثرةِ الأمطار، لأنَّه كان بالصَّالحية[2]. فكتبت أنا إليهِ في ذلك:

«من الوافر»

أَيَـا مَـنْ فَـاقَ في هَـذي الصِّنَاعَهْ
وَيَـارَبَّ البَـرَاعة واليَـرَاعَهْ

---

(١) «سربت وكنت» بالديوان.

(٢) الصالحية: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق، وفيها قبور جماعية من الصالحين. ويسكنها أيضًا جماعة من الصالحين لا تكاد تخلو منهم. هذا، والصالحية أيضًا محلة ببغداد. وأيضًا قرية قرب الرها اختطها عبد الملك بن صالح الهاشمي. والمقصود الأولى. (معجم البلدان: الصالحية).

وَيَــامَنْ أَوْدَعَــتْهُ الغُرْبُ سِحْرَ الْبَيَان

(م) فَلَــمْ تَــضِعْ مِــنْهُ الــوَدَاعَةْ

وَعَاهَــدَهُ الــبَدِيعُ عَلَــى مَعَــان

تَــرُوقُ لَــنَا بِعَهْــدِ مَــا أَضَــاعَهْ

إِذا مَــا زُرْتَ فِي الأُسْــبُوعِ يَــوْمًا

وَعُمْــرُ الوَصْــلِ فِــيه بَعْــضُ سَاعَةْ

فَكَــيْفَ يجُــوزُ قَطْــعُ الوَصْــلِ فيه

أَمَــا تَخْــشَى مِــنْ النَّاسِ الشَّنَاعَةْ؟!

وَقَــدْ قالُــوا، وللِقَــوْلِ اتِّــسَاعٌ:

أَيَتْــرُكُ جُمْعَــةً وَلِقَــا جَمَاعَــةْ؟!

وَهَــبْكَ اغْــتَفْتَ مِــنْ مَطَــرٍ وَوَحْلٍ

أَلَــيْسَ مَــشَقَّةُ الأَعْمَــالِ طَاعَــةْ؟!

وَكَانَــتْ جُــوْخَةٌ(١) وَكِــرَى حِمَارٍ

كَفَــى مَــا تَخْتَــشِي وَتَــرَى دِفَاعَةْ

وَلَكِــنْ وَقْــعُ نَــبْلِ الــوَبْلِ أَنْكَــى

قُــوَى المَوْلَــى، وسَــيْفُ البَرْقِ رَاعَةْ

وَكُوسَــاتُ الــرَّوَاعِدِ حِــينَ دُقَّــتْ

بِــصَوْتٍ يَكْــرَهُ المَــرْءُ اسْــتِمَاعَهْ

فَعُــذْرُكَ ظَاهِــرٌ فِي ذَا ، وَلَكِــنْ

كَمَــا قِــيلَ: الــشَّجَاعَةُ صَبْرُ سَاعَةْ

---

(١) لعله يقصد الجوخ، وهو: نسيج صفيق من الصوف.

فَــزُرْ وَابْــذُلْ عَلَــى مَعْهُــودِ فَضْلٍ
أَلِفْــنَا مِــنْكَ جُهْــدَ الاسْــتِطَاعَةْ
وَمَــا نَــسْخُ الــوِدَادِ بِمُــسْتَحَقٍّ
وَلَــوْ مُلِــئَتْ رِقَاعِــي بِالــرَّقَاعَةْ

فكتب هو الجواب عن ذلك: «من الوافر»

أَفَــاضَ عَلَــيَّ مِــنْ خِلَــعِ الخَلَاعَــةْ
بَدِيــعَ الــرَّقْمِ وَشَــاهُ اليَــرَاعَةْ
إِمَــامٌ فِي الفَــضَائِلِ مَــا خَــرَجْنَا
بِــدَيْنِ وَلَــاهُ عَــن رَأْيِ الجَمَاعَــةْ
وَدَاعٍ فِي البَــيَانِ بِــسِحْرِ لَفْــظٍ
تَقُــولُ لأَمْــرِهِ: سَــمعًا وَطَاعَــةْ[(1)]
لَــهُ مِــنهُ الغِنَــى وَالوَفْــرُ حقًّــا
وَلِلــنَّاسِ الــتَّجَمُّلُ وَالقَــنَاعَةْ
أَتَــى فِي سَــاعَةٍ مِــنْهُ قَــرِيضٌ
نَعِمْــتُ بِــهِ، وَدَعْــهُ سُــمَّ سَــاعَةْ
وَأَسْــمَعَنِي عَلَــى عِلْــمٍ بِوَهْمِــي
نِظَامًــا جَــاءَ مِــن بَــابِ الــشَّفَاعَةْ
يُبَاحِثُنِــي بِلَفْــظٍ جَاحِظِــيٍّ[(2)]
فَــيَا وَيْحِــي لَــدَى بَحْــرِ البَــرَاعَةْ

---

(١) من قول أبي نواس (العمدة: ١/ ٢٣٢):

فــسمعًا، أمــير المؤمــنين، وطاعة وإن كنت قد جشمتني مركبًا صعبًا.

(٢) «بلفظ جاء حظى» بالأصل، واخترت ما في النسخ المساعدة لأنه يقصد أسلوب الجاحظ.

وَيذْكُـــرُ جُمْعَـــةً فاتَـــتْ وَقَـــوْلاً
كَمَـا قَـدْ قَـالَ قَـد خَشِيَ اتِّسَاعَهْ
وَهَبْنِـي مَـا حَـضَرْتُ لِغَيْـرِ عُذْرٍ
أمَـا فِي غَيْـرِ مَحْضَرِكُمْ جَمَاعَهْ؟![1]
وَهَـبْ لا غَـيثَ قَارَعَنَـى فَهَـلْ لا
ثَنَـى غَـيْثُ الـنَّدَى عَنِّـى قِرَاعَهْ؟!
وَقَـالَ بِجُـوخَةٍ: لِـمَ لا أتَانَـا
مَقَـالُ زُبَـيْدَةٍ عِـنْدَ المَجَاعَـهْ
وَمَـنْ لِـى لَـو ظَفِرْتُ بِسَحْقِ دَلْقٍ
أُطَالِــعُ مِــن جَوَانِــبِهِ رِقَاعَــهْ
وَلا وَاللهِ مَــعْ نَفَــثَاتِ مَزْحِــي
فَمَـا أنْـسَى خَلِيلِـىَ وَاصْـطِنَاعَهْ
وَلَــوْلا ذَاكَ بَــاتَ يَــذُمُّ جَمْـرًا
بِفَحْـمِ الـنَّفْسِ مِـن قِبَلِـى إذَاعَـهْ
صَـلاحَ الـدِّينِ دُمْـتَ خَلِـيلَ وُدٍّ
صَـرَفْتُ لَـه الـوَلاءَ فَمَـا أضَاعَهْ
وَمَـا لازَمْـتُ سُـوقَ الكُـتْبِ إلاَّ
لِيَــرْبَحَ لِــى بُــرؤْيَتِهِ بِــضَاعَهْ.

وكتب هو إليّ أيضا[2]:

(١) في(ب): أما في محضر منكم جماعة.

(٢) البيتان مذكوران بديوان ابن نباته/ ٢٨٩، وعبارة الأول فيه: «... نقضت بصاحب، موازين لفظي في الولاء بحفظه» .

«من الطويل»

رَعَــى اللهُ أوْقَاتًــا تَقَــضَّتْ بمَاجِــد
يُــوَازِنُ حِفْظِــي في الــوَفَاءِ بحِفْظِــه
إذا لَــمْ تَــدُرْ كَــأْسُ المدَامَــةِ بَيْنَنَا
أُديــرَتْ كُــئُوسٌ بَــيْنَ لَفْظِي وَلَفْظِه

فكتبت أنا الجواب إليه:

«من الطويل»

رَعَــى اللهُ مَــوْلَى زَيَّنَ الدَّهْرِ وَالوَرَى
أَقَــامَ علَــى رَعْــيِ الــوِدَادِ وَحِفْظِه
إذَا أَعْوَزَتْنِــي نَــسْمَةٌ سَــحَرِيَّةٌ
كَفَانِــيَ مَــا يُهْــدِي نَــوَافِجُ لَفْظِه.

وكتب هو إليَّ وقد أعاد كتابَ التشبيهات لابن ظافر، يطلب شيئا من التذكرة:

يُقبِّلُ الأرضَ، ويُنْهِي أنه أرسلَ كتابَ التشبيهات وما معه، بعد أن قال له الذهنُ: هذا كتابٌ لي، فلا تصاحب لي، ولا تسأل إلا عاريةَ التذكرة. ﴿فإنْ سَأَلْتُكَ عن شيْءٍ بَعْدَهَا فلا تُصَاحِبْنِي﴾ [(١)]. ففيها وفيها، وهي والله (الدُّرَّةُ)[(٢)] الفريدةُ، فلا أرومُ تشبيها. والمسئولُ إرسالُ ما يقتضي الرَّأيُ الشَّريفُ منها، بل لا أقولُ من عدد الكتب المستعارة، وإن لم تــوازيها تلك الأوزانُ الشِّعْرِيَّةُ ولم توازِنْها، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) من الآية: (٧٦: الكهف).

(٢) الزيادة من هامش (ب).

وكتب هو إليّ أيضًا:[1]

«من السريع»

مَا ضَرَّ إِحْسَانَكَ يَا سَيِّدِي
لَوْ كَفَّ فِي أَمْرِي عَنِ الاقْتِصَادْ
يَا عَيْنَ آمالِي إِذا جُمِّعَتْ
إِنِّي إِلى لُقْيَاكَ واللهِ صَادْ[2]

يُقَبِّلُ الأرضَ، ويُنْهِى أنه يُقْسِمُ باللهِ تعالى أنه رأى البارِحَةَ، وهو بين النَّائم واليقظان، كأنه يَنْشُدُ بين يَدَى مولانا هذا البيت الثاني.

فكتبت أنا الجواب:

«من السريع»

يَا مَنْ إذَا مَا غَابَ عَنْ نَاظِرِي
أَفَاتَنِي أَضْعَافَ مَا قَدْ أَفَادْ
رَضِيتُ بالنَّارِ الَّتِي تَلْتَظِي
فِيكَ، وَلَا أَرْضَى بِنَارِ[3] البِعَادْ
حَظِّي عَلَى قُرْبِيَ عَيْنٌ فَلَوْ
زَالَ لَكَانَ السَّعْدُ لِلْقُرْبِ صَادْ

يُقَبِّلُ الأرضَ، ويُنْهِي أَن مولانا في يقظته ومنامه إلا كما قال الأول:

---

(١) البيتان مذكوران في (ديوانه/ ١٧٣) وهما وما بعدهما مع تغيير يسير في (مصباح الظلام، الورقة / ٧٦).

(٢) نهاية الشطر الأول في الديوان: «إذا استجمعت» والشطر الثاني في النسخ المساعدة، وديوان ابن نباتة، ومصباح الظلام، «إني إلى مورد لقياك صاد» .

(٣) بالأصل: «بعار البعاد» واخترت ما في النسخ الأخرى.

«من الطويل»

إِذَا قَـامَ لَـمْ يَـدْأَبْ لِغَيْـرِ فَضِيلَةٍ
وَإِنْ نَـامَ لَـمْ يَحْلُـمْ بِغَيْرِ الحَقَائِقِ[1]

وكتب هو إليّ، وقد انقطع عن ديوانه الإنشاءِ الشريف[2]:

«من الرجز»

مَـا انْقَطَـعَ المَمْلُـوكُ عَـنْ وَظِيفَةٍ
وَأَنْـتَ تَـدْرِي أَنَّ ذَاكَ مُمْتَـنِعْ
وَالحَمْـدُ لِلَّـهِ عَلَـى عِلْمِـكَ يَـا
مَـوْلايَ إِنِّـي بَـشَرٌ لا أَنْقَطِـعْ

وكتبت هو إليّ مع جَدْيٍ أهداه صُحبةَ صاحب لنا، يداعب[3]:

«من البسيط»

قَالَـتْ لِيَ الـنَّفْسُ إِذْ أَهْدَيْتُ نَحْوَكُمُ
جَـدْيًا حَكَى القِطْعَةَ العَلْيَاءَ مِنْ كَبِدِي
أَرْسِـلْهُ مَعْ تاجرِ الكُتْبِ الفَلاحِ، وقُلْ
(هَـذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي)[4]

---

(١) البيت غير معزو في الغيث (١/ ١٥١ براوية: فإن قام وقبله.

لــه آمــر بالرشــد في يقظاتــه وفي الــنوم يهديــه لخــير الطــرائق

(٢) البيتان مذكوران في (ديوانه/ ٣١٩)، ورواية الأول فيه «ما انقطع المملوك عن ترداده» والثاني «فالحمد لله .. إني بشر لا ينقطع» .

(٣) البيتان بديوانه /١٧٥. ورواية الشطر الثالث فيه: «أرسله مع تاجر الكتب الفلاني وقل» .

(٤) عجز بيت لامرأة من العرب قتل أخوها ابنها (خزانة الحموي/ ٤٦١، والكشكول للعاملي/ ٤٨١) وتمامه مع ما قبله:

أقــول للــنفس تأســاء وتعــزية إحــدى يــدي أصــابني ولم تــرد

=

فكتبتُ أنا الجواب إليه:

«من البسيط»

يَـا فَاضِـلاً قَـدْ هَدَتْ نُطْقِي هَدِيَّتُهُ
إِلى طَـرِيقِ ثَـنَاءِ غَيْـرِ مُنْـتَحِلِ
سَـمَا قَرِيضُكَ مِنْ فَخْرٍ إِلى الفَلَكِ الـ
أَعْلَـى فَأَهْـدَى إِلَى الجَدْيَ مَعْ زُحَلِ

وكتب هو إليّ مع ثوب صوف. فكتبت أنا الجواب إليه:

«من الخفيف»

ثَـوْبُ صُـوفٍ أَهْدَيْـتَهُ بَـلْ حَرِيرٌ
وَقَـرِيضٌ أَرَاهُ رَوْضًـا نَـضِيرًا
فَجَزَانِـي الإِلَـهُ لَمَّـا تَـصَبَّرْتُ
(م) علـى الـبُعْدُ جَـنَّةً وَحَرِيـرَا

وكـان قد رُسم له في أوائل شهر الله المحرم سنة خمسين وسبعمائة بأن يرتب شاهد القسم بداريًا ودومة، عوضًا عن أبيه – رحمه الله تعالى – فكتب هو إلي يتقاضاني توقيعه بذلك:

إذا كان أصلُ الأغاني المطربة توقيعًا بقضيب، وترجيعَ صوْتٍ لداعي المسرَّة يُجيدُ ويُجيب، فلا زالَ قلَمُ مولانا المثمرُ يُطْرِب بأكرمِ توقيع، ويُجيبُ داعيَ المسرَّة من تَأَمُّل مواقعه وصريره بأَحْسَنِ مراجعة وترجيع

فكتبت ذلك وجهزته إليه.

فكتب هو إلي بهذه الأبيات الدالية بلزوم حرف السين:

كلاهمـا خلـف مـن بعـد صـاحبه		هـذا أخـي حـين أدعوه وذا ولدي

«من المتقارب»

جَمِــيعُ كَلامِــكَ رُوحُ الكَــلامِ
وَخَيْــرُ كَلَــامِ الْمُــبَارِي جَــسَدْ
وَلا عَــيْبَ فِــيهِ سِــوى الــرَّائعَات
تُمَــازِحُ رَائِــقَ معــنىً أَسَــدّ
فَيَــسْمَعُ مِــنْهُ نَئِــيمَ الحَمَــامِ
وَنَــسْمَعُ مِــنْهُ زَئِــيرَ الأَسَــدْ
لَقَــدْ سَــادَ قَائِلُــهُ مَــنْ مَــضَى
وَسَــدَّدَ سَــهْمَ المَعَانِــي وَسَــدّ
فَــنِعْمَ الخلــيلُ لِفِكْــرٍ وَعَــى
ونعــم الــصَّلاحُ لِــذِهنٍ فَــسَدْ
وَكَــمْ مِــن أَبِــى لَهَــبٍ ذِهْــنُهُ
غَــدَا مِــنه في لَهَــبٍ مَــن حَــسَدْ
فَتَــبَّتْ يَــدَا فِكْــرِهِ واللِّــسَان
وَشُــدَّا بِحَــبْلِهِمَا مِــنْ مَــسَدْ
لَــئِنْ كَــانَ للــدَّوحِ سُــوقٌ لَقَــدْ
غَــدَتْ بِرِيَاضِــكَ سُــوقًا كَــسَدْ

فكتبت أنا الجواب إليه، والتزمت الشين قبل الدال:

«من المتقارب»

أَيَــا مَــنْ مُخَالِفُــهُ قَــدْ غَــوَى
وَيَــا مَــنْ مُحَالِفُــهُ(١) قَــدْ رَشَــدْ

---

(١) بهامش (ب) «موافقه»

تجـــاوزْتَ في المجْـــد غَايَاتـــه
وَبـــدَّيْتَ مَـــنْ في المَعَالِـــي حَـــشَدْ
وَأصْـــبَحَ فِي قفْـــرِهِ تَائهَـــا
وَلَـمْ يَجِـدِ الـضَّالُ مَـا قَـدْ نَشَدْ
وَأعْلَـــيْتَ للـــنَّظْمِ مِقْـــدَارَهُ
وَقَـــدْ شِـــدْتَ مَجْـــدًا له (لم)[١] يُشَدْ
تُـــدِقُّ وتُجْـــزِلُ ألفَاظَـــهُ
لَـكَ الفـضْلُ مَـا بَـيْنَ حَلٍّ وَشَدّ
لأَنَّ الجَوَاهِـــرَ قَـــد حُـــزْتَها
وَنَحْـــنُ بِـــضَاعَتُنَا مِـــنْهُ شَـــدّْ
وَفُـــتَّ مُجَارِيـــك سَـــبْقًا وَقَـــدْ
وَقَفْـــتَ وَذَاكَ مِـــنَ الحِـــرْصِ شَـــدّْ
فَطَمْـــتَ عَـــنِ الـــنَّظْمِ أَرْبَابَـــهُ
وَأَنْـــتَ بَلَغْـــتَ الأَشُـــدَّ الأَشَـــدّ.

يُقَـــبِّلُ الأرضَ، ويُنْهي أنَّ مولانا لما زادَ على المملوك في العجلَه، وأرَاد، وهـــو عقابٌ كاسرٌ، يعرفُ أين تقعُ مطارُ المملوك وهو خَجَله. كتب المملوكُ هذا التوقيعَ الكريم من رأْس قلمه، و لم يوفِّ مولانا حقَّ وَصْفه فيُنْشَرُ له مطويُّ عَلَمه، فلذلك جاءَ أقلَّ من وَصْلِ الحبيب، وأكْثَرَ عُـــيوبًا مـــن المهجور إذا ضايقه الرَّقيب. ولكنَّ مَحَلَّ مولانا معروف، و(إن)[٢] لم يُعطِه الوَصْفه حقَّه، وما عليه في تقصير مَشْقِ الأقلام مَشقَّة.

(١) الكلمة ساقطة من الأصل، وأثبتها لضرورة وزن المتقارب من النسخ الأخرى.
(٢) الكلمة ساقطة من الأصل، والزيادة عن النسخ الأخرى المساعدة.

وأما هذه الأبياتُ الداليّةُ المقَيَّدَةُ التي لزم فيها السين، و لم يَدَعْ فضلُ قلمه الغنيّ فيها فضلَةً للسائل المسكين، فقد بُهِتَ المملوكُ لها، وذُهل عن الإجابة ولها، وخاف من نسبته إلى التَّقصير في حقِّ سيّد الأدباء، فعدَلَ إلى لزوم الشين، ولو وفق لزِمَ حرْفَ السين والكاف والواو والتاء ولكن لــيس إلا سِتْرُ مولانا الفاضل عن قدر الخطا، وفضلُه الذي لا يزال[1] يــروى عن عَطا، والله يُمدُّ لقلم أوصافِه فسيحَ الخُطا، بمَنّه وكرمه، إن شاء الله تعالى.

وكتب هو إليّ:

«من المتقارب»

أيَــا مَــنْ أفَــاضَ جُفُــونَ العِــداة
أفِــضْ مِــنْ عَــوائِدِ أيَّامِكَـــا
وَيــا جَــاعِلاً قَلْــبَ قَــوْمٍ شَــوًا
أذِقْــــنَا حَــــلاوَةَ إنْعَامِكَـــا

فكتبت أنا الجواب إليه: «من المتقارب»

سِـــوَايَ شَـــوَى قَلْـــبَ أعْدَائِـــه
لأنِّـــي اقْـــتَدَيْتُ بِأحْلامِكَـــا
ومَــا لِــيَ حَلْــوَى سِــوىَ رُقْعَــةٍ
مُـــسَيَّرَةٍ لِـــي بِأقْلامِكَـــا

وكتب هو يومًا إلى مولانا شيخ الإسلام قاضي القضاة تقيّ الدين السُّبْكيِّ الشافعيِّ – أدام الله أيامه – وقد حصل له شرى[2]:

(١) بالأصل: «لم» والتصويب من النسخ الأخرى.
(٢) الأبيات مذكورة في (ديوانه/ ٢٣٧).

«من الكامل»

نَفْــدِيكَ يَــا قَاضِــي القُضَاةِ عَلَيْهِمُ
مِــنْ كُلِّ شَيءٍ يَشْتَكِي[1] كُلُّ الوَرَى
شَــهِدَ الــشَّرَا لَكَ حِينَ زَارَكَ بالتُّقَى
والــصَّبْرِ والــصَّدَقَاتِ لمــا خَبَّــرا[2]
لا تَعْــدَمُ المِــدَحُ الــرَّوائحُ[3] سيِّدًا
هَــذي خَلَائقُــهُ بِتَخْــيِيرِ الــشَّرا

فلما وقفتُ عليها، ورأيْتُه قد استَعْمَلَ الشَّرى، وهو الخُرّاجُ الصِّغارُ من مادة دمويّة لذّاعة، وهو بفتح الشين، والشَّرى مصدر شراه شِرًى بكسر الشين – كتبت أنا إلى المشار إليه:

« من الكامل»

لَمّــا اشْــتَكَى قَاضِــي القُــضَاةِ فَدَيْتُهُ
مِــنْ كُــلِّ سُــوءٍ يَشْتَكِي مِنْهُ الوَرَى
عَايَنْــتُهُ لأَذَى الــشَّرَى مُتَــصَبِّرًا
فَعَلِمْــتُ حَقًّــا أَنَّــهُ أَسَــدُ الشَّرَى
وَرَبِحْــتُ تَوْرِيَتِــي الــتي قَعَدَتْ وَمَا
خَــسِرَتْ، وَلَــمْ أَنْطِقْ بِتَخْيِيرِ الشَّرَى

فكتب هو يومًا إليّ[4]:

(١) «من كل شيء تشتكي بالديوان»
(٢) «والبر مختبر العلا ومخبرا» بالديوان.
(٣) «المدح السوائر» بالديوان.
(٤) البيتان مذكوران بديوانه/ ٣٣٥.

«من الكامل»

يَــا سَــيِّدِي إِنْ طَــابَ وَقْــتُ وَلَائِنَا
لَفْظًــا، فَفِــي مَعْــنَاهُ مِــنْكَ تَعَسُّفُ
أَنَــا في المــديحِ أُشَبِّبُ النَّظْمَ[1] الذي
أُهْــدى، وَأَنْــتَ على الجَرِيحِ تُدَفِّفُ.

وكتب هو يومًا إليّ يطلب مني ورقًا[2]:

«من المنسرح»

أَفْــدِي خَلِــيلاً مَــا كَــانَ يَجْمَعُ لِي
بَــينَ الثَّمِيــنَيْنَ مِــن خَلَائِقِــهِ
إِنْ ضَــنَّ بالوَصْــلِ مِــن لِقَــاهُ
فَمَــا يَــضِنُّ بِالوَصْــلِ مِــنْ مَهَارِقِهِ

وكتب هو إليّ يوما:

«من المتقارب»

أَمَــوْلَايَ أَبْعَــدْتَنِي فَاسْــتَرَحْتُ
مِــنَ العَــتَبِ الْــلازِمِ المُمْــرِضِ
وَمَــنْ كَــانَ فِي صَــدِّهِ مُحْــسِنًا
فَكَــيْفَ يَكُــونُ إِذَا مَــا رَضِــي[3].

(١) «أشيب الوصف» بالديوان.

(٢) البيتان مذكوران بديوانه /٣٥٦ ورواية الأول فيه:

أفــدى خلــيلا مــا كــان يجمع لي بــين الــثمين مــن خلائقــه

وهو ما أخذت به إذ بالأصل «بين اليمين من خلائقه» ولا يستقيم هذا على ومن المنسوح.

(٣) ورد هذا البيت فقط ضمن أبيات في «ديوان ابن نباتة/ ٢٨٢» براوية: «ومن كان في غيظه» .

وكتب هو إليّ يومًا، وقد جلس خلف جماعةٍ من كُتاب الإنشاءِ الشريف في الديوان:

«من مجزوء الكامل»

يَــــا سَـــيِّدي لا زَالَ أمْـــرُكَ
(م) ظاهِـــرًا خَيْـــرَ الظُّهُـــورِ
خَــسَّتْ لَــدَيْكَ كِتَابَتِـــي
حَتَّـــى دُفِعْـــتُ إلى الظُّهُـــورِ.

فكتبت أنا جوابه:

«من مجزوء الكامل»

يَــــا فَاضِـــلاً لَـــوْ أنْـــصَفُوهُ
(م) لَكَـــانَ يَجْلِـــسُ في الـــصُّدُورِ
حَاشَـــاكَ تَجْلِـــسُ في الظُّهُـــورِ
(م) وأنـــتَ مِـــنْ خَيْـــرِ الـــصُّدُورِ

فكتب هو إليّ ثانيًا:

«من مجزوء الكامل»

شُـــكرًا لِـــنَظْمِكَ عَــاذِرًا
حَمْـــدِي وجَهْـــدِي في القُــصُورِ
فِـــيهِ جَلَـــسْتُ لَـــدَى الـــصُّدُورِ
(م) مِـــنَ البُـيُوتِ بَـــلِ القُـــصُورِ.

فكتبت أنا جوابَه:

«من مجزوء الكامل»

لَـــوْ أنَّ نَظْمَـــكَ لِلْمُلُـــوك

(م) كَفَـــاهُمُ لَثْـــمَ الـــثُّغُورِ

مَـــعَ أنَّـــهُ أشْـــهَى إلَـــى

(م) المُـــشْتَاقِ مِـــنْ لَـــثْمِ الـــثُّغورِ

فكتب هو الجوابَ ثالثًا:

«من مجزوء الكامل»

طُـــبِعَتْ صِـــفَاتُكَ وُضَّـــحًا

وتَكلَّفَـــتْ صِـــفَةُ الـــبُدُورِ

وَلِخَـــوْفِها مِـــنْ لَفْظِـــكَ

(م) آصْـــفَرَّتْ دَنَـــانيرُ الـــبُدُورِ

فكتبت أنا جوابه:

«من مجزوءِ الكامل»

حَلَّقْـــتَ في الـــنَّظْمِ الـــبَدِيع

(م) بِحَـــيْثُ أوكَـــارُ النُّـــسُورِ

فَـــارْحَمْ لِمَـــنْ هُـــوَ في الحَـــضِيضِ

(م) مَـــعَ الـــسَّنَابِكِ والنُّـــسُورِ

فكتب هو الجوابَ رابعًا:

«من مجزوء الكامل»

أوقَعْتَـــنَا في الظِّـــلِّ مِـــنْ

أبْـــيَاتِ نَظْمِـــكَ وَالحَـــرُورِ

كَـــمْ خَارِجِـــيٍّ بَـــارِدٍ

مِـــنَّا أضَـــفْتَ إلى الحَـــرُورِي

فكتبت أنا جوابه:

«من مجزوء الكامل»

أَلفَاظُـــكَ الغُـــرُّ الــــتي الـــــ
ـــــتَأَمَتْ لَـــدَيك بِلَـــا فُطُـــورِ
أنـــــا صَـــائِمٌ عَـــنْ غَيْـــرِهَا
وَعَلـــــى حَلاوَتِهَـــــا فُطُـــورِي

فكتب هو الجوابَ خامسًا:

«من مجزوء الكامل»

قَـــــسَمًا لَقَـــــدْ مَلَـــأتْ أمَـــا
لِــــيكَ الجَـــوَانِحَ بالحُـــبُورِ
وَمَـــلأْتَ مِـــــنْ آثَارِهَــــا
أيْـــضًا طُرُوسِـــي بالحُـــبُورِ

فكتبت أنا جوابه:

«من مجزوء الكامل»

أَبَـــــدًا أحُـــومُ وَمَــــا أرَى
لِي نَحْـــوَ نَظْمِـــكَ مِـــنْ عُـــبُورِ
وَأَرَاهُ فِي نَومِـــــــي وَلَــــمْ
أظْفَـــرْ بِـــذَلِكَ في عُـــبُورِي

فكتب هو الجواب سادسا:

«من مجزوء الكامل»

أَثْـــرَيْتَ في الـــبُلَغَاءِ مِـــنْ
أَعْـــدَادِ نَظْمِـــكَ وَالكُـــسُورِ

فافْخَـــرْ عَلـــى مَلِـــكِ الأعَـــارب
(م) وَالقَيَاصِـــــرِ وَالكُـــــسُورِ
يـــا سَـــالِكًا جَـــدَدَ البَـــيَان
(م) وَنَحْـــــنُ في ذَاتِ الكُـــــسُورِ
لَـــكَ مِـــن مآدِبِـــهِ الـــسَّنَامُ
(م) وَقَـــدْ قَنِعْـــنَا بالكُـــسُورِ
وَصُـــدُورُ مَـــنْظُومِ البُـــيُوت
(م) وَقَـــدْ خَفِيـــنَا في الكُـــسُورِ

فكتبت أنا جوابَه:

«من مجزوء الكامل»

أبـــدًا يُلاحِظُـــكَ الأنَـــامُ
(م) بأعـــيُنٍ في الـــنَّظْمِ صُـــورِ
ذَهَـــبُ الـــنِّظَامِ لَـــدَيْك مِـــصْرِيٌّ
(م) وَكُـــلُّ الـــنَّاسِ صُـــورِى
لَفْـــظٌ صَـــفَا، وَيَـــشِفُّ مَعْـــنَاهُ
(م) فَمَـــادِيٌّ وَصُـــورِى
كَـــمْ جَـــاءَ خَـــصْمُك كَبْشَ مَلْحَمَة
(م) وَرَاحَ بغَيْـــــرِ صُـــورِ
وَلَكَـــمْ أَوَابِـــدَ شُـــرَّد
ضُـــمَّتْ لأنَّـــك قُلْـــتَ صُـــورِى

وكتب هو يومًا يستدعى ورقًا:

«من المنسرح»

إفْــلاسُ مَمْلُــوكِكُمْ مِــن الــوَرَقْ
أضْــعَافُ إفْلاسِــهِ مِــنَ الــوَرِق
فَــآه مِــنْ فَقْــدِ ذَا لَديْــهِ وَذَا
عَلــى زَمَــانِ الخُــدُودِ والحَــدَقِ

فكتبت أنا مع درجٍ بعثته:

«من المنسرح»

حَاشَــاكَ مِمَّــا تَــشْكُو وَأنْــتَ إذا
نَظَمْــتَ تُزْهَــى العُقُــودُ فِي العُــنقِ
فَخَــدُّهُ يَحْكِــي بَيَاضَ صُحْفكَ أو [1]
بَــيَاضَ عِــرضٍ مِمَّــا اتَّقَــيْتَ نَقِي

وكتب هو إلىّ أيضا يطلب ورقًا:

«من المجتث»

كَابَــدْتُ هَجْــرك دَهْــرًا
يَــا بَارِعًــا لا يُــوازَي
فامْــنُنْ عَلــيَّ بِوَصْــلٍ
حَقِــيقَةً وَمَجَــازًا

فكتبت أنا الجوابَ إليه:

«من المجتث»

حَاشَــاكَ تُهجَــرُ يَــا مَــنْ
مَعْــرُوفُهُ لا يُجَــازَي

(١) لم يستقم هذا الشطر على وزن المنسرح

وَدُونَـــــكَ الوَصْـــــلُ فاجْعَـــــلْ
فِـــيهِ المِـــدَادَ طِـــرَازَا

وكتب هو يومًا إليّ[1]:

«من المنسرح»

قُــلْ لِخَليلـي الــذي رَجَــوتُ بِــه
تَقَدُّمِــي في الــوَرَى وإجْلاَلِـــي
كَـــدَّرَ لِي دَهْــرِي الحَــيَاةَ فَمُــذ[2]
رَجَــوْتُ مِــنْكَ الــصَّفاءَ صَــفًا لِي

وكتب هو يومًا إليّ[3]:

«من البسيط»

يَــا سَيِّدي يَا صَلاحَ الدِّينِ لاَ صَلُحتْ
إنْ أَلْــسَ بِــرَّكَ، أفْكَــارِي وَلا حَالِي
وَمَــن[4] جَفَانِــي فَلَفظِي بَعْدَ جَفْوَتِه
وَجِــيدُ قَــصْدِي، لا حُلْــوٌ ولا حَالِيَ
إنْ لَــمْ يَعُدْنــي فَــلا صَادٌ تُخَطُّ وَلا
لامٌ مُعَانقَــةُ المَــرأي وَلا حَــالِي[5].

يقبل الأرض ويُذكِّر الخاطرَ الشريف بقوله:

(١) البيتان مذكوران في (ديوانه/ ٤٢٦).
(٢) «ومذ» بالديوان.
(٣) الأبيات مذكورة في (ديوانه/ ٤١٨).
(٤) «يا من جفاني» بالديوان.
(٥) البيت ساقط من الأصل والزيادة من (ب) وديوان ابن نباتة. وروايته في الأخير:
إن لم يعــد لي فلا صاد الحروف ولا لام معانقــة فــيها ولا جــالي

«من الطويل»

زَمَانِــي بِكُــمْ كَالْــوَرْدِ طِيبًا وَبَهْجَةً
فَــلا تَــنْسَ فِي ذَا الــيَوْمِ مِنْهُ نَصِيبِي

وقولُ المملوك يُذكِّر الخاطرَ الكريم نوعٌ يصلحُ أن يُضافَ إلى الاستخدام، فإن المملوك يُذكِّرُ بالدراهم، والجواب نعم، وبجواب هذه الأبيات وضمّها إلى جنان الجناس، وما التزام الحاء شرطٌ.

ولما وقف على مقاطيعَ لي نظمتُها في الحمامة وهي قولي:

«من الخفيف»

رُبَّ وَرْقَــاءَ فِي الدَّيَاجِــي تُنَاجِــي
إِلْفَهَــا فِي غُــصُونِهَا الْمَــيَّادَةْ
فَتُــثِيرُ الْهَــوَى بِلَحْــنٍ عَجِــيبٍ
يَــشْهَدُ الــسَّمْعُ أَنَّهَــا عَــوَّادَةْ
كُلَّمَــا رَجَّعَــتْ تَــوَجَّعْتُ حُــزْنًا
فَكَأَنَّمَــا فِي وَجْــدِنَا نَتَــبَادَهْ

وقولي أيضًا:

«من الوافر»

وَرُبَّ حَمَامَــةٍ فِي الــدَّوْحِ بَاتَــتْ
تُجِــيدُ الــنَّوْحَ فَــنًّا بَعْــدَ فَــنٍّ
أُقَاسِــمُهَا الْهَــوَى مَهْمَــا اجْتَمَعْــنَا
فَمِــنْهَا الــنَّوْحُ، والعَبَــرَاتُ مِنِّــي

وقولي أيضًا:

«من الوافر»

وَلَــيْلَةَ نَادَمَتْنِــي ذَاتُ طَــوق
تُمـيلُ بِهَــا الأَرَاكَــةُ في التَّثَنّـي
فَتَـصْدَحُ كُلَّمَـا أَمْـسَكْتُ كَأْسِـي
لَقَـدْ بَاتَــتْ علــى قَدَحــي تُغَنّـي

وقولي أيضًا:

«من مجزوء الوافر»

فطَــوَّقَةٌ عَلــى غُــصُنٍ
مُخَــضَّبَةٌ مِــنَ الفَــرَحِ
لَهَــا سَــجْعٌ تُكَــرِّرُهُ
غَــدَا في اللَّهْــو مُقْتَرِحــي
إِذَا أَمــسَكْتُ كَأْسِــيَ فِــي
يَــدي غَــنَّتْ عَلــى قَدَحِــي

وقولي أيضًا:

«من الخفيف»

لا تَقِيــسُوا إلى الحَمَامَــةِ حُــزْنًا
إنْ فَــضْلِي تَــدْرِي بِــهِ العُــشَّاقُ
أَنَــا أُمْلَــي الغَــرَامَ عَــنْ ظَهْرِ قَلْبِ
وَهْــيَ تُمْلِــي وَحَــوْلَهَا الأَوْرَاقُ

وقولي أيضًا:

«من الكامل»

لا تَحْــسَبِي يــا وُرْقُ أَنَّــكِ في الهَوَى
مِثْلــي، فَلَــيْسَ يَفُــوزُ إلاَّ مَنْ صَدَقْ

أَمْلَـيْتُ مِـنْ قَلْبِـي الغَرَامَ وَأَنْتِ مَا
تُمْلِـينَ حَـرْفًا إنْ خَرَجْتِ عَنِ الوَرَقْ

وقولي أيضًا:

«من الوافر»

مُطَـوَّقَةٌ عَلَـى غُـصْنٍ نَـضِيرٍ
تَهِـيجُ لِـيَ الـصَّبابةَ والهُـيَامَا[1]
إذَا نَاحَـتْ بَكَـيْتُ وإنْ تَغَـنَّتْ
طَـرِبتُ، لَقَـدْ تَقَارَضْـنَا الغَـرَامَا

وقولي أيضًا:

«من الوافر»

أرَى وَرْقَـاءَ ذَاتَ شَـجًا وشَـجْوٍ
لَهَـا هَـتْفٌ غَـدَا سَـبَبًا لِهَتْكِـي
تَقُـولُ أَمَـا خُلِقْـنَا يَـا مُعَنَّـي
سِـوَى أنِّـي أنُـوحُ وَأنْـتَ تَبْكِـي

وقولي أيضًا: «من الطويل»

أقُـولُ لِـورقاءِ الحِمَـى لا تـشَبَّهِي
بِـوَجْدِي فَـإنَّ الفَـرْقَ للنَّاسِ قَدْ بَانَا
تَغَنَّـيْتِ بَـيْنَ الـبَانِ فِي الدَّوْحِ فَرْحَةً
وَنُحْـتُ أنـا حُـزْنًا على غُصْنٍ بَانَا

- كتب هو إليَّ مقاطيعَ نظمها نظيرَ ذلك وهي قوله[2]:

(١) بالأصل: (تميج إلى الصَّبابة) . ولعل ما اخترته صحيح.

(٢) البيتان مذكوران في (ديوانه /١١٩ ومطالع البدور ١/ ٧١) ورواية الثاني فيهما =

«من البسيط»

مَــا لِــي نَــدِيمٌ سِوَى وَرْقَاءَ سَاجِعَةٍ
مِــنْ بَعْــدِ مُغتبَقِي فِيكُمْ وَمُصْطَبحِي
إِذَا أدَارَ إِدِّكَــارَ الوَصْــلِ لِــي قَدَحًا
مِنْ أَحْمَرِ الدَّمْعِ غَنَّتْنِي عَلى قَدَحِي[1]

وقوله:

«من المنسرح»

مَــا لِــي نَــدِيمٌ سِــوَى الحَمَائِمِ مِنْ
بَعْــدِكُمْ وَالــبُكَا مَــن التَّــرَحِ
إِذَا أدَارَ إدِّكَــــارُكُمْ قَــــدَحا
مِــنْ دَمْــعِ عَــيْنِي غَنَّتْ على قَدَحِي

وقوله[2]: «من الكامل»

وَحَدِيقَــــةٍ وَاصَــــلتُ جَلْــــوتَها
مَــــا بَــــيْنِ مُغْتَــــبَقٍ وَمُــــصْطَبَحِي
فَــــإِذَا أَخَــــذتُ بِظِلِّهَــــا قَــــدَحًا
غَــــنَّتْ حَمَائِمُهَــــا عَلَــــى قَدَحِــــي

وقوله[3]:

---

(1) عبارة هذا البيت في الأصل:

إذا أراد أدكــــاركم قــــدحًا مــــن دمع عيني غناني على قدحي

وقد أثبت ما في (ب) وديوان ابن نباتة.

«غناني على قدحي» .

(2) البيتان مذكوران (بديوانه/ ١١٩)، وروايته الشطر الأول: «وحديقة واصلت خلوقا».

(3) البيتان واردان (بديوانه/ ٢٥٣).

«من الرمل»

رُبَّ دَوْحٍ بَاكَـــرَتْه عَزْمَتِــــي
وَنَدِيمِـــي بَعْـــدَ أَحْبَابِـــي ادِّكَـــارُ
فَـــإِذَا أَعْمَلْـــتُ فِـــيهِ قَـــدَحًا
شَـــبَّبَ الوَصْـــفُ وَغَنَّانِـــي الهَـــزَارُ.

وقوله[1]:

«من الكامل»

أَحْسِنْ بِـوَادِي الجَنكْ تَشْدُو وُرْقُهُ
فِي دُفِّ أَشْـــجَارٍ تَمِـــيلُ بِعِطْفِهَـــا
فَـــإِذَا تَـــنَاوَلَ كَأْسَـــهُ مُتَنَـــزِّهٌ
غَـــنَّتْ [عليـــه]. بِجُـــنْكِهَا وَبِـــدُفِّهَا

وقوله: «من البسيط»

وُرْقُ الحَمَـــامِ عَلَـــى أَقْـــدَاحِ قَهْوَتِنَا
قَـــدْ صُـــوِّرَتْ فاسْـــتَفَزَّتْنَا مِنَ الفَرَحِ

---

(١) (بديوانه/ ٣٣٣) براوية:

بالجـــنك مـــن مغـــني دمشق حمائم   في دف أشـــجار تـــشوق بلطفهـــا
فـــإذا أشـــار لهـــا الـــشجي بكأسه   غـــنت علـــيه بجـــنكها وبـــدفها

وقد ورد البيتان في (مطالع البدور ١/٧١، ٧٢) براوية:

ناجـــتك مـــن مغـــني دمشق حمائم   في دف أشـــجار تـــشوق بلطفهـــا
فـــإذا أشـــار لهـــا الـــنديم بلطفـــه   غـــنت علـــيه بجـــنكها وبـــدفها

هذا، ورواية (ألحان السواجع): «غنّت بجنكها وبدفها»، وهي لا تستقيم على وزن الكامل. والتصويب من المصدرين السابقين.

إِذَا سَــرَتْ أَرْيَحِــيَّاتُ المُــدَامِ بِــنَا
كَــادَتْ حَقِــيقًا تُغَنِّيــنَا عَلَى القَدَحِ

وكتب هو إليَّ عقيب ضعفٍ كان به:

«من الطويل»

مَــضَتْ جَمْرَةٌ عَاقَتْ خُطَايَ عَنِ السُّرَى
إِلَــيْكُمْ، وَلَكِــنْ فِي الحَــشَا جَمَرَاتُ
فَهَــلْ وَقْفَــةٌ مِــنْ بَعْدِهَا عِنْدَ بَابِكُمْ
بِهَــا مِــنْ أَمَانِــي الــوَفْدِ مُعْتَمِرَاتُ
تَحُجُّونَ عند الصَّاحِبِ الغَوْثِ فِي امْرِئٍ
مُعَبِّــرَةٌ عَــنْ حَالِــهِ العَبَــرَاتُ
لَــهُ حَــسَرَاتٌ نَقَّطَــتْهَا دُمُــوعُهُ
فَــأَوْلادُهُ مِــنْ حَــوْلِهِ حَــشَرَاتُ؟!

وكتب هو إليَّ:

يُقَبِّلُ الأرضَ، ويُنْهِي أنه نظمَ بيتين جرَّتْ قافيتُهما اسم مولانا الكريم، وإن كان قد وقعَ شيءٌ من الإخرام[1] لم يدْرِ المملوكُ به، فقد كفى من القصاص نَقلُ المخاطبة من العبودية إلى الصَّداقة من غير اعتماد، وهما[2]:

«من الوافر»

يَئِــسْتُ مِــنَ الــصَّدَاقَةِ مِــنْكَ لَمَّا
تَمَــادَى مِــنْكَ إِعْــرَاضٌ وَثِــيقُ

---

(١) في (ب): من الإحرام.

(٢) بالأصل: «وهي» واخترت ما في (ب) والبيتان واردان في «ديوان ابن نباتة/ ٣٥٧»

وَمِــنْ عَجَــبِ الــزَّمَانِ إذَا اعتَبَــرْنَا
خَلِــيلٌ لا يَجِــي(١) مِــنْهُ صَــدِيقُ

فوقف عليهما المولى القاضي بدر الدين الغزِّي.
فكتبت إليه(٢):

«من الوافر»

كَتَــبْتَ إليَّ يَــا مَــولايَ بَيْتَــيْ
حَبِــيبٍ، وَالحَبِــيبُ لَــه حُقُــوقُ
تَــرِقُّ لَــه المدامِــعُ وَهْــوَ يَجْفُــو
وَمَــا يُبْلَــى بِــه إلاَّ الــصَّدِيقُ

وكتبتُ أنا إليه بعد ذلك: «من الوافر»

وَحَقِّــكَ لَــيْسَ إعْراضِــي لِقَــصْدٍ
وَعَهْــدِي في الــوَفَا عَهْــدٌ وَثِــيقُ
وَلَــيْسَ الــذَّنْبُ إلا لِلقَوَافِــي
إلَــيْكَ يَجُــرُّنِي مِــنْهَا المَــضِيقُ

يــا مولانا متى فتحتَ بابَ جرِّ القوافي، فاللهُ المُعافى، ما يسْلَمُ أحدٌ مــن مولانا، والحالةُ كذا، ولا يُغْضى الطرفُ معه إلا على قذى، ولا يُضَمُّ الضميرُ إلاّ على أذى. فيتصدَّقُ مولانا بأن يَدْفعَ في ظهر القافية إذا جــرّتْ إلــيه أَحَدا، وإلا عاش مع أحبابه عيشًا نكدًا، وسلك بهم في العتْب «طَرائِقَ قِدَادَا»(٣)، ومتى جاءهم من هذه المادّة بمُدٍّ واحدٍ، جاءوه بمثلها مددا.

(١) بالديوان: «خليل ما يجي»
(٢) في الأصل ، و (ز) «كتب إليه» واخترت ما في (ب).
(٣) من الآية: (١١: الجن).

(من السريع)

(وَمَــــنْ دَعَـــا الـــنَّاسَ إِلى ذَمِّـــه
ذَمُّـــوه بالحَـــقِّ وَبالْـــبَاطِلِ)[1]

ورأيه العالى في ذلك والسلام.

فكتب هو إليّ بعد ذلك:

(من الطويل)

فَــدَيْتُ بَلِــيغًا أَهَّلَتْنِــى سُــطورُهُ
لأجْــوبَةٍ تَــسْمُو سُــمُوَّ الأَهِلَّـــةِ
فَأَقْطُــفُ مِــنْ أَوْرَاقِــهِ الأَدَبَ الَّذى
وَأَسْــمَعُ مِــنْ أَلْفَاظِــهِ اللُّغَــةَ الَّتِى

فكتبت أنا إليه أيضًا مضمِّنا:

(من الطويل)

بِنَفْــسِي كَــرِيمٌ سَــاءَنِى بَعْدَ مَا جَفَا
وَعَــادَ فَأَهْــدَى خِيرَتِــى بَعْدَ حِيرَتِى
وَمَــا أَنَــا مَنْ يَأْسَى عَلى فَقْدِ مُعْرِضٍ
(إِذَا رَضِــيَتْ عَنِّى كِرَامُ عَشِيرَتِى)[2]

---

(١) البيت لكعب بن زهير (بديوانه/١٢٤)، وبهجة المجالس (١/٤٠١، ٤٣٤، ٥٧٧) وفي (الاستيعاب ١/١٣١٥) وهو منسوب في (زهر الآداب٢/٥٤١) إلى محمد بن حازم الباهلى. وقبله فيه:

مقالـــة الـــسوء إلى أهلـــها   أســـرع مـــن مـــنحدر ســـائل

هذا، وفي (الأغانى ١٤/١٦٦) يروى أنه منسوب إلى الحكم بن قنبر، أو للعتابى.

(٢) صدر بيت غير معزو (الكشكول للعاملى/١١٦). وهو معزو لأبى الضياء في (محاضرات الأدباء: ٢/٣٩٧) وتمامه:

=

ثم إنَّني اعترضتُ على نفسي، وقلت لعله يقول لم يقل الذي والتي كما آخيتُ بين لفظيهما.

فكتبتُ إليه:

(من الطويل)

صَــبَرْتُ علــى خُلْــقٍ تُعَانِـيه بُرْهَةً
لأنَّ الــوَفَا وَالــصَّبْرَ مــن شَرْطِ مِلَّتي
(كأنِّــي أنَا المطرُوقُ دُونَك بالذي)[1]
(فلَمَّــا بَلَغــتَ السِّنَّ، والغَايَةَ الَّتي)[2]

وهذان أوّلا بيتين من قطعة مشهورة لأُميَّة بن أَبي الصلت الثقفيّ، قالها في ولده.

وقلتُ أيضًا في هذه المادة، و لم أكتب بذلك إليه:

(من الطويل)

بِحَقِّــكَ دَعْ هَــذَا التَّخَــيُّلَ جَانِــبًا
وَثِــقْ بِــوِدَادِي، وارْضَ فِيكَ بِخُلَّتي
(فَمَــا أَنَــا إلاَّ غَرْسُكَ الأَوَّلُ الَّذي)
(وَمَــا أَنَــا بالظَّمْــآنِ فِيكَ إلى الَّتي)

(إذا رضيت عنى كرام عشيرتي　　فــلا زال غــضبانا علــى لئامها)

(١) عجزه: (طرقت به دوني فعيني تهمل). انظر الأغاني (١٣٠/٤).

(٢) تمامه مع ما بعده:

فلمــا بلغــت الســن والغايــة التي　　إلــيهامدى مــا كــنت فــيك أؤمــل

جعلــت جزائــي غلظــة وفظاظــة　　كأنــك أنــت المــنعم المتفــضل

وهذا البيتُ الثاني مركَّبٌ من أولى بيتين للبُحتريّ، أولهما:

(من الطويل)

(وَمَـا أَنَـا إِلا غَرْسُـكَ الأَوَّلُ الَّذِى
أَفَـضْتَ لَـهُ مَـاءَ الـنَّوَالِ فَأَوْرَقَا)[١]

والثانى قوله:

(من الطويل)

(وَمَـا أَنَـا بِالظَّمْـآنِ فِـيكَ إِلى الَّتِى
أَرَى بَـيْنَ قُطْرَيْها لِجَنْبِكَ مَصْرَعَا)[٢]

وكتب هو إلى يومًا:

(من المتقارب)

أَيَـا هَاجِـرِى وَالَّـذِى لَـمْ أَزَلْ
أُرَاقِـبُ مِـنْهُ لِعَيْـشِى انْفِـرَاجَا
لَقَـدْ لَـذَّ مَـوْرِدُ هَـذَا الـصُّدُود
وإِنْ كَـانَ، وَاللهِ، مِلْحًـا أُجَاجَـا
شَـقَائِى نَعِـيمٌ إِذَا مَـا رَضِـيتَ
فَزِدْنِـى شَـقَاءً تُزِدْنِـى ابْـتِهَاجَا

وكتب يومًا:

المستَمَدُّ من أَقلام السَّادةِ الفُضلاءِ، لا زالتْ سحائبُهم مُسْتَهلَّة،

---

(١) (بديوان البحترى: ٣/١٥٠٧) من قصيدة في المدح مطلعها:

لأوشـك شـعب الحـى أن يتفرقا   فيلمـى الجـوى، أو يـصبح الحـب أو لقا

(٢) (ديوانه ٢/١٢٩٢) برواية: «بجنبك». من أبيات في العتاب مطلعها:

أخـا علـة سـار الإخـاء فأوضعا   وأوشـك باقـى الـود أن يـتقطعا

ومناقبُهم المُستَكثَرَةُ بأعباء المَجْد مُستَقلّة، والأقدارُ تاليةً عليهم وعلى المملوك، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [1]- أن يَمُدُّوا هذا النَّظْمَ في وصْف الأقلام الشريفَة المخْدوميَّة، بما يُؤدِّى للخدمة فرضًا، وبما يقوم في هذه الأبيات (كالبُنْيان يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)[2]. فَكَرَمُ أفكارهم مشروع، وماعُونُ ألسَنتهم المُثْرية غيرُ ممنوع، وما اسْتمدَّ المملوكُ لشعره إلا كلَّ ذى بحرٍ طويل، وبرٍّ جميل، ولا استعانَ - ولا سيّما من صلاحِهم وجمالِهم - إلاَّ بخير صاحب وخليل، وهى[3]:

(من الطويل)

لأقْـلامِ مَـوْلاَنَا تَـنَا مُتَـضَوِّعُ
فَهَـا هِيَ فِي الكَافُورِ تَكْتُبُ بِالْمِسْكِ؟

فَـلاَ بـرحتْ بَذْرِيَّـةَ النَّصْرِ وَالعُلاَ
مُـؤَثَّلَةَ[4] الـنُّعْمَا مَـرْ هُـوبَةَ الفتْك

لَهَـا فِـى الوَغَى سَهْمٌ يَشُكُّ، وَلِلرَّجَا
وَعَيْـشُكَ سَـهْمٌ مِنْ نَدَاها بِلا شَكٍّ

وَيَبْتَـسِمُ الرَّاجِـى ارْتِـيَاحًا لِطِرْسِهَا
إِذَا هِـىَ أَهْـوَتْ مِـنْ مَسَرَّتِهَا تَبْكِي

---

(١) من الآية: (١٢٣: آل عمران).

(٢) من الحديث الشريف الذي رواه أبو موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» . وشبك بين أصابعه» متفق عليه. انظر (رياض الصالحين/١١٨) باب تعظيم حرمات المسلمين.

(٣) ورد البيت الأول والثانى والخامس دون ترتيب، ضمن قصيدة طويلة مطلعها: (ديوان ابن نباتة/٣٦٥):

خليلـي مـن مـصر قفا بك في السبك ... علـى عيـشنا بالنـيل في فلـك الفلـك

(٤) بالديوان: «مؤملة النعماء» .

عَـــوَارِفُهَا كَالْمُـــزْنِ دَائِمَـــةُ الـــبُكَا
وَأَدْرَاجُهـــا كالـــرَّوْضِ دَائِمَةُ الضِّحْكِ

فكتبت أنا عملاً بقوله:

(من الطويل)

يُجِـــيدُ العَطَايَـــا وَالْبَـــيَانَ فَقَدْ غَدَتْ
عَلَـــى كُـــلِّ حَالٍ وَهْيَ جَيِّدَةُ السَّبْكِ
وَتَطْعَـــنُ فِي صَـــدْرِ الجُـــيُوشِ قَـــنَاتُها
وَتَـــنفُذُ في قَلْـــبِ العَـــدُوِّ بِـــلاَ شَكِّ
ولم تـــرَ فـــيما قـــبلها قَـــصبًا إذا
تَـــلا وصْفَها الشادى غَنينا عن الجُنْكِ
إذَا عَايَنَـــتْهَا الـــسُّحْبُ هَطَّالَةَ النَّدى
عَلَـــى طِرْسِهَا البَسَّام قَالتْ: «قِفَانْبِكِ»
تَـــرَاهَا إِذَا صَـــلَّتْ بِـــصَوت فَصَاحَة
تَقُـــولُ وَلاَ تَعْـــصِي لَهَا جَاهُهَا: زَكِّي
فَتُـــسْعِدُ ذَا فَقْـــرٍ، وتُـــسْعِفُ عَـــائلاً
وتُـــنْجِدُ مَلْهُـــوفًا، وَتُنْجِـــي أخَا هُلْكِ
فَلَـــو رَامَ بَعْـــضُ التُّرْكِ أَمْدَاحَ وَصْفِهَا
لَقَـــالَ أَرَاهَـــا وَالسَّحَابَ غَدَتْ إِكِّي
وَلَـــوْ أَنَّ بَحْـــرًا مَـــدَّ سَـــاحِلَهُ لأَنْ
يُحَاكِـــي نَـــدَاهَا. قَال تَوْقِيعُها: سُكِّي

مُحمدُ بنُ محمد بنِ عبدِ المنعم القاضى الرئيسُ الفاضلُ الكاتبُ الناظمُ الناثرُ، تاجُ الدين أبو سعد السعدىّ المصرى، **المعروف بابْن البَارْ**

نُبَاري، كاتبُ الإنشاءِ بالدِّيارِ المصرية المحروسة، وصاحبُ ديوان الإنشاء الشريف بطرابلس المحروسة، وموقع الدّست الشريف بالشام المحروس(١).

كتبت أنا إليه من الرحبة المحروسة، بعد قدومى إليها من القاهرة المحروسة(٢): (من البسيط)

لَمَّـا أَتَـيْتُ دِمَـشْقًا بَعْدَ مِصْرَ وَفِى
عِطْفَـيَّ مِـنْكَ بَقَايَـا الفَضْلِ للرَّاجِى
عُطِّفْـتُ(٣) مِنْ أَجْلِ مَوْلاَنَا وَصُحْبَتِه
وَقِـيلَ: هَـذَا بِمِـصْرٍ صَاحِبُ التَّاج

[يُقَـبِّلُ الأَرْض](٤)، ويُنْهى بعدَ رفْعِ الدُّعاء، وحملِ الوَلاَء، وإشادةَ بناء الثَّناء، أَن المملوكَ سطَّرَها، وشَوْقُه قد ضاقت به الرَّحْبَة، وأَغار على مثاقَيلَ الـصبر(٥)، فما تركَ منها عند حبَّةِ القَلْبِ حبَّه، وذَكَّرَه الأيامَ السَّالِفة، حتى عاد نسيبُه بها أعظمَ نِسبَه:

(من الوافر)

كَأَنِّـى لَـمْ أَكُـنْ فى مِـصْرَ يَـوْمًا
قَطَعْـتُ بِـهِ الوِصَـالَ مَـعَ الأَحِبَّه

---

(١) المتوفى سنة ٧٥٦هـ. له ترجمة في: (الدرر ٣١٥/٤)، والوافى (٢٤٩/١)، ودرة الأسلاك (٥٦٨/٢)، وأعيان العصر (١١/١١-١٦). غيرها.

(٢) وردت الرسالة بالوافى (٢٥٠/١) وما بعدها. بمقدمة: «كتبت إليه من دمشق، وقد وردت إليها متوجهًا من الديار المصرية إلى الرحبة» . كما ذكرت الرسالة برمتها في: (أعيان العصر ١٣/١١أ).

(٣) «ظمت » بأعيان والوافى.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من (أعيان والوافى).

(٥) مثاقيل البصر بالوافى.

وَنِلْتُ القُرْبَ مِن سَادَاتِ دَسْت
مَحَلُّهُمُ عَلاَ كِيوَانَ رُتْبَه
إِذَا عَايَنْتَ في الإِنْشَا حُلاَهُم
تَرَاهُمْ بالنُّجُومِ الزُّهْرِ أَشْبَه
وإِنْ سَابَقْتَهُمْ عِلْمًا وَفَضْلاً
فَأَنْتَ إِذَا نَطَقْتَ سُكَيْتُ حَلْبَه
فَمَا ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ إِذَا أَتَاهُمْ
يُسَاوِى عِنْدَهُم في الفَضْلِ حَبَّه
خُصُوصًا تَاجُهُمْ سُقِيَ الغَوَادِى
مَحَلٌّ ضَمَّهُ واخْضَلَّ تُرْبَه
إِذَا أَخَذَ اليَرَاعَ فَلَيْسَ بَيْنَ الطُّـ(م)
ـرُوسِ وَبَيْنَ زَهْرِ الرَّوْضِ نِسْبَه
وَإِنْ نَطَقَ اسْتَفَادَ الْمَرْءُ مِنْهُ
مَحَاسِنَ تَسْتَبِى في الحَالِ لُبَّه
ولَيس الملكُ محتاجًا إِلى أن
يُعِدَّ كَتَائِبًا إِنْ عَدَّ كُتْبَه
لَهُ الفَضْلاَنِ في نَظْمٍ وَنَثْرٍ
إِذَا مَا جَالَ في شِعْرٍ وَخُطْبَه
أَيَا مَوْلاَى عَفْوًا عَنْ مُحِبٍّ
تَهَجَّمَ، فالبِعَادُ أَذَابَ قَلْبَه
بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ عَسَى تَرَاهَا
عَلَى بُعْدٍ مِنَ المَلْكِ قُربَه

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك[1]:

(من البسيط)

شُكرًا لِغَرْسٍ بِرَوْضِ الفَضل قَدْ نَبَتَا
وَوُدُّهُ فِي صَمِيمِ القَلبِ قَدْ ثَبَتَا

أَهْدَى إِلَيَّ كِتَابًا كُنتُ أَرْقُبُهُ
أَزَالَ عَنِّيَ مِن عَيْثِ النَّوَى العَنَتَا

مُبَارَكًا جَاءَ بِالحُسنَى فَأَحْسَنَ لِي
وَكَيفَ لاَ وَهْوَ مِنْ عِند الخَلِيلِ أَتَى؟!

[يُقَبِّلُ كذا][2] لا زالت ألفاظُه حليَةَ الممالك، وودُّهُ في النفوس ثابتًا وللقلوب خيرَ مالك، ومنزلُه من فضل الله رحيبَ السَّاحات، معمورًا بالسَّماحات في رحبة مالك - ويُنهي وُرُودَ مُشرِّف سَمَحَ ببيانه، ونفحَ بعرْفانه، وجَنَحَ إلى عوائد إحسانه، ولَمْ أَشْرَفَ المعانيَ بإنسانه، وربحَ إذ بَدا بفضل خطابه، وفَضلَ بنانه، (أَبَى اللهُ إلاَّ أن يَكُونَ لَهُ الفَضلُ)[3] في ابتدائه، والفوزُ بسبق تحيَّته وإنشائه، فقبَّلَه المملوكُ تقبيلاً، وفَضَّه فإذا

---

(١) ذكر الجواب في (الوافي ١/٢٥١، وأعيان العصر ١١/١٣ب).

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من (الوافي وأعيان).

(٣) عجز بيت لعثمان بن عمارة بن خريم، وكان على سجستان أيام الرشيد فطولب بخمسة آلاف درهم، وحبس، فقال: (الإبانة/٢٠٧، ومعجم الشعراء/٢٥٦):

أغثني أمير المؤمنين بنظرة		تزول بها عني المخافة والأزل
ففضلك أرجو، لا البراءة إنه		(أبى الله إلا أن يكون لك الفضل)

ونسب البيت في (معاهد التنصيص ١/٢٥١) إلى عامر بن عمارة بن خريم يقول في الرشيد:

فأحسن أمير المؤمنين، فإنه		أبى الله إلا أن يكون لك الفضل

البيانُ كلُّه جاءَ معه قَبيلا[١]، ورأى أدَبًا غَضًّا، ونظمًا ونثرًا فاقا من سلف عصْره وتَقضيَّ. ولقد ذكَر مولانا بأوقات قُرْبه، على أنَّ المملوكَ ما زالَ يَذكُرُها، وأقَرَّ عينًا ما برِحت تشهَدُ محاسنَه فتنظرها[٢].

(من البسيط)

أبْلــغْ أخَانَــا أدَامَ اللـــــهُ نعمَــتَهُ
أنّـــي، وإن كُــنتُ لاَ ألْقَـــاهُ، ألْقَـــاهُ
(الله يَعْلَـــمُ أنّـــي لَـــسْتُ أذكُـــرُهُ
وَكَـــيْفَ يَذكــرُهُ مَنْ لَيْسَ يَنسَاهُ)[٣]؟

ولقد تحملت بمولانا جهةٌ تصْدرُ أخبارُها بأقلامه، وتَصْدُرُ مُهمَّاتُها بمتين كلامه، ويبدو صلاحُها بألفاظه التي هى كالزُّلال في رقته، والدُّرِّ في نظامه. فبسط الله فَضْلَ مَن أمْتَعَ هذه المملكةَ بمولانا، وسيَّر ركابَه إليها، وطالما أوْلاه الخيْرَ وأوْلانا، قد شَمِلَ البعيدَ والقريبَ بفضله، وعمرَ مصرَ سؤدُدُه، وغمَرَ الشَّام بوَبْله.

(من الكامل)

(كالْبَحْــرِ يَقْــذِفُ لِلقَــرِيبِ جَوَاهِرًا
كَــرَمًا وَيَــبْعَثُ لِلبَعــيدِ سَــحَائِبًا)[٤]

ثم يعودُ المملوكُ إلى وَصفِ محاسنِ مَوْلانا التي مكَّنت في القَلب حُبَّه،

---

(١) بالوافى: «جاء كله معه قبيلا» .

(٢) وتنظرها: بالوافى.

(٣) هذا البيت للشاعر الصوفى الروذبارى – كما جاء في (كتاب اللمع، للسراج/ ٤٣١– ضمن أبيات – برواية: «وكيف أذكره؟ إذ لست أنساه» .

(٤) للمتنبى بديوانه/١٣٠، وبرواية: «جوا هوا جودا» من قصيدة مطلعها:

بــأبي الــشموس الجانحــات غوا ربا	اللابــسات مــن الحريــر جلابــبا

وأرْضَت بالوُدِّ مملوكه، وترِبه [وشيَّدت له في الأفئدة أرْفعَ رُتبه][1]:

(من الوافر)

أتَتْـــنا مِـــنْ ودَادك خَيْـــر هَـــبَّه
فَـــنعَّمَ طِيـــبُهَا عَـــيْشَ الأحِـــبَّه

وَزَارَتْـــنا عَلَـــى بُعْـــدٍ[2] فَأهْـــدَت
لَـــنَا أُنـــسًا بِـــه أُنْـــسِي تَنَـــبَّه

تُذَكِّرُنِـــــى بِـــزَوْرَتِهَا ائـــتلافًا
وَوَقـــتًا طَالَمَـــا مُـــتِّعْتُ قُـــربَه

نـــأى عَـــنْ مِـــصْرَ مِـــنْ مَوْلاَىَ أُنسٌ
فَأَلْقَـــى بَعْـــدَهَا رَحْـــبًا وَرَحْـــبَه

لِلَفظِـــكَ فِـــي الطُّـــرُوس عُقُودُ مَعْنًى
بِهَـــا دُرُّ التَّـــرائبِ قَـــدْ تَـــشَبَّه

وَخَطُّـــكَ لَـــمْ يَـــزَلْ دُرًّا ثَمِيـــنًا
لَـــه بالجَوْهَـــر الـــشَّفَّاف نـــسْبَه

بَـــنانُكَ منبَـــرٌ يَرْقَـــى[3] عَلَـــيْه
يَـــرَاعٌ، كَـــمْ لَهَـــا فِي الطِّرْسِ خُطْبَه

خَطَـــبْتَ مِـــن المَعَانِـــى كُـــلَّ بِكْـــرٍ
فَلَـــبَّت بالإِجَابَـــةِ خَيْـــرَ خِطْـــبَه

---

(١) الزيادة عن غير (ب)، والوفى .

(٢) على نأى: بالوافى.

(٣) «ترقى عليه» بالوافى.

كأنَّكَ قَدْ رَقِيتَ الأُفقَ عَفوًا
فأَعْطَى طِرْسَكَ الميمونَ شُهْبَه
فَدُمْتَ مُعظَّمًا في كُلِّ أرْضٍ
تَنالُ من السُّعُودِ أجَلَّ رُتْبَه

وكتب هو إليّ، ونحن بالمخيمّ السلطانيّ على طنان، ملغزًا في كتاب[1]:

(من السريع)

يَا مُبْدِعًا في النُّظم والنَّثرِ
وَفاضِلاً في عِلمِه يُثرِى
وَمُودِعًا مُهْرَقَه كُلَّ مَا
يُزرِى بِحُسْنِ النَّثْرِ والدُّرِّ[2]
إنْ أُحْكِمَتْ أَلفَاظُهُ أَصْبَحتْ
قَواطعًا تُربِى على البَتْرَ
مَا صَامِتٌ يَنطِقُ[3] إفْضَالُه
وَكَاتِمٌ لِلسِّرِّ في الصَّدْرِ
تُصْلِحُهُ الرَّاحَةُ لِكنَّه[4]
[يتعب في الطَّيِّ وفي النَّشْرِ

(١) ذكرت الرسالة في (الواف ٢٥٣/١)، وأعيان العصر (١٤/١١ب).
كما ذكر منها بيتان فقط في (الدرر ٣١٦/٤)، وهما (٤، ٥)، وطنان: من أعيان قرى مصر قرية من الفسطاط ذات بساتين. انظر (معجم البلدان ٦٠/٦).
(٢) بالوافي: «كل ما يزرى بحسن الدر والتبر».
(٣) «ما صامت تنطق ألفاظه» في: (الدرر).
(٤) الشطر الأول بالدرر هكذا: «تصلحه الراحة سكتة». وبداية الشطر الثاني بالوافي: «تتعب».

قَـــدْ أَشْـبَـه البِـيضَ وَلَكِـنَّهُ](١)
يَحْـتَـاجُ يـا ذَا الفـضْلِ للـسُّمْرِ
تفـرُّق اللـيلُ بأرجائـه
كأنـه وَصْـلٌ علـى هَجْـرِ
يَـسِيرُ عَـنْ أَوْطَانـه دَائِمًـا
للـنَّفْعِ في البَـرِّ وفي البَحْـرِ
إنْ كَـانَ يَـوْمًا ضَـيْفَ قَـوْمٍ غَدَا
يُقْـرِى، وخَيْـرُ الـناسِ مَـنْ يَقْرِى
فَهَـاتِ لِي عَـنْهُ جَـوَابًا كَمَـا
عَوَّدْتَنِـي يَـا عَـالِىَ القَـدْرِ

فكتبت أنا الجواب إليه(٢):

(من السريع)

أرَوْضَـةٌ تَبْـسِمُ عَـنْ زَهْـرِ
أَمْ أَكْـؤُسٌ دَارَتْ علـى(٣) الخَمْـرِ
أَمْ نَظْـمُ مَـوْلَانا فإنِّـى الَّـذِى
أَعُـدُّه مِـنْ جُمْلَـةِ الـسِّحْرِ؟!

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل. والزيادة عن النسخ المساعدة، وأعيان، والوافى والدرر في الشطر الأول.

(٢) ورد الجواب في (الوافى ٢٥٣/١، ٢٥٤)، و(أعيان العصر ١١/١٥أ).

(٣) «درات من الخمر» بأعيان والوافى.

إذْ كُـلُّ حَـرْفٍ مِـثْلُ[1] شَمْسٍ وإنْ
سَـامَحْت قُلْـتُ: الكَـوْكبُ الدُّرِّي
يَـا فَاضِـلاً مَـا مُـشْتَهِى نَظْمِـه
فِي الـنَّاسِ إلاَّ قِطَـعُ الزَّهْـرِ
وَكَاتِـبًا أَصْـبَحَ مِـنْ خَطِّـه
يُغْنِـي عَـن الخَطِّـيَّةِ الـسُّمْرِ
حَلَلْـتُ مَـا أَلْغَـزْته فِي الَّـذى
تَجْلُـوه لِـي فِـي حِبَـرِ الحِبْـرِ
مَـا فَـاهَ بالـنُّطقِ وَلَكِـنَّهُ
لَـهُ فُـنُونُ الـنَّظْمِ وَالنَّثْـرِ
يُخْبِـرُنَا عَمَّـا مَـضَى وَانْقَـضَى
وَمَـا جَـرَى فِي سَـالِفِ الدَّهْـرِ
لا يَكْـذِبُ القَـوْلَ إذَا مَـا رَوَى
فَقَـدْ حَكَـى صِـدْقَ أَبِـي ذَرِّ
وَعِـنْدَهُ لِلْحُـسْنِ دِيَـباجَةٌ
شَـبِيهَةٌ باللَّـيْلِ والفَجْـرِ
ذُرَّتْ علَـى كَافُـورِه مِـسْكَةً
لَـيْس لهَـا نَـشْرٌ مَـعَ النَّـشْرِ
كَـمْ أَقْـسَمَ الـبَارِي بِـه مَـرَّةً
مَـرَّتْ لَـنَا فِي مُحْكَـمِ الذِّكْـرِ[2]

(١) «إذا كل حرف منك» بأعيان والواف.

(٢) أقسم الله بالكتاب في الآية: (٢/الزخرف،٢/الدخان، ٢/ الطور، ...).

يَــا حُــسْنَ مَــا قَدْ قلتَ يُقرى، وهَلْ
تَعْــرِفُ فِــى الأَيَّــام مَــنْ يَقْــرِى؟
وَمَــا قِــرَاهُ غَيْــرُ سَــمْعِ الَّــذى
يُبِّــثُهُ باللُّـــبِّ وَالفِكْـــرِ
هَــذَا جَــوَابٌ إنْ يَكُــن رَاضِـيًا
بِـــهِ فَـــيَا عِـــزِّى ويَــا فَخْــرِى
وإنْ أكُـــنْ أخْطَـــأتُ في حَلِّـــه
فابْـــسُطْ علـــى مـــا اغْـــتَدَتْه عُذْرى
لا زِلْـــتَ تَرْقَـــى صَـــاعِدًا في العُـــلاَ
إلى مَحَـــلِّ الأَنْجُـــمِ الزُّهْـــرِ

وكتبتُ أنا إليه أيضًا عقيبَ ذلك[1]:

(من السريع)

بَلَّغَـــكَ اللهُ الأمَانِـــى فَقَـــدْ
أَطْرَبَنِـــى لُغْـــزُكَ لَمَّـــا أَتَـــى
يَحْلُـــو إِذَا كَـــرَرْتُ إِنْـــشَادَهُ
وَكَـــيْفَ لاَ يَحْلُـــو وَفِـــيهِ كَـــتا؟!

وكتب هو إليَّ أيضًا، ونحن على المنوفية[2]:

---

(١) ذكر البيتان في (أعيان١١/١٥ب) و(الوافي ١/٢٥٤). وعبارة البيت الثاني فيه: «حلا وقد كورت».

(٢) الرسالة برمتها مذكورة في (أعيان ١١/١٥ب)، والوافي (١/٢٥٤، ٢٥٥). وفيه: وكتب إلى أيضًا ونحن بالمخيم السلطاني على المنوفية. كما ذكر البيت الثالث والخامس من الرسالة في (الدرر ٤/٣١٦).

(من الكامل)

طُـرُقُ الـصَّواب بِك اسْتَبَانَ دَليلُهَا
وَبِـك اسْـتَقَامَ على السَّوَاءِ سَبِيلُها[1]

كَـمْ خُلَّـةٍ مَحْمُـودَةٍ أُوتِيـتَهَا
فِي المكـرُمَاتِ، وأنـت أَنـتَ خَليلُهَا

مَـا مُلْغَـزٌ الفَـاءُ مِـنه كَلاَمـه
وَحُـرُوفُهُ مـا شـانَهُنَّ[2] قَلِـيلُهَا

لاَ شَـيْءَ يَحْجُـبُهُ وَكَـمْ مـن دُونِه
مِـنْ حَاجِـبٍ، فعـلاهُ ثُمَّ[3] أثِـيلُهَا

إنْ طَـالَ مُـدَّ(٤) وخَيْرُهُ يا صَاحِ مَا
قَـدَ طَـالَ، وَالـنَّعْمَاءُ طَاب طَوِيلُهَا

وإِذَا أَهَـلَّ الـوَفْدُ مِـنْ مِـيقَاتِهِمْ
طُـوِيَتْ غَمَامَـتُهُ وَزَالَ ظَلِـيلُها

كَـمْ أَوْضَـحُوا فَـرْقًا فَأَخْفَاهُ، وَمَعْ
هَـذا إِبَانَـتُهُ دَنَـا تَعْجِـيلُهَا

وَمَحَلُّـهُ كَمَحَـلِّ مَـوْلاَنَا غَـدًا
يَـسْمُو، فَـرِفْعَتُهُ رَسَـا تَأْصِـيلُها

(١) بأعيان والواف: «استبان سبيلها .... على السواء دليلها» .
(٢) بالدرر: «ما ملغز والفاء .... وحروفه ما شاهن قليلها» .
(٣) بأعيان، والواف: «فعلاه تم» .
(٤) «إن طال مل» بالواف.

فاحْلُلْــهُ لابَــرِحَتْ يَــرَاعُكَ كالظُّبي
فَـــصَرِيرُها مِـــنْهُ يُمَـــدُّ صَـــلِيلُهَا

فحللتُه في شاش. وكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[1]:

(من الكامل)

جَــاءَتْ تُــدَارُ على النُّفُوسِ شَمُولُها
وتُجَــرُّ مــن فَــوْقِ الــرِّيَاضِ ذُيُولُهَا
أبْــيَاتُكَ الغُــرُّ الــتي أبْدَعْــتَها
تُطْــوَى عَلــى جُمَلِ الجمَالِ فُصُولُها
وَيَــسِيرُ في الآفَــاقِ ذِكْــرُك لي بِهَا
وَتَهُــبُّ بالإقْــبَالِ مِــنْكَ قَــبولُها
قــدْ ألْغَــزَتْ لِــي في مُــسَمًّى وَاحدٍ
وَلَــه مَقَادِيــرٌ تَفَــاوَتَ طُــولُها
كعَمَامَــةٍ تُرْخَــى، علــى لَــيْلِ الشبا
بِ الغَضِّ أو صُبْحِ المشِيبِ، ذُيولُها
لا يَــستحيلُ إذا قلَــبْتَ حُــروفَه
بــالعكس، بــل يَبْقــى لهــا مَدْلولُها
وَحُــرُوفُه بَــيْتٌ وبَاقِــي لَفْظِــه
أُسٌّ عَلــى التَّــصْحِيفِ رُحْتُ أَقُولُها
هَــذَا الجَــوَابُ وَغَايَــةُ الفَضْلِ التي
قَــدْ نِلْــتَها في الــنَّظْمِ لَسْتُ أطُولُها

(١) ورد الجواب في: (أعيان العصر ١١/١٥، ١٦)، و(الوافي ١/٢٥٥).

فَلَــكَ الــنُّجُومُ تَــسِيرُ فِي فَلَكِ العُلاَ
مَــا شَــانُها بَعْــدَ الطُّلُــوعِ أُفُــولُهَا

وكتب هو إلىَّ عقيبَ ذلك[1]:

(من المجتث)

المِــــسْكُ مِـــنكَ خِـــتَامُ
ورَاحَــــــتَاكَ غَمَـــــامُ
الخَــــطُّ رَوْضٌ نَــــدِيمٌ
واللفـــظُ حُلــــوٌ مُـــدَامُ
والــــسِّحْرُ قَـــولُكَ لكِـــن
(م) الــــسِّحْرُ أَمْـــرٌ حَـــرَامُ
أَجْتَنِــــى عَـــنْ مُعَمًّــــى
بِـــــسُرْعَةٍ لا تُـــــرَامُ
فِـــى القَلْـــب حُـــبُّكَ ثَـــاوٍ
لَـــــهُ أَقَـــامَ غَـــرَامُ
فَأَنْــــتَ حَقًّـــا خَلِـــيلٌ
عَلَــــى الخَلـــيلِ الـــسَّلاَمُ

فأجبتُه أنا على هذه القطعة[2]:

(من المجتث)

أَجَوْهَـــــرٌ أَمْ كَـــــلاَمُ؟!
وَقَهْــــوَةٌ أَمْ نِظَــــامُ؟!

---

(١) الأبيات مذكورة في (أعيان ١١/١٦أ)، والوافي (١/٢٥٥، ٢٥٦).
(٢) القصيدة برمتها مذكورة في (أعيان١١/١٦ب، والوافي ١/٢٥٦).

أمِ البدُورُ تَجلَّتْ
فانْجَابَ عَنَّا الظَّلامُ؟!
أمِ الحَدَائِقُ وَشَّى
منها البُرُودَ غَمَامُ
غُصُونُها ألِفَاتٌ
والهَمْزُ فيها حَمَامُ
أشْبَهَ السَّطْرُ كأْسًا
فيها المَعَانى مُدَامُ[1]
أوْ أعْيُنًا فاتِنَاتٍ
يَصْبُو لَهَا المُسْتَهَامُ
وَحَشْوُهَا السِّحْرُ بَادٍ
وَلاَ أقُولُ السَّقَامُ
أقْلاَمُكَ الحُمْرُ فيهَا
للنَّائِبَاتِ سِهَامُ
كَمْ قَدْ أصَابَتْ لِمَرْمَىً
وَلَمْ يَفُتْهَا مَرَامُ
أثْنَتْ عَلَيْكَ المَعَانِى
وَالكاتِبُونَ الكِرَامُ
وَقَلَّدَتْكَ المَعَالِى
إذْ أنْتَ فينا إمَامُ

(١) في (ب ((أشبه الطرس كأسًا فيه ....)) .

فَأَنْـــتَ أَشْــرفُ تــاجٍ
فِي فَـــضْلِه لاَ يُـــرَامُ
لَـــهُ عَلَـــى كُـــلِّ راسٍ
فـــاءٌ، وضـــادٌ، ولامُ

فكتب هو الجوابَ إِليَّ أيضا[1]:

(من المجتث)

أَلْفَاظُـــكَ الغُـــرُّ أَضْـــحَتْ
بُـــرُوقُهُنَّ تُـــشَامُ
لأَجْـــلِ ذَلِـــكَ سَـــحَّتْ
مِـــنْ سُـــحْبِهِنَّ زُكَـــامُ[2]
فاحْـــبِسْ سُـــيولَك إِنَّ الْـــ
ـــبُـــيُوتَ هَـــذِى الخِـــيَامُ
مِـــصْرٌ بِهَـــا قَـــدْ تَحلَّـــتْ
كمـــا تحلَّـــى الـــشَّآمُ
عَـــنْهَا يُقَـــصِّرُ قُـــسٌّ
والـــسَّالِفُونَ الكِـــرَامُ
أَمْـــثَالُها سَـــائِرَاتٌ
وَمَـــا لَـــهُنَّ مَقـــامُ
بُـــدُورُها طَالِعَـــاتٌ
لَهـــا الـــتَّمامُ لِـــزَامُ

(١) ورد هذا الجواب في (أعيان ١١/١٦ب، والوافي ١/٢٥٦، ٢٥٧).

(٢) بأعيان والوافي: «هن سحبهن ركام» . وفي (ز): «من سحبهن أكام» والزكام: الأرض.

وفي العَشيِّ أتتني
منها وُجوهٌ وِسَامُ
تُعزَى إلى العُرْبِ لَمَّا
يُرْعَى لَدَيْها الذِّمَامُ
لَهَا العُيونُ عُيونٌ
وَالنُّونُ فيها لِثَامُ
فَكُنَّ خيرَ سَمِيرٍ
حَتَّى تَقَضَّى الظَّلامُ
وَكُلَّمَا دَارَ دَوْرٌ
مِنْ خَمْرِهَا جَاءَ جَامُ
هَذَا جَوَابُ جَوَاب
قَدْ كَلَّ فيه الكَلامُ
فاسْتُرْ لَهُ كُلَّ عَابٍ
إذْ أنْتَ فِينَا إمَامُ

محمدُ بن محمد بنِ عبد الرحمن بنِ يُوسفَ، الشيخُ الإمامُ العالِمُ العلاَّمةُ الفريدُ الكَاملُ البارِعُ، نسيجُ وحده، رُكنُ الدين، أبو عبد الله **ابنُ القوبَع الجعْفَريُّ التونسيُّ المالكيُّ**[1].

كتبت أنا إليه بالقاهرة سنة ثمانٍ وعشرينٍ وسبعمائة استدعى منه الإجازةَ لي[2]:

(١) المتوفى سنة ٧٣٨هـ. له ترجمة في: (الدرر ٤/٢٩٩، وذيل وفيات الأعيان ٢/ ٣٠٠) الوافي (١/٢٣٨)، وبغية الوعاة (١/٢٢٦)، والمنهل الصافي (٣/٢٧٢)، وأعيان (١١/٢ وغيرها).

(٢) صورة طلب الإجازة مذكورة (بالوافي ١/٢٤٣ وما بعدها، وأعيان العصر ١١/٤، ٥).

المسئولُ من إحسانِ سيِّدنا الشيخ الإمامِ العلاّمة، الكاملِ، جامعِ شتاتِ الفضائل، وارثِ علوم الأوائل، حُجَّةِ المناظرين، سيفِ المتكلمين: (من الكامل)

سَــبَّاقِ غَايــاتِ الــوَرَى في بَحْــثِه
فالبَــرْقُ يَــسْرى في الــسَّحاب بَحَثِّه
وتَهُــبُّ[(١)] مــنه بالــصَّوَابِ صَبًا لَهَا
بَــردٌ علــى الأكْــبَادِ سَــاعَةَ نَفْــثِه
وَيَــضُوعُ مِــنْ تِلْكَ المَبَاحِثِ مَا يُرى
أشْــهَى مِــنَ المِــسْكِ السَّحِيقِ وَبَثِّه

المتكلِّم التي[(٢)] ذُهلَتْ بصائرُ أُولى النطق نحوه، وأَنتَجَتْ مقدِّماتُه المطلوبَ عنوْه[(٣)]، ووقف السَّيفُ الآمديُّ[(٤)] عند حدِّه، فما للآمديِّ في مداه خَطوَه، وحازَ رُتبَ النِّهاية، فما لأبى المعالى بعدَها حظوه، فهو الزَّارِى على الرَّازى[(٥)]، لأن قُطْبَ علومه من مصره، ومَحْصولَه

(١) بالوافى (ويهب).
(٢) المتكلم الذى: بالوافى.
(٣) بالاصل: «غبوة» .
(٤) بالوافى: «ووقف السيف عند حده» .
(٥) من أبيات للصفدى كتبها على كتاب (المحصل) للإمام فخر الرازى. قوله (نصرة الثائر/٤٧):

لــه مــباحث كــم أحــرقت شبها		بــشهبها، فمــن الــزارى على الرازى

والإمام فخر الدين الرازي، هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، الشافعي، المفسر، المتكلم، المتوفى ٦٠٦هـ انظر (شذرات الذهب ٢١/٥، ٢٢ط المقدسي) و(البداية والنهاية ٥٥/١٣ط الأولى).

ذهبَ قبل دخول أَوان[1] عصْرِه، والفقيهُ الذي رَفَع لصاحب الموْطّأ[2] أعلامَ مَذهبه مُذْهبةً، فمالكٌ عنه رضْوان، وأسفر وجوه اختياره خاليةً من كَلف التّكَلُّف حاليةً بالدليل والبُرهان، وأبرزها في حلاوة عبارَته فهو جَلاّبُ الجُلاّب[3]، وأظهرَ الأدلّةَ من مكامن أماكنها، وطالَما جَمَحَتْ تلك الأوابد على الطلاب. والنحويُّ الذي تركتْ لُمَعُهُ الخليلَ أخفَش[4]، وأعْرَتِ الكسائيَّ ثوْبَ فخره الذي بَهَرَ به سيبويه وأدْهَش، فأبْعَد ابنَ عُصفور[5] حتى طار عن مقَرِّبه، وأمات ابْنَ يعيشَ لما أخْلَقَ مُذْهبَ مَذْهبه. والأديبُ الذي هو روْضٌ جمعَ زاهرَ الأداب، وحَبرٌ قَلّد العقْدَ أجْيادَ فنّه الذي هو لُبُّ الألباب، وكاملٌ أخذَ كتّابُ الأدب عنه أدبَ الكتاب. فإذا نظمَ قُلْتَ هذه الدراريُّ في أبراجها تّتَّسق، أوْ خلْتَ الدُّررَ تتَنَضَّدُ في ازدواجها[6] [و] تَنْتَسق، أو نثرَ فالزَّهرُ يتطلَّعُ غبَّ غمامه من كمامه، والألفاتُ[7] غصونٌ تَرنَّحُ معاطفُها لحمائم همْزه التي هي كهمزِ حَمامه. والطبيبُ الذي تحلّى منه بُقراطُ بأقراط، وسقَط عن درجته سُقْراط. فالفارَابي[8] ألْفاه رابيًا،

---

(١) بالوافي: أوانه.

(٢) يقصد الإمام مالك ﷺ وكتابه في الفقه.

(٣) الجلاب، ماء الورد.

(٤) بالأصل: «أفحش» واخترت ما في (ز)، والوافي.

(٥) ابن عصفور، هو أبو الحسن على بن مؤمن بن محمد بن عصفور فرحون الأشبيلي. أعظم لغوى في عصره في الأندلس، . توفي سنة ٦٦٣هـ انظر (كارل بروكلمان ٥/٣٦).

(٦) بالاصل: «في ازدواجها تنسق» والزيادة عن: (ب)، وأعيان والوافي.

(٧) بالوافي: «فالزهر يتطلع من كمامه غب غمامه، وألفات» .

(٨) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، لقب بالمعلم الثاني لأنه شرح كتب أرسطو. وعني إلى جانب الفلسفة بالعلوم الرياضية وبالموسيقى. قتل سنة ٣٣٩ =

وابنُ مسكوَيْه(١) أمسك عنه مُحاشيًا لا مُحابيًا، وابنُ سيناءَ(٢) انْطبَقَ قانونُه على جميع جُزْئياته وكُلّيَّاته، وَطلبَ الشِّفاءَ والنجاةَ من إشاراته وتنْبيهاته. فلو عالجَ نسيمَ الصَّبَا لما اعْتَلَّ في سَحَرِه، أَو الجفْنَ المريضَ لزانَه وزَادَه(٣) من حَوَرِه رُكنِ الدِّينِ محمدِ بنِ محمد بنِ عبدِ الرَّحمن الجعفريِّ المالكيِّ.

(من السريع)

لاَ زَالَ رَوْضُ العِلْـمِ مِـنْ فَـضْلِه
فِي كُـلِّ وَقْـتٍ طَـيِّبِ النَّـشْرِ
وَكُلَّمَـا(٤) يُـبْدِعُهُ لِلْـوَرَى
تَطْـوِيهِ فِي الأَحْـشَاءِ لِلنَّـشْرِ
وَتَزْدَهِـي الدُّنْـيَا بِمَـا حَـازَه
حَتَّـى تُـرَى دَائِمَـةَ البِـشْرِ

- إجازةُ كاتبِ هذه الأَحرف مالَه من مقولٍ منظومٍ أَوْ منثور، وَضْعٍ أَو تأْليف، جمعٍ أو تصنيف، إِلَى غير ذلك على اختلافِ الأَوْضاع، وتبايُنِ الأَجناس والأَنواع. وذكرتُ أَشياءَ مذكورةً في الاسْتِدْعاءِ.

فأَجاب هو بخطه(٥):

هـ. (الوافي ١/١٠٦).

(١) هو: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه. عمل كاتبًا للوزير المهلبي ثم لعضد الدولة وصمصام الدولة البويهيين بالري، ولوزيرهما ابن اعميد وأبي الفتح. ولكنه اشتغل أيضًا باللغة والفلسفة والطب. توفي سنة ٤٢١هـ (انظر ترجمته) الوافي (١٠٩/٨)، وكارل بروكلمان ١١٨/٦).

(٢) بالوافي: «وابن سينا».

(٣) بالوافي: «وزاد».

(٤) «وكل ما» بالوافي. وهو الأفضل عندي.

(٥) وردت الإجابة في (أعيان ٥/١١، والوافي ٢٤٥/١، ٢٤٦).

يقول العبدُ[1] الفقيرُ إلى رحمة ربه، وعفوه عمَّا تعاظم من ذنبه، محمدُ بنُ محمد بنِ عبد الرحمن القرشيُّ الجعفريُّ، المعروفُ بابن القُوَيع، بعدَ حَمْد الله ذى المَجْد والسَّنَاء والعظمة والكِبْرِيَاء، الأوّل بلا[2] ابتداء، والآخرِ بلا انتهاء، خالقِ الأَرْضَ والسماء، وجاعلِ الإصباح والإمساء، والشكرِ له على ما مَنَّ به من تَضَاعُف الآلاء، وترادُف النعماء؛ نَحْمَدُهُ ونَذْكُرُه، ونعبُدُه ونشكرُه لتفرُّده باسْتحقاق ذلك، وتوفُّر ما يَسْتَغْرِقُ الحمدَ والشُّكْرَ هنالك، مع ما خصَّنا به من العلم، وأضاءَ به بضيائه من نُور الفهْم. ونُصَلّي على نبيِّه محمد سيِّد العرب والعَجَم، وعلى آله وأصحابه الذين فازوا من كلِّ فضلٍ بعظَمِ الحظّ، ووفور القِسَم: أجَزْتُ لفلان، وذكرني.

(من الكامل)

جَمَّــاعِ أشْــتَاتِ الفَــضَائِلِ وَالَّذِى
سَــبَقَ الــسِّرَاعَ بِبُطْــئِهِ وَبِمُكْــثِهِ
فَكَـــأَنَّهُمْ يَتَعَثَّـــرُونَ بِجَـــدْوَلٍ
وَيَـــسِيرُ فِي سَــهْلِ الطَّــرِيقِ وبَرْثِهِ[3]
أَزْرَى بِــسُحْبِ بَــيَانِهِمْ فِي هَطْلِهَــا
فِــيمَا يَــبِينُ بِطَلِّــهِ وَبِدَثِّـــهِ[4]

جميعَ ما يَجوزُ لى أن أَرْوِيَهُ مما رَوَيْتُه من أصناف المرويَّات، أو قُلْتُهُ نظما أو نَثْرا، أو اخترعْتُه من مسألة عِلْمِيَّة مفتتحا، أو اختَرتُه من أقوال

(١) بدئت العبارة في الأصل بقول: «**العبد الفقير**» .
(٢) باللأصل: «**بلا الابتداء**» .
(٣) البرث: الأرض السهلة.
(٤) الدث: المطر الضعيف.

العلماء، واستنبطتُ الدَّليلَ عليه مُرَجَّحا، مما لم أضَعْه في[1] تصنيف، ولا أجْمَعْه في تأليف، على شَرْطِ ذلك عند أهْلِ الأثر:

(من السريع)

وفقَــــه الله لِمَـــا يَرْتَــضِي
في القَـــوْلِ وَالفِعْـلِ وَمَـا يَـدْرِي
وَزَادَهُ فَــضْلاً إلى فَــضْلِه
بِمَـــا بِـــه يَــأْمَنُ في الحَـشْرِ
فَهَـــذِهِ الـــدَّارُ بِمَـــا تَحْـتَوِي
دَارُ أَذًى مَـــلأَى مِـــن الـــشَّرّ
دلَّــتْ بَنِــيهَا بِغُــرُورٍ فَهُـمْ
في عَمَــهٍ[2] عَــنْهُ وفي سُــكْرِ
قَــدْ خَدَعَــتْهُمْ بِــزَخَارِيفِهَا
مُعْقِــبَةً لِلْغَــدْرِ بالغَــدْرِ
تُــرِيهُمْ بِــشْرًا وَيَــا وَيْحَهُــمْ
كَــمْ تَحْــت ذَاكَ البِـشْرِ مِـنْ مَكْرِ
بَيْــنَا تَــرَى مُبْــتَهِجًا ناعِمًــا
ذَا فَــرَحٍ بالنَّهْــي وَالأمْــرِ
آمَــنَ[3] مَــا كَــانَ وَأَقْـصَى مُنًــى
فَاجَــأَه قاصِــمَةُ الظَّهْــرِ

---

(١) «لم أصنعه» بالواني.

(٢) بالواني: «دلت بنيهم .... في عمة» .

(٣) بأعيان، والواني: «آمن» . وهو ما اخترته، إذ بالأصل: «آمن» .

فَعَدِّ عَنْهَا ، وَاشْتَغِلْ بِالَّذِي
يُولِيكَ خَيْرًا آخِرَ الدَّهْرِ
فَإِنَّمَا الخَيْرُ خَصِيصٌ[1] بِمَا
تَلْقَاهُ بَعْدَ المَوْتِ وَالنَّشْرِ
هَذَا إذا مَنْ الَّذِي تَرْتَجِي
رُحْمَاهُ بالصَّفْحِ وَبِالغَفْرِ
وَزَادَ رِضْوَانًا فَهَذَا الَّذِي
يُدْعَى بِهِ لأَطْوَلِ العُمْرِ

ويُؤَيِّدُ هذا ما أخبَرَنَاه الشيخُ الإمامُ العالمُ، العاملُ، الزَّاهدُ، الورِعُ، المسندُ؛ تقيُّ الدين أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليٍّ بنِ الواسطيِّ قراءةً عليه، ونحن نسمَعُ بدمشقَ في شوَّال سنة إحدى وتسعين وستِّمائة. قيل له: أخبرَكم أبو البركات، داودُ بنُ أحمدَ بنِ مُلاعب البغداديّ قراءة عليه بدمشْقَ، وأبو الفرج، الفتحُ بنُ عبد الله بنِ عبدِ السلام[2] البغداديّ، قراءَة عليه ببغدادَ، قالا: أخبرنا الحاجبُ أبو منصور أبو شتكين[3] بنُ عبْد الله الرِّضْوَانىّ قراءةً عليه. قال: أخبرنا أبو القسم عليُّ بنُ أحمدَ البسْرى ح، وأخبرنا[4] ابنُ مُلاعب، وأبو عليٍّ الحسنُ بنُ إسحاقَ بنِ الجواليقى ببغدادَ. قالا: أخبَرَنَا أبو بكر محمدُ بنُ عُبيد الله بنِ[5] الزَّاغونى، أخبرنا الشريف أبو نصرٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ على الزَّيْنَبِيّ. قالا:

(١) بالأصل: «حضض».
(٢) «عبد السلم» في (الواف).
(٣) بالواف: أبو منصور أنو شتكين.
(٤) «البسرى ح» هكذا بالأصل. هذا، واكتفى بالواف بلفظ «أنا» بدلا عن «أخبرنا». ولفظ «ثنا» بدلا عن «حدثنا». وكذا إلى آخر الإسناد.
(٥) كلمة «بن» ساقطة من الواف.

أَخْبَرَنا أبو طاهر محمد بنُ عبد الرحمن المخلِّص الذهبيّ، حدثنا أبو القاسم[1] عبدُ الله بنُ محمد بنِ عبد العزيز البَغَويّ. حدثنا خَلَفُ بنُ هشام البزّارُ سنة ست وعشرين ومائتين؛ حدثنا عبدُ العزيز بنُ أبي حازم عن أبيه عن سَهْل بن سعد، قال: قال رسول[2] الله ﷺ ونحن نحفر الخندق، وننقُلُ الترابَ على أكتافنا: «**اللّهُمَّ لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخرَة**»[3]. مختصر. وهذا الحديثُ من أعلَى ما أرويه ونسأَلُ الله حالاً يرْضاها، ونَرْضَاها[4]، إنه سميعُ الدُّعاء، فعّال لما يشاءُ. وله الحمدُ والمنَّة. كتبه محمدُ بنُ القويع ليلةَ التّاسع والعشرين من رجب سنة ذكح[5].

محمدُ بنُ محمد بنِ عبد الكريم [بن][6] رضوان بن عبد العزيز الشيخُ الإمامُ الفقيهُ المحدِّثُ، الناظمُ، الناثرُ، شمسُ الدين، **المعروفُ بابْن الموصلي**، أحدُ مُفيدى الجامع الأمَوىّ، خطيبُ جامعِ المرحوم الأميرِ سيفِ الدين يَلُبُغَا اليحيوىّ الناصرىّ بدمشق المحروسة[7].

كَتب هوإلىّ من طرابلس المحروسة، وأنا يومئذ بدمشق المحروسة.

---

(١) بالوافى: (أبو القسم عبد الله).

(٢) بالوافى: «**قال النبي**» .

(٣) تمام الحديث الذى رواه سهل بن سعد: «**فاغفر للمهاجرين والأنصار**». انظر (صحيح البخاري جـ٥ ١٣٧أ باب غزوة الخندق) طـ الشعب على أني أحفظ هذا الحديث برواية: «**اللّهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرَة، فاغفرْ للأنصار والمهاجَرة**» .

(٤) بالوافى «**يرضاها ورضاها**» .

(٥) يقصد بالحروف الثلاثة «**ذكح**» - بحروف الجُمّل، بضم الجيم وتضعيف الميم المفتوحة - : سنة ٧٢٨هـ . باعتبار أن الذال = ٧٠٠، والكاف = ٢٠، والحاء =٨. فيكون التاريخ سنة ٧٢٨هـ. وبهذا يكون كلمة «ذلح» التي جاء بالوافى تحريفاً.

(٦) الزيادة عن النسخ المساعدة، والدرر، وشذرات الذهب وغيرها.

(٧) المتوفى سنة ٧٧٤هـ. له ترجمة في : (الدرر ٣٠٦/٤)، وشذرات الذهب ٢٣٦/٦)، والوافى (٢٦٢/١)، وبغية الوعاة (٢٢٨/١)، وإنباء الغمر (٥٢/١)، والمنهل (٣/ ٢٨٨)، ودرة الأسلاك (١٨٤/٣). وغيرها.

سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة[1]:

يُقبِّلُ الأرض، ويُنْهي أنَّ المملوكَ لم يزلْ يلتقطُ من فرائد أسفار السُّفار، فوائدَ أخبار الأخيار، ويبحثُ عن كنوز العلم ومعادن الأدب، ليفوزَ منها بمطْلَب يُخفِّفُ عنه مئونَةَ الطَّلَب، حتى سمع[2] من سجايا مولانا الكريمة ما هُو ألطفُ من النَّسيم، وأحْلى من الضَّرَب، بل ألذُّ من مُنادَمَة الحبيب، وقد سلُف المحبَّ سُلافَةَ[3] الشَّنَب، فمن مُشبِّب بقصبات سبْق مولانا في الفضائل، ولا تشبيب القصَب، ومن مُتَغنٍّ بل مُستَغْنٍ بوصْف شمائله عن اطِّلاعِ شموس الشَّمول وبُدور الحَبَب، فثملَ المملوكُ من سماع هذا الذِّكْرِ الجميل، حتى ماسَ عِطْفُهُ[4] من الطَّرَب، وفي حَانِ سُكْرى حانَ شُكْرى لمولانا، فإنه كانَ في مسرَّتي السَّبَب، ولم تَزلْ عرائسُ محامده تُجْلَى، ونفائسُ مدائحه تُتْلى، [حتى][5] رغبَ المملوكُ في خِطْبة عُبوديَّته، وإن لم يكنْ لها[6] أهْلا، على صداق قَلْب صادق في وفائه، وافٍ في صدقه، مُخْلص في صفائه؛ يُوالَى الدُّعاءَ، ويدعو على الوَلاَءِ، ويُديمُ الشكرَ، ويَشْكرُ على الآلاء. وقد أشهدَ المملوكُ ﴿ذَوَىْ عَدْلٍ﴾[7] على ما ذكر، وهما الوفاءُ والصَفاءُ، وإن عزَّا في البشر، وحين أشْهَدَهما كان[8] لا ساهٍ ولا لاهٍ، فيرجو أن يقومَ بما

(١) وردت الرسالة برمتها في الوافى ٢٦٣/١ وما بعدها).

(٢) «عن سجايا» ؛ بالوافى.

(٣) «سلاف الشنب» : بالوافى.

(٤) «ماس عطفى» بالوافى.

(٥) الزيادة عن النسخ المساعدة والوافى.

(٦) بالوافى: «لم يكن له» .

(٧) من الآية (٢: الطلاق).

(٨) «غير ساه» بالوافى.

التَزَم، وأن يُقيما الشهادَةَ لله[1]، على أن يُسكنَها المملوكُ صميمَ فُؤاده، ويُحلّها مَحَلَّ الناظر من سواده، ويتبَعَ أمْرَها اتِّباعَ الصِّفَة للموصوف، ويُمْسكَها مدى الزّمان بمعروف. فإن رأى جَبْرَ المملوك بما له قَصَد، وإليه صَمَد، فليضربْ صفحًا عن كفاءَة الفضائل التي بها قد انْفَرد، فقد علم أنه ﴿لم يكنْ له كُفُوًا أحَد﴾ ، وهل تُكَافي[2] مُحلّيات العقود ﴿النفَّاثاتُ في العُقَد﴾ ، أو يُنْظَمُ دُرُّ السّحاب في ﴿حبل من مسد﴾ ، أو يُقابَلُ دَرُّ السَّحاب بلمع السراب والثمد؟!. لكنْ كرمُ عادة مولانا، وعادةُ كَرمه ألاّ يَرُدَّ حُرمَةً للقصْد قاصدُ حَرمه، لا سيَّما وطفيليُّ المحبة أحْمَق، وفدّانُ العشْق كما يُقال مُطْلَق. وليس المملوكُ على هذا المنهلِ العذْب أوّلَ وارِد، فيكونُ لحُرمة هذا القَصد أحْرَمَ قاصد؛ لكنَّه يرجو من الصَّدقات الشَّريفَة الإسْعادَ والإسْعَاف، وأن يكونَ جوابُه الشريفُ مُقدِّمَةَ الزّفَاف؛ لتَقَرَّ عَيْنُ الطَّلَب ببلوغ الأُمْنيَّة، ويقومَ سماعُ المسرَّة بالنَّوْبة الخليليَّة، وتُجْلَى عرائسُ البلاغة في حُلل نفثّاتها[3] السِّحْريَّه، وتُتْلَى نفائسُ البَراعة بألحان نَفَحَاتها السَّحَريَّه، فيفتَحَ لى إلى جنان الجناس بابًا، ويزوِّجَ مُسَكرات[4] معانيه، بأكفائها ﴿أبكارًا، عُرُبًا أتْرَابا﴾ [5]، فيَجْهَرَ داعى البركة واليمن بالتأمين، وأُجلَّ سعْدَ هذَا الجدِّ عن الرِّفاء والبنين، ويَطوفُ براحات الكئوس لراحات النفوس راحُها، ويبتدىء بإهداء أطباق الطّباق صَلاحُها، ثمارَ آداب قد انتهى إصلاحُها، وأُجلُّها عن قولِ (بَدَا صَلاحُها)، فأرْتَعَ في رياضها. وأكرَعَ من حياضها، وأغترفَ

---

(١) بالوافى: «لله» .

(٢) بالوافى: «لم يكن فيها كفوا أحد، وهل يكافى» .

(٣) بالأصل : «في حلل أنفاثها» واخترت ما في النسخ المساعدة والوافى.

(٤) بالوافى: «ويزوج مبتكرات» . ولعلها أفضل.

(٥) من الآيتين (٣٦، ٣٧: الواقعة).

من بحرِها، وأعترفَ بحَبرِها، وأسمو بكتابها المحلَّ الأسنَى، فأصيرَ مُكاتَبًا بعد أنَ كنتُ عبْدًا[1] قِنًّا، وتلك دَرَجةٌ لا أطلبُ بعدها التجاوُزَ إلى التَّحرير، ولا أُكلِّفُ خاطِرَه الشريفَ في المكاتبة إلى التحبير والتحرير، بل يكتفى المملوكُ بأدنى لمحة من مُلَحِها، وينثنى[2] بُلالة قطرة من قدَحِها. والله تعالى لا يُخلي مولانا من نعمة يُؤبِّدُها، [ونعمة يؤيدها][3] ومنَّةَ يجدّدُها ومُنَّة يُشيِّدُها، وأُمْنيَّة يُسدِّدُها، وسعادة يُؤَكِّدُها، وسيادَة يُوَلِّدُها. [بمنّه وكرَمه، إن شاءَ اللهُ تَعالى][4].

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[5]:

(من الطويل)

أَرَوْضٌ بَكَــاهُ فِي الـــصَّبَاحِ غَمَـــامُ
فَغَــنَّتْ عَلَـى الأغْــصَانِ فيهِ حَمَامُ؟!

أَمِ الأُفُــقُ لاَحَـــتْ زُهْـــرُهُ وَتَلأْلأَتْ
فَأَحْـــسِنْ بِـــنُورٍ قَـــدْ حَـــوَاهُ ظَلاَمُ؟!

أَمِ الـــشَّمْسُ حَيَّـــتْنِي بِكَـــأْسٍ رِسَالَةً
لَهَـــا المِـــسْكُ مِنْ فَوْقِ الرَّحِيقِ خِتَامُ؟!

أَتَتْنِـــيَ بَـــدْءًا مِـــنْ كَـــرِيمٍ مُمَجَّـــدٍ
غَـــدًا، وَهْـــوَ فِي الفَـــضْلِ التَّمامِ إِمَامُ

---

(١) «بعد أن كنت قنا» بالواف. والعبارة مأخوذة من قول بها الدين السبكى؛

وقــد كــنت عــبدًا للكتابة أبتغى فــرقت علــى رقــى فــصرت مكاتبا

(٢) «وينتشى» بالواف.

(٣) الزيادة عن الواف.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الواف.

(٥) الجواب برمته مذكور بالواف ١/٢٦٤: ٢٦٦. وقد ورد من القصيدة في (درة الأسلاك ٣/١٧٥) ستة أبيات متفرقة هى: (١، ٣، ٦، ١١، ١٤، ١٦).

فَقَبَّلْــتُهَا شَــوْقًا لِفَــرْطِ صَــبَابَتِي
وَقَابَلَهَـــا مِنِّـــي جَـــوًى وَغَـــرَامُ

تَجَلَّــتْ لِطَــرْفِي فاجْتَلَــيْتُ مَحاسِنًا
كَمــا شُــقَّ عَــنْ زَهْرِ الرِّيَاضِ كِمَامُ

وَقَــصَّتْ على سَمْعِي حَدِيثًا رَوَتْهُ لِي
فَــشَنَّفَ سَــمْعِي الــدُّرُّ، وَهْوَ كَلاَمُ

وَلَمَّــا رَوَتْ رَوَّتْ فُؤادِي مِن الظَّمَا[1]
وَلَــمْ يَلْقَـــهُ مِـــنْ بَعْــدِ ذَاكَ أُوَامُ

وَنَاحَــتْ[2] بأَلْفَــاظٍ فَقُلْــتُ جَوَاهِرٌ
إِلَــى أَنْ سَــبَتْ عَقْلِــي، فَقُلْتُ مُدَامُ

[وَرَقَّــتْ حَوَاشِــيهَا فَقُلْــتُ شَمَائِلٌ
إِلى أَنْ أَصَــابَتْنِي فَقُلْــتُ سِــهَامُ][3]

وَأَبْــدَتْ مِنَ السِحْرِ الحَلاَلِ عَجَائِبًا[4]
وَمَــا كُــلُّ سِــحْرٍ فِي الأَنَــامِ حَرَامُ

أَثَــارَتْ رِيَــاحَ الوَجْدِ فَهْيَ عَوَاصِفٌ
وَأَجْــرَتْ دُمُــوعَ العَــيْنِ فَهْيَ سِجَامُ

---

(١) بالواق: «من الضنى» .

(٢) «وناجت» بالواق.

(٣) البيت ساقط من الأصل. والزيادة عن: (ز، والواق).

(٤) بدرة الأسلاك: «..... الحلال غرائبًا» . والبيت مأخوذ من قول أبي تمام :

مــن الــسحر الحــلال لمجتنــيه ولم أر قــبله ســحرًا حــلال

وَحَاشَا لِمَا أَبْدَتْه أنْ يَستَمِيلَهُ
مَلاَلٌ، وَأَنْ يَسْرِى إِلَيْهِ مَلاَمُ
أَلاَ يَا غَزِيرَ الفَضْلِ عَبْدُكَ قَاصِرٌ
وَفِى ذِهْنِه عَمَّا يُرِيدُ سَقَامُ
وَإِنْشَاؤُهُ إِنْ شَاءَهُ لاَ يَنَالُه
كَأَنَّى جَفْنُ الصَّبِّ وَهْوَ مَنَامُ
وَأَيْنَ مَحَلُّ الشَّمْسِ مِمَّنْ يَرُومُهُ
لَقَدْ جَلَّ مَطْلُوبٌ وَعَزَّ مَرَامُ؟!
وأنْتَ الَّذِى يَمْلاَ المَلاَ فَضْلُ نُورِه[1]
لأَنَّكَ شَمْسٌ وَالأَنَامُ قَتَامُ
فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مُذْأَنَرْتَ إِنَارَةٌ
وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمِمْتَ تَمَامُ

[يُقَبِّلُ[2] الأرضَ]، ويُنْهِي وُرُودَ المشرَّف الكريم، فانْتَصَبَ له قائمًا على الحال، وتلقّاه بما يَجبُ له من الإجلال، وَوَضَعَه على العَيْنِ والرّأس، وهذه غايةُ يَعْتَقِدُ أنها ما خَلَتْ من الإخلال، ومتّع طرفَه بتلك الطُّرَف، والتحفَ بظلال هاتيك الهدايا الفاخرَة والتُّحَف، ودَخلَ جنَّات سُطورها، فرأى منها غُرَفًا مَبْنيَّةً ﴿من فوقها غُرَف﴾ [3]، وأَسْرَفَ في لَثْمها، على أنّه لا سَرَفَ في الشَّرف، وعلم أنّه بهذا الجواب أَحْمَقُ، فلولا إضافَةُ الوُدّ الصادقة إليه لَمَا انْصَرَف.

---

(١) بالوافى: «نور فضله» .

(٢) الجملة ساقطة من الوافى.

(٣) من الآية (٢٠:الزمر) «لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار...» .

(من الطويل)

(وفي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا
وَيَزْعُمُ أنْ يأْتِي لَهَا بِضَرِيبِ)[1]

فالله يُوزِعُ المملوك شُكْرَ هذه النعمة الباديَه، والمائة التي هي في الصُّورة هديَّة، وفي المعنى إلى الصَّواب هادية، ويُمتِّعُ الوجودَ بهذه الكَلِم التي تطوفُ على الأسماع بكئوسِ المدام، والأسجاعِ التي هي عندي دُرٌّ، وعند الناس كَلام. وعَيْنُ الله على هذه الفضائل، التي أَحْمَلَتْ الخمائل، وحقَّقتْ فضلَ الأواخرِ على الأوائل، وإن كان فيهم سحبانُ وائل.

وقد عطفها المملوكُ على خدْمة إلى المولى شمسِ الدِّين محمد بنِ الخرَّاز، الذي يَعجزُ عن نَقْله حَمَّادُ الرَّاوية، أطلَعَ اللهُ شمْسَه بأُفُقِهَا، وأعادَه إلى بلده، التي عامل حلقَ بحُلُقٍ[2] لا يليق بخَلْقِهَا ولا خُلُقِهَا. وعلى كلِّ حالٍ فجبْرُ مولانا لألَم انفراده طبيب، وهو في بلد مولانا غريب، كما أنَّ مولانا في الإحسان غريب.

(من الخفيف)

(يـا غَـريبَ الـصِّفاتِ حَقٌّ لِمَنْ كَا
نَ غَـريبًا أنْ يَـرْحَمَ الغُـرباءَ)

وكتب هو على الجزء العاشر من التذكرة التي لي[3].

---

(١) بالوافي: «من يحسد الشمس ضوءها» . والبيت للمتنبي بديوانه ١/٥٦ برواية: «ويجهد أن يأتي..»، من قصيدته التي يعزي بها سيف الدولة عن عبده يماك التركي، ومطلعها:

لا يحـزن الله الأمـير فـإنني لآخـذ مـن حالاتـه بنـصيب

(٢) بالأصل: «حلق بحلق» .

(٣) بعدها بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات.

محمدُ بنُ محمد بنِ محمودِ القاضي الرئيس الفاضلُ، بدرُ الدين بنُ المرحومِ القاضي شمسِ الدين بنِ العلاّمة الإمامِ القاضي المرحومِ شهاب الدين أبي الثناء، وناظرِ الجيوش المنصورة بحلب المحروسة، وموقّع الدّست الشريف بها[1].

كتبت أنا إليه أهنئه بالبرء والعافية من مرض كان أصابه، سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة: (من البسيط)

بِشَارَةُ البُرْءِ هَزَّتْ قَامةَ القُضُبِ
إذْ غَرَّدَتْ فَوْقَها الأطْيَارُ مِنْ طَرَبِ
حَاشَاكَ من عَارِضٍ يُهْدي السَّقامَ إلى
شَرِيفِ جِسْمِكَ أوْ مِنْ وضْمَةِ الوَصَبِ
أقْسَمْتُ أنَّ الصَّبَا اعْتَلَتْ بجلّقَ إذْ
أصْبَحْتَ أنْتَ عَلِيلَ الجِسْمِ في حَلَبِ
إنَّا جَهِلْنَا فَخِلْنَاكَ اعْتَلَلْتَ، ولاَ
وَاللهِ مَا اعْتَلَّ غَيْرُ المُلْكِ والأدَبِ

يُقبِّلُ الأرضَ – صَرَفَ اللهُ الصُّروفَ عن حماها، وحفظَ سَاحاتها من الغِيَر ورَعَاها، وجعَلَ حرَمَها للأولياء عُوذةً من الأسواء، فإذَا قبَّلتْها شفاهُ المرضَى شفَاهاً شَفَاها – ويُنْهي ما وَجَدَه المملوكُ من القلق، لما بلَغَه تقلُّبُ[2] المزاج، واحتياجَه – لا أحْوَجَه الله بلطفه بعدها – إلى مُلاطفَة علاج. ولو لم يكنْ مولانا نسيبَ النسيم في اللُّطف لَمَا اعْتلّ، ولو لم يكن للحيش، بل للجود عارضاً لما تصبَّبَ عرقاً ولا ابْتلّ، وقد غَلِط المملوكُ إذ قدّر في السَّرْد، وذُهِلَ عن قول الآخر:

(١) المتوفى سنة ٧٧٤هـ. له ترجمة في (الدرر ٤/٣٥٦، وإنباء الغمر ١/٥٣، والنجوم الزاهرة ١١/١٢٦، ودرة الأسلاك ٣/١٩٠).

(٢) بالأصل «تغلث المزاج». وفي (ب): «تغلب» ولعل ما اخترته هو الصواب.

(أَلاَ إنَّمَا الحُمَّى على الأَسَدِ الوَرْدِ[1]).

فالحمدُ لله على هذه النعمة التي أقلعَ ببزُوغِ شمسها غمامُ الغمّ. وهَزَمَ سرورُها المقبلُ جيشَ الطَّيْش، وهُمَامَ الهَمّ. (مخلع البسيط)

(لا صَــدَّقَتْ خَوْفِــيَ اللَّيَالِــي
فِــيكَ، وَلاَ كَــذَّبَتْ رَجَائِــي)

وبالله يُقْسِمُ المملوكُ أنَّ وجودَ مولانا من أكبر حسنات الدَّهر التي قضتْ بتكفيرِ ذنوبه، وأَضْفَى سِتْرٍ جاءَ به الزَّمنُ لتَغْطِيةِ عُيوبه:

(من الوافر)

(فَمِــثْلُكَ لاَ تَجــودُ بِــهِ اللَّيَالِــي
وَلَكِــنْ رُبَّمَــا سَــمَحَ البَخِــيلُ)

فــلا غَرْوَ إذا كان مولانا بهذه المثابَة، إنَّ الخلْقَ به جُبِروا ورُحِمُوا، (وإذا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا)[2]. واللهُ المسئولُ أن يجمعَ له بين الأجْرِ وكمال العافية، ويُوردَه من الصِّحة مناهلَها الصَّافية، بمنّه وكرمه.

محمدُ بنُ أحمدَ الشيخُ الإمامُ العلامةُ، المفَنَّنُ، القاضي جمالُ الدين، أبو عبد الله ابنُ الشيخِ الإمامِ العلامة، كمالِ الدين بن الشريشي الشافعي[3].

كتب إليَّ مع طبق خشكنانج[4] في سنة ستين وسبعمائة عند قدومي

---

(١) عجز بيت للبحتري (ديوانه ٢/٧٥٨) وتمامه:

ومــا الكلــب محموماً وإن طال عمره	ألا إنمــا الحمــى علــى الأســد الــورد

والأسد الورد: ما بين الكميت والأشقر. وقيل: لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة (لسان: ورد).

(٢) عجز للمتنبي (ديوانه ٣/٣٧٦). وتمامه:

ومــا أخــصك في بــرء بتهنــئة	إذا ســلمت فكــل الــناس قد سلموا

(٣) المتوفى سنة ٧٦٩هـ. له ترجمة في: (الوافي ٣/٤٤١، ودرة الأسلاك ٣/١١٤).

(٤) الخَشكُنان – بفتح الخاء وضم الكاف بينهما شينٌ ساكنة: خبزة تُصنَع من خالص دقيق الحنطة، وتملأُ بالسُّكر واللوز، أو الفستق، وتقلى (فارس)..» [الوسيط/الخشكُنان].

=

من حلبَ إلى دمشق المحروسة:

ويُنهي، أنه لما عادَ من حلب، ووصل إلى قُرْب قرُون حَماه، طالت عليه الطريق، فتَشاغَلَ بذكرِ شيءٍ من رسالة الشيخ جمال الدّين الأصْبَهانيّ في القوس، وذكر قُرونَه، وتلاعُبَهُ في أنواع من الأدب، وجرى بينَه وبين مَمْلُوكه الولد: هل يُمكنُ تنَزُّلُ ذلك في[1] الخَشْكُنان أمْ لا؟ واقتضى الحالُ أن نحكّم في ذلك سُلْطانَ علم الأدباء، وحاكمَ العلماء، الذي ذلّتْ له صعابُ المنثورِ والمنظوم، ودانت له مُعْضَلاتُ المعلومات من أنواع العلوم، وهو مولانا، أطال الله بقاه، وقد كتبَ بعضَ ألفاظ الرِّسالة، التي حضرت، وليس هو من أرْباب الحصَافَة فيرسلَ قوساً يتزل[2] عليها، ولا من أهل الفصاحَة فيُعَبِّرَ بما يشير إليها، فأرسلَ ما يحكيها، فمولانا يتأمَّلها وينظر فيها. ومنها:

«**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ، قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ**[3]»، وهي صفراءُ من غَيْرِ علّة، صورةٌ مركّبَةٌ ليس لها من تركيب النظم، إلا ما حملت بطونُها لا ظهورُها، وما اختَلَطَ بعظم[4]. نعم، ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾[5]، متكبِّرٌ يأبى السُّجُودُ للبشر،

هنا، ولم يفسره أبو منصور الجواليقي في كتاب (المعرّب ٢٥/١٨٢)، وإنما قال: «والخُشكنان – بضم الخاء، وفتح الكاف – قد تكلمت به العرب. قال الراجز:

يا حبّذا الكعك بلحم مثرودْ وخُشكنانٌ وسويق مقنود»

وأشار المحقق في الحاشية/٦ ثمة أن داود قد فسره «دقيق الحنطة إذا عجن بشيرج وبسط وملئ باللوز أو الفستق وماء الورد، وجمع وخبز، وأهل الشام تسميه المكفن».

(١) بالأصل: «هل يمكن تنزيل ذلك بي الخشكنان». واخترت ما في النسخ الأخرى.

(٢) في الأصل: «تنزل».

(٣) من الآية: (١٨٩: البقرة).

(٤) اقتبس من الآية، (١٤٦: الأنعام): «إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم..».

(٥) الآية: (٨٣: الكهف).

في ظهـــره صياصـــيُّ البقر، أعجميٌّ يلوي الأشداق، أعْوَجيٌّ يُشَدُّ في مَـــراكضِ سِباقِ المذاق، ثَنويُّ يغشى النَّار، ولا يخشى العار، عطوفٌ علـــى مـــن مدَّ إليه يدُ الاجتذاب، حَسَنُ المنظر حُلْوُ الجواب، حاجبٌ مقْرون، لا يُوجَدُ مثله في القُرون.

هـــذا بعضُ ألفاظها، مع تَغْيير مَا تقرَّبَتْ شَوْهَاءُ بحسناء، وأرْسَلَتْ عَبْرَةً من عين عَوْراء، ونظمَتْ خرَزَةً في سلك الدَّلال، ودفَعَتْ به عن مولانا عَيْنَ الكمال.

(من الوافر)

(فَهُـــنَاكَ إنْ تَـــرَ مَـــا يَـــشِينُ فَوَارِهِ
كَـــرمًا، وَإنْ تَـــرَ مَـــا يَـــزِينُ فَأَفْشِهِ)

فكتبت أنا الجواب عن ذلك:

يُقَـــبِّلُ الأَرْضَ، ويُنْهي وُرُودَ مَا أَنْعَمَ به مولانا – أدامَ اللهُ فضائلَه، وجـــدَّدَ فواضـــلَهُ، وأخْجَلَ النيلَ جودُه، إذا أفاضَ نائلَه، وجلا على الأسمـــاع عَقَائِلَـــهُ، وكثَّـــر به شعوبَ الأدب وقبائلَه، وأحمل بكلماته السَّحارَةِ رَوْضَ الإنشاءِ وخمائلَه، ولا مُنِعَ مُستَجْديه وسائلَهُ وسَائلَهُ – مـــن كلامه الذي وَشَّاه حبَرًا، وجعل الحَبْرَ له مبتدأً، والخَيْرَ الجمَّ خَبراً، فوجَدَهُ لم يَتْرُك بعدَه في قوْسِ الإحسان مَنْزَعًا لنازعٍ[1]، ولم يَدَعْ لمُعْتَذرٍ حُجَّـــةً، فكَـــفَّ المُجادلَ، وانْقَطَعَ المُنَازِع، وهذه بقايَا مَا اكتَحلَتْ به للأصـــبهانيِّ عـــيْن، وخبايَا مَا جرَتْ في حَنايا هالَةُ عَيْن، وكذا فَلْيَكن التَخيُّلُ البديع، والأَدَبُ الغَضُّ الذي مَنْ تعاطَاه بَعْده «لَيْسَ له طَعَامٌ إلاَّ

---

(١) من قول أبي تمام (ديوانه ٢/٣٣٢):

أظلـــتك آمـــالي، وفي الـــبطش قـــوة وفي الـــسهم تـــسديد، وفي القـــوس منـــزع

مـــنْ ضَرِيع[١]»، ومن الخشكَنانج الذي طابَ عَرْفُه، وطال عُرْفُه، وزاد لُطْفُـــه، ولـــذَّ جناه وقَطْفُه، فوجدَه قد زَادَتْ حَبَّاتُه، وابْيَضَّتْ لَبَّاتُه، وتأرَّجَـــتْ هَـــبّاتُه، وتبَـــرَّجَتْ في الكلَل رَبَّاتُه، فكم فيه من حَسْنَاءَ استَجْلَيْتُ القمرَ من جَبينها، ولَثَمْتُ فَاهاً آخذاً بقُرونها، وكشفْتُ غطاءَ صَدْرها ففاحَتْ عبيرًا، وأَرَتْني رَوْضاً بالمحاسن نَضيرًا، وقروناً من عددها الجمُّ بين ذلك كثيرًا، ورأَيْتُ أَعْيُنَ مَنْ عندي لمحاسنها حُولًا، وعجبْت منهم لأنه إذا أَخَذ أحدٌ منهم جديدَةً قال: ﴿فما بالُ القُرون[٢] الأُولى﴾ ، قـــد تـــساوَى مِقْـــدَارُهَا، وقَرُبَ من المحبين دَارِيتُها ودَارُها، واشتركَ الحاضـــرون فـــيها على ما يرتضيه كلٌّ منهم ويَشتيه، وقسَّمَها المملوك بالعـــدل فيهم، فما قال أحدٌ منهم: خيْرُ القرون قَرْني، ثُمّ القرْنُ الذي يليه[٣]، كلُّ حبَّة منه تقولُ: (امْتَلأَ الحوضُ، وقال: قَطْني). وكلُّ حُبْلي تقـــول لمالكها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾[٤]». وكلُّ كرِيمَةَ الأَصْـــلِ لا تقـــولُ لهاشمها: (وَكَمْ أَفْنَيْتَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنِي)، وكلُّ مليَّة بالحُـــسْنِ والحـــلاوة لأنّها كريمةُ الجَدَّيْن، وكلُّ عَذْبَة المقبَلِ إِذَا مَلَكَهاَ واحـــدٌ. قال قرينُهُ ﴿ياذَا القَرْنَيْنِ﴾، فما كان بعد وصولها إلا أن جُلْنا

---

(١) الآية: (٦: الغاشية).

(٢) الآية: (٥١: طه). وبألحان السواجع: «قال: ما بال القرون».

(٣) في الأصل: «ثم القرون الذي يليه» واخترت ما في النسخ الأخرى. وهو في هذه العبارة يقتبس من الحديث الشريف الذي ذكره البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات، وهو: (عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)).

(٤) من الآية: (٣٥: آل عمران). وبالأصل: «إني قد نذرت» وفي (ز) «إني نذرت».

فيها فَعَقَرْنَاهَا، وقلنا للْحُسَّاد: كَذَبْتُمْ وبيتِ الله لا تنكحونها بني شاب قـرناها(1). ولـو لم يكنْ مولانا عيْنَ الأعيان لما أهْدى هذه الحواجبَ المقـرونَهْ، ولو لم يكن أصلُهُ طيِّباً لما بَعَثَها مع جُونتها، وطينَتها بالمسك مَعْجُونَة، ولو لم يكنْ خليلَ العلم لما جاءَت عروضُ هذه المكرَّمة، وهي سالمةٌ غيرُ مخبولة ولا مَخْبونَة. وما رأى المملوكُ قبلها أصدافَ دُرٍّ على الزُّمـرُّد قد انْطَبَقَتْ، ولا حَبَالَى ضَمَّتْ أجنَّةً، اصطَبَحَتْ بالْطَبْرَزَد(2) واغْتَـبَقَتْ، ولا سـابقات إلى غايات في المَلاذ؛ ولا غَرْوَ فإنَّهُنَّ بناتُ أَعْـوَج(3)، ولا نُونات أَكَّدت رِقَّ المملوك، وهو إلى العبودية أَحْوَج. فَقُلُـوبُها بحلاوةِ الإيمانِ مَحْشُوَّة، ورَوْنَقُ طلعاتها كالشَّمس المجلُوَّه، قد انْحنَتْ عَرَاجينُها، ولذَّت إلى النفوس مَعَاجينُها: (من المجتث)

أَكْـرِمْ بِهَـا مِـنْ أَهْلَـه هِـبَاتُها مُـستَهِلّه

---

(1) يشير إلى قول الشاعر: (الكتاب 1/259، وشرح الشواهد للشنتمري 1/259، وكتاب شرح أبيات سيبويه / 159):

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها بني شاب قرناها تصر وتحلب

ونسب البيت إلى تأبط شراً في معاهد التنصيص 1/342. برواية: «كذبتم وبيت الله لا تأخذونها» وقد أشار ابن جني في كتاب (الخصائص: 2/367) إلى أن البيت لشاعر من بني أسد.

وقال: «وأراد بالقرنين ضفيرتي المرأة. وقوله «تصر» أي تشد ضرع الحلوبة إذا أرسلت إلى المرعى. وقوله «تحلب» أي إذا راحت عشيا، يصف أمهم أنها راعية عجوز».

(2) الطبرزد: السكر، معرف.

(3) أعوج: فرس عتيق، أمه من حوش وبار، منه أنجبت خيول العرب، وعامة جيادها تنسب إليه. يقول القحيف بن سليم العقيلي في يوم الفلج:

بنات بنات أعوج طامحات مدى الأبصار، عليتها الفحال

كُـــلُّ الـــبُدُورِ تَـــرَاهَا
مِـــنْ حُـــسْنِهَا مُـــضْمَحِلَّه
وَالمِـــسْكُ يُعْـــبَقُ مِـــنْهَا
لِطِـــيبِ تلـــك الجِـــبِلَّة
بِكُـــلِّ طَعْـــمٍ لَذِيـــذ
قَـــدْ أَصْـــبَحَتْ مُـــسْتَقِلَّه
أَوْصَـــافُ كُـــلِّ الهَـــدَايَا
مِـــنْ حُـــسْنِهَا مُـــسْتَمِلَّه
تَـــزَايَدَ الجَمْـــعُ مِـــنْهَا
فَلَـــمْ يَكُـــنْ جَمْـــعَ قِلَّـــه
وَمَـــا لَهَـــا مِـــنْ نَظِـــيرٍ
قَامَـــتْ بِهَـــذَا[1] الأَدِلَّـــه
زَارَتْ دُجًـــى، وَشَـــذَاهَا
قَـــدْ فَـــاحَ فِي كُـــلِّ حِلَّـــه
وَقَـــدْ تَـــبَدَّتْ بِـــنَقْشٍ
قَـــدْ فَـــاقَ فِي كُـــلِّ حُلَّـــه
يَـــا ابْـــنَ الشَّرِيـــشِيِّ يَـــا مَـــنْ
أَعْلَـــى الإِلَـــهُ مَحَلَّـــه[2]

---

(١) كذا بالأصل. وفي (ب): «قامت بهدي الأدلة».
(٢) هذا البيت والأبيات الثلاثة بعد مذكورة في: (درة الأسلاك: ٣/١١٥)، وعبارة البيت الثاني فيه: «وحاز غايات سبق».

وَجَـــازَ غايـــات فَـــضْلٍ
عَلـــى الـــنَّجومِ مُطِلّـــه
ومَـــن حَـــوَى كُـــلَّ علـــمٍ
فاسْـــتوْعَبَ الفـــضلَ كلّـــه
حُـــزْتَ النُّهـــى وَالمَعَالـــي
أُعِـــيذُ مَجْـــدَكَ بِـــالله

محمـــدُ بـــنُ مكّي الإمامُ الفاضلُ القاضي بدرُ الدين، وكيلُ بيت المال، بطرابلُس المحروسة(١).

كتبت أنا إليه من دمشق المحروسة سنة اثنتين وسبعمائة، في شهر الله المحرّم قرين استدعاء(٢). (من الوافر)

أَنفحـــةُ روضـــةٍ أم عَـــرْفُ مِـــسك
يَـــضُوعُ، أم الثّـــناءُ علـــى ابن مكّي
إمَـــامٌ في الفـــتاوى لا يُجـــارَى
وفَـــردٌ في البـــيانِ بغـــير شـــكِّ(٣)
إِذَا مـــا خـــطَّ ســـطرًا قلـــتُ روضًا
تبـــسّمَ عـــن غمـــامٍ بـــات يبكـــي
ويحكـــي نشـــرُهُ دُرًّا فأمّـــا
إذَا حقّقـــت مـــا تحـــتاجُ يحكـــي

---

(١) المتوفى سنة ٧٤٢هـ. له ترجمة في : (الدرر ٥/٢٣، ودرة الأسلاك ٢/٣٧٨، والمنهل الصافي: ٣/٣٠٨ب، وأعيان العصر ١١/٥٩).

(٢) الرسالة برمتها مذكورة في (أعيان ١١/٦٠-٦٢). وذكر في (درة الأسلاك ٢/ ٣٧٩) من هذه الأبيات خمسة، وهي: (١-٣، ٥، ٩).

(٣) بدرة الأسلاك: «إمام في المعاني لا يجارى		وبحر...».

لــه نظــمٌ يــروقُ الــذُّرَّ[1] وقعًــا
علــى الأسمــاع مــن أوتــار جُنْك
كــأنَّ كلامَــه نفــثاتُ ســحرٍ
تُغــازلُني بهــا لحظــاتُ تُركــي
وآنــقُ في النواظــرِ مــن رِيــاضٍ
نواضــرَ، بــل جواهــرَ ذاتَ سلك
لقــد فــاق الأنــامَ بفــضل جــود
وفَــرْطِ ســيادةٍ زيــنَتْ بنُــسْكِ
شــهدتُ بأنَّــه في الدهــر فــردٌ[2]
وقــولي فــيه لم يحــتَجْ مُزَكّــي
حملــتُ لــه لِــواءَ وَلاءِ صــدق
لأعــرَفَ في الأنــام بحمْــل زنكــي
فلــو مَــنَّ الإلــهُ بجمــع شملــي
بــه لَعَــدِمْتُ مــا بي مــن تَــشَكّي

يُقَــبِّلُ الأرْضَ لا زَالتْ قِبْلةَ الأمل، وكَعْبَةَ العلم والعَمَل، وَرَوْضَةَ الفَــضْلِ إذا هَمَــى، والجُودِ إذا هَمَل؛ لأنَّ دَارَها تُخْجِلُ دارةَ الحمَل، وتُرْبَها يَفُوقُ الأُفق؛ إذ بدرُه لَمَّا كَمَلَ نقَص، وبَدْرُها مَا نَقصَ لَمَّا كَمَل — تقبــيلاً يُؤَدِّي به الواجب، ويُدَاوِي به قَلْباً سَكَنَه مولانا، فإنَّه كبيرٌ، وما خَرَجَ عن الواجب.

(١) «يروق الذر» بألحان وأعيان. «يروق الدر» بالدال المهملة في (درة الأسلاك) والذر: النسل.

(٢) «في الدهر فردًا»، في (درة الأسلاك).

(من الوافر)

(تُــــرَابُكُمْ وحــــقِّ أبي تُـــراب
أعــزُّ علــيَّ مـــن عـــيني الـــيمين)

وينْهَـــي أنَّ العلـــومَ الكريمةَ، بعد الأُدعية التي تَجُرُّ الإجابة برَفْعها، والعبوديَّة التي أبان المنطقُ شرَفَ حَمْلِها وَوَضْعِها، والأُثْنِيَة التي لا تغرِّدُ الحمائمُ الصادِحَةُ إلاَّ بِسَجْعِهَا:

(من الطويل)

(ومــا لِيَ لا أُثـــني علـــى وابِلِ الحيا
إذا الَروضُ أَثْنى بالنَّسيم على القَطرِ)[١]

إنَّـــه مـــن حين بلغته هذه الفضائلُ البدريَّة، والفوائدُ التي نسماتُها سَـــحَرِيَّةٌ، وكلماتُهــــا سحْرِيَّة، يعتلجُ في خاطره التَّطفُّلُ على خطابها، والتَّوسُّلُ إلى عرائس إنشائها لِيكون من خُطَّابها، والوقوفُ بذلِّ التَّلْمَذَة وفقْرِ الحاجَة على بابها، والدُّخُولُ إلى جنَّات كرَمِها، وحبَّات كَرْمِهَا، ليجْتنـــيَ ثَمَرَها مُتَشَابِهاً. والاعترافُ يَدْفَعُ في صدره، ويَبْخَلُ على قدره باخْـــتلاء لَيْلَة قدره، ويقولُ له القصورُ، لا تُطِلْ؛ فما أنْتَ من سُكَّان هـــذه القَصور، ولا تَزِدْ مَعَ نَقْصِكَ؛ فما وِشَاحُ ألفاظكَ ممَّا يَدورُ على هـــذه الخُـــصور، ولا تلِـــحَّ؛ فَما غابُ أَقْلامِك، مِمَّا يضمُّ هذا الليثَ المصور.

(من البسيط)

(قـــد يُـــدرِكُ المتأنّـــي بعـــضَ حاجته
وقـــد يكـــونُ مع المستعجل الزَّلَلُ)[٢]

---

(١) كقول السري الرفاء (يتيمة الدهر ٢/١٢٤).

وكـــنت كروضـــة ســـقيت ســـحابا	فأثـــنت بالنـــسيم علـــى الـــسحاب

(٢) البيت للقطامي (ديوانه / ٢٥). من قصيدته التي يمدح فيها عبد الواحد بن الحارث

فأغْفَـــلَ مُـــراوَدَتَهُ مُدّة، وكابَدَ من جَزْمِ حَظِّه خفضاً لشِدَّته مَدَّةً وشَدَّة[1].

هذا وغريمُ الشَّوْق يَلحّ، والإقدامُ يُمْرِضُ تارةً ويصحّ، إلى أن انْتَهَزَ فُرْصَـــةً حَمَل فيها على جُيوش الخَجل فأَمَالَها، وطعَن في صفِّ المَمانَعَة بـــرُمْحِ قَلَمه (فإمّا عَلَيْهَا. وإمّا لها[2])، فتهجَّمَ بهذه الضَّرَاعَة، وخَدَم بها أُسْوَةَ الطَّلَبَة ليكونَ من أهلِ الجماعة. (من الطويل)

(وكـــادَ سُـــروري لا يَفـــي بندامتي

علـــى تـــركه في عُمْـــرِيَ المتقادِمِ)[3]

وعَطَفَهَـــا علـــى استدْعاء جَرَتْ العادَةُ به للأصاغر، واستَمْطر به الإحـــسانَ الـــذي مَلأَ كلَّ كفٍّ فارِغ، وأطبَقَ كلَّ فَمٍ فَاغر. وسأَلَ صـــدقات مـــولانا التي عمَّتْ وما خَصَّت، وشرَعَتْ المكارِمَ للمتأدِّبين ونَـــصَّت - الكـــتابةَ فـــيها بالإجازَة للملوك، وإن كان صغير القدْر،

ابن الحكم بن أبي العاصى، مطلعها:

إنـــا محـــيوك فاســـلم أيهـــا الطلـــل وإن بلـــيت، وإن طالـــت بـــك الطيل

(١) ضبطت الكلمتان: «مدة وشدة» بكسر الميم والشين.

(٢) بالأصل: «إما عليها». وهذا عجز بيت للخنساء ترثي أخاها صخرًا، وصدره مع ما قبله: (ديوانها: ١٢١):

همـــت بنفـــسيَ كـــل الهمـــوم فـــأولى لنفـــسي أولى لهـــا

لأحمـــل نفـــسي علـــى آلـــة فإمـــا علـــيها وإمـــا لهـــا

(٣) البيت للمتنبي من قصيدته التي يمدح بها أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج، مطلعها: (ديوانه ٤/١١٠).

أنـــا لائمـــي إن كـــنت وقت اللوائم علمـــت بمـــا بي بـــين تلـــك المعـــالم

وقبل البيت الذي بالرسالة قوله:

كـــريم، نفـــضت الـــناس لمـــا بلغته كـــأنهم مـــا جـــف مـــن زاد قـــادم

والإجابَةَ إلى ما سأله لعلّه يكونُ من أهل بَدْر، فإنّه لم يَقُلْ إلا علماً بأنه لم يُقَل، ولم يُخاطبْ إلا طمعاً في الجواب الذي هو أَلَذُّ من الإغْفاء عند ساهرِ المُقَل. وأن يتصدَّقَ فيه بذكر مولده، وذكرِ أشياخه الذين أخَذَ عنهم، ومَنْ رآه، واجتَمَعَ به من الأعيان الذين إذا قال السائل: مَنْ هم؟، كان مولانا منهم. وكتابَةَ ما يراه من مقاطيعه التي هي قِطَعُ الرِّياض، وزَهْرُ الغياض، وقَطْرُ الحياض. إلى غَيْر ذلك مما يقتضيه الرَّأْيُ الكريم، والجودُ الذي إذا جادَ البحرُ بالدرّ، جاءَ هو بالدُّرِّ النَّظيم، لازال بابُه حَرَماً، وسحابُه ينهلُّ كَرَماً. بمنه وكرمه. إن شاءَ الله تعالى.

محمدُ بنُ يعقوبَ بنِ عبدِ الكريم، الشيخُ، الإمامُ، العالِمُ، الفاضلُ، المفَنَّنُ ناصرُ الدين بنُ الصَّاحب شَرفِ الدين، قاضي قضاة العساكر المنصورة، بحلبَ، وكاتبُ السر الشريف بها، وشيخُ الشيوخ بالشَّام المحروس، وكاتبُ [السرّ] الشريف به[1].

كتب هو إليّ ونحن بمرج الغسّولة، وقد وقعت أمطارٌ كثيرة، ورعودٌ، وبروقٌ خرجت عن الحدّ في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة[2]:

(من الوافر)

كأنَّ البرقَ حين تراه ليلاً
ظُبَى في الجوّ قد خُرِطتْ بِعُنْفِ
تخالُ الضَّوءَ منه نارَ جَيشٍ
أضاءَت، والرُّعودَ حَسيسَ زَحْفِ

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، وأثبتها عن النسخ الأخرى. وناصر الدين، محمد بن يعقوب له ترجمة في (الدرر ٥/٥٩، ودرة الأسلاك ٣/٢٥، والمنهل الصافي ٣/٣١٦ب وأعيان العصر ١١/٧٤، والنجوم الزاهرة ١١/١٦). توفي سنة ٧٦٣هـ.

(٢) البيتان مذكوران في (أعيان ١١/٧٦، والتذكرة المجلد الأخير/ ٢٥).

فكتبت أنا الجوابَ عن ذلك[1]:

(من الوافر)

يُحاكــي البَــرْقُ بِــشْرَك يــومَ جُودٍ
إذَا أعطَــيتَ ألفًــا بعــد ألــفِ

وصــوتُ الــرّعدِ مــثلُ حــشا عدُوٍّ
يخَــافُ سُــطَاكَ مــن حَــيْفٍ وحَتْفِ

فكتب هو إليّ الجواب[2]:

(من الوافر)

لأنْ أوْسَــعْتَ إِحــسانًا وفــضلاً
وجُــدتَ بــنظم مــدحٍ فــيك لائقْ

فهــذا الفــضلُ أخجلَ صوبَ سُحْبٍ
وهــذا البــشرُ أخجــلَ بِــشرَ بارقْ

وكتب هو إليّ أيضاً[3]:

---

(١) الجواب مذكور في (أعيان ١١/٧٦، والتذكرة الأخير/ ٢٥).

(٢) البيتان التاليان مذكوران في المصدرين السابقين (أعيان والتذكرة).

(٣) البيتان مذكوران في (الدرر: ٥/٦٠) بمقدمة: «وكتب إلي في ليلة مطرة» والرواية في الثاني «وإذا ما قارب الأرض» (والنجوم الزاهرة: ١١/١٦) برواية:

فـــإذا جـــادت علـــى الأرض غـــدا ... فـــضة تـــشرق مـــع بُعـــد المـــدى

و(المنهل ٣/٣١٧)، والرواية في الأول: «لؤلؤ وضع» بالتحريف. وفي الثاني: «جادت به الأرض غدا». و(درة الأسلاك ٣/٢٥) برواية: «وإذا ما قارب الأرض غدا» و(أعيان العصر ١١/٧٦ب) برواية: «فإذا ما حارب الأرض». و(التذكرة المجلد الأخير/١٢٦أ).

(من الرمل)

وكأنَّ القطرَ في ساجي الدُّجى
لؤلؤٌ رَصَّع ثوبًا أسودا
فإذا ما جارتِ الأرضُ غدَا
فِضةً تُشرقُ من بُعد المَدى

فكتبت أنا الجواب بديهًا[1]:

(من الرمل)

ما مُطِرْنا الآن في المرج سُدَى
ورأينا العُذرَ في هذا بَدَا
نظرَ الجوُّ لما تبذلُه
فَهْوَ يَبْكِي بالغَوَادِي حَسَدَا

وكتب هو إليّ أيضاً[2]: (من الخفيف)

طبّقَ الجوُّ بالسّحاب صباحًا
ومُطِرْنا سَحًّا مَعِينًا وَبِيلاَ
نسخَ الريُّ كلَّ قحطٍ ويُبْسٍ
بغمامٍ أهدى لنا سلسبيلا
ارْتشَفْنا الرُّضابَ منه فخِلْنا
عن يقينٍ مِزَاجَهُ زَنْجَبِيلا

فكتبت أنا الجواب إليه بديهاً[3]:

(١) البيتان في (أعيان ١١/٧٦، والتذكرة/٢٦).
(٢) الأبيات الثلاثة مذكورة في (أعيان: ١١/٧٦ب، والتذكرة الأخير/٢٦أ).
(٣) الأبيات الثلاثة وردت (بأعيان: ١١/٧٦، والتذكرة/٢٦أ).

(من الخفيف)

حكــتِ الأرْضُ بعــد قَحْــطٍ ويُبْسٍ
مِــن بُكــاءِ الغمــامِ وجهًــا جميــلا
وتثنّــى القــضيبُ فــيها رطيــبًا
وتمــشّى النّــسيمُ فــيها علــيلاً
هكــذَا كُــلُّ بلــدةٍ أنــت فــيها
يجعــلُ الغــيثُ في حِمَاهَــا مــسِيلاً

فكتب هو الجواب إليّ[1]:

(من الخفيف)

أوضَــحَ اللهُ للبــيان ســبيلاَ
لــك يــا أقــومَ المُجِــيدينَ قِــيلاَ
إن تثنّــى القــضيبُ في الرّوض عُجْبًا
أوْ تــبدّى نُــضارُه مُــستَطِيلاَ
فــبأقْلاَمك المــباهاةُ فَخْــرًا
كــلُّ غُــصن رطــب وَحَــدًّا صَقيلاَ
ولــئن زِدتَ في ثنائــيَ إنّي
شــاكرٌ فــضلَك الجــزيلَ طــويلا

وكتبت أنا إليه[2]:

(١) الجواب مذكور في (أعيان: ١١/٧٧أ، والتذكرة/٢٦أ).
(٢) في (ب): «لم أنس يوماً بالمرج..» وقد وردا فيه بعد ما بعدهما. وهما مذكوران في: (أعيان ١١/٧٧أ، والتذكرة الأخير ٢٦ب).

(من المنسرح)

لم أنــسَ لــيلاً بالمــرج مَــرَّ لــنا
بــه حَلَلْــنَا في غايــة الــشِّدَّه
تُقَابِــلُ الــرعدَ فــيه خَيْمَتُــنَا
بــسورة الإنــشقاق والــسَّجده

وكتبت إليه أيضاً[1]:

(من البسيط)

لا أنــسَ لا أنسَ يومَ المرج حين غَدتْ
أمطــارُه بدمــوع العــين تمتَــزِجُ
كــم في الخِــيَامِ فُتوقٌ كالعيون غدت
أجفــانُ رفِــرفِها بالــريح تختــلجُ

وكتب هو إليّ أيضاً[2]:

(من الخفيف)

لــيلةُ المــرج خلــتُها ألــفَ شــهرٍ
زَلْــزَلَتْ أرْضَــنَا مِــن الرعد عصرا
خَامُــنا فــيه كــاد لــولا رجــالٌ
أمــسكوه ينــشقُّ شَــفعًا وَوَتْــرا
ويكــادُ العامــودُ مــن شــدة الرِيح
(م) بــه يــنحطُّ وَهْــنًا وكــسرا

(١) البيتان مذكوران في (أعيان: ١١/١٧٧أ، والتذكرة ٢٦/ب، والكشف والتنبيه/٩٥).
(٢) الأبيات الثلاثة مذكورة في (التذكرة/٢٦ب).

فكتبت أنا الجواب إليه[1]:

(من الخفيف)

لم تُزلــزَلْ أرضٌ بهــا أنــت، لكــن
رنَّحــتْ عِطفَهــا بِفــضْلك شــكرا

وكــذاك الأطــنابُ تُــثني وتَدْعُــو
لــك مــن تحــتها فتهْــتزُّ سُــكْرا

وعجــيبٌ مــن العوامــيد إذْ لم
تُمْــسِ أوراقُهَــا بجــودك خُــضرا

فكتب هو الجواب إليَّ[2]:

(من الخفيف)

يــا إمَامًــا لــه الفــضائلُ تُعْــزَى
وبلــيغًا قــولاً ونظمًــا ونثــرا

إنْ تفــضَّلتَ بالثــناءِ فــإنيَّ
بأياديــكِ مــا بــرحتُ مُعَــرًّا

إنْ أمِــنَّا الزلــزالَ فَهْــوَ يقيــنا
رحمــةٌ تَقتــضي قــيامًا وشُــكرا

أنــت لــلأرْض طــوْدُ فــضلٍ عَظِيمٌ
قــد مَــنَعْهَا تهتــزُّ طــوعًا وقــسْرا

---

(١) الأبيات الثلاثة مذكورة في (التذكرة الأخيرة/٢٦ب).

(٢) الأبيات الخمسة مذكورة في (التذكرة/٢٧أ).

دُمتَ في نعمةٍ وفضلٍ ومجدٍ
دائمٍ، ترتقي، وهُنِّيتَ عشرا

وكتبت أنا إليه أطلب الإذنَ منه في التوجه إلى المدينة لقضاءِ مُهمٍّ:
(من البسيط)

العبدُ يستخرِجُ المرسومَ في الحرَكه
إلى المدينةِ ذاتِ الخيرِ والبرَكه
فإنْ رَسمتَ فخيرٌ ما رسمتَ به
وإنْ أبيتَ فإن العبْدَ قد تركه

فكتب هو الجواب بديهًا: (من البسيط)

رُحْ في أمانٍ من الرحمن في دَعَةٍ
إلى المدينة وافْصِلْ كلَّ مُعتركَه
مستصحبًا كلَّ خيرٍ في توجُّهِهِ
يا من إذا غاب، غاب الخيرُ والبركه

وكتبت إليه أصف حرَّ ظهائر المرج، وبردَ غدواته[1]:
(من السريع)

مَرْجُ دمشقٍ عجبٌ أمرُه
في الطيب والكُرْه غدا خارجا
كم نسخَ الحرُّ به للنَّدَى
وكان مَرْجًا فغدا مارجا

وكتبت إليه، ونحن على منزلة ضُمَيْر:، وقد زاد الحرُّ إلى الغاية[2]:

---

(١) البيتان مذكوران في (أعيان ١١/٧٧).
(٢) البيتان مذكوران في التذكرة. وضمير – بضم ففتح فسكون – موضع قرب دمشق، قيل =

(من الخفيف)

رُب يــومٍ علـــى ضُـــمَيْرٍ تقـــضي
فقطعــــناه في عـــنًا وبــــلاءِ
يــتمنى الحــرباءُ مــن شــدة الحــرّ
(م) لـــوِ انــساب ضِـــفدعًا في المـــاءِ

فكتب هو الجواب[1]:

(من الخفيف)

يومُــــنا في ضُــــمَيْرَ يــــومٌ كـــريهٌ
مـــا رأيـــنا كحـــرّه في الفـــلاءِ
كـــاد حـــرباؤُه يموت حـــريقًا
مـــن لَظـــى شمـــسِه علـــى الصحراءِ

وكتب هو إليّ أيضاً[2]:

(من مخلع البسيط)

يـــومًا نـــزلنا علـــى ضُـــمَيْرٍ
أوْقـــدَ حـــرُّ الـــنهار نـــارَه
وصـــارت الـــشمسُ ذا الـــتهاب
«وَقُـــودُها الـــناسُ والحجـــارَه»

هي قرية وحصن في آخر حدود دمشق مما يلي السماوة، وضمير – بفتح أوله وكسر ثانية – بلد بالشحر من أعمال عمان قرب دغوث. (معجم البلدان: ضمير). هذا وفي (معجم ما استعجم: ضمير) موضع على خمسة عشر ميلاً من دمشق.

(١) البيتان مذكوران في التذكرة.

(٢) البيتان في المصدر السابق. وفيها اقتباس من الآية/٢٤ البقرة، و٦: التحريم.

وكتبت أنا إليه، وقد زاد الحرُّ، وقام الشعث والسوافي إلى أن أظلم الجوُّ، وضاقت المنافس:

(من الطويل)

ويــوم ضُــمَيْرٍ إذ رفعــنا ضــميرَه
فأعلــنَه نحــو الــسماءِ قَــتامُ[1]
وقــد رفَعَــتْ أيــدي السّوافي قِبابَها
ففــي الجــوِّ مــن فــوق الخيام خيامُ
تــدورُ الــسّوافي حيث وجهي مُوجَّهٌ
فحولِــيَ ضُــرٌّ دائــمٌ وضِــرامُ

وكتب هو إلي لما وضعت كتابي المسمى: (نكت الهميان، في نكت العميان)[2]:

(من السريع)

يأيُّهــا الــشيخُ الإمــامُ الــذي
أبــدَعَ في كــلِّ تــصانيفه
ومَــنْ لــه ذهــنٌ «شديد القُوى[3]»
في حفظــه العلــمَ وتألــيفه
أبــدعتَ في جمعــك مــا قــيل في
خــصائصِ الأعمــى وتكلــيفه
وجــاءَ مــا صــنفْتَهُ مُعْــرِبًا
يُــنبِيءُ عــن كــلِّ تــصاريفه

(١) الأبيات بالمصدر السابق.
(٢) الأبيات الخمسة ذكرت في (نكت الهميان/ ٣١٩).
(٣) اقتباس من قوله تعالى: «علمه شديد القوى» الآية/ (٥: النجم).

نَكْـــتُكَ للهمـــيان عـــينُ الـــوفا
في نُكـــت الأعمـــى وتعـــريفهِ

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[1]:

(من السريع)

أقــسمتُ يــا شــيخَ الشيوخ الذي
عـــرفانُه يقـــضي بتعـــريفِهِ

وكاتــبَ الــسرِّ الــذي كــلُّ مَــنْ
أنــشا فمحــتاجٌ لتوقــيفهِ

مــا نُكَــتُ العُمــيان مُــستوجبًا
مــدحًا قــضى مــنكَ بتــشريفهِ

وإنمــا احــتلتَ علــى جَبْــرِ مَــنْ
قــد راح ذا فقــرٍ لتثقــيفهِ

فطــالَ قــدرًا بالقــريض الــذي
قــد شــرّف الــسمعَ بتــشنيفهِ

رقّــت حواشــي بُــردِه فالــورى
شاخــصةٌ في حــسن تفــويفهِ

لازلــتَ في سَــعدٍ وفي نعمــة
مــا افتقــر الــنحوُ لتــصريفهِ

وكتب هو إليّ ونحن بالمرج السلطاني في صفر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، مُلغِزاً[2]:

(١) الأبيات التالية مذكورة في (نكت/ ٣١٩، ٣٢٠).

(٢) نص اللغز مذكور في: (أعيان: ١١/٧٧ب).

أيُّها العالمُ الذي فاقَ علماءَ زمانه، وعلا قدْراً في معانيه وبيانه، وقام بـــصلاحه عمادُ الأدب بعد هوانه – ما اسم شيْءٍ سُداسيِّ الحَروف، ظَرفٌ للعشَرات والأُلوف، لا تنفكَ علَّتاهُ الصُّوريَّةُ والغائيَّةُ عن عاطف ومعطوف. يُمنَعُ من القَنَص، ويُتخَذ كاتخاذ القَفَص، ولا يُوصَفُ جلدُهُ بـــبَهَقٍ ولا بَـــرَص. أعجميُّ المَسْمَى، حرَمٌ لمن تأمّلَه، ورُزِقَ حَزْمًا، إن صُحِّفَ نصفُه كان من عِلل العَرُوض، وأتى عقاباً ليعْمَلَه غير رَكوض، وربمـــا دخـــل تصحيفُه في ألقاب الأعْراب، وأتى مشكوراً من ذوى السَّعَادَة والآداب، وإن اعْتُبِرَ نصفُه الثاني فهو مرادفُ قريب، واستُحِب من الحبيب، وإن قُلِبَ كانَ للرؤساءِ مكانًا، ورُبّما أُضيفَ إلى قبيلةٍ إذا أردْتَ بيانًا؟

فاكْـــشفْ لنا أيُّها العالمُ عن مُعَمّاه، وبيِّن لنا اسْمَه ومُسَمّاه، فما بـــرحتَ تَكْشفُ عن وجوه الإعجازِ حجَابَها، وتكسِفُ نورَ الشمْس وترفَعُ جلْبَابَها، وتنزِعُ عن المعميّات بنورِ بَصيرتك ثيابَها.

فكتبتُ أنا الجوابَ، وهو في حرَمْدان(١):

يـــا فـــرِيدًا جمعَ اللهُ فيه فنونَ الآداب، ووحيدًا عَلا عن الأشْكالِ والأضـــراب، وحَبْرًا بل بحرًا زخرت بالعلوم أمواجُه، وبَلْ للإضْراب، نـــزَّهتُ بـــصري وبـــصيرتي في هذه الحديقة التي لا تزال العيونُ إليها مُحَدِّقَـــه، ولا تبرح كواكبُها في سماءِ بلاغةٍ لا يسبَحُ قمرُهَا في الطريقة المحتـــرقه، فـــرأيتُك – أدامَ اللهُ أيّامَكَ – قد ألغزْتَ لي في ظرْف حَوى حُـــسْنَ الشكل والظّرْف، وفيه الألفُ والنوّن والتركيبُ، ولا يُمْنَعُ من الصَّرْف، وسُدُساه الأولانِ ثُلثا حَرْف، وسُدساه الآخران حرْف، يُعَبِّر بألفَاظِه عن بابِك المعمورِ للخائف، لأنه حرمٌ قريبٌ لا يُوجَدُ به خائف،

(١) الإجابة عن اللغز مذكورة في المصدر السابق.

حِرْزٌ لما يُودَعُ فيه، وهذا الوصفُ له من أجلِّ الوظائف، ذو جَلد على الغرْبةِ فبينا هو في البُلْغَارِ، إذا هو بالطائف، ليس بعربيٍّ، وعهدُه بالعَجَم قــد تقادَم، وليس هو من بني آدم، وإذا قلبتَهُ وَجَدْتَ به آدم، ولَا يَفوهُ بكلمــة، ومتى عُكِسَ ثلثاه نادَم. يتلوّن ألواناً، وما ضَمَّ جَسَدُهُ حَسَدَا، ونــصفُه مَرحٌ إذا قُلب، وسُدساه دَا، وكلُّه ترى ما بين جَنْبَيْه لا جَفْنَيْه رَمَــدَا، يُماثِل قولَ المُحاجي الأريب، مأمَنُ الخائف قريب. وله خواصُّ أُخَرُ عجيبَه، وصفاتٌ بعيدَةٌ إلاَّ عن ذهنك الصَّافي فإنَّها قريبَه.

هــذا ما ظهَرَ للمملوك منه، وكُشِفَ له من الغطاء عنه، فإن وافقَ المملــوكَ الصَّوابُ فهو بسعادتك، وبركاتِ خاطرِك يا شيخَ الشيوخ ويُمْنِ إرادتك، وإلا فالعُذْرُ ظاهرٌ في القصور، وشرُّ الطَّيْرِ يأوى الخرَاب، وخيرُها يأوِى القصور[1].

واللهُ يُمــتِّعُ الأنــامَ بهــذه الكلماتِ اللُّؤلؤيَّات، ويَمْنَعُ بفضله مَنْ يَتحدَّى لمُعارَضَة هذه الآيات البيِّنات. بمنِّه وكرمه. إن شاءَ اللهُ تعالى.

وكتب هو إليَّ أيضاً مُلْغزاً:

(من الخفيف)

أيُّهــا العــالِمُ الــذي حــازَ مجْــدًا
مــا لـــه فـــيه مُـــشبهٌ أو نظـــيرُ
لـــك في العلـــم بَـــسْطَةٌ لا تَناهَـــى
وبحـــلِّ الألغـــاز أنـــت خـــبيرُ

(١) مأخوذ من قول المتنبي (ديوانه ٢/٢٠٢):

خــير الطــيور على القصور وشرها		يــأوى الخــراب ويــسكن الناووســا

كـــلُّ شـــيءٍ يكـــون صـــعبًا إلى أن
تـــتلقّاهُ فهْـــوَ سَـــهلٌ يـــسيرُ
مـــا اســـمُ شَـــيءٍ تـــراه ظلًّـــا ظليلاً
ســـاترًا مـــن صـــفاته التّغـــييرُ
هـــو في كـــل مـــنزلٍ في سمـــوٍّ
يـــتولّى انتـــصابَه الجمهـــورُ
ذو اختـــصاصٍ بالملـــك فهْـــوَ إذا ما
أشـــبه الـــسّقفَ وضـــعُه فجديـــرُ
في تـــصاحيفه افـــتخارٌ وجـــبرٌ
وغـــذاءٌ، ومـــا بـــه التخـــييرُ
ثم فـــيه لا شـــكّ، إمّـــا كـــريةٌ[1]
مـــن مقـــالٍ، أو بهجـــةٌ وســـرورُ؟
فافتِـــنا بالجـــواب يـــا حَـــبرُ فـــورًا
أنـــت بحـــرٌ علمًـــا، ونحـــن غديـــرُ

فكتبت أنا الجواب، وهو في جتر: (من الخفيف)

أيّهـــا الـــسّيدُ الإمـــامُ الـــشهيرُ
والبلـــيغ المفـــوّهُ النّحْريـــرُ
لـــك ذهـــنٌ إذا دجـــى لـــيلُ لُغـــزٍ
يتجلّـــى مـــنه الـــسّراجُ المـــنيرُ
وقـــريضٌ كأنـــه عِقـــدُ دُرٍّ
مَـــعَ ســـجعٍ كأنـــه منـــثورُ

(١) بالأصل «إما كريهة» ولا يستقيم مع وزن الخفيف.

وإذا مـا حبَّـرتَ في الطِّـرس سطرًا

فهْـوَ للعـين روضـةٌ وغديـرُ

وكـأنَّ الأوراقَ لمـا تُحَلَّـى

بمعانـيك جـنةٌ وحريـرُ

إنَّ هـذا اللغـزَ الـذي قـد أتـاني

هـو جـبرٌ وقلـبيَ المكسـورُ

وَهْـوَ يختـصُّ بالملـوكِ ومَـنْ

(م) يطـوِي الأعـادي لواؤُهُ المَنْشُورُ

مَـنْ يُـصحِّفْ حـروفَه ثم يعكِـسْهُ

(م) يُـصادِفْهُ مـنه ريـحٌ كـثيرُ

دُمـتَ مـا غـرّدت حمـائمُ دَوحٍ

يتثنَّـى بهـا القـضيبُ النَّـضيرُ

محمدُ بن يوسفَ بنِ عليِّ بنِ يوسفَ بنِ حيانَ، الشيخُ الإمامُ العلاَّمة، الفريدُ، الحافظُ، الرُّحلةُ، أثيرُ الدين **أبو حيَّانَ الغِرْناطيّ النَّفْزِيّ**[1].

كتـبت له استدعاءً لإجازته سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة[2]:

المـسئولُ من إِحسانِ سيِّدِنا الشيخِ[3] الإمامِ العالِمِ، العلامةِ، لسانِ

(١) المتوفى سنة ٧٤٥هـ. له ترجمة في: (البدر الطالع ٢/٢٨٨، والدرر ٥/٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٩/٢٧٦، ونكت الهيمان/٢٨٠، وفوات ٢/٥٥٥). وغيرها.

(٢) الرسالة برمتها مذكورة في (نفح الطيب ٢/٥٤٨، ٥٤٩)، و(المنهل الصافي ٣/ ٣٢٣ب) و(أعيان العصر ١١/٨٧ب).

(٣) «سيدنا الإمام» بالحذف في (نفح).

العــرب، تَرجمان الأَدب، جامِع الفضائل، عُمدة وسائل السائل، حُجّة المقلِّدين، زيْنِ المقلَّدين، قُطب المولين، أفضلِ الآخرين، وارث[1] عُلومَ الأوّلــين، صاحب اليد الطُّولَى في كلِّ مقام[2] ضيِّق، والتصانيف التي تأخذ بمجامع القلوب، فكلُّ ذي لبٍّ إليها شيِّق، والمباحث التي أثارَت الأدلــةَ الــرّاجحة من مكامنِ أماكنها[3]، وقَنَصَتْ أوابدَها الجامحةَ من مواطِئ مَواطنها، كشّاف مُعْضلات الأوائل، سبّاق غاياتٍ قصرٌ[4] عن شأْوِها سَحْبانُ وائل، فارِع هضباتِ البلاغة في اخْتِلاء احتلا لها، وهي [في][5] مرْقى مَرْقدها، سالب تيجانَ الفصاحة في اقْتضاء اقتضابها من فرْقَد فرْقَدها[6]، حتى أبرزَ في كلامه جنانَ فضْل جَنَان، [فكُلُّ جنانٍ] منْ بَعْده عَن الدُّخول[7] إليها جَبان، وأَتَى ببراهينَ وُجوهُ حُورِها، ﴿لَمْ يَطْمِــثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ولا جَانٌ﴾[8]، وأبدعَ خمائلَ نظمٍ ونثرٍ، لا تصل إلى أفْنان فنونِها يدُجان، أثيرِ الدِّين أبي حيّان، محمد.

(من الكامل)

لا زال مَــيْتُ العلــم يُحيــيه ولا

عَجــبٌ لــذلك مــن أبي حــيّان[9]

---

(١) (ووارث) في نفح.

(٢) «في كل مكان» في نفح. وبعدها فيه: «تأخذ بمجامع القلب».

(٣) بالمنهل «والمباحث التي أثارت.... من مكامن مساكنها».

(٤) «غايات سبق عن شأوها» بالمنهل.

(٥) زيادة من النسخ الأخرى ونفح وأعيان. وعبارة المنهل: «وهي من».

(٦) بالمنهل: «في اقتضا اقتضائها من فرق..».

(٧) العبارة في نفح: «حتى أبرز كلامه جنان، فكل جنان من بعده عن الدخول...». وقراءة الأصل: «حتى أبرز كلامه... جنان، من بعده» بالحذف.

(٨) الآية ٥٦ من سورة الرحمن. هذا وبالأصل: «**إنس قبله ولا جان**».

(٩) البيتان مذكوران في (درة الأسلاك ٢/٤٢٦)، والأول منهما على هيئة النثر في =

حتى ينالَ بنو العلوم مَرامَهم
ويُحِلّهم دارَ المنى بأمان

- إجازةُ كاتبِ هذه الأحْرُف ما رواه - فسح[1] الله في مُدَّته - من المسانيدِ والمصنَّفات والسُّنَنِ والمجاميع[2] الحديثيَّة، والتَّصانيف الأدبيَّة نظماً ونثرًا، إلى غير ذلك من أصنافِ العلوم على اختلاف أوْضاعها وتباين أجناسها وأنواعها، ممّا تلقّاهُ ببلاد الأندلس وأفريقيَّة، والإسكندريّة والديار المصرية، والبلادِ الحجازيّة، وغيرها من البلدان بقراءَة، أو سماعٍ أو مُناولة، أو إجازة خاصَّة، أوْ عامَّة، كيف ما تأدى ذلك إليه، وإجازةُ مالَه [أدام اللهُ إفادته[3]] من التصانيف في تفسير القرآن العظيم، والعلوم الحديثة والأدبية وغيرها، وما له من نظم ونثر [إجازَة خاصة، وأن يُثبت بخطه تصانيفَه إلى حين هذا التاريخ، وأن يجيزه إجازَةً عامَّةً لما يتجدَّد له بعد ذلك على رَأْي من يراه ويجوِّزه. منعماً متفضلاً. إن شاء الله تعالى][4].

فكتب هو الإجازةَ بخطِّه[5]:

أعــزَّكَ اللهُ، ظنَنْتَ بالإنسانِ جميلاً فغَالَيْت، وأبْدَيْتَ من الإحسانِ

نفح الطيب هكذا: «لا زال... وهل عجيب ذلك من أبي حيان».

(١) (فسح الله تعالى) في نفح.

(٢) والمجامع. في المنهل.

(٣) الزيادة من المنهل ونفح.

(٤) (زيادة من: المنهل ونفح مع اختلاف يسير في الألفاظ).

(٥) نص الإجازة مذكور في: (نفح، الطيب ٥٤٩/٢، وأعيان العصر ٨٨/١١، والمنهل ٣٢٤/٣) مع اختلاف يسير جداً في الكلمات لا يغير من المعنى، أضربت عن ذكره؛ تخفيفاً على القارئ.

جزيلاً وما باللّيت، وَصَفْتَ من هو القَتَامُ يظنُّهُ الناظرُ سَماء، والسَّرابُ «يحْسَبُهُ الظمآنُ[1] ماء»، يابن الكرام، وأنت أبصَرُ من نسيم، أمعَ الرَّوضِ النَّضيرِ يُرْعَى الهشيم[2]؟!، أما أغنَتْكَ فواضلُك وفضائلُك، ومعارِفُك عن نُغْبَةٍ من دأماء، وتُرْبَةٍ من يَهْماء؟!، لقد تبلَّجَتْ المهارِقُ من نور صفحاتك، وتأرَّجَتْ الأكوانُ من أريج نَفَحاتك، ولأنْتَ أعْرَفُ بمن يُقْصَدُ للدِّرايه، وأنْقَدُ بمن يَعْتَمدُ عليه في الرِّوايَة، لكن أرَدْتَ أن تكسوَ من مَطارفك، وتَتَفَضَّلَ بتالدك وطارفك، وتُحلّيَ الخاملَ في منَصَّةِ النَّباهَة، وتُنْقذَه من لَكَنِ الفَهاهَة، فَتُشيدَ له ذِكْرًا، وتُعْلي له قدْرًا. ولم يُمْكِنْه إلا إسعافُك فيما طلَبْت، وإجابَتُك فيما إليه نَدَبْت، فإن المالك لا يُعْصَى، والمتفضّلَ المُحْسنَ لا يُقْصَى. وقد أجزْتُ لك — أيّدَكَ اللهُ — أن تَرْوِيَ عَنّي جميعَ ما رَوَيْتُه عن أشياخي بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقيّة، وديارِ مصرَ والحجاز، وغير ذلك بقراءة، أو سماع، ومُناولَة، وإجازة بمُشافهة وكتابة، وَوِجادَة، وجميعَ ما أُجيزَ لي أن أرْوِيَه بالشام والعراق وغيرِ ذلك، وجميعَ ما صنَّفْتُه، واختصرتُه، وجَمَعْتُه، وأنْشأْتُه نثراً ونَظماً، وجميعَ ما سألتَ في هذا الاستدعاء.

ثم إنه سردَ مشاهيرَ مَرْوِيَّاته، وكبارَها الأمهات، وكبارَ أشياخه، وسرَدَ مُصنَّفَاته[3].

وكَتبت أنا إليه من الرحبة المحروسة في سنة تسعٍ وعشرين

---

(١) من قوله تعالى: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء» من الآية ٣٩ من سورة النور.

(٢) العبارة مأخوذة من قول أبي علي البصير:

لعمر أبيك ما نسب المعلى ... إلى كرم وفي الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرت ... وصوح نبتها رعي الهشيم

(٣) يمكنك الوقوف على هذا كله في المصادر الثلاثة المذكورة قبل.

وسبعمائة[1]:

(من البسيط)

لــو كــنتُ أملك من دهري جناحَيْنِ
لطــرتُ، لكــنّه فــيكمْ جــنى حَيْنِي

يــا ســادةً نِلــتُ في مصرٍ بهم شرفًا
أرقــى بــه شُــرَفًا تــنأى عن العين

وإنِ جــرى لــسَماكِيوَانَ ذكــرُ عُلاً
أحلّــني فــضلُهمْ فــوق الــسّماكين

ولــيس غــيرُ أثــيرِ الــدين أثْلَــهُ
فــسادَ مــا شادَ [لي][2] حقًا بلامَيْنِ

حَبْــرٌ، ولــو قلــتَ: إن الباءَ رُتْبتُها
مــن قــبل، صــدّقك الأقوامُ في ذيْنِ

أحيــي علــوماً أمــاتَ الدهرُ أكثرَها
مُــذ خُلّــدتْ جُلّدت[3] ما بين دفّيْنِ

يــا واحــدَ العــصر مــا قولي بمُتّهَمٍ
ولا أحاشــي امــرأً بــين الفــريقين

هــذي العلــومُ بدَت من سيبويهِ كما
قالــوا، وفــيك انــتهت يا ثانِيَ اثْنيْنِ

---

(١) وردت الرسالة شعراً ونثراً في: (نفح الطيب ٢/٥٤٥، ٥٤٦)، و(نكت الهميان/٢٨٦).

(٢) زيادة يتطلبها وزن البسيط من النسخ الأخرى والمصدرين المذكورين سابقاً، والعبارة في نفح: «فشاد ما شاد».

(٣) «مذ جلدت خلدت» بنفح.

فــدُم لهــا، وبــودّي لو أكونُ فدًى
لمــا يــنالُك في الأيّــام مــن شَــيْنِ
يــا سيبويهِ الورى في الدهر، لا عجبٌ
إذا الخلــيلُ غــدا يفــديك بــالعينِ

يُقَــبِّلُ الأرضَ، ويُنْهي ما هو عليه من الأشْواق التي برَّحَتْ بأَلَمها، وأَجْرَت الدُّموعَ دماً، وهذا الطِّرْسُ الأحمرُ يَشْهَدُ بدَمها، وأَرْبَتْ بسَحِّها علــى السَّحائب، وأين دوامُ هذه من دِيَمها؟!. وفرّقَتْ الأصوالَ على السّقَمِ لوجودِ عَدَمِها:

(من الطويل)

(فــيا شوقُ ما أبقى، ويَالِي من النّوى
ويــا دَمعُ ما أجْرَي، ويا قلبُ ما أصبّا)

ويذكرُ ولاءَه الذي تسْجَعُ به في الرَّوض الحمَائم، ويسيرُ تحت لوائه مــسيرَ الرِّياح بين الغمائم، وثَنَاءَه الذي يَتضوَّعُ كالزَّهْر في الكمائِم، ويتَنَسَّمُ تَنَسُّمَ هاماتِ الرُّبا إذا لبست من الرَّبيع مُلوَّناتِ العمائِم.

(من السريع)

ويــشهدُ اللهُ علــى كــلِّ مــا
قــد قُلْــتُه، واللهُ نعــمَ الــشهيدْ

فكتب هو الجواب عن ذلك(١).
وأنشدته يومًا لنفسي(٢):

---

(١) «... الجواب عن ذلك ولكنه علم مني» في نفح الطيب.
(٢) البيتان مذكوران في (نفح الطيب ٢/٥٤٦)،و(الحسن الصريح/ ٧) والعبارة فيه في البيت الثاني: «إن تخط الدموع في الخط سطرا» .

(من الخفيف)

قلـــتُ للكاتـــب الـــذي مـــا أراه
قـــطُ إلاَّ ونقّـــطَ الدمـــعُ شـــكْلَهْ

إن تَخُـــطُ الدمـــوعُ في الخـــدّ شـــيئًا
مـــا يُـــسمّى؟ فقـــال: خَطُّ ابن مُقْلَه

[فأنشدني هو من لفظه لنفسه[1]:

(من الخفيف)

سَـــبَقَ الدّمـــعُ بالمـــسيل[2] المطايـــا
إذْ نـــوى مَـــن أُحِـــبُّ عَنِّـــيَ نُقْلَـــهْ

وأجـــادَ الخطوطَ[3] في صفحة الخـــ
(م)ـــدّ، ولِمْ لا يُجيدُ، وَهْو ابنُ مُقْلَه؟!].

محمدُ بنُ يوسفُ بنِ عبد الله، الشيخُ، البليغُ، المفَوَّهُ، الشاعرُ، شمسُ الدِّين الخيّاطُ الدمشقيُّ الحَنفِيُّ. [**الملقَّبُ بالضفدع**][4].

---

(١) البيتان ساقطان من الأصل وهما مذكوران في النسخ الأخرى، وفي (تكملة ديوانه/ ٤٧٣)، ونكت الهميان (٢٨٢)، وفوات (٥٥٦/٢)، وأعيان العصر (٨٥/١١، وطبقات الشافعية (٢٨٥/٩)، والنجوم الزاهرة (١١٢/١٠)، وبغية الوعاة (٢٨٣/١)، والمنهل (٣٢٢/٣)ب، ونفح الطيب (٥٤٦/٢)، وشذرات الذهب (١٤٧/٦)، وأزهار الرياض (٣٠٤)، ودرة الأسلاك (٤٢٥/٢).

(٢) «**الدمع بالمسير**» في نفح، ونكت، وغيرهما من المصادر السابقة.

(٣) «**وأجاد السطور**» في: ديوانه، ونفح، وغيرهما من المصادر السابقة.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من الطبقات السنية والدرر). وقد ترجم لشمس الدين الخياط ابن حجر (في الدرر: ٦٨/٥)، وابن تغرى بردى في (المنهل ٣٢٨/٣ ا)، والتميمى في (الطبقات السنية ٧٣٦/٣)، والشوكاني في (البدر الطالع ٢٨٦/٢)، والصفدى في (أعيان العصر ٩٤/١١)، توفى شمس الدين الخياط سنة ٧٥٦هـ.

كتب هو على كتابي: (جنان الجناس)[1]:

(من الكامل)

سِــرُّ الفــصاحة في كــتابِك ظاهــرٌ
ولــه ضــياءُ الحــسن عــنك مُذيعُ

وكــذا الثــناءُ المَحْــضُ في أثــنائه
بــنوا فِــجِ الذِّكــرِ الجمــيلِ يَضُوعُ

فلــذاك يُحفَــظُ في الــصدور لفضله
وســواه يُنْــسَى ذكــرُهُ ويَــضيعُ

لله روضٌ في جِــــنان جناســــه
هـــو للقلــوب وللعــيون ربــيعُ

كــم أثمــرت أغــصانُه بفــوائد
كــم طَــاب مــنها في الفؤاد ولوعُ

مــا زال يُمطــرُه الجــنان سـحائبًا
يُــضحى بهــا القــرطاسُ وَهُوَ مَريعُ

في طــيِّه نــشرُ الــرّبيع تأرّجــت
أرجــاؤُه فتعطَّــرَ المجمـــوعُ

سِــفْرٌ عــن الفــضل المحقّــق سافرٌ
ولــه علــى القمــر المــنير طُلــوعُ

بيّــنتَ فــيه[2] لــنا الأُصولُ فأينعت
لجفــا العقــول مــن الأصول فروعُ

(١) القصيدة كاملة مذكورة في (أعيان العصر: ١١/٩٨).

(٢) «هيت لنا فيه الأصول» في : (ز).

وشــرَعتَ في حَــلِّ الرّموز وقد حَلا
للفهــم في ذاك الــشُّروع شــروعُ
لم يــبقَ في علــم المعــانى ناطــقٌ
إلاّ وبــان بــه لــديك خــضوعُ[1]
فــابنُ الأثــير، ولــو تأثّــلَ مجــدُه
وعــصى، لكــان لمــا بنــيتَ يُطيعُ
ســيّرتَ أمــثالاً، لهــا حِكــمٌ، فما
لــنجومها مــثلَ الــنَّجوم رُجــوعُ
أعلــيتَ بُنــيانَ الــبديع مُــشيَّدًا
مــا لم يُشَــيِّد للــزمان بَديــعُ
وأذَبْــتَ لابــن أبِــى الحديد جوانحًا
لم يُطْــفِ مــنها للحــريق دُمــوعُ
وأدرْتَ أفلاكًــا علــى أمــثاله
أضــحت تــروقُ بحُــسنها وتــروعُ
وطَعــنتَ في ابنِ سنان عند خفاجة[2]
لُغــةً، فــأوْدَتْ بالــصّدور صُــدُوع
وأنــرتَ مــا لا نَــوَّرَ المــصباحُ في
علــم البــيان، وفي سَــناه لُمــوعُ

(١) في (ز): «إلا وبان له بذاك خضوع».
(٢) يقصد أبا عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجى، الشاعر، الأديب، صاحب كتاب: (سر الفصاحة). المتوفى سنة ٤٦٦هـ (فوات ١/٤٨٩).

وتخلّــــف المعتــــزُّ إذ زَلَّ ابـــنُه
وبـــدا لمـــنطقه لَـــديكَ خُـــشوعُ
هـــذا كـــتابٌ قـــد كـــبتَّ به العدى
فَجَـــنابُه عـــن حاســـدِيه مَنـــيعُ
أتعـــبْتَ مـــن يَسْرى وراءَك في النُّهى
ومـــتى تَـــساوى ضَـــالِعٌ وضَـــليعُ؟!
ورفعـــتَ قـــدرَ العلـــم حين وضعتَه
فتـــشرَّف الموضـــوعُ والمـــرفوعُ
نَثـــرٌ حَكَـــتْهُ مـــن الكـــواكب نَثرةٌ
فـــيها لـــصفحةِ(1) أوْجُـــهِ ترصـــيعُ
ونظـــامُ شـــعرٍ دونـــه الـــشِّعرى وإن
أمـــست، ومنزلُهـــا(2) علـــيه رفـــيعُ
شـــعرٌ يَـــروقُ طِـــباقُه وجناسُـــه
والـــسَّيْرُ والتَّقـــسيمُ والتَّرصـــيعُ
يـــسمو حبيـــبًا بالمحاســـن إن بَـــدا
ويُـــرَى الولـــيدُ لديـــه وَهْـــوَ رَضِيعُ
أتْقَنْـــتَهُ عمـــلاً وعلمًـــا باهـــرًا
فعَـــلا لـــه المرئـــيُّ والمـــسموعُ
وعَمَـــرْت أبـــياتَ القـــريض به وقد
حكـــتِ الـــرَّبيعَ لمـــا نظمـــتَ رُبُوعُ

(1) «فيها لصحة» . في (ب).
(2) رواية الأصل: «أمست ومنزلتها». وسجلت عبارة النسخ الأخرى.

فجَّــرْتَ أنهــارَ العلــوم بـــه، فمــا
يُــروَى الــورى وبــصدرك اليَنْبوعُ
فاعــذرْ قــصورَ العــبد عن أوصافه
إن لم يطُــلْ للفكــر مــنىً بُــوعُ
واسْمَــعْ لــه مــا صــاغَهُ في مدحــه
فالــصّفحُ مــنك لمــن وَعــاهُ سميــعُ
واجعــل علــيه الحلمَ[1] ستْرًا ضافِيًا
واقــنع بـــه؛ إنَّ الكــريمَ قَــنوعُ
فــصلاحُ قــولي أنــت عينُ صلاحِه
إن خــاف مــن فعــل الفساد جُزوعُ
ولأنْــتَ لي نعــم الخلــيلُ من الورى
والــصُّنْعُ يجمُــلُ والمقــالُ صَــنيعُ
لا زِلْــتَ في كــل الفــضائل ســابقًا
ورِكــابُ مــسراكَ الخفــيفِ سريعُ

وكتــبتُ أنا على قصائدَ من نظمه في قاضي القضاة جلالِ الدّين وأولاده: بدْرِ الدّين، وجمالِ الدين، وتاجِ الدِّين، وصدرِ الدّين [رحمهم الله تعالَى][2]:

وقفتُ على هذه القصائِد التي[3] تدبَّجَتْ، والمدائِح التي طاب ثناؤُها

(١) في الأصل: «واجعل عليه للحلم»، والوزن يرفضه.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من (ب) وبعضه ساقط من النسخ الأخرى، والرسالة التالية مذكورة في (أعيان العصر: ١١/٩٩أ).

(٣) في الأصل «الذي تدبجت»، واخترت ما في (ب).

فــتأرَّجَتْ، والقوافى التى ما لَوَتْ جيدَها إلى غير شاعرها ولا عَرَّجَت. وأَلْقَيْــتُها قَــيدَ النواظــر[١]، وتنزَّهْتُ منها في رَوْضَةَ أحملتْ الخمائلَ والنَّواضر[٢]، وعلمتُ أنَّها تُحْفَةُ القادم وزادُ المسافر، وحضْرَةُ المحاضر. لو عَقَلَ الناسُ تلعُّبَها بالمعانى وفنونَها، لعلَّقوها على كعبة مجاميعهم، فقد عَلَّقَتْ العَربُ دونَها. قد أحكمَها ناظمُها رصْفا، ورَقَتْ لفظًا، وراقَتْ مَعْنًــى، وشاقَتْ وصفًا، ومزَّق بها هذا الخَيَّاطُ أقوالَ ذاك الرَّفَّا، ونبَّتَ كُلَّ قضيبٍ في روضها، فشلَّ مِن باعِ الشعراءِ كفًّا

(من المجتث)

أكْـــرِمْ بهَـــا مـــن قَـــوَافٍ
وبـــذْرِها وجمالـــهِ
وصَـــدْرِها إنْ تَـــبدّى
في تاجِـــهِ وجلالـــهِ

ما للكَادّ التَّعب ظفرٌ بمَمْنوحهَا، ولا للشكْرِ مَنْدُوحَةٌ عن ممدوحها، وما أَظنُّ إلا أنَه أُدْخل الجنَّةَ بَسلام، ولقَى جَلالَه وكرَمُه وجْهَ ذى الجلال والإكرام.

فالله يُمَتّعُ الوجودَ برُقىِّ بَدْرِه دَرَجَ منْبَره، ويُشَنِّفُ الأسماعَ بما يُتحفُها لفْظُه من جوْهَره، ويجعَلُ الفتاوىَ مُتَفيِّئَةً ظِلَّ قَلَمه، ويُديمُ عليه مَوَادَّ نعَمه. بمَنّه وكرمه إن شاءَ الله تعالى هـــ.

[وكَتَب هو على كتَابي: (نصرة الثائر على المثل السائر)[٣].

---

(١) لعله مأخوذ من قول ابن الرومى في وصف حديث عذب:

شــرك العقــولُ، وفتــنة ما مثلها	للمطمـــئن، وعقلـــة المـــستوفز

(٢) «أحملت الخمائل بالنواضر» في النسخ الأخرى.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من (ز). وبعدها بياض بمقدار ثلاث أسطر، مرسوم وسطه كلمة (بياض).

محمودُ بنُ سَلْمَانَ بن فهد الحلبيّ، الشيخُ، الإمامُ، العلاّمَةُ، الأديبُ، الفاضلُ، الكاتبُ، الناظمُ، الناثرُ، البارعُ، البليغُ، القاضي المرحومُ شهابُ الدين، **أبو الثناء** بنُ القاضي زين الدين، صاحبُ ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس[1].

كتب هو لي على آخر المقامة الخامسة والعشرين من مقامات الحريري، وقد قرأتُها عليه في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة[2]:

قرأ عليَّ المولى الصَّدْرُ، فُلانُ الدين – نَفَعَهُ الله بالعلم، ونَفَعَ به من أوَّل كتاب المقامات إلى آخر الخامسة والعشرين، قراءَةً تُطرِبُ السامع، وتأْخُذُ من أهواءِ القلوب بالمجامع. وسأل فيها عن غوامضَ تدلُّ على ذَكاءِ خاطرِه المتَّقِد، وصفاءِ ذهْنه العارِف منه بما ينتقي وينْتَقِد. وَروَيْتُهَا له عن الشيخ الإمامِ مجد الدين أبي عبد الله، مُحمدِ بنِ أحمدَ بنِ الظَّهير الإِرْبلي[3]، وساق سَنَدَهُ فيها إلى الحريريّ.

ثم إنه كتب لي على آخرها، وقد كمَّلْتُ قراءَهَا عليه بدمشق المحروسة في ثاني عشر شهر الله المحرم سنة أربع وعشرين وسبعمائة[4]:

قرأ عليَّ المولى الصَّدْرُ الكبيرُ الرئيسُ ، العالِمُ، الفاضلُ، المُتْقِنُ، المُجيدُ نَظْمًا ونثرًا، المحسنُ في كل ما يأْتي به من الأنواع الأدَبيّة بديهةً وفكرًا،

(١) المتوفى سنة ٧٢٥هـ. له ترجمة في (البدر الطالع: ٢٩٥/٢)، والدرر (٩٢/٥)، وفوات (٥٦٤/٢)، والمنهل (٣٤١/٣ب)، ودرة الأسلاك (١١٤/٢)، أعيان العصر (١٠٣/١١)، والوافي (٨٥/٢٥) وغيرها.

(٢) ما كتبه مذكور في (أعيان: ١٠٦/١١).

(٣) ولد سنة ٦٠٢هـ وسمع في إربل وبغداد، ودرس في القاهرة ودمشق، وتوفي في الأخيرة سنة ٦٨٦هـ. (بروكلمان ٢٢/٥)..

(٤) ما كتبه على آخرها مذكور في (أعيان: ١٠٦/١١).

فُلانُ الدين - نفعه الله بالعلم، ونَفَعَ به - جميعَ كتاب المقامات الحريريّة، قراءةً دلّتْ على تمكُّنه من علم البيان، واقتداره على إبراز عقائلِ المعاني المستكنّة في خُدور الخواطر مجلوّةً[1] لعيَان الأعْيان. وأنّه استشفّ أشعَّةَ مقاصدها بفكْره المُتّقد، وفرّق بين قيمِ فرائدها بخاطره المُنْتقد، فما تجاوَزَ مكانًا إلا وأحسنَ الكلامَ في حقيقته ومجازه، ولا تعدَّى بيانًا إلا وأجملَ المقَالَ في تردُّد البلاغة بين بسيط القولِ فيه وإيجازه. وَرَوَيْتُه له عن فلان. ثم ذكرَ السَّنَدَ على العادة هـ.

وكتب هو لي - رحمه الله - على كتاب: الحماسة لأبي تمام الطائي[2]:

قرأ عليّ الصَّدْرُ فلانُ الدين قراءَةَ مُطّلعٍ من البلاغة على مواضع كنوزها، مُمَيِّزٍ في الصناعة بين لُجَيْنِ بدائعها وإبْريزها، باحث عن أسرار مقاصدهم التي لا تُوجَد في كلام مَنْ بَعْدهم، عالم بقيمِ فرائدهم التي إذا ساواها بغيرها نُقّادُ الأدباء، بَهْرَجَ الامتحانُ والسَّبْكُ نَقْدَهم. ثم ذكر سنَدَه فيها على العادة. هـ.

وكتب هو لي على كتابه: (أهْنَى المنائح في أسْنَى المدائح)، مما نظمه في مديح سيدنا رسول الله ﷺ[3]:

قرأ عليّ المولى الصَّدْرُ، فلانُ الدين - أَيَّدَهُ الله تعالى - هذا الكتابَ والزيادات الملحقةَ في آخره، من نظمي أيضًا، قراءَةً دلّتْ على وُفورِ علمه، وثبتتْ رويّته [في][4] استنباط المعاني، وقُوّة إدراكه المقاصد وسُرْعة فهمه، وشهدَت بتمكُّنه في هذه الصّناعَة، وَأَنْبَأَت عمَّا يُجْريه فِكْرُه من مواد البراعَة على لسَان اليَرَاعَة. وأَذنْتُ له أن يرويَهَا عنّي

(١) بالأصل: «بجلوة»، واخترت عبارة النسخ الأخرى.
(٢) ما كتب على كتاب الحماسة مذكور في (أعيان: ١١/١٠٦ب).
(٣) ما كتبه أبو الثناء على كتابه مذكور أيضًا في (أعيان ١١/١٠٦ب).
(٤) الزيادة عن النسخ الأخرى.

وغيرَها، مما قرأه عليّ، وما لم يقرأْهُ من نظمي ونثري، ومسموعاتي، وإجازاتي. وكتب: محمودُ بنُ سلمانَ بنِ فهدٍ الحلبي، في ثامن رجب، سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة. هـ.

وكتبتُ أنا في آخر كتابه: (حسن التوسل إلى صناعة الترسل)، بعد ما قرأْتُه عليه في سابع شهر رجب الفرد، سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة[1]:

قرأتُ هذا الكتابَ على مُصنِّفه سيِّدنا الشيخِ الإمامِ.

(من الكامل)

العالِمِ العَلّامَةِ، الحَبْرِ الَّذي
بَهَرَتْ عجائِبُهُ بني الآدابِ

وَوَنَتْ لَدَيْهِ المُشْكلاتُ، وطَالما
جَمحَتْ أوابدُها على الطُّلابِ

من كلِّ قافيةٍ تَهُزُّ معاطفَ الـ
أيامِ من سُكرٍ بغيرِ شرابِ

ورسالةٍ خَلَبَتْ عقولَ أُولي النُّهى
وتلعَّبَتْ للسِّحرِ بالألبابِ

الألمعيِّ أخي الفواضِلِ والنَّدى
الكامِلِ الأدواتِ والأسبابِ

المُفوَّه، المدبِّرِ، المشيرِ، يَمينِ الدُّوَلِ، لسانِ الملوك والسلاطين، شهابِ الدين أبي الثناءِ محمود، صاحبِ ديوان الإنشاءِ الشريف بالشام المحروس.

(١) الرسالة مذكورة في (أعيان : ١١/١٠٦، ١٠٧).

(من السريع)

لا بَـــرِحَتْ أبكَـــارُ أفكـــاره
تُجْلـــى لـــنا في حِبَـــرِ الحِبْـــرِ
وروضـــــةُ الآداب مُفتَّـــــرةٌ
مـــن لفظـــه عـــن يانـــع الزَّهْـــرِ

ابن المولى الشيخِ الصالحِ، السعيدِ زين الدين، سلمانَ بن فهد — رحمهما الله — في مجالسَ آخرُهَا التاريخُ المذكور. وقد رأى أنْ يَنْظمَني في سلْك خدَمه، ويفيضَ عليَّ كما أفاضَ عليهم [من][1] مَلابسِ نعَمِه، ويَحْشُرَني في زُمرة طَلَبته الآخذينَ عنه، ويقبِسَني أنوارَ كماله في التَّهذيب الذي [لم][2] تطمحْ النَّفْسُ الأَبيَّةُ أن تَقْتَبِسَها إلاَّ منه، ويُجيزَني روايةَ هذا المصنَّفِ أجمَعِه عنه، وروايةَ ما لَه من تأليفٍ ونظم ونثرٍ إلى غير ذلك. هـــ.

وكتبتُ على أول هذا الكتاب[3]:

(من الطويل)

إذا كـــنتَ بالإنـــشاءِ حِلْـــفَ صَبَابةٍ
فقُـــمْ واتَّخِـــذْ حُسنَ التَّوسُّلِ وَاسِطَه
بـــه خـــتم الآدابَ مُنـــشيه للـــورى
ولكـــن غـــدا في ذلـــك العِقْدِ وَاسِطَه
إمـــامٌ لـــه في الجـــسم والعِلم بَسْطَةٌ
وكـــفٌّ غدَت في ساحة الفضلِ باسِطَه

---

(١) الكلمة ساقطة من الأصل، وأثبتها عن النسخ الأخرى وأعيان.
(٢) الكلمة ساقطة من الأصل، وأثبتها عن النسخ الأخرى وأعيان.
(٣) الأبيات الأربعة مذكورة في (أعيان: ١٠٧/١١، والوافي: ٨٥/٢٥ب).

فطُـوبى لمــن أضــحى نــزيلَ مَقرِّه
وقَابَلــــهُ يـــومًا وقَـــبَّل باســطَه

فلما وقف هو عليها – رحمه الله تعالى – كتب إلىّ[1]:

(من الطويل)

أذَا الزّهـــرُ أم ذَا الدّرُّ لو كان حاضِرًا
محاســنَه حــسّانُ أصْــبحَ لا قِطــه؟!

وذَا الــبذْرُ حيثُ البذْرُ في كبد السَّما
علــى حَــبِّه أطــيارُ عقلــيَ سَاقِطه

تفــضَّلْتَ غــرسَ الــدين لّمــا تَقَبَّلتْ
علــومُك أعمــالاً من النقص حابِطَه

وشــيَّدْتَ، إذ قَــيَّدْتَ فينا، ضوابِطًا
قــواعدُها لــولا وجــودُك هَابطـــه

ولّما قرأتُ عليه في كتاب حسن التوسل، قولَه[2]:

(من الوافر)

فلــم أرَ مــثلَ بِــشرِ الــرُّوض لّمــا
تلاقيـــــنا وبـــــنتَ العامِـــــرِيِّ

جــرى دمعــي وأوْمَــضَ بــرقٌ فيها
فقـــالَ الـــرّوضُ في ذا العـــام رِيّـــى

(١) وردت الأبيات في (أعيان: ١١/١٠٧).
(٢) البيتان مذكوران في (حسن التوسل/٦٣، برواية: ((ولم أر مثل)) في البيت الأول)، و(خزانة الحموى/٢٨)، برواية : لم أر مثل نشر الروض»)، و(معاهد التنصيص: ٣/٢٢٤)، برواية: «ولم أر مثل نشر» (، وأعيان العصر ١١/١٠٧).

أخذتُ في الزَّهْزَهة[1] لما في هذين البيتين من الجناسِ المركَّب، وبالغتُ في الثناءِ عليهما.

فقال: خُذ نفسَك بنظم شيءٍ في هذه المادّة. فامتنعت. فقال: لابدّ من ذلك.

فغبت عنه يومِي، وجئتُه في اليوم الثاني، وأنشدته لنفسي [في][2] هذه المادة:-

(من الوافر)

يقــولُ الــشافعيُّ اعمــلْ تُحَقِّــقْ
مُـــنَال، فمـــا تـــرى كالــشافعيِّ
فكــم في صَحبهِ مــن بحــر علــمٍ
ومــن حَبْــرٍ، ومــن كَــشّاف عِــيٍّ

فقال: حسنٌ. وعَجَّبَ بهما الحاضرين. ثم قال: إلا أنَّ قافيتَ أنا رَائيَّةٌ. فغبت يومي، وأتيتُه في غدٍ. وأنشدتُه لنفسي[3]:-

(من الوافر)

أرى في الجَــو دَرِيّــةِ ظَبْــيَ أُنــسٍ
فياشَــففِي بــه مــن جَــوْدَ رِيَ
لــبارقِ فــيه ســحّتْ سحْبُ دمعي
فقـــال الـــرَّوْضُ: إنْ الجُـــودَ رِيَ

وأنشدته أيضًا[4]:

(١) في الأصل: «أخذه في الزهرة».

(٢) الكلمة ساقطة من الأصل. والزيادة عن النسخ الأخرى. والبيتان التاليان مذكوران في: (جنان الجناس/ ٨٦)، و(أعيان: ١١/١٠٧، ١٠٨).

(٣) البيتان في : (جنان/٨٦، وأعيان : ١١/١٠٨).

(٤) البيتان مذكوران في (جنان/٨٦، وأعيان: (١١/١٠٨).

(من الوافر)

أقــــول لمقلــــق لمـــا رمَــــتْ في
فـــؤادى حـــسرةً مـــن عَنْـــبرىّ
ســـلمتِ وبـــاتَ قلـــبي في عـــذاب
ألم تَخـــشَىْ سُـــؤالَكِ عـــن بَـــرِىّ؟!

فقال: حسنٌ بسن. وزاد في الإعجاب بذلك. ثم قال: إلا أن قافيتى أنا مؤسَّسَةٌ؛ يعنى أن فيها الألف. فأتيتُه في اليوم الثاني، وأنشدتُه لى(١):

(من الوافر)

مليــكٌ كــم ســحابٍ ســحَّ لى من
نـــداه الهـــا معـــىٌّ الهـــا مـــرِىٌّ
وقـــال الـــسيفُ في يُمـــناهُ لَمّـــا
رأى الأعـــداءَ مـــن ذِى الهَـــام ريّـــى

فقال: أجَدْتَ. ولكن أنا بيتاىَ في غزل. وهذان في مديحٍ. فغبتُ عنه، وأنشدتُه لنفسى في اليوم الثانى من ذلك(٢):

(من الوافر)

مليـــحٌ جـــاءَ بعـــد الحـــجِّ يُذْكـــي
غرامِـــى بالنَّـــسيم الحاجِـــرِىِّ
تلظَّـــتْ مـــنه أشـــواقِي بقلْبِـــى
وقالـــت: عـــند هـــذا الحـــاج رِيّ

فزادَ في تقريظهما، والثناءِ عليهما. فقلتُ: يا سيدى، والله ما

---

(١) ورد البيتان في المصدرين السابقين.

(٢) البيتان مذكوران في (جنان، وأعيان).

يلحقُكَ أحدٌ في بيتيك، ولو كان المُطوّعيّ والبُستيّ[1]. قال: و لم ذاك؟ ! قلت: لأنك شاعرٌ مُجيدٌ، فحلٌ، ووقعْتَ على المعنى بكرًا، فلم تدَعْ فيه فضلةً لغيرك، ليأتيَ به في تراكيب ألفاظك العذبة الفصيحة، ومعناه الحسنِ البليغ. فبالغ في الجَبْرِ والصَّدقة.

وأنشدني من لفظه لنفسه قوله[2]:

(من الكامل)

قــل لي عــن الحمَّـام كيف دخلتَها
يــا مالكِــي لتَــسُرَّ خِــلاً مُشْفِقًا؟!
أدَخَلْـتَها وأولــئك الأقــوامُ قــد
شــدّوا المــآزرَ فــوق كثبان النَّقا؟!

فاستحسنتهما، وأنشدتُه لنفسي مضمنا في اليوم الثاني[3]:

---

(١) البستي سبق التعريف به. أما المطوعي، فهو: أبوحفص عمر بن على المطوعي من شعراء اليتيمة. اتصل بخدمة الأمير أبي الفضل الميكالي، وله كتاب: «أجناس التجنيس». وشعره كثير الملح والطرف، لا يكاد يخلو من لفظ أنيق ومعنى بديع. انظر: (يتيمة الدهر ٤/٤٣٣طــ بيروت)

(٢) البيتان مذكوران في (الغيث ١/٧٤)، ومطالع البدور: (٢/١٢)، برواية «كيف دخلته. أدخلته»، وأعيان: (١١/١٠٨ب)، والوافي (٢٥/١٩٧).

(٣) البيتان واردان في (أعيان: ١١/١٠٨)، والشطر الرابع عجز بيت لأبي تمام (ديوانه ١/٢٠٥) وتمامه:

وأحســن مــن نــور تفتحه الصبا بــياض العطايــا في ســواد المطالــب

وهو مأخوذ من قول الأخطل أيضًا:

رأيــنا بياضــا في ســواد كأنــه بــياض العطايــا في ســواد المطالــب

انظر (معاهد التنصيص (٣/٢٢٧).

(من الطويل)

مليحٌ أتى الحمَّامَ كالبدر في الدُّجى
ومَبْسِمُه يُزرى بزُهرِ الكواكبِ
وأردافُه من تحت منزَرِه حكت
(بياضَ العطايا في سوادِ المطالبِ)

فأعجبَه هذا التضمينُ كثيرًا. وأنشدني يومًا له[1]:

(من الطويل)

إذا كان مَنْ أهواه رُوحي وراحتي
ولُقْيَاهُ أرْجى من حياتي وأَرْجَحُ
وأظمأني منه الزمانُ بفقده
فلا شكَّ أن الموتَ أرْوى وأَرْوَحُ

فاستحسنتهما. وأنشدته لنفسي في اليوم الثاني[2]:

(من الطويل)

لئن كان ما بي عنك في الحُبِّ خافيًا
فلا شكَّ أنَّ اللهَ أعْلَى وأعْلَمُ
وإنْ كنتَ في إنسان عَيْنِي مُمَثَّلاً
ففي خاطري ذكراك أغرى وأغرَمُ[3]

---

(١) البيتان في (أعيان: ١٠٨/١١، والوافي: ٩٧/٢٥). وعلى هامش النسخة (ب)، قوله: (لو قال: ((ولقياه من بقياي أرجى وأرجح)) لكان أرجح).

(٢) الأبيات واردة في (جنان الجناس/٧٨). وقد ذكر البيت الأول هنا قبل الأخير لمة، وبرواية «وإن كان ما بي». وكذلك، وردت الأبيات في (حلوة المذاكرة /٦٩- مع اختلاف في ترتيب الأبيات). و(أعيان العصر: ١٠٨/١١، ١٠٩).

(٣) صدر البيت في (جنان، وحلوة) هكذا: (لئن كان طرفي في جمالك باهتا). وعجزه =

وإن كــنتَ أذكــيتَ الجوى بِمَدَامعي
فنارُ الجوى في القلب(١) أضرى وأضرم
وإن كــنتَ تخــتارُ المــنى في مَنِــيَّتي
فــوَالله إنَّ المــوت أسْــلى وأسْــلَمُ

فقال: نَفَسٌ جيدٌ دَالٌ على التمكُّن والقدرة. ولكن اجتهد إذا عارضت أحدًا أن يكون قولك في وزنه ورويِّه. فأنشدته في اليوم الثانى(٢):

(من الطويل)

لــئن طلَــبَتْ نفسى السُلوَّ عن الّذى
بــه تلفَــتْ، فالــصَّبرُ أنجى وأنجَحُ
فقُــل للحــيا الهتّان: أمسِكْ ولا ترُم
مُــساجلتى، فالدَّمــعُ أسْــمَى وأسْمَحُ

وأنشدنى يوما لنفسه قَولَه(٣):

(من الطويل)

غُــرَيبٌ ســبَوْا نومــى ولم تَدْرِ مُقْلتى
كمــا سَــلَبُوا قلبى ولم تشعُرِ الأَعْضَا
وطلَّقــتُ نومــى، والجفُــونُ حواملٌ
فمــن أجل ذَا في الخدِّ أبقتْ لها فَرْضَا

في (حلوة) هكذا: «فلى خاطر في الحب أغرى وأغرم».

(١) في حلوة: «أذكيت الجوى بمدامع فنار الهوى ....» .

(٢) البيتان مذكوران في (أعيان١١/١٠٩أ).

(٣) البيتان مذكوران في : (الدرر: ٩٣/٥)، ودرة الأسلاك (١١٥)، والرواية فيه: «غريب سبوا قلبى». وحلوة المذاكرة /٧٥، ٧٦، وأعيان العصر: (١١/١٠٩)، والوافى (٩٥/٢٥أ) و(فوات: ٨٣/٤ بتحقيق د/ إحسان عباس).

فغبت عنه، وأنشدته لي في اليوم الثاني[1]:

(من المتقارب)

سننتَ السُّهادَ بمنع الكرى
فأظْهَرْتَ في حالةٍ بِدْعَتَيْنِ
وصَيَّرتَ تكرارَ دمعي على
خُدودِيَ من فوقها فرضَ عَيْنِ

فأعجباه كثيرًا.

وأنشدني قوله أيضًا، مما كتب به إلى الملك المظفر [صاحب حماه][2]:

(من الكامل)

أمَّلْتُ أنَّك لا تزالُ بكل مَن
ناواك من كلِّ الأنام مُظَفَّرَا
ورَجَوْتُ أن تطأ الكواكبَ رِفعةً
من فوق أعناق العدى، وكذا جَرَى

فغبت عنه، وأنشدته لي في اليوم الثاني[3]:

(الكامل)

أمَّلْتُ أن تتعطفوا بوصالكم
فرأيتُ من هِجْرانكم ما لا يُرَى

(١) البيتان في (أعيان ١/١٠٩ا)، والوافي: ٢٥/٩٥أ).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من النسخ المساعدة، والبيتان بعده مذكوران في (أعيان).

(٣) البيتان مذكوران في (مطالع البدور ١/٤٠)، والكشكول للعاملي (٢٤٧)، وتأهيل الغريب /١٢١)، ومجموعة الدر/٦١٥، ٦٢٥)، وروض الآداب/١٨٣ب، برواية: «**وعلمت أن فراقكم**»، وأعيان العصر: (١١/١٠٩)ب، وهما غير معزوين في (جمع المنثور/١١٣).

وعلمــــتُ أنَّ بِعـــادَكمْ لابُـــدَّ أن
يجــرى لـــه دمعـــي دَمًا، وكذا جرَى

فأعجباه كثيرًا، وزهزه لهما. فقال: أَجَدْتَ، بارك الله فيك.

وأنشدني من لفظه لنفسه – رحمه الله تعالى[1]: (من البسيط)

قــضىَ وهـــذا الـــذي في حُبِّهم يجبُ
في ذمّـــة الوجدِ تلك الروحُ تُحْتَسَبُ
مـــا كـــانَ يومَ رحيلِ الحيِّ عن إضَمٍ
لـــروحه في بَقـــاءٍ بعـــدهم أرَبُ
صَــبٌّ بكـــى أســـفًا، والشملُ مجتمعٌ
كأنَّـــه كـــان للتَّفـــريق يَـــرْتقِبُ
نـــأوْا، فـــذَابتْ علـــيهم روحُهُ أسفًا
مـــا كـــان إلاّ الـــنَّوى في حتْفِه سببُ
[لم يـــدْرِ أنْ قُـــدُّ ودَ الـــسُّمرِ مُشبهةٌ
للبـــيض لـــو لم يكن أسماءها القُضُبُ
وظَـــنّ كـــأسَ الهوى يَصحُو الثُّريدُها
إذْ أوْهمـــته الثَّـــنايا أنّهـــا لَجـــبُ][2]
طُـــوبى لمـــن لم يُـــبدِّلْ ديـــنَ حُـــبِّهمُ
بل مات وَهْوَ إلى الإخلاص مُنْتَسِبُ[3]

(١) وردت القصيدة في (فوات ٢/٤٦٤- والقول الحسن/ ٢٠- ومجموعة الدر، الورقة ٣٨، ٣٩-، وأعيان العصر: ١١/١٠٩، ١١٠).

(٢) هذان البيتان زيادة من (فوات، والقول الحسن)، ورواية الأخير للشطر الثالث: «يحصو التريف بها».

(٣) الشطر الأول في (ب، ومجموعة الدر): «طوبى له لم يبدل». وانتهى الشطر الثاني =

لـــو لم يَمُـــتْ فـــيهمُ ما عاش عِنْدَهُمُ
حَـــيَاتُه مـــن وفـــاءِ الحُبِّ تُكْتَسَبُ[1]
بانُـــوا وفي الحـــيِّ مَـــيْتٌ ناحَ بعْدَهُمُ
وُرْقُ الحمـــام[2] وسحَّتْ دمْعَهَا السُّحُب
وشَـــقَّ غُـــصْنُ الـــنَّقَا، من أجله حَزَنًا
جُـــيُوبَه، وأُديـــرَت حـــوله العذبُ[3]
وشـــاهد الغـــيثُ أنفاسًـــا يـــصعِّدُها
فعـــاد والـــبرقُ في أحـــشائه لَهَـــبُ
لـــو أنـــصَفُوا وقفُـــوا حِفْظًا لِمُهْجته
إنْ الوقـــوفَ على قتلى الهوى قُرَبُ[4]
يـــا بـــارقَ الثغـــرِ لو لاحَتْ ثغورُهُمُ
وَشِـــمْتَ بارِقَهـــا مـــا فاتَك الشَّنَبُ
ويـــا قـــضيبَ الـــنَّقا لـــو لم تجدْ خبرًا
عـــند الـــصَّبا منهمُ ماهزَّك الطَّربُ[5]
ويـــا حَـــيًا جـــادَهُمْ إن لم تكن كَلفًا
(مـــا بالُ عَيْنَيْكَ منها الماءُ يَنسَكِبُ)[6]

بقوله: «إلى الإخلاص ينتسب» في : (فوات، والول الحسن، ومجموع الدر).

(١) بالشطر الأول: «من عاش عندهم» في (القول الحسن). والشطر الثاني بالأصل: «حيوته منوفاة الحب» وسجلت تعبير المصادر الأخرى.

(٢) «له الحمام وسجت» في (فوات، والقول، والدر).

(٣) لم يرد هذا البيت في (الدر).

(٤) لم يرد البيت في (فوات).

(٥) ورد هذا البيت بعد الذي يليه في (فوات، والقول الحسن، والدر).

(٦) صدر بيت لذى الرمة يخاطب عبد الملك بن مروان (ديوانه/٩، والعمدة ١/٢٢٢):
=

بـــالله يانـــسمات الـــريح أيـــنَ هُمُ؟!
وهـــل نأَوْا أو دُموعى[1] دُونهم حُجُبُ؟
بـــالله لَمـــا اســـتقلُّوا عـــن[2] ديارِهمُ
أحَـــنَّت الـــدَّارُ من شوق أم النُّجُبُ؟!
وهـــل وجـــدْتَ فـــؤادى في رحالِهمُ
فإنَّـــه عـــندهم في بعـــض ما سَلَبُوا[3]
نَـــأَوْا غِـــضَابًا، وقلْـــبى في إِســـارِهمُ
ياليـــتهم غَضِبُوا رُوحى وما[4] غضبُوا
[طُـــوبى لِقلْبٍ غَدَا في الرّكب عنْدَهُمُ
كأنَّـــه عـــنْدهمْ ضيفٌ وهُمْ عَربُ][5]
عـــساك أن تعْطِفـــى نحـــوى معاطِفَهُم
فالغُـــصْنُ بالـــرِّيح يَنْأى ثم يَقْتَرِبُ[6]
وإِن رَجَعْـــتِ إِلـــيهم فاذكرى لَهُمُ[7]
أنِّـــى شـــرِقْتُ بدمـــع العين مُذْ غَرِبُوا

وتمامه:

مـــا بـــال عينك منها الماء ينسكب ... كأنـــه مـــن كُلَـــى مفـــرية ســـرب

ورواية الأصل للشطر: «... الماء منسكب» والتصويب من (ب، والديوان، والعمدة).

(١) «نأوا أم دموعي» في (فوات).

(٢) من ديارهم، في : الدرر.

(٣) البيت ساقط من (الدر).

(٤) «ولا غضبوا» في (ز، والدر، وأعيان).

(٥) هذا البيت زيادة من (فوات، والدر) ورواية الأخير: فإنه عندهم» .

(٦) ذكر هذا البيت في آخر القصيدة في المصادر الثلاثة الأولى.

(٧) في (القول الحسن): «فإن رجعت»، وفي (فوات): «فاذكرى خبرى» .

ثُــم آذكرى سفْحَ دمعى في معاهدهِمْ
لا يُذْكَــرُ الــسَّفحُ إلا حَــنَّ مُغْتربُ

فأعجبتني هذه القصيدة، وهزت أعطافي طربًا، لما هزأت بالروض، وقد مرّت به نسمة الصّبا،

وتوفي – رحمه الله تعالى – فأنشدهًا يومًا بالقاهرة المحروسة لبعض الأصحاب الأفاضل، فألزمني بنظم شيءٍ في هذه المادة. فاستعفيت. فلم يسعف بالإعفاء.

فقلت مع اعتراف بأنه شهابٌ في أوجه، وأنا في الحضيض[1] من الحظ: (من البسيط)

يــا جِــيرَةً مُــذْ نَــأَوْا قلبي بهم يجِبُ
ولو قضى ما قضى بعضَ الذي يَجِبُ[2]

سِــرتُم وقلْــبي أسِــيرٌ في حُمــولكُمُ
فكــيفَ يــرجعُ مُــضنَاكُمْ وَيَنقَلبُ؟!

وأيُّ عــيشٍ لــه يَــصفُو بِــبُعْدِكمُ
والقلــبُ مُضْطرِمُ الأحشاءِ مُضْطرِبُ؟!

أضْــرَمْتُمْ نَــارَ أشْــواقي بِبُعْدِكُمُ[3]
فالجــسمُ مُنْــسبِكٌ والدَّمعُ مُنْسَكِبُ

ناحَــت عَلَــيَّ حماماتُ اللّوى وَرَثَتْ
ولــو رَثَتِــيَ مــا في فِعْلــها عَجَبُ

---

(١) في (أعيان): «وأنا في حضيض» .

(٢) القصيدة كاملة مذكورة في (أعيان العصر: ١١/ ١١٠)، والقول الحسن الورقة : (٢١- ٢٣)، ورياض الألباب الورقة: ٨-١١)، وورد منها أربعة أبيات فقط في (فوات) سأنبه عليها.

(٣) ببينكم، في: رياض، والقول الحسن.

تُمْلِــي علـــيَّ من الأوراق ما صَنَعتْ
سَــجْعًا فتهتــزُّ من أَلحانِهَا القُضُبَ[1]
والغَــيثُ لَمّــا رأى ما قد مُنِنْتُ به[2]
فكلُّــهُ مُقَــلٌ بالدَّمْـــع تَنْــسَكِبُ
بـــالله يـــا صـــاحِ روِّحْـــنى بذكرِهِمُ
وَزِدْ عــسى أنْ يَخفَّ الوَجدُ والوَصَب
ويـــا رســـولى إِلـــيهمْ صِفْ لهم أَرَقى
وأنْ طـــرفى لـــضيفِ الطَّيفِ مُرْتَقِبُ[3]
واســـأل مواهِـــبَهمْ للعين بعضَ كرىً
عـــساىَ أنْ يَهـــبُوا لى بعضَ مَا نَهَبُوا
ولَطِّـــفِ القَـــوْلَ لا تـــسأمْ مُـــراجَعَةً
واشْكُ[4] الهوى والنَّوى قد يَنْجَحُ الطَّلَبُ
عَـــرِّضْ بذكِـــرى. فإنْ قالوا: أتعرِفُهُ؟
فَـــسَلْ[5] لِيَ الوصْلَ وانكِرْني إذا غَضِبُوا
ذكِّـــرْهمُ بلـــيالٍ قـــد مضَت كرمًا[6]
وهـــمْ نجومـــى بها، لا السَّبْعَةُ الشُّهُبُ

(١) ألحانها السحب، في: (رياض).
(٢) ما قد رميت به. في: (رياض).
(٣) ورد هذا البيت والأبيات الثلاثة بعده: (فوات: ٣٠٤/٢، ٣٠٥ والرواية في الأول فيه: «وإن طرفى لطيف الضيف». وفي القول الحسن: «لطيف الطيف مرتقب» .
(٤) «عند الهوى والنوى» في : (فوات).
(٥) «فاسأل» في: (فوات، ورياض).
(٦) «مضت بهم» في: (ب، ورياض).

هُمُ الرِّضى والمُنى[1] والقصْدُ من زمنى
وكــلُّ مــا أرْتجــى والسُّولُ والأرَبُ
وهُــمْ مُــرادِى على حَالَىْ جَفًا وَوَفَا
وبُغْــيتى إن نَــأَوْا عنِّــى أو اقــربُوا
وهــمْ مَــلاذى إذا ما الخَطبُ خاطَبنى
وهُــمْ عِــياذِى إذا مــا نابتِ النُّوَبُ
هــمْ روح جسمي الذي يحيى لشِقْوته
هــم فــإن حياتــى كلُّهــا تعــبُ
هُــمْ نــورُ عــيْنى وإن كانت لِبُعْدِهِمُ
أيّــامُ عَيْــشىَ سُــودٌ كلُّهــا عَطَبُ
إن يحضرُوا فالبُكا (غطّى على بَصرى)[2]
فَهُــمْ حُضــورٌ، وفي المعنى هُمُ غُيبُ
وإن يَغِيــبُوا وأهْــدَوْا طَــيْفَهُمْ كرَمًا
فالــسُّهْدُ[3] من دون ما يَهْدُونَه حُجُبُ
وإن فَرضــتُ انقطِــاعَ الدَّمع لم أرَهم
وَصَــدَّهمْ عنِّــىَ الإجلالُ والرَّهَبُ[4]

---

(١) «هم المنى والرضى»، في: (القول الحسن).

(٢) مأخوذ من قول عروة بن أذينة (البيان والتبيين ٣/٣٦٨).

قالــت وأبثثــها وجــدى فبحت بــه		قــد كــنت عــندى تحــب الستر فاستر
ألــست تبــصر مــن حولي؟ فقلت لها:		غطــى هــواك، ومــا ألقــى على بصرى

(٣) «فالشهد من»، في (رياض).

(٤) صدر البيت في النسخ المساعدة، والقول الحسن، ورياض: «ولو فرضت انقطاع»
=

فمــا تملّــتْ بهــمْ عَينى، بلِ امْتلأت
بأدمــعٍ خَجِلت من دُونها[1] السُّحُب
لم تتــركِ التُّــركُ في شمــسٍ ولا قمرٍ
حُــسْنًا لغَيْــرِ هِــمُ يُعْــزى ويَنتَسِبُ
لكــنَّهمْ لَــمْ يَفُــوا إن عاهَدوك على
وُدٍّ، ومــا هكــذا [2] في فعلها العَربُ
خــلا الغــزَالِ الذي نفسى به علِقَتْ
فكَــمْ لــه من يَدٍ في الفضل تُحْتَسَبُ
لــه لَطَافَــةُ أخــلاقٍ تُعلِّــمُ مَــنْ
لا يَعْــرفُ الوجدَ كيف الذُّلُّ والحَرَبُ
ولحظــهُ الــضيِّقُ الأجفــانِ وسَّعَ لى
همــومَ وَجْــدٍ لهــا في أضــلعى لَهَبُ
ســيوفُ أجفانِــه المرضى إذا نظرَت
تَفــرى الجــوانحَ[3] لا الهنديَّةُ القُضُبُ
إذا انــثنى ســلبَ الألبابَ معْطفَهُ الْــ
ــبادى[4] الــتأوُّدُ لا الخطِّيَّةُ السُّلُبُ

وفي (أعيان): «فلو فرضت» . وعجزه في (القول): «وصدنى عنهم الإجلال والرهب» . وفي (رياض): «الإجلال والأدب» .

(١) «من سحها السحب» في: (رياض، والقول الحسن).

(٢) «ولا هكذا» في: (القول الحسن).

(٣) «تفرى الجوارح» في (رياض).

(٤) «معطفه بادى». في (رياض). وفي القول الحسن: «معطفه الباد» .

وإِن بـــدَا، فـــبدورُ الأُفقِ فِي[1] خَجَلٍ
تُرْخَـــي على وجهها من سُحْبِهَا نُقُبُ
يـــا بـــرقُ لا تبتـــسم من ثَغْره عَجَبًا
قـــد فـــاتَ معناك منه الظَّلْمُ والشَّنبُ
ويـــا قـــضيبَ الـــنَّقا لـــو هَـــزَّ قامتَهُ
لكـــنْتَ تـــسجدُ إجْـــلالاً وتقْتَـــرِبُ
شمعـــي ضِـــيا فَـــرْقِهِ، والورْدُ وَجْنَتُه
والـــرِّيقُ خمـــرى، لا ما يَعصرُ العِنَبُ
ومُـــذْ رشَـــفْتُ لَمَـــاه، وَهْـــوَ مُبْتَسِمٌ
مَـــا رَاقَ لِي بَعْـــده خمـــرٌ ولا حَـــبَبُ

وأنشدني يومًا بعض الأصحاب الأعزة بالقاهرة المحروسة قوله أيضًا[2].

(من الطويل)

تثنَّـــي وأغـــصانُ الأرَاكِ نواضـــرٌ[3]
فَـــنُحْتُ وأسْـــرابٌ مـــن الطير عُكَّفُ
فَعَلَّـــمَ بانـــاتِ الحمـــى[4] كيف تَنْثني
وعَلَّمْـــتُ ورْقَـــاءَ الحمى كيف تَهتِفُ

---

(١) من خجل، في النسخ المساعدة، والقول الحسن.

(٢) مذكور في (البدر الطالع: ٢/٢٩٦، والغيث: (٢/٢٦٩)، ودرة الأسلاك/١٦ أ والمنهل الصافي (٣/٣٤٣)، وأعيان العصر: (١١/١١١)، والوافي: (٢٥/٩٥أ)، و(فوات: ٤/٨٤- دار صادر، تحقيق: د/ إحسان عباس) ورواية الشطر الثاني فيه: «ونحت...» والثالث: «فعلم بانات اللوى» .

(٣) «نواظر» في: البدر، والمنهل. و«موايس» في الأسلاك. وبعدها في الغيث: فتحت وأسراب» .

(٤) بانات النقى، في الغيث.

فألزمني بنظم شيء في هذه المادة. فقلت: هذا يتعذر، لأن هذا استوفى المعنى، ولم يترك فيه فضلةً، وجوّد النظم، فألفاظُه في غاية الفصاحة، وتراكيبُه في غاية الانسجام. فقال: لابدّ من ذلك. فقلت مختصرًا[1]:

(من مجزوءِ الكامل)

لم أنْسَـــــــهُ في روضَــــــــة
والطيْــرُ تَــصْدَحُ فَــوق غـُـصْنِ
فَـــــأُعَلِّمُ الـــــوُرْقَ الــبُكا
ويُعَلِّـــــمُ الـــــبانَ التَّثَــــــي

وأنشدته أيضًا قوله من قصيدة[2]:

(من السريع)

وإن تُــرِدْ علــمَ بَديــعِ الهــوى
بــينَ الــورى فَــأْتِ، فعنْدى[3] المُرَادْ
جــانُس رَعْــيُ[4] الــنجم مُستَيْقظًا؟
لي في الدُّجــى بــينَ الــسُّها والسُّهادْ
وطابَــقَ الــشوْقَ لهــيبي بمـــا
دمعــى فظــلاً[5] بــينَ خَــافٍ وبَادْ

(١) بالوافى (٢٥/٩٥): «فأعجبنى هذا المترع فقلت مختصرا» ثم ذكر البليتين التاليين. وكذلك ذكرا فى (أعيان ١١/١١١ب)، والغيث (٢/٢٧٠).
(٢) ورد هذا القول في (الغيث ٢/٢٧٠). وذكر البيت الأول فقط في (أعيان ١١/١١١) ثم أحال فيه إلى كتاب التذكرة.
(٣) بالأصل: «فعند المراد». ورواية هذا الشطر بالغيث: «فأت إلى عندى فعندى المراد».
(٤) جانس طرفى: في الغيث.
(٥) دمعى فضلا: بالغيث.

وقسَّمَ الوجْدُ غرامي كما
شاءَ، وأعضائي لي ما أرادْ
فَمُقْلتي للدّمع، والجسمُ للْـ
أسقام، والقَلْبُ لحفظِ الوِدادْ
وفرَّعَ الحُبُّ الضّنا في الحشا
عن مُقَلٍ فيها مَنايا العِبادْ
فما ظُبيّ أرْهفَها قَيْنُها
ليوم حَرْبٍ من سُيوفٍ حِدادْ
يومًا بأمْضى من جُفونٍ بَدَتْ
من كحَلٍ خالطها في حِدادْ
وقلتُ بالموجب في قولهم
يومَ[1] النوى يُعْرفُ صِدْقُ الوِدادْ
فَهْوَ كما قالوا، ولكنه
يُعْرَفُ ممَّنْ وُدُّه في ازْدِيادْ

فأعجبه ذلك. وألزمني بنظم شيء في هذه المادة. فنظمت ولكنَّ ذاك بي، وأنا[2] هدمت:

(من الكامل)

أنا والحبيبُ ومن يلومُ ثلاثةٌ
هُمْ بديعُ الحبِّ أصبحَ ينتمي

(١) بالغيث: «بعد النوى يعرف» .

(٢) بالغيث: (٢/٢٧٠): «... فنظمت ولو وفقت هدمت» ثم ذكر الأبيات الثلاثة الميمية. ووردت كذلك في (أعيان العصر) (١١/١١١ب).

فِلِـيَ الجِنـاسُ لأن دمْعِـيَ عن دمي
يجـرى، ألـستَ تـراهُ مثلَ العَنْدَمِ؟!
ولـه مطابقَـةُ التواصُـلِ بالجفـا[1]
ولعاذِلـيه لـزومُ مـا لم يَلْـزَم

وقلت أيضًا[2]:

(من السريع)

لا تعجَـبوا مـنه فمـا حُـسْنُهُ
إلا بلـيغٌ حِـرْتُ في وَصْـفِه
إن كـان قـد أوجـزَ في خَـصْرِه
فإنـه أصـنبَ في رِدْفِـهِ
ومـا أتـى بالـواو[3] في صُـدْغِه
إلا وقـد رتَّـبَ في عطْفِـهِ
ولَـفَّ في البُـردة أعطافَـه
حـتى يطـيبَ النَّـشرُ مـن لَفِّـهِ

محمودُ بنُ طيٍّ الشيخُ، الفاضلُ، العارفُ، جمالُ الدين العَجْلُونى، **المعروفُ بالشيخِ محمود الحافى**[4].

كتبت أنا إليه، وقد توجَّه من صفد إلى قرْية عَلْمَا، شاهدًا في القسم، ومعهم صاحبٌ أُعِزُّه وأُحبّه:

(١) «**التواصل بالقلى**» في (ب، والغيث).

(٢) ذكرت الأبيات الأربعة في (الغيث ٢/٢٧٠)، وأعيان العصر (١١/١١١).

(٣) «**بالواد في صدغه**» في الأصل. والتصويب من النسخ والمصدرين المذكورين.

(٤) المتوفى سنة ٧٣٤هـ. ترجم له ابن حجر في الدرر (٥/٩٤، ٩٥)، والصفدى في أعيان العصر (١١/١٠١).

(من الطويل)

ألا هــل تُــرى يــا نــازِلين رُبَا عَلْما
أحَطْــتُمْ بِمــا يلقَى مُحِبُّكُمُ عِلْما[1]؟!

فلــو شــاءَ حملي الرّيحُ نحوَ خيامِكم
أتــاكمْ بِــصَبٌّ قد براه الهوى سُقْما

ومــا ضَرّكمْ رَعْيُ العهود التي مضَتْ
فكــمْ قــد رَعى طرْفي لِبُعدِكُمُ نَجْما

شُــغِلْتُ بكُمْ عن غيركمْ، لا عدِمْتُكُمْ
فَطَــرْفٌ يــرى إلاّ محاسِــنَكُمْ أعْمى

وعلّمــنيَ دمعــي وجَوْهــرُ ثغــرِكُمْ
إذا غِبْــتُمُ عــن مقلتي، النثرَ والنّظما

ولا عَجَــبٌ أنْ جــاءَ صَبْري مَحاقُهُ
وحُــسْنُكُمُ قــد أخجــلَ القمرَ التّمّا

منَعْــتُمْ جُفونِي لذّةَ الغُمضِ في الدّجى
فمــا ذاقَ طرفي بَعْدكُمْ للكرَى طَعْما

فكــيف قَــضَيتمْ بعــدها أنّ أدمعي
لعــينَيَّ غُسْلٌ، وهْيَ لم تعرفِ الحُلما؟!

أظــنُّكمُ طهّــرتُمُ بمدامعــي
عــيونيَ لَمّــا أن رأت غيركــمْ قِدْما؟!

ولمــا شــكت عــيني إليكم سُهادَها
حكمــتمْ علــيها أن تــدوم وأنْ تَدْما

---

(١) القصيدة برمتها مذكورة في: (أعيان العصر: ١١/١٠١).

وَمَن كنتمُ أحبابَه يا سروره
ويا سَعدَه إن صحّ ذلك أو تمّا
ويا فوزَ قلبٍ أصبحتْ خطراتُهُ
إلى حُبّكمْ تسمو، وصبٌّ بكم يُسْمى
وإن كان عُذّالى عمُوا عن جمالكم
فلما أُذْنٌ عن كل ما نقَلوا صَمًّا

[فكتب هو الجواب](1).

مغلطاى بْنُ قُليج بن عبد الله، الشيخُ، الإمامُ، الفاضل الحافظُ، المحدِّثُ علاءُ الدين البكَجْرىُّ الحَنفىُّ شيخُ الحديث بالظاهريّة بيْن القصرين(2).

كتب هو إلىّ من القاهرة المحروسةَ، وأنا بدمشقَ المحروسةِ سنة تسع وثلاثين وسبعمائة(3). (من الطويل)

سلامٌ كما ازدانتْ بروضٍ أزاهرُ
وذِكرٌ كما نامَتْ عُيونٌ سواهرُ
تحيّةُ مَن شطّتْ بـه عنك دَارُه
وأنـت لـه عَينٌ وسمعٌ وناظـرُ
فيا سيِّدَ السّادات غيرَ مُدافعٍ
ويا واحدَ الدُّنيا ولا مَنْ يُفاخِرُ

(1) بأعيان: «فكتب هو الجواب إلى ذلك. ولكنى لم أجده عند تعليقى هذه الترجمة» .
(2) المتوفى سنة ٧٦٢هـ. له ترجمة في: (البدر الطالع ٢/٣١٢)، و(الدرر: ٥/١٢٢)، و(الطبقات السنية: ٣/٩٧٥)، و(أعيان العصر: ١٢/١٣٣)، و(الوافي:٢٦/١٥)، وغيرها. والمدرسة الظاهرية الجوّانية داخل بأبي الفرج، بناها الملك الظاهر بيبرس؛ لتكون مدرسة ودار حديث وتربة، في حدود سنة ٦٧٠هـ. انظر: (الدارس: ١/٣٤٨).
(3) وردت الرسالة شعرًا ونثرا في (الطبقات السنية ٣/٩٧٧، ٩٧٨)، و(أعيان العصر: ١٢/١٣٣، ١٣٤)، و(الوافي: ٢٦:/٣٥ب).

لـــكَ الشَّرفُ الأَسمى الذى لاح وجْهُهُ
كما لاحَ وجْهُ الصُّبحِ، والصُّبحُ سافِرُ
لـــئن[1] ســـهِرَتْ في المكرُمات أوائلُ
لقـــد شـــرُفَتْ بالمأثـــراتِ أواخِـــرُ
ســـجايا اســـتوتْ منهنَّ فيك مواطنٌ
أقامـــت علـــيهنَّ الدَّلـــيلَ أَوَاخِـــرُ

يُقَبِّلُ الأرضَ عبْدٌ كتبَ هذه الخدمةَ عن وُدٍّ، لا أَقولُ كَصَفْوِ الرَّاحِ؛ فإن فيها جُنَاحًا، ولا كسقْط الزَّند، فرُبَّما كان شحاحًا، ولكن[2] أَصْفَى من ماء الغمام، وأَضْوَأُ من قمر التَّمام. مُستَوْحَشٌ من خدْمتكم كثيرًا، ومُعْلِنٌ بالثَّنَاء، وإن كان المملوكُ حقيرًا، ومُستَعْرِضٌ خدَمَكم[3] وحاجاتكم؛ ليحصُلَ له الشَّرَفُ بمُنَاجاتكم، ويتطلَّبُ منكم الدُّعاءَ[4] بظهْر الغَيْب، فإنه مُتَقبَّلٌ، ولا سيَّما منكم بلا رَيْب. والمملوكُ أجَلَّ خدْمَتكم أن يكتبَ إليكم[5] ما يقدَحُه خاطِرُه، ويُسفِرُهُ ناظِرُه، لكَوْن باعه قصيرًا في هذا العلم وغيرِه، وجبْرُكم أوْجَبَ هذا الإدلال.

فكتبت أنا الجوابَ إليه في ورقٍ أحمر[6]:

---

(١) بالوافي: «لئن شهرت».

(٢) بالطبقات: «فربما كان سجاحا، لكن».

(٣) «ومستعرض خدمتكم» في: (ب، والوافي).

(٤) «منكم الدنيا» بالطبقات.

(٥) أن يكتب إليكم بما يقدحه. بالطبقات.

(٦) الرسالة، شعرا ونثرا، مذكورة في (أعيان العصر: ١٢/١٣٤، والطبقات السنية ٣/ ٩٧٨-٩٨٢) والوافي: ٢٦/٣٥، ٣٦ وذكر بيتان فقط في (درة الأسلاك ٣/١٠) وأولهما: «أيا حافظا قد ضاع» ، . «فلا زالت العلياء» .

(من الطويل)

سـطورٌ تـبدَّتْ أمْ ريـاضٌ نواضـرُ
تَحَـارُ لهـا لمَّـا حَـوَتْها النَّواظِرُ؟!

أتَتْـنَا فخِلْـناها أزَاهِـرَ روضَـةٍ
ومـا هِـيَ إلاَّ في الـسماءِ زَواهـرُ

ومـا شـاهَدَتْ عـينى سواها رسالةً
تُغـازِلُنِى مـنها حِـسانٌ سَـواحِرُ

يُحقِّـقُ مـا فـيها مـن الحسن باطنًا
لأهـلِ المعـالى[1] زُخرفٌ وَهْوَ ظاهرُ

صِـناعةُ مَنْ تُمسى[2] البلاغةُ طَوْعَ ما
يُحاوِلُـهُ مـن نَظمـه وَهْـوَ قـادرُ

ومـا كـلُّ مَـنْ عـانى التَّرسُّلَ ناثِرٌ
ولا كـلُّ مـن يُعْزَى له النَّظْمُ شاعِرُ

أيـا حافِظًـا قـد ضاعَ عَرْفُ حديثِه
ومـا ضَـاعَ بـل قد أحْرزَتْهُ الدّفاتِرُ

تفـضَّلْتَ بَـدْءًا بالتحـيَّةِ عالِمًـا
بأنِّـيَ عـن غايـاتِ فـضْلِك قاصِرُ

وباعُـكَ قـد أمـسى مَديدًا إلى العُلا
وبحـرُكَ في الـنَّظم المُـنَقَّح وافِـرُ

---

(١) «لأهل المعانى» بالوافى.

(٢) «من تمشى» بالطبقات.

إذا الحتقــر المُنْــشي لــه بعــض فِقرة
فعــنْدك مــن حُــرِّ البــيانِ ذخائرُ(١)

ومــا شــئتَ إلا أنَّ فــضلَكَ بعْــدَمَا
تــرحَّلْتُ يــرويه عَطــاءٌ وجابــرُ

فــلا تُلْزِمَنِّــي بالجــوابِ وبالَجــوَى
لــبُعدك، يكفــيني الحــنينُ الُمــسَامِرُ

وشــوقي إلى مــا فــاتني مــن فوائد
لهــا نقــصَتْ عندي البحارُ الزَّواخرُ

وأنِّــي إذا مــا غَــنَّتِ الوُرْقُ، نادبٌ
وأنِّــي إذا نــام الخلِــيُّونَ ســاهرُ

فــلا زالــتِ العلــياءُ حالــيةَ الطُّلا
بألفاظِــك الحُــسنى، فهُــنَّ جَواهِــرُ

يُقبِّلُ الأرضَ التي تضَعُ الملائكةُ بها الأجْنحَة، ويَذْخَر من بركاتها الدُّعاءُ، فإنَّه من نفائس العُدَد والأسْلحَة(٢) – تقبيلَ منَ عَدمَ أُنْسَه، وفَقَد من السُّرور فَصْلَه، ونوعَه، وجِنْسَه، وعلم أنَّ بهجَتَه كانت من الزَّمن عاريةً فاسْتردَّها، وكذلك العوارِى(٣)، وتبينَّ أنَّ الفراقَ جعل

---

(١) صدر البيت بالطبقات: «إذا افتقر الفتى ....» وعجزه بالوافي: «فعندك من حر الكلام.......» .

(٢) بالوافي: «ويذخر بها من بركاتها الدعاء نفائس» بالزيادة والحذف. والعبارة في الطبقات هكذا: «وتدخر بها من بركات الذخائر الأسلحة، تقبيل من علم أنسه» .

(٣) لعله مأخوذ من قول محمد بن مناذر (بهجة المجالس ٢/٢٧٧):

إنمــا أنفــسنا عاريــة والعــوارى قــصرها أن تــسترد

القلْبَ مملوكَ الجوَى، والعبرات جَوَارِي[1]، وعلم أنَّ الدهرَ ناقدٌ، فأَعْدَمَ كلَّ مُسلمٍ للنَّوى شرطُ البخاري.

(من الطويل)

وكُنَّا كما نَهْوَى فيا دَهْرُ قُلْ لنا

أفي الوُسْعِ يَوْمًا أن نعودَ كما كُنَّا؟!!

على أنَّ المملوكَ يُصبِّرُ نفسَه على فراق مولانا ويتجلَّد، ويُعَلِّلُ قلْبَه باجتماع الشَّمْل فإنَّه أَلِف العَوْد وتَعَوَّد، ويحملُ الأَمْرَ في هذا البيْن على الظَّاهر ولا يتأوَّل، ويتمسَّكُ[2] في بُعده بماقاله الأَول[3]:

(من الطويل)

أأحْبابَ قلْبِي والذين بذكرهمْ

وتَرْدَاده طولَ الزَّمان تَعَلُّقِي

لئن غابَ عن عَيْنِي بديعُ جمالِكم

وجارَ على الأبدان حكم التَّفرُّقِ

فما ضَرَّنا بُعدُ المسافة بيننا

سرائرُنا تسْرِي إليكُمْ فنَلْتقِي

ويُنْهِي وُرُودَ المشرَّفَة الشَّرِيفَه، لا بل كنْز الفصاحة التي لو أَنفقَ البليغُ فيها مِثل أُحُد ذَهَبًا ما بلغَ مُدَّها ولا نصِيفَه[4]، لاَ بَل كَعْبَة الحُسْنِ

---

(١) بالأصل: «والعبرات جورى» واخترت ما في النسخ المساعدة والمصادر الثلاثة والجملة بعدها في (الوافي): «وتحقق أن الدهر ناقد» .

(٢) ويتمثل في عبده في المصادر الثلاثة المذكورة.

(٣) ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢هـ. الأبيات الثلاثة مذكورة في (فوات ٢/٤٨٥ طـ. النهضة المصرية).

(٤) مأخوذ من الحديث الشريف: (عن أبي سعيد الخدرى ﷺ قال: قال النبي ﷺ : ((لا تسبوا أصحابي فلوأن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا =

التي لا تزالُ بها الألبابُ[١] طائفةً، والعيونُ مُطيفه، لا بل الغادة الحسناء التي تقرّر[٢] بها الاستحسانُ في مذهب أبي حنيفَه، فوجدَ مقامَ الجواب عنها ضنْكا، ووقف لها واستوْقف، وبكى واستبْكى، وقال:

(من الطويل)

لــك الفَــضْلُ سَــبَّاقًا بــه كُلَّ غاية
ومــا لَــكَ فــيه مــن شبيهٍ ولا مِثْلِ
وقــد كُــنتُ مــسعودًا لو انِّيَ سابِقٌ
بكُتْبِــيَ عــن شوقي ولكن بكَتْ قبْلي

وقد شجَّع المملوكُ نفْسَه، وأرْسلَ الجوابَ في هذا الورَق؛ لأمرٍ يرجُو فيه خيْرا، ولأن الحُمرةَ دليلُ الخجل إذا نُشرَتْ بين يَدى مولانا الذي حمدَ البيانُ عند صباحه سُرَى[٣] والبلاغةُ سَيْرا، ولأنها متى أوْرَدَتْ حديثَ بديع[٤] قال لها حفْظُ مولانا، ونَقْدُهُ، لا يصحُّ حديثٌ جاءَ فيه ذكرُ الحُمَيْرَا، ولمولانا علوُّ الرأى في الإتحاف بهذه الفوائد، والمحاسن التى لا تزال غصونُ رياضها للمتطفّلين على الأدب موائد، والله يُخرِقُ ببقاءِ مولانا العوائد، بمنّه وكرمه. [إن شاءَ الله تعالى][٥].

نصيفه)) . انظر (صحيح البخاري: باب مناقب قريش).

(١) «لا تزال الألباب بها» بالوافى.

(٢) «تفرد» بالطبقات. وبعدها فيه،وفي الوافى: «في مذهب أبي حنيفة» وهو ما اخترته، إذ بالأصل: «في مذاهب أبي حنيفة» .

(٣) بالطبقات، وأعيان العصر: «صاحه سر وسيرا». والعبارة مأخوذة من المثل العربي (مجمع الأمثال: (٤٦٤/١): «عند الصباح يحمد القوم السرى».

(٤) «حديثا بديعا» بالطبقات.

(٥) «على الأدب موائد بمنه وكرمه.....» بالحذف في الطبقات. وما بين الحاصرتين ساقط من الوافى وباقى النسخ. والجملة قبلها في الوافى: «والله تعالى يخرق ......» =

موسى بنُ محمد بن يحيى الأميرُ الأجلُّ الكبيرُ عمادُ الدين اليُوسفيُّ المصريُّ، ابنُ الشيخ، أُحدُ مُقَدَّمي الحلقةَ المنصورة بالقاهرة المحروسة. مولده سنة ستٍّ وسبعين وستمائة بالقاهرة، ووفاته بها في أوائل سنة تسع وخمسين وسبعمائة(١).

كتبت أنا [إليه](٢) من جملة كتاب:

(من السريع)

دارُ عمـــادِ الـــدّين شـــوقي لهـــا
يَجِـــلُّ أن يُذْكَـــرَ بـــين العـــبادْ
مـــا راقَ طَـــرْفي بَعـــدها مَـــنزِلٌ
لأنّهـــا في الحُـــسن ذاتُ العِمـــادْ

وكتبت إليه أيضًا جوابا:

(من السريع)

أبـــارقٌ شـــقَّ جُـــيوبَ الظّـــلامْ
حـــتى أضـــاءَتْ مـــنه تلـــك الخِيامْ؟!
أم روضـــةٌ تبكـــي الحـــيا تُـــربَها
فأصـــبحتْ أزهارُهـــا في ابتـــسامْ؟!
أم أســـطرٌ بالَلفْـــتَ في وصـــفها
فـــدُرُّها مُتَّـــسقٌ في الـــنِّظامْ؟!
جـــاءَتْ إلى صـــبٍّ جفـــاه الكـــرى
ومَـــنْ نـــأى عـــنكمْ جفـــاه المـــنامْ

بالزيادة.

(١) ترجم له ابن حجر في (الدرر:٥/١٥٢) والصفدي في: "أعيان العصر ١٢/١٥٧).

(٢) ساقطة من الأصل وأثبتها عن (ب). والبيتان التاليان مذكوران في (أعيان ١٢/١٥٨).

فأذْكَرَتْنِي زَمَنًا قد مضى
أَلَذَّ من رَشْفِ كئوسِ المُدامْ
وزادَتِ الوجدَ على ما به
وَجْدًا، وأهْدَتْ لِغرامي غرامْ
وقرّحَتْ عَيْنِي بطول البُكا
وضَرَّ ما كان بقلبي الضّرامْ
وحلَّلَتْ سُهْدِيَ إذْ صَيَّرَتْ
عَيْنَيَ من عَينِ مَنامي حرامْ
وما أُطيلُ الشَّرحَ في وصفها
قد نغَّصَتْ لى عِيشَتِى، والسَّلامْ

وكتبت إليه أيضًا(١):

(من مجزوءِ الكامل)

أوْحَشْتَنِي يا عُمْدَتي
وعلى الحقيقة يا عِمادي
يا مَنْ غدا وشِعارهُ
بين الورى بذلُ الأيادِي
وله محاسنُ نشرُها
مُتَضَوِّعٌ في كلِّ نادِ
ومكارمٌ بحديثها
فينا ترنَّمَ كلُّ شادِ

(١) وردت الرسالة برمتها في (التذكرة: ٨/١٤)، وأعيان: ١٥٨/١٢).

ومُـــــــــروءَةٌ أنْـــــــــاؤُها
مـــــــشهورةٌ بـــــين العـــــبادِ
يكفـــــي مُحِـــــبُّك أنَّـــــه
مـــن بَعْـــد بُعْـــدِك في جِهـــادِ
مِحَـــــنٌ تـــــذوبُ بـــــنارِها
صُـــمُّ الـــصخور مـــن الجمـــادِ
وصَـــبَابةٌ إن قلـــتُ: قَلَّـــ (م)
ـــتْ فَهْـــيَ تُـــصْبِحُ في ازديـــادِ
والـــصبرُ كـــنتُ أظـــنُّه
لمـــن يُوصِّـــلُنى بـــلادى
وحَـــياتِكُم لم يـــرضَ أن
يـــشقى وفـــارقَ في المـــبَادى
وكـــذا الكـــرى مـــن عهـــدكم
لـــلآن لم يَعْـــرفْ وِسَـــادى
واللـــهِ لم يخـــرجْ معـــى
مـــن عـــندكُمْ إلاَّ وِدَادى
فَعَـــدِمْتُ إلاَّ أدْمُعَـــا
تحكـــي بـــصَيِّبها الغَـــوادى
ووجـــدتُ كـــلَّ بَلـــيَّةٍ
حاشَـــاكُمْ إلاَّ فُـــؤادى

فغـــدوْتُ أنْـــشُدُهُ وأطْــــــ
ــلُــبُ عَــوْدَه،[1] وَلمــنْ أنــادِي؟!
وأظـــــــنُّهُ في رَبْعِكُـــــــمْ
تجدُونـــــه بــــين الـــرَّماد[2]
أفْـــــــسدتّموه بفـــــــضلكم
لّمـــا غـــدا فـــوق[3] المُـــرَادي
يـــا دَهْـــرُ زدْتَ مـــن الـــنَّوى
وأطَلْـــــتَ فِي هــــذا الـــبِعادِي
مـــــا آنَ أنْ تحـــــنُو فقـــــد
أشْـــمَتَّ بي كُـــلَّ الأعـــادِي

(١) «وأطلب عودة» بالتذكرة.

(٢) «بين الرماد» بالتذكرة. وهو ما اخترته، إذ بالأصل: «الرمادي» .

(٣) «لما غدا وفق المرادي» بالتذكرة.

حرف الياء

يحيى بنُ إسماعيلَ بن محمد بنِ عبد الله، القاضي الكبيرُ، الرئيسُ، الماجدُ، البليغُ، المفوَّهُ، شهابُ الدين بنُ القاضي المرحوم، الرئيسِ عماد الدين، بنِ القاضي شرف الدِّين، بنِ **الصاحبِ فتحِ الدين بن القَيْسرَانى** المخزوميّ، الخالديّ، صاحبُ ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، وموقّع الدَّست الشريف به أخيرًا(١).

كتبت أنا إليه عند قدومى إلى الديار المصرية المحروسة، أصفُ له مشقّةً كابدناها في الطريق بالرمل وغيره، ونحن صُحبةَ الرِّكاب السيفى، الملك أمراى تنكز - رحمه الله تعالى - سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة:

(من المنسرح)

كـــان رَحيلـــى مـــن أرضكم عَجَبًا(٢)
وحادِثـــا مـــن حـــوادثِ الـــزَّمَنِ
مـــن قـــبل أنْ أَعْـــرِضَ الفراقَ على
قلـــــبى وأنْ أسْـــــتَعِدَّ للحَـــــزَنِ

يُقبِّلُ الأرضَ التي يحسُدُهُ على لثمها فمُ الثُّريَّا، وتودُّ الشمسُ لو كانت بها جليسًا، والبدْرُ سميرًا، والنجمُ نَجيًّا ويُنْهى - بعد رَفْع الأدْعية التي لا يخلو منها زمان، ووصفِ العبوديّة التي نالَ بها الأمانيَّ والأمَان، وبثِّ الأثنية التي غرّدَت بأسْجاعها الحمائم، وتراقصت لها أغْصانُ البان.

---

(١) المتوفى سنة ٧٥٣هـ، له ترجمة في (الدرر: ١٨٩/٥)، وأعيان العصر: ١٨٣/١٢، ودرة الأسلاك (٥٣٦/٢)، والنجوم الزاهرة (٢٩٠/١٠)، وشذرات الذهب (٦/ ١٧٥).

(٢) لم يستقم هذا الشطر على وزن المنسرح.

(من الطويل)

وما لِيَ لا أُثني على وابلِ الحيا
إذا الرَّوضُ أثْنى بالنَّسيم على القطرِ)

- أن المملوكَ وصلَ إلى غزّةَ المحروسة، في يوم يتنفَّسُ جَوُّه عن لفحاتِ الوطيس المسجور، أو نفثات المحبِّ المهجور، ويُوطىءُ الأقدامَ من حصبائه على جمرات الغَضَا، أو أَحْشَاء مَن فارَقَ أحبَابَه بالرَّغم مني لا بالرِّضا. هذا إلى ريحٍ نَعوذُ بالله من السَّخَط، وزعازعَ يُظَنُّ معها أَنْ الأُفْقَ انفرج لهوله وسقط، وسَواف كأنَّ الجوَّ أبدَل السُّحبَ رِمالاً بعد النُّقَط، وعمَّنا بوقْعها فهلكنا بين بدَل الاشتمال والغلط. وَهَيَج تمورُ له السَّماءُ وتُموج، وتَكادُ تشَّقَقُ وإن كان ما لها من مُروج[١]، وكان ذلك يوم الدّخول فحسبناه يوم الخُروج، أو اليوم الموعود في السَّماءِ ذاتِ البُروج[٢].

(من الطويل)

(فيالَكَ يَوْمًا دونَه موقفُ النَّوى
وقد ودَّع الأحْبابَ صَبٌّ مُتَيَّمُ)

ثم إنّه أزِف الرَّحيل، وقدمَتْ مراكبُ التَّحويل، والحالُ ما حلَتْ ولا حَالتْ، بل زادَتْ وما[٣] زالَت حتىْ دخلنا الرَّمْلَ نَكْحُلُ[٤] عيونَنا بِبُعْدِ

---

(١) ينظر في هذه الجملة إلى قوله تعالى: «ويوم تشقق السماء بالغمام...» (من الآية (٢٥- الفرقان)، وفي ختام الجملة ينظر إلى قوله تعالى: من الآية: (٦: ق): «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج».

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿والسماء ذات البروج، واليوم الموعود﴾ (١، ٢: البروج)

(٣) بالأصل: «بل زادت وما زادت». واخترت ما في النسخ الأخرى.

(٤) بالأصل: «تكحل عيوننا».

أَمْياله، ونَلْطِمُ بخفاف النُّوق جبَاهَ رِمَاله، تلوحُ بوجوه قد اسْوَدَّتْ من الشَّمْس، فنحن في شفَاه الطُّرُق مثلَ اللعس، وتجافى الغمضَ أجفانُنا بخلاف العاده؛ لأنَّه أيُّ مَنْ مَشي في الرَّمل قالوا إنه نَعَس(١)، نقطعُ الفلاَ ﴿في سَمُوم وحَمِيم﴾ (٢)، وظلٍ من الأثل يحمُومٍ ﴿لا باردٍ ولا كريمٍ﴾ ، كلٌ منَّا يَوَدُّ لو حصَلَ له الرَّوْحُ بذهاب الرُّوح، وَيتمنَّى مع إيمانه لو كان في الطوفان مع قَوْمِ نوح. على أنَّ تنُّورَ الرَّمْل فارَ بالجمْرِ اللاَّفح فانْبثَّ وانْبَثَق، وراحَ كلُّ إنسان، وهو في غرَقِ العرَق، وأمْسى وقد ذابَ في حُرَق الحَرَق، ونضجَ في رشْح جسْمه حتى راحَ في المرَق ومَرَق.

فلما نزلنا في حَمارَّة القَيْظ، والرَّفيقُ يكادُ يتميَّزُ من الغَيْظ(٣) ما يروعُنا إلا تلك الكُثْبانُ التي درَّجَتْها الرِّياحُ فكأنَّهَا بَطنُ الأيْم، أو التجْعيدُ الذي يكونُ كالأمواج في بحار الغَيْم — أخذنا في الكتابة فما سطَّرْنَا حرفًا إلاَّ والرِّياحُ على أيدينا تُرَمِّل، ولا ختَمْنَا كتابًا، ونحن من العواصف نعْرِفُ كيف نُحمْدل، أو كيف نُبسْمل. والمنزلةُ قد تَجرَّدَتَ من خَمَل النَّبات والحَمْل، والقَرارُ معدومٌ برُغاءِ الأنْعام ودَبيبِ النَّمْل، والسَّاقياتُ قد جُمِع لها ما تفرَّقَ في القيعان من الشَّمْل، والطروسُ قد طُمَّتْ فكلُّ مَنْ كتبَ كأنه مجنونُ ليلى يَخُطُّ على الرَّمْل(٤)، وأين هذه

---

(١) نظم هذا المعنى فقال:

من حرم الغمض على مقلتي	برمل مصر عند طيب الغلس
وخالف العادة في قولهم	إن الذي في الرمل يمشي نعس

والنعس: لين الرأى والجسم وضعفهما. (لسان. نعس).

(٢) الآية: (٤٢: الواقعة). وفي الجملة بعدها يقتبس الآية ٤٣: الواقعة: «وظل من يحموم». ثم يقتبس بعدهما الآية (٤٤ :الواقعة).

(٣) ينظر إلى الآية: (٨: الملك).

(٤) يقول ابن شاكر في (فوات: ٢٧٩/٢ ط النهضة): «ولم يزل ا لمجنون يهيم في كل واد، ويتبع الظباء، ويكتب، يقول على الرمل، ولا يأنس بالناس، حتى أصبح ميتا =

الحالُ من وصف ثغرِ المحبوب في قول الشاعر:

(من الوافر)

(لــه شــعرٌ حكــى مجــزونَ ليلــى
يَخُــطُّ إذا مــشى فوق الكثيب)![1]

هيهات، والله، فرْقٌ كثير وبَوْن، والله نعْمَ الحافظُ والعَوْن. خلا أنَّ ما حكاه المملوك لا نُحِسُّ به، ولا نَعَبًا، ولا نَحْمِلُ هَمَّه من المشاقِّ عَيْنًا ولا قلْبًا، نَذْهَلُ عن بؤسِه المؤْلِمِ بالنَّعِيمِ الخَفِيّ، والسِّرُّ في ذلك وجودُ الإحسان الشَّرَفِيّ.

(سَـمُّ الخِـياطِ مَعَ المحبوب مَيْدَانُ)[2]

فالمخدُومُ الشَّرفي كُلَّما وَجَدْنا مشَقَّة، طوى باللَّهو تلك الشُّقَّه، ووفَّى من الذكر الجميل حقَّه. ولله [دَرُّ] القائل[3]:

(من السريع)

في وادٍ يكثر الحجارة... وذلك في حدود الثمانين من الهجرة» .

(١) البيت غير معزو في (فوات الوفيات ١٩٧/٢ طــ النهضة). وقبله:

وتركــي تقــى الخــد المسـى	بقــد مــاس كالغـصن الــرطيب.

(٢) عجز بيت منسوب لإبراهيم الغزى في (الكشكول للعاملى ١٤٠/٢) وصدره: (خير المواطن ما للنفس فيه هوى). والبيت بديوان الغزى (الورقة/٣١) برواية:

وللمطامــع أســباب يــصير بهــا	ســم الخــياط مــع المحبوب مــيدان

وهو معزو في (اختراع الخراع/٢٣) لطفيل الغنوى.

(٣) هو تقي الدين بن دقق العيد في (فوات الوفيات ٤٨٨/٢ طـ النهضة، والغيث المنسجم ١٢٣/١، ومعاهد التنصيص ٢٦٤/٤، وطبقات السبكى ٢١٤/٩)، ورواية البيت الثالث في الأخيرين: «وقيل: بل ذكراك وهو الصحيح» . هذا، وفي (ز): «ولله در القائل» .

كــم لــيلة فــيك وصَــلْنا الــسُّرى
لا نَعــرفُ الغُمْــضَ ولا نــستريحْ

واخــتلف الأصــحابُ مــاذا الذى
يُــزيلُ مــن شــكواهمُ أو يُــريحْ

فقـــيل: تَغرِيـــسُهُمْ ســـاعةً
وقلـــت: بـــل ذكراكَ وهْوَ الصّحِيحْ

فهذه الحالُ حالتُنا، وما نقطعُ الأوقاتَ إلاّ بذكركُمْ إلى أن بلغْنا العريش، فكم جَنَيْنا منه ثمرةَ تعب، وكم قابلْنا في قفره الموحش من حَرِّه، فقلنا: «تَبَّتْ يَدَا أبِي لهب»، وكم رأينا من شجرةِ أَثْلٍ، فَقُلْنا: «وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَب». حتى وافَيْنا الغُرَابِي، فإذا هو البازى الأشْهَبُ حالاً، أو البحرُ الذي أضحَتْ أمواجُه على الحقيقة جبالاً. ذكر المملوكُ فيه ليلةً ضَلَّ فيها عن صَحْبه، ولم ينتفِعْ فيها بهدايةِ الشُّموعِ من شُهْبه، واسْتَحْضَرَ له بيتين قالهما، وهما:

(من السريع)

كـــم للْبَـــرِيدى حَيْـــرةٍ في الدُّجَـــى
يَظَـــلُّ مـــنها في عَـــنًا مُعْجِـــز

كأنَّـــهُ البِـــرْكارُ مـــن دهْـــشَةٍ
فَـــدَوْرُه أضـــحى علـــى مَرْكَـــزِ

ووصلنا إلى القاهرة المحروسة، والمملوك إلى دمشقَ المحروسةِ [يتلفت](١) تلفتَ الأم إلى رضيعها، وحنينَ الهائمة إلى عود ضجيعها

(١) ساقط من الأصل، والزيادة عن (ب).

(من الوافر)

(وَمَا حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبِي
وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارَ)[1]

فذكر الله أيامَ مولانا بالخير، ورعى عهودَه التي يسجَعُ بحَمْدها حتى لسانُ الطَّيْر، وحيّى الله دارَ مولانا التي اجْتَلَيْنا بها وَجْهَ النَّعيمِ السَّافِر، وحفظ حَماهَا فإنَّها عند المملوك أعزُّ من عيْنَيْه، أعني النُّضَارَ والنَّاظِر:

(من الطويل)

فمـا هِـيَ إلاَّ أُفْـقُ حُسْنٍ تكوَّنَتَ
فكـمْ قد جَلَتْ بَدْرًا، وكم أطلعَتْ شَمْسا
قطعـتُ بهـا سـاعاتِ وَصْلٍ نفائسًا
يقِـلُّ لهـا أن أبـذلَ المـال والنَّفْسا
فلـو أنَّـنى في جـنَّة الخُلْـد بعـدها
ذكَـرْتُ ، ولا أنـسى لِلَـذَّاهَا أُنْسا

ويعلـمُ الله أنَّ المملوكَ ما يشْغَلُه عنها الرَّوضُ الأريج، ولا الأماكِنُ المطلَّةُ على النيل، ولا المساكنُ التي تُشرِفُ على الخليج.

(من الطويل)

(فَمَا حَاجِرٌ إلاَّ إذَا كُنْتُمُ بِهَا
إذا غِبْتُمُ عَنْها فَمَا هِي حَاجِرُ)[2]

---

(١) البيت للمجنون (بديوانه/١٧٠) و(خزانة البغدادي ٢٢٧/٤، ٢٢٨). والبيت الذي قبله فيهما:

أمـر علـى الـديار ديـار ليلـى أقـبل ذا الجـدار وذا الجـدارا

(٢) حاجر في لغة العرب ما يمسك الماء من شفة الوادى، وقيل: دون قيد وحاجر. وقيل غير ذلك. انظر (معجم البلدان: حاجر). وفي (معجم ما استعجم): =

فما يزالُ المملوكُ يُقلِّبُ وَجْهَهُ في سماءِ حُسْنِها، ويتفكّرُ في حُسْنِ مَعْنَاها الذي لم يُشَاهَدْ في الحسن بيْتٌ على وَزْنِها:

(من الطويل)

رحَلْــتُ وقلــبي عــند قاعَــتكَ التي
غَدَتْ في رياض الحُسن لي زهْرةَ الدُّنيا
دَرى أنــه عــندي يمــوتُ صــبابَةً
فأضــحى بــدارٍ لا يــزالُ بهــا يَحْيى

والله لا يُخلى من مولانا ديارَ أُنس، ولا يُعْدِمُ المملوكَ من رُؤْيته ما تنوَّعَ في اللذات من جِنْس.

(من الكامل)

أنــا وإن طَــال الفَــراقُ ولم يَعُــدْ
فعلــيكُمْ وعلــى الحــياة ســلامُ

وقد تخيل المملوكُ معانِيَ وقَعَتْ في هذه العبوديّة، فأحَبَّ أن تكونَ نظمًا، فقال:

(من الخفيف)

قــد ركبــنا علــى الــبريد لمــصرٍ
بحــرَ رمْــلٍ عَجاجُــه عجَّــاجُ[1]
فعكــسنا التَّــشبيهَ لَمّــا جَــرَيْنا
في جِــبالٍ كأنَّهــا أمْــواجُ

«حاجر: موضع في ديار بنى تميم». ويقول ابن خلكان في (وفيات ٣/١٦٩) في ترجمة الحاجرى: نسبة إلى حاجر، «وكانت بليدة بالحجاز ولم يبق اليوم منها سوى الآثار» .

(١) البيتان مذكوران في (نصرة الثائر/١٩٢). ويقصد في البيت الثاني عكس التشبيه في قوله تعالى: «وهي تجرى بهم في موج كالجبال» .

وقال:

(من البسيط)

إيّـــاك والـــرّملَ لا تـــنقلْ بـــه قَدمًا
لأنّـــــه في أديم الأرض كالـــــبَهَقِ
وكـــلُّ هَـــضْبٍ كرأسٍ شابَ من كِبَرٍ
تـــشينُه ســـنْخَةٌ في مفـــرِق الطُّـــرُقِ

وقال:

(من الطويل)

كـــأنّ هـــضابَ الـــرّمل لمّا تدرّجَتْ
بأيـــدى ريـــاحِ الجـــوِّ حـــين تـــبينُ
جـــبينٌ لـــبعض الـــرُّوم أبيضُ واضحٌ
ومـــا دَرَّجـــته الـــرّيحُ فـــيه غُصونُ

وقال:

(من الرجز)

لم ألـــسَ وقـــد كـــبتُ لـــيلاً
مـــا كِـــدتُ مـــن الهـــوى أُبَـــسْمِلُ
الـــبرقُ بـــرملِ مـــصرَ شمْعـــى
والـــرِّيحُ علـــى يـــدى تُـــرَمِّلُ

وقال:

(من السريع)

مَـــنْ حـــرَّمَ الغُمـــضَ علـــى مُقْلـــتى
بـــرملِ مـــصرِ عـــند طـــيب الغَلَسْ

وخالف العادةَ في قولهم:

إنْ الذي في الرمل يمشي نَعَسْ[1]

وقال:

(من الطويل)

أتينا عريشَ الرَّمْل في وقت حَرّه
فقلنا له: تَبّت يداك أبا لهبْ[2]
وكم أثْلَة لاظِلٌ فيها ولا جَنىً[3]
يُقَابلُنا منها بحمَّالَةِ الحطبْ

وقال: (من الطويل)

أقولُ: وحرُّ الرمل قد زادَ وَقْدُه[4]
وليس إلى شمِّ النسيم سبيلُ
أظنُّ نسيمَ الجوِّ قد مات وانقضى
فعهدي به في الشام وَهْوَ عليلُ

وقال: (من الوافر)

ويومٌ زاد فيه الحرُّ حتى
هلكتُ به من الكَرْب العظيمِ

---

(١) النعس: لين الرأى والجسم وضعفهما. (لسان . نعس).

(٢) البيتان مذكوران في (مجموعة الدر/١٠٤)، ونصرة الثائر/ ٣٢٤)، وفيه: «وقلت وأنا في رمل مصر عند العريش».

(٣) مأخوذ من قول الشاعر، (الأمالى٣/٢١٧):

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فابعدكن الله من شيرات

(٤) بالأصل «وقد زاد» ولا يستقيم معه وزن الطويل، والبيتان مذكوران في: (نفح الطيب١/٩٦)، و(فض الختام/١٤٥).

فلــــو أبْـــــصَرْتنى وأنــــا فـــــريدٌ
ومــــــالى صـــــاحبٌ إلا حَميمـــــى
كـــأنى البُحتــــرىُّ عـــنًا وَوَجْـــدًا
أُسَــــائلُ مَـــــنْ أراه عـــن نَـــسيمِ[1]

وكتبت أنا إليه من الديار المصرية في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وسعمائة أُهنئه بكتابة سرّ الشام المحروس[2]: (من الخفيف)

كـــم عـــدوٍّ يمــوتُ أيّــامَ يحـيى
ومحـــبٌّ في العـــزِّ والـــسَّعدِ يَحْـيى
هـــــذه دولـــــةٌ تقـــولُ الـلـــيالى
لعُلاهـــا: أهـــلاً وســــهلاً ورَعْـــيا
طالمـــا اشـــتاقَها الـــزَّمانُ بـــنفسٍ
هـــيَ للمجـــد والمكـــارم ظَمْـــيا

(١) نسيم من عبيد البحترى يقول الأصفهاني : (الأغاني: ٢١/٤٥ط/ الهيئة المصريّة):
"أخبرني جحظة قال: كان نسيمٌ غلامُ البحتري الذي يقول فيه:

دعـا عـبرتي تجـرى علـى الجور والقصد أظـن نـسيمًا قـارف الهـمّ مـن بعدى
خـلا ناظـرى مـن طـيفه بعـد شخصه فـيا عجـبًا للدهـر فقـدٌ علـى فقـد

- غلامًا روميًّا ليس بحسن الوجه، وكان قد جعله بابا من أبواب الحيل على الناس، فكان يبيعه ويتعمّد أن يصيّره إلى ملك أهل المروءات، ومن ينفق عنده الأدب؛ فإذا حصل في ملكهْ شبّب به، وتشوّقه، ومدح مولاه، حتى يهبه له، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم، فكُفيَ الناسُ أمره" . هذا، وانظر كذلك في قصة الغلام نسيم: (ديوان البحتري: ص/٥٢٧-٥٢٨، ١٥١٣، وغيرها)، و(وفيات الأعيان: ٦/٢٦ ط/ دار صادر، بتحقيق د/ إحسان عباس)، و(معاهد التنصيص: ١/٢٣٩) وغيرها.
(٢) الرسالة في (أعيان العصر: ١٢/١٨٦). وقد ورد من الشعر في (درة الأسلاك ٢/ ٥٣٧) تسعة أبيات هي: (١، ٢، ٣، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ٢١، ٢٣).

جَمْجَمَ الدّهرُ مُدّةً بسواها
وَهْوَ منها يُسِرُّ في القلب أشْيَا
أطْلَعَتْ في سما دِمشقَ شهابًا
منه شمسُ النهار في الأُفْقِ خَزْيَا
أينَ مَنْ يطلبُ المعالى وتأبى
من رئيسٍ تأتى لمغناه سَعْيًا؟
لو أراد الزّمانُ يأْتى بمثلٍ
لعُلاه بين البريّة أعْيَى
كاتبُ السرّ، سِرُّ كلِّ مُحبٍّ
وأعاد الجميلَ فينا وأحْيى
بسجايا من السحائب أندى
وجَنابٍ من الحدائق أفيا
ذُو سكونٍ وعفّةٍ ليس يشكو
من خُطاه وجهُ الثرى قطُّ وَطْيا
صرْفِ الآن دهرَنا يا شهابَ الدِّ(م)
ين مهما أردتَ أمرًا ونهْيا
وَمُرِ السّعْد بالذى تشتهيه
فَهْوَ يأْتى في الحال ما اخترتَ جَرْيا
فلَكَ الحمدُ والمآثرُ إرْثٌ
عن كرامٍ زكَوْا مَماتا ومَحْيا
أنت من عُصبةِ كرامٍ نَماهم
خالدُ بنُ الوليد في كلِّ عُلْيا

عملـــوا صـــالحًا وحـــازُوا المعـــالى

فهـــمُ الفائـــزون أُخـــرى ودُنْـــيا

بـــك تُزْهـــى دمـــشقُ، فامـــنع حماها

فلـــها مـــن عُـــلاك في العـــزِّ بُقـــيا

قلـــمٌ مـــن بَـــنان كفِّـــك يَـــسعى

فـــوق طـــرسٍ، أم حاك بالخطِّ وشْيا؟!

كـــلُّ ســـطرٍ كأنـــه إذْ تـــبدَّى

شَـــفَةٌ بالمـــداد الاســـودِ لَمْـــيا

ينثـــرُ الـــدُّرَّ بـــل يُـــرِى السّحرَ حقًّا

حـــين يُملـــى علـــيه فكـــرُك وَحْـــيا

فـــإذا مـــا أغملْـــته في مُهـــمٍّ

يـــستبيحُ الأعـــداء قـــتلاً وسَـــبْيا

هـــذه الدّولـــةُ الـــتى كـــنتُ أرجـــو

أن أرى لى بهـــا مـــن الـــسّعد لُقْـــيَا

ويـــسرُّ الفـــؤادَ نَـــيلُ الأمـــانى

وأرى طعـــمَ صـــبره صـــار أرْيـــا

لا أراني لهـــا الـــزمانُ انفـــصالاً

مـــا اشـــتكى عاشِـــقٌ من الحب نَأيا

يُقَبِّلُ الأرْضَ، ويُهَنِّىءُ نَفْسَه والأَنَام، ومملكَةَ الشام والأيّام، وبيضَ الطُّروسِ وسُمْرَ الأقلام، وأربابَ الطيالس وأصحابَ الأعْلام — بهذه الرُّتبةِ التي طلَعَ في سمائها شهابًا توقَّد نورُه، وكاتبَ سرٍّ كثُرتْ بمعاليه في ديوان الإنشاءِ شموسُه وبدُورُه، ووجَدَتْ الأَقلامُ لها في ميدان البلاغة

مَجالاً، وجرت الأرزاقُ من راحتَيْه سُحُبًا ثِقَالاً، وبلَغَت المعالى من قُرْبه أمانيَهَا فلم تَعْدَمْ بمن تَهْوى اتِّصالاً.   (من الوافر)

وزَادَ المُرْهَفَاتِ ضِياءَ عَزْمٍ
فَصَارَ علـى جَوَاهِرِها صِقَالاً
وأبْصَرَتِ الذَّوَابِلُ منه عدْلاً
فأصْبَحَ في عَواملِها اعْتِدالا

فالله يُوزعُنا معاشرَ الأرقَّاء شُكْرَ هذه النعمة التي أَقْمَرَ بها ليلُ الأَمَل، والتَحفَ الدَّهْرُ منها برداء المحَاسن واشْتَمَل، وانْتَشَق خمائلَ فَضْلها من كانت الأيامُ أَخَّرته حتَّى خَمَل، وانتصفَ فيها مَنْ كانت واقعتُه تُذَكِّرُ الناسَ بأيام صفِّينَ والجَمَل.   (من الوافر)

(وأَضْحَى فَضْلُهَا في النَّاسِ بَادٍ
تُدَارُ [علـى نَدَامَاها[1] العُقَارُ)

فهذه الأيَّامُ التي كانت بها الآمالُ في الضمائر أجنَّة، وهذه الأوقاتُ التي جَرَتْ إليها سوابقُ الأمانى مُطْلَقَات الأعنَّة، وهذه الدَّوْلَةُ التي جرَتْ في رياضِ حِماها جداولُ السُّيوفِ تَشُقُّ رياحينَ الأسنَّة.

(من مجزوء الكامل)

(لَيْسَ فِيهَا مَا يُقَالُ لَهُ
كمَلَتْ لَوْ أنَّ ذَا كَمَلاَ)[2]

---

(١) ساقط من الأصل. والزيادة من (ب). هذا وعبارة: (أ): تدل على الشراب بها العقار. وعبارة (ز): تدار بها كما قوى العقاد. وفي (م). باد تدار بها العقار.

(٢) البيت للحكم بن قنبر المازنى (عيون الأخبار ٤/٢٠) وبعده:

كـل جـزء مـن ملاحـتها   كـائن مـن حـسنها مـثلا
لو تمـنت في متاعـتها   لم تـرد مـن نفـسها بـدلا

فأنتم يا بني القَيْسَرَانيّ فضلُكُم مثلُ جدِّكم خَالد، ونجمُ مَنْ عاندكم هابطٌ، ونجمُ سعودكم صاعد، وجنانُ الفضلِ تُرَوْنَ فيها مُتَّكئين على الأَرَائك، وتحيَّتُكُم فيها المحامد، وأيديكم تضربُ من البلاغة في الذهب الذائب، إذا ضَرَبَ غيرُكم من العيّ في الحديد البارد، وبنانُ إحسانكم ينهلُّ بالنَّدى فهو جائدٌ[(١)]، وبنانُ غيركم جامد. زَيَّنْتُم الوجودَ من عصر نورِ الدِّين الشَّهيد — سقى [الله][(٢)] ضريحَه رحمةً وبرًّا — وبدأَتْ حَسَنَاتُ الأيَّام بوجودِكم من هناك، وهَلُمَّ جَرًّا[(٣)]. كم تحمَّلَ منكم مَنْصِبُ الصَّحابَة بوزير، وكم جَلَس كاتبُ سِرٍّ بين يَدَيْ صاحب السَّرير، وكم حَلَّيْتُم بدُرَرِ إنْشائكم جيدَ قاضٍ وعُنُقَ أمير، وكم رُوِيَ الإحسانُ منكم عن نافعٍ وابن كَثير[(٤)].

أما فضائلُكُمْ فإنها مَلأَتْ الدَّفَاتر وأَقَرَّتْ بالتَّقْصير عنها مآثرُ البواتر.

وأما تشدُّدُكم في الدين فقد تفيَّأَ الظِّل من سِدْرَة المنتهى، وبلغَ غايةً لم تكن الشمسُ في علوِّ المنزلة أُختَها. وأما مكارِمُكم فما عَهِدَ الناسُ مثلها من البرامك، ولا اجتلَوْا مثْلَ أقمارِها في الدَّياجي الحوالك. وكيف لا يجدُ الناسُ بكم صفَا الأيَّام، وفي وجودكم لذَّ العَيْش.؟!. أم كيف لا يتَنشَّقون أَرَجَ الخُزَامى، وبنُوا مخزومٍ ريْحانَةُ قريش. فالله لا

ومتاعتها: ظرفها، والمانع من كل شيء: البالغ في الجودة الغاية.

وهذه الأبيات الثلاثة مذكورة دون عزو في (مقامات ابن الجوزي/٣١٢) مع تغيير هين في الرواية.

(١) بالأصل: «فهو جائر».

(٢) اللفظ ساقط من الأصل. والزيادة من (ب).

(٣) من أمثال العرب «وهلم جرا». انظر (مجمع الأمثال ٢/٣٦٦).

(٤) ابن كثير: عبد الله أبو بكر أبو معبد، أحد القراء السبعة، كان قاضي الجماعة بمكة، وتوفي بها عام ١٢٠هـ. وهذا غير ابن كثير المؤرخ صاحب البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر عماد الدين أبو الفداء، المتوفى سنة ٧٧٤هـ. انظر: (دائرة المعارف الإسلامية: ابن كثير).

يُخلي الوجودَ من حسناتكم التي تُفيدُ كلّ بهجة، وتُحيي من موتِ الفضائلِ كُلَّ مُهْجَة: (من البسيط)

(بَقــاكُمُ عِــصْمَةُ الدُّنْــيَا وعِــزُّكُمُ
سِــتْرٌ علــى بَيْــضَةِ الأيّامِ مُنْسَدِلُ)(١)

وكتبت إليه أتقاضاه وعدًا عند بعض الأُمراءِ لفتايَ(٢):

(من السريع)

يــا سَــيِّدًا دَانــي الثَّــنَا المُجتَبَــى
عَلَــيْهِ بالتَّــصْرِيحِ وَالرَّمْــزِ
أصْــبَحْتُ مِــنْ جُــودِكَ أغْنَى الوَرَى
لَكِــنَّنِي أحْلُــمُ بِالخُبْــزِ

وكتبت إليه من القاهرة المحروسة سنة ٧٤٥:-

(من الطويل)

ألاَ هَــلْ لُيَــيْلاَتٍ تَقَضَّتْ عَلَى الحِمَى
تَعُــودُ بَوصْــلٍ لِلْــسُّرُورِ مُنَجَّــزِ؟!
لَــيَالٍ إِذَا رَامَ المُــبَالِغُ وصْــفَهَا
يُــشَبِّهُهَا حُــسْنًا بِأيَّــامِ تَنْكُــزِ

يحيى بنُ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أبي الفرحِ بنِ ظاهرِ بنِ محمدٍ، القاضي

(١) البيت للبحتري (بديوانه ١٧٢٧/٣) برواية : «بقاؤهم عصمة الدنيا وعزهم» من قصيدته في مدح المعتز بالله، مطلعها:

لله مــا تــصنع الأجــياد والمقــل		والأقحــوان الــشتيت الواضــح الرتل

والرتل: المتناسق المنتظم.

(٢) البيتان مذكوران في (أعيان العصر: ١٨٨/١٢). ومن هنا ساقط من الأصل، والزيادة عن النسخ الأخرى. وسأنبه عند نهاية المحذوف.

محيي الدين بنُ الحدَّاد، كاتبُ الإنشاء بطرابلس[1].

كتب هو إلي وقد ورد إلى دمشق[2]:

(من الخفيف)

يـا إمامًـا قد فاق سَحبانَ بل قُسَّ(م)

إيـاد. قـل لي: أأنـتَ الخِضْرُ؟!

أنـت للفـضل قِـبلةٌ، ولأهـل الْـ

ـعِلْم نجـمٌ يُهـدى، وللـدِّين بدرُ

فـإذا مـا نطقْـتَ أفنـيْتَ أبكـا

رَالـبرايا، ولم يحُـمْ[3] لـك فكـرُ

وإذا مـا وضـعتَ في الطِّـرس خطًّا

باهـرَ الحُسْن جـلَّ بـل حَلَّ سِحرُ

وإذا مـا نظمـتَ شـعرًا فللشِّعْـ

ـرى حـياةٌ[4] مـنه، وللشعر فخرُ

وإذا مـا نحـوتَ نحـوًا، فمـن زيْـ

ـدٌ مـن الماهـرين فـيه وعمرو؟!

---

(١) المتوفى سنة ٧٥٧. له ترجمة في (الدرر٥/١٩٧)، وفيه: «يحيى بن علي بن أبي الحسن مجلي بن أبي الفرج محمد بن طاهر». كما وردت له ترجمة في (الطبقات السنية ٣/١١٥٤)، وأعيان العصر: ١٢/١٩١).

(٢) وردت الأبيات التالية في (الطبقات السنة (٣/١١٥٥، وأعيان ١٢/١٩٢). كما ذكر (بالدرر ٥/١٩٨) بيتان فقط هما: - أخجل النظم منك ... ، وإذا ما نظمت شعرًا...

(٣) بالطبقات: «أفكار البرايا ولم يحم» . وبالألحان: «ولم تحم» .

(٤) «حياء» بالطبقات.

أخجــلَ الــنظمَ مــنك نظمٌ وأوْدى
نَثْــرةَ الــشُّهْب مــن مقالــك نَثــرُ
أتُــرى أنــت عــالِمٌ بولائــي الْـــ
ـــمحضِ، أمْ بيــنه وبيــنك سِترُ؟!
ليس شكِّي من الصواب فلو حقَّـ(م)
ـقْــتَ قُــرْبي مــا عــاقني عنك بحرُ
وعلــى الحالــتين قــربٌ وبعــدٌ[1]
لــك عــندي حُــبٌّ، وحَمدٌ، وشُكْرُ

فكتبت أنا الجواب إليه[2]:

(من الخفيف)

لــك منِّــي حمــدٌ يفــوقُ وشــكرُ
لِيَ مــنه علــى مــدى الدَّهــر سُكْرُ
وولاءٌ عقــــدتُ فــــيه لِــــواءً
مــنه طــيٌّ في الخــافقين ونَــشْرُ
ودُعــاءٌ حقًّــا[3] بغــير ادِّعــاء
فــيه مــن ســرعة الإجابــة سِــرُّ
وثــناءٌ أَعْلــيتُ فــيه[4] بــناءً
فَهْــوَ أُفْــقٌ، نجــومُه فــيك زُهْــرُ

(١) «بعد وقرب» بالطبقات.
(٢) ورد الجواب في (الطبقات السنية ١١٥٦/٣، وأعيان العصر ١٩٢/١٢).
(٣) «دعاء حق» في (أ، ز، م ، والطبقات).
(٤) أعليت منه: في الطبقات.

قـــد تفـــضّلتَ باديًـــا بقـــريضٍ
كـــلُّ بـيت فـــيه مـــن الحُسنِ قَصْرُ
فَهْـــوَ يـــنهلُّ بانـــسجامٍ ويحلـــو
فعلـــى كـــلِّ حالـــةٍ هـــو قطـــرُ
وكـــأنَّ الـــسُّطورَ روضٌ مـــريعٌ[1]
والمعـــانى كأنَّهـــا فـــيه زَهْـــرُ
أنـــت يـــابن الحـــداد صَنَعْتَ المعالى
لـــك طَـــوْقًا[2]، فـــيه كلامُـــك دُرُّ
بـــك قـــد أَشْـــرقت دمشقُ وتاهت
فلـــها مـــن سَـــناك فجـــرٌ وفخـــرُ
أنـــت فـــيها بحـــرٌ وقـــد سبق القو
لُ ضـــميرِى، فقلـــتُ: إنـــك حَبْـــرُ
كـــيف يُدْعـــى بالبحـــر مَنْ كلُّ بحرٍ
مُـــستمِدٌّ مـــن فـــضله مُـــستَمِرٌّ؟![3]
فابـــقَ في نعمـــةٍ تُفـــيد الـــبرايَا
فـــضْلَ علـــمٍ يغـــشاه زيـــدٌ وعمرُو

---

(١) «روض منيع» بالطبقات. والروض المريع: المخصب المزدهر.

(٢) «لك طوقًا» بالطبقات. والشطر الأول على هذا النحو غير مستقيم على وزن الخفيف ولعل الصواب:

(أنت يابن الحَدّا صنعْت المعالى) بحذف الدال الأخيرة من كلمة (الحداد) وعدم تضعيف الدال الأولى فيها.

(٣) البيت برمته ساقط من الطبقات.

يحـــيى بـــنُ محمد بنِ زكريا بن محمد بن يحيى، الشيخُ الأديبُ محيي الدين العامريّ الحمويّ، **المعروف بابن الخبّاز**[1].

كتب هو إلى موشَّحًا:

طاب اصطباحي، في انتقاش بسط الأَزهار، في جوانب النَّهرِ

أخْطَـــــــبْ عروسَـــــا

في دنِّهـــــا بكـــــرِ[2]

تُحـــــــيي النُّفوســـــا

عَقْلُـــــنا لهـــــا المهـــرُ

واجْـــــــلُ الكئوســـــا

قـــد حَـــلاَ لـــنا الجهـــرُ

طيبُ افتضاحي. وانتهاكُ سرّ الأسار . في سُلافَة الخمر[3].

ســــــقي وحَيِّــــــي

ســــاقٍ هــــو الأَرَبُ

حُلـــــوُ المُحَـــــيَّا

زانَ ثغـــرَه الـــشَّنَبُ

خِلـــــتُ الحُمَـــــيَّا

في يديْـــــه تلـــتَهبُ

نُورُ المصباحِ. واتقادُ زَنْد الأنوار. شِبْهُ كوكبٍ دُرِّي

---

(١) المتوفى سنة ٧٧٣ هـ له ترجمة في (الدرر: ٢٠١/٥)، والنجوم الزاهرة (١٢١/١١) ودرة الأسلاك (١٧٦/٣)، وإنباء الغمر (٣٢/١)، وشذرات الذهب (٢٣٠/٦).

(٢) «أخطب عروسًا في دنانها بكر» في (أ، م).

(٣) آخر ما سقط من الأصل. وقد نبهت على بدايته من قوله: (يا سيدا داني الثنا المجتبى).

لــــــــــذْ ارْتــــــــــشاف

للطّـــــــلا علـــــى الوَتَـــــرِ

والخمــــــــــرُ نــــــــافى[1]

للهمــــــوم والفِكَــــــرِ

وفي الــــــــــــــسُّلاف

قــــد وجـــدت مـــن عُمُـــرى

رُوحِى بَراحى. لم تُبْلَ بعظم الأفكار. وهى راحةُ السِّرِ

نديمـــــــــــى اعــــــزمْ

واجـــــتهد علــــى العُلـــــيا

وقــــــــولى افهَـــــــمْ

فالثّـــــنا هــــو البَقْــــيا

إن رِذتَ تغـــــــــــــنم

بالعلـــــــوم إذ تَحـــــــى

لُذ بالصَّلاحِ. الرّفيع شأوِ المقدار. فوق قمّةِ النَّسرِ.

هــــــــــو الخلـــــــيل

وَهُـــــو في النُّهـــــى مَـــــولى

صَــــــــــنرٌ جَلـــــــيلُ

فــــــاق نظمُـــــــــهُ الأولى

طلْـــــــــــقٌ جمـــــــيلُ

للعُــــــلا قـــــــد اســــــتولى

ليثُ الكفاحِ. وهِزَبْرُ نظم الأبكار. ونتيجةُ الدّهر.

---

(١) كذا بألحان. والصواب «نافٍ» بتنوين الفاء المكسورة.

إمـــــامٌ فاضــــــلْ
مـــــا لفــــضله عائِـــــبْ
وبــــــدرٌ كامِـــــــلْ
نجـــمُ عـــزْمه ثاقِـــــبْ
لبـــــيبٌ عـــــــادلْ
ســـــهمُ رأيِـــــه صـــائِبْ

بذى الرّماح. وانتداب نَصْل البتَّار. واللّهاذمِ يُزْرِى
لــــبعض وَصْــــــفه
ينــــثنى(١) وصـــفه الخَنْـــسا
وحُــــــسنِ لُطفِـــــه
حـــين يَـــرْقُم الطِّرْســـــا
يـــــراعُ كَفِّـــــه
عـــند خطِّـــه يُنْـــسَى

نورُ الأقاحى. وابتسامُ ثَغر النَّوار. وبدائعُ الزَّهَرِ
وخــــــودُ بِكـــــرِ
ســـهمُ طـــرفها يُنْكـــــى
قُبـــــيْلَ الفجــــرِ
جـــاءَت أُمُّهـــا تبْكـــــى
قالـــــتْ في خِــــدْرى
ابــــنُ جارِنـــا التُّركـــــى

مَزَّقْ وشاحِى، واجتَهدْ في تفكيك إزارى، وركبْ على صدرى.

---

(١) «ينسى» في (أ، م). «تنسى» في (ز).

فكتبت أنا إليه ارتجالا: (من الكامل)

هـذا مُوَشَّحُكَ الـذي بِبَيانه
ذَنْبُ الزَّمَانِ إلى الأنام مُكَفَّرُ

حرَّرْتَ معناه وقد سَطَّرْتَه
بمداده فمحررٌ ومُحبَّرٌ

ألفاظُهُ دُررٌ تُراع بها العدى
أكرمْ بِسَيْفٍ راحَ وَهْوَ مُجَوْهَرُ

يحلو ويلعبُ بالعقول فمن رأى
من قبل ذلك كيف يُشكرُ[1] سُكْرُ؟

جاراكَ في نظم القريض جماعةٌ
حلّقْتَ للمعنى البديعِ وقَصَّرُوا

جهلُوا معانيكَ التي تأتي بها
لو يشعرون بحُسنها لم يُشْعِرُوا

أتحَفْتَني ببديعه، ومَدَحْتَني
فيه فرُحْتُ على الكواكب أفخَرُ

فكتب هو إليَّ الجواب عن ذلك: (من الكامل)

يا فاضِلاً حازَ الفضائلَ والفوا
ضِلَ، وَهْوَ لمّا قلتُ فيه وأكثَرُ

إن قُلتُ: إنَّكَ في الفصاحة قُسُّها
فتعودُ في حرب البديهةِ عَنْتَرُ

(١) «كيف يسكر سكر» في (أ، ز، م).

فجَرِيــرُ لــو جــاركَ عــاد لطيمَها
وكــذا الكُمَــيْتُ[1] يعودُ وَهْو مُقصِّرُ
أنــا مــا مدحــتُك للجــواب لأننى
عــن رُتــبة الــشُّعرا أقــلُّ وأحقــرُ
لكــنْ فــسادُ قــريحق في شــهرة
فــأردتُ أنَّــى بالــصلاح أُذكَّــرُ

وأهدى إليَّ خُبْزًا وكتب معه :

(من الوافر)

بعــثتُ بــبعض خُبــزٍ نحــو حَبْــرٍ
لــه في فــضله خِــيمٌ عَــرِيقُ
تــضمّن يــا نُــسُونًا كاخضرار الْــ
ــعِــذَارِ يــزينُه الخــدُّ الــشَّرِيقُ
مُــصَحَّفُ إِسْــمِه عَــشْرٌ وعــشرٌ
وإن رُمْــتَ الــزِّيادةَ لا يلــيقُ
جَلــيلٌ، ســالمٌ مــن عــيب عَجــزٍ
أوائلُــه إذا وصــل الدَّقــيقُ

وكتب إليَّ أيضًا مع خبز:

---

(١) هو الكميت بن زيد بن الأخنس بن مجالدبن ربيعة بن قيس، الأسدى، كوفى، شاعر مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، ومن شعراء مضر وألسنتها المتعصبين على القحطانية. كانت وفاته سنة ١٢٦هـ، في خلافة مروان بن محمد. انظر ترجمته في (خزانة الأدب: ١/١٤٤).

(من البسيط)

يـا فاضِـلاً سـادَ بالإفـضال والمِنَنِ
والمـشترى الخُبـزَ بالغَـالى من الثَّمَنِ
العَـبْدُ تـصحيفُ ثُلثـيه وَجَبْهـتُهُ
مَوْسُـومَةٌ مـنك بالإحـسان للكفنِ

وكتب أيضًا إليَّ:

(من السريع)

مُوقعـى الدَّسْـتِ لقـد جـاءَكم
صـلاحُكُمْ في الوَصْـفِ والـنَّعْتِ
مـا باشـرَ الدَّسْـتَ لتعظـيمه
كـم خَـطٌ بالأنْمُـلِ مـن دسْـتِ

وكتب إليَّ أيضًا:

(من السريع)

إنَّ صـلاحَ الـدين توقـيعَهُ
في الدَّسْـت لا يُحْـسَبُ مـن بختِهِ
فبعـضُهم إن كـان مـن فـوقه
فالكُـلُّ، لـو أنْـصفَ، مـن تَحْـته

يُوسف بنُ أحمدَ بنِ الحُسَيْن، الشَّيخُ الإمامُ الفقيهُ، المحدِّثُ، النحوىُّ، المفنَّنُ، أقضى القضاة [جمالُ الدين بنُ قاضى القضاة] شرفِ الدين الكَفْرِىِّ الحَنفى(١).

(١) المتوفى سنة ٧٦٦هـ. له ترجمة في (الدرر ٥/٢٢)، وذيل وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٤)، ودرة الأسلاك (٣/٧٠)، وبغية الوعاة (٢/٢٥٤)، والطبقات السنية (٣/ ١٢٠٩)، وغيرها.

كتبت أنا إليه من حلب المحروسة، أهنئه بعودة والده إلى منصبه في شوال سنة تسع وخمسين وسبعمائة: (من الطويل)

هــناءُ جمــالِ الــدين فــرضٌ مُؤَكَّدُ
لأنَّ لَدَيْــه عَــوْدَ أحمــدَ أحمــدُ

صَـبَرْتُم بنى الكفرِىِّ صَبْرَ أولى النُّهى
وللخَطْــب نــيرانٌ تُــشَبُّ وتُخمَــدُ

وَعَــزْلكم عِــزُّلكم عــند عَــوْدكم
يُــشَيَّدُ فــيه ذكــرُكُمْ ويُخَلَّــدُ

وقد كان ذاك العزْلُ منكم لدى الورى
عجيــبًا، وإلا كَــيْفَ يُــصْرفُ أحمدُ؟

نعــم صَــرَفوه إذْ[١] أضافوا له التُّقى
وكــلُّ مُــضَافٍ فَهْوَ بالصَّرْف يُقْصَدُ

[وعُــدْتم ولا عَوْدَ الصَّباح إلى الدُّجى
فَــضَوْا مــنه ما غَدى وهو أسود][٢]

وإلا كمــا عَــادَتْ إلى الرَّوض سُحْبُه
علــى ظمــإٍ مــن تُــرْبهِ يَــتوقَّدُ

فَــبلَّتْ غلــيلاً كــان يــشكوه تُرْبُه
وعــادتْ بــه أزهــارُهُ تَتَنَــضَّدُ

لآنــستُمُ العلــياءَ مــن بعــد وحشة
فخَــدُّ الأمــانى بالهــناءِ مُــوَرَّدُ

(١) بالأصل: «صرفوه إذا» ولا يستقيم على وزن الطويل. واخترت ما في النسخ الأخرى .

(٢) البيت هكذا، زيادة من (ز). وفيه بياض في الشطر الثاني.

هنيـئًا لأهـل الـشام عَـوْدٌ تشوّقُوا
إلـيه، ونالـوا مـنه مـا قد تعوَّدوا
أيـا مَـذْهبَ الـنُّعمان زادك رونقًا
أبـو يوسُـفٍ قاضـى القضاةِ المُمَجَّدِ
غـدا وابـنُه في الحكـم نجمَيْ هدايةٍ
بـنورهما المظلـومُ للنَّـصرِ يُرْشَـدُ
قـد اتَّحـدا علمًـا، وحلمًا وسُؤدُدًا
كأنهمـا في الخـطِّ حـرفٌ مُـشَدَّدُ
فـلا بـرحا في نعمـةٍ وسـيادةٍ
مـدى الدّهـر مـا غَنَّى الحمامُ المُغَرِّدُ

فكتب هو إليّ الجواب عن ذلك:-

(من الطويل)

علـى حلـبٍ مـنَّا الـسلامُ المؤكَّدُ
لأن بهـا أرسـى الخلـيلُ المُمَجَّـدُ
بـل المالـكُ المخدومُ أطيبُ من مَشى
علـى الأرْض في ذا العَصر عَرْفًا وأرْشدُ
وأنْـبلُهم قـدرًا، وأغـزرُهُمْ نَـدًى
وأظهـرُهُمْ بِـشرًا إذا هُـو يُقْـصَدُ
إمـامٌ لـه نثـرٌ كـدُرٍّ مُـنظَّمٍ
ونظـمٌ كثغـرِ أشْـنَبٍ يَتنـضَّدُ
فقُـسٌّ إيـاد عـنده دون باقـلٍ
وقـسٌّ كمـا قـد شاع في اللفظ أيِّدُ

وشـــعرُ أبي تمـــامٍ الـــنَّقصُ بـــيِّنٌ
بـــه عـــنده، ثمَّ الولـــيدُ وُلَـــيِّدُ
وخَـــطٌّ بهـــيجُ الـــصِّيتَ إذ هو بهجةٌ
كخـــطِّ عِـــذارٍ، والعِـــذارُ مُجَعَّـــدُ
فلـــيس لقابـــوسٍ(١) ولا لابـــن مُقْلةٍ
ولا ابـــن هـــلالٍ في طـــريقته يَـــدُ
وإن ذُكـــر الـــتاريخُ ظلَّ ابنُ ثابت(٢)
مُقَلْقَـــلَ أحـــشاءٍ يقـــومُ ويَقْعُـــدُ
ألا خـــلِّ تَعْـــدادَ العلـــوم، فحصْرُها
عَـــسيرٌ، وهل يُحْصِي الحصى مَنْ يُعَدِّدُ؟
تـــصانيفُهُ في كـــلِّ حَـــشْوٍ مُكـــدَّرٍ
صـــفتْ، فهْـــيَ عَـــيْنٌ للفوائد مَوْرِدُ

(١) هو الامير شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر، وشمكير بن زياد بن وردان شاه، الجيلي، أمير جرجان، وبلاد الجبل وطبرستان. كان شاعرًا ناثرًا. وقد أورد له الثعالبي في اليتيمة طائفة من مشهور أشعاره، كما ذكر له جملة من منثوره. وكان خط قابوس في نهاية من الحسن، يقول ابن خلكان: «وكان الصاحب بن عباد إذا رأى خطه، قال:هذا خط قابوس، أم جناح طاووس، وينشد قول المتنبي:

في خطـه مـن كـل قلـب شهوة　　　حـتى كـأن مـداده الأهـواء
ولكـل عـين قـرة في قـربه　　　حـتى كـأن مغيبـه الأقـذاء»

مات قابوس مقتولا سنة ٤٠٣هـ، ودفن بظاهر جرجان. انظر ترجمته في : (وفيات الأعيان ٣/٢٣٤-٢٤٥).

(٢) هو أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، الزبيري. كان يقول الشعر، وله كتاب الجمهرة في نسب قريش. توفي سنة ٢٣٣ هـ عن ست وتسعين سنة انظر ترجمته في (كارل بروكلمان: ٣/٣٣).

فللّــه مــا أبهــى وأبهــجَ وصــفَهُ
وللهِ مــا يُنْــشَى ومــا هــو يُنْــشِدُ
ولله أيــامُ الوصــالِ الــتي مــضتْ
بجلّــقَ، ولّــتْ، والــرُّقادُ مُــشَرَّدُ
لقــد مَرَّرَتْ إذ مرَّتِ العيشُ وانقضت
فقــضت جــوى مــا للفــؤاد به يدُ
علــى أن مــن يــذمم خلــيلاً لأنه
جَفــاه، فإنّــي للخلــيل لأحْمَــدُ
فــلازال في عِــزٍّ منــيعٍ مُهــنَّأً
بعَــوْدٍ، ولا أمَّــتْهُ مــا عــاشَ عُــوَّدُ

وكنتُ قد كتبت إليه يوم وصل تقليدُ والده: (من المتقارب)

رأيــتُ الحَنيفــيَّةَ اســتعجبوا
وقــد أصــبح الحــقُّ لا يَختَفــي
وكــلٌّ تَطَــاوَلَ نحــوَ القــضا
ومــا فــيهمُ كــأبي يُوسُــفِ(١)

يُوسُفُ بنُ سليمانَ بن أبي الحسنِ، بن إبراهيمَ، الشيخُ، الفقيهُ، الأديبُ، الخطيبُ، جمالُ الدين الصُّوفي النابلسيُّ الشافعيُّ، خطيبُ البَدْرِيَّة(٢)، بظاهرِ دمشقَ المحروسة(٣).

---

(١) تورية.

(٢) المدرسة البدرية نسبة إلى بانيها بدر الدين حسن بن الداية، كان هو وإخوته من أكابر أمراء نور الدين محمود بن زنكي. وقد جعلت في حدود الأربعين وستمائة جامعًا فيه خطبة يوم الجمعة. انظر: (الدارس: ٤٧٧/١).

(٣) المتوفى سنة ٧٥٠هـ. له ترجمة في (الدرر: ٢٢٩/٥)، وطبقات الشافعي الكبرى (٣٩٣/١٠)، =

كتب هو إليَّ ورقةً:

يُقبِّلُ الأرضَ، ويسأَلُ إعلامَه بالعزمات الشّهابية: هل أشبهتْ الشُّهُبَ الثواقب، أم اتكلتْ على ما لِسَلَفها من المناقب؟!. وهل أغارتْ على الأمل الضَّائع، فأغارَتْ بالبواعث على الموانع، أم ألقت القولَ في المجامع، وما لاَقَتْهُ بالمسامع؟!. وبعد، فأستغفرُ الله من هذه القَعاقعِ، التي ليس لها مَواقِع، ويسأَلُ إمَّا نَعَمْ، أَوْ لاَ، وأظنُّ الآخرةَ أَوْلَى

(من البسيط)

(النـــاسُ أكثــرُ ممــا أنــت مُلْتمسٌ
إن لم يُســاعدْكَ هــذا المــستَعانُ فَذَا)

ومولانا هو المُتصَدِّق المشفقُ، العالمُ بمصلحة مملوكه، وعبده، ومُحبِّه، وغَذيِّ نعمته، ونشو صدقَته. وإن كان المملوكُ قد سمُجَ وخرَج، فما ﴿عَلى المريض حرَج﴾ (١). وإنّ مَع اللّيل فجرًا، و ﴿إنّ مع العُسْرِ يُسْرًا﴾ (٢)، فمولانا يبسطُ لمملوكه عُذرًا، ويُسْبلُ على عَوارِه سَتْرًا (٣). والله يجعلُ لمولانا في كلِّ طويَّة نَشْرًا. بمنّه وكرمه.

فكتبت أنا الجواب عن ذلك:

يُقبِّلُ الأرْضَ، ويُنْهي وُرُودَ المشرِّفة الكريمة – أعلى الله قدرَها، وأطلعَ في سماءِ البلاغة بدْرَها، وأنزل المحاسنَ اليُوسُفيَّةَ خدْرَها – فوقف منها على «حدَائِقَ ذاتِ بهجة» (٤) وخلائِقَ تُفدَى من المحبِّ بما له من

ودرة الأسلاك (٢/٥٠٣)، والمنهل الصافي (٣/٤٥٥)، وأعيان العصر (١٢/٢١٧).

(١) من الآية: (٦١: النور).

(٢) الآية: (٦: الشرح).

(٣) مأخوذ من قول أبي نواس: –

فـأرخ علـيها ســتر معروفك الذى ســترت بــه قــدمًا علــى عــوارى

(٤) من الآية: (٦٠: النمل).

مُهْجَة. فكم من طائل تحت قعاقعها، وكم من نَشْوَة للألباب تحت فواقعها، وكم من مُحيًّا شُموسٍ وبُدورٍ تحت براقعها.

فَانْتحى المملوك منها وانتخب(1)، واجتلى أقمارَ معانيها واجْتَلَب، وارْتقى دَرَج بيانها وارْتقَب، وتعجَّب من مولانا كيف يطلبُ راتبا بهذا الكنزِ الذَّهَب؟. وكيف يُبْذَلُ هذه الألفاظَ السُّلافيَّةَ في تحْصيل الحبَبَ؟!. وكيف يَبْعث بهذه الأسباب المتمكّنة لتحصيل أَدْنى سَبَب؟!. وكيف لا يعرفُ الأيَّامَ، فإنَّ مثلَ مولانا إذا قارب تناوُلَ النُّجوم، أدْركَتْهُ حُرْفةُ الأَدَب؟!. وكيف؟. وكيف؟. وكَيْف؟. ومهلا علينا فإنَّ هذا الظِّلَّ الورافَ (سحابةُ صَيْف)(2).

وأما الغَرَاماتُ الشهابيَّةُ فهو أدْرَى بأنَّها غيرُ وانية في حقّه، وأنَّها ما تَسْتَكْثِرُ على مولانا أن تَكونَ دينارَ الشمس، ودِرهَمَ البَدْرِ ممّا يُصْرَفُ في رِزْقه، ولكن على كلِّ خيرٍ مانعُ، (من الطويل)

لعَمــرُك مــا تدري الطَّوارِقُ بالحصى

ولا زاجِــراتُ الطيرِ ما الله صانعُ(3)

---

(1) بالأصل: «**منها وانتحب**» بالحاء المهملة.

(2) من أمثال العرب انظر: (ثمار القلوب/٦٥٣).

(3) بالاصل وغيره من النسخ: «**وما تدرى الطوارق**». وهذا البيت للبيد (بديوانه ٥٨، ولسان العرب مادة ((**طرق**)) برواية: ((**لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى**))، والأغاني (٣٧٤/١٥) برواية: «**لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى**» . من قصيدته التي مطلعها:

**بلينــا ومــا تبلــى النجوم الطوالع		وتبقــى الجــبال بعــدنا والمــصانع**

والبيت منسوب للبيد أو للبعيث في (بهجة المجالس ٤٢٥/١)، ومنسوب لطرفة بن العبد في (جمهرة أشعار العرب) وليس بديوان طرفة. وهو غير معزو في (زهر الآداب ٥٢٤/٢).

والمملـــوك من وراء تذكارِ المخدوم الشّهابيّ في كلّ وَقْت، ويطلبُ من الله دَوامَ المِقَةِ، ويَعوذُ به من المقْت.

(من الكامل)

(إنّـــي لأرجــو أن تـــنالَ حُــنُوّهُ

بالعطـــفِ منه، ورغمَ أنفِ الشّامِتِ)[1]

والمعنى مفهوم، وباطنُ هذا الزمنِ لمثلك معْلُوم، والله يجْلُو لنا في كلّ وقت وشْيَهُ المرقوم. بمنّه وكرمه، إن شاء الله تعالى.

وأنشدني لنفسه في حدود العشرين والسبعمائة[2]:

(من السريع)

كـــأنّ ضـــوءَ الـــبدرِ لّمــا بــدا

ونـــورُه بـــين غُــصون الغُــصونْ

وجـــهُ حبـــيبٍ زار عـــشّاقَهُ[3]

فاعترضـــتْ مـــن دُونــه الكاشحون

فأنشدته أنا لي في اليوم الثاني[4]:

---

(١) البيت لأبي تمام (شرح ديوانه ٤/١٧٧) برواية «إني لأرجو أن أنال وصاله» من أبيات مطلعها:

قمـــرٌ تبـــسّمَ عـــن جمـــانٍ نابـــتِ		فظللْـــتُ أرمقـــه بعـــين الـــباهتِ

(٢) البيتان مذكوران في (الدرر/٥/٢٣٠، وطبقات السبكي (١٠/٣٩٥)، والغيث المنسجم (١/١٤٤)، وحلوة المذاكرة (١٩١) والرواية في الأخيرين: «كأنما البدر وقد أشرقت – أنواره .....»، كما ورد البيتان أيضًا في (أعيان العصر: ١٢/ ٢١٩ب، والمنهل الصافي ٣/٤٥٥) برواية: «كأن جلو البدر لما بدا» .

(٣) «زار عاشقه» في : حلوة المذاكرة.

(٤) البيتان مذكوران في : (خزانة الحموى/٢٢٦)، والغيث: (١/١٤٤)، ومطالع البدور (١/١١٦)، وأعيان العصر (١٢/٢١٩ب).

(من السريع)

كأنمـــا الأغـــصانُ لمـــا انثـــنتْ
أمـــامَ بـــدرِ الـــتِّمِّ في غَيْهَـــبَهْ
بِـــنْتُ مليـــكٍ خلـــف شُـــبّاكها
تفـــرَّجتْ مـــنه علـــى موكِـــبِهْ[1]

وأنشدته أيضًا[2]:

(من الكامل)

وكأنّمـــا الأغْـــصانُ تَثْـــنِيها الـــصَّبا
والـــبدرُ مـــن خَلَـــلٍ يلوحُ ويُحْجَبُ
حـــسناءُ قـــد عامت وأرْختْ شَعْرَها
في لُجَّـــةٍ، والمـــوجُ فـــيها يلعـــبُ

وأنشدته أيضا[3]:

(من السريع)

كأنّمـــا الأغْـــصانُ في دَوْحِهـــا
يلـــوحُ لي مـــنها سَـــنا الـــبدرِ

---

(1) مأخوذ من قول ابن قرناص، كما جاء في (مطالع البدور: ١/١١٧):

وحديقـــة غـــنّاء ينـــتظم الـــندا		بفـــروعها كالـــدر في الأســـلاك
والـــبدر يـــشرق من خلال غصونها		مـــثل المليـــح يطـــل مـــن شـــباك

(2) البيتان مذكوران في: (الغيث ١/١٤٤، وأعيان العصر ١٢/٢١٩ب)، ومجموعة الدر/١٠٤)، وفيها: «وكأنما الأغصان تثنيها» .

(3) البيتان مذكوران فى: (أعيان العصر ١٢/٢٢٠)، ومجموعة الدرر (١٠٤)، والمنهل الصافى (٣/٤٥٥)، وفيه: «فرس من التبر».

تُـــرْسٌ مـــن التِّبْـــر غـــدا لامعًـــا
يَقيـــــسُه أسْـــوَدُ بالـــــشِّبْر

واقترح علينا يوما القاضى الإمام البليغ شهابٌ الدين أحمد بن فضل الله معارضة أحمدَ بنِ حسن الموصلى[1] في موشحه الذي أوله: باسِمٌ عن لآلِ. ناسمٌ عن عِطرِ. نافرٌ كالغزالِ. سافرٌ كالبدرِ[2].

فكان الذي نظمه هو. قوله[3] – ولكنه ما التزم قوافيه في الغصنين ولا في الحشوات:-

زائـــرٌ بالخـــيالِ، زائـــلٌ عـــن قـــربي
باهِـــرٌ بالجمـــالِ، ناهِـــرٌ بالعُجْـــبِ
أيّ غُـــــصنٍ نَـــــضيرْ
نُـــــزهةٌ للنظـــــرْ
لحـــــظُ عــــينِي خَفِـــيرْ
مـــــنه وَرْدُ الخَفَـــــرْ
يـــا لـــه مـــن غريـــزْ
في هـــــواه غُـــــررْ

(١) ابن فضل الله هو أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلى بن دعجان...العدو العمرى. كاتب الإنشا بمصر ودمشق، المتوفى سنة ٧٤٩هـــ.
والموصلى، هو: أحمد بن الحسن بن على الموصلى، صاحب الموشحات البديعة. ترجم له الصفدى في (الواف: ٦/٣٢٣- الترجمة رقم /٢٨٣١).

(٢) الموشح مذكور في: (توشيع التوشيح/ ٣٩، والوافى ٦/٣٢٣، ٣٢٤، وأعيان العصر: ١٢/٢٢١، وروض الآداب /١١٧ أ، ب).

(٣) انظر الموشح في (توشيع/ ٤٢، وروض الآداب الورقة: ١١٨ب، ١١٩أ) وغير معزو في (بهجة الناظر، الورقة/٣٠٤ ب: ٣٠٥ب).

ساحرٌ بالدلال، ساخِرٌ بالصَّبِّ، فائقٌ في الكمالِ، لائقٌ بالحُبِّ.

بـــــشَذا المِـــسك فـــاخْ

ثَغـــرُ هـــذا الغــــزالِ

باسِــــمٌ عـــن أقـــاحْ

أو فــــريدِ الـــــلآلِ[١]

ردّ نُـــــورَ الــــصّباحْ

كظــــلام الـلـــيالِ

ريقُه حين جالْ، في لَماهُ العَذْبِ، صرتُ بين الزلالْ[٢]، والهوى في كرْبِ

ذو قـــوامٍ رطـــيبْ

مـــنه تُجـــنى الحُـــرَقْ

رام ظلْــــمَ القـــضيبْ

فاشــــتكى بالـــورَقْ

فـــــثنىّ الحبــــيبْ

ورَنـــــا بالحـــــدَقْ

مثلُ[٣] بيض النصالْ، من سواد الهُدْبِ، والعوالى أمالْ، بالقوام الرَّطْبِ

لـــو رأتْـــهُ الـــنفوسْ

حَــــسِبَتهُ المــــسيحْ

وهـــوَ يُحـــيي الـــنُّفوسْ

بـــالكلام الفـــصيحْ[٤]

---

(١) «كفريد اللآل» في: (توشيع، وروض). «أو فريد الدلال» في: «بهجة الناظر».

(٢) في بهجة: «ضرب من الدلال».

(٣) «سل بيض» في (بهجة).

(٤) بتوشيع:

=

مــــا تــــبينُ الـــــشموسْ

عـــــند هــــذا الملــــيحْ

خلِّ عنك الغزالْ، يرتعي في الكُتُب، ثم قل للهلالْ: يَحْتَجبْ بالغَرْبِ[1]

ثغــــــرُه في بَـــــريقٍ[2]

إذ جــــــلاهُ بِــــــريقْ

كـــــلُّ حُــــرٍّ رفــــيقْ

للمَـــــاهُ الـــــرَّقيقْ

خـــــدُّه والــــــشقيقْ

ذَا لهـــــذا شــــــقيقْ

قد بَدا فيه خَالْ، كسواد القلْب، إذ غدا في اشتعالْ، فوق نارِ الحُبِّ.

مـــــا لـــــصبٍّ صَــــبَا

في هــــواه نـــــصيبْ

مـــــنه قــــبل الــــصِّبَا

قـــــد عَـــلاني المــــشيبْ

يــــا نــــسيمَ الــــصَّبَا

جُـــــزْ بــــأرض الحبـــيبْ

واجتهد أن تَنالْ، منه طِيبَ القُرْبِ. ثم عُدْ بالنَّوالْ، من هدايا حُبِّي

وهـــو يحـــي الـــنفوس عـــند هـــذا الملـــيح

مـــا تبـــيد الـــشموس بـــالكلام الفـــصيح

هذا ، وفي (بهجة): «حين يجي» .

(١) في: (روض): يرتعي في الكتب، وفي (توشيع): «يحتجب في الغروب».

(٢) «ثغرة ذو بريق» في (بهجة الناظر).

جائِـــرٌ قـــد ظهـــرْ
عذلُـــهُ في القَـــوامْ
في الوجـــود اشـــتهـرْ
مـــثلَ بَـــدْرِ الـــتَّمامْ
فـــيه يحلـــو الـــسَّهرْ
ويُمِـــرُّ المـــنامْ
صَدَّتيهَا وقالْ، وَهْوَ يبغى حرْبى، لحْظُ عينِي نبالْ، قلت: آهْ وَاقلبى[1]
وكان الذي نظمته قولى[2]:
جامحٌ في الدَّلالِ، جانحٌ للهَجْرِ خاطِرٌ في الجمالِ، عاطِرٌ في النَّشْرِ
غُـــصنُ بـــانٍ رطِـــيبْ
قـــد زُهِـــى[3] بالطَّـــرَبْ
يَنْـــثَنى في كثـــيبْ
بالـــصَّبا مـــن كَـــثَبْ
مـــا لقلـــبى نـــصيبْ
مـــنه غـــيرُ الـنَّـــصَبْ
قمرٌ في كمالْ، فوق غصنٍ نَضْرِ، طالعًا لا يزالْ، في دَياجى[4] الشَّعْرِ

(١) في مجة: «صال تيها ... لحظ جفنى نبال ....» .
(٢) الموشح في (توشيع/٤٥: ٤٧، والوافي/٣٣٤، وأعيان العصر (٢٢٢/١٢)، وروض الآداب ١١٧ب: ١١٨أ).
(٣) «قدرها» في (توشيع).
(٤) بروض الآداب: «في ليالى الشعر».

كـــــم جَـــــلا بالـــــسَّنا

فَـــــرْقُه لى الـــــصَّباحْ[1]

وحـــــلا[2] في الجـــــنى

مَبْـــــسَمٌ كالأقـــــاحْ

إنْ رنـــــا وانـــــثنى

أوْ تَـــــبدّى وَلاحْ

يا حياءَ الغزالْ، وافتضاحَ السُّمْرِ، واختفاءَ الهلالْ، وكُسوفَ البدْرِ[3]

---

(١) «فرقة لى صباح» في: (توشيع، وروض الآداب).

(٢) «وحى في الجفى» فى: (روض الآداب).

(٣) بعد هذا البيت في (ز)، وتوشيع، وروض الآداب:

للعـــــذار المقـــــيم	خالـــــه كالـــــرقيب
حـــــول روض وســـــيم	وســـــط نـــــار تـــــذيب
في النعـــــيم المقـــــيم	يتـــــشكى اللهـــــيب
ذاق بـــرد الظـــلال،في لهب الجمر	واهـــتدى في الـــضلال، بـــبروق الثغر
شـــق خـــد الـــشقيق	مـــنه خـــد أنـــيق
والقـــــوام الرشـــــيق	فـــــيه معـــــنى رقـــــيق
كـــم سمـــا في الـــرحيق	مـــن فـــم كالعقـــيق
بعد ذاك الزلال، ما حلالى صبرى	والقـــوام المـــال، قام فيه عذرى
غـــصن بـــان يمـــيس	في ريـــــاض الزهـــــر
ريقـــــه الخـــــندريس	في زلال ظهـــــر
فـــــيه در نفـــــيس	في عقـــــيق بمـــــر
جفنه حين صال، في حنايا صدرى	لـــو كفانى النبال لاكتفى بالسحر

غُـــصنُ بـــانٍ يمـــيسْ

في ريــــاض الزَّهَــــز

ريقُــــه الخَـــندريسْ

في زُلالٍ ظَهَـــــــــز

فـــــيه دُرٌّ نفـــــيسْ

في عقـــيقٍ بَهَـــز

جَفْنُه حين صالْ، في حنايا صدْرِى، لو كفانى النَّبالْ، لاكتفى بالسِّحْرِ

خالُــــه كالــــرقيبْ

للعِـــذارِ الــــرقيمْ

وســـط نـــارٍ تُـــذيبْ

حـــول رَوْضٍ وســـيمْ

يتـــشكى اللهـــيبْ

في النَّعـــيم المقـــيمْ

ذاق بَرْدَ الظّلالْ، في لهيب الجَمْر، واهتدى في الضلالْ، ببورق الثَّغْرِ

شـــقَّ قلْـــبَ الـــشَّقيقْ

مـــنه خـــدٌّ أنـــيقْ

والقـــوامُ الرَّشـــيقْ

فـــيه مَعـــنى دقـــيقْ

كـــم ســـقانى الـــرَّحيقْ

مـــن فَـــمٍ كالعقـــيقْ

بعدذاك الزُّلالْ، ما حَلا لى صبرى، والقوامُ المُمالْ، قام فيه عُذرِى.

وكتبت أنا إليه ملغزا في مكُوك الحائك[١]: (من الوافر)

أيــا مَــنْ فَــاق في الآداب حتَّــى
أقَــرَّ بفــضله الجَــمُّ الغفــيرُ
وأحــرزَ في النُّهــى قــصباتِ سَبْقٍ
فــدونَ محلِّــه الفَلَــكُ الأثــيرُ
وأطْلَــعَ في سمــاءِ الــنَّظم زُهْــرًا
يلــوحُ، فمَــن زُهَيْــرٌ أو جَريــرُ؟!
قطعــتَ أُولى النُّهــى في الفــضل بحثًا
فمــا لــك في مُناظَــرةٍ نَظــيرُ
إذا أغْــرَبْت في الإِعــراب وجهًــا
فكــم تَلْجــتْ بمــا تُــبْدى صُــدورُ
وإن قــيل المُعَمَّــى والمُــوَرَّى
فذِهْــنُكَ ناقِــدٌ فــيه بَــصيرُ
وهــا أنــا قــد دعــوتُك للتَّحاجى
لأنــك في الحجــا طَــبٌّ خــبيرُ
فمــا ســاعٍ يُــرى في غــير أرضٍ
ولا هُــو في الــسَّما ممــا يَطــيرُ؟
تــراه مُــرَدَّدًا مــا بــين طــرْدٍ
وعكــسٍ قــصَّرَتْ عــنه الطــيورُ
ويُلْطَــم كلَّمــا والى مَــداه
ويُــسْحَبُ وهْــوَ مغلــولٌ أســيرُ

(١) ورد اللغز في (أعيان العصر ١٢/ ٢٢٠).

وتُنْزَعُ كلُّ آونةٍ حشاهُ
وتُلقَى وَهْو للبلوى صَبُورُ
ويُرْشَفُ بعد ذلك منه ثغرٌ
ولا عَذْبٌ هناك ولا نَميرُ
إذا ما سار أثَّرَ في خُطاه
طرائقَ دُونها الرَّضُ النَّضيرُ
يجرُّ إذا سعى ذَنَبًا طويلا
وَيفتُرُ حين يعرُوهُ قُصورُ
ويُسمَعُ منه عند الجرْيِ صوتٌ
له في صدره منه خَريرُ
قليلُ المُكْثِ [كم][1] قد بات يُطْوَى
له من شُقَّةٍ لما يسيرُ
ويَفْتَرِشُ الحريرَ ويرْتديه
غِطاءً، وَهْوَ مع هذا فقيرُ
ويظهرُ في جوانبه نجومٌ
وفي أحشائه فَلَكٌ يدورُ؟
١ فأوضحْ ما ذكرتُ فغيرُ خافٍ
على مجموعِ فضلك ما أُشيرُ؟
ودُمْ في نعمةٍ وسُعودِ جَدٍّ
وعِزٍّ ما سقَى رَوضًا غديرُ

(١) الكلمة ساقطة من الأصل. والزيادة عن النسخ الأخرى، وأعيان.

فكتب هو الجوابَ سريعًا، وجهَّزه[1]: (من الوافر)

أَوَجْهُـــكَ لاحَ أَمْ قمـــرٌ مُـــنيرُ
وذكـــرُك فـــاحَ أَمْ نَفَـــحَ العَـــبيرُ؟!

طلعـــتَ طلـــوعَ شمس الصَّحْوِ صُبْحًا
علـــى فـــرسٍ حكـــى فُلْكًـــا يـــسيرُ

ويـــا لِلّـــه رَوْضٌ ضِـــمْنَ طِـــرسٍ
زُهَيْـــرٌ في جوانـــبه جَريـــرُ

رَمـــيْتَ بـــه إلَيَّ فقلـــتُ: هـــذا
شُـــعاعُ الـــشَّمس مأْخَـــذُه عَـــسيرُ

أَراني رمْـــزُه الوضَّـــاحُ حُـــسنًا
يُنَـــبِّهني علـــى أَنِّـــي حقـــيرُ

وأَنيَ مُلْحَـــقٌ بِأقـــلِّ ضَـــيْفٍ
إذَا مـــا حُقِّـــقَ الجـــمُّ الغفـــيرُ

فمـــذ صَـــحَّفْتَهُ فكـــرى مَلـــولٌ
ومـــذ نـــشَّرْتَه باعـــى قَـــصيرُ

هـــو المأْســـورُ بالماســـور، لكـــن
لـــه في أَسْـــره مَـــرَحٌ كـــثيرُ

نـــشيطٌ، أَيِّـــدٌ، ويُقَـــادُ طَـــوعًا
بخـــيطٍ مَتْـــنُه وَاهٍ طَريـــرُ

يُـــراعُ لأَنَّ مهجـــته يَـــراعٌ
لـــه في الجـــوف مـــن خـــوفٍ صفيرُ

---
(١) ورد الجواب في (أعيان العصر ١٢/٢٢٠، ٢٢١).

يحـــورُ إلى يمـــينٍ مــــن شمــــالٍ
ومــــا يُعنَـــى بـــذا لكـــن يَخُـــورُ

غـــدا يـــسعى بأَرْبعـــةٍ سِـــراعٍ
ولـــيس لمـــشْيِهِ هِـــمُ نظـــيرُ

يُخالِـــفُ بـــين رجلـــيه فيجـــرى
وتـــرفعُه يـــداه فيـــستطيرُ

لـــه نَـــوْلٌ يـــسيرُ لكـــل حـــيٍّ
ومَـــيْتٍ مـــنهُ إحـــسانٌ كـــثيرُ

إذا أســـدى إلـــيه الخـــيرَ مُـــسْدٍ
جـــزاه علـــيه، وهْـــوَ بِـــذَا قديـــرُ

كـــذاك صـــفاتُك الحُـــسنى، ولكـــن
بـــدأت تَطـــوُّلاً، وبِـــنا قُـــصورُ

فَعفْـــرًا، ثم سَـــتْرًا، ثم قـــصْرًا
فـــأين الـــثَّمْلُ(1) والبحـــرُ الغزيـــرُ؟!

وكتب هو إلىَّ يومًا متقاضيا(2):

---

(1) «فأنت اليم» في (ز). وقد ورد بهامش (ب) قوله: الثمل: الماء القليل يبقى في أسفل الحوض.

(2) الأبيات مذكرة في (أعيان العصر ١٢/٢٢١) هي ساقطة من (ب).

(من الطويل)

إلى بابـك العـالي تـوجّهْتُ مُوقِـنًا
بِسُرعة نَيْل القـصد قـبلَ التَّوجُّهِ

وعادتُـنا مـنك الـنَّجاحُ لقاصِـدٍ
نَحـاك، وأنـت الجـاهُ للمُستَجوِّهِ

ومِـن مَـسّ دهـرٍ، مَن تأوَّه، مَن له
سـواك، وأنـت الجـبرُ للمـتأوِّهِ؟

فـلا فـاه بالحمـدِ امرؤٌ وَهْوَ مُطْنِبٌ
لخُلْـقٍ، ولـسْتَ القـصدَ للمُـتَفوِّهِ

يوسفُ بنُ محمد بنِ مسعود بنِ محمد، الشيخُ، الإمامُ، الحافظُ، الفقيهُ، المحدِّثُ، الأديبُ جمالُ الدين، أبو المظفرِ العُقيليُّ السُّرَّمَريُّ الحنبليُّ[1].

كتبت أنا إليه سؤالاً، وهو: (من الطويل)

أيـا فاضلاً في سُرَّ مَنْ رَا، حوى العُلا
فكـان لـه بَـدْرُ الدّياجـي مُسامِرًا

سـألتُكَ خبِّـرني فمـثلُكَ مَـنْ غدا
لجُملـةِ أسمـاءِ الـصَّحابة حاصِـرًا

عـن امـرأةٍ أمٍّ لـسبعِ صـحابة
وكلُّهُـمُ في بَـدْرٍ قـد كان حاضِرًا

وأخـرَى لهـا عمّـان، والأخوةُ أربعٌ

---

(١) المتوفى سنة ٧٧٦هـ. له ترجمة في : (الدرر ٥/٢٤٩)، وذيل وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٨) وبغية الوعاة (٢/٣٦٠)، وإبناء الغمر ١/١٠٢).

وكــلٌ إلى بــدرٍ أتاهــا مُــبَادرًا

ولكــن مَــعَ الإسلام نصفٌ لِصِنْفهم

وباقــيهمُ للتُّــرك قــد كــان نَاصِرًا

وآخــرَ بــدريٌ أبــوه وأُمُّــه

علــى مِلَّــة الإِســلام ما كان كافرا

فــلا زلــتَ تُوليــنا الفــوائدَ جَمَّــةً

تخــالُ مــن التَّحقــيق فــيها جواهرا

فكتب هو الجوابَ إِليّ عن ذلك:

(من الطويل)

أتــانى كــتابٌ مــنك تَحكى سُطُورُه

رياضًــا إذا مــا الرَّوضُ أصبح ناضِرًا

ولكــنَّه أزْبى علــى الرّوض إِذْ حَوى

معانــيَ آضَ الــرّوضُ عــنهُنَّ قاصرًا

يُحــدِّثُ عــن ســحر البلاغة ذاكرًا

يُجبِّــرُ عــن حَبْــر البراعــة آثِــرا

فأنــشأ لى مــن لــذَّة القلــب نَشْوَةً

لهــا زمــنٌ لم تُلْــفِ فــيه مُذاكِــرا

وكــان صــلاحُ الــدّين مفتاحَ قُفْلها

وللمَــيْتِ مــنها بعــدما رَمَّ ناشِــرا

وحــرَّك مــنى ســاكنًا بــندائه

وأعمــلَ تمييــزى ضــميرًا وظاهــرًا

يُــسائِلُنى عــن أمِّ ســبْعِ صــحابةٍ

وكلُّهُـمُ قـد كـان في بدْرٍ حاضرًا

فهـاك جـوابي، فالإلـهُ مُوفِّقـي

فمـا راح مَـنْ يَـستوفِقُ الله خاسرًا

هـي امـرأةٌ للحـارث بـنِ رِفاعة

بعفـراءَ[1] تُدعـى مـن أُناسٍ أكابرا

أتـت بمُعـاذٍ مـنه، ثم مُعَـوِّذٍ[2]

وطلَّقهـا، والـبينُ مـا زال جابـرا

فجاهـا بُكَيْـرٌ خاطِـبًا، فتَـزَوَّجَتْ

بِـه، إذ رأتْـه ماهِـرًا جـاءَ ماهِـرا

فأوْلَـدها رَهْطًـا: إياسًـا، وخالـدًا

ومـن بعـد هذا، عاقِلاً، ثم عامرا[3]

وعـادَتْ إلى زوج الـصبَّا ابنِ رِفاعة

فجـاءَت بعَـوْفٍ سـابِعِ القوم آخِرا

فكلُّهُـمُ كانـوا بـبدرٍ، ويـا لهـا

مآثِـرُ حـازوا فـضْلَها ومفاخـرا

---

(١) هي عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. انظر ترجمة عوف بن عفراء في (أسد الغابة ٣١١/٤).

(٢) معاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، من الذين بايعوا هو وأخوه عوف في العقبة الأولى. انظر ترجمة معاذ (أسد الغابة ١٩٧/٥).

(٣) خالد، وعامر، وعاقل، وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيره بن سعد ابن ليث بن بكر بن عبده مناة بن كنانة، حلفاء بني عدى بن كعب، من السابقين الأولين إلى الإسلام. (السيرة لابن هشام: ١٦٨/١).

وأمّا الـتي في بـدر أربـعُ أخـوةٍ
وعمّـان كـلٌّ كـان فـيها مُباشرًا
وقـد كـان نـصفُ القوم بالله مُؤمنًا
ونـصفُهُمُ الـثانى بذى العرش كافرا
فـأُمّ أبـانٍ بـنتُ عُتْـبَةَ، عمُّهـا
(م) الرّضى، مَعْمرُ بنُ الحارثُ اعرفه شاكرا[1]
وقُـل: أخواها المسلمان أبو حُذيـ[2]
ـفـةِ لأبـيه عُتـبةٍ كـان صـابرا
ولا آخـر يدعى مصعبُ بنُ عُميرٍ الْـ
(م) ـذى[3] كان شهمًا في الحروب مُثابرا
وقـل: أخـواها المـشركان أبو عُزَ
(م) يـزِ بـنُ عُمَيرٍ، والوليدُ بلا مِرَا[4]

---

(١) معمر بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤى من السابقين الأولين إلى الإسلام. (سيرة ابن هشام: ١٦٧/١).

(٢) هو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس من المهاجرين إلى الحبشة. (السيرة: ٢١٣/١، ٢١٥).

(٣) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى، من المهاجرين إلى الحبشة. وقد أرسله رسول الله ﷺ إلى المدينة مع هؤلاء النفر الذين بايعوا في العقبة الأولى، ليعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين. (سيرة ابن هشام ٢١٣/١، ٢١٥- ٢٩٦/٢).

(٤) أبو عزيز بن عمير، والوليد بن عمير تقدم نسبهما في ترجمة أخيهما مصعب بن عمير.

وصِـنْوُ أَبـيها شَيْبَةُ بنُ ربيعةَ[١] الـ
(م) ـذى كان في بُغْض النَّبي مُجاهرا
ثلاثـتُهُمْ ممن دعـا المُصطفى عليْـ
ـهُمُ الله، إذْ عقُـوا، فألْفَـوْهُ عاقِرَا
وفـيهمْ وفي أقـرانهم نـزل القُـرآ
نُ «هـذان خصمان»[٢] اتلُ وابلُ المغاورا
وأمـا الـذي في أُمِّـه وأبـيه كُلُّهُمْ
(م) يـوم بـدرٍ كان للحرب حاضرا
فـذلك عمّـارٌ[٣]، وتلك سُمَيّةُ أُمُّـ
(م) ـهُ، وأبوه، ياسَهْمُ أَعْنيه ياسِرا
ولم يـتّفقْ هـذا بـبدرٍ لغيرهـم
وكـم قـد أفَـادوا غَيْـرَ هذا مآثرا
فهـذا جـوابُ الـسُّرِّ مَرِّيِّ يُوسُفَ
(م) الْعُقَيْلـيِّ لا يـنفكُّ يَطلبُ عاذرا

(١) من أشراف قريش ومن المعاندين المجاهرين بكفرهم وقد قتل هو وأخوه عتبة يوم بدر. قال ابن إسحاق.. سمع أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله من جوف الليل وهو يقول: يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ... فعدد من كان منهم في القليب: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا؟ فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادى قومًا جيفوا؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم...» (سيرة ابن هشام ٢/٤٥٠، ٤٦٦).

(٢) من الآية: (١٩: الحج).

(٣) عمار بن ياسر حليف بني مخزوم بن يقظة. «وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه – وكانوا أهل بيت إسلام – إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول: صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة» (السيرة لابن هشام ١/١٦٩، ٢١١).

ولــولا صــلاحُ الدين قد كان ضائعًا
ولــولا مطايــا طَــوْلِه ظَــلّ قاصرا
فأســـألُ ربَّ العـــالمين يُديمُـــهُ
لــنا ناظمًـــا دُرَّ المعـــانى وناثــرا
فكُــنْ أيُّهــا المــولى لــوَهْنِ عبارتى
بمــا حُــزْتَ من حُسن البراعة، جابرا
ولله حَمْـــدٌ لـــيس يَـــنْفَدُ أوّلاً
كمـــا ينبغـــى لله جـــلَّ، وآخـــرا
وصــلى علــى خــير النَّبــيِّين أحمدَ
وأصـــحابِه والآلِ طُـــرًّا وظاهـــرا
تـــدومُ مـــدى الأيَّـــامِ مـــا ذَرَّ شارِقٌ
ومـــا انْهَلَّ شُؤبوبٌ على الرَّوض ما طِرا

وكتب هو إليَّ استدعاءً، وهو نظم:-

(من الكامل)

يـــا ناقلـــى شـــرعَ الـــنبيِّ محمـــدٍ
وأولى الـــرواية والحـــديثِ المُـــسْنَدِ
وأئمـــةِ الإِســـلام والقـــومِ الأُلى
نقلـــوا الـــشَّريعةَ سَـــيِّدًا عـــن سيِّدِ
أنـــتمْ لـــنا بـــين الـــبريّة قـــدوةٌ
فـــبكمْ إلى طُـــرُق الهدايـــة نقـــتدى
لكـــمُ تُـــراثُ الأنبـــياءِ جمـــيعُه
بالفـــرض والتَّعـــصيبِ دون تـــردُّدِ

لا زالــت الدُّنْــيا بكــم مأهُــولةً
وَبقيــتُمُ فــيها بقــاءَ الفَــرْقَدِ
هــل أنــتمُ متصدّقون ليوسفَ السُّــ
(م) رَّمــرّىّ العُقَيْلــى المُحْــتدِ؟!
ولعِرْســه أمَــةِ العزيــز ووُلْــده
مــنها الأُولى شَــرُفُوا بمــذهبِ أحمدِ
البَــرِّ إبــراهيمَ يتْــبعُ فاطمَــا
وكــذاك أسْــمَا، والفقــيه محمّــد
أعــنى ابــنَ عمّهــمُ الشقيقَ تفضُّلاً
بإجــازة المــروىّ عــند الــنُّقَّدِ
في كُــلِّ مــا شــاعَتْ روايــتُه لدى
أهــلِ الحــديث بــشَرْطه المُــتَأكّدِ
وجمــيعِ مــا صــنَّفتمُوه وقلْــتُمُ
نظمًــا ونثــرًا يُــستَلَذُّ لمُنْــشِدِ
ولكُــمْ إذًا شــرطُ الــبراءَةِ ثابــتٌ
في كــل شــيءٍ للــرّوايةِ مُفــسدِ
دُمــتمْ علــى طولِ الزمان لتَبْلغُوا الْــ
ــأخــبارَ والآثــارَ كــلَّ مُــوَحّدِ
وأثــابكُمْ جــناتِ عــدْنٍ ربُّكُــمْ
مــن تحــتها الأنهــارُ تجــرى في غَدِ
والحمــدُ لله الكــريمِ مَحامِــدًا
تبقــى علــى طُــول المــدى لم تَنْفَدِ

وعلـــى الـــنَّبي المـــصطفى الصلواتُ
(م) والتَّـــسْليمُ من ربِّي تروحُ وتغْتدِي

وعلـــى الـــصحابةِ والقـــرابةِ كلِّهـــم
وعلـــى أئمَّتـــنا الـــرّكوعِ الـــسُّجَّد

مـــا غـــرَّدتْ ورقـــاءُ فـــوق أراكـــة
وأضـــاءَ بـــرْقٌ فـــوق بُـــرقَةِ ثهْمَـــدِ

حـــرّرتُها في عـــام ســـبْعِ مِـــئينَ مَعْ
خمْـــسين ثُـــمَّ ثمـــانِ بعـــد تَحمُّـــدِ

فكتبت أنا الجواب، حسبما أشار به، وضمّنت بعض ذلك أعجازًا من معلّقة النابغة المشهورة[1] هو:

(من الكامل)

لَبَّـــيْكَ يـــا حِلْـــفَ النُّهـــى والسُّؤْدَدِ
ومـــن امْتطـــى بـــالعلم فَـــرْقَ الفَرْقَدِ

ومـــن اغـــتدى فيـــنا وثغـــرُ علومه
(عَـــذْبٌ مُقَـــبَّلُهُ، شـــهيُّ المـــوْرِد)[2]

فـــإذا أفـــادَ الطالـــبينَ مَـــسائلاً
(يُشفَى بريًّا رِيقهِ، العَطِشُ الصَّدِي)[3]

---

(١) التي مطلعها (ديوانه/٣٨):

أمـــن آل مـــية رائـــح، أو مغـــتد عجـــلان، ذا زاد،وغـــير مـــزود

(٢) عجز بيت من معلقة النابغة. صدره. (زعم الهمام بأن فاها بارد).

(٣) بديوان النابغة: «بريا ريقها». وصدره: (زعم الهمام، و لم أذقه، أنه).

وإذا جَــلا نظمًــا رأيــنا عقْــدَه
(مــن لُؤلــؤٍ مُتــتابعٍ مُتَــسَرِّدِ)[1]
شــرَّفْتَ رَبْــعَ دمــشقَ حين سكَنْتَهُ
بفــضائلٍ بــين الــورى لم تُجْحَــدِ
لمــا أتــتْ أبــياتُك الغُــرُّ الــتى
تُــزْرى علــى الغِــيدِ الحِسان الخُرَّدِ
تجلُــو معــانى حَبْــرِها في حِبْــرِها
(بَــرَدًا، أُسِــفَّ لِــثَاتُه بالإثْمِــدِ)[2]
قابلــتُ أمــرَك بالقــبول؛ لأنَّــه
(عَــذْبٌ، متى ما ذُقتَه قلتَ: ازدَادِ)[3]
أنــت الإمــامُ الحَبْــرُ، أمــرُكَ طاعةٌ
بــل أقتفــى سُــبُلَ البــيان وأقتدِى
فــنَعم أجــبتُ، وقد أجزتُ لكلِّ مَن
عيَّنْــتَه في عِقــدك المُتَنَــضِّدِ
مــا لى مــن الإنــشاءِ في نظــمٍ وفي
نثــرٍ نَحَــتُّ كلامَــه مــن جَلْمَــدِ
وكــذا تــصانيفى الــتي مَــن يلْقَها
يــرتدُّ ذا بــصرٍ بجَفْــنٍ أرْمَــدِ

(١) صدره: (أخذ العذارى عقدها، فنظمنه).
(٢) صدره: (تجلو بقادمتى حمامة أيكة).
(٣) بالديوان: «عذب إذا ما ذقته...» . وصدره: (زعم الهمام، و لم أذقه، أنه).

مَـــعَ أنَّهـــا قدْ كَمَّلَتْ خمسينَ في الْـــ
ـــــآدابِ فَهْـــيَ ذَخــيرةٌ لم تَـــنْفَدِ

وكـــذَا أجْــزتُهُمْ روايــةَ مــا اغْتدى
عـــندي لأشــياخِي العُـــلا من مُسْنَدِ

وأنـــا خلــيلٌ نجــلُ أيــبكْ بنِ عبْـــ
ـــدِ الله، ذو التَّقْصيرِ فافهم مَقْصِدِي

في عــامِ ســتٍ بعــد تــسعينَ الــتي
بعــد المِــئين الــستِّ قُــدِّرَ مَوْلِدِي

ونــشأتُ حــيث وُلدتُ في صفد، وما
قلَّـــدتُ غــيرَ الــشافعيِّ محمـــدِ

والحمـــــدُ لله الــــذي نعمـــاؤه
(كالــشَّمْسِ يــومَ طُلوعِها بالأسْعُدِ)[1]

وصـــلاتُه تَتْـرى علـــى المبعوث من
(مُـــضَرٍ بعَطْـــفِ رســـالةٍ وتودُّدِ)[2]

وعلـــى جمــيع الآلِ والأصـــحابِ ما
مـــالَ النَّــسيمُ بِعِطْـــفِ غُـــصْنٍ أمْلَدِ

وكتبت أنا إليه ملغزًا في هُدهد:

(من الطويل)

أيـــا ســـيِّدًا أقدامُـــه كـــم وطـــا بها
بأفْـــقِ العُـــلا والفضلِ من فَرقِ فَرْقَدِ

(١) صدره: (قامت تراءى بين سجْفَيْ كِلَّة).
(٢) بالديوان: «منها بعطف رسالة وتودد». وصدره : (غنيت بذلك، إذ همُ لك حيرة).

وَمَـــن حـــاز فـــضلاً من علومٍ مُفيدةٍ
ففـــي مـــدح عُلـــياه نروحُ ونَغْتدى
وكـــم حـــاز [من مَجْدٍ تليدٍ وطَارفٍ
تُـــشادُ مبانـــيه لفخـــرٍ وسُـــؤْددِ][1]
تقـــدَّمَ لُغـــزٌ قـــبل ذا وَحَلَلْـــتَهُ
فمـــن يَقْـــتَنِي الْعُلْـــيا بفضلك يَقْتَدِى
فمـــا اســـمٌ رُباعـــيٌّ الحـــروف وإنَّما
تـــركَّبَ مـــن حرفين مَنْ رَامَها هُدِى
رســـولٌ إلى قـــومٍ، كـــريمٌ، كـــتابُه
بـــه خاطـــبَ القـــرآنُ كـــلَّ مُوَحِّدِ
ويُقْـــتَلُ عـــند الـــشافعيِّ ومالـــك
وعـــند الفـــتى الـــنُّعمانِ، والحبْرِ أحمدِ
لـــه في أعـــالى كـــلِّ دَوْحٍ تـــلاوةٌ
بلَحْـــنٍ كـــأنَّ الـــدَّوْحَ مَعْـــبَدُ مَعْبَدِ
تكـــادُ قـــوافى ذا القـــريض تُذيعُـــه
فقـــد زُيِّـــنَتْ مـــنه بحـــرفٍ مُـــرَدَّدِ
ودُمْ رَاقـــيًا في أُفْـــقِ كُـــلِّ ســـيادَةٍ
بـــنى لـــك فـــيها العلمُ أشرفَ مَقْعدِ

فكتب هو الجواب إليَّ عن ذلك:		(من الطويل)

لـــك الحمْـــدُ يـــامَنْ بالإعانة مُنْجدى
ومَـــنْ هُـــوَ في كـــلِّ المُلمّاتِ مُسْعِدى

(١) ساقط من الأصل، وتكرر مكانه فيه البيت السابق، والزيادة عن النسخ الأخرى.

ومُلْهِــمَ أهــلِ الفــضلِ فى فــضيلةً
وإن أصــبحَتْ عنِّــى بــصرْحِ مُمَرَّدِ
كمــا يَخلُــبُ الظَّامِي السَّرَابُ لوِرْده
وكــم مُعــدمٍ تلقــاهُ في زىِّ مُــوجدِ
ومــا أنــا والفضلُ الذى[1] ظنَّ أهْلُه
لــدَىَّ، ولــولا فضلُهمْ صَفِرتْ يدِى
ومــا أنــا بــين الــنَّاس أوْ ما مَكانتى
ليُــضحى صلاحُ الدين بالمدح مُصْفِدِى؟!
وهــل أنــا فــيما أجْتنــيه وأجْتدى
مــن العلــم إلاَّ منه أجْنى وأجْتَدِى؟!
يُــنوِّهُ باسمــى بعــد طُــولِ خُمــوله
إذًا كُلُّــه مــولاىَ في شــانِ هُدْهُــدِ
كــتابٌ كــريمٌ جــاءَنِى مــنك خِلْتُه
لآلِــىَ لاحــتْ في خــلالِ زَبَــرْجَدِ
تــضمَّنَ سُــولاً مــن غــنىٍّ لقانــعٍ
ويــا عجــبًا مــن سُــولِ مُثرٍ لمُزْهِدِ
عــن اسْــمِ رُباعــيِّ الحــروف وإنَّه
تــركَّبَ مــن حرفين مَن رامها هُدِى
رســولٌ إلى قــومٍ، كــريمٌ، كــتابُه
بــه خاطــبَ القــرآنُ كــلَّ مُوَحِّدِ

(١) بالأصل: «**والفضل لذى**» . والتصويب من النسخ الأخرى.

ويُقـــتَلُ عـــند الـــشافعيِّ ومالـــك
وعـــند الفـــتى الـــنعمان، والحَبْر أحمدِ
لـــه في أعـــالى كـــلّ دوحٍ تـــلاوةٌ
بلحـــنٍ كـــأنّ الـــدّوحَ مَعْـــبَدُ معبَد
فهـــاك جـــوابي مَـــعْ قُـــصورِ رَوِيَّتِي
ولـــولا وُجُـــوبُ الأمر ضُنْتُ تبلُّدِي
أَيُنكِـــرُ ربُّ الـــتاج والقُرطَ في الورى
رســـولَ ســـليمانَ الـــنبيِّ المُـــؤيَّدِ؟
بمـــا فـــيه بـــسم الله، والخلقُ خُوطِبُوا
بـــأن يأكلـــوا ممـــا بـــه ذبحُـــه بُدِي
ولا يأكلـــوا مـــا لم يكـــنْ ذكرُها به
وهُـــوَ الـــذي يـــنحُوهُ كـــلُّ مُوَحِّدِ
تـــركَّبَ مـــن هـــذا وذاك فقيل هُدْ
وكُـــرِّرَ فاعجَـــب مـــن مُكرَّرِ هُدْهُدِ
وأعجَـــبُ مـــن هـــذا إباحَـــةُ قـــتله
ومـــا حَـــلَّ قـــتلُ الرُّسْلِ عندَ مُسَدَّدِ
وفي ذا المكـــانِ حُـــسنُ تـــورية بقتله
عـــن الـــسيمِ الـــذبح للمتـــردّدِ[1]
وهـــذا هـــو المقـــصودُ من نَهْيِ قَتله
كـــذَا خَـــبرُ العُـــصفورُ فانقُلْ وجَوِّد

(١) البيت هكذا في جميع النسخ. وهو غير مستقيم على وزن الطويل.

نَهـى المصطفى المختارُ عن قطع رأسه

بـلِ اذبح، وقُلْ: يُرْوَى بمُسْنَدِ أحمدِ[1]

وتغـريدُه في الـدَّوْح فـيه لطـيفةٌ

يعـيها اللَّطـيفُ الفهـمِ دُون تردُّدِ

بتكـرارِه هُدْهُـدْ، وذلـك أمـرُه

بتأكـيدِ، أيْ تُـبْ تُـبْ قُبَيْلَ التَّلَحُّدِ

وإن أوسـعَ الـوُعّاظُ قَـوْلاً فحولَها

يُدَنْـدِنُ كـلٌّ مِـنْ مُطـيلِ مُقصِّدِ[2]

فهـذا جوابُ السُّرَّ مَرىِّ يُوسفَ الْـ(م)

ـدي بصلاحِ الدّين يُهْدَى ويَهتدي

ولـولاه مـا أذكـى أوارَ فـريحَق

علـى غُـربقَ شَـذْوَ القريض ومَعْبَدِ

فـدام لـنا يُحْـيِي مَـواتَ قلوبِـنا

بألطـافِ تأتـي في مَغِـيب ومَـشْهَدِ

ولا زال توفـيقُ الإلـهِ يُمِـدُّه

كمـا هُـوَ دأْبـا بالفـوائدِ مُجْدِي

---

(١) في الحديث الذي رواه ابن عباس قال: نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدهد والصرد. انظر (مسند الإمام أحمد (١/٣٣٢، ٣٤٧)طـ: الميمنية).

هذا، ورواية الشطر الثاني في (ألحان السواجع): (بل آذبح، وكلٌّ يُرْوى بمسند أحمد) ولا يستقيم بهذا على وزن الطويل. ولعل ما ذهبت إليه صحيح.

(٢) الشطر الثاني هكذا. ولعل الأفضل: (يُدَنْدِنُ كلٌّ من مطيلٍ ومُقْصِدِ) بضمّ الميم بعدها (قافٌ) ساكنة بعدهما (صاد) مكسورة غير مُضعفة.

وللهِ حَمْـــدٌ لا يَبِــيدُ، مُـــؤَبَّدٌ
مَــدى(١) الدَّهـــر بــادٍ كُلَّمَا بادَ يَبْتَدِ

وصـــلَّى، علـــى خـــيرِ الأنام مُحمد
إلـــهُ العُـــلا الهـــادى، وآلِ مُحمَّـــدِ

وكتب إليَّ(٢): (من البسيط)

أبـــوابُ عِلْـــم صـــلاحِ الدين واسِعةٌ
لجِهْـــا، تجِـــدْ فـــوقَ مـــا تهوى وتخْتار

لآلِـــئٌ قـــذف البحـــرُ الْخِـــضَمُّ بها
كـــذلك الـــدُّرُّ إذْ يُلْقـــيه تَـــيَّارُ

أبواب	علم	صلاح	الدين	واسعة	لجهدها	تجد	فوق	ما	تهوى	وتختار
علم	صلاح	الدين	واسعة	لجهدها	تجد	فوق	ما	تهوى	وتختار	لآلئ
صلاح	الدين	واسعة	لجهدها	تجد	فوق	ما	تهوى	وتختار	لآلئ	قذف
الدين	واسعة	لجهدها	تجد	فوق	ما	تهوى	وتختار	لآلئ	قذف	البحر
واسعة	لجهدها	تجد	فوق	ما	تهوى	وتختار	لآلئ	قذف	البحر	الخضم
لجهدها	تجد	فوق	ما	تهوى	وتختار	لآلئ	قذف	البحر	الخضم	بها
تجد	فوق	ما	تهوى	وتختار	لآلئ	قذف	البحر	الخضم	بها	كذلك
فوق	ما	تهوى	وتختار	لآلئ	قذف	البحر	الخضم	بها	كذلك	الدر
ما	تهوى	وتختار	لآلئ	قذف	البحر	الخضم	بها	كذلك	الدر	إذ
تهوى	وتختار	لآلئ	قذف	البحر	الخضم	بها	كذلك	الدر	إذ	يلقيه
وتختار	لآلئ	قذف	البحر	الخضم	بها	كذلك	الدر	إذ	يلقيه	تيار

(١) «مدهر الدهر» بالتحريف في الأصل.

(٢) في (ب): وكتب هو إلى هذين البيتين، وهما يقرءان على طرق كما في الجدول

وكتب إليّ: (من الرمل)

أبلــغ المــولى صــلاحَ الــدين أنّ
شّــيقٌ داعٍ، وإن غُــيِّبَ عنِّـــى

إنْ يــــومًا لاأراهُ شـــــاهدًا
عُمْــرُ يــا أســفي قــد ضــاع منِّي

لــيت شــعرى، والأمــانى لُهَــنٌ[1]
يــسمحُ الدّهــرُ بــه مــن بعدِ ضَنٍّ

فلقـــد أوْ حَـــشَ طـــرفى بـــذْرُه
وَهْـــوَ مـــنْ قلبِـــىَ في كِـــنٍّ أكَـــنٍّ

وكتب إليّ مَوَاليا:

(مواليا)

لا تحـــسب أنى سيدى قطعى وبى نهضَةْ
الــبردُ والــضّعْفُ صَيِّرْ رفعق خَفْضَةْ

وبُعْــدُكم زادنى فــوق المرض مَرْضَةْ
والله إن ذا إلاّ زادنى ركــضَةْ على ركْضَةْ

وكتب إليّ أيضًا:

(مواليا)

قـــد كانــت البَغْدَدا في خاطرى غصّةْ
أحلـــى مـــن المعقلـــى أنقى من الفضّةْ

(١) في(ب): «والأماني لهن» وهى هكذا في الأصل: «لهن». جاء في (لسان العرب مادة: لهن): «واللهنة السلفة وهو الطعام الذي يتعلل به قبل الغذاء. وفي الصحاح هو ما يتعلل به الإنسان قبل إدراك الطعام. ويقال: ألهنته إذا أهديت له شيئا عند قدومه من سفر» .

هـــذا الكِبَـــرْ والمرض قد غضنى غضَّهْ
كـــسَد قماشـــى، وكانتْ سِلْعتى نَضَّهْ

وكتب إلىّ أيضًا:

(مواليا)

طغـــى الهـــوى العامَ حتى قد تعدَّى الحَدّ
ودامَ قَبْـــضُو علـــى أنفاسِـــنَا وامـــتدّ
ذا للعَـــلالى قـــد اخْرَبْ والمياذن هدّ
كم صَبْر مثلى على ضعفى لهذا الكدّ

وكتب إلىّ:

(من الطويل)

إذا لم أكـــنْ في مجلـــسِ الحُـــبِّ ماثلاً
بعـــثتُ لـــه نظمـــى ينوبُ عن القُرْبِ
فيُـــسْمِعُه لفظـــى ويَـــسْمعُ لفْظَـــه
ومـــن لم يجـــدْ مـــاءً تَـــيَمَّمَ بالتُّـــرْبِ

فكتبت أنا إليه:

(من الرمل)

أبلـــغْ المـــولى جمـــالَ الـــدِّين عنِّـــى
أنَّ صـــبْرِى بَعْـــده قـــدْ ضـــاع منىّ
قـــد رمـــانى بالـــبُكا مِـــن بعـــده
فَعَـــسى مـــن قـــربه يـــضحكُ مـــنىّ
كـــان طـــرْفى بالتَّجلِّـــى عـــنده
في ريـــاض الأنـــس فاعتَضتُ التَّجَنيِّ

لــيس لى غــيرُ تمــنىَ قُــربْه ما على العُذَّال منِّى في التَّمنِّى

وكتبت أنا إليه:

(مواليا)

كــنت مُــرفه مُــرَفَّد عيــشق غَضَّهْ

كمــا تُقــودُ سُــروري عندكم نَضَّهْ

بعــدْتْ عــنكم فأمسى عَسْجدى فضَّهْ

وفضَّتى بعدكم قد أصبحتْ قَضَّهْ(١)

وكتبت أنا إليه أيضًا: (مواليا)

أمــا بعــادى فكــم لى فــيه من مرضه

تَــرُضُّ قلــبى بكــم رضَّه على رضَّهْ

فجهــزوا الــصبر في ذمــق قرضـــه

فمــا جــزى من يحبُّ الصدّ والبغضه

وكتبت إليه أيضًا: (مواليا)

قــام القــيامه هــوى جِّلــق ولم يرتَدّ

كَــنُّو هَــوى الــصَّبُّ لَمَا يُبْتلى بالصَّدّ

دمعــى وربعــى تجانَسْ إذْ عَصَفْ واشتدّ

فــذاك ينهلّ مــن حُــزنى وذا ينهدّ

وكتبت أنا إليه(٢): (من الطويل)

تــضيقُ علــىَّ الأرْضُ مــا لم أجدْها

مُحــيًّا الإمِــام الفاضلِ الحافِظ العذبِ

---

(١) القضة: ما تفتت من الحصى.

(٢) هذان البيتان وردا بعد الجدول في الأصل. واخترت ما في (ب).

وحَجَّبني بالبُعد حظّي فها أنا
كما قد تَرى من بعد يُوسفَ في الجُبِّ

[وكتبت إليه بيتين نظير بيتيه وهما:

(من البسيط)

كذا علومُ جمال الدين مذْ جُمعَتْ
كأنّها روضُ حَزْنٍ فيه أزهارُ
يُثني على السُّرَّمرّى الناسُ قَاطبةً
فكلُّهم في حمى عُلياه سُمَّارُ

وهما يقرآن أيضًا على طرق. كما في الجدول الذي في هذه الصفحة[1].

كذا	علوم	جمال	الدين	مذ	جمعت	كأنها	روض	حزن	فيه	أزهار
علوم	جمال	الدين	مذ	جمعت	كأنها	روض	حزن	فيه	أزهار	يثني
جمال	الدين	مذ	جمعت	كأنها	روض	حزن	فيه	أزهار	يثني	على
الدين	مذ	جمعت	كأنها	روض	حزن	فيه	أزهار	يثني	على	السرمرى
مذ	جمعت	كأنها	روض	حزن	فيه	أزهار	يثني	على	السرمرى	الناس
جمعت	كأنها	روض	حزن	فيه	أزهار	يثني	على	السرمرى	الناس	قاطبة
كأنها	روض	حزن	فيه	أزهار	يثني	على	السرمرى	الناس	قاطبة	فكلهم
روض	حزن	فيه	أزهار	يثني	على	السرمرى	الناس	قاطبة	فكلهم	في
حزن	فيه	أزهار	يثني	على	السرمرى	الناس	قاطبة	فكلهم	في	حمى
فيه	أزهار	يثني	على	السرمرى	الناس	قاطبة	فكلهم	في	حمى	علياه
أزهار	يثني	على	السرمرى	الناس	قاطبة	فكلهم	في	حمى	علياه	سمار

وكتب هو إليّ:

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والزيادة عن (ب).

(من الوافر)

لَعَمْرى إنِّى رجلٌ زَهيدٌ
بإهداء القليل إلى الجليل
ولكنْ عَنَّ لى وجهٌ بديعٌ
فلم أصبرْ على الحُسنِ الجميل
مُراعاةُ التجانُسِ أحوجَتْنى
لإهداء المُخَلَّل للخليل
وأحرى ما أتى فيه صريحًا
بنِعْمَ الأُدْمُ عن أزكى رسولِ
فإن قيل: الحُموضةُ لا تُهادى
تفاؤلُ جاهلٍ أمّا جَهُولِ
فإنّ المُتْكَ(١) يُهدَى غيرَ شكٍّ
وليس بخير أُدمٍ في النُّقولِ
وبعدُ فإنّ مَولانا كريمٌ
وبعضُ صفاته شكرُ القليلِ

كتبها ضِمْنَ الأدْعية المتواتِرَة لدوام أيّام مولانا، وشيخنا علاّمة الزّمان، صلاحِ الدُّنيا والدين – تكفَّلَ اللهُ بصلاحِ أحْوَاله، وببلوغِ سُؤْلِه وآمالـه – والأشواقُ إلى مشاهدته، والأتواقُ إلى مُنادَمَته تجلُّ عن الحَدِّ والعَدّ، وعُذْرُ العبْد شاهدٌ بتقْصيره، وحِلْمُ مولانا يُغْنى عن طويله وقصيره.

فكتبت أنا الجوابَ إليه عن ذلك:

---

(١) المتك – بضم الميم، وسكون التاء – : ثمرة الأترج.

(من الوافر)

أيــا مَــنْ في ذُرا عُلياهُ لُذْنا
بِظِلٍّ مِن فوائده ظليلِ
فنظمٌ قد أتى باللفظ جَزْلاً
وجُودٌ جاءَ بالفضلِ الجزيلِ
بعثتَ محلّلاً يجلو الصّدى عَنْ
فؤادٍ قد حوى نارَ الخليلِ
تألّفَ لِفّتُهُ، فحلا بخلٍّ
أفادَ الشّهدَ طعمَ الزنجبيلِ
وباتَ اللفتُ يَروي عن خصيبٍ
ومنظرُه يُحدّثُ عن جميلِ
ونفنفُه يُعنعِنُ حُسنَ نقلٍ
فتُسندُه المنقولُ عن البقولِ
وخلٌّ أصلُه كرمٌ كريمٌ
ولم يكُ في ثقيفٍ بالدّخيلِ
فلُقمتُه تُشهّي كلَّ أكلٍ
كما تُبري الغليلَ من العليلِ
فإن قصّرتُ نظمًا في جوابي
فما عُذري عن الشكرِ الطويلِ

يا سيِّدَنا هذا مُخلّلٌ، الإسراف في تناوُله مُحلّلٌ، وآكلُه باللّذّة مُجلّلٌ، وسيفُ اللّسان من وَصْفه مُغلّلٌ، وطِرْسُ الثّناء على مولانا بالدُّرِّ مكلّلٌ. فإن زادنا منه شيئًا آخرَ فيما بَعْدَ، ففي هذه الشّتْوةِ المُباركةِ يَبْكي له الغَمَامُ، ويُقَهْقِهُ الرَّعْدُ.

(من الطويل)

(ومــن عادةِ السَّاداتِ [أن][1] يَتفَقَّدُوا
أصـــاغِرَهمْ والمكْـــرُماتُ عـــوائِدُ)

إن شاءَ الله تعالى هـــ.
وكتب هو إليَّ:

(الْكان وكان)

شـــهرٌ أتـــاكَ مباركٌ فصُمْ وقُمْ في مغتبط
وافْطَــرْ وعَــيِّد مُهنَّــى بعافيا وأمانْ
وكـــلّ عامٍ يُقْدم كذا على ما تَشْتهى
فالــصومُ جُــنّه وأجرو في الجنة الرَّيانْ

والله المشكور. (من السريع)

أتـــاك شـــهرُ الـــصَّوم يـــا ســـيدى
بـــالأمن والـــيُمنِ يُـــناديكا
صُــمْ صُمَّ شانيك وقم قَمْقَمَ اللّـــ (م)
ـــــهُ بأعـــصابِ مُعـــا دِيكـــا
ظِمـــؤك في الـــرّيان يـــا ســـيدى
مـــن وَسْـــط ناديـــك يُـــناديكا
وأجـــرُ مـــا قمـــتَ بـــه قـــائمٌ
في جـــنّة الخلـــد يُهاديكـــا
واســـلم وعـــيِّد بعـــدُ في غِـــبطة
رَغمًـــا علـــى أنـــفِ أعاديكـــا

(١) ساقطة من الأصل. والزيادة من (ب) للوزن.

الجنابُ المحروسُ مخدومٌ بالسّلام التّام، والمجلسُ المأنوسُ مُهنَّأٌ بشهر الصِّيام، لا زَالَتْ أيامُه ولياليه بصالح أعماله شاهدَه، وساعاتُه وآناؤُه بالبركاتِ عليه وافدَه، ولَوافحُ نَوَافِجِ برِّه في الأيام نافحَة، وتراويحُ أَرَايِحِ إنعامه عليهم غاديةٌ ورائحة، بعَيْن العُيون السَّواهر، على مراعاة النُّجومِ الزَّواهر، وتُساعدُ مَن يكابدُ في الصيام الهواجِر، وتظاهرُ على حرِّ الظَّهائر. ويُنْهِي أن الأشواقَ إلى طلعته السَّعيدة مُتوارِدَه، وأنَّ العوائد العوائد، والعوائقَ العوائقَ غير مُساعده. لكنْ الأدْعيَةُ لمولانا متوافِرَه، وخَيْلُها[1] على حَيْلِها وقُوَّتِها ظاهرة متظاهرَه. تَقبَّلها الله من عَبْده، رَيِيبِ رِفْده، إن شاءَ الله تعالى.

فكتبتَ أنا الجواب إليه عن ذلك ارتجالا:

(الكان وكان)

هَـــنَّ بالصَّوْمْ يا مَنْ يصومُ في ذى الهاجرة

ومَـــنْ يقـــوم اللـــيالى يُـــرتِّل القُرْآنْ

وافطَـــرْ، وفطِّر قُلوبَ الأعْدا، وعَيِّد بالهنا

فالعِـــيد عَـــبْدْ مثلى في خِدمَتَكْ يقظانْ

(من السريع)

وافـــاكَ هـــذا الـــشهرُ فاســـعد بـــه

فَقَـــلْ فـــيه مَـــنْ يُجاريكـــا

وصُـــمْ فكـــمْ وصْـــمةِ ذنـــب بـــه

يمحقُهـــا باللطـــف باريكـــا

وقُـــمْ دياجـــيهِ بـــلا فَتْـــرةْ

فـــالأنجمُ الزُّهْـــرُ تُـــباريكا

(١) بالأصل: «وخليها» .

وأنـــت في الدهــــر فـــريدٌ، وإنْ
كـــان عـــن الغـــرِّ يُـــواريكا
واســـعدْ بِعـــيدِ مـــا الْتَقَـــى في التُّقى
غـــيرَكَ إنَّـــا لا نُماريكـــا

يا مولانا تقبَّلَ الله تعالى أعمالَك المبرورَه، وجعل أفعالَك في صُحُفِ القبولَ مَسْطورَه. ونَشَرَ حِبَرَ خَيْرِك وبركاتِك المشهودَةَ المشهورَة، ورفَعَ أوقاتَك النَّاصبَة إلى مضارب ، ذيولُها على النُّجوم مَجْرورَه، وقدَّرَ لحسناتك أن تَخرُجَ من صورة على السَّيِّئات منصورَه.

والمملوكُ يسأَلُ من الإحسان الذي ألفَه، والمعروفُ الذي ما أنكرَه منذ عرَفَه، أن لا يَنْسى المملوكَ من صالحِ دَعَواته في خَلَواته، وأن يكونَ له نصيبٌ عندما يتناولُ صلاتَه عقيبَ صَلَواته، والله يُعيدُ من بركاته، ويضاعفُ أُجورَه في سكناته وحركاته. بمنِّه وكرمه إن شاءَ الله تعالى.

يوسُفُ بنُ محمد بن أحمدَبنِ صالحِ بنِ صارمِ بنِ مخلوف، القاضي، الفاضلُ، نورُ الدينِ بنُ تقيِّ الدين، بنِ جلالِ الدِّين، بنِ بقيٍ[1] الأنصاريُّ، الخزرجيُّ الفيُّوميُّ المصريُّ[2].

كتبَ هو إليَّ بالقاهرة في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[3]:

(من السريع)

أهـــديتَ لي مـــن نظمـــك النَّاضـــرِ
زهـــرَ رُبًـــا أَفْديـــه بالنَّاظـــرِ

---

(١) بالأصل: «بن تقي» .

(٢) مات سنة بضع وأربعين، كما جاء في ترجمته (بالدرر ٥/٢٥٠). وقد ترجم له الصفدي في (أعيان العصر: ١٢/٢٣٣) ولم يذكر تاريخ وفاته.

(٣) القصيدة مذكورة في (أعيان: ١٢/٢٣٥).

نظَمْــتَه شــعرًا فألهــى الــورى
عــن كــلّ معنًــى حَـسَنٍ نــادِرَ
فجــاءَ في لُطْــف نــسيم الــصَّبا
إذا ســرى وَهْــنًا علــى حَاجــرِ
يكـــادُ مـــن رِقَّـــةِ ألفاظـــه
يُــشرَبُ في كــاس الطِّــلا الدائــر
مــن كــلّ معنًــى فائــقٍ لَم يَــدُرْ
في فكـــر نظْـــامٍ ولا ناثـــرِ
مــن أيــن أبــدعت المعــانى الــتي
فــيه، ومــا مــرّتْ علــى خاطــرِ؟!
لــو كان في عصرٍ مضى ما رأى النّـــ
(م)ـــاسُ بالــبُكا في المنـزل الداثر[1]
ولا روى العُــشّاقُ مَــعْ وجْــدهم
نــسيبَ مجــنونِ بــنى عامــرِ
ولا رأى الــناسُ غــزال الحِمــى
يــروقُ فــيه غــزَلُ الحاجِــرى[2]

(١) بالأصل: «في المنزل الدائر».
(٢) لعله يقصد بالحاجرى: حسام الدين عيسى بن سنجر بن هرام بن جبريل بن خمار تكين بن طاشتكين الحاجرى، من شعراء العراق والجزيرة. أصله من أولاد الجنود الأتراك.. وصار في خدمة مظفر الدين كوكبورى الذي ولاه صلاح الدين الأيوبى نائبًا عنه في إربل سنة ٥٨٦هـ خلفًا لأخيه زين الدين يوسف. وبعد موت مظفر الدين في عام ٦٣٠هـ غادر الحاجرى المدينة. ثم عاد إليها، وقتل بها في سنة ٦٣٢هـ.

ولم يُمــثَّل بــسوى لفظــه
شــواهِدٌ في المــثَل الــسّائِر[1]
فأنــت أولى الــناس فيــنا بــا نْ
تُعــرَفَ بالــسّاحر لا الــشّاعِر
علــوتَ نــورَ الــدين في ذُروةٍ
تــسمو علــى الواقــع والطائــر
لأنْ مــا تــنظمُهُ لم يكــن
لأوّلٍ فيــنا ولا آخــرِ
شِــعرٌ مــتى مــا ابْــتاعه مُفْلِــسٌ
بنفــسه لم يــكُ بالخاســر
تــالله قــد بالغــتَ في وصــف مــا
يَقِــلُّ في الــباطنِ والظاهــر
لأنــني في أدبي قاصــرٌ
أسْــبَحُ في بحــر النُّهــى الزّاخِــر
ولــيس مــا أجمــعُ مُستَحْــسَنًا
في أدب الــبادى ولا الحاضــرِ

له ديوان شعر بعنوان: (بلبل الغرام الكاشف عن لثام الأنسجام)، وهو مطبوع سنة ١٢٨٠هـ، وطبع بالقاهرة سنة ١٣٠٥هـ. وله أيضًا: (مسارح الغزلان الحاجرية) جمع عمر محمد بن الحسين. وهو مخطوط مودع بالمكتب الهندى ٨٢٩ رقم ٣. انظر ترجمته في : (وفيات الأعيان ٣/١٦٩).

(١) يشير إلى كتاب: «المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر» لضياء الدين بن الأثير، وهو مطبوع ومشهور.

وإنّمـــا يختـــارُ مــــولاىَ أنْ
يكـــونَ مـــن دُون الـــوَرَى جابـــرى
فاســـلمْ ودُمْ مـــا ابْتـــسَمتْ روضـــةٌ
بكـــى لهـــا جَفـــنُ الحـــيا الماطـــرِ

وكتب هو إلّى، وأنا بالقاهرة المحروسة في سنة خمسٍ وأربعين وسبعمائة(١): (من الوافر)

وجـــدنا أُنـــسَ مـــولانا، فلمّـــا
وجَـــدْنا الأُنـــسَ لم نَقـــنعْ بـــذاكا
وهـــامَ الطّـــرْفُ منّـــى في انـــتظارٍ
يـــرومُ مـــن الـــصَّبابةِ أن يَـــراكا
عجـــزتُ عـــن المـــزار فكـــنتُ ممن
نَـــواكَ بـــه كُفِـــينا مـــن نَـــواكا
ولا عَـــتْبٌ علـــى شـــيخٍ ضـــعيفٍ
إذا مـــا قـــام لم يملـــكْ حِـــراكا
فعِـــشْ لمـــسرَّةِ الأحـــبابِ إنّـــا
[إذا](٢) مـــا عـــشتَ عشنا في ذُراكا

وأنشدته يومًا لُغزًا نظمتُه في قصَب السّكر، وهو: (٣).

(من الطويل)

عجـــبتُ لمعـــسولِ الرُّضابِ مُهفْهَفٍ
يُحاكـــى أنابـــيبَ القَـــنا حـــالَ نبْته

(١) وردت الأبيات في (أعيان ١٢/٢٣٥).
(٢) ساقطة من الأصل. وأثبتها عن النسخ الأخرى.
(٣) ورد اللغز في (أعيان: ١٢/٢٣٥).

تناقض معناه الغريبُ فبَوْلُهُ
على الرأس راسٍ، والشواربُ في استه

فأنشدني هو لنفسه فيه[1]: (من السريع)

في حلبٍ أبصرتُ أعجوبَةً
تُخرِجُ أذكى الناسِ من عقلهِ
شخصًا رشيقَ القدِّ عَذْبَ اللَّمى
لا يقدرُ الرُّومُ على مِثلهِ
وَهْوَ بلا عَقْلٍ جريحُ الحشا
والدُّودُ لا يشبعُ من أكلهِ
لا يبرحُ البَوْلُ على رأسهِ
والقَيْدُ لا ينفكُّ من رِجلهِ
[له عيونٌ وَهْوَ أعمى وفي
عينيه أولادٌ على شكلهِ[2]
يا مَنْ سما بيْنَ الورى قدرُه
اكْشِفْ لنا عنه وعن أصْلِهِ

تم الكتاب

(١) الأبيات برمتها واردة في (أعيان: ١٢/٢٣٦ أ). وقد ورد منها خمسة أبيات في (الدرر: ٥/٢٥١).
(٢) لم يرد هذا البيت بالدرر.

والحمد لله على ما وفق، وله الشكر على ما
أعان. وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما كثيرًا..
د/ محمد سالم

الفهارس العامة

- فهرس من ترجم لهم الصفدي في كتابه .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأمثال وما يجري مجراها .
- فهرس أنصاف الأبيات.
- فهرس الشعر، والموشحات، وما جرى على ألسنة العامة من فنون.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن والبلدان والمياه .
- فهرس المصادر والمراجع .

أولاً – فهرس من ترجم لهم الصفدي في كتابه حسبما أوردهم:

ثانيًا - فهرس الأحاديث

ثالثاً - فهرس الأمثال وما يجري مجراها

رابعًا - فهرس أنصاف الأبيات

خامسا- فهرس الشعر، والموشحات، وما جرى على ألسنة العامة من فنون

(أ) فهرس الشعر

قافية الهمزة:

(أ) الهمزة المفتوحة:-

(ب) الهمزة المضمومة:

(جـ) الهمزة المكسورة:-

(ب) الباء المفتوحة:-

(هـ) الباء المضمومة:

قافية التاء

(أ) التاء الساكنة:

(ب) التاء المفتوحة:

(جـ) التاء المضمومة:

(د) التاء المكسورة:

قافية الثاء

أ) الثاء الساكنة:

ب) الثاء المضمومة:

قافية الجيم

أ) الجيم الساكنة:

ب) الجيم المفتوحة:

(جـ) الجيم المضمومة:

(د) الجيم المكسورة:

قافية الحاء

(أ) الحاء الساكنة:

قافية الخاء

قافية الدال

(أ) الدال الساكنة:

(ب) الدال المفتوحة:

(ح) الدال المضمومة:

(د) الدال المكسورة:

قافية الذال

قافية الراء

(أ) الراء الساكنة:

اليسير	السريع	الحاجى	١٠٧/١

(ب) الراء المفتوحة:

نضيرًا	الخفيف	الصفدى	٤٢٩/٢
مسامرا	الطويل	الصفدى	٥٩٢/٢
ناضرا	الطويل	السرمدى	٥٩٣/٢
أتعثرا	الطويل	الصفدى	٣٧٩/٢
مظفرا	الكامل	شهاب الدين محمود	٥٢٧/٢
أقمرا	المتقارب	ابن فهد	٢١٤/١
تحصرا	الكامل	جمال الدين السبكى	٢٧٤/١
تذكرا	الطويل	ابن كليكدى	٣٣٠/١
جرى	الرمل		٨٩/١
جوهرا	الطويل	ابن المعتز	٤٢٢/١
الكرى	المتقارب	الصفدى	٢١٣/١
محررا	الكامل	الصفدى	٢٧٣/١
مزهرا	الطويل		٢٧٥/١
مسترا		بهاء الدين الموصلى	٢٧٤/١
مابرا	مجزوء الكامل	بهاء الدين السبكى	٧٦/١
الورى	الكامل	ابن نباتة	٤٣٣/٢
الورى	الكامل	الصفدى	٤٣٣/٢

(د) الراء المكسورة:

قافية الزاى

(أ) الزاى المفتوحة:

(ب) الزاى المضمومة:

(جـ) الزاى المكسورة:

قافية السين

(أ) السين الساكنة:

(ب) السين المفتوحة:

(هـ) السين المضمومة:

يبلس	الكامل		٢/٢١١-٢/١٩٢

(د) السين المكسورة:

الناس	الكامل	الصفدى	١/٨٧
بالأمس	الطويل	الصفدى	٢/١٠٣
بالأمس	الطويل	ابن معديكرب	١/٣٤
أمس	الخفيف	الصفدى	٢/٢٠٢
أنسى	الطويل	ابن الخراز	٢/٢٤٠
النفسِ	الطويل	الصفدى	١/١٣٩
نفسى	الخفيف	ابن الصائغ	٢/٢٠٨
نفسى	الوافر	الخنساء	٢/٢٠٥
قرطاس	السريع	الصفدى	٢/٣٠٥
وأناسها	مجزوء الكامل	الصفدى	٢/٣٦٥

قافية الشين

(أ) الشين المفتوحة:

انكماشا	الخفيف	الصفدى	٢/١١٤
وطاشا	الخفيف	فتح الدين بن الشهيد	٢/١١٣
مندهشة	المنسرح	ابن نباتة	٢/٤٠٥
منكمشه	المنسرح	الصفدى	٢/٤٠٥

(ب) الشين المكسورة:

قافية الصاد

(أ) الصاد الساكنة:

(ب) الصاد المفتوحة:

(هـ) المكسورة:

قافية الضاد

(أ) الضاد المفتوحة:

قافية الطاء

(أ) الطاء الساكنة:

لوط	الرمل	ابن لؤلؤ الذهبى	٤٠٨/٢

(ب) الطاء المفتوحة:

واسطه	الطويل	الصفدى	٥٢٠/٢
لاقطه	الطويل	الشهاب محمود	٥٢١/٢

(هـ) الطاء المضمومة:

هبوط	الطويل		٣٣٥/١

(د) الطاء المكسورة:

بأسقاط	السريع	برهان الدين القيراطى	٤٥/١
وإسقاطى	السريع	الصفدى	٤٥/١
شاطى	السريع	الصفدى	٤٦/١
شرط	الوافر	الصفدى	٨٦/١
الضابط	المتقارب	للهذلى	٢٣٥/٢

قافية الظاء

(أ) الظاء المفتوحة:

(ب) الظاء المكسورة:

قافية العين

(أ) العين الساكنة:

(ب) العين المفتوحة:

(هـ) العين المضمومة:

(و) العين المكسورة:

وصفه	مجزوء الرجز	بهاء الدين الموصلي	٢٧٦/١
شرفه	مجزوء الرجز	الصفدى	٢٠٥/١
مفوفه	مجزوء الرجز	ابن فهد	٢٠٤/١

(حـ) الفاء المضمومة:

الثقاف	الكامل		٣٨١/٢
ألوف	الطويل	المتنبى	٢٧٩/١- ٢/ ٣٨٣
مطروف	الطويل	الصفدى	٢٤٧/١
تغترف	مجزوء الرجز	الصفدى	٥٩/١
تعسف	الكامل	ابن نباتة	٤٣٤/٢
عكف	الطويل	الشهاب محمود	٥٣٥/٢
يشرف	مجزوء الرجز	خطيب بيت لهيا	٥٩/١
يغفو	الطويل	عيسى الناسخ	٩٥/٢
تعرفه	الرجز	الصفدى	٢١٦/٢
يوقفه	الرجز	ابن النشاى	٢١٥/٢
عطفه	المجتث	الصفدى	٩٤/٢

(د) الفاء المكسورة:

الألوف	المجتث	عز الدين الموصلى	٤٢٤/١
بالتحريف	المجتث	عز الدين الموصلى	٤٢٤/١
بحتوف	المجتث	الصفدى	٤٢٥/١
شريف	المجتث	الصفدى	٤٢٥/١
شريف	المجتث	عز الدين الموصلى	٤٢٤/١
العفيف	الوافر	جمال الدين التبريزى	٣٩٢/١

قافية القاف

(أ) القاف الساكنة:

(ب) القاف المفتوحة:

(د) القاف المكسورة:

قافية الكاف

(أ) الكاف الساكنة:

قربك	مجزوء الرجز	الصفدى	١/٣٧٠
عليك	السريع		١/٥١

(ب) الكاف المفتوحة:

بذاكا	الوافر	نور الدين الخزرجى	٢/٥١٨
ذراكا	الوافر	المتنبى	٢/٧٠
عرفناك	البسيط		٢/٣٣٥
والبركه	البسيط	الصفدى	٢/٤٩٨
معتركه	البسيط	محمد بن يعقوب	٢/٤٩٨

(هـ) الكاف المضمومة:

سامك	الكامل	الصفدى	٢/٣٣٥
مسالك	الكامل	ابن نباتة	٢/٣٣١
شبك	البسيط	الصفدى	٢/٣٤٤

(د) الكاف المكسورة:

السبك	الطويل	الصفدى	٢/٤٥٢
بالمسك	الطويل	ابن نباتة	٢/٤٥١
تحكى	السريع	ابن الوردى	٢/٨٢
لهتكى	الوافر	الصفدى	٢/٤٤٣
مكى	الوافر	الصفدى	٢/٤٨٨

قافية اللام

أ) اللام الساكنة:

(ب) اللام المفتوحة:

(هـ) اللام المضمومة:

قافية الميم

أ-الميم الساكنة:

(ب) الميم المفتوحة:

(هـ) الميم المضمومة:

قافية النون

أ- النون الساكنة:

عيون	السريع	عمر بن داود	٦٥/٢
الغصون	السريع	جمال الدين الصوفي	٥٨٠/٢
اليمين	السريع	الصفدى	٢٥٤/١
اليمين	السريع	خطيب الجامع الظاهرى	٢٥٣/١
تبين	مخلع	الصفدى	١٣٨/١
تفنن	مخلع	أحمد بن يحيى	١٣٨/١

(ب) النون المفتوحة:

أربعينا	المجتث	الصفدى	٨٥/١
الحزينا	مخلع	الصفدى	٢٨/٢
أركانا	البسيط	الصفدى	٣٨٩/١
ألوانا	الكامل	الصفدى	٣١٧/٢
بانا	الطويل	الصفدى	٤٤٣/٢
طوفانا	البسيط	ابن ريان	٢٦٥/١
نسيانا	البسيط	الزبير بن أبي بكر	٤٠٨/١
نيرانا	البسيط	الصفدى	٢٦٣/١
هيمانا	البسيط	تقى الدين عبد الرحمن بن محمد	٣٩٠/١
المعنى	الطويل	بهاء الدين السبكى	١٧٧/٢
مغنى	الوافر	الصفدى	٣٦٩/١
كنا	الطويل		٥٤٤/٢

قافية الهاء

أ) الهاء المفتوحة:

(ب) الهاء المضمومة:

(هـ) الهاء المكسورة:

قافية الواو

قافية الياء

أ – الياء الساكنة:

(ب) فهرس الموشحات

(هـ) فهرس ما جرى على ألسنتهم من الفنون الجارية على ألسنة العامة

سادساً - فهرس الأعلام

(حرف الهمزة)[1]

---

(١) اعتبرت كلمة: (ابن) وأبو) في الترتيب هنا؛ لشهورة هؤلاء الأعلام بذلك، وجريا على عادة بعض المفهرسن. انظر: (تحقيق النصوص ونشرها: ٩٠، ٩١).

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الذال)

(حرف الراء)

(حرف الزاى)

حرف السين

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف الطاء)

(حرف الظاء)

(حرف العين)

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

(حرف الياء)

سابعًا: فهرس الأماكن والبلدان والمياه

ثامنًا - المصادر والمراجع التى ساعدت على تحقيق النص

أولاً - المخطوطات:

١- اختراع الخراع. لصلاح الدين الصفدى. مخطوطة بدارالكتب المصرية. تحت رقم/٢٠١ (أدب تيمور).

٢- أعيان العصر وأعوان النصر. لصلاح الدين الصفدى.

الأجزاء رقم ١، ٤، ٧. مصورة على الميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم/٨٩٩ (تاريخ).

والأجزاء رقم/٢، ٥، ٨ مصورة على الميكروفيلم بمعهد المخطوطات تحت رقم/ ٥٣ تاريخ)

والأجزاء/٣، ٦، ٧. مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم/٢٩٠١ (تاريخ).

٣- بذل الماعون في الطاعون. للحافظ بن حجر. مجموعة رسائل مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم/٢١٣ (مجاميع تيمور).

٤- البرق المتألق في محاسن جلق (تاريخ م-١٠) بدار الكتب المصرية.

٥- بهجة الناظر ونزهة الخاطر. لجلال الدين السيوطى. مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم/٥١٢٤ (أدب).

٦- تأهيل الغريب. لابن حجة الحموى. مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم/ ٦٠٤٢(ز).

٧- التذكرة الصفدية. لصلاح الدين الصفدى:

الأجزاء رقم/١، ٢، ١٣، ١٤، ٤٨. مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم/٤٢٠ (أدب).

والجزء رقم/٧ تحت رقم/٩٧٩٦ (أدب) بدار الكتب المصرية.

والجزء رقم/٣٨ تحت رقم ٨٠٤ (أدب تيمور) بدار الكتب المصرية.

والجزء الأخير مصور على الميكروفيلم بمعهد المخطوطات تحت رقم/١٣٢(أدب).

٨- جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة. لصلاح الدين الصفدى. مخطوطة بدار

الكتب المصرية تحت رقم ١٦٨، ١٩٨ (أدب تيمور).

٩- جمع المنثور من كل روض ممطور. مجموعة شعرية لابن البكا البلخي الحنفي المتوفى سنة ١٠٤٠هـ، مخطوطة بدار الكتب المصرية، تحت رقم/٩١٦١(أدب).

١٠- الحسن الصريح في مائة مليح. مجموعة أشعار في الغلمان. لصلاح الدين الصفدي. مخطوطة بدار الكتب المصرية، تحت رقم/٢٣٦ (أدب تيمور).

١١- حل الإبريز على المحلى العزيز. لفخر الدين بن أبي بكر بن زريق الحموى البارزي. مخطوطة بدار الكتب المصرية. تحت رقم/٤١٤١ (أدب).

١٢- درة الأسلاك في دولة الأتراك. لبدر الدين حسن بن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩هـ. مخطوطة بدار الكتب المصرية. تحت رقم ٧١٤٣ (ح).

١٣- ديوان الغزى. مخطوطة بدار الكتب المصرية. تحت رقم/١١٢ (أدب).

١٤- ديوان المعمار. مخطوطة بدار الكتب المصرية. تحت رقم/٦٧٣ (شعر تيمور).

١٥- رسالة لغز في النيل والإجابة عنه:

ضمن مجموعة رسائل مخطوطة بدار الكتب المصرية – تحت رقم /٢٦٦(مجاميع تيمور).

١٦- روض الآداب. مجموعة أدبية لشهاب الدين أحمد بن محمد بن على الحجازى المتوفى سنة ٨٧٥هـ: مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم/١٤٣٧ (أدب).

١٧- سجع المطوق. لابن نباته المصرى المتوفى سنة ٧٦٨هـ.

مخطوطة بدار الكتب المصرية. برقم/٩٧٦٦ (أدب).

١٨- الشعور بالعور. لصلاح الدين الصفدى:

مخطوطة بدار الكتب المصرية – برقم/١٢٣١٠ (ح).

١٩- صرف العين عن صرف العين في العين. لصلاح الدين الصفدى:

مصورة على الميكروفيلم برقم/٥٨٥ (أدب) بمعهد المخطوطات.

٢٠- الطبقات السنية في تراجم الحنفية. لتقى الدين عبد القادر التميمى المتوفى سنة ١٠٠٥هـ:

الجزء الأول والثانى بدار الكتب المصرية تحت رقم/١٢٧٤٤ (ح).

٢١- طبقات الشافقية. لابن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١هـ:

مخطوطة بدار الكتب المصرية - برقمن/٩٠م (تاريخ).

٢٢- طبقات الشافعية الصغرى. لتاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ:

مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم/٦٠م (تاريخ)، ورقم ٩٨٩٦(ح).

٢٣- طبقات المفسرين. لمحمد بن علي الداودي:

مخطوطة بدار الكتب المصرية. برقم /١٦٨ (تاريخ).

٢٤- الطاعون (أو تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين). مجهول المؤلف:

مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم /٢٥٧٣٢ (ب).

٢٥- عبرة اللبيب بعثرة الكئيب. لصلاح الدين الصفدي:

مخطوطة بدار الكتب المصرية - برقم/٤٨٤، ١٢٧٠ (أدب تيمور).

٢٦- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ويعرف بتاريخ العيني). لبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد، المعروف بالعيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ.

القسم الثالث من الجزء الثالث والعشرين. مخطوط بدار الكتب المصرية برقم/ ١٥٨٤ (تاريخ).

٢٧- فض الختام عن التورية والاستخدام. لصلاح الدين الصفدي:

مصورة على الميكروفيلم برقم/٤٨ (بلاغة) بمعهد المخطوطات.

٢٨- الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه. لصلاح الدين الصفدي:

مصورة على الميكروفيلم بمعهد المخطوطات تحت رمز الوارد حديثًا إلى المعهد.

٢٩- كشف الحال في وصف الخال (مجموعة شعرية) لصلاح الدين الصفدي:

مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم /١٠٥٢ (أدب تيمور).

٣٠- كوكب الروض. لجلال الدين السيوطي:

مخطوطة بدار الكتب الحلصرية تحت رقم/٢٦٣ (تاريخ).

٣١- مجموعة الدر - منتخبات شعرية - جمع درويش محمد بن علي الدهان:

مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم/٢١٨١٥ (ز).

٣٢- مرآة الزمان. لابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤هـ.
ج/١٢ مخطوط بدار الكتب تحت رقم/٥٥١، ٢١٨١ (تاريخ).
٣٣- مصباح الظلام في اليقظة والمنام: مجهول المؤلف:
مجموعة مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ٥٩ (مجاميع).
٣٤- مطلع النيرين: ديوان الأديب برهان الدين القيراطى المتوفى سنة ٧٨١هـ:
مخطط بدار الكتب : القسم الأول في المدائح برقم/٦٠١ (أدب).
والثاني في المراسلات برقم/٥٠٧ (أدب؟).
٣٥- المنتخبات الشعرية (أو جواهر العقد). لمؤلف مجهول منسوب إلى القرن التاسع أو العاشر الهجريين:
مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم /٦٤٨ (شعر تيمور).
٣٦- المنهل الصافي. لابن تغرى بردى. المتوفى سنة ٨٧٤هـ.
ج/٢ مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم/١١١٣ (تاريخ).
٣٧- الهول المعجب في القول الموجب: لصلاح الدين الصفدى:
مخطوطة بدار الكتب المصرية. تحت رقم/ ٤٣٥ (بلاغة).
٣٨- الوافي بالوفيات. لصلاح الدين الصفدى:
الجزء الثالث والخامس من القسم الأول: نسخة مخطوطة تحت رقم/١٢١٩ (تاريخ) بدار الكتب.
والأجزاء /٧، ٨، ١١، ١٢، ١٣، ١٦، ٢٢، ٢٤، نسخة مصورة على الورق تحت رقم/٥٦٥ (تاريخ) بمعهد المخطوطات وهى نسخة ممتازة.

ثانياً – المطبوعات:

١- القرآن الكريم.
٢- أبو نواس: في تاريخه وشعره... لابن منظور المصري. قدم له وأشرف على تصحيحه... / عمر أبو النصر. در الجبل – بيروت – سنة ١٩٧٥م.

٣- الإبانة عن سرقات المتنبي. لأبي سعيد محمد بن أحمد العميدى. تقديم وتحقيق/ إبراهيم ادسوقي البساطي. دار المعارف - بمصر - سنة ١٩٦٩م.

٤- الإتقان في علوم القرآن. لجلال الدين السيوطي. المطبعة الحجازية المصرية سنة ١٣٦٨هـ.

٥- أخبار أبي تمام. لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي. حققه وعلق عليه: خليل محمود عساكر، وآخرون. المكتب التجارى للطباعة. بيروت. (بدون تأريخ).

٦- أدب الكاتب. لابن قتيبة الدينوري. (هامش المثل السائر) المطبعة البهية- مصر- سنة ١٣١٢هـ.

٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. لابن عبد البر - القسم الثالث. تحقيق/ على محمد البجاوى. مطبعة نهضة مصر. بالفجالة. القاهرة.(بدون تأريخ).

٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة. نصر الدين بن الأثير سنة ٦٣٠هـ تحقيق وتعليق. محمد إبراهيم البنا - محمد أحمد عاشور- محمود عبد الوهاب فايد، المجلد الثاني - دار الشعب.

٩- أسرار البلاغة. لعبد القاهر الجرجاني. تعليق السيد/ محمد رشيد رضا. ط/ السادسة سنة ١٩٥٩م.

١٠- أسرار البلاغة. للعاملي المتوفى سنة ١٠٣١هـ. الطبعة الثانية سنة ١٣٧٧ هـ- ١٩٥٧م. البابلي الحلبي بمصر. (مع المخلاة في مجلد واحد).

١١- الأصمعيات. للأصمعي المتوفى سنة ٢١٦هـ. تحقيق وشرح الأستاذين/ أحمده محمد شاكر، وعبد السلام هارون، الطبعة الرابعة: دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٦م.

١٢- إعجاز القرآن. للقاضي أبي بكر الباقلاني. بهامش كتاب الإتقان (السابق للسيوطي).

١٣- الأعلام. خير الدين الزركلي. الطبعة الثانية.

١٤- إنباء الغمر بأنباء العمر. لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ. ج/١ تحقيق د/ حسن حبشي. القاهرة/١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٥- إنباه الرواه على أنباه النحاه. لجمال الدين القفطي. الجزء (١، ٢) تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط- دار الكتب المصرية: سنة ١٣٦٩هـ - سنة ١٩٥٠م.

١٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. للشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ. الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ. مطبعة السعادة. القاهرة.

١٧- بدائع البدائه. لابن ظافر الأزدى. بهامش كتاب معاهد التنصيص (المطبعة البهية المصرية) سنة ١٣١٦هـ.

١٨- البداية والنهاية. لابن الأثير. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م المعارف. ببيروت، والنصر بالرياض.

١٩- بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه. لجلال الدين السيوطى. الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦هـ. ط/ السعادة - مصر.

ونسخة أخرى (جزءان) تحقيق/ محمد أبوالفضل إبراهيم - ط/ عيسى البابى الحلبي وشركاه ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م

٢٠- بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحذ الذاهن والهاجس. لأبى عمر يوسف. ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر الغمرى القرطبى المتوفى سنة ٤٦٣هـ. تحقيق/ محمد مرسى الخولى. ومراجعة/ د: عبد القادر القط. القسم الأول سنة ١٩٦٧م، والقسم الثانى سنة ١٩٦٩م. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر.

٢١- البيان والتبيين. للجاحظ. الطبعة الثانية سنة ١٩٣٢م تحقيق وشرح/ حسن السندوبى - ط/ الرحمانية بمصر. والطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨م. تحقيق / عبد السلام هارون. الخانجى بمصر.

٢٢- تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردى). لزين الدين عمر بن الوردى. إشراف وتحقيق/ أحمد رفعت البدراوى. ج٢، نشر دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ - سنة ١٩٧٠م.

٢٣- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. لابن أبي الأصبع المصرى. تقديم وتحقيق/ د. حفنى محمد شرف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة سنة ١٣٨٣هـ.

٢٤- تذكرة الحفاظ. للذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ. الطبعة الثانية ج/٤. ط الهند. حيدرآباد سنة ١٣٣٤هـ.

٢٥- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق. للعلامة الشيخ داود الأنكاكي. الطبعة الثانية. ط/ الأزهرية المصرية سنة ١٣١٩هـ.

٢٦- تشنيف السمع بانسكاب الدمع. لصلاح الدين الصفدى. الطبعة الأولى سنة ١٣٢١هـ. ط/ الموسوعات مصر.

٢٧- تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن. لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى. ط/ دار الشعب.

٢٨- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب. لابن الفوطى المتوفى سنة ٧٢٣ هـ. ج٤: تحقيق/ د. مصطفى جواد.

٢٩- تلخيص المفتاح في المعانى والبيان والبديع. للقزوينى المتوفى سنة ٧٣٩هـ. وبهامشة (مختصر المعانى) للتفتازانى المتوفى سنة ٧٩١هـ. الطبعة الأولى - مصر - ١٩٣٨م.

٣٠- التمثيل والمحاضرة. للثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩هـ. تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو. دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى - القاهرةسنة ١٩٦١م.

٣١- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون. للصفدى تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٣٨٩- ١٩٦٩م. دار الفكر العربى.

٣٢- توشيع التوشيح. لصلاح الدين الصفدى. تحقيق/ البير حبيب مطلق. دار الثقافة. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م.

٣٣- تاريخ ابن الفرات. ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات. المجلد: ٧، ٨، ٩. حققه وضبط نصه/ د. قسطنطين زريق، د/ نجلاء عزالدين. الأميركانية - بيروت - سنة ١٩٣٩م.

٣٤- تاريخ مصر لابن إياس (المشهور ببدائع الزهرو في وقائع الدهور) ج/١- الطبعة الأولى - بولاق سنة ١٣١١هـ.

٣٥- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. للثعالبي تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر للطبع والنشر: سنة ١٣٨٤هـ - سنة ١٩٦٥م.

٣٦- جنان الجناس في علم البديع. لصلاح الدين الصفدى - ط - أولى. مطبعة الجوائب قسطنطينية سنة ١٢٩٩هـ.

٣٧- الجامع الكبير في صنعة المنظوم من الكلام والمنثور. لضياء الدين بن الأثير. تحقيق/ .د. مصطفى جواد، د/ جميل سعيد. مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٦ م- ١٣٧٥هـ.

٣٨- جيش التوشيح. تصنيف لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦هـ. تحقيق هلال ناجي. مطبعة المنار. تونس سنة ١٩٦٧م.

٣٩- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. لجلال الدين السيوطي. ح ١، ط٢ على نفقة مدير المطبعة الشرفية. ونسخة أخرى: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم البابي وشركاه: ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م-

٤٠- حاشية العالم النحرير العلامة الشيخ الأمير، على شرح الإمام الشيخ عبد السلام على الجوهرة في علم الكلام. مطبعة دار الكتب العربية الكبرى سنة ١٣٣١ هـ.

٤١- الحيوان. للجاحظ. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون. الطبعة الأولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م.

٤٢- خريدة القصر وجريدة العصر. للعماد الأصفهاني الكاتب. ج٢ قسم شعراء الشام. تحقيق/ د. شكري فيصل. المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٧٨ع هـ سنة ١٩٥٩م.

وقسم شعراء المغرب والأندلس: تتحقيق/ آذرتاش آذرنوش. نقحه وزاد عيه/ محمد المرزوقي، وآخرون. الدار التونسية للنشر سنة ١٩٦٢.

وقسم شعراء مصر: ١، ٢. نشره أحمد أمين،وشوقي ضيف، وإحسان عباس. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٧٠هـ ١٩٥١م.

٤٣- خزانة الأدب وغاية الأرب. لابن حجة الحموي. ط/ القاهرة سنة ١٢٩١ هـ. (وبهامشها رسائل بديع الزمان الهمذاني).

٤٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية: للبغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣هـ المجلد الأول - الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق.

وج/ ٣ تحقيق عبد السلام هارون. ط: دار الكاتب العربى بالقاهرة سنة ١٣٨٨ هـ - سنة ١٩٦٧م.

٤٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلانى.

حقق وقدم له/ محمد سيد جاد الحق. مطبعة المدنى. العباسية. القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ . سنة ١٩٦٦م.

٤٦- دمية القصر وعصرة أهل العصر. للأديب الكبير على بن الحسن الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧هـ. الطبعة الأولى - مطبعة العلمية بحلب سنة ١٣٤٨هـ - سنة ١٩٣٠م. طبعه وصححه / محمد راغب الطباخ.

٤٧- دلائل الإعجاز. لعبد القاهر الجرجانى. ط: الأولى سنة ١٩٦٩م. مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة. تعليق وشرح د. محمد عبد المنعم خفاجي.

٤٨- الدارس في تاريخ المدارس. عبد القادر بن محمد النعيمى المتوفى سنة ٩٢٧ هـ: نشر وتحقيق/ جعفر الحسنى. عضو المجمع العلمى العربى. ج/١. مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٦٧هـ - سنة ١٩٤٨م، ج/٢. سنة ١٣٧٠هـ - سنة ١٩٥١م

٤٩- دار الطراز في عمل الموشحات. لابن سناء الملك: عنى بتحقيقه ونشره: د/ جودة الركابى. ط دمشق سنة ١٣٦٨هـ - سنة ١٩٤٩م.

٥٠- ديوان ابن حمديس: وقف على تحقيقه وطبعه/ جلستينو سكيابا ربللى. ط- في رومية الكبرى سنة ١٨٩٧م.

٥١- ديوان ابن حيوس:

تحقيق / خليل مردم بك. المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٥١م.

٥٢- ديوان ابن الخياط. أبى عبد الله أحمد بن محمد بن على التغلبى -- المعروف بابن الخياط الدمشقى المتوفى سنة ٥١٧هـ.

عنى بتحقيقه/ خليل مردم بك. رئيس المجمع العلمى العربى.

٥٣- ديوان ابن الرومى ... ثلاثة أجزاء في مجلد واحد:

اختيار وتصنيف - كمل كيلانى. مطبعة التوفية الأدبية.

٥٤- ديوان ابن رشيق:

جمعه ورتبه: د. عبد الرحمن باغى. دار الثقافة بيروت.

٥٥- ديوان ابن المعتز:
شرح وتقديم / مشيل نعمان. الشركة اللبنانية للكتاب بيروت - لبنان سنة ١٩٦٩م.

٥٦- ديوان ابن نباتة المصرى - دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

٥٧- ديوان ابن النبيه:
مطبعة عبد الغنى أفندى فكرى. سنة ١٢٨٠ هـ (تقريبًا).

٥٨- ديوان ابن هانئ الأندلسى:
دار صادر - دار بيروت سنة ١٣٨٤هـ سنة ١٩٦٤م.

٥٩- ديوان ابن الوردى: - الطبعة الأولى - مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠هـ.

٦٠- ديوان أبي الأسود الدؤلى:
حققه وشرحه وقدم له/ عبد الكريم الدجيلى. الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م. شركة النصر والطباعة العراقية المحدودة - بغداد.

٦١- ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزى
تحقيق/ محمد عبده عزام. الطبعة الرابعة - دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧٦م.

٦٢- ديوان أبي الحسن التهامى: -
طبع بمطبعة الأهرام بالأسكندرية سنة ١٨٩٣م.

٦٣- ديواد أبي الطيب المتنبى. بشرح العكبرى:
ضبطه وصححه ووضع فهارسه/ مصطفى السقا، وآخرون. الطبعة الأخيرة - الحلبى بمصر سنة ١٣٩١هـ - سنة ١٩٧١م.

٦٤- ديوان أبي نواس:
المطبعة الحميدية سنة ١٣٢٢هـ.

٦٥- ديوان الأبيوردى. المتوفى بأصبهان سنة ٥٥٧هـ:
طبع في المطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٣١٧هـ.

٦٦- ديوان الأرجانى: -
صححه/ أحمد بن عباس الأزهرى. طـ: بيروت. في تشرن الثانى، ٣٠٧(١).

٦٧ - ديوان أسامة بن منقذ: -
حققه وقدم له/ د. أحمد أحمد بدوى، وحامد عبد المجيد. المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٥٢م.
٦٨- ديوان الأعشى – ميمون بن قيس المتوفى سنة ٧هـ سنة ٦٢٩هـ. دار صادر بيروت.
٦٩- ديوان امرئ القيس:
تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الثالثة. دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩م.
٧٠- ديوان الإمام علي: -
جمع وترتيب/ عبد العزيز الكرم. ط- دار كرم – بيروت (بدون تأريخ).
٧١- ديوان أوس بن حجر: -
تحقيق وشرح: د/ محمد يوسف نجم. دار صادر – بيروت. سنة ١٣٨٠هـ- سنة ١٩٦٠م.
٧٢- ديوان البحترى: -
تحقيق وشرح وتعليق/، حسن كامل الصيرفى. الطبعة الثانية.
دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢م.
٧٣- ديوان البهاء زهير: مطبعة الموسوعات – باب الخلق – مصر - سنة ١٣٢٢ هـ.
٧٤- ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمى:
مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٧هـ- سنة ١٩٥٧م.
٧٥- ديوان جميل بثينة: دار صادر سنة ١٣٨٦هـ - سنة ١٩٦٦م.
٧٦- ديوان حسان بن ثابت: -
تحقيق: د/ سيد حنفى حسنين، ومراجعة/ حسن كامل الصيرفى.
الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٧٤م.
٧٧- ديوان الخنساء: دار صادر – دار بيروت: سنة ١٣٨٣هـ - سنة ١٩٦٣م.
٧٨- ديوان السموءل: دار صادر بيروت سنة ١٣٨٤هـ - سنة ١٩٦٤م.

٧٩- ديوان الشريف الرضي:
تصحيح وشرح/ أحمد عباس الأزهرى. المطبعة الأدبية بيروت سنة ١٣٠٧هـ.
٨٠- ديوان شعر ذى الرمة:
عنى بتصحيحه/ كارليل هنرى هيس مكارتنى. طبع على نفقة كلية كمبرج سنة ١٩١٩م - سنة ١٣٣٧هـ.
٨١- ديوان شعر المتلمس الضبعى، رواية الأثرم وأبى عبيدة عن الأصمعى: تحقيق/ حسن كامل الصيرفى سنة ١٣٩٠هـ - سنة ١٩٧٠م.
٨٢- ديوان الشماخ بن ضرار:
حققه وشرحه: د/ صلاح الدين الهادى. دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م.
٨٣- ديوان الشافعى:
جمعه وحققه/ زهدى يكن. دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦١م.
٨٤- ديوان الصبابة: لابن أبي حجلة. أحمد بن يحيى التلمسانى.
بهامش كتاب: تزيين الأسواق. الطبعة الأزهرية سنة ١٣١٩م.
٨٥- ديوان الصاحب بن عباد:
تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين. مطبعة المعارف ببغداد.
الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ - سنة ١٩٦٥م.
٨٦- ديوان طرفة بن العبد: - دار صادر بيروت سنة ١٣٨٠هـ - سنة ١٩٦١م.
٨٧- ديوان طلائع بن رزيك: -
جمعه وبوبه/ محمد هادى الأمينى. الطبعة الأولى - مطابع النعمان - النجف الأشرف.
٨٨- ديوان العباس بن الأحنف:
شرح وتحقيق/ د. عاتكة الخزرجى. الطبعة الأولى. القاهرة - مطبعة دار الكتب المصرية: سنة ١٣٧٣هـ - سنة ١٩٥٤م.
٨٩- ديوان عمر بن أبي ربيعة - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٧٨م.

٩٠- ديوان عنترة: بيروت سنة ١٣٧٧هـ - سنة ١٩٥٨م.

٩١- ديوان القاضى الفاضل: -

تحقق: د أحمد أحمد بدوى. الطبعة الأولى سنة ١٩٦١م.

القاهرة. مطبعة دار الكتاب العربى بمصر.

٩٢- ديوان مجنون ليلى: -

جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج. دار مصر للطباعة – الفجالة – مصر. (بدون تأريخ).

٩٣- ديوانة النابغة الذبيانى: تحقيق وشرح: كرم البستانى. دار صادر بيروت.

٩٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لعلى بن بسام المتوفى سنة ٥٤٢هـ:

القسم الأول. المجلد الأول سنة ١٣٥٨هـ - سنة ١٩٣٩م. والمجلد الثانى سنة ١٣٦١هـ - سنة ١٩٤٢م. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٩٥- ذيل الأمالى والنوادر. لأبى على القالى، الطبعة الأولى – المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣٢٤هـ.

٩٦- ذيل تذكرة الحفاظ للذهبى: لابن المحاسن الحسنى.

ويليه: لحظ الألحاظ: بذيل طبقات الحفاظ: للحافظ تقى الدين محمد بن فهد المكى.

ويتلوه: ذيل طبقات الحفاظ للذهبى: لجلال الدين السيوطى.

عنى بنشرها: القدس – دمشق . (بدون تأريخ).

٩٧- ذيول العبر: للذهبى والحسينى: -

تحقيق / محمد رشاد عبد المطلب. راجعه: د. صلاح الدين المنجد، وعبد الستار أحمد فراج. مطبعة حكومة الكويت.

٩٨- رسائل الهمذانى: المعروف ببديع الزمان. (بهامش: خزانة الأدب للحموى) ط. القاهرة سنة ١٢٩١هـ.

٩٩- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: لشهاب الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل. المعروف بأبى شامة. ج/١ سنة ١٢٨٧هـ، ج٢/سنة ١٢٨هـ. بمطبعة وادى النيل بمصر -- القاهرة.

١٠٠- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا: لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩هـ.

تحقيق/ عبد الفتاح محمد الحلو. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦هـ - سنة ١٩٦٧م. بمطبعة عيسى البابلي.

١٠١- زهر الآداب وثمر الألباب. لأبي إسحاق إبراهيم بن على الحصرى:

تحقيق وشرح/ على محمد البجاوى. الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢هـ - سنة ١٩٥٣ م. عيسى البابي الحلبي وشركاه. ونسخة أخرى تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد - ط. الرابعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

١٠٢- سبل السلام في شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني - المعروف بالأمير. المتوفى سنة ١١٨٢هـ. الرابعة سنة ١٩٦٠م- مصطفى البابي الحلبي.

١٠٣- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون. لجمال الدين بن نباتة المصرى: تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي: سنة ١٣٨٣هـ- سنة ١٩٦٤م.

١٠٤- سقط الزند. لأبي العلاء المعرى: بيروت سنة ١٣٨٣هـ - سنة ١٩٦٣م.

١٠٥- سكردان السلطان. لابن أبي حجلة - أحمد بن يحيى التلمساني: -

ط./ الحلبي بمصر سنة١٣٧٧هـ - سنة ١٩٥٧م.

(ملاحظة: الكتاب مع: (المخلاه) في مجلد واحد).

١٠٦- السيرة النبوية لابن هشام/ حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا - إبراهيم الأبيارى - عبد الحفيظ شلبي الطبعة الثانية (١٣٧٥-١٩٥٥). مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٠٧- شرح ديوان جرير: تأليف/ محمد إسماعيل عبد الله الصاوى.

الشركة اللبنانية للكتاب - بيروت - لبنان.

١٠٨- شرح ديوان الحماسة. لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١هـ:

نشره/ أحمد أمين، و. عبد السلام هارون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الطبعة الثانية: القسم الأول سنة ١٣٨٧هـ - سنة ١٩٦٧م، والقسم الثانى سنة ١٣٨٧هـ - سنة ١٩٦٨م، والقسم الثالث سنة ١٣٨٨هـ - سنة ١٩٦٨م، والقسم الرابع سنة ١٩٧٢م. تقريبًا.

١٠٩- شرح ديوان صريع الغوانى - مسلم بن الوليد الأنصارى المتوفى سنة ٢٠٨ هـ: - عنى بتحقيه والتعليق عليه: د. سامى الدهان. الطبعة الثانية. دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠م.

١١٠- شرح ديوان المتنبى. تأليف عبد الرحمن البرقوقى: المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨هـ سنة ١٩٣٠م.

١١١- شرح العلامة سعد الدين التفتازانى على العقائد النسفية لنجم الدين عمر النسفى: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه) بدون تأريخ.

١١٢- شرح المعلقات السبع لأبى عبد الله الحسين بن أحمد الزوزنى. الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م. دار الجيل بيروت.

١١٣- شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨هـ:
تأليف/ محمد محيى الدين عبد الحميد. مطبعة صبيح. الطبعة الثانية سنة ١٣٨١هـ - سنة ١٩٦٢م.

١١٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لابن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩هـ: ج٥، ٦: نشر مكتبة القدس بجوار الأزهر سنة ١٣٥١هـ. وأيضًا: نشر المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت - لبنان.

١١٥- شعر الأحوص الأنصارى: جمعه وحققه: عادل سليمان جمال. وقدم له: د/ شوقى ضيف. ط: الهيئة المصرية، القاهرة ١٣٩٠-هـ ١٩٧٠م.

١١٦- شعر دعبل بن على الخزاعى. المتوفى سنة ٢٤٦هـ:
صنعه: د/ عبد الكريم الأشتر. دمشق: سنة ١٣٨٤هـ - سنة ١٩٦٤م.

١١٧- شعر على بن جبلة. الملقب بالعكوك المتوفى سنة ٢١٣هـ
جمعه وحققه/ د. حسين عطوان. دار المعارف سنة ١٩٧٢م.

١١٨- الشعر والشعراء (طبقات الشعراء) - لابن قتيبة:

ج/١ط- ليدن سنة ١٩٠٢ – دار صادر.

ج/٢ط- مصر – الطبعة الثانية سنة ١٣٨٦هـ - سنة ١٩٦٧م. تحقيق: أحمد محمد شاكر.

١١٩- صبح الأعشى في كتابة الإنشا. لأبي العباس أحمد القلقشندى

طـ. – دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٢م.

١٢٠- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم البخاري الجعفى المتوفى سنة ٢٥٧هـ.

الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ بالمطبعة الحسينية المصرية. (وأيضًا – طبعة دار الشعب).

١٢١- طبقات الحنابلة. للقاضى أبي الحسين محمد بن أبي يعلى:

وقف على طبعه وتصحيحه/ محمد حامد الفقى. مبطعة السنة المحمدية – القاهرة سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

١٢٢- الطبقات السنية في تراجم الحنفية. لتقى الدين عبد القادر التميمى: جـ١ تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. ونشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١٢٣- طبقات الشعراء الجاهلين والإسلامين. لأبي عبد الله بن سلام الجمحى البصرى المتوفى سنة ٢٣٢هـ. مكتبة الثقافة العربية. بدون تأريخ.

١٢٤- طبقات الشعراء. لابن المعتز: تحقيق وشرح/ عبد الستار أحمد فراج. الطبعة الثانية: دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م.

١٢٥- طبقات الشافعية. لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوى المتوفى سنة ٧٧٢ هـ:

تحقيق / عبد الله الجبوري. الطبعة الأولى. مطبعة الإرشاد. بغداد – سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

١٢٦- طبقات الشافعية الكبرى. لتاج الدين السبكى:

تحقيق/ محمود محمد الطناحى، وعبد الفتاح محمد الحلو الطبعة الأولى (عيسى البابى الحلبى وشركاه).

١٢٧- طبقات المفسرين. لجلال الدين السيوطي: طبع طهران سنة ١٩٦٠م.

١٢٨- طيف الخيال. للشريف المرتضى. على بن الحسين الموسوى العلوى المتوفى سنة ٤٣٦هـ:

تحقيق / حسن كامل الصيرفي. دار إحياء التراث العربي (عيسى البابي وشركاه) القاهرة سنة ١٣٨١هـ - سنة ١٩٦٢م.

١٢٩- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. للإمام تقي الدين محمد ابن أحمد الحسني الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ. ج/٣. تحقيق/ فؤاد سيد. القاهرة سنة ١٩٦٤م.

١٣٠- العقد الفريد. لابن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ ج/١، ٢ تحقيق/ محمد سعيد العريان. الطبعة الأولى . مصر سنة ١٩٤٠م.

، ج٣، ٤، ٥، ٦. تحقيق/ أحمد أمين، وآخرين. مطبعة لجنة التأليف والترجمة سنة ١٣٦١هـ - سنة ١٩٤٢م.

١٣١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه. لابن رشيق القيرواني ج/١ ط. الأولى سنة ١٩٣٤. تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٣٢- عيون الأخبار. لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦هـ.

طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب. الجزء ١، ٢، ٣. ط سنة ١٩٧٣. والجزء الرابع سنة١٩٧٤م.

١٣٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء. لابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨هـ: شرح وتحقيق: د. نزار رضا. منشورات دار مكتبة الحياة. بيرت سنة ١٩٦٥م.

١٣٤- الغضون اليانعة في محاسن المائة السابعة. لأبي سعيد أبي الحسن على بن موسى الأندلسي المتوفى سنة ٦٨٥هـ تحقيق/ إبراهيم الأبيارى.

الطبعة الثانية. دار المعارف بمصر. سنة ١٩٦٧م.

١٣٥- الغيث المنسجم في شرح لامية العجم. لصلاح الدين الصفدى:

ط الأولى — بالمطبعة الأزهرية المصرية. سنة ١٣٠٥هـ.

١٣٦- فتح المبين لشرح الأربعين. لأحمد بن حجر الهيتمي:

المطبعة العامرة الشرفية — مصر — سنة ١٣٢٠هـ.

١٣٧- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. شرح أبي عبيد البكرى الأونبي المتوفى

سنة ٤٨٧هـ، لأمثال أبي عبيد القاسم بن سلام. تحقيق: د. عبد المجيد عابدين، د. حسان عباس. الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨م).

١٣٨- فض الختام عن التورية والاستخدام. لصلاح الدين الصفدى.
دراسة وتحقيق: د. المحمدى عبد العزيز الحناوى. دار الطباعة المحمدية: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

١٣٩- الفلك الدائر على المثل السائر. لابن أبي الحديد:
الكتاب مع القسم الرابع من كتاب: (المثل السائر) الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩هـ - سنة ١٩٥٩م. تحقيق: د. أحمد الحوفى، ود. بدوى طبانة.

١٤٠- الفاضل. لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد:
تحقيق/ عبد العزيز الميمنى. مطبعة دار الكتاب المصرية. سنة ١٣٧٥هـ - سنة ١٩٥٦م.

١٤١- فوات الوفيات. لمحمد بن شاكر الكتبي. المتوفى سنة ٧٦٤هـ.
ج١، ٢- تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥١م.

١٤٢- قضاة دمشق: الثغر البسام في ذكر من ولى قضاء الشام. لشمس الدين بن طولان: تحقيق/ د. صلاح الدين المنجد. ط- دمشق سنة ١٩٥٦م.

١٤٣- قلائد العقيان في محاسن الأعيان: للفتح بن خاقان. ط - بولاق سنة ١٢٨٣هـ.

١٤٤- كتاب الإصابة في تمييز الصحابة. لابن حجر العسقلانى: ثمانية أجزاء: الجزء: ١، ٢ - ط/ بمطبعة السعادة - مصر سنة ١٣٢٣هـ. والأجزاء الباقية. ط/ بالمطبعة الشرقية سنة ١٣٢٥هـ - سنة ١٩٠٧م.

١٤٥- كتاب الأغانى، لأبي الفرج الأصبهانى - على بن الحسين. المتوفى سنة ٣٥٦هـ - سنة ٩٧٦من. مصور عن طبعة دار الكتب. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

١٤٦- كتاب الأمالى. لأبي على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى المتوفى سنة ٣٥٦هـ. جزءان الطبعة الأولى. بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر - سنة ١٣٢٤هـ.

١٤٧- كتاب جمهرة أشعار العرب. لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: المطبعة الأميرية الكبرى – بولاق – مصر. سنة ١٣٠٨هـ.

١٤٨- كتاب حسن التوسل إلى صناعة الترسل. لشهاب الدين أبي الثناء محمود. المتوفى سنة ٧٢٥هـ.

ط. بمطبعة أمين أفندى هندية – بمصر: سنة ١٣١٥هـ.

١٤٩- كتاب رحلة الشتاء والصيف. للشيخ محمد عبد الله الحسيني الموسوى. المنبوز بكبريت: المطبعة الوهبية: سنة ١٢٩٣هـ.

١٥٠- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك. لتقى الدين أحمد بن على المقريزى:

الجزء الثاني: (القسم الأول، والثاني) قام بنشره/ محمد مصطفى زيادة. مطبعة لجنة التأليف – القاهرة سنة ١٩٤١م.

و(القسم الثالث) صححه محمد مصطفى زيادة. الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨م. لجنة التأليف، والجزء الثالث – القسم الأول – حققه / د. سعيد عبد الفتاح عاشور. مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٠م.

١٥١- كتاب شرح أبيات سيبويه. لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ: تحقيق/ زهير غازى زاهد. الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م. بمطبعة العزى الحديثة – بالنجف.

١٥٢- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. لأبي هلال العسكرى:

تحقيق / على محمد البجاوى، و منحمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الثانية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) بدون تأريخ.

١٥٣- كتاب غاية النهاية في طبقات القراء. لشمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى: ج/١. باعتناء/ج. برجشتراسر. مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣٣م.

١٥٤- كتاب كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام. لابن حجة الحموى: المطبعة الأنسية. بيروت: سنة ١٣١٣هـ.

١٥٥- كتاب الكشكول: لمحمد بهاء الدين العاملى:

المطبعة الكبرى الإبراهيمية. بمصر سنة ١٢٨٨هـ.

١٥٦- كتاب كليلة ودمنة. نقله من الفهلوية. عبد الله بن المقفع:
تصحيح وتعليق: د. طه حسين بك، ود. عبد الوهاب عزام. إخراج مطبعة المعارف، ومكتبتها بمصر سنة ١٩٤١م.

١٥٧- كتاب الكناية والتعريض. لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى سنة ٤٣٠هـ.
(هذا الكتاب مع: المنتخب من كنايات الأدباء، في مجلد واحد)
ط. الأولى بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٨م.

١٥٨- كتاب معجم البلدان. لياقوت الحموى الرومى. المتوفى سنة ٦٢٦هـ:
الطبعة الأولى: سنة ١٣٢٤هـ - سنة ١٩٠٦م. وغيرها.

١٥٩- كتاب المقتضب. صنعه أبي العباس محمد بن يزيد المبرد. المتوفى سنة ٢٨٥ هـ: تحقيق / محمد عبد الخالق عضيمة. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

١٦٠- كتاب المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (المشهور بشرح الشواهد الكبرى (للإمام أبي محمد محمود بن أحمد العينى الكتاب على هامش خزانة البغدادى. ط. الأولى – المطبعة الأميرية ببولاق).

١٦١- كتاب الملل والنحل. للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨هـ:
خرجه وحقق نصوصه/ محمد بن فتح الله بدران. الطبعة الأولى – مطبعة الأزهر.

١٦٢- كتاب المواع والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف: بالخطط المقريزية). لتقى الدين أبي العباس أحمد بن على المقريزى. المتوفى سنة ٨٤٥هـ. مكتبة المثنى بغداد.

١٦٣- كتاب النوادر في اللغة. لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى:
تعليق وتصحيح/ سعيد الخدرى الشرتونى اللبنانى. ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

١٦٤- كنز الدرر، وجامع الغرر: لأبي بكر عبد الله بن أيبك الداوادارى:

ج/٦ تحقيق: د. صلا الدين المنجد. القاهرة: سنة ١٣٨٠هـ - سنة ١٩٦١م.

١٦٥- الكامل. للمبرد: أربعة أجزاء:

عارضه بأصوله وعلق عليه/ محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاته. مطبعة نهضة مصر - الفجالة - القاهرة.

١٦٦- الكامل في التاريخ لابن الأثير. المتوفى سنة ٦٣٠هـ:

مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

١٦٧- لزوم ما لا يلزم. لأبي العلاء المعرى:

شرح وتحقيق/ إبراهيم الإبيارى. مطبعة وزارة التربية والتعليم. سنة ١٣٧٨هـ- سنة ١٩٥٩م.

١٦٨- لوعة الشاكي ودمعة الباكي: لصلاح الدين الصفدى:

ضبط وشرح وتصحيح/ محمد أبو الفضل محمد هارون. الطبعة الأولى سنة ١٣٤١ هـ - سنة ١٩٢٢م. المطبعة الرحمانية - مصر.

١٦٩- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء. لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدى. المتوفى سنة ٣٧٠هـ. اعتنى بتصحيحه و... الأستاذ المستشرق الدكتور/ فريتس كرنكو. مكتبة القدسي - القاهرة سنة ١٣٥٤هـ. (مع كتاب معجم الشعراء في مجلد واحد).

١٧٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. لضياء الدين بن الأثير.

المطبعة البهية - مصر سنة ١٣١٢هـ. والقسم الثاني - الطبعة الثانية - ط. نهضة مصر. تحقيق: د. أحمد الحوفى، ود. بدوى طبانة.

١٧١- مجمع الأمثال: للميداني المتوفى سنة ٥١٨هـ: جزءان - ط. بمصر سنة ١٣٥٢هـ.

١٧٢- مجالس ثعلب: لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ.

ج/١ شرح وتحقيق/ عبد السلام هارون. ط. دار المعارف بمصر.

١٧٣- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني:

ط. بيروت سنة ١٩٦١م.

١٧٤- مختارات شعراء العرب. لابن الشجرى: هبة الله بن على أبي السعادات العلوى المتوفى سنة ٥٤٢هـ:

تحقيق/ على محمد البجاوى. دار نهضة مصر. الفجالة القاهرة سنة ١٩٧٥م.

١٧٥- المختار من شعر بشار. اختيار الخالديين. وشرحه: لأبي الطاهر إسماعيل ابن أحمد بن زيادة التجيبي البرقي: اعتنى بنسخة وتصحيحه... السيد/ محمد بدر الدين العلوى مطبعة الاعتماد.

١٧٦- المخلاه لبهاء الدين العاملي: الطبعة الثانية سنة ١٣٧٧هـ. سنة ١٩٥٧ م. البابلى الحلبي بمصر.

١٧٧- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عبد الله بن سعد بن على بن سليمان اليافعي. المتوفى سنة ٧٦٨هـ.

ج/٤. منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات. بيروت الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

١٧٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر: للمسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ. ج٢ تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٧ هـ، سنة ١٩٥٨م.

١٧٩- المستطرف في كل فن مستظرف: للشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهى.

ط. بولاق. القاهرة سنة ١٢٦٨هـ.

١٨٠- المستقصى في أمثال العرب. لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

ج/ ٢- الطبعة الأولى. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند سنة ١٣٨١هـ - سنة ١٩٦٢م.

١٨١- مطالع البدور في منازل السرور. لعلاء الدين على بن عبدالله البهائى الغزولى: الطبعة الأولى: ج١-طـ سنة ١٢٩٩هـ. والجزء/ ٢ط: سنة ١٣٠٠هـ. بمطبعة إدارة الوطن.

١٨٢- المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية. للشيخ/ نصر الهوريني الوفائي: ط. الأولى. المطبعة الخيرية - الجمالية - مصر سنة ١٣٠٤هـ.

١٨٣- معجم الأدباء لياقوت:

الطبعة الأخيرة. مكتبة عيسى البابي وشركاه. ملتزم النشر/ د. أحمد فريد الرفاعي مطبوعات دار المأمون.

١٨٤- معجم الأطباء من سنة ٦٥٠هـ إلى يومنا هذا (ذيل عيون الأنباء...) تأليف/ د. أحمد عيسى بك. ط. الأولى سنة ١٣٦١هـ - سنة ١٩٤٢م. مطبعة فتح الله الياسي نوري - بمصر.

١٨٥- معجم الشعراء. للمرزباني: بتهذيب المستشرق الأستاذ الدكتور/ سالم الكرنكوي: مكتبة القدس. القاهرة سنة ١٣٥٤هـ.

١٨٦- معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة:

مطبعة الترقي بدمشق: سنة ١٣٧٦ هـ- سنة ١٩٥٧م.

١٨٧- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. لأبي منصور الجواليقي. المتوفى سنة ٥٤٠هـ:

تحقيق وشرح/ أحمد محمد شاكر. الطبعة الثانية. مطبعة دار الكتب سنة ١٣٨٩ هـ - سنة ١٩٦٩م.

١٨٨- معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص. لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي:

المطبعة البهية المصرية سنة ١٣١٦هـ.

١٨٩- المغرب في حلى المغرب:

حققه وعلق عليه/ د. شوقي ضيف. دار المعارف بمصر.

١٩٠- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. لجمال الدين محمد بن سالم بن واصل. المتوفى سنة ٦٩٧هـ:

ج/ ٣ تحقيق: د. جمال الدين الشيال. نشر: دار القلم بالقاهرة.

١٩١- المفضليات:

تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون. الطبعة الخامسة. دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٦م.

١٩٢- مقدمة ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...) للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي:

المكتبة التجارية الكبرى، بمصر – (بدون تأريخ).

١٩٣- مقامات الحريري:

ط. بيروت سنة ١٣٨٥هـ - سنة ١٩٦٥م.، وط. المصرية بالمطبعة الحسينية سنة ١٣٢٦هـ.

١٩٤- الملل والنحل: للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ. ج١ تحقيق محمد سيد كيلاني. ط. البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.

١٩٥- المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء: للقاضي أبي العباس أحمد ابن محمد الجرجاني الثقفي. المتوفى سنة ٤٨٢هـ عني بتصحيحه/ السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي. ط- الأولى مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٦هـ - سنة ١٩٠٨ م.

١٩٦- المنهل الصافي. لابن تغرى بردى. المتوفى سنة ٨٧٤هـ:

ج/ ١. ط. دار الكتب سنة ١٩٥٦م.

تحقيق/ أحمد يوسف نجاتي.

١٩٧- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء. لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني. المتوفى سنة ٣٨٤هـ:

المطبعة السلفية. القاهرة سنة ١٣٤٣هـ.

١٩٨- نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان: لابن الأحمر، الأمير إسماعيل يوسف ابن محمد. المتوفى سنة ٨٠٧هـ.

دراسة وتحقيق/ محمد رضوان الداية. دار الثقافة. بيروت سنة ١٩٦٧م.

١٩٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. لابن تغرى بردى. الأجزاء: (٩-١٢) الطبعة الأولى. ط- دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٩هـ - سنة ١٩٥٠م.

٢٠٠- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن محمد الأنبارى.

تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر. الفجالة. القاهرة.

٢٠١- نسيم الصبا. لابن حبيب الحلبي:

(المطبعة العامرة الشرقية التي مركزها في مصرخان أبي طاقية سنة ١٣٠٧هـ).

٢٠٢- نصرة الثائر على المثل السائر: لصلاح الدين الصفدى.

تحقيق/ محمد على سلطاني. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢م.

٢٠٣- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: تأليف: الشيخ أحمد بن محمد المقرى التلمساني. حققه. د. إحسان عباس . دار صادر بيروت: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٢٠٤- النقائض: بين جرير والفرزدق. لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمى. المتوفى سنة ٢٠٩هـ:

وقف على طبعها وتصحيحها: محمد إسماعيل عبد الله الصاوى. مطبعة الصاوى سنة ١٣٥٣هـ - سنة ١٩٣٠م.

٢٠٥- نكت الهميان في نكت العميان: لصلاح الدين الصفدى:

وقف على طبعه الأستاذ/ أحمد زكى بك. المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩هـ - سنة ١٩١١م.

٢٠٦- نهاية الأرب في فنون لأدب. لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى المتوفى سنة ٧٣٣هـ:

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. المؤسسة المصرية العامة.

٢٠٧- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. لأبي العباس أحمد القلقشندى. المتوفى سنة ٨٢١هـ:

تحقيق / إبراهيم الإبيارى. ط. الأولى. القاهرة سنة ١٩٥٩م.

٢٠٨- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار: شرح منتقى الأخبار للإمام/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني. المتوفى سنة ١٢٥٥هـ. ط- دار الفكر. بيروت سنة ١٩٧٣م.

٢٠٩- الوشي المرقوم في حل المنظوم. تصنيف ضياء الدين بن الأثير - ط. بمطبعة ثمرات الفنون سنة ١٢٩٨هـ.

٢١٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لابن خلكان. المتوفى سنة ٦٨١هـ. (٦أجزاء): تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة المصرية - ط. الأولى: سنة ١٣٦٧هـ -سنة ١٩٤٨م.

٢١١- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين الصفدي: الأجزاء من ١: ٦ طبعة استانبول مطبعة الدولة سنة ١٩٣١م. والجزء السابع باعتناء/ إحسان عباس دار صادر بيروت سنة ١٣٨٩هـ - سنة ١٩٦٩م.

ج٨ باعتناء محمد يوسف نجم: ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م.

ج٩ باعتناء: يوسف فان اس - : ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

ج١٠ ((جاكلين سوبله وعلي عماره - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)) .

٢١٢- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: لأبي منصور الثعالبي:

ج١ تحقيق وشرح/ إيليا الحاوي. ط - الأولى. توزيع الشركة الشرقية للنشر والتوزيع.

وج/ ٢، ٣، ٤. ط - الأولى. مطبعة الصاوي بمصر: سنة ١٣٥٢هـ - سنة ١٩٣٤م.

وقد استعنت إلى جانب ذلك ببعض المعاجم اللغوية.

استدراك وتصويب

فَرضتْ على مُهِمَّةُ صُنع الفهارس لهذا الكتاب، في أكتوبر ٢٠٠٧م قراءةَ الجزء الأول منه بعد نشره سنة ٢٠٠٥م - بصغر بُنطه، و كثرة سطور صفحاته، وتزاحُمها بصورة تُضْنِي كبارَ السنِّ، ضِعافَ البصر أمثالي - ففوجئت - والكمال لله وحده بوجود طائفة من الأخطاء التي لا يخفى على القارئ العاديّ تصويب بعضها. ومع اعتذاري عنها جميعها أقدم الكثير من نماذجها؛ مركّزا على النص الأصلي فقط، دون هوامشه، على الوجه الآتي:

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	تصويبه
٣٩	الثالث من أسفل	من الطريق	(من الطويل)
٣٩	١٣	أغلق للآداب أبعوابا	للآداب أبوابا
٥١		حصل اضطراب في الترقيم ، صححه	- فغاض فصدّق (١٢٩) - لبعيد الأمل شقة البين (١٣٠) - (إلى عون أنصار..) (١٣١) - (من ثنائي عليك) يحذف الرقم الموجو بنهاية الشطر.
٥٢	(٥) من أسفل	سقط تخريج أبيات الخيّاط عروضيًّا، وهي	على (وزن الرمل)
٦١	٨	أم عود ويد الإحسان	أم عقود...
٦٣	الثاني من أسفل	يقفلك لما غبت	لفقدك لما غبت
٦٧	الأخير	لم تُبق في قَرن جلاده (بفتح القاف)	لم تبق في قرن جلاده

٧٢	(٨) من أسفل	مجيب للسؤال	مجيب للسؤال
٧٢	(٤) من أسفل	ولم يضَع (بفتح الضاد)	لم يضيع (بكسرها)
٧٦	١٧	ويزيل عنه القلق (بالياء) بعدها زاى	ويزير (بالياء...)
٧٧	١١	ولطفتُ معنى (بتاء المتكلم)	ولطفتَ (بتاء الخطاء)
٧٧	(٤) من أسفل	ليل التمام مَسهَّدًا (بفتح الميم)	مُسَهَّدا (بضم الميم)
٨٨	(٨) من أسفل	فمون نفرٍ. (بجرّ التمييز)	خمسون نفرًا
٩٢	الأول	لأرجاني لم يزل	للأرجانيّ...
٩٤	الأول	قريض ألهنا (بقطع الهمزة)	قريض الهنا
٩٧	(١٣) من أسفل	حصلتُها من كنــز (بتاء المتكلم)	حصلتَها... (على الخطاب)
٩٩	(٥) من أسفل	وكتب أنا إليه	وكتبت أنا إليه
١١٢	٩	وانجماع كلَّ إلف (بفتح اللام المضعفة)	... كلِّ إلف (بكسر اللام المضعفة)
١١٤	(٤) من أسفل	وأخذ بعقيصتها . (بياء بعدها عين)	وأخذ بعقيصتها. (بياء تليها العين)

١١٥	٨	فكلَّ قرينة (بكر اللام المضعفة لو يطير شرارَه (بالنصب	فكلُّ .. (بضمها).
١١٦	٩	لو يطير شرارَه (بالنصب)	لو يطير شرارُه (بالرفع)
١١٦	(١٠) من أسفل	جاءت تصوغَ (بنصب المضارع)	جاءت تصوغُ (برفعه)
١٢٥	٦	بردٌ لوَ إن (بقطع الهمزة وكسرها)	بُردٌ لوَ آن (بتسهيل همزة أن)
١٢٥	١١	وجمرة الشمس لا تخبوا	... لا تخبو. (بحذف الألف بعد الواو)
١٢٨	(١) من أسفل	فيلبستها المحاسن (بفتح السين من الفعل)	فيلبسُها... (بضمها)
١٢٩	(٨) من أسفل	أريج النفخة (بالخاء بعد الفاء	أريج النفحة (بالحاء المهملة)
١٣٢	(٢) من أسفل	من السريع	(من الطويل)
١٣٣	الأخير	البيت من الشعر المدور لكن ليس على هذا الرسم. وصحته:	ربّ أمرِأتاك لم تَحْمدِ الفُعْـ عال فيه وتحمدِ الأفعالا
١٣٧	(٧) من أسفل	سقط تخريج البيتين قبل الأخيرين عروضيًا	(من الطويل).

٢٠٤	٢	عن نيعل المنى	عن نيل المنى .
٢٠٤	٥	وسما بجداوه	وسما بجدواه
٢٠٤	(٩) من أسفل	يحرس للزمان بقاءُهُ (بضم الهمزة)	... بقاءَهُ (بفتحها)
٢٠٥	(٢) من أسفل	إبْنَهُ يا من...	أَبنَهُ يا من.
٢٠٦	٣	كم صرفت عند عبده	.. عن عبده
٢٠٦	(٩) من أسفل	كأنك الغزت لي (بحذف همزة الفعل)	كأنك ألغزت لي
٢٠٧	١٠	من البلوى لو أحتملت (بقطع الهمزة)	... أو احتملت
٢٠٨	٥	لله دً قواف	لله دَرُّ قواف
٢١٦	(١٢) من أسفل	وأحْنا دار المقامة	وأحلنا دارَ المقامة
٢١٧	٤	فليت جسمه.. حما	... حمل
٢١٨	(٧) من أسفل	مل كل ذى ودٍّ	ما كل ذى ودٍّ
٢٢١	١١	أستخرج .. كلُّ دُرَّه	استخرج ... كلّ دُرّه
٢٢١	(٧) من أسفل	ويمتع بفضائه	ويمتع بفضالله
٢٢٢	٥	غدا في لترب	غدا في الترب
٢٢٣	٨	وفي أبياقتا	وفي أبياتها
٢٢٤	(٧) من أسفل	لو من معانيها	لَي من معانيها

٢٣٥	(٧) من أسفل	على المنى منّى مُنى وَفْق	على المُنى منّى ووفق
٢٣٨	٩	منها عي إيضاحها	منها على إيضاحها
٢٣٩	(١٠) من أسفل	ألوية.. معقودونك	... معقودة وبك
٢٣٩	(٩) من أسفل	من غاب عن وجود	من غاب عن جود
٢٤٠	(١٣) من أسفل	لقى منها غَرق القربة (بالغين)	.. عرق القربة (بالعين المهملة)
٢٤٠	٨	سقط تخريج الأبيات الأخيرة عروضيا، وهي على وزن الخفيف	
٢٤١	٩ من أسفل	حظًّا نام هرًّا	حظًا نام دهرًا
٢٤١	(٥) من أسفل	لو شاهده ابن البوب	... ابن البواب
٢٤٢	(١٠) من أسفل	إن زفلدت	إن أفسدت
٢٤٢	(٥) من أسفل	ينفذَ في الأمر (بنصب الفعل)	ينفذُ في الأمر (برفعه)
٢٤٣	(٢) من أسفل	ليث الغاب بألف غَلية	... بألف غيله
٢٤٦	١١	لَوضُعه شهلة (بفتح اللام وضم الضاد)	يوضْعه... (بكسر اللام وسكون الضاد)
٢٤٦	(٤) من أسفل	واستحال زهرُ (بضم الراء)	واستحال زهرَ (بالنصب)

٢٤٩	١١	(من الكامل)	(من الطويل)
٢٥٥	١٦	عهودك منها وانمحت منها بيد...	عهودك فيها وانمحت بيد...
٢٦١	(١٢) من أسفل	فما يقَع بل بالعداء	فما يوقَع بل...
٢٦١	(٢) من أسفل	وكل فريق ما اشتكى	وكل فريق إذا ما اشتكى
٢٦٨	٧	يحفل بها إذ يلتح	... إذ يلتُحف
٢٧٠	١٠	خليلي حليل (بالحاء المهملة)	خليلي خليل (بالخاء المعجمة الفوقية)
٢٧٢	٣	تاجا على فق الفرقد	... على فرْق الفرقد
٢٧٤	٦	كان ذاك تكتهرا	كان ذلك تكثّرا
٢٨٢	٧	فلتك اللا	فلتك العلا
٢٥٤	١	لم تمده تبْنا	لم تمده تينا
٣٥٥	١١	شاطر الحركات .. المجر	شاطر الحركات مُرّ الهجر
٣٥٥	١٢	كالصبح .. لو كالشمس (أى بوضع كلمة ((أو)) في الشطر الثاني	كالصبح أو .. كالشمس (بوضع ((أو)) في الشطر الأول لسلامة الد: ن
٣٥٥	(١٠) من أسفل	في كل حين واحا (بالواو)	في كل حين راحا (بالراء)

٣٥٦	٤	حتى لقد القريض	حتى لقد أضحى القريض
٣٥٦	١٣	حساده القدر المطاع	... القدر المطاع
٣٥٦	١٨	فاق شذا الرياض ففاحا	... الرياض ففاحا
٣٥٦	(٨) من أسفل	بجنود كتب كالتائب	... كتب كالكتائب
٣٥٧	١٣	وكتبت إليّ	وكتب إليّ
٣٥٧	٣ من أسفل	وقضاعتهم	وفضلتهم
٣٥٨	٦	وأيض الطرق بين...	وأبيض الطرق تزهو بين
٣٥٨	(١٢) من أسفل	فوداد خلق	فوداده خلق
٣٥٩	٧	فلا أيع ما بقى	فلا أُضيِّع ما بقى
٣٦٥	(٨) من أسفل	فأنشدنه أنا لنفسه	فأنشدته أنا لنفسى
٣٦٥	(١) من أسفل	ما على الخصر من (أي أن كلمة ((بند)) ساقطة من نهاية الشطر)	واعلى الخصر من بَنْد
٣٧٢	١٤	المظر بكماله نقص...	المظهر بكماله...
٣٧٣	٩	وسطورع كالليل	وسطوره كالليل
٣٧٩	(٦) من أسفل	فيشي من السنا	فيعشي من السنا
٣٨٠	(٥) من أسفل	سقط تخريج البيتين الأخيرين عروضيا، وهما	على (الوافر)
٣٨٣	٥	الأسماع فهنّ أسمار	الأسماع منهن أسمار

٣٨٣	(١٠) من أسفل	فكتب الجواب إليه	فكتبت الجواب إليه
٣٨٤	١٦	أجيزوا تماولوا	أجيزوا تنالوا
٣٨٤	٢٠	عما أتيتُ به بتاء المتكلم	عما أتيت به (بتاء الخطاب)
٣٨٤	(٧) من أسفل	عنت لام	عمّن لام
٣٨٤	(٥) من أسفل	ودْ غدت	وقد غدت
٣٨٧	١٤	وعن الرياض أذيذ	... أذيذَ
٣٨٧	(٢) من أسفل	يرى فوق التلوك	... الملوك
٣٨٩	(١) من أسفل	أم الشيخ تاجُ نظم شعره	... تاج الدين نظّم شعره
٣٨٩	(١٤) من أسفل	محب الدين صنة من	... صنعة من
٣٩١	١٠	وما شك في خير خَيْرِها	... خير خُبرِها
٣٩٢	٣	ما أنت خطّاها	ما أنت من خطّاها
٣٩٥	(٥) من أسفل	وهذه الألفاظ درّه	وهذه الألفاظ درّه
٤٠٢	٣	لها البشر يكسوا (بألف بعد الواو)	... يكسو . (بحذف الألف)
٤٠٢	١٥	لفارعيها	لفارعها
٤٠٣	(١٣) من أسفل	مثل الرفعي	مثل الرافعي
٤٠٨	(٢) من أسفل	وباع الأسافل	... الأسفل

٤١٢	٣	أحسنه من روضه	يا حسنه من...
٤١٧		تغايَر أطار البلاد	تغايرُ أقطار البلاد
٤١٧	٩	سقط تخريج البيت - الذي رسم على هيئة النثر - عروضيا. وهو على	وزن (الطويل)
٤١٧	١١	سقط تخريج الأبيات الثلاثة عروضيا، وهي	على وزن (الطويل)
٤٢٤	٣	سقطت المقدمة الخاصة بالأبيات	(وكتب هو إليّ ملغزًا)
٤٢٤	(٦) من أسفل	كما أثار حرب عوان	كم أثار حرب عوان

مع أوفى الشكر، وأطيب التمنيات

د/ محمد سالم